

الجزء الثاني

تاريخ الأدب في البحرين

تأليف

إدوارد جرانفيل بروان

ترجمة

إبراهيم أمين الشواربي

تقديم

محمد السعيد جمال الدين

أحمد حمدي الخولي

بديع محمد جمعة



المشروع القومي للترجمة

703

تاريخ الأدب في البحرين
1928-1978



هذا الكتاب هو الجزء الثاني من الموسوعة الكبيرة التي ألفها الأستاذ براون ، وتقع في أربعة أجزاء تستوعب الحياة التاريخية والفكرية والأدبية للإيرانيين منذ أقدم العصور حتى سنة ١٩٢٤م ، سنة تأليف الكتاب .

ويعد هذا الجزء أهم أجزاء تلك الموسوعة التي ظلت منذ صدورها حتى اليوم مرجعاً أساسياً لا يمكن أن يستغنى عنه دارسو اللغة الفارسية وآدابها ، بل لا يمكن لدارس الأدب العربي نفسه أن يستغنى عنه ؛ لأنه يعرض لأزهى فترات هذا الأدب العربي وازدهاره وانتشاره وتأثيره في آداب الشعوب الإسلامية بعامه ، وفي الأدب الفارسي بخاصة . وقد أسهمت ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي للكتاب ، وما اشتملت عليه من إضافات وتعليقات ، في إبراز هذا التأثير وبيان ما يتصف به من عمق واتساع .

المشروع القومي للترجمة

تاريخ الأدب في إيران

من الضردوسی إلى السّعدی

(الجزء الثاني)

تأليف المستشرق الكبير : إدوارد جرانفيل براون

نقله إلى العربية الدكتور : إبراهيم أمين الشواربي

تقديم : محمد السعيد جمال الدين

وأحمد حمدي الخولي وبيدع محمد جمعة



٢٠٠٥



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

- العدد : ٧٠٢ -

- تاريخ الأدب فى إيران (من الفردوسى إلى السعدى)

(الجزء الثانى)

- إدوارد جرانتفيل براون

- إبراهيم أمين الشواربى

- محمد السعيد جمال الدين وأحمد حمدى الخولى وبيدع محمد جمعة

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

A Literary History Of Persia

« From Firdawsî to Sa'dî »

By

E. G. BROWNE

حقوق الترجمة والنشر بالمريية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأويرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم(*)

انقضى الآن نصف قرن على صدور الترجمة العربية لكتاب « تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعدى » الذى ألفه المستشرق الإنجليزى إدوارد جرانفيل براون ، ونقله إلى العربية أستاذنا الدكتور إبراهيم أمين الشواربى رحمة الله عليه .

وهذا الكتاب هو الجزء الثانى من الموسوعة الكبيرة التى ألفها الأستاذ براون ، وتقع فى أربعة أجزاء تستوعب الحياة التاريخية والفكرية والأدبية للإيرانيين منذ أقدم العصور حتى سنة ١٩٢٤م ، سنة تأليف الكتاب .

ويعد هذا الجزء أهم أجزاء تلك الموسوعة التى ظلت منذ صدورها حتى اليوم مرجعاً أساسياً لا يمكن أن يستغنى عنه دارسو اللغة الفارسية وأدائها ، بل لا يمكن لدارس الأدب العربى نفسه أن يستغنى عنه ؛ لأنه يعرض لأزهى فترات هذا الأدب العربى وازدهاره وانتشاره وتأثيره فى آداب الشعوب الإسلامية بعامه ، وفى الأدب الفارسى بخاصة . وقد أسهمت ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى للكتاب ، وما اشتملت عليه من إضافات وتعليقات ، فى إبراز هذا التأثير وبيان ما يتصف به من عمق واتساع .

وتعد تجربة الترجمة عند الدكتور الشواربى نموذجاً باهراً بحق ، حرى بكل مترجم أن يحتذيه؛ فلقد أيقن الدكتور الشواربى منذ الوهلة الأولى أهمية الكتاب وقيمته،

(*) تلبية لطلب كريم من المهندس عمرو إبراهيم الشواربى ، وأخته الفاضلة الأستاذة الدكتورة شيرين الشواربى ، كتب هذا التقديم ثلاثة من تلامذة مترجم الكتاب إلى اللغة العربية : الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، وهم : بديع محمد جمعة ، ومحمد السعيد جمال الدين ، وأحمد حمىدى السيد الخولى ، أستاذة اللغة الفارسية وأدائها بكلية الآداب - جامعة عين شمس .

وأدرك أنه إنما ينقل إلى لغته العربية واحداً من أمهات الكتب التي ألفها المستشرقون المنصفون للشرق وحضارته ؛ فبراون كان معترفاً بفضل الثقافة الشرقية على الثقافة الغربية ، كما كان مدافعاً عن حق الشرق في حياة كريمة بعيداً عن تعسف المستعمرين الأوروبيين ؛ لذا جاء كتابه نموذجاً للعالم الصادق ، والمؤرخ المنصف ، كما جاء جامعاً لكل أطراف الموضوع بكل صدق وأمانة ، وقد ترجمه أستاذنا المرحوم الدكتور الشواربي بأمانة وصدق كاملين .

ومصادقاً على ذلك فقد ألزم الدكتور الشواربي نفسه بأمر وجدها ضرورية لإخراج العمل على أكمل وجه ؛ حيث أورد الشواهد العربية والفارسية والتركية التي وردت في أصولها ، والتي كان الأستاذ براون قد أهمل إثباتها عند تأليف الكتاب ، وترجمها الدكتور الشواربي ترجمة تختلف عن ترجمة المؤلف لها ، وحسب ما سمح به نقلها إلى اللغة دون إخلال بمعانيها ومبانيها .

ومما يحمد للمترجم أنه زوّد الكتاب بالكثير من الحواشي والتعليقات التي اشتملت على الآراء الجديدة التي ظهرت ، والكتب والمقالات التي حُقِّقت وطُبعت في الفترة التي أعقبت تأليف الكتاب حتى زمن ترجمته ، وهي فترة تقرب من نصف القرن !

لقد أراد الشواربي - كما يقول في مقدمة المترجم - أن يكون الكتاب نقطة البداية التي تبدأ بها دراسة الأدب الفارسي في الجامعات المصرية والعربية ؛ لذا كان حريصاً على أن يقرأه طلابه عليه في دروس الأدب الفارسي التي كان يلقيها في الجامعة ، وقد قرأ ثلاثتنا فصولاً عديدة من الكتاب في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي على أستاذنا الدكتور الشواربي ، وكان في إضافاته وتعقيباته على ما يعرض علينا من موضوعات حريصاً على أن يعلمنا أهم ما ينبغي أن يشتمل عليه كل مشتغل بالعلم من شوائب الدقة والأمانة والموضوعية ، وأن يجعلنا نتنوق فيما يعرض لنا من متون ، أو ما نقرأه من ترجمات ، جمال العبارة وبساطتها ويسرها ، ويدفع بنا في تودة وأناة إلى فضاء المعرفة المشرق الرحب .

ولا يسعنا هنا إلا أن نوجه الشكر إلى المهندس عمرو الشواربي والأستاذة الدكتورة شيرين الشواربي اللذين أتاحا لنا الفرصة ، بكتابة هذا التقديم ، كي نعبر عن ابتهاجنا بإعادة طبع هذا العمل الكبير بعد أن عزَّ على الطلاب والمشتغلين بالدراسات الشرقية الإسلامية العثور عليه ، ولكي نؤكد أن الكتاب مازال يعد في أوساط الدارسين في الشرق والغرب مرجعاً أساسياً ينتفع به ، ويعول عليه ، ولا يكاد يسبقه في مكانته ككتاب أُلِّف في مجاله حتى الآن ، ولكي نشير إلى أن القارئ العربي موفور الحظ في أن يطالع الكتاب مترجماً في لغة بليغة مشرقة ، وقد زوده المترجم بالكثير من المعارف والشواهد والشروح والتعليقات ، جعلته يفضل أية ترجمة فارسية تمت في إيران لهذا الجزء الثاني ؛ مما اعتبره الفرس بمثابة تأليف جديد ، وليس مجرد كتاب مترجم !

كما لا يسعنا إلا أن نوجه الشكر إلى أمانة المجلس الأعلى للثقافة والمشروع القومي للترجمة ممثلين في الأستاذ الدكتور جابر عصفور على العناية بطبع هذا الكتاب وتيسير وصوله إلى أكبر عدد من قراء العربية الكرام .

والله ولي التوفيق

محمد السعيد جمال الدين

أحمد حمدي السعيد الخولي

بديع محمد جمعة

تاريخ الأدب في إيران

من ألفرد دوسى إلى السعيدى

تأليف

المنتشرق الكبير، إدوارد جرانفيل براون

[الأستاذ بجامعة كامبردج سابقاً]

نقله

إلى العربية

الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

[أستاذ اللغات الفرعية بجامعة إبراهيم]

طبعة السعادة برمنز

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

A Literary History Of Persia

« From Firdawsi to Sa'di »

By

E. G. BROWNE

Translated into Arabic

By

Dr. I. AMIN SHAWARBY

[جميع الحقوق محفوظة للترجم]

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] .

(صدق الله العظيم)

محتويات الكتاب

كلمة المفهوم	ف - ا ب
مقدمة المؤلف	٨ - ١

الفصل الأول

تمهيد وترديد

موضوع الكتاب	٩
الفتح العربي وتأثيره في فارس	١٣
اللغة العربية ومركزها الفريد	١٣
العلوم العربية	١٥
صلاح العربية للأغراض العلمية	١٦
اعتداد العرب بلغتهم	١٧
العصر الذي تحدث عنه في هذا الكتاب	١٨
العباسيون وخصومهم من أهل الشيعة	٢٠
الفتح المغولي	٢١
النهضة الفارسية	٢٢
تطور الذوق الأدبي وقواعد النقد	٢٤
دولتشاه وفساد ذوقه الأدبي	٢٦
الأسلوب الفارسي والصناعة البديعية	٢٧
خصائص الأشعار الفارسية المبكرة	٢٨
فنون الشعر والبديع لدى الفرس	٢٩
علم البديع	٣١
النثر	٣٢
النظم	٣٣
البيت والمصراع	٣٥
ضروب النظم الفارسية	٣٦
المتنوى	٣٧

(و)

٣٨	الغزل
٣٩	القصيدة
٤٧	القطعة
٤٨	الرباعي أو الرباعية
٥٢	الأرتجال وأثره
٥٣	الترجيع بند والتركيب بند
٥٦	المسمط
٥٩	المستزاد
٦٠	أقسام الشعر بحسب موضوعاته
٦٣	الشعر الخليط
٦٣	قصيدة «قوامي الكنجوي» في الصناعات البلاغية
٩٠	التأريخ بالأشعار
٩١	التلميح
٩٢	صعوبة استعمال التلميح في الأشعار الإسلامية
٩٤	التصنيف
٩٥	المهجو والجواب
٩٨	التشبيهات والاستعارات تسودها روح المحافظة
٩٩	الشعر الإسلامي تسوده روح المحافظة
١٠٠	أساس النقد في الموضوع والأسلوب
١٠١	ابن خلدون ورأيه في الأسلوب
١٠٣	روح المحافظة في أساليب الشعر والنثر في الفارسية
١٠٤	التصنع صفة عارضة في الأساليب الفارسية

الفصل الثاني

عصر الدولة الغزنوية

١٠٥	جمالة فارس في نهاية القرن العاشر الميلادي (الربع الهجري)
١٠٦	منزلة الأدب في خراسان وطبرستان وجنوب فارس

(ز)

١٠٩	السلطان محمود الغزنوى
١١٢	ابن سينا يفر من قبضه محمود
١١٣	البيرونى والسلطان محمود الغزنوى
١١٤	أبو الفتح البستي
١١٥	رعاة الآداب وكثرتهم
١١٦	أبو منصور الثعالبي
١١٦	أبو ريحان البيرونى
١١٧	مراكز الحضارة الأربعة في إيران
١١٨	الصاحب بن عباد
١١٩	شمس المعالى قابوس
١٢٠	أخلاق السلطان محمود
١٢١	البيرونى وابن سينا
١٢٤	قصائد «ابن سينا» الفارسية.
١٢٥	رباعيات «الحيام» الجميلة
١٢٧	قصيدة «ابن سينا» عن الروح
١٢٨	بديع الزمان الهمذانى
١٣٠	مهيار الديلمى
١٣١	المجوسى الطيب
١٣٣	شعراء الفارسية
١٣٩	عنصرى
١٤٣	عسجدى
١٤٤	فرخى
١٥٢	الفردوسى
١٥٧	رواية «چهار مقالة» عن الفردوسى
١٦٥	رواية دولتشاه
١٦٨	مؤلفات الفردوسى: الـ«شاهنامه»
١٧٥	يوسف وزليخا
١٧٦	غزليات الفردوسى
١٧٨	أسدى الطوسى

(ج)

١٨٧	أبو الفرج السجزي
١٨٨	منوچهرى
١٩٣	غضائرى
١٩٤	بهرامى .
١٩٦	بندار الرازى
١٩٩	الكسائى

الفصل الثالث

العصر السلجوقى الأول

٢٠٧	مقدمة الفصل
٢٠٩	أصل السلاجقة
٢١٢	الخلفاء الفاطميون - الدولة الغزنوية
٢١٣	الدولة البويهية
٢١٤	هجرة السلاجقة جنوبا - مسعود والسلاجقة
٢١٥	تأسيس الدولة السلجوقية
٢١٦	الخليفة يعترف بطغرل
٢١٧	موت طغرل - ألب أرسلان
٢١٩	نظام الملك
٢٢٠	ألب أرسلان
٢٢١	أعمال ألب أرسلان
٢٢٣	موت ألب أرسلان
٢٢٥	ملكشاه
٢٢٩	سقوط نظام الملك
٢٣١	قتل نظام الملك
٢٣٥	موت ملكشاه
٢٣٦	قصة نظام الملك والصباح والحيام
٢٣٩	نشأة الحشاشين
٢٤٠	الشيعة
٢٤١	العتدلون والغلاة - الإسماعيلية

(ط)

٢٤٢	الدولة الفاطمية
٢٤٣	:	مذهب الإسماعيلية — العدد سبعة في مذهبهم
٢٤٥	المستنصر
٢٤٦	ناصر خسرو .
٢٤٧	الحسن بن الصباح
٢٥٢	مراتب الحشاشين

الفصل الرابع

الأدب في العصر السلجوقي الأول

٢٥٩	نظام الملك وكتابه «سياسة نامه»
٢٦٥	ناصر خسرو .
٢٦٩	آثار ناصر خسرو — كتاب «سفرنامه»
٢٧١	ناصر خسرو في مصر — وصف القاهرة في كتاب سفرنامه
٢٧٤	ديوان ناصر خسرو .
٢٧٧	دراسة الديوان
٢٨٢	آراء ناصر خسرو الدينية
٢٨٤	مترجمات من ديوانه .
٢٩٩	أشعار الإلحاد المنسوبة إلى ناصر خسرو
٣٠١	بقية آثاره — روشنائى نامه .
٣٠٣	شعراء الرباعيات
٣٠٤	عمر الحيام
٣٠٧	أحدث الأبحاث عن حياة الحيام
٣٠٨	كتاب «مرصاد العباد» وما أورده عن الحيام
٣٠٩	كتاب «تاريخ الحكماء» وما أورده عن الحيام
٣١٠	كتاب «نزهة الأرواح» وما أورده عن الحيام
٣١٢	كتاب «آثار البلاد» وما أورده عن الحيام
٣١٣	كتاب «جامع التواريخ» وما أورده عن الحيام
٣١٥	كتاب «فردوس التاريخ» وما أورده عن الحيام
٣١٥	كتاب «التاريخ الألقى» وما أورده عن الحيام

(ك)

٣٨٨	الإسماعيلية في الموت أو الحشاشون
٣٩٥	الحركة الأدبية في هذا العصر - شعراء الفرس
٣٩٥	سنائي
٣٩٧	حديثه الحقيقة
٤٠٦	أزرقى
٤٠٧	مسعود سعد سلمان
٤١١	أبو طاهر الخاتوني
٤١٣	معزى
٤١٧	رشيد الدين الوطواط
٤٢١	أديب صابر
٤٢٥	نظامى عروضى سمرقندى
٤٣٠	عبد الواسع الجبلى
٤٣٣	سوزنى
٤٣٥	صغار الشعراء
٤٣٦	مهسقى
٤٣٨	التوايف الفارسية المنشورة في هذا العصر
٤٣٨	ذخيره خوارزمشاهى
٤٣٩	مقامات حميدى
٤٤٣	كليله ودمنه
٤٤٨	الكتب العربية في هذا العصر
٤٥١	ابناخرزى
٤٥٤	الرويانى
٤٥٦	الحريرى
٤٥٧	أنو شروان بن خالد
٤٥٨	الزخمشرى
٤٥٩	الشهرستانى

(د)

الفصل السادس

الشعراء الأربعة الناهون

٤٦١	مقدمة
٤٦٢	١ - الأنورى
٤٦٣	مصادر دراسة الأنورى
٤٦٤	نشأة الأنورى
٤٩٢	شعر الأنورى
٤٩٥	٢ - الخاقانى
٤٩٦	خاقانى وأبوالملاء الكنجوى
٥٠٢	تحفة العراقيين
٥٠٥	فن الخاقانى
٥٠٦	٣ - نظامى الكنجوى
٥١٠	مكانة نظامى
٥١١	مخزن الأسرار
٥١٣	خسرو وشيرين
٥١٦	لىلى ومجنون
٥٢٠	هفت پيكر
٥٢٤	إسكندر نامه
٥٢٥	٤ - ظهير الدين الفارياى
٥٢٨	المولك والأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين
٥٣١	حياة ظهير الدين

الفصل السابع

مملكة خوارزم

٥٤٥	غارة المغول على خوارزم واستيلائهم على بغداد وتحطيمهم للخلافة العباسية
٥٦٥	عهد استعلاء نفوذ المغول فى إيران

٥٦٩	جلال الدين خوارزمشاه
٥٧٣	أوكداى
٥٧٣	كيوك
٥٧٥	منكو
٥٧٦	هولاكو
٥٧٦	الحشاشون أو الإسماعيلية فى الموت
٥٨٣	المهجوم على بغداد
٥٨٧	ابن العقضى
٥٨٥	المستعصم

الفصل الثامن

كتاب العصر المغولى الأول

٥٩١	مقدمة
٥٩٢	١ - أصحاب التواريخ العامة
٥٩٢	ابن الأثير
٥٩٣	ابن العبرى
٥٩٥	منهاج السراج
٥٩٦	جرجيس السكين
٥٩٧	٢ - أصحاب التواريخ الخاصة
٥٩٧	الجربا ذقانى
٥٩٩	الفتح البندارى
٥٩٩	عطا ملك الجوينى
٦٠٠	أحمد النسوى
٦٠٢	٣ - كتاب التراجم
٦٠٢	ابن خلكان
٦٠٤	القفطى
٦٠٥	ابن أبى أصيبعة
٦٠٦	محمد عوفى

(ن)

- ٤ - أصحاب التواريخ المحلية
٦٠٨ ابن إسفنديار
٦٠٨١ أبو عبد الله الديلمي
٦١٠
٥ - الجغرافيون والرحالون
٦١١ ياقوت
٦١١ القزويني
٦١٢ ابن جبير
٦١٤ الفلاسفة
٦ -
٦١٥ فخر الدين الرازي
٦١٥ نصير الدين الطوسي
٧ - أصحاب التوايف العربية
٦١٨ ابن ميمون ، البوني ، ابن البيطار ، التيفاشي
٦١٨ عز الدين الزنجاني ، جمال القرشي ، ابن الحاجب ، المطرزي
٦١٩ ضياء الدين بن الأثير ، مجد الدين بن الأثير
٦١٩ البيضاوي ، ياقوت المستعصي
٦٢٠
٨ - مؤلفون آخرون
٦٢١ أبو نصر الفراهي ، شمس قيس الرازي
٦٢١ سعد الدين الوراوي
٦٢٢
٩ - كتاب الصوفية
٦٢٣ روزبهان
٦٢٤ نجم الدين كبرى
٦٢٥ مجد الدين البغدادي
٦٢٩ سعد الدين الجوى
٦٣٠ نجم الدين داية
٦٣١ شهاب الدين السهروردي
٦٣١ محي الدين بن العربي
٦٣٢ كتاب فصوص الحكم
٦٣٦ ابن الفارض
٦٣٨

(س)

الفصل التاسع
شعراء العصر المغولي الأول

٦٤٢	مقدمة
٦٤٢	١ - فريد الدين العطار
٦٤٣	حياة العطار
٦٤٥	موت العطار
٦٤٨	منطق الطير
٦٥٤	٢ - جلال الدين الرومي
٦٥٤	حياة جلال الدين
٦٥٨	ديوان شمس تبريز
٦٥٩	الثنوى
٦٦٠	مترجمو جلال الدين إلى الإنجليزية
٦٦٤	ديوان شمس تبريز
٦٦٧	٣ - سعدى
٦٦٨	حياة السعدى
٦٧٢	أسفار السعدى
٦٧٤	سعدى وتعليم الأخلاق
٦٧٦	مؤلفات السعدى
٦٧٧	سعدى الغوى
٦٧٨	قصائد سعدى
٦٧٩	غزليات سعدى
٦٨٢	أشعار سعدى
٦٨٦	٤ - صفار الشعراء
٦٨٦	شرف الدين شفروه
٦٨٧	كمال الدين إسماعيل
٦٨٩	خاتمة الكتاب

كشاف

٦٩١	١ - أسماء المؤلفات
٧١١	٢ - أسماء الاعلام
٧٣٧	٣ - أسماء الأمكنة

كلمة المترجم

في مطلع القرن العشرين ، لمع في أفق « الدراسات الشرقية » اسم مستشرق عظيم هو : « إدوارد جرانهيل براون » الأستاذ بجامعة كامبردج ، فقد استطاع بتخصصه في لغات الأمم الإسلامية وإتقانه لثلاث منها هي « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، أن يدخل نفسه في عداد كبار المستشرقين كافة ، وأن يصبح كذلك زعيم المستشرقين الإنجليز في هذا القرن من الزمان .

ارتبطت حياة « براون » بحياة « إيران » ارتباطا عجيباً منذ سنة ١٨٨٠ م ، حينما بدأ وهو في الثامنة عشرة من عمره يدرس اللغة الفارسية وآدابها ، فلما اكتملت له وسائل التحصيل وانتهى من دراساته الجامعية ، جعل حياته وفقاً على هذه الأمة الخالدة ، وشغل نفسه بنواحيها التاريخية والفكرية والاجتماعية ، حتى أصبحت « إيران » هم الدائب وشغله الشاغل ، يكتب عن أمجادها القديمة ، كما يكتب عن حركاتها الحديثة ، فتصبح كتاباته في كلا الناحيتين العماد والرجع ، وتصبح سجلا كاملا يتضمن كل ما عرف عن « إيران » منذ مشرق التاريخ حتى نهاية الربع الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه .

والكتب والأبحاث التي ألفها « براون » والتي تولى ترجمتها ، والتي قام على تصحيحها وإخراجها ، تبلغ العشرات والعشرات ؛ كل واحد منها يمتاز في موضوعه امتيازاً خاصاً ، لا يستطيع أن يجده جاحد أو ينكره معاند ... ولكن أهم هذه الكتب على الإطلاق هو الكتاب الذي جعله بعنوان : « تاريخ الأدب في إيران » وجملة « موسوعة أدبية » موزعة على أربعة مجلدات كبيرة ، تربو صفحاتها على ألفين ومائتين من الصفحات ، تستوعب مشتملاتها الحياة التاريخية والفكرية للإيرانيين منذ أقدم ما عرف من أخبارهم وتواريخهم إلى سنة ١٩٢٤ م ، أي خلال فترة تقرب من خمسة وعشرين قرناً .

(ص)

وقصة تأليف هذه «الموسوعة الأدبية» قصة طريفة ، تسربت بعض أخبارها في ثنايا الكتابات التي كتبها المؤلف نفسه ، فهو يقول في مقدمته على المجلد الأول : إن نفسه تنوق منذ سنوات إلى كتابة تاريخ يسجل فيه الحركة العقلية والأدبية للإيرانيين ، على نسق الكتاب الدهش الذي ألفه «جرين» عن تاريخ الشعب الإنجليزي؛ لأن هذا الكتاب — في معتقده — مفخرة لكل من احتذاه ، يندر من يستطيع تقليده ومجاراته ، وينعدم من يرجو إدراكه أو التفوق على مستواه...!!

ولكن «براون» سرعان ما عاد عن فكرته في احتذاء نمط هذا الكتاب . خشية أن يضطر إلى إخراج كتاب يكون شديد الإيجاز والاختصار ، فالتمس نموذجاً آخر يحتذيه ، يكون في احتذائه مجالاً للتطوير والتفصيل ، فكان نموذجه في هذه المرة الكتاب المتع الذي ألفه «جوسيراند» باسم «تاريخ الآداب الإنجليزية» فقد أعجب بفكرته وطريقة إخراجها إيجاباً شديداً ، جعله يقرر في النهاية أن يخرج «تاريخ الأدب في إيران» على نسقه ومنواله .

وعقد «براون» العزم على أن يتم كتابه في مجلد واحد ، يضمه تاريخ إيران برمته حتى مطلع القرن الحالي ، ولكنه سرعان ما تحقق من استحالة بغيته ، فرجا أن يصل به على الأقل إلى غارة القول على الديار الإسلامية ، باعتبارها نقطة فاصلة من نقط التحول في التاريخ الإسلامي ، ولكنه لم يلبث أن تأكد أيضاً من استحالة ذلك لاتساع الموضوع وتشعب نواحيه ، فاضطر اضطراراً إلى أن يختم المجلد الأول من كتابه بالحديث عن العصر الذي سبق «الفردوسي» بقليل من الزمن .

وانتهى «براون» من كتابة المجلد الأول في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٠٢ م ، وجعله بعنوان: «تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى زمان الفردوسي»

A LITERARY HISTORY OF PERSIA :

From the Earliest Times until Firdawsī.

وقد تضمن هذا المجلد الحديث عن «جاهلية إيران» والحديث عن القرون الأربعة الأولى من حياتها الإسلامية .

وانقضت بعد ذلك أربع سنوات تقريباً ، فلما كان اليوم السادس عشر من

(ق)

شهر مايو سنة ١٩٠٦ م نشر « براون » المجلد الثاني من موسوعته بعنوان :
« تاريخ الأدب في إيران ، من الفردوسي إلى السعدي » .

A LITERARY HISTORY OF PERSIA :From Firdawsi to Saadi.
وجعله وصلاً للمجلد السابق ، يتضمن تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة
بين نهاية القرن الرابع الهجري ومنتصف السابع الهجري ، أي بداية القرن الحادي عشر
ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادين .

واقضت بعد ذلك فترة تبلغ أربع عشرة سنة ، انشغل فيها « براون » بأحداث
إيران الثورية والدستورية ، فكاد ينصرف عن عمله في مواصلة إتمام هذه الموسوعة
التي بدأها بالمجلدين السابقين ، لأنه وجد من الحق بل من الواجب عليه أن ينسى قليلاً
أحداث إيران الغابرة وأن يأخذ بيدها في أحداث حياتها الحاضرة ؛ فلما ساهم بنصيبه
في ذلك ، عاد إلى موضوعه الأصيل ، فأصدر في ٥ إبريل سنة ١٩٢٠ م المجلد
الثالث من موسوعته الأدبية عن إيران بعنوان جديد ، هو :

« تاريخ الأدب الفارسي ، من سنة ١٢٦٥ م إلى سنة ١٥٠٢ م »

(أي من سنة ٦٦٤ هـ إلى سنة ٩٠٨ هـ)

A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE (1265-1502)

وقد تضمن هذا المجلد تاريخ الأدب في إيران من « السعدي » إلى « جامي » أي
من موت « هولوكو » محطم الخلافة العباسية في بغداد إلى قيام الدولة « الصفوية »
في إيران .

وبعد ذلك بأربع سنوات تقريباً ، استطاع « براون » أن يتم موسوعته بإصدار
المجلد الرابع والأخير منها في ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ م وجعله بعنوان :

« تاريخ الأدب الفارسي : من سنة ١٥٠٠ إلى سنة ١٩٢٤ »

أي من سنة ٩٠٦ هـ إلى سنة ١٣٤٢ هـ

A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE (1500—1924.)

وتضمن هذا المجلد تاريخ الأدب في إيران في عصورها الحديثة والمعاصرة .
وقد ابتهج « براون » بإخراجه ابتهاجاً كبيراً لأنه حقق به أملاً ظل يتردد في

جوانبه ، وعملا ظل يشفق على نفسه من شدائده ومتاعبه ، حتى استطاع في النهاية وقبل وفاته بعام واحد ونصف العام أن يتوج سائر مجهوداته بإتمام هذه الموسوعة عن « الأدب في إيران » وأن يجعلها الأثر الخالد لسائر كتاباته أو كما يقول الفرس « شاهكار » كتبه ومؤلفاته .

وقد نشر « براون » المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة في دار نشر غير الدار التي نشرت له المجلدين الأولين ، وعلى ذلك بسببين هما :

أولا — أنه أراد أن يسهل للمقتبيين أن يقتبسوا من كتاباته كما أراد أن ييسر للترجمين أن يحصلوا على الإذن بترجمة مؤلفاته ؛ فرأى أن يتجه إلى دار نشر جديدة ، تحقق هذه الغرضين وتعين عليهما .

ثانيا — أنه أراد أن ينشر النصوص الشرقية التي تعرض لها في كتاباته أو التي استشهد بها في مؤلفاته ، بلغاتها الأصلية وبالحروف التي تكتب بها عادة في هذه اللغات ، حتى ييسر للدارسين سبيل الانتفاع بها ، فسعى إلى ناشر جديد ، لديه من الأبهة والاستعداد ، ما يستطيع بهما أن يتلافى النقص الذي أصاب المجلدين السابقين فخرهما من ذكر الشواهد بنصوصها الأصلية .

ولم يكن ناشره الجديد إلا « دار طاعة جامعة كامبردج » فأخرجت المجلدين الأخيرين إخراجا حقيق رجاء « براون » فيها ، ورصعت صفحاتهما بإيراد الأمثلة والشواهد بنصوصها الأصلية في الكتابات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، كما حققت للترجمين والمقتبيين سبيل الاقتباس والترجمة ، فلم تبخل بالإذن إلى ذلك ، بل ويسرته تيسيراً سخياً كريماً ، كان من نتيجته ترجمة بعض مجلدات هذه الموسوعة إلى الفارسية ، ثم صدور هذه الترجمة العربية التي نسمي إلى نشرها لسائر المجلدات

وقد نتج عن صدور مجلدات هذه « الموسوعة » في دارين من دور النشر أمور ، جعلت المجلدين الأولين منها يتميزان بسمات تختلف عن السمات التي يتميز بها المجلدان الأخيران ، ربما كان أظهرها وأوضحها أمران :

أولا — أن المجلدين الأولين صدرا في البداية بعنوان موحد ، هو :

(ش)

أما المجلدان الأخيران فصدرا في البداية بعنوان آخر ، هو :

“ A History of Persian Literature ”

ثانياً — أن المجلدين الأولين يخلوان خلوا يكاد يكون تاما ، من إيراد الشواهد في أصولها الشرقية : العربية أو الفارسية أو التركية ، أما المجلدان الأخيران فترخر صفحاتهما بالشواهد الأصلية مطبوعة بالحروف التي تكتب بها هذه اللغات .

وفي رأيي أنه لو امتد الأجل بالأستاذ « براون » لتدارك النقص الذي عاب المجلدين الأولين ، وانضمهما كما فعل في المجلدين الأخيرين سائر الشواهد في نصوصها الشرقية الأصلية ، ولجعل المجلدات الأربعة وحدة ، مشتركة الصفات ، متشابهة السمات ؛ ولكن من أسف أن الموت عاجله ، ولم يمهله القدر إلا عاما ونصف العام منذ فراغه من آخر المجلدات ، فتوفي في الخامس من يناير سنة ١٩٢٦ . وكل ما حدث بعد ذلك أنه منذ أخذت « دار طباعة جامعة كامبردج » حقوق طبع « الموسوعة » برمتها ، أنها وحدت تسمية مجلداتها الأربعة ، فجعلتها جميعها بعنوان واحد هو :

“ A LITETARY HISTORY OF PERSIA ”

وهو العنوان الذي استصوبت ترجمته إلى العربية بعبارة :

« تاريخ الأدب في إيران »

وصدرت الطبقات التالية بهذا العنوان ، وتسلسلت مجلداتها على هذا النسق :

المجلد الأول : « تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى الفردوسي »

المجلد الثاني : « تاريخ الأدب في إيران ، من الفردوسي إلى السعدي »

المجلد الثالث : « تاريخ الأدب في إيران ، أثناء حكم التتار »

المجلد الرابع : « تاريخ الأدب في إيران ، في الأزمنة الحديثة »

وحققت دار النشر بذلك ، الفكرة التي ارتسمت في خاطر « براون » من جعل مجلداته الأربعة التي صور فيها الحياة الأدبية والفكرية للإيرانيين موسوعة كاملة الدورات متصلة الحلقات .

ولقد خلبتني هذه الموسوعة منذ قبض الله لي في سنة ١٩٣١ أن التحق بجامعة لندن لدراسة اللغات الشرقية والتخصص في اللغتين الفارسية والتركية على يدي أستاذ جايل من

(ت)

تلاميذ « براون » هو المرحوم « السير دينيسون روس » ، وأصبحت بتدني لهذا الأستاذ وثيق الصلة بأستاذه « براون » وبسائر كتبه ومؤلفاته .

وتملكنتي رغبة جامحة ، منذ أيام الطاب والتحصيل ، في أن أهلك إلى العربية بعض مؤلفاته ، وعلى الأخص موسوعته عن « تاريخ الأدب في إيران » حتى تكون نقطة البداية التي نبدأ بها دراساتنا للأدب الفارسي في الجامعات المصرية الحديثة ، لأنني تحققت من أن ترجمة كتاب من كتب المستشرقين ، يكون جامعا لأطراف الموضوع ، شاملا لخلاصة أبحاثهم فيه خلال القرون الطويلة التي سبقونا فيها إلى دراسة الأدب الفارسي ، توفر علينا ضياع الوقت والجهد في بحث أمور سبقت معالجتها والبلوغ بها إلى غاياتها أو ما يدنو من غاياتها ، وأنه أجدى علينا أن نخصص جهودنا لتصرفها فيما يكون وصلا لما انقطع ، وفيما يخرج بنا إلى بحوث جديدة ، نضيفها إلى التراث العام الذي خلفه سائر المشتغلين بالدراسات الشرقية من مختلف الأجناس والقوميات ولو استطاع كل متخصص في علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتابا واحداً من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع تخصصه ، لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة ، كفيلة بأن تجدد الفكر العربي واللغة العربية تجديداً كاملاً ينتهي بنا إلى نهضة كاملة شاملة كالتى حدثت في أوروبا عندما نقلت إلى لغاتها الكتب العربية والشرقية في سالف الوقت والزمان ، ولاستكملنا بهذه الثروة العريضة ما نقصنا في الفترة التي وقفنا فيها موقف الفتور والتكاسل والتخلف والتواكل .

وقد أحس الأيرانيون أنفسهم بخطر الموسوعة التي أصدرها « براون » عن « تاريخ الأدب في إيران » فأقبلوا عليها يتدارسونها ويقبسون منها وينهبون إلى أهميتها ، وسعى منذ ثلاثين عاماً تقريباً أحد رجالهم الذين قدرت له تولى وزارة المعارف فيما بعد ، وهو الأستاذ الكبير « على أصغر حكمت » أن يترجم هذه الموسوعة إلى الفارسية ، وأفرته وزارة المعارف الإيرانية على مقترحه الذي يعود على العلم والأدب بفائدة محققة ، وحصل فعلا من الأستاذ « براون » في سنة ١٩٢٥ على إذن بنقل هذه الموسوعة إلى الفارسية ، ثم وزع مجلداتها الأربعة على أربعة من كبار أدباء

(ث)

إيران وعمقها ، كان هو نفسه واحداً منهم ، ولكن الظروف والأقدار شاءت ألا تصدر من الترجمة الفارسية حتى الآن إلاترجمه المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة فأصدر المرحوم «رشيد ياسمى» الأستاذ بجامعة طهران ترجمة المجلد الرابع في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية (= ١٩٣٧م) بعنوان: «تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفوية تا زمان حاضر» ثم انقضت فترة تبلغ إحدى عشرة سنة استطاع بعدها وزير المعارف الإيرانية الأسبق الأستاذ «على أصغر حكمت» أن يخرج في سنة ١٣٢٧ الهجرية الشمسية (= ١٩٤٨م) الترجمة الفارسية للمجلد الثالث من مجلدات براون بعنوان: «از سدهى تا جامى : تاريخ أدبى ايران از نيمه قرن هفتم تا آخر قرن هشتم هجرى ، عصر استيلاء مغول و تاتار» .

وأما المجلدان : الأول والثانى ، فإزال الأمل كبيراً فى نقلهما الى الفارسية ، وليس سبقنا الى نقلهما إلى العربية من باب المصادفة المحضة فهما يشتملان على كثير من الأمور العربية التى تبرر لنا هذا السبق وتجعل لنا حقاً كبيراً فيه .

* * *

ولقد يسر الله لى حتى إبريل سنة ١٩٤٥ أى منذ تسع سنوات تقريباً أن أتمّ ترجمة المجلدين الأولين من موسوعة «براون» ، وطمعت فى أن تعينى وزارة المعارف المصرية على نشرهما أو أن أجد الناشر الذى يرفع عن كاهلى كثيراً من النفقات والتكاليف ، ولكننى لم أظفر للأسف بما يحقق البغية وييسر المطلوب ، فتوقفت السنوات الماضية أتدبر الأمور وأسعى الى إكمال ترجمة المجلدين الأخيرين ، حتى هيا الله لى فى هذا العام الوسائل لنشر مجلد واحد منها ، سأظل بعده أنحين الفرصة لنشر باقى المجلدات ، وتحقيق أمل رجوته منذ سنوات .

وقد وقع اختيارى على المجلد الثانى ليكون طليعة نشرى لهذه المجلدات فى نسختها العربية ، وربما كثرت الأسباب التى بررت لى البدء على هذا النحو الغريب ، ولكن أهمها وأبرزها ما يأتى :

أولاً — أن المؤلف نفسه اعتبر كل مجلد من مجلداته وحدة قائمة بذاتها ، تدرس عصراً معيناً من عصور الأمة الإيرانية بحيث يمكن اعتبار كل واحد منها كتاباً مستقلاً لا بأس من طبعه على حدة .

(خ)

ثانياً — أن المجلد الأول لا يشتمل الا على الأصول الثابتة التي لا تهم دارس الآداب الإسلامية بقدر ما تهم دارس الحضارات الإيرانية القديمة ، ومن أجل ذلك فصله المؤلف فصلاً تاماً عن المجلد الثاني وجعله تمهيداً له ، لأنه يتعلق أكثر ما يتعلق بـ «جاهلية إيران» . أما المجلد الثاني ففيه بداية الحديث عن الآداب الفارسية بمعناها الفني الدقيق ، أي منذ أخذ الفرس ينشئون آدابهم باللغة الفارسية التي نشأت بعد الفتح العربي لإيران ، وظلت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أماننا هذه ، فهو في الحقيقة نقطة البدء لدارس الآداب الإسلامية التي نشأت في إيران بعد الإسلام .

ثالثاً : أن كثيراً من المقدمات والتمهيدات التي اشتمل عليها المجلد الأول ، قد تعرضت لها كتب عربية مختلفة ، مما جعل قراء العربية يعرفونها بوجه من الوجوه ويلبسون بها إلى حد من الحدود ، وفي هذا ما يعوض عليهم هذه المقدمات إذا تأخر نشرها قليلاً ، وما يجعل ابتداءهم بالمجلد الثاني بداية غير شوهاء ولا بتراء .

رابعاً : أن المجلد الثاني هو أكثر المجلدات التي تهم قراء العربية ؛ فقد اشتمل على دراسة كثير من المسائل العربية التي أخرجتها عقول إيرانية ، ومن أجل ذلك فهو يهم العرب بقدر ما يهم الإيرانيين ، وإذا كان « براون » قد عنى في سائر مجلداته بكثير من مسائل النتاج العربي الذي أخرجته عقول إيرانية ، فإن النصيب الأوفى من هذه العناية كان من نصيب المجلد الثاني بحكم الظروف التي جعلت موضوعه مجالاً لإظهار هذه الحقيقة وإثباتها .

لهذه الأسباب جميعها ، ولأسباب عملية أخرى تتعلق بدراساتنا للآداب العربية والفارسية في الجامعات المصرية ، رأيت البدء بنشر المجلد الحاضر من مجلدات « براون » ، راجياً أن تهياً لي الظروف التي تمكن من نشر سائر مجلداته باللغة العربية ، حتى يكون لقراء العربية مثلما كان لقراء الإنجليزية : «هدية إلى هذه الجماعة الصغيرة المتزايدة من هواة الآداب الفارسية الذين تعلموا من الترجمات التي نشرتها أن يحبوا شعراء الفرس وأدباءهم ، وأن لا يدخروا وسعاً في تنمية معلوماتهم اللغوية والأدبية لشعب من أقدم شعوب الأرض ، اختص بكثير من المواهب العالية والصفات السامية .»

(ذ)

ولا شك أن هؤلاء الجماعة من « الهواة » هم العماد الذي نتمتع عليه في دراسة اللغات الشرقية وآدابها ... في بلد لا يفرى على مثل هذه الدراسات وتنقصه المعاهد الشرقية المنظمة كالتى توجد في العواصم العربية الأخرى ۱۱۰۰۰ .

* * *

إما الصعوبات التى تكلفتها فى نقل هذا الكتاب إلى العربية فأكثر من أن يتسع المجال لذكرها تفصيلا ؛ ولترجمته قصة لا تقبل روعة عن قصة تأليفه ، بل ربما كانت أشد عناء وأكثربلاء ... لأمر عامة يعرفها كل من كابد الترجمة وعانى النقل من لغة إلى أخرى ، ولأمر خاصة أحب أن أنبه إلى بعضها فى هذا المقام ، وأهمها وأخطرها ما يأتى :

أولا : إن هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية ، اشتملت على كل ما تعلق بإيران أى البلاد الفارسية منذ أول ما عرف من أمرها حتى السنة التى أتم فيها المؤلف كتابه أى إلى سنة ۱۹۲۴ ، ومن أجل ذلك تضمن الكتاب أمورا مغرقة فى القدم ، ما تزال تدرج فى تاريخ هذه البلاد وما أنتجت من علم وأدب حتى تصل بنا إلى نهاية الربع الأول من القرن الذى نعيش فيه ، ولقد حرص المؤلف على أن يجعل كتابه « دائرة معارف » يثبت فيها كل ما نشر من كتب ومقالات وأبحاث تتعلق بسائر العصور التى تعرض لها كتابه ، وترتب على ذلك أنه أصبح لازما على من يتصدى لترجمته أن تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرقيين والمستشرقين التى ذكرها فى ثنايا كتابه ، وأن يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلة ويتجنب العثرة. ولطالما صادفتنى إشارات اضطرت فيها إلى الرجوع إلى المكتبات العامة والخاصة فى مصر فوجدت فيها بغيثى أو انصرفت عنها بغيثى لعدم عثورى على المرجع الذى أطلبه ، ثم ظلمت أسمى إلى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلفتى رهقا وجهدا كبيرا .

ثانيا : إن هذا الكتاب وقد مضت سنوات على تأليفه ، يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشى والتعليقات . فمنذ فرغ « براون » من كتابته ، نشرت كثير من الأبحاث والمقالات ، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التى تتعلق

(ض)

بالموضوعات التي احتواها الكتاب ؛ وأصبح لزاما على المترجم أن يشير إلى هذه الأمور وإلى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة . ولقد شئت أن أوفي الترجمة حقها فأزودها بما في الوسع من تحشيات وتعليقات ولكني وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف إذا فعلت ذلك ، فاكتفيت مضطرا بعمل تعليقاتي تقتصر على الأهم دون المهم ، وأن ينصرف أكثرها إلى التنبيه إلى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل العربية أو العربية التي ذكرها « براون » . وإني أحس خاصة بكثير من الأسف لعدم التعليق على الأمور العربية ، ولكنني من ناحية أخرى مؤمن بأن القارئ العربي ليس في حاجة ملحة الى مثل هذه التعليقات فهو عارف بها وبأصحاب البحوث الحديثة فيها ، لا يطمع في أن يذكرها بها كتاب كتب خاصة للتعريف بحياة « إيران » العقلية والفكرية .

ثالثا : اعتمد « براون » في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرفية ، واستشهد بالطبعة بالتأليفات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ولكنه لم يستطع في الغالب الأعم أن يورد لنا شواهد في نصوصها الأصيلة في هذه اللغات ، واكتفى بإيراد ترجمتها الى الإنجليزية ، ولم يكن من المستساغ عقلا أو المقبول فناً ، أن أعود فأترجم هذه المترجمات الى العربية ، لأن الترجمة عن ترجمة لاشك تضلل المترجم وتبعده عن الأصل . ومن أجل ذلك أئزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية بنصها التي وردت به في الكتب العربية اللهم إلا إذا كان الكتاب مخطوطا وليست له نسخة في دور كتبنا . كما أئزمت نفسي أن أترجم الشواهد الفارسية والتركية عن أصولها في هاتين اللغتين وأن أثبت أصولها في متن الكتاب أو هامشه حتى تكون في متناول القارئ المتخصص الذي يريد التحقيق والمقارنة . ولربما اختلفت ترجمتي مع ترجمة « براون » ولكن هذا الاختلاف بقدر ما يسمح به النقل الى العربية دون إخلال بالمعنى والمبنى .

رابعا — إن صاحب هذا الكتاب ، بالإضافة إلى تميزه في إتقان جملة من لغات الأمم الإسلامية ، كان مبرزاً كذلك في طائفة غير قليلة من اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ، ومن أجل ذلك كثر نقله عن اللغات « اليونانية » و « اللاتينية » و « الفرنسية » و « الألمانية » . وغير ذلك من اللغات . وبعض هذه اللغات أعرفها بعض المعرفة وبعضها الآخر

(ظ)

أجهله جهلا تاماً ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطرارا إلى أن الجأ إلى أصدقائي كلما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات ، فاستطاعوا مشكورين أن يعينوني على نقله وترجمته .

خامسا — يعتبر صاحب هذا الكتاب من كبار أدباء الإنجليز ، يستطيع أن ينشئ في الإنجليزية ثرا فنيا رائعا وشعرا فنيا شائعا ، ومن أجل ذلك أغرم بترجمة النثر الفنى الشرقى إلى نثر فنى إنجليزى ، وشغف بترجمة الشعر الشرقى إلى شعر إنجليزى ، فصار من العسير على المترجم فى الحالتين أن يتأنق تأتفه فى اصطناع الأساليب وإبداع التراكيب ، وأصبح عليه أن يتكلف كثيرا من الجهد للوصول إلى قرارة هذه العبارات الأنيقة والوصول إلى معانيها الدقيقة .

* * *

وفى الحق... إن ترجمة مؤلفات « براون » الذى جمع تراث الشرق والغرب ، واستطاع أن يجعل الشرق والغرب يلتقيان فى شخصه ، لمن الأمور التى طالما تخرجت من التصدى لها ، والإقدام عليها ، ولم يدفعنى إليها إلا الأهمية التى بينتها فيما سبق لكتابه « تاريخ الأدب فى إيران » وإلاخلة أخرى أعرفها فى « براون » ويعرفها كل من قرأ كتاباته ، وهى أنه من المستشرقين القلائل الذين أنصفوا الشرق والشرقيين ، وأعجبوا إعجابا شديدا بالإسلام وحضارته العربية الفارسية . ومن أقواله الخالدة التى يجب أن نحمدها له وأن نعيا عنه قوله :

« إنى أحس فى قرارة نفسى بإعجاب شديد للإسلام وحضارته العربية الفارسية »
« وأجد لزاما علىّ إن اعترف بهذا الإعجاب اعترافا صريحا فى هذا الوقت الذى »
« حرم فيه الإسلام من إنصاف الأورويين الدين أساءوا فهمه وتصويره ، ظانين »
« أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة والتمدن ، وأن الله قد وكل إليهم »
« أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم فى السياسة بل وفى أساليب التفكير والثقافة »
« أيضا . !! ومن أسف إنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة »
« فى النقص والقللة ، وأخذ ما بقى منها مستقلا يهدده التدخل الأوروبى بكل أنواعه »

(غ)

« ليس من شك عندي في أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن ذلك بعض الشيء »
« وأن الشعور بالفنور والإهمال اللذين ركبا في أنفسهم يساعد الأورويين ، بما »
« ركب في طباعهم من جشع في امتلاك الكون ونهم للغزو والفتح ، على أن »
« يعجلوا بالقضاء على هذه الدول الحرة والولايات المستقلة . ومن أسف أيضاً أن العقول »
« الغربية لا تفكر إلا في الواقع المادي ، ولن يأخذها شيء من الرحمة والشفقة »
« في سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية ؛ بل إن أوداجها لتنتفخ بهذه »
« الفتوحات الجديدة التي أعدوها للأولادهم ورؤوس أموالهم... أو مع ذلك كله فإن »
« عددا قليلا من خير الشرق وأهله ، وعرف كيف يحبه ويحبه ، ليتحقق من »
« مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التي جعلتنا نشعر بلذة الحياة »
« وقيمتها ، ويدرك أنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية »
« المستقلة ، فإن العالم يفقد بقدها شيئا لا يمكن تعويضه . »

* * *

وإني لموقن بعد ذلك كله أن القارئ العربي سيعجب بـ « براون » وبمؤلفاته ،
وأن هذا الأعجاب سيكون سبباً لده في اغتفار مواضع الزلل والعتار ، ووسبباً إليه
كلما تطلبت الحجج والأعدار ، ولطالما هدأ من روعي ، وخفف من وجلي بيتان من
الشعر ، صفتها همسا ، وظللت أرددهما طوال المدة التي ترجمت فيها هذا الكتاب
فكانا بالنسبة لي حذاءا يدعوا القافلة إلى الثابرة والمسير ، وبالنسبة للقارئ دعاءا يدعوه
إلى مغفرة الزلل والتقصير . فأما هذان البيتان فهما :

لقد تعب المؤلف والمترجم فليتك قدر هذا الجهد تعلم
كلانا دائب يسمي ويشقى فهل أليفك عند السهو ترجم

* * *

وإني أشكر في ختام كلمتي « دار طباعة جامعة كامبردج » فقد يسر لي حضرة مديرها
الأستاذ « ر . و . دايفيد : R. W. David » سبيل الحصول على الإذن اللازم لنشر هذا

(ا ب)

الكتاب في نسخته العربية ، ولولا ما أبداه من روح طيبة قبل ، وترحيب كبير
بعملي لظلت بين العزم والإحجام والتردد والإقدام .
كما أشكر أيضا صاحب «مطبعة السعادة» ومديرها الأستاذ «علي محمد إسماعيل»
فقد خص الكتاب بعنايته وتكلفت معي كثيرا من الجهد والصبر حتى استطاع
تهيئة الأسباب التي ذلت الصعاب بما يستحق الحمد والإعجاب ؟

ابراهيم أمين السواربي

السبت ٢٨ شعبان سنة ١٣٧٣ هـ
أول مايو سنة ١٩٥٤ م

المكتبة الفارسية

مجموعة من الكتب يصدرها الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ليعين القارىء على دراسة الفارسية وآدابها والاطلاع على ما بها من درر روائع وفرائد زواهر .

صدر منها حتى الآن الكتب والدراسات العلمية الآتية :

١ - القواعد الأساسية لدراسة الفارسية .

وهو أول كتاب وضع بأسلوب علمي حديث لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية ، وهو مطبوع ببلجنة التأليف والترجمة والنشر في سنة ١٩٤٣ م وصدرت له طبعة ثانية في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م

٢ - أغاني شيراز أوغزليات حافظ الشيرازى (في جزئين كبيرين) وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازى تقع في جزئين كبيرين ، طبعا ببلجنة التأليف والترجمة والنشر ، الأول منهما في سنة ١٩٤٤ والثانى في سنة ١٩٤٥ م .

٣ - حافظ الشيرازى : شاعر الغناء والغزل في إيران وهو عبارة عن دراسة واسعة مفصلة لأحوال هذا الشاعر الإيراني الكبير ، تضمنت وصفاً مسهباً لموطنه وعصره وظروف حياته ومواضيع فلسفته ومحتويات ديوانه .

وقد طبع هذا الكتاب بدار المعارف ومطبعتها سنة ١٩٤٤ م .

٤ - حدائق السحر في دقائق الشعر :

أول كتاب في علوم البلاغة الفارسية ، وضعة باللغة الفارسية أصلاً ، ورشيد الدين محمد العمرى ، الكاتب البلخي المعروف بال « وطواط » ،

المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد نقله الدكتور ابراهيم أمين الشواربي إلى العربية لأول مرة في سنة ١٩٤٥ م وطبعه بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٥ - قصة الحضارة الفارسية .

بحث طريف في أسلوب ممتع ، نشره الأستاذ ، ول دورانت ، بالإنجليزية ضمن كتابه ، قصة الحضارة ، وقد نقله الدكتور ابراهيم أمين الشواربي إلى العربية وطبعه على حدة في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٧ .

٦ - بحث فيما نقله الجاحظ من أخبار الفرس .

منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالجزء الثاني من المجلد الرابع سنة ١٩٣٩ م .

٧ - مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي .

بحث علمي مطول منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد السابع سنة ١٩٤٢ م .

٨ - نشأة الشعر الفارسي الإسلامي .

بحث علمي منشور في العدد الثامن من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد الأول سنة ١٩٤٦ م .

٩ - رحلة في إيران .

مقالات منشورة في مجلة الراوى الجديد بالسنة الثامنة سنة ١٩٤٣ م .

١٠ - العربية في إيران .

مقالة منشورة في حويليات كلية الآداب بجامعة إبراهيم ، بالعدد الأول

الصادر سنة ١٩٥١ م .

مقدمة المؤلف

يعتبر هذا المجلد وصلاً للمجلد سابق قدمته لقراء هذه المجموعة منذ أربع سنوات .
والمجلد الحاضر يشتمل على تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة بين بداية القرن
الحادى عشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلاديين (أى الفترة الواقعة بين نهاية
القرن الرابع الهجرى ومنتصف القرن السابع الهجرى) وهذه الفترة قصيرة حقاً
ولكنها - رغم قصرها - تشتمل على سيرة أغلب النباء من شعراء الفرس وكتابهم .
فلا غرابة إذا توقعت مقدماً أن يتحنى بعض النقاد البارعين بالتقصير في إيراد التفاصيل
وبعدم توفية للموضوع حقه من الدرس والتحصيل . ومع ذلك فلو قدر لى النجاح فى
تنفيذ مشروعى الأول الذى عازمت فيه على دراسة « تاريخ الأدب فى إيران » منذ
بدايته إلى وقتنا الحاضر ، لاحتاجت دراسى للقرون الباقية ومقدارها ستة قرون
ونصف القرن إلى مجلد آخر فى حجم هذا المجلد الحاضر (١) .

وإلى أبادر - وقد تمّ طبع هذا الكتاب - بالاعتراف بأنى واقف على مواضع
القصور فيه . وفى رأى أنها ناجحة جميعاً عن كتابته فى فترات مختلفة من فترات العطلة
والفراغ . وقد اضطررتى ذلك إلى كتابة الفصل الواحد من فصوله ، ثم الانتظار بعد
الفراغ منه مدة شهرين أو أكثر قبل أن أشرع فى كتابة الفصل الذى يليه . وساعد
على ذلك أن جامعة « كمبردج » أصبحت فى الأيام الأخيرة من أقل الأماكن مناسبة
لهذا النوع من البحث الهادى ، الدؤوب . وإذا امتازت بأنها غنية بكتب المراجع التى
لا يستغنى الباحث عنها ، فإنها من ناحية أخرى للأسف ، تضطر الباحث أن يلتمس
أوقات الفراغ والدعة فى غيرها من الأماكن . وحالها فى ذلك شبيه بما يقوله الشاعر
« صائب » فى هذا البيت :

شكوفه بائمر هرگز نگرده جمع دريك جا
محالست آنكه باهم نعمت و دندان شود پيدا

(١) المترجم : احتاج الأمر فى الحقيقة إلى مجلدين آخرين كتبهما الاستاذ « ابوارد براون »
ليكمل بهما مشروعه .

ومعناه :

لا تجتمع الأزهار والأثمار مطلقاً في مكان واحد
كما يستحيل اجتماع النعم الطيبة والأسنان السليمة في فم واحد
وقد ترتب على ذلك فيما أعلم ، أن هذا المجلد أصبحت تعيه البند المتكررة وكذلك
يعيه التفكك وعدم الاتصال بين سائر أجزائه . وإني أرجو القارىء أن يعفو عني
لمثل هذه الهنات وازلات ، وأن يتأكد من أنى عوضت عليه هذا النقص باجتهادى
في الرجوع إلى المصادر الأصلية وتكوين الآراء الشخصية المستقلة التى ساعدنى على
الوصول إليها حسن توفيقى إلى العثور على جملة من المؤلفات النادرة التى لم تكن فى
متناول من سبقونى من الكتاب والباحثين ، وأذكر من بين هذه المؤلفات الكتب
الآتية على وجه التخصيص :

« چهار مقاله » أى المقالات الأربع تأليف « نظامى العروضى السمرقندى »

« لباب الأبواب » تأليف « محمد عوفى »

« المعجم فى معايير أشعار العجم » تأليف « شمس القيس الرازى »

« جهان گشا » أى فاتح العالم تأليف « عطا ملك الجوينى »

« جامع التواريخ » تأليف « رشيد الدين فضل الله^(١) »

وقد استولى هذا العمل على مجمع قلبى ، وكان بودى لو استطاع أيضاً أن يملك
كل عنايتى غير مقسمة ولا موزعة . ذلك لأنى أحس فى قرارة نفسى بإعجاب شديد
للإسلام وحضارته العربية الفارسية ، وأجد لزاماً على أن أعترف بهذا الإعجاب اعترافاً
صريحاً فى هذا الوقت الذى حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوروبيين الذين أساءوا
فهمه وتصويره ظانين أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة والتمدن ، وإن الله
قد وكل إليهم أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم فى السياسة بل وفى أساليب التفكير
والثقافة أيضاً .. !

(١) المترجم : طبعت جميع هذه الكتب ونشرت فى أوقات مختلفة ضمن « سلسلة جب
التذكارية » ما عدا الثانى فقد نشره الاستاذ براون سنة ١٩٠٣ م فى مجموعة كتب النصوص
التاريخية الفارسية ، وكذلك الأخير فقد نشرت بعض أجزائه فى أوقات وأما كنى مختلفة كما
إن دور الكتب المختلفة تشتمل على بعض أجزائه مكتوبة بالعربية أيضاً .

ومن أسف أنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة في النقص والقلة ، وأخذ ما بقى منها مستقلاً ، مثل إيران وتركيا وبلاد العرب ومراكش^(١) يهدده التدخل الأوروبي بكل أنواعه . وليس من شك عندي في أن السلمين أنفسهم مسئولون عن ذلك بعض الشيء ، وإن الشعور بالفتور والإهمال اللذين ركبنا في نفوسهم الآسيوية ، يساعد الأوروبيين بما ركب في طباعهم من جشع في امتلاك الكون ونهم للغزو والفتح ، على أن يجعلوا بالتمضاء على هذه الدول الحرة والولايات المستقلة . ومن أسف أيضاً ، أن العقول الغربية لا تفكر إلا في الواقع المادي ولن يأخذها شيء من الرحمة أو الشفقة في سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية ، بل إن أوداجها لتنتفخ بهذه الفتوحات الجديدة التي أعدها لأولادهم ولرؤوس أمواتهم .

ومع ذلك كله ، فإن عدداً قليلاً ممن خبر الشرق وأهله ، وعرف كيف يحبه ومحبه ، وتحقق من مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التي جعلتنا نشعر بلذة الحياة وقيمتها ، يدركون مع المستر « تشسترتون^(٢) » إنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية المستقلة ، فإن العالم يفقد بفقدها شيئاً لا يمكن تعويضه . ومناقشة هذا الرأي لن تصل بنا إلى نهاية مجددة ، وسيكون حالنا في هذه المناقشة كحال الذي يتهدى في الجدل ليفاضل بين حديقة غرس فيها نوع واحد من أنواع الخضر الفيدة ، وبين أخرى غرست فيها شتى أنواع الزهور ذات الألوان المختلفة والروائح التباينة . وحسبنا في هذا الصدد أن نكتفي بما يعترف به كل محب للشرق ، مدرك لروحه وعقليته ، فنقول إنه آخذ في التقلص والزوال النهائي حتى ولو سيطرت عليه خير أنواع الإدارة الأوروبية وأكثرها عطفاً وحباً عليه .

ومن أجل ذلك فقد أصبحت « القسطنطينية » و « شيراز » و « فاس » تمتاز - رغم ما بها من عيوب - بشيء من العناصر والخصائص الفنية والعقلية والروحية التي زالت وأخذت في الزوال من مدن إسلامية أخرى مثل « القاهرة » و « دلهي » و « الجزائر » و « تونس » .

(١) للترجم : منذ ذلك الوقت قضى على استقلال مراكش ؛ وقد أصدر براون الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٦ م .

(٢) ذكر ذلك في كتابه (Man in Green) by: Chesterton .

ولسنا ندري هل يظل الإسلام يدمى حتى يموت مثخنا بجراحه التي أصابته بدايةً على أيدي « الغول » منذ أكثر من ستة قرون ونصف القرن، أم هل يحدو حدو « اليابان » التي أقامت الدليل على أن العنصر الآسيوي لا يقل في شيء عن العنصر الأوروبي حتى من حيث الحيوية الجسدية، فينهض فجأة من كبوته، ويقوم مرة ثانية من عثرته...؟!

هذه مسألة شائكة، ذات خطر بالغ، لا يتسع المجال لتقريرها أو بحثها في هذه الصفحات.

وإني مدين بشكري الخالص لشقيقى الآنسة « إ. م. بروان E. M. Broune » ولصديقى وزميلى المستر « إ. ه. منس E. H. Minns » فقد تفضلا بقراءة مسودات هذا الكتاب، وأصلحا بعض ما وقع فيه من أخطاء لغوية بسيطة، كما تفضلا على بمقترحات عن آراء لها أهميتها وخطرها. ولا بد أن أذكر أيضاً أنى مدين بشكر آخر للمستر « منس » لقاء تكرمه بترجمة جملة من المقالات التي كتبها نفر من مشاهير المستشرقين الروس، فتمكنت بذلك من الإشارة إليها في صفحات هذا الكتاب، ولولا مساعدته الكريمة لبقى ما كتبوه في صحف مغلقة مقفلة. وأجد لزاماً على أن أذكر في هذا المقام واحداً من الانتقادات الهامة التي تكرم بتوجيهها إلى، فقد حدثنى أننى لم أكن مبيناً ولا مفصلاً عندما تحدثت في الفصل الأول من هذا الكتاب عن « الشعر الفارسى وأوزانه » بحيث لم أوضح لقرائى العاديين من غير المستشرقين طبيعة « البيت » الفارسى والقوانين الأساسية لتقطيعه وفقاً لقواعد العروض.

فأما المسألة الأولى التي تتعلق بطبيعة « البيت » فإننى أكرر ما سبق لى أن قلته في غير هذا المكان من أن المسلمين يعتبرون « البيت » وحدة قاعة بذاتها، ومن أجل ذلك فإننى أرى من الخطأ ترجمته بكلمة Couplet كما جرت بذلك عادة بعض الكتاب في ثنايا كتبهم الأوروبية.

وليس أظهر في الدلالة على أن « البيت » وحدة قاعة بذاتها من الحقيقة الماثلة للبعان في أن البيت إذا اشتمل على ست تفعيلات أو ثمانى تفعيلات فإنه يسمى « مسدساً »

أو « مثنأ » وفقاً لعدد تفعيلاته . ومن أسف أن العادة المتبعة في الشرق جرت على كتابة « البيت » أو طبعه في سطر واحد ، ولكن هذا البيت إذا كتب بحروف رومانية فإنه يتطلب حيزاً أوسع بحيث يقتضى منا بالضرورة أن نطبعه في سطرين كما حدث ذلك في كتابة البيت الذى طبعناه بحروف رومانية في منتصف الصحيفة . رقم (١٥) وكذلك في البيت الذى نشرناه في السطرين الخامس والسادس من الصحيفة التالية . وهذه الطريقة من طرق الطبع ، إذا أضفنا إليها بالنسبة للمثل الأول من هذين المثلين أنه عبارة عن «مطلع» لإحدى الغزليات ، وإنه باعتباراه مطلقاً يستلزم بالضرورة وحدة القافية بين جزئه أو شطريه فإن كل هذا قمين بأن يموه الحقائق على القارئ العادى ويفترض خطأ أن عليه أن يقع بما يفهم من مدلول كلمة Couplet دون أن يتحقق من دلالة هذه الوحدة المستقلة التى نطلق عليها كلمة « بيت » .

وأما المسألة الثانية التى تتعلق بقواعد العروض والوزن فى الشعر الفارسى فإنها بسيطة للغاية بحيث لا نحوجنا إلى كتاب مفصل فيه ، نرجع إليه لبيان كمية الحركات أو حروف اللين . فالحركات الممدودة جميعها تعتبر من المقاطع الطويلة . وليس هناك صعوبة فى معرفة هذه الحركات ، فإن تصوير الكلمة كتابة ونطقاً كفىل بأن يبين لنا حركاتها دون عسر أو إشكال . فأما الحركات القصيرة فإنها تعتبر مقاطع قصيرة إلا إذا أعقبها حرفان ساكنان ، سواء أكانا فى كلمة واحدة ، أم عرض أحدهما فى نهاية كلمة من الكلمات واثنيهما فى بداية الكلمة التالية .

وهذه القواعد سهلة للغاية ، يستطيع كل مشتغل بالدراسات القديمة أن يتبينها ويذكرها . ولكننا نذكر فيما يلى بعض المواضع التى تختص بها الفارسية دون غيرها من اللغات :

فكل كلمة من الكلمات تنتهى بحرفين ساكنين أو بحرف واحد ساكن مسبوق بحرف مدطويل (فيما عدا إذا انتهت الكلمة بحرف النون فإنه لا يحسب حرفاً بل يعتبر صوتاً أنشياً) فإن مثل هذه الكلمة توزن كما لو كانت منتهية بحركة قصيرة زائدة (١) . وهذه الحركة القصيرة الزائدة يسميها المشارقة باسم « نيم فتحه » أى

(١) هذه الحركة القصيرة الزائدة لا تحسب فى نهاية « البيت » أو فى نهاية « الصراع »

« نصف فتحة » ويسمى الفرنسيون خطأ باسم « الإضافة للوزن izafet metrique »
ويظهرها المنود فعلا في نطقهم ، ولكن الفرس يتنعون عنها بتاتا ، رغم أنه يجب
احتسابها دائماً في الوزن ، اللهم إلا إذا تلتها كلمة مبدوءة بحرف من حروف المد .
ويجب تطبيق هذه القاعدة أيضاً على المقاطع .

وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ما ذكرناه آنفاً :

فكلمات مثل :	باد	ساكنة الآخر	بمعنى :	ريح
	يد	»	»	شجرة الصفصاف
	بود	»	»	كان
	كار	»	»	عمل
	شير	»	»	أسد
	مور	»	»	نملة

توزن كاللوكانت مفتوحة الآخر ومكتوبة « باد » و « يد » و « بود » .. الخ
.. أى مكونة من مقطع طويل ثم آخر قصير هكذا : (—)
لا كما يظن أولاً من مقطع طويل واحد هكذا : (—)
ومثل هذا القول ينطبق تماماً على كلمات كالأية :

دست	[الحرفان الأخيران ساكنان]	بمعنى :	يد
بند	»	»	رباط
گرد	»	»	غبار

فإنها توزن كاللوكانت مفتوحة الآخر ومكتوبة « دست » و « بند » و « گرد » .
ومثل هذا أيضاً ينطبق على كلمات مثل :

بادكبر	...	بمعنى :	مروحة
شير مرد	...	»	رجل شجاع كالأسد
دور بين	...	»	منظار
دست كش	...	»	قفاز

فإنها توزن في الكلمتين الأوليين كاللوكانتا مفتوحة الآخر ومكتوبتين

بادٍ كِبِرَ أَى مَكُونَةٍ مِنْ مَقْطَعٍ طَوِيلٍ ثُمَّ قَصِيرٍ ثُمَّ طَوِيلٍ ثُمَّ قَصِيرٍ (— u — u —)
 شِيزَ مُرَدَ « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « »
 وَفِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ كَمَا وَكَّانَتِ الْأُولَى مِنْهُمَا مَفْتُوحَةٌ الْآخِرُ وَالثَّانِيَةُ مَا كَتَبَتْهُ:
 دَوْرَ بَيْنِ أَى مَكُونَةٍ مِنْ مَقْطَعٍ طَوِيلٍ ثُمَّ قَصِيرٍ ثُمَّ طَوِيلٍ (— u —)
 دَسْتِ كَشِ « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « »
 أَمَّا كَلِمَاتٌ مِثْلُ :

جِهَانٌ بِعَنْي : الدُّنْيَا
 نَكِينٌ « : فَصِ الْحَاتِمِ
 دُرُونٌ « : دَاخِلِ

فَإِنَّهَا تَوَازَنُ عَلَى أَنَّهَا مَكُونَةٌ مِنْ مَقْطَعٍ قَصِيرٍ ثُمَّ طَوِيلٍ (— u —) لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ
 تَنْتَهِي بِمَجْرَفِ النَّوْنِ .
 فَإِذَا أَخَذْنَا بَعْدَ ذَلِكَ بَيْتَ الشَّعْرِ الَّذِي نَشَرْنَاهُ فِي صَحِيفَةِ ١٦ وَهُوَ عَلَى وَزْنِ الرَّمْلِ
 الثَّمَنِ الْمَحْذُوفِ .

— u —	— — u —	— — u —
— u —	— — u —	— — u —
فاعلات	فاعلاتن	فاعلاتن

فَإِنْ تَقَطَّعَهُ يَكُونُ بِالصُّورَةِ الْآتِيَةِ (١) :

آفرين و	مدح سود آ	يدهمي
گر بکنج اند	در زيان آ	يدهمي

وَهُنَاكَ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ أُخْرَى مِنْ خِصَائِصِ الْعُرُوضِ الْفَارْسِيَّةِ ، نَذْكُرُ
 مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمَكُونَةَ مِنْ مَقْطَعٍ وَاحِدٍ يَنْتَهِي بِالْوَاوِ مِثْلُ :

تو بِعَنْي : أَنْتَ
 دو « : أَثْنَانِ
 چو « : مِثْلُ ، لِمَا

(١) المترجم : يشير المؤلف إلى رقم الصحيفة في الأصل الانجليزي ، وكتابة هذا البيت على
 أصله هكذا

آفرين ومدح سود آيدهمي گر بکنج اندر زيان آيدهمي

فإنه يمكن وزنهما على أنها مكونة من مقطع طويل أو من مقطع قصير وفقاً لما يقتضيه الحال .

وهكذا الحال مع كسرة الإضافة .

أما المقطع الوحيد الذى يفيد العطف ويكون بمعنى « واو العطف » فإنه يمكن اعتباره حرف مد طويل «أو» او قصير « و » أو حرفاً ساكناً قصيراً محرراً بحركة الفتحة « و » .

فإذا اعتاد القارئ هذه القواعد والخصائص التى ذكرناها فيما سبق ، فلن يصادف فيما عداها إلا قلة قليلة من المسائل التى تستثنى من أحكامها ، ولكن ذلك لن يعوقه عن تقطيع ما يعترضه من الأشعار الفارسية .

وقد كان اليوم الأول من شهر مايو من السنة الحالية محمداً لنشر هذا المجلد ، ولكن ظروفاً قاهرة اضطررتنا مكرهين إلى تأجيل صدوره فى هذا التاريخ . وإنى مع إحساسى بالأسف لهذا التأخير أقدم اعتذارى لصديقى المستر « فيشر أنوين Fisher Unwin » كما أقدم له شكرى لتمام ما أبداه من أريحية فى قبول العذر الذى وضحته له واعتباره كافياً فى التعويل عليه . واتهمز هذه الفرصة لتقديم خالص شكرى لحضرات الطابعين « إخوان أنوين وشركائهم » فى مدينتى « ووكنج » و « لندن » لما أبدوه من عناية فائقة فى طبع هذا المجلد الذى يشتمل على كثير من الصعوبات المطبعية .

أدوارد جرانفيل براون

١٦ مايو سنة ١٩٠٦

الفصل الأول

تمهيد وترديد

موضوع الكتاب :

كُتبت من قبل كتاباً عن تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي ، قصدت به أن يكون وحدة قائمة بذاتها وأن يكون كذلك تمهيداً لهذا الكتاب الذي أقدمه الآن للقارى ، وقد استطعت أن أدرس فيه « تاريخ الفرس » من الناحيتين الثقافية والأدبية منذ أقدم أزمنتهم إلى الفترة المبكرة من العصر الغزنوي حينما أشرقت (حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية = ٣٩١ هـ) عبقرية « الفردوسي » فأكدت أن « النهضة الأدبية الفارسية » التي بدأت قبل ذلك بما يزيد على قرن من الزمان لا بد آخذة في النجاح والازدهار وإيتاء خير الثمار .

وعلى ذلك فالكتاب الحالي لا شأن له بهذه الأصول النائية التي تحدثت عنها في الكتاب السابق ، بل هو يحدثنا عن « الآداب الفارسية » بمعناها الفنى الضيق أى منذ أخذ الفرس يدونون آدابهم بـ « اللغة الفارسية » المعروفة حالياً ، وتقصد بها اللغة التي نشأت مع الفتح العربى واعتناق الفرس للإسلام فى القرن السابع الميلادى واستمرت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه .

وسوف تعرض فى هذا الكتاب لذكر بعض العوامل الخارجية والعقلية التي أثرت فى « التاريخ الفارسى » ، ولكن تعرضنا لهذه المسائل سيكون بالقدر الكافى الذى يعيننا على فهم ما يعترضنا من أمور متعلقة بهذا التاريخ .

ونحن حينما نتحدث عن « الآداب الفارسية الإسلامية » نقصد شيئاً واحداً محددآ ، هو هذه الآداب التي نشأت تدريجياً بعد الإسلام وبعد ما فتح العرب « البلاد الفارسية » وتمكن الإسلام من التغلب على ديانة « زردشت » . وقد بدأ يدونون هذه الآداب منذ ألف سنة تقريباً كما تشهد بذلك الأسانيد المكتوبة الموجودة فى أيدينا .

وقد تغيرت « اللغة الفارسية » في هذه الفترة الطويلة تغيراً يسيراً لا يكاد يذكر، حتى ليستطيع الرجل الفارسي المعاصر أن يفهم أشعار الشعراء الأقدمين من أمثال « حنظلة البادغيسى^(١) » و « الرودكى^(٢) » على قدر ما يفهم الإنجليزي المعاصر مؤلفات « شكسبير » .

ومن الواجب على طلاب « الأدب الفارسي » أن يفهموا هذه الحقيقة جيداً ، وأن يذكروا دائماً أن « الفارسية » قد أصابها قليل جداً من التغير خلال السنوات الألف الماضية ، ربما لا يبلغ في مداه مدى التغير الذي أصاب اللغة الإنجليزية خلال القرون الثلاثة الأخيرة . ولا شك أن أقدم الآثار الأدبية في اللغة الفارسية الإسلامية لا تكاد تميز عن الآداب الفارسية المعاصرة إلا بعض الحصاص اللغوية المتعلقة بالمفردات والأساليب . وإنى لعلى يقين من أنه لا يوجد بين المشتغلين بالفارسية ، سواء منهم من كان وطنياً أو أجنبياً ، من يستطيع أن يعين لنا تاريخاً تقريبياً لكتاب من الكتب التي ألقت في القرون الخمسة الأخيرة إذا لم يكن هذا الكتاب يحمل اسم مؤلفه أو يشتمل على إشارات تاريخية تعين على تحديد الفترة التي تم فيها تأليفه .

موضوع الجزء السابع :

ولست أستطيع في هذا الكتاب أن أردد الحقائق التاريخية التي ذكرتها في تفصيل عن تاريخ « البلاد الفارسية » في عصرها السابق للإسلام وفي الفترة المبكرة من عهدها الإسلامي . فلقد ضمنت ذلك جميعه كتابي السابق الذي تحدثت فيه عن « تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسى » فوصلت به إلى العصر الذي أخذت تضمحل فيه « الخلافة العباسية » في بغداد بعدما بلغت ذورة المجد والعظمة على أيام « هارون الرشيد » وابنه « المأمون » (٧٨٦ - ٨٣٣ م = ١٧٠ - ٢١٨ هـ)

(١) المترجم : شاعر عاش في القرن التاسع الميلادي (٨٢٠ - ٨٧٢ م) وقالوا إنه توفي سنة ٨٧٢ م (٢٢٠ هـ) .

(٢) المترجم : شاعر عاش في أواخر القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي وقالوا إنه توفي سنة ٨٣٩ هـ .

وقد بدت بوادر هذا الانحلال بانفصال الولايات المختلفة عن الحكومة المركزية في بغداد ، حتى إذا أقبلت جموع الغول في سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) وأغاروا على بغداد حطموا هذه الخلافة وقتلوا آخر خليفة من بني العباس .

ويكنى الطالب العادي الذى يدرس « الآداب الفارسية » — إداشاء معرفة شئ عن أصولها القديمة — أن يذكر أن اللغة التى سبقت « الفارسية » هى اللغة « الهلوية » وهذه اللغة الأخيرة هى اللغة الرسمية التى سادت فى « البلاد الفارسية » أيام « الساسانيين » (٢٢٦ — ٦٥١ م) وهى التى استمرت لغة الدين بين الموابذة الزردشتيين طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك .

وقد قدر « الدكتور وست (١) » أن « الآداب الهلوية » الموجودة فى أيدينا تبلغ فى حجمها حجم التوراة وأنها فى الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو قهية ، يضاف إليها بعض النقوش الهلوية المكتوبة على الصخور أو القود أو الجواهرات التى يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادى .

وعلى الطالب أن يذكر أيضاً أن « اللغة الهلوية » ما هى إلا تطور متأخر للغة « الفارسية القديمة » التى لا تعرف من أمرها إلا بقدر ما بقى مسجلاً منها فى هذه النقوش النحوتة فى الصخر فى « پرسپوليس (٢) » و « هستون » ومواقع أخرى أمر بكتابتها داراً الأكبر ومن لحقه من ملوك الدولة الأكمنية .

كما أن عليه أن يذكر أخيراً أن اللغة التى تعرف باسم « لغة الأستا » — أو خطأ باسم الزند — وهى اللغة التى كتبت فيها تعاليم « زردشت » هى لغة شقيقة للغة « الفارسية القديمة » وكذلك للغة « السنسكريتية » وأنها بناء على ذلك لا تتصل بالفارسية الحديثة وإن كانت لا تزال تتشبه فى بعض اللهجات المحلية فى فارس وكذلك فى اللغة الأفغانية المعروفة باسم الـ « پشتو » كما يزعم المستشرق « دار مستر » .

(١) المفرد به : E. W. West وهو من أكبر المستشرقين الذين تخصصوا فى اللغة الهلوية وآدابها .

(٢) الترجمة : مدينة تعرف فى الفارسية باسم « تخت جمشيد » وتقع إلى شمال مدينة شيراز الحالية بالقرب من موقع « اصطخر » القديمة .

ولو أننا شئنا أن نبين الحقائق السابقة في جدول منسق لصورناها على هذا النحو:

أولاً : « اللغة الفارسية القديمة » التي استعملت أيام الدولة الأكمينية (٥٥٠ — ٣٣٠ ق م) وتمثلها النقوش المنحوتة في الصخر .

أما « لغة الأستا » فهي اللغة التي كتب فيها كتاب « زردشت » المعروف بهذا الاسم ، ومن أقدم أجزائه التراتيل المعروفة باسم « كاتها » وينسبون كتابتها إلى « زردشت » نفسه أو إلى بعض تلاميذه (حوالى ٦٠٠ ق م فيما يقررون) .

ثانياً : غزوة الإسكندر وفتحته لفارس في سنة ٣٣٣ ق م .
وتماز هذه الفترة بمخلوها من الآثار الأدبية ، وقد استمرت خمسة قرون ونصف القرن وانتهت بقيام « الدولة الساسانية » .

ثالثاً : الدولة الساسانية ٢٢٦ — ٦٥١ م
أصبحت اللغة البهلوية على أيامها اللغة الرسمية للدولة وللدين الزردشتي . وهذه اللغة هي وليدة « اللغة الفارسية القديمة » وقد ولدت بدورها « اللغة الفارسية الحديثة » .

رابعاً : الفتح العربي ٦٤١ — ٦٥١ م .
وقد نتج عن هذا الفتح أن أسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية وأصبحت لغة الدولة والأدب .

خامساً : عصر النهضة الفارسية .
وهو العصر الذي يبدأ بالفترة التي تتحدث عنها في هذا الكتاب . وهذا العصر يبدأ في حوالى سنة ١٨٥٠ م (١٢٣٦ هـ) ثم يأخذ في الوضوح كلما استطاعت « فارس » التحرر من ريقه الخضوع لخلافة بغداد وتحقيق استقلالها السياسى .

الفتح العربي وتأثيره في فارس :

هذه هي الحدود التي تبديها لنا النظرة العاجلة إلى تاريخ الآداب الفارسية ، ولكن الطالب المشتغل بهذه الآداب ، مهما أفتق نفسه بهذه الخلاصة التي ذكرناها لأحوال الأدب الفارسي قبل الفتح العربي ، لا يستطيع أن يمر سريعا على آثار هذه الحادثة الهامة ذات الأثر الخالد في الأدب الفارسي . ومن أجل ذلك فسأسمح لنفسي بأن أعيد هنا قولاً للمستشرق « نولدكه » ذكرته في الكتاب السابق ، وهو قول كبير المعنى مؤداة « إن الحركة الهلينية لم تمس من الحياة الفارسية إلا السطح والقشور ، بينما استطاع الدين العربي والحياة العربية أن ينفذا إلى قرارة الحياة الإيرانية ولبابها . . . »

اللغة العربية ومركزها الفريد :

واللغة العربية تمتاز بأنها لغة دين عظيم . ونحن نختلف عن المسلمين في كوننا نعتبر الإنجيل إنجيلا سواء أقرأناه في اللغات الأصلية التي كتب بها أم في لغتنا الحالية . أما المسلمون فيعتبرون « القرآن » كلمة الله وأنه تنزيل من رب العالمين . فإذا قرأنا مثلا « قل هو الله أحد » فإن الله وحده هو الذي يخاطبنا بهذا القول ولا يمكن أن ينسرها أحد بأن النبي هو الذي يحدثنا به ؛ ولذلك جرى المسلمون على أن يقولوا : « قال الله تعالى » إذا شاؤا الاستشهاد بآية من آيات القرآن ، بينما يقولون : « قال النبي عليه الصلاة والسلام » إذا استشهدوا بحديث من أحاديث النبي . وبناء على ذلك قالوا إن القرآن لا يمكن ترجمته ترجمة صحيحة إلى لغة أخرى ، لأن المترجم مضطر إلى أن يورد في ترجمته قسراً من التفسير يستعين به على إظهار معانيه وهذا القدر قد يفسد المعنى أو يمس الأصل . ولست أعلم إلا أن المستشرقين وحدهم هم الذين أقدموا على نشر ترجمات للقرآن لا يصحبها الأصل العربي ، أما المسلمون فقد جروا على أن يكتبوا الترجمات « الفارسية » أو « التركية » أو « الأردية » بين سطور الأصل

العربي وإن يقصروا همهم على الترجمة الحرفية للألفاظ والفردات (١) .

بالإضافة إلى ذلك فإن المسلم سواء كان « فارسياً » أم « تركياً » أم « هندياً » أم « أفغانياً » أم من أهل « الملايو » عليه أن يؤدي الصلوات خمس مرات يومياً بالعربية ، وأن يتلفظ بالشهادة أو ما في حكم ذلك من الصيغ الدينية باللغة العربية أيضاً ، ولذلك وجب عليه أن يلم إماماً ولو يسيراً بهذه اللغة ، فإذا تعمق فيها فقد استحق بين أهله وأبناء قومه مكانة رفيعة ومنزلة عالية .

يضاف إلى كل ذلك أننا نجد أن لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه ، ثم من مصطلحات العلوم الوضعية التي نشأت في ظلال الحضارة الإسلامية ، ثم من مجموعة من الألفاظ العادية استطاعت أن تحل محل الكلمات الأصلية في لغات هذه الشعوب .

ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً « بالفارسية » بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ « العربية » لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئاً بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل « يوناني » أو « لاتيني » أو « فرنسي » . ولربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارىء على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية .

وقد وصلني وأنا أكتب هذا الفصل نموذج لمحاولة من هذه المحاولات تضمنتها مقالة تقع في مائة سطر نشرتها جريدة « اختر (٢) » في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٩٠ لجماعة من مجوس مدينة « يزد » وهي مقالة تتعلق بموضوع عادي ، قليلة الأفكار والمعاني التي تحتاج إلى بيان أو توضيح ، ومع ذلك فقد اضطر كاتبوها إلى أن يوضحوا

(١) يحتاج هذا القول إلى شيء من التحقيق لأن زميلي وصديقي « الحاج ميرزا عبد الحسين خان » عند عودته إلى إنجلترا استطاع أن يجلب معه مخطوطاً قديماً هو عبارة عن ترجمة فارسية للقرآن أمر بها « نادرشاه » وهذه الترجمة غير مصحوبة بالأصل العربي .

(٢) مجلة فارسية كانت تصدر في استانبول ثم توقفت صدورها .

في الهوامش بمفردات غريبة ، معاني ما لا يقل عن أربعة عشر لفظاً من الألفاظ التي استعملوها . ولربما اضطر القارىء العادى إلى تفسير مجموعة أخرى من الكلمات الواردة بهذه المقالة حتى يستطيع أن يدعى أنه ألم بموضوعها ومعناها .

فكلمة « آويژه » مثلاً يجب أن تفسر بكلمة « خاص » .

و « دَرَد » » » » » « صوره » .

و « خهر » » » » « وطن » .

و « فرهیخت » » » » « أدب » .

إلى آخر هذه المجموعة من الكلمات التي لا يمكن تفسيرها إلا بكلمات عربية خالصة .

وقد حاول « الأمير جلال » مثل هذه المحاولة ولكنه باء بالفشل عندما كتب كتابه المسمى « خسروان نامه » أى « كتاب الملوك » وهو تاريخ مختصر للدول التي قامت في فارس قبل الإسلام وقد نشر في مدينة فينا في سنة ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠ م وعلق عليه المستشرق موردتمان في الجزء الثامن والعشرين من مجلة « جماعة المستشرقين الألمان (١) » .

والشاهنامه نفسها وقد ألفها « الفردوسى » منذ ألف سنة تقريباً وقصد متعمداً — كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها — أن يصوغها في أقدم العبارات والأساليب ، لا يستطيع أحد أن يدعى أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن ذلك بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتحجيص .

العلوم العربية :

قصرنا الحديث فيما سبق على التأثير اللغوى الذى أصاب « الفرس » على أيدي العرب ، ولكن تأثير العرب في الفرس لم يقتصر على هذه الناحية وحدها بل تعداها إلى نواح مختلفة أخرى ؛ فبدأ على أشده في الأمور الدينية والفقهية ، كما امتد أيضاً إلى

« النحو » و « البلاغة » و « الشعر » وكل العلوم التي اشتغل بها المسلمون . وهذه العلوم هي في الغالب نتاج لأصول مشتركة أخذ يستعيرها العرب من أمم سبقهم في الحضارة كالفرس واليونان ، خاصة في الفترة المبكرة من العصر العباسي أي ما يقابل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (أي الثاني الهجري) .

ولقد أحسنوا تقسيمها في كتبهم كما هو مذكور في كتاب « مفاتيح العلوم » فجعلوها على ضربين ؛ الأول منهما عبارة عن العلوم الأصلية في العربية وتشمل « الفقه » و « التفسير » و « النحو » و « الكتابة » و « الشعر » و « العروض » و « التاريخ » والثاني عبارة عن العلوم الغريبة أو الأجنبية وتشمل « الفلسفة » و « المنطق » و « الطب » و « الحساب » و « الرياضة » و « النجوم » و « الموسيقى » و « الميكانيكا » و « الكيمياء » . وجميع هذه العلوم تضمنتها « الحضارة العربية الفارسية » أثناء الخلافة العباسية في بغداد وأصبحت تعرف خطأ باسم « العلوم العربية » ، ويقصد بها في الحقيقة مجموعة العلوم التي نشأت عن مصادر مختلفة متباينة ولكنها أصبحت « وحدة مركبة » معروفة لدى كافة المسلمين ، بحيث لا تزال تؤثر فيهم تأثيراً عميقاً يكاد يبلغ في مداه تأثير الدين الإسلامي في أنفسهم ، مما ساعد على توحيد العواطف توحيداً شديداً الوضوح بين كافة المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة .

صلاحية العربية للأغراض العلمية :

والعربية في الحقيقة من أصلح اللغات لتأدية الأغراض العلمية فهي غنية بالأصول وبالمشتقات الناجمة عن هذه الأصول . والمشتقات فيها كثيرة ، وهي تتفق مع الأصل في اتصالها به من حيث المعنى وإن تحور معناها قليلا بحسب اشتقاقها أو صياغتها . ولكي نبرهن على ذلك يحسن بنا أن نسوق المثلين الآتيين : فأما أولهما فمستمد من الاصطلاحات الطبيعية القديمة ، وأما الثاني فقياس عليه ليمثل لنا فكرة حديثة . للفعل العربي صيغ تبلغ الاثنتي عشرة صيغة ، كل منها تمتاز بمعنى خاص متصل بمعنى الفعل الأصلي ؛ فإذا أخذنا صيغة « الاستفعال » من « غفر » أمكننا أن نشق كلمة

« استغفار » بمعنى طلب الغفران ، وكلمة « مستغفر » بمعنى طالب الغفران ؛ وكذلك يمكننا أن نشق من كلمة « كل » كلفي « استكمال » و « مستكمل » وهكذا في بقية الأفعال . فلما ظن أطباء العرب أن مرض الاستسقاء ناتج من كثرة الشرب ، أسموه بهذه التسمية التي اشتقوها من كلمة « سقى » وأسموا المريض به « منسقى » . فلما بدت الحاجة في العصور الحديثة إلى مرادف لكلمة « أرينتاليست Orientalist » لجأوا في العربية إلى مادة « شرق » وصاغوا منها قياساً على ذلك كلمة « مستشرق » بمعنى « الرجل الذي يطلب الشرق » أو « يجيد اللغة في دراسته » . وهذان المثالان فهما الكفاية للتدليل على مقدار اليسر الذي يصادفه الكاتب العربي إذا شاء التعبير عن أفكار جديدة أو مستحدثة ، فاعليه إلا أن يلجأ إلى أنواع الصنع والمشتقات ، وإن يختار منها ما يناسب التعبير عن فكرته ، وسيكون في كل الأحيان موقفاً في حسن الأداء ورعاية الدقة حتى ولو لم تكن الكلمة التي اختارها قد استعملها أحد من قبله .

اعتماد العرب بلغتهم :

والعرب أنفسهم ، وكذلك كل الشعوب التي تتحدث بلغتهم ، يعترفون باللغة العربية أشد الاعتراز ، وهم يحقون تماماً إذا رددوا في نثر قولهم المشهور : « الحمد لله الذي خلق اللسان العربي أحسن من كل لسان » وسواء أصدقناهم في هذا القول أم لم نصدقهم ، فما لامرأ فيه أن معرفة العربية ضرورية لكل من يحاول أن يتفقه في لغات البلاد الإسلامية أو آدابها كالفارسية والتركية والأردية أو أية لغة أخرى يتحدث بها المسلمون في أنحاء الأرض ؛ ومن المحقق قطعاً أنه كلما ازدادت معرفتنا بالعربية كلما ازداد مقدار تذوقنا لما نعرض له من آداب اللغات الإسلامية الأخرى .

عود إلى الجزء الأول من كتاب « تاريخ الأدب في إيران » :

في الكتاب السابق الذي جعلته بعنوان « تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي » كتبت مقدمة عن تاريخ الأدب الفارسي تحدثت فيها عن اللغات الثلاث القديمة في البلاد الفارسية وهي : « الفارسية القديمة » و « لغة الأستا »

و«الهلوية» وكذلك عن بعض اللهجات الحالية المتصلة بها. ولقد شرحت المذاهب الدينية التي انتشرت في إيران كالزردشتية والمناوية والمزدكية؛ ثم تحدثت عن تاريخ دولة آل ساسان العظيمة، فلما انتقلت بعد ذلك إلى «العرب» الذين فتحوا البلاد الفارسية في القرن السابع الميلادي وأثروا فيها كل هذا التأثير البالغ الذي شمل الدين واللغة والأدب والحياة والفكر، تحدثت عنهم حديثاً مختصراً تناولهم في أيام جاهليتهم قبل ظهور الدعوة الإسلامية ثم ذكرت شيئاً عن «معلقاتهم» وأشعارهم التي ينسبونها إلى القرن الخامس الميلادي والتي ما زالت المثال الأوحى الذي يحتذيه الشعراء والناظمون حتى اليوم؛ ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الدعوة النبوية ثم عن الإسلام ثم عن فوز المسلمين في حروبهم وغزواتهم ثم عن الخلفاء الراشدين الأربعة ثم عن نشأة الشيعة والخوارج، وتحدثت بعد ذلك عن حكم «الأمويين» وعن الحركات الثورية التي قامت بها الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية وخاصة الفرس وهي الحركات التي تمثلت في منتصف القرن الثامن الميلادي (= الثاني الهجري) في الثورة الكبرى التي قام بها الحراسانيون بقيادة «أبي مسلم الحراساني» وانتهت بموقعة «الزاب» وتحطيم الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية التي استمرت قائمة ما يقرب من خمسة قرون حتى أصابها الطامة الكبرى على أيدي المغول الذين حطموها في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي^(١) (= السابع الهجري).

العصر الذي تحدثت عنه في هذا الكتاب :

أما العصر الذي تحدثت عنه في هذا الكتاب فيبدأ بعد فترة طويلة من انقضاء العصر الذهبي الذي عاش فيه «هارون الرشيد». وقد استطاع الخلفاء العباسيون الأوائل أن يفسحوا رقعة الإمبراطورية التي أنشأها خلفاء النبي الذين سبقوهم، ولم يكن ينقصهم إلا الاستيلاء على «إسبانيا» لتنضم إلى ملكهم الفسيح الذي امتد من «مراكش» إلى «السند» ومن «عدن» إلى «خوارزم» (أوخيوه) وكان

(١) يق أنزمن هذه الخلافة ممثلاً في «الخلفاء العباسيين في مصر» حتى دخل السلطان سليم مصر في سنة ١٥١٧م = ٩٢٣هـ وأعلن نفسه خليفة على المسلمين بعد حصوله من الخليفة العباسي الأخير على ألقاب الخلافة وشماؤها.

يشمل شمال أفريقيا ومصر وسوريا وبلاد العرب والعراق وأرمينيا والبلاد الفارسية وبلاد الأفتان وبلوچستان وجزءاً كبيراً من تركستان وجزءاً صغيراً من بلاد الهند وجزيرتي كريت وقبرص .

ويمكن أن يقال أن أول خطوة اتخذت لإضعاف هذه الإمبراطورية الكبيرة وزلزلة أركانها هي الخطوة التي خطاها المأمون بن هارون الرشيد في سنة ٨٣٠ م = ٢٠٥ هـ عندما كافأ قائده طاهر بن الحسين المعروف بـ «بدي اليميني» بولاية خراسان وجعل حكومتها له ولأولاده من بعده فاستمروا يتوارثونها حتى كانت سنة ٨٧٢ م = ٢٥٩ هـ حينما نجح «الصفاريون» في التغلب عليهم وتأسيس دولتهم «الصفارية» . وتعتبر الدولة «الطاهرية» أولى الدول الفارسية التي قامت بعد الإسلام . ومن الثابت أنهم أنفسهم لم يحاولوا الاستقلال التام عن خلافة بغداد ولم يفصموا كل علاقة بينهم وبين الخلافة ، ولكنهم مع ذلك يمتازون عن سائر الحكام والولاة بأن ولاية خراسان بقيت لهم يتوارثونها فيما بينهم ، بينما كان الوالي العادي حتى ذلك الوقت معرضاً للنقل من ولاية إلى أخرى وفقاً لما تراه الحكومة المركزية في بغداد .

ولقد تدرج الأمر بعد ذلك فتطورت هذه «الولاية التوارثية» إلى «إمارة» مستقلة تمام الاستقلال^(١) ولكن هذا التدرج كان بطيئاً غير متصل الحلقات ؛ فالدولة «الصفارية» مثلاً كانت في أيامها الأولى أقل خضوعاً وأكثر استقلالاً من الدولة «السامانية» التي أعقبتها . وكذلك كان الحال مع أكبر حكام الدولتين «الغزنوية» و «السلجوقية» فإنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مندوبين عن الخليفة وينظرون إليه نظرة السيد المتسلط الذي تستمد منه الألقاب ومراتب التشريف .

ولقد حدثت مع ذلك بعض الأحداث التي أدت إلى ثورات مكشنة على الخلافة وخروج ظاهرها عليها ، فسار «يعقوب بن ليث الصفار» وهجم على بغداد واشتبك مع قوات الخليفة المتعمد^(٢) في سنة ٢٦٢ هـ = ٨٧٥-٨٧٦ م ، كما حاول «ملكشاه

(١) أول من تلقب بـ «سلطان» هو محمود الغزنوي .

(٢) تفصيل ذلك موجود في كتاب «سياسة نامه» تأليف «نظام الملك» أنظر طبعة

السلجوقى « فى سنة ١٠٨٠ م = ٤٧٣ هـ إن يضطر الخليفة « القندى » إلى أن يتقل عاصمته من بغداد إلى دمشق أو الحجاز^(١)؛ بل أظهر من ذلك كله ، هذا العراك الذى نشأ بين « سنجر » و « المسترشد » فى سنة ١١٣٣ م = ٥٢٨ هـ و انتهى أمره بمجس الخليفة وقتله فى محبسه فى سنة ١١٣٥ م = ٥٣٠ هـ على أيدى « الإسماعيلية » بتحريض من « سنجر » نفسه فيما يقولون وكما يخبرنا « البندارى » فى كتابه عن السلاجقة^(٢) .

ومع ذلك فقد بقى أمراء المسلمين من أهل السنة — فيما عدا أمراء أسبانيا — يعترفون بالسلطة الإسمية لخليفة بغداد وقد استمروا على ذلك منذ تأسيس « الخلافة العباسية » حوالى سنة ٧٥٠ م = ١٣٢ هـ إلى تحطيمها فى سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ وقد استتبع ذلك أن ظلت « بغداد » طوال هذه القرون الخمسة تعتبر عاصمة العالم الإسلامى ومركز حضارته وثقافته ، كما ظلت اللغة العربية تعتبر لغة السياسة والفلسفة والعلم والأدب والحديث المهنذب .

العباسيون وخصومهم من أهل السبعة :

كان « الفاطميون » فى مصر هم أكبر خصوم العباسيين من الناحية الدينية والسياسية ، وكانوا يمثلون فريقاً واحداً من الفريقين العظيمين اللذين انقسم إليهما المتشيعون على . فأما الفريق الأول فهم « السبعية » أو « الإسماعيلية » الذين إليهم ينتسب الفاطميون وقد ذكرنا نشأتهم وتاريخهم فى الجزء الأول من هذا الكتاب حينما تحدثنا عنهم وعن المنضمين إليهم من « القرامطة » . وأما الفريق العظيم الآخر من فرق الشيعة فهم « الاثنا عشرية » وكان الفرس دائماً يميلون إلى مذهبهم حتى اتخذوه مذهباً رسمياً لهم عند قيام « الدولة الصفوية » على يد « الشاه إسماعيل » فى

(١) أظن تاريخ السلاجقة للبندارى طبعة « هوبنما » ص: ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧ .

سنة ١٥٠٢ م = ٩٠٨ هـ (١) وقد ظلت الغلبة السياسية في « البلاد الفارسية » حتى الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي في أيدي « الإسماعيلية » الذين كانوا يتحصنون بقلعة « الموت » والذين كانوا يعرفون أيضاً باسم « الحشاشين » .

الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) :

أظهر حادث أصاب العصر الإسلامي في آسيا هو « الفتح المغولي » فقد أصاب الحضارة الإسلامية بلطمة قاصمة لم تستطع أن تفيق من شدتها حتى الآن . فهم بتحطيمهم للخلافة العباسية في بغداد قد قضوا نهائياً على وحدة العالم الإسلامي . وقد بدأ الفتح المغولي بغارة « چنگيزخان » في بداية القرن الثالث عشر الميلادي وامتد بالغارة على بغداد وقتل الخليفة العباسي « المستعصم » على يد « هولاكوخان » في سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ . وكان الحراب الذي أصاب « إيران » شديداً فقد كانت جموع الغول كالذئاب المتعطشة إلى الدماء ، فأخذوا يقتلون كل من يصادفهم ويحرقون ويدمرون كل ما يعترض سبيلهم دون أن تأخذهم في قسوتهم رحمة أو شفقة ، حتى أثر عنهم هذا القول المشهور بأنهم « جاءوا وخرّبوا وحرّقوا وقتلوا وسلبوا وذهبوا (٢) » وقد نطق بهذا القول واحد من القليلين الذين نجوا بحياتهم عندما أغاروا على « بخارى » وقتلوا من أهائها ثلاثين ألفاً . ولم تكن « بخارى » وحدها هي المدينة التي أصابها هذا البلاء المستطير بل ما أكثر المدن التي أصابها ما هو شر من ذلك وأنكى . وغارة « تيمور » رغم ما امتازت به من شدة وقسوة لم تبلغ في حدتها المبلغ الذي وصلت إليه غارة هؤلاء الغول ، ولعل السبب في ذلك أن « تيمور » كان مسلماً يحس في قرارة قلبه بشيء من التقديس للمساجد وأماكن العبادة وبشيء من التقدير للمكتبات ورجال العلم ، بينما كان « چنگيزخان » و « هولاكوخان » لا يدينان بدين من الأديان ويتعطشان إلى سفك الدماء وإهدارها بحيث إذا تعرض سبيلهما معترض أو قتل واحد من قوادها في المعركة

(١) انتشر هذا المذهب من قبل في طبرستان وكذلك اعتنقه حكام البويهيين .

(٢) أصل العبارة بالفارسية كما هي مذكورة في كتاب « تاريخ جهان كشا » هي :

« آمدند وکندند وسوختند وکشتند وبردند ورفتنند »

فالطامة الكبرى ، والبلاء شامل ، والفتك الذريع نصيب للصغير والكبير والقوى والحقير والعالم والجاهل . ولقد كان من دأبهما أن يُعلقا الحيول في المساجد وأن يحرقا المكتبات ، وأن يجعلا الكتب الثمينة طعاماً للنيران والمواد ، وأن يخربا المدن العامرة حتى تستوى أعاليها بأسافلها ، وأن يقتلا كل كائن فيها حتى تصبح خراباً ياباً لا تصلح لزراع أو ضرع .

ومن رأيي أن هناك فجوة تفصل بين ماسبق هذه الكارثة وماتلاها ، فقد أنزلت بالحضارة الإسلامية والعلوم والآداب كثيراً من الانحطاط الذي لم يكن إصلاحه حتى الآن . ومن أجل ذلك فلا غرابة إذا احتجنا في دراسة فترة القرنين والنصف القرن التي سبقت هذه الكارثة إلى مثل الجهد والنطاق اللذين نحتاج إليهما في دراسة القرون السبعة التي أعقبها (١) .

النهضة الفارسية :

بحثنا في الجزء الأول كيف نشأت «النهضة الفارسية» وكيف تطورت حتى انتهت إلى ظهور «الفردوسي» وأقرانه من الشعراء المعاصرين ، ولا بأس من أن نعيد هنا في إجمال ماسبق لنا شرحه في تطويل وتفصيل .

المعروف وقتاً لما ذكره «عوفي» وهو أقدم من ترجم لشعراء الفرس في القرن الثالث عشر الميلادي (أوائل القرن السابع الهجري) أن أول من أنشأ قصيدة فارسية هو شخص يسمى «العباس» ، أنشأها ليستقبل بها المأمون عند قدومه إلى « مرو » في سنة ١٩٣ هـ = ٨٠٨ - ٨٠٩ م وقد أخذ الدكتور « ايتيه » هذه البذرة المستقاة من « لباب الألباب » وفيها أربعة أبيات من هذه القصيدة فترجمها ونشرها في مقال تمتع عنوانه : « السابقون واللاحقون للرودي (٢) » .

ولكني اختلفت معه في الرأي فيما يتعلق بهذه القصيدة وأتابع رأي «كازمرسكي (٣)»

(١) المترجم : في الأصل القرون الستة ونصف القرن وقد أضفت إليها نصف قرن مضى منذ كتابة هذا الكتاب .

(٢) عنوانه بالألمانية : Rüdagi's Vorläufer und Zeitgenossen; pp36-38

A. de Biberstein Kuzimirski

(٣) القصد به :

الذي يرى أن هذه القصيدة زائفة منتحلة^(١).

ولعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي هذه الأبيات التي حدثنا بها « نظامى عروضى سمرقندى » في كتابه « چهار مقاله » (أو المقالات الأربع)^(٢) فقال إنها أوحى إلى « أحمد الحجستاني » أن يثور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢ هـ = ٨٧٥ - ٨٧٦ م عندما قرأ البيتين الآتين :

مپتري گر بكام بشير در است
شو خطر کن ز کام شیر بجوى
يا بزرگى وعز ونعمت وجاه
يا چو مردانت مرگك رويا روى

ومعناها :

— إذا كانت العظمة في أشداق أسد كاسر
فالتسها من أشداقه وتقدم إليه وخاطر
— فإما وصلت إلى العظمة والعز والنعمة والجاه
وأما لاقيت حتفك في رجولة وعدمت الحياه

وقد ذكر « نظامى العروضى السمرقندى » هذين البيتين عندما أراد أن يبرهن لنا على أن الشعر عبارة عن « صناعة يتمكن الشاعر بواسطتها من أن يسوق المقدمات الخيالية والوهمية وأن يجعلها تتفق وتلتئم مع القياسات المنتجة العملية، بحيث يجعل من المعنى الصغير معنى كبيراً، ومن الكبير معنى صغيراً، وبحيث يلبس الجميل صورة القبيح أو القبيح صورة الجميل، فإذا أثار قوى النخوة أو الشهوة في سامعيه استطاع أن يوحى إليهم بالسرور أو الانتباض وأن يحدث كثيراً من عظام الأمور في هذا العالم » .

(١) أنظر ديوان منوچهرى ص ٨ - ٩ وأظن أن المستشرق الإيطالى فيزى Fizzi يرى نفس هذا الرأى؛ وأنظر أيضاً مقالا ممتناً بقلم الأستاذ « مارجليوت » نشره في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية في أكتوبر سنة ١٩٠٣ من ٧٤٧ بعنوان « مستند فارسى يهودى من ختن » .

(٢) طبع هذا الكتاب في سلسلة أوقاف جب التذكارية وقد نشر الأستاذ براون ترجمة إنجليزية له في عدد أكتوبر سنة ١٨٩٩ من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية .

نبات اللغة الفارسية :

بدأ الشعراء ينظمون الشعر بالفارسية منذ أكثر من ألف سنة من الزمان^(١). وقد شملهم بالرعاية حكام الدويلات المستقلة أو الشبيهة بالمستقلة التي نشأت مع اضمحلال الخلافة وانحلالها ، ولم تتغير اللغة الفارسية خلال هذه المدة الطويلة إلا قليلا ، وربما يلاحظ هذا التغيير إلا في أمثلة قليلة لبعض الكلمات المهجورة أو الإيماء القديم . وقد ترتب على ذلك أننا نستطيع أن نفهم أقدم الأشعار الفارسية الباقية في أيدينا دون أن نحس بشيء من العسر أو الغرابة أو البعد عن الأساليب الفارسية المستعملة في الوقت الحاضر . ومع ذلك فهناك في رأيي شيء من الاختلاف يمكن إحساسه فيما يتعلق بالذوق الأدبي وبالشعور الذي توحى به هذه الأشعار القديمة . فالأشعار التي نشأت في عهد الدولتين « الصفارية » و « السامانية » هي في الحقيقة أشعار بسيطة خالية من الصناعة البديعة وهي أقرب إلى الطبع وأدنى إلى سلامة الأداء وتصوير الموضوع .

تطور الذوق الأدبي وقواعد النقد :

ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أدل على تطور الذوق الأدبي في مدى ثلاثة قرون ونصف القرن من أن تقارن نقدين لقصيدة واحدة شهيرة أنشأها الشاعر المعروف « رودكي » الذي تتفق الآراء على اعتباره أكبر شعراء الفرس في الفترة السابقة لقيام الدولة « الغزنوية » . فأما أحد هذين النقاد فهو الذي تضمنه كتاب « چهار مقاله » لمؤلفه « نظامي العروضي السمرقندي » (حوالي سنة ١١٥٥ م = ٥٥٠ هـ) وأما ثانيهما فهو المذكور في كتاب « تذكرة الشعراء » لمؤلفه دولتشاه (حوالي سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٢ هـ) .

والقصيدة التي كانت موضوعا للنقد في هاتين المرتين هي التي مطلعها :

(١) أثيرت في الجزء الأول مسألة الشعر وهل كان له وجود في عهد الدولة الساسانية .. ، وقلت إننا بفرض القول بوجوده فقد ضاع جملة ولم يبق شيء من أمثلة في أيدينا ، وكل ما بقي من الأشعار الفارسية هي هذه الأشعار التي قبلت في العصر الإسلامي .

بوی جوی مولیان آید همی بوی یار مهربان آید همی (۱)
ومعناها بالعربية :

روائح « مولیان » (۲) تهب دوما
ولسی رمله العاق خیر
یفیض النهرکی یلقلک بشراً
فعیشی یا « بخاری » فی نعیم
فأنت سماؤه یأتیک « نصر » (۳)
وأنت ریاضه یأتیک « نصر »
وقد تحدث الناقد الأول عن الأثر الشدید الذی أحدثته هذه الآیات فی نفس الأمير
« نصر بن أحمد السامانی » فقال إنها أثرت فیهِ تأثیراً شدیداً بحيث أجزل لقاتلها العطاء
واختصه بکثیر من النعم ، وبدا ذلك شیئاً طبعیاً فی نظر الناقد « لأن الرودکی رجل
قد برز علی من عدهاء فی قول الشعر ولا یستطیع أحد أن یدانیه فی الجزالة والعدوبة
ویکنی دلیلاً علی ذلك البیت الآتی :

آفرین ومدح سود آید همی گر بگنج اندر زیان آید همی
ومعناه :

مدیح الناس مکسبة وغفر وأما المال آخره الضیاع (۴)

(۱) المترجم فیما یلی بقية هذه الآیات وفقاً ورد فی « چهار مقاله » ص ۳۸ طبع
براین سنة ۱۹۲۷ :

ریک آموی ودرشتی راه او زیر پایم پریشان آید همی
آب جیحون از نشاط روی دوست خنک مارا نامیان آید همی
أی بخارا شاد باش و دیر زی میر زی تو شادمان آید همی
میر ماهت و بخارا آسمات ماه سوی آسمان آید همی
میر سرو است و بخارا بوستان سرو سوی بوستان آید همی

(۲) « مولیان » نهر بالقرب من بخاری أو هو نهر جیحون .

(۳) المترجم : هو الأمير نصر بن أحمد السامانی .

(۴) المترجم : هذه الآیات من نظمی .

وقد استشهد الناقد بهذا البيت فقال « إنه يتضمن في أصله الفارسي سبع صناعات
بـايعة » هي الآتية :

- ١ - المطابقة ٢ - التضاد ٣ - الترديف ٤ - بيان المساواة
٥ - العذوبة ٦ - الفصاحة ٧ - الجزالة

واختتم الناقد نقده بهذه العبارة : « ويستطيع كل أستاذ له تبحر في علوم الشعر
أن يفكر قليلاً ليرى أنني مصيب فيما قلت » (١) وأنا شخصياً إذا أتيح لي أن أبدى
رأياً في هذا الأمر أجد نفسي ميالاً إلى تصديقه ومواقفته . فالمطابقة ظاهرة وواضحة
لأن الشاعر يريد من الأمير شيئاً من العطاء وأشارته إلى ذلك هينة ولكنها واضحة ؛
وأما التضاد فقد عبر عنه الشاعر وأجاد عند ما ذكر « ضياع المال » و « كسب
الفخر » ؛ وأما الرديف فظاهر في جزئي البيت وإن كان الأمر لا يقتضيه عادة إلا في
الشرطة الأخيرة منه ؛ وأما « المساواة » فظاهرة أيضاً مما يناله الأمير لقاء سخائه ؛
وأما « العذوبة » و « الفصاحة » و « الجزالة » فكلها ظاهرة وواضحة من قراءة
البيت الفارسي .

دولت‌شاه وفساد زورق‌الاربي :

فإذا جئنا إلى « دولت‌شاه » وقرأنا نقده الذي كتبه عن هذه الأبيات بعينها حوالى
سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٢ هـ وجدناه يقول ما يأتي (٢) :

« هذه القصيدة طويلة جداً بحيث لا يمكن إيرادها برمتها في هذا الكتاب . وهم
يقولون إنها أطربت الأمير ووقعت موقماً حسناً في نفسه بحيث أن الأمير امتطى
جواده قاصداً الذهاب إلى « بخاري » دون أن يتنبه إلى وضع حدائه في قدميه . وإن
العقلاء لاشك ليدهشون إلى هذه الحالة التي اتتبت الأمير ، لأن هذه الأبيات بسيطة

(١) أنظر ص ٣٩ من « چهارمقاله » .

(٢) أنظر ص ٣٢ من « تذكرة الشعراء » طبع ليدن سنة ١٩٠٠ م .

للغاية ليس فيها شيء من التاتاة أو الصناعة ؛ ولو أن أخذاً من الشعراء في هذه الأيام أقدم على عرض أشعار شبيهة بهذه الأبيات في مجلس الأمراء والسلاطين لاستوجب إنكار الجميع له ولأقواله . ولكن من الجائز أن تقول أن الأستاذ «الرودى» كان خبيراً بالأوتار والموسيقى فاستطاع أن ينشئ لنا عرض فيه هذه الأبيات على وقع الأغاني والأنتام خلقت محل القبول والإعجاب . ومع ذلك فلا يجوز لنا أن نستخف بشأن الرودى بسبب هذه الأبيات ، فمالمالجدال فيه أنه كان خبيراً بأسرار العلوم والفنون والفضائل كما كان يجيد القول في سائر صروب الشعر وخاصة «القصائد» و«الثنويات» مما جعله عظيم الشأن مقبول القول لدى الخاص والعام .

الرؤسلوب الفارنى والصناعة البربعية :

يتصور كثير من الناس أن « الآداب الفارسية » تمتاز بأنها مصطنعة متكلفة تمتلىء بالصناعات البديعية وتزخر بالمجازات والاستعارات ؛ ولكن هذا الرأى ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب نشأت في ظروف خاصة وبيئات خاصة كالتى نشأت في كنف الفاتحين الأجانب من « المغول » أو « الأتراك » . فتاريخ المغول الذى ألفه (١) « الوصاف » حوالى سنة ١٣٢٨ م = ٧٢٩ هـ هو من أكبر الأمثلة على هذا الأسلوب المصطنع الملىء بالمحسنات البديعية . وكذلك نجد أن « روضة الصفا » (٢) و « أنوار سهلى » (٣) وكذلك طائفة من التأليفات المعاصرة التى نشأت في رعاية الأمراء التيموريين في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر (= القرن العاشر الهجرى) كلها تقوم دليلاً على صدق هذا الرأى الذى ذهبنا

(١) هذا التاريخ عنوانه « تجزية الأمصار وتجزية الأعصار » ويعرف اختصاراً باسم « تاريخ الوصاف » ومؤلفه هو أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازى .
 (٢) من تأليف محمد بن خاوند شاه المعروف بـ « مير خاوند » المتوفى سنة ٩٠٣ هـ = ١٤٩٧ م .
 (٣) عبارة عن كتاب « كليله ودمته » بلغة فارسية كثيرة المحسنات البديعية ، وهو من إنشاء « حسين واعظ كاشنى » المتوفى سنة ٩١٠ هـ = ١٥٠٤ م .

إليه^(١). ومع ذلك فلم يصل هذا الأسلوب المصطنع البكرية إلى نهاية مدهاء إلا في عصر الأتراك العثمانيين كما تشهد بذلك كتابات « ويسي » و « نرگسی ». ولعله من الخير أن نذكر أن ناقداً تركياً حديثاً تناول بالنقد ما كتبه هذان الشاعران فقال : « إن الفارسي إذا قرأ أشعارها يستطيع أن يتبين أنهما لم يكونا يحاولان الكتابة بالفارسية ، وكذلك إذا فعل التركي فإنه يعجز أن يتخيل أنهما كانا يكتبان بالتركية أيضا .. ١١ »

خصائص الأشعار الفارسية المبكرة من حيث المصنوع والأسلوب :

في الجزء السابق من « تاريخ الأدب في إيران » الذي نشرته في سنة ١٩٠٢ أوردت أمثلة شعرية من أقوال سبعة عشر شاعراً عاشوا في العصر السابق للدولة الغزنوية . وهذا القدر كاف — في نظري — لتكوين فكرة عن خصائص هذه الأشعار المبكرة . ولكن من الأسف أننا إذا استثنينا الألف بيت من الشعر التي أنشأها « الدقيقي » وأبقاها « الفردوسي » في شاهنامته فإننا لا نجد مثلاً آخر للشعريات أو القصائد المطولة التي يمكن نسبتها إلى العصر الساماني أي العصر السابق لهذا العصر . وليس من شك في أنهم أنشأوا في ذلك الوقت بعض القصائد القصصية المطولة كالترجمة المنظومة التي قام بها « الرودكي » لكتاب « كليلة ودمنه » وهي الترجمة التي بقي منها ستة عشر بيتاً من الشعر محفوظة في كتاب « أسدي » المعروف بـ « لغت فرس » وهو المعجم الفارسي الذي جمعه « أسدي » حوالي سنة ١٠٦٠ م = ٤٥٢ هـ ونشره « بول هورن » في طبعة أنيقة جميلة .

أما ما بقي في أيدينا من أمثلة هذه الأشعار المبكرة فلا يعدو بعض « المقطعات » و « الرباعيات » و « الغزليات » بالإضافة إلى « الثنويات » و « القصائد » التي لاشك في أنها قيلت في ذلك الوقت والتي بلغت ذروة رفعتها في أيام الفردوسي حوالي سنة ١٠٠٠ م = ٣٩١ هـ وهي السنة التي نبدأ بها العصر الذي نحن فيه . و « القصيدة » و « القطعة » هما ضربان من ضروب النظم استعارها

(١) انتقلت هذه الآداب إلى الهند عند تأسيس « بار » للدولة المغولية في الهند .

الفرس من العرب ، وقد وضعوها على نسق العلقات الجاهلية من حيث الصياغة والأسلوب وإن كان قد أصابها شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضاً بـ « بالغزل » .

أما « الرباعي » و « التنوي^(١) » فهما ضربان من النظم ابتكرها الفرس ابتكاراً . وفي رواية معروفة عن أول ما قيل من الشعر الفارسي أن « الرباعي » أو الـ « دوييت » هو أول ضروب النظم التي نشأت في إيران^(٢) .
وأما « الشعر الصوفي » الذي نصادفه بكثرة من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) فأمثلته قليلة نادرة في فأتحة هذا العصر الذي ندرسه .

فنون الشعر والبربع لدى الفرس :

لعله من الخير - لكي تنفادي كثرة التفريعات والتفسيرات في الفصول التالية - أن نستعرض أنواع الأساليب الأدبية التي يتبعها الفرس ، وأن ننظر إلى فنونهم البلاغية التي يستعملونها في أقوالهم ، وإلى أوزانهم الشعرية التي يصوغون فيها أشعارهم . وقد أغنانني عن الإفاضة في مثل هذه الموضوعات ما كتبه صديقي الرحوم « إ. ژ. و. جب » في أبحاث قيمة ألحقها بمقدمة كتابه الخالد « تاريخ الأشعار العثمانية^(٣) » فقد تحدث في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الفكر الشرقي وعالج فنون الشعر والبلاغة والأدب التي يطبقها « الأتراك » و « الفرس » وكذلك « العرب » وسائر الشعوب التي تتحدث بلغة من اللغات الإسلامية الأخرى . وهذه

(١) المترجم : التنوي عبارة عن النظم المؤلف من أزواج من الأشرطة كل اثنين منها متفقان في الروى مستقلان عما عداهما .

(٢) أنظر ص ٣٠ - ٣١ من « تذكرة الشعراء » وكذلك ص ٨٨ - ٨٩ من « المعجم في مفاير أشعار المعجم » .

(٣) إسمه بالإنجليزية Gibb : History of the Ottoman Poetry .

المقدمات التي ساقها « جب » تعتبر من أهم الموضوعات التي يجب أن يبدأ بدراستها كل من يريد أن يشتغل بالآداب الإسلامية . فقد تحدث في الفصل الثاني من الكتاب الأول عن الفقه والفلسفة والتصوف . كما تحدث في الفصل الثالث عن ضروب الشعر والعروض والبلاغة .

كذلك يحسن الرجوع في هذه الموضوعات إلى مصادر أخرى أهمها :

١ — كتاب « أبحاث في البلاغة والعروض والقافية لدى الفرس » تأليف « جلادوين^(١) » .

٢ — كتاب « النحو والشعر والبلاغة عند الفرس » تأليف « روكوت^(٢) »

٣ — كتاب « العروض الفارسي » تأليف « بلوخمان^(٣) » .

٤ — كما يحسن الرجوع إلى الكتاب الآتي فيما يتعلق بالمقارنات بين شعراء الفرس :

وهو ترجمة « أويار^(٤) » لكتاب « أنيس العشاق » من تأليف « شرف الدين راحي^(٥) » .

أما الكتب الفارسية التي تناولت هذه الموضوعات فكثيرة ومن أهمها :

١ — كتاب « ترجمان البلاغة » من وضع « فرخي » وهو من الشعراء

العاصرين للفردوسي . وقد ذكر دولتشاه اسم كتابه في ص ٩ و ٥٧

من تذكرة الشعراء كما ذكره أيضاً حاجي خليفة (طبعة فلوجل . ج ٢

ص ٢٢٧) .

(١) Dissertations on the Rhetoric, Prosody and Rhyme of the Persians : by Gladwin, Calcutta 1801 .

(٢) اسمها بالألمانية Grammatik, Poetik und Rhetorik der Perser

من تأليف Rückert وقد نشره في مجلدين سنة ١٨٢٧ — ١٨٢٨ ضمن الـ Wiener

Jahrbucher وأعاد طبعه Pertsch في سنة ١٨٧٤ م .

(٣) اسمه الأصلي بالإنجليزية : Prosody of the Persians : by Blochmann

(٤) C. Huart

(٥) المترجم : هو من رجال القرن الثامن الهجري وذكروا له تأليفاً آخر اسمه

« حقائق المذائق » .

٣٠٢ — كتاب « غاية العروضين » وكتاب « كنز القافية » وكلاهما من وضع « بهرامى السرخسى » وكان معاصراً للفردوسى أيضاً . وقد امتدح كتابه كثيراً صاحب كتاب « چهار مقاله » .

وجميع هذه الكتب الثلاثة مفقودة وليس في أيدينا نسخة منها^(١). وأما الكتب الفارسية الباقية في أيدينا حتى الآن فأحدهما وأقدمها كتابان هما :

٤ — « حدائق السحر في دقائق الشعر » من تأليف « رشيد الدين الوطواط »^(٢) .
التوفي سنة ١١٨٢ م = ٥٧٨ هـ .

٥ — « المعجم في معايير أشعار المعجم » من تأليف « شمس قيس الرازى » .
وضعه أثناء القرن الثالث عشر الميلادى (بعد سنة ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م)
— (١٢١٨ م) .

علم البرع :

وفما يلي سأحدث عن « علم البديع » مرارياً أن أختار أكثر شواهدى من كتاب « حدائق السحر » دون أن أتقيد بالنظام الذى سار عليه « الوطواط » إذ بدالى في بعض المواضع أنه لم يحسن التنظيم والترتيب . وسأجهد في أن أسوق بعض الأمثلة الإنجليزية التى تساعد القارىء الإنجليزى على تفهم الفنون البلاغية المختلفة وتقريبها من ذهنه^(٣) .

(١) المترجم : ندر من هذه الكتب أخيراً في تركيا كتاب « ترجمان البلاغة » .
(٢) المترجم : يقول البعض أن وفاته كانت في سنة ٥٧٣ هـ وقد قلت هذا الكتاب إلى العربية ونشرته في سنة ١٩٤٥ بعنوانه الأصيل الذى عرف به في الفارسية .
(٣) المترجم : سأعرض عن ذكر هذه الأمثلة لأن القارىء العربى ليس في حاجة إليها .

١ - النثر

النثر على ثلاثة أنواع :

- (أ) النثر العارى : وهو مالا وزن له ولا قافية .
 (ب) النثر المرجز : وهو ماله وزن وليس له قافية .
 (ج) النثر المسجع : وهو ماله قافية وليس له وزن .

ولسنا في حاجة إلى أن نتحدث عن النوع الأول فشأنه ميسور بسيط ؛ أما النوع الثاني فيحتاج إلى شيء من الدراسة لأن الاعتراف به كنوع مستقل من أنواع النثر يعتمد على ما نسميه بالمذهب الفقهي ؛ أما النثر المسجع فقد نزلت كثير من آيات القرآن على نمطه ، ولكننا نثر في بعض الأحيان على آية من الآيات تقع موزونة على وزن من الأوزان الشعرية المعروفة كما ورد في سورة البقرة في الآيتين ٧٨ و٧٩ حيث قال تعالى :

« ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون » .

فهاتان العبارتان موزوتان على بيت من « الرمل » مكون من « فاعلاتن » ست مرات مع جعل التفعيلة الأخيرة من كل مصراع على « فاعلات » . ولما كان خصوم النبي قد اعتادوا أن يتهموه بأنه « شاعر مجنون » وهو ينفي التهمة بكل ما يملك من قوة ، اضطر اتباعه إلى أن يصوغوا تعريفاً للشعر لا ينطبق على أية آية من آيات القرآن أو على أية عبارة من عباراته فلما وجدوا أن بعض آياته - كما رأينا - موزونة ومقفأة أضافوا إلى شرط « الوزن » و « القافية » شرطاً ثالثاً هو « القصد » أى أن يقصد القائل أن يقول شعراً . وعلى ذلك قالوا إن « النثر المرجز » هو عبارة عن شعر صدر عفواً في وسط كلام منشور ولم يقصد قائله أى يجعله شعراً :

ومن أمثلة هذا النثر المرجز قوله صلى الله عليه وسلم في حديث نبوى :

الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

فهذه العبارة موزونة على الرمل اللثمن .

والنوع الثالث من النثر وهو « المسجع » يعرض كثيراً في كتابات اللغات الإسلامية المختلفة وهو على ثلاثة ضروب :

- (أ) المتوازي : وذلك إذا وجدت في جملتين أو أكثر كلمات متفقة في الوزن وعدد الحروف والروى ؛ ومثاله من القول النبوي :
« اللهم اعط منفقاً خلفاً ، واعط ممسكاً تلفاً » .
- (ب) المطرف : وذلك إذا وجدت في آخر جملتين أو أكثر كلمات متفقة الروى ولكنها مختلفة من حيث الوزن والعدد .
ومثاله قوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » .
- (ج) التوازن : وهذا النوع يرد في النثر والشعر معا ، ويكون بأن ترد في أول الجملتين أو آخرهما ، أو في أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن ولكنها تختلف في حروف الروى .
ومثاله من القرآن الكريم : « وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهم الصراط المستقيم » .

وأجل تقليد في اللغات الأوربية للنثر المسجوع موجود في اللغة الألمانية ومن أحسن أمثاله ماورد في الترجمة الألمانية لبعض مقامات بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة ١٠٠٧ - ١٠٠٨ م = ٣٩٨ هـ) وهي الترجمة التي نشرها « فون كرامر » في الجزء الثاني من كتاب « تاريخ الثقافة (١) » .

٢ - النظم

- ذكر « روكرت » أن ضروب النظم في الفارسية عبارة عن أحد عشر ضرباً كما أوردها صاحب كتاب « هفت قلزم » (أو البحار السبعة) وهي على الترتيب الآتي :
- | | | |
|-------------|-----------------|-----------------|
| (أ) الغزل | (هـ) الرباعي | (ط) التركيب بند |
| (ب) القصيدة | (و) الفرد | (ي) الستراد |
| (ج) التشبيب | (ز) الثنوى | (ك) السمط |
| (د) القطعة | (ح) الترجيع بند | |

(١) أنظر ص ٤٧١ - ٤٧٥ من كتاب
الترجم : أعرضت عن ذكر النثر الألماني الذي أورده « براون » من ترجمة القلمات كما
أعرضت أيضاً عن ذكر النثر الإنجليزي الذي نقله براون من كتاب :

Arte of English Poesie, by George Puttenham. 1589

ويمكن أن نضيف إلى هذه الضروب « المربع » و « الخمس » و « السدس » و « السبع » و « الثمن » و « التسع » و « العشر » .

كما يمكن أن نضيف إليها أيضاً « الموشح » وإن كان نادر الاستعمال لدى الفرس ولم يستعمل بكثرة إلا في الأندلس وبلاد المغرب .

أما الشعر « الملع » وهو الشعر الذى يتكون من أبيات أو مصاريع منظومة فى لغتين أو أكثر فلا يتقيد بصياغة خاصة ؛ ومن أجل ذلك فمن الخير أن نرجى الحديث عنه إلى أن نعرض للكلام على « موضوعات القصيد » .

. والتقسيم الذى ذكره كتاب « هفت قلزم » يشوبه الخفاء وعدم الإقناع .
فالتشبيب مثلاً ما هو إلا هذا الجزء الذى يصف فيه الشاعر فى مطلع قصيدته « أيام الشباب وما يراه من جمال وما يحس به من حب وهيام » ويجعله مقدمة لما يريد أن يسوقه من أغراض . وكذلك « الفرد » و « القطعة » و « البيت » لا يصح أن تعتبر من ضروب النظم المختلفة لأن « الفرد » أو « البيت » ما هو إلا الوحدة التى تقوم عليها سائر ضروب النظم بينما « القطعة » ما هى إلا جزء من قصيدة طويلة أو جملة أبيات نظمت على حدة ولم يقسم لها أن تطول لتبلغ مبلغ القصائد كما نشاهد فى آثار بعض الشعراء وعلى الخصوص أشعار « ابن يمين » المتوفى سنة ١٣٤٤ م = ٧٤٥ هـ ، فإنها برمتها من هذا النوع الذى يعرف بالقطعات .

وكذلك النوعان المعروفان باسم « بند » يمكن اعتبارهما ضرباً واحداً سواء رجع بيت بهينه بين أقسامها أم ذكرت أبيات مختلفة بعد كل قسم من الأقسام ، بحيث تكون متفقة القافية فيما بينها وإن كانت لا تتفق مع سائر أقسام البند . وكذلك الحال مع « المربع » و « الخمس » و « السدس » . الخ فإنها تعتبر نوعاً واحداً .

أما « الموشح » و « السمط » و « المرصع » فلا تعدو أن تكون « قصائد مصطنعة أو غزليات » من نوع خاص .

وقبل أن نحاول تقسيم « الشعر الفارسى » تقسيماً علمياً يكون أقرب إلى طبيعته بحيث تظهر لنا ضروبه المختلفة ، نجد لزماً علينا أن نتحدث أولاً عن عناصره التى يتركب منها .

البيت والمصراع

والبيت هو الوحدة التي تتركب منها كل منظومة من المنظومات؛ وهو يتركب بدوره من قسمين متساويين كل منهما يسمى « مصراعاً ». ويشتمل البيت على عدد معين من التفعيلات تبلغ الثماني إذا كان البيت « مثنأً » أو الست إذا كان البيت « مسدأً » وتقل عن ذلك في بعض الأحوال .

ولسنا في حاجة إلى بيان الأجزاء التي تتركب منها التفعيلة الواحدة وكيف أنها تتركب من « الأوتاد » و « الأسباب » و « الفواصل » ولكننا نكتفي بأن نقول إن هذه التسميات الفنية التي اصطلاح عليها عروضيو العرب ، وتابعهم فيها أصحاب العروض من الفرس والترك وأهل الأم الإسلامية الأخرى ، كلها قد بنيت على قياس خاطئ ، في تشبيه « البيت من الشعر » « بالحيمه » أو « بيت الشعر » الذي يسكنه الأعراب . فقالوا إنك إذا نظرت إلى الحيمة أو « بيت الشعر » من قدام وجدت أن باهما يتركب من مصراعين ، فاستعمل العروضيون كلمة « مصراع » للدلالة على كل قسم من القسمين اللذين منهما يتركب « بيت الشعر » . وقد ذكر « بلوخمان » في كتابه « العروض الفارسي »^(١) جملة من الأسباب والتفصيلات التي أدت إلى هذه المقايسة الغريبة بين « بيت الشعر » و « بيت الشعر » لعل أغربها وأجملها هو قولهم أن « بيت الشعر » يضم في أرجائه العيد الحسان من نساء القبيلة وكذلك الحال مع « بيت الشعر » فإنه يشتمل على إبداع الأفكار التي تجول في خاطر الشاعر .

وقد اصطلاحوا في الإنجليزية على ترجمة كلمة « بيت » بكلمة « Couplet » وعلى ترجمة « مصراع » بكلمة « Hemistich » . ولاشك أن ترجمة هاتين الكلمتين على هذا النحو مما يؤسف له ، لأن الكلمة الإنجليزية الأولى توحي لنا بأن « البيت » مكون من وحدتين ، كما أن الكلمة الثانية توحي لنا بأن « المصراع » عبارة عن نصف وحدة ، ويترتب على ذلك بالطبيعة أن أربعة مصاريع لازمة لإنشاء البيت الواحد من الشعر . ولذلك أجد أنه من الخير أن ترجم كلمة « بيت » بالكلمة

الإنجليزية « Verse » وكلمة مصراع بكلمة « Half — verse » وإن كان لا اعتراض لدى على الاستمرار في تسمية « المصراع » بكلمة « Hemistich » بشرط أن نصلح من الآن على تسمية البيت بكلمة « Verse » أو « Stichos » . وفي هذه الحالة يصبح الرباعي مكوناً من أربعة مصاريع أو من بيتين وتنطبق كذلك تسميته في الإنجليزية على تسميته التي عرف بها في الفارسية حيث اصطالحوا على تسميته باسم « دوبيت » .

وعلى كل حال يجب ألا يغيب عن بالنا أن « البيت » هو الوحدة في كل المنظومات . وإن قولنا بيت مسدس أو مثمان لا يدل على شيء إلا على عدد التفعيلات التي يشتمل عليها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا أيضاً أن جميع أبيات المنظومة يجب أن تكون متساوية في عدد تفعيلاتها فلا يجوز مطلقاً الجمع فيها بين « الثمنات » و « الخمسات » كما نجد عادة في الأشعار اللاتينية .

ومن الملاحظ في بعض الكتب المنشورة من قِبل « گلستان » أن الكاتب يسوق « البيت » أو « المصراع » للاستشهاد به على قول معين أو حادثة بعينها وربما نظم هذا « البيت » أو هذا « المصراع » لهذه المناسبة وحدها ؛ وفي هذه الحالة يسمون « المصراع » باسم « الفرد » .

ضروب النظم الفارسية :

ويحسن بنا وقد فهمنا الأشياء التي ذكرناها فيما سبق أن نتقدم لدراسة ضروب النظم الفارسية المختلفة ، فنقول إن أول تقسيم لهذه الضروب مبناه القافية . فهناك نوع من الأشعار تكون القافية فيها مستلزمة بين مصراعي البيت الواحد دون تقييد بما يسبقه أو يليه من الأبيات . وهناك نوع آخر تستلزم فيه القافية في نهاية الأبيات جميعها دون تقييد بتقوية المصارع الأولى منها إلا في بيت المطلع دون سواه من الأبيات .

والنوع الأول من هذين القسمين يمثل « الثنوي » ويمكن تسميته بالقسم الذي تتعدد فيه القوافي . أما النوع الثاني فهو الحد القافية وأمثاته واضحة في « القصيدة » و « القطعة » و « الغزل » و « الترجيع بند » و « التركيب بند » وكذلك « الرباعي »

أما « المربع » و « الخمس » و « المسدس » إلى « العشر » فيجب فصلها عن هذين النوعين ووضعها في قسم خاص قائم بذاته .

المتوى :

لسنا في حاجة إلى الإفاضة في القول عن هذا الضرب من ضروب النظم لأن أكثر الشعر الأوروبي الذي له قافية يقع على غراره . والقافية فيه تكون في جزئي البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات . ومن أجل أمثلته في الإنجليزية قصيدة الشاعر تينسون Tennyson التي عنوانها Locksley Hall وهي كثيرة الشبه بما يعرف فنياً في العروض الفارسي باسم « متوية على وزن الرمل المثلث المحذوف (١) » .

— u — | — — u — | — — u — | — — u —
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وكل المنظومات الطويلة في اللغة الفارسية - سواء أ كانت قصصية أم تعليمية - تقع في هذا الضرب من النظم ، ومن أمثلتها :

الشاهنامه : « كتاب الملوك » من نظم الفردوسي
 پنج گنج : « الكوز الخمسة » « نظامي الكنجوي
 هفت اورنگك : « العروش السبعة » « جامي
 المتوى المعنوي » جلال الدين الرومي

وهذا الضرب فارسي النشأة لم تعرفه الأشعار العربية القديمة ، وإن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه في نظم الأشعار العربية المتأخرة التي عرفت باسم « المزدوج » منذ نهاية القرن العاشر الميلادي (أوأخر الرابع الهجري (٢)) .

(١) ألترجم : أورد براون ييتين من المنظومة الإنجليزية على سبيل المثال ولم نر حاجة إلى كتابتهما بنصهما .

(٢) أنظر مثلاً لهذه الزوجات في ج ٤ من يئمة الدهر ص ٢٣ من طبعة دمشق ومنها :
 من مثل الفرس ذوى الأبصار الثوب رهن في يد القصار
 إن البعير ييفض المشاشا لكنه في أغفه ما عاشا =

الغزل :

إذا أتينا الآن إلى ضروب النظم الموحدة القافية وهي التي تقيد بوحدة القافية في جميع أبياتها دون تقيد بتقنية المصارع الأولى منها إلا في بيت المطلع ، وجدنا أن أهم هذه الضروب ضربان هما « الغزل » و « القصيدة » وفيهما يمكن استعمال سائر الأوزان الشعرية المعروفة ؛ ويمكن أيضاً تقنية مصراعى المطلع ؛ ولكن يجب أن تقفى أو آخر الأبيات جميعاً على قافية واحدة .

و « الغزل » لا يختلف عن « القصيدة » إلا من حيث الموضوع وعدد الأبيات فهو لا يتعلق إلا بموضوع غزلى أو صوفى وكذلك لا تزيد أبياته عن الإثني عشر بيتاً إلا في القليل النادر من الأحوال ؛ أما القصيدة فقد يتعلق موضوعها بالمدح أو الهجاء أو التعليم أو الفلسفة أو الدين .

وقد تعود الشعراء في أزمنة متأخرة (بعد الفتح المغولى فيما أظن) أن يذكرها مخلصهم أو لقبهم الشعرى في البيت الأخير أو « بيت المقطع » من الغزل . ولكنهم لم يتعودوا أن يفعلوا ذلك في قصائدهم .

وفيما يلي ترجمة لغزلية معروفة من غزليات « حافظ الشيرازى » مطلعها :

اگر آن ترک شیرازی باست آرد دل مارا
بخال هندویش بخنم سمرقند و بخارا را

ومعناها بالعربية (١) :

لك الدنيا وما فيها . . أيا تركى شيراز

« سمرقند » لك الأخرى وتلوها « بخارا » ها

= نال الحمار بالسقوط في الوحل
في المثل السائر للحمار
والعتر لا يسمن إلا بالعلف
لا يسمن العتر بقول ذى لطف
ما كان يهوى ونجا من العمل
قد ينق الحمار للبطار
من الجزء الأول من كتابي « أغاني شيراز » المطبوع في
القاهرة سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٧ .

فياساقى . . لنا الباقي في الجسات لا تمنى
 على حافات «ركناباد» أوروبص «مصلاها» (١)
 ويا حزنى . . وقد عاشوا على سلبى منى قلبى
 كفعل الترك قد عاشت على أسلاب قتلاها
 جمال الخلل تغنيه عن التدليل فى عشقى
 خدود لونها صاف بلون الورد سواها
 ويوسف من كمال الحسن والإعراض فى تيه
 «زليخا» تلك أحيائها على وجد وأضناها
 رعاك الله أن تمنى بإيلامى وتجريحي
 فمر القول لا يجرى . . فغير رشفناها
 فى روى . . استمع نصحى، فنصح الشيخ مقبول
 لدى الشبان رده وقل : ذكرى وعيناها
 حديث المطرب اسمه ، وسر حياتنا دعه
 فما حلوا من الأيام والدنيا معها
 تعال أنظم لنا شعراً وهى : نظمه درا
 فقد شدت لك الأبراج فى عقد ثراها

القصيدة :

وطول القصائد الفارسية يجعل من العسير على أن أودى إحداهما نظماً بالإنجليزية
 بحيث أحتفظ بوحدة القافية فى سائر أبياتها . وقد بذنى فى ذلك صديقى المرحوم
 «جب» حينما ترجم بعض القصائد التركية فى كتابه الكبير «تاريخ الأشعار
 العثمانية» فقد كان من دأبه أن يترجم هذه القصائد بحيث يحتفظ بوزنها الأصلية
 وبغيت تكون موحدة القافية أيضاً . وإنى أعترف بأنى أقل مهارة منه فى صياغة
 النظم ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطرراً عند ترجمة «القصائد» وبعض «الغزليات»

(١) «ركناباد» نهر بشيراز و «الصلبى» محلة بها ، كان يقيم فيها حافظ .

إلى أن ابتعد عن خطته هذه وأن أترجمها كما لو كانت من نوع «المتنوي» ، فنجاسرت بذلك على أن أحدث بها شيئاً من التغيير في القافية والوزن كما يفعل المترجمون أنفسهم في أغلب الأحوال ، وقد سبق لي أن ذكرت في ص ٤٦٤ من الجزء الأول من «تاريخ الأدب في إيران» إن العرب والفرس كانوا إذا شاؤوا إظهار براعتهم في الترجمة نظماً من الفارسية إلى العربية أو من العربية إلى الفارسية فإنهم كانوا يؤدون الترجمة في وزن مخالف للوزن الأصلي . أو يؤدون « المتنوية الفارسية » في « قصيدة عربية^(١) » . فإذا راعينا أن هاتين اللغتين يستعملان طريقة واحدة في العروض لاتستعملها اللغة الإنجليزية ، وراعينا كذلك أن أهل هاتين اللغتين قد أباحوا لأنفسهم عند الترجمة عدم التقيد بالأصل من حيث الوزن والقافية وجدنا أنفسنا — وقد حررنا من هذه الميزات التي مهدت لهم — معذورين حقاً إذا تابعنا مثالهم ولم نحصر عند الترجمة على الاحتفاظ بالوزن أو القافية .

ولما كان الحديث في هذا المكان مقصوراً على ضروب النظم فسأسوق أمثلة قليلة لهذا النوع من القصائد الموحدة القافية التي لم أستطع المحافظة على قافيتها في ترجمتي لأن « القصيدة » عادة تتركب من أبيات عديدة تزيد كثيراً على ما يتركب منه « الغزل » وقد تزيد في أغلب الأحوال على المائة بيت .

وأول أمثلي التي أسوقها للقصيدة عبارة عن ستة أبيات من مرثية « الشيخ سعدى الشيرازي » لمدينة بغداد عندما أغار عليها المغول وقتلوا الخليفة العباسي الأخير « المستعصم بالله » وأهل بيته . ولهذا القصيدة أهمية خاصة لأنها تصور لنا الأثر الذي تركته هذه الغارة المفزعة في نفس واحد من المسلمين المعاصرين . وقد نقلت هنا الأبيات الستة الأولى منها كما هي مذكورة في الجزء الأول من كتاب « خرابات » تأليف « ضيا پاشا^(٢) » والقصيدة برمتها تبلغ الواحد والعشرين بيتاً وهي من نوع الرمل الثمن المحذوف .

(١) كما فعل « البنداري » أحياناً في ترجمته العربية للشاهنامه .

(٢) أنظر ص ١٥٦ من الجزء الأول من « خرابات » طبع القمططينية سنة ١٢٩١ هـ .

ومطلعها :

آسمان را حق بود گر خون بریزد بر زمین
بر زوال ملك مستعصم أمير المؤمنين^(١)
والآيات الخمسة التالية للمطلع هي الآتية :

أى محمد گر قیامت می بر آری سر ز خاک
سر بر آور وین قیامت در میان خلق بین
نازنینان حرم را موج خون بی دریغ
ز آستان بگذشت و ما را خون دل در آستین
زینهار از دور گیتی واقف لایب روزگار
در خیال کس نگشتی کانچنان گردد چنین
دیده بردار ای که دیدی شوکت بیت الحرام
قیصران روم سر بر خاک و خاقان بر زمین
خون فرزندان عم مصطفی شد ریخته
هم بر آن خاکی که سلطانان نهادندی جبین

ومعناها :

--- لاسماء حق إذا بكت دما على وجه الأرضين ،
لزوال « ملك المستعصم » أمير المؤمنين .
--- ويا « محمد » إذا أخرجت رأسك من أطباق الثرى في يوم الدين
فأرفعها الآن حتى ترى هذه القيامة التي نزلت بقومك من المسلمين
-- وانظر إلى أمواج الدماء ، وقد فاضت على أعتاب الحرم الأمين
وانظر إلى دماء الفؤاد وهي تقطر من أحكام الأردية والقفاطين
— ويا صاحبي . . . الحرم الحرم من دورات الفلك وتقلبات الأيام والسنين

(١) المترجم : لاسعدى قصيدة عربية في هذا المعنى مطلعها :

حبست بجمفنى المدام لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبرى

فلم يجلب بخاطر أحد أن يحدث مثل هذا الحدث العين . . .
 — ويا من رأيت شوكة البيت الحرام ارفع بصرك الحزين
 ثم أغمضه عن هذا المكان الذي كانت تسجد عنده القياصرة والخواقين
 — فدماء أولاد عمومة المصطفى أخذت تجري وتتدفق في الطين
 وتسيل على هذا الثرى الذي كانت تسجد عليه جباه السلاطين . . . !!
 وهذه القصيدة لا تمثل تماماً القصائد القديمة التي كانت تبدأ عادة بالتشبيب ثم
 تنتقل إلى المدح بيت يعرف فياً باسم « كريكاه » أي « بيت الانتقال » . وربما كان
 خير مثل للقصائد القديمة هو قصيدة « منو جهري » الشاعر المعاصر للفردوسي .
 فهذه القصيدة تحتوي على اثنين وسبعين بيتاً سأقتصر على ذكر طائفة منها اخترتها
 دون مراعاة لترتيبها الأصلي ، ولكنني سأذكر إمامها أرقاماً تبين موضعها في القصيدة
 الأصلية . وهذه القصيدة من نوع الهزج المسدس المحذوف . .

— — — u | — — — u | — — — u

مفاعيلن مفاعيلن فعولن

ومطلعها :

ألا يا خيمگي خيمه فرو هل كه پيش آهنگ بيرون شد زمزل
 ومعنى الأبيات الخمسة الأولى منها كما يلي (١) :

١ — ألا يا أيها الحيام . . . أنزل خيمتك

فقد تقدم دليل القافلة وخرج عن هذا المنزل

٢ — وقد دق صاحب الطبل طبله

وأخذ الجمالون يعقدون الرحال

٣ — وقد قربت صلاة العشاء

وها أنذا أرى الشمس والقمر يتقابلان في هذه الليلة

(١) المترجم : فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات :

ألا يا خيمگي خيمه فرو هل كه پيش آهنگ بيرون شد زمزل
 تيره زن بزد طبل نخسين شتر بانان همي بندند تحمل
 غاز شام نزدك است واهب مه وخورشيد را بينم مقابل

- ۴ — ولكن القمر يصعد في كبد السماء
بينما تغيب الشمس وراء جبال بابل
- ۵ — فكأنهما الميزان ذوالكفتين الفضيتين ؟
تميل إحدى كفتيه إلى أسفل ، والأخرى تشيل إلى أعلا
ثم يذكر الشاعر بعد ذلك فراقه لمعشوقته فيقول : (۱)
- ۶ — ولم أكن أعرف . . . يا صنوبرتي الفضية
إن النهار سيعجل بالزوال على هذا النحو ... !!
- ۷ — وكلانا غافل . . . ولكن الشمن والقمر
لا تأخذها غفلة في دورة هذا الفلك ... !!
- ۸ — فتعالى إلى ... يا حبيبتى ... ولا تبكى
فأمل العاشقين لايم ولا يتحقق ... !!
- ۹ — والأيام حبالى بالهجر والفراق
ولا بد للحامل أن تضع حملها في يوم من الأيام .
- ۱۰ — فلما شاهدتني حبيبتى على هذه الحال من الحزن
أمطرت من خلال أهدابها وابلا من الدموع
- ۱۱ — وكأنما كانت تمسك بالفلفل المسحوق في أصابعها
ثم أخذت تنثره في أجفانها وما أقبحها ... !!

= وليكن ماه داره قصد بالا
چنان دو کفه سینهی ترازو
فرو شد آفتاب از کوه بابل
که این کفه شود زان کفه مابل
(۱) المترجم : فيما يلي نص الأبيات الفارسية :

ندانستم من أي سمين صنوبر
من وتو غافلیم و ماه و خورشید
که گردد روز چنین زود زائل
بر این گردون گردان نیست غافل
که کار عاشقان را نیست حاصل
نهد يك روز بار خویش حامل
بیارید از مژه باران و ابل
پراکند از کف اندر دیده بابل
تو گوئی بلبیل سوده بکف داشت

- ١٢ — ثم أقبلت على قاعة قاعدة
 كأنها الطير الذي قد بسملوا عليه
- ١٣ — وطوقت عنقي بساعديها كحماثل السيف
 واستلقت على صدرى كما تبدل الحماثل
- ١٤ — وقالت لى : إني أقسم لك ... أيها الغادر
 لقد اطربت في الحاسد وأفرحت العاذل
- ١٥ — ولست أدري إذا كنت ستعود إلى ثانية
 في الوقت الذي تعود فيه القوافل
- ١٦ — ولطالما رأيتك كاملا في كل الأمور
 ولكن من أسف أنك لست كاملا في العشق ... !!

ثم يحاول الشاعر بعد ذلك تهذبة معشوقه حتى ينصرف عنه ويتركه وحيداً فينظر حول المنازل فلا يرى إنسياً أو جنياً ولا راكباً أو قاعداً ولا يجد إلى جانبه إلا بعيره وهو « يزجر كالشيطان المقيد بالسلاسل » فيضع عليه رحله وينهض به في نفس الطريق التي سلكها القافلة ، ويأخذ في عد الخطى حتى يدخل الصحراء المقفرة فيصفها بأنها « قاحلة موحشة لا يستطيع داخلها أن يخرج منها » ثم يأخذ في وصف رياحها العاصفة فيقول « أنها تجعل الدم يتجمد في العروق » ثم يأخذ في وصف الثلج فيصفه بأنه رقائق الفضة قد ثرت على الرمال الذهبية المنبسطة في هذا الفضاء الصيح . فإذا ما انبثق الفجر بصفائه عشى الشاعر بنوره وضيائه ، ثم تأخذ الثلوج في الذوبان كما يذوب العليل المسلول ، وتنشأ من ذوبانها أوحال لزجة تتعلق بأقدام بعيره كأنها الغراء المصنوعة من عظام الأسماك . ثم تبدو له في النهاية القافلة التي كان يريد الوصول إليها ، فيقدم عليها ، ويدنو من محيما « فيرى الوادى وما به من رماح

= يامد أوفئات خيزان بر من
 دوساعد را حابل كرد با من
 مراگفت ای ستمكاره بجام
 چه دائم من كه باز آئی تو یا نه
 ترا كامل دهنی ديدم بهر كار

چنان مرغی كه باشد نیم بسمل
 فرو آویخت از من چوت حمایل
 بكام حاسد م كردی وعاذل
 بدان گاهی كه باز آید قوافل
 وليكن نستی در عشق كامل

وحراب كأنه مليء بالسنابل والأعواد» وترن في أذنه أصوات الخلاخيل كأنها أصوات الجلاجل، وتتجاوب الأجراس بمختلف الحكايات وكأنها إهازيج العنادل والبلابل.

ثم يستمر الشاعر فيقول (١) :

٤٨ — ثم التفت إلى بعيري النجيب ، وقلت له : خفف من سرعتك
يا معين الأفاضل ولا تسرع في مشيتك

٤٩ — وكل في هذا المرعى ويجعل الله مرعاك في هذا العبر النضير
وتبخر ويجعل الله مفاصلك من الحديد المتين

٥٠ — واطو القياقي واجتز الجبال العالية
ودق المنازل وأقطع المراحل القاصية

٥١ — ثم أنزلني على أعتاب الوزير الكامل

كما نزل الأعشى ييا بل

ثم يأتي الشاعر إلى بيت الانتقال « كرزگاه » فيقول (٢) :

٥٢ — على أعتابه الرفيعة العالية ؛ فقد ملك المعالي عاليها وسافلها

ثم يذكر إسم ممدوحه في البيت الأول من الأبيات الآتية فيقول :

٥٦ — وهو يرتع في نعم الحياة على عهد الأمير مسعود (٣) .

كما نعم النبي على عهد أنو شيروان العادل

(١) المترجم : النص الفارسي لهذه الأبيات كما يلي :

نحیب خسویش را گفتم سبک تر	ألا يا دستگیر مرد فاضل
ببرکت عنبرین بادا چراگاه	بچم کت آهنین بادا مفاصل
ییا بل در نورد وگوه بگذار	منازلها بکوب وراه بگسل
فروود آور بدرگاه وزیرم	فروود آوردن أعشى ييا بل

(٢) المترجم : نصه بالفارسية :

چالی درکه دستور کورا ست	معالی از اعالی واز أسافل
-------------------------	--------------------------

(٣) يقصد به الأمير مسعود بن محمود الفزنوی الذي حكم من سنة ١٠٣٠ — ١٠٤٠م

= ٤٢١ — ٤٣٢ هـ ونص الأبيات الفارسية كما يلي .

همی نازد بمهد میر مسعود چو پیغمبر بنو شروان عادل

٥٧ — وبذرة المال تدخل عليه فينثرها كقارون
والسائل يدخل عليه وكأنه من أصحاب الجاه والمال

٥٨ — فيخرج السائل وقد بطنت بالذهب حواشيه
وأما كيس الأمير فيخلو بما كان يشتمل عليه ويحتويه^(١)

وفيما يلي الأبيات السبعة الأخيرة من هذه القصيدة وهي التي يسعى فيها الشاعر
إلى إثارة مخدومه واستجلاب رضاه والحصول على منحه وهداياه . وإذا استطاع
الشاعر أن يذكر لمخدومه ما يطلبه منه بطريقة حلوة وأسلوب لطيف سمى ذلك
بـ « حسن الطلب » .

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذه الأبيات السبعة فتمثل لنا الصنعة المعروفة
بـ « حسن المقطع » وهو أن يجعل الشاعر آخر أبيات القصيدة مستملحة مستعذبة
وأن يختمها بألفاظ فصيحة ومعاني لطيفة ، لأن أقرب أبيات القصيدة إلى سمع السامع
إنها هي أبياتها الأخيرة ، فإن كانت مليحة بقيت لذتها وأصبحت الأبيات السابقة ، مهما
قلت جودتها أو كانت رديئة ، نسياً منسياً .

٦٦ — فيا مولاي . . لقد أقبلت عليك^(٢) ، وكلني أمل فيك وفي عطايك

٦٧ — وفي مجبوحة عيشك يرتع الأفاضل

لأن الفاضل لا يقصد إلا فاضلاً مثله

٦٨ — فإذا رزقتني وأنا في خدمتك

قلت فيك المديح كما قال « الأعشى » و « دعبل »

٦٩ — أما إذا حرمت في خدمتك ، فسأحرق قلبي وامزق أناملتي

= در آید پیش او بدره چو قارون . در آید پیش او سایل چو عاهل

(١) المترجم : لم أعثر على نص هذا البيت بالفارسية .

(٢) المترجم : النص الفارسي لهذه الأبيات:

خداوند من اینجا آمدستم	بامید تو وامید مفضل
أفاضل نزد تو نازند هموار	که زی فاضل بود قصد أفاضل
گرم مرزوق گردانی بخدمت	هان گرم که أعشى گفت ودعبل
وگر از خدمت محروم ماندم	بسوزم کلك وبشکافم أنامل

٧٠ - وإني أدعو الله . . . مادام الدراج والقمري يغردان

وما دام اسم العنقاء واسم الصقر مقترنان

٧١ - إن يثبت كيانك وينير بصيرتك

وأن يطهر قلبك ويجعل حظك مقبلاً

٧٢ - وأن يهينى وأنا أنظم الشعر في مدحك

قلب « بشار » وطبع « ابن مقبل »

القطعة:

هي كما يدل عليها اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب ، وقد تكون أيضاً جزءاً من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل ، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضاً من الأغراض ، فلما سجله فيها تركها على حالها ولم يفكر مطلقاً في أن يضيف إليها أبياتاً أخرى ؛ وفي كثير من الأحوال يدل أسلوب القطعة وموضوعها على أن الشاعر قصد بها منذ البداية أن تكون وحدة قائمة بذاتها .

وفيا يلي ترجمة لقطعة من قول الشاعر « الأنوري » المتوفى سنة ١١٩١ م

= ٥٨٧ هـ .

وهي تدل دلالة واضحة على أنها كاملة وأب الشاعر لم يفكر في أن يضيف

إليها أبياتاً أخرى :

— قال لي أحد الأصدقاء في خفة واعتدال

عليك بالصبر . . . إذا شئت بتحقيق الآمال

— وهذا هو الماء سيعود إلى النهر فتمتلئ به شطآنه

وهذه آمالك سيحققها الزمان وجريانه . . . ! !

ألا تا نام سیدرغست و طغرل

دلت پاگیزه باد و بخت مقبل

دل بشار و طبع ابن مقبل

= ألا تا بانگ دراجست و قری

تنت پابنده باد و چشم روشن

دهاد ایزد مرا در نظم شعرت

— فنظرت إليه وقلت له : يا صاحبي . . ما الفائدة . . ؟
إذا عادت المياه . . وكانت الأسماك قد ماتت وأضحت هامدة (١) . . ؟

الرباعي :

الرباعي عبارة عن بيتين من الشعر ومن أجل ذلك أسماه في الفارسية باسم
الـ « دوبيت » واعتبره البعض أربعة شطرات من الشعر ، ومن أجل ذلك أسماه
بالرباعي أو الرباعية .

وقد يكون الرباعي عبارة عن بيتين مأخوذين من مطلع « قصيدة » أو « غزل »
ويشترط فيه دائماً أن يكون على وزن من الأوزان الخاصة المستخرجة من « الهزج »
كما يشترط فيه أن يكون وافياً بالعرض الذي أنشئ من أجله .

ولست أجد نفسي في حاجة إلى زيادة الإيضاح عن هذا الضرب من ضروب
النظم فإن الترجمة الجميلة التي قام بها « فيزجرالد » لرباعيات الحيام جعلت هذا الضرب
معروفاً لدينا معشر الإنجليز ؛ ومع ذلك فلي كلمة قصيرة أحب أن أدلى بها في هذه المناسبة
وهي أنني لاحظت أن بعض المعجبين بترجمة « فيزجرالد » يتصورون أن الرباعيات
يتصل بعضها ببعض ، بحيث تنشأ منها قصيدة واحدة ، فأود أن أؤكد لهم أن سبب
« الوحدة » الظاهرة في هذه الترجمة راجع فقط إلى الترتيب الذي اختاره « فيزجرالد »
لرباعيات التي انتقاها وترجمها على هذا النحو . أما هذه الرباعيات في الأصل فيجب
أن تكون كل واحدة منها منفصلة عما عداها وقائمة بذاتها ونحن نجد أن شعراء
الفرس لا يرتبونها في دواوينهم إلا على نحو واحد يتبعون فيه حرف القافية الأخير .
ويجب أن يكون الرباعي على وزن من الأوزان المستخرجة من الهزج ، ويجب أن
تتفق مصاريعه الأول والثاني والرابع مع بعضها ، بينما يكون المصراع الثالث مقفى مع
هذه المصاريع أولاً يكون كما هو الغالب والأعم .

(١) الترجم : شبيه بهذا المعنى ما قاله الحيام في رباعيته التالية :

بابط ميگفت ، اهیء درتب و تاب باشد که بجوی رفته باز آید آب
گفتا : چو من و تو هر دو گشتیم کباب دنیا پس مرگت ، ما چه دریا چه سراب

وفما يلي رباعيتان قالهما الشاعر « معزى » على البداة للسلطان السلجوقي « ملكشاه » أسوقهما مثلاً لهذا الضرب من النظم دون أن يكون لهما أهمية خاصة من الناحية الأدبية إلا فيما يتعلق بدلالاتهما التاريخية فقد تحدث الشاعر نفسه إلى صاحب كتاب « جواهر مقاله » فذكر له الأسباب والظروف التي قال فيها هاتين الرباعيتين ، فقال :

« ... وفي مدينة قزوين انتقل أبي أمير الشعراء برهاني رحمه الله من عالم الفناء إلى عالم البقاء ، وكان ذلك في أوائل أيام دولة ملكشاه . وقد سلمني أبي إليه ووكل إليه أمر تربيتي بمقتضى بيته المعروف :

من رقم وفرزند من آمد خلف صدق أورا بخدا و بخداوند سپردم
ومعناه : إني ذاهب وها هو ابني قد جاء خلف صدق لي .
فإلى الله وإليك ... يا مولاي . . . أودعه وأسلمه .

« وقد حولوا إلى مرتب أبي ، وأصبحت بعد ذلك شاعر السلطان وبقيت في خدمته سنة كاملة ، ولكنني لم أتمكن من رؤيته إلا عن بعد ، ولم أستطع أن أحصل على شيء من مرتبي ، وازدادت نفقاتي وتقل الدين في عنقي حتى اضطربت الأمور في رأسي . ولم يكن الوزير « نظام الملك » رحمه الله على حظ من معرفة الشعر ، ومن أجل ذلك فإنه لم يكن ليقدره أو ليقدر قائليه من أئمة الشعراء والمتصوفة .

«... وفي اليوم السابق لشهر رمضان وجدت نفسي لأملك دافعاً واحداً من نفقات هذا الشهر أو من نفقات العيد ، فذهبت والحزن يملأ صدري إلى الأمير علاء الدولة « علي بن فرامرز » وكان صهرراً للسلطان وندماً خاصاً له ، وكان أميراً محبباً للشعراء يمتاز بالجرأة في القول وعلو المنصب وكان يتعهدني برعايته ، فقلت له :

« أطل الله بقاء مولاي ... إن الولد لا يستطيع أن يفعل ما فعله والده أو أن يأتي بما أتى به أبوه ، وقد كان أبي رجلاً نشيطاً جسوراً رزقه الله بصناعته رزقاً كثيراً . وكان السلطان الشهيد « ألب أرسلان » يقربه ويتعهد به عناية . . . ولن أستطيع أن أقوم بمقامه لأن حياتي بمعنى من ذلك ولأن طبعي العاجز يساعده على ما أتأفاه من ضحك ، وقد قمت بخدمة السلطان سنة كاملة ، أصبحت مديناً فيها بألف دينار ،

لم أحصل منها على دائق واحد ، فأرجو أن تلتمس لي الإذن في العودة إلى مدينة نيسابور حتى أستطيع أن أؤدى ما على من دين وأن أعيش على ما يتبقى لدى من مال ، وإنى أدعو بعد ذلك للسلطان ولدولته القاهره» .

«قال لي الأمير على : لقد تحدثت صدقاً ، وقد قصرنا حقاً في شأنك ، وسيخرج السلطان عند صلاة المغرب ليرى طلعة الهلال فيجب أن تكون حاضراً معنا حتى ترى ما يصنع الحظ لك . . . » .

« ثم أمر لي بمائة دينار لأعد بها العدة لشهر الصيام ، فأحضروها لي على الفور في كيس مشتملة على مائة دينار نيسابورية ، فأخذتها ورجعت مسرور الخاطر ، وأخذت أعدّ العدة لشهر رمضان ، حتى إذا حانت صلاة العصر ، ذهبت إلى سرادق السلطان ، فوصلت إليه في نفس اللحظة التي وصل فيها الأمير « علاء الدولة » فقدمت له احترامى . فالتفت إليّ وقال : لقد أحسنت صنعاً وجئت في موعدك . . . ثم يرجل عن دابته وتوجه إلى السلطان » .

« فلما اصفرت الشمس ساعة الأصيل ، خرج السلطان من سرادقه وفي يده قوس وعلى يمينه « علاء الدولة » فخربت وأديت فروض الخدمة وشملتني الأمير على بعبطه ، ثم أخذ يتطلع إلى الهلال الجديد ، وكان السلطان أول من رآه وقد سر بذلك سروراً عظيماً . عند ذلك التفت إليّ الأمير على وقال : « يا ابن البرهاني . . . قل لنا شيئاً من الشعر في هذا الهلال الجديد . . . »

فقلت على الفور هذا الـ « دوبيت » .

أى ماه چو ابروان يا رى كوئى
يا نى چو كان شهريارى كوئى
نعلی زده از زر عيارى كوئى
در گوش سپهر گوشوارى كوئى

ومعناها :

— أيها الهلال . . . كأنى بك حاجب عين الحبيب .
لا . . . بل كأنى بك القوس في يد الملك المهيّب .

— أو كأنك حدوة الجواد صيغت في خالص الذهب العجيب .

أو كأنك القرط ، تدلى من أذن هذا الفلك الرهيب . . . ! !

« فلما فرغت من قول هذا الرباعي استحسنته «الأمير علي» وقال لى السلطان :
« اذهب وخذ من الاسطبل الجواد الذى يعجبك » . فلما اقتربت أنا والأمير علي من
الاسطبل أشار الأمير علي إلى جواد خاص ، فاحضروه لنا ، وأعطوه لعلمانى ، وكان
يساوى ثلاثمائة دينار نيسابورى ، ثم ذهب السلطان إلى المصلى فضلينا معه صلاة المغرب ،
ثم جلسنا معه على مائدته ؛ فالتفت إلى الأمير علي وقال : « يا ابن البرهاني ... لم تقل لنا
شيئاً من الشعر في شكر هذا التشریف الذى اختصنا به الملك . . . قل لنا على الفور
رباعية في هذا المعنى . . . » .

« فاتصبت على أقدامى وأديت فروض الطاعة وقلت على البديهة هذه الرباعية :

چون آتش خاطر مرا شاه بديد
از خاك مرا بر زبر ماه ككشيد
چون آب يكي ترانه از من بشنيد
چون باد يكي مركب خاصم بخشيد

ومعناها :

— عندما رأى الملك خاطرى فوجده « كالنار » المتقدة اللامعة .

رفعى من حضيض « التراب » وجعل مقعدى على الأقدار الساطعة .

... وسمع منى لحنا جميلاً كالمياه الدافقة الرائحة .

فوهبني جواداً كريماً كالرياح الشديدة المسرعة . . . ! !

« فلما فرغت من أداء هذه الرباعية أبدى الأمير علي استحسانه الشديد لها وأمر
لى السلطان بألف دينار . عند ذلك قال علاء الدولة : إن مرتبه لم يصل إليه وسأذهب
إلى الوزير غداً فأجلس إلى جواره إلى أن يأمر له براتبه وأجره ، ويكتب بذلك
إلى « إصفهان » . فقال الملك : عليك أن تفعل ذلك فلا قدرة لأحد عليه سواك
وعليك أن تلقب هذا الشاعر بلقبى . . . » .

« وكان السلطان يتلقب بلقب « معز الدنيا والدين » فأسماني الأمير على باسم « المعزى » ولكن السلطان أبى إلا أن يسميني باسم « الأمير معزى » واختصني الأمير على برعايته ، بحيث إذا أصبح الصباح وأذن المؤذن للفجر ، وجدت أنه قد بعث إلى بمنحة تشتمل على ألف دينار. وكذلك بألف دينار ومائتين من راتبي ، كما أرسل إلى بألف حمل من القمح . فلما انتهى شهر رمضان استدعاني إلى مجلسه وجعلني نديماً للسلطان . وأخذ حظي يتسّم معارج الإقبال ، وأخذ الأمير يتولاني دائماً بعطفه وعنايته . وجميع ما أمتلكه اليوم إن هو إلا من فيض كرمه وجوده ، فلينز الله قبره بأنوار رحمته وليشمه عنه وبركته . . . » .

الارتجال وأمره :

والقصة السابقة تصور لنا مقدار الأثر الذي كان ينتج في هذه العصور المبكرة من القدرة على الارتجال في الشعر وقوله على البديهة . وهناك أمثلة أخرى شبيهة بهذه القصة نجدها مسجلة أيضاً في كتاب « چهار مقالة » ومن بينها القصة الروية عن السلطان « محمود الغزنوي » عندما أمر — وهو سكران — بقطع طرة غلامه ومعشوقه « أياز » فلما أصبح الصباح أحس بالندم على فعلته واستولى عليه خمار الشراب حتى ساءت حاله ، فلم يستطع أحد أن يدنو منه ، حتى أنشده الشاعر « عنصرى » هذا الرباعي الذي طار له خاطره وهو :

كي عيب سر زلف بت از كاستن است
چه جای بغم نشستن و خاستن است
جای طرب و نشاط و می خواستن است
كاراستن سرو ز پیراستن است

ومعناها :

— متى كان في قطع طرة الحبيب ما يعيه . . . !!
فلماذا إذن يقعد الملك ويقوم والحزن نصيبه . . . !?
— والفرصة مواتية للطرب واللهو والشراب .
لأن جمال سرو إنما يكون بتشذبه وتهذبه . . . !!

وكذلك نجد أن رباعياً آخر قاله الشاعر « أزرقي » فاستطاع أن يهدي به نأرة مولاه الشاب الملك « طغانشاه » عندما كان يلعب النرد فأراد ستين ، ولكنه عندما رمى بالكعبتين حصل على واحدین . وهذا الرباعي هو الآتي :

گرشاه دو شش خواست دو یک زخم افتاد
تا ظن نبری که کعبتین داد نداد
آن زخم که کرد رای شاهنشاه یاد
در خدمت شاه روی برخاک نهاد

ومعناه :

— إذا شاء المللك ستین انقلبت ضربته إلى الواحدین .

ولكيلا تظن أنه لم ينل رغبته من الكعبتين .

— فإن هذه الرمية جاءت وفقاً لرغبة المللك .

فوضعت وجهها على التراب خشوعاً حتى لا تراه رأى العين .

وإذا نظرنا إلى الرباعيتين السابقتين وجدنا أنهما يشتركان في أمرين :

أولاً : إن المصاريح الأربعة في كل منهما تجري على قافية واحدة مع أن تقفية المصراع الثالث مع بقية المصاريح ليست مشترطة في الرباعيات .

ثانياً : إن كليهما مثل للصنعة البديعية المعروفة بـ « حسن التعليل » حيث يعلل الشاعر حقيقة واقعة بسبب من الأسباب الخيالية الموهومة .

فلنمض الآن في دراستنا لأنواع الباقية من ضروب النظم ، وهي عبارة عن نوعين من القوائد الموشحة يُعرفان باسم الترمجيع بند والتركيب بند وكذلك الأنواع المختلفة من القوائد المركبة (كالربيع والخمس والسدس . . الخ) والسمط والمستزاد .

الترمجيع بند والتركيب بند :

هذان النوعان من القوائد الموشحة يشتمل كل واحد منهما على عدد من الوحدات تكون في العادة متساوية في عدد أبياتها ، وتكون كل واحدة منها على قافية واحدة

ويفصل بين الوحدة والأخرى بيت مستقل من الشعر ليبين لنا نهاية الوحدة التي سبقته وبداية الوحدة التي تليه؛ فإذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فإن المنظومة تسمى بـ « الترجيع بند » أما إذا تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات وكانت هذه الأبيات متفقة القافية مع بعضها ومختلفة عن سائر الوحدات فإن المنظومة تسمى في هذه الحالة بـ « التركيب بند » .

ويجب أن تجرى المنظومة من هذين النوعين على وزن واحد في جميع أبياتها . وليس في استطاعتى أن أترجم منظومة من هذين النوعين بحيث أحافظ على قوافيها كما هي في الأصل الفارسي ولذلك سأكتفي بأن أترجم بعض الأبيات الواردة في « ترجيع بند » مشهور من نظم الشاعر « هاتف الاصفهاني » الذي عاش في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري) .

(بند أول)

ای فدای تو هم دل و هم جان	وی تار رهت هم این و هم آن
دل فدای تو چون توئی دلبر	جان تار تو چون توئی جانان
دل رهانندن ز دست تو مشکل	جان فشانندن پیای تو آسان
راه وصل تو راه پر آسیب	درد عشق تو درد بی درمان
بندگانیم جان و دل در کف	چشم بر حکم و گوش بر فرمان
گر سر صلح داری اینک دل	ور سر جنگ داری اینک جان
..... الخ

که یکی هست و هیچ نیست جز او
 وحده لا إله إلا هو

(بند دوم)

از تو ایدوست نگسلم پیوند ور به تیغم برند بند از بند
 الحق ارزان بودز ما صد جان وز دهان تو نیم شکر خند

ای پدر پند کم ده از عشقم که نخواهد شد اهل این فرزند
 پند آنان دهند خلق ای کاش که ز عشق تو میدهندم پند
 من ره کوی عاقبت دانم چکنم کاوقتاده ام بکنند
 الخ

که یکی هست و هیچ نیست جز او
 وحده لا إله إلا هو

ومعنى هذه الآيات :

- یا من فداء لك القلب والروح . . ویا من یكون تاراً فی سبیلك جمیع ما نملك .
- والقلب فداؤك لأنك تسبی القلوب ، والروح تارك لأنك محبوب الروح .
- ومن الصعب تخلیص القلب من قبضتك ، ولكن من السهل التضحية بالروح تحت قدمك .
- وطریق وصالك طریق مشحون بالأذى ، وداء عشقك داء لا دواء له .
- ونحن عبيد . . . أرواحنا وقلوبنا فی كفك ، وعیوننا تنتظر حکمك وآذاتنا تنتظر أمرک .
- فإذا كانت لك رغبته فی المصالحة فهذه قلوبنا ، وإذا كانت لك رغبة فی المحاربة فهذه هی أرواحنا .
- الخ

— وانه واحد، ولا يوجد إله
 وحده لا إله إلا الله

- ولن أستطيع . . یا صديق . . أن أخلف عهدی معك . . ولو قطعوا أوصالی بالنصال والسیوف .
- وفی الحقيقة أن آلاف الأرواح لترخص أمام ابتسامة صغيرة حلوة من ثغرك .
- فیا أبتی . . أقصر نصحی عن العشق . . فلن یكون ولدك أهلاله .
- ویالیت الخلق . . . یاربی . . ینصحون ویزجرون من ینصحنی ویزجرنی فی حبك .
- وإنی لأعلم طریق العاقبة ، ولكن ماذا أصنع وقد وقعت فی فخك .
- الخ

وإنه واحد ، ولا يوجد إله
وحده لا إله إلا الله

وهذه المنظومة تشتمل في الأصل على ست وحدات يفصل بين الواحدة منها والأخرى بيت يتكرر بعينه والمنظومة برمتها (بما في ذلك البيت الذي يرجع خمس مرات) تبلغ ١٤٨ بيتاً مقسمة على هذا النحو :

الوحدة الأولى =	٢٣ بيتاً +	بيت الترجيع
الوحدة الثانية =	١٣ +	بيت الترجيع
الوحدة الثالثة =	١٧ +	بيت الترجيع
الوحدة الرابعة =	١٥ +	بيت الترجيع
الوحدة الخامسة =	١٨ +	بيت الترجيع
الوحدة السادسة =	٥٧ بيتاً	

ولو أن الشاعر أتى في نهاية الوحدة الثانية بيت من الشعر مختلف في قافيته عن البيت الوارد في نهاية الوحدة الأولى وكان مصراعه على قافية واحدة لأصبحت هذه المنظومة من نوع الـ «تركيب بند»^(١) . ويجب ألا يغيب عن بالنا إن كل « وحدة » تبدأ بمطلع يكون موحد القافية بين مصراعيه .

المسطر :

يقول « روكرت » أن السمط عبارة عن مصطلح عام يشمل جميع أنواع القصائد المركبة ؛ ولكن « رشيد الدين الوطواط » يجعله شبيهاً بما عرف لدى المغاربة باسم « الموشح » حيث يقسم الشاعر قصيدته إلى أجزاء أو أشطر تتفق أوائلها في الروى وأما أواخرها فتكون موافقة لنظائرها في القصيدة كلها ومثاله قول الحريري في المقامات^(٢) :

(١) الأبيات التي تأتي بعد الوحدات في التركيب بند يجب أن يكون مصراعاً كل بيت منها على قافية واحدة ، ويجوز أحياناً أن تكون هذه الأبيات جميعها على قافية واحدة .
(٢) المترجم : اللؤلؤ الأصلي الذي أورده « براون » عبارة عن ترجمة أربعة أبيات من قصيدة للشاعرة البابية « قرّة العين » ولم اعثر على أصلها الفارسي فاخترت المثبتين اللذين أوردهما رشيد الدين في كتابه « حقائق السحر في دقائق الشعر » وقد ترجمنا هذا الكتاب إلى العربية ونشرناه في سنة ١٩٤٥ .

خلى إذكر الأربيع والمهد المرتبع والظاعن المودع وعد منه ودع
 وأندب زمانا سلفاً سودت فيه الصحف ولم تزل معتكفاً على التيسيح الشنع
 كم ليلة أودعتها مآثماً أبدعتها لشهوة أطعتها في مرقد ومضجع
 ومثاله من الشعر الفارسي قول أمير الشعراء « معزى » :

ای ساریان منزل مکن جز بر دیار یار من
 نایک زمان زاری کنم بز ربع واطلال ودمن
 ربع از دلم پر خون کنم اطلال را جیحون کنم
 خاک دمن گلگون کنم از آب چشم خویشن
 کز روی یار خرگهی ایوان همی بینم تهی
 واز قد آن سرو سهی نخالی همی بینم چمن

ومعناه :

— أيها الحادي لا تنزل إلا بديار الحبيب حتى تتمكن من البكاء لحظة على الربع
 والأطلال والدمن .

— فاملاً الربع بدماء قلبي ، وأجعل الأطلال نهراً جارفاً ، وأجعل التراب أحمر
 اللون ، بدموع عيني .

— فقد خلا إلا يوان كما أرى من وجه حبيبي ، وخلا البستان من قده الفارع المديد
 ويظهر أن « منوچهری » كان أكثر الشعراء المتقدمين غراماً بالمسمط كما أن
 « ميرزا داوری الشيرازی » كان أكثر الشعراء المتأخرين إحياء له (١) .

وللمثيل على الصيغة العادية المسمط ، اكتفى بإيراد البذتين الآتين من مسمط
 لم ينشر للشاعر « داوری » .

أى بجه عرب صبحك الله بخيرا صبح است صبحی بده آن ساغزى را
 زان مى كه بقطب ار بدهى جرعء ويرا بر پات بسايد سر إكليل جدى را
 كردند بناتش بفدا چون تو بنى را
 چون چرخ زنى گرد خم باده جدى وار

(١) المترجم : من شعراء القرن التاسع عشر الميلادى .

گر نیست ترا باده یکی شیشه بپرکش . بر خیز و عبا را عربی وار بسز کش
همچو عربان دامن خود تا بکمر کش یکدست عبا شیشه بدان دست دگر کش
با دامن تر منتت از آن دامن تر کش
وز خانه برو تا بدر خانه خمار
ومعنی هذه الآيات :

- يافتي العرب . صباحك الله بالخير . إنه الصباح ، فاعطني الصبوح ، وناولني كأس الخمر
- من هذه الخمر التي لو أعطيت جرعة منها لتقطب من الأقطاب لألقى بك إلى مدار الجدى
- ولقد تفتديك بناته . . أيها البني . . حينما ترقص وتدور حول دن الشراب
كما يدور الفلك .
- وإذا لم تنهيا لك الخمر ، فاضمم الزجاجة إلى صدرك ، ثم انهض وارفع العباءة
على رأسك كما يفعل العربي .
- ثم اربط حافة ثوبك على وسطك ، كما يفعل العرب ، وامسك بإحدى يديك
العباءة وبالآخرى الزجاجة .
- وقدم الشكر وحافة ثوبك مبللة بالخمر ، ثم أمض عن منزلك واذهب
إلى حانوت الخمار .
- وقافية هذا النوع من السمت ، وهو أكثر أنواع السمطات جريانا ، يمكن
تصويرها على النحو الآتي :

ا ، ا ، ا ، ا ، ا ، س
ب ، ب ، ب ، ب ، ب ، س
ج ، ج ، ج ، ج ، ج ، س
الح

وهناك نوع آخر من السمطات جملة « منوچهری » يشتمل على وحدات كل
منها تشتمل على ستة مصاريع مقفأة على هذا النحو :

ا ، ا ، ا ، ا ، ا ، ا
ب ، ب ، ب ، ب ، ب ، ب
ج ، ج ، ج ، ج ، ج ، ج
الح

والنوع الأول من هذين النوعين الأخيرين شبيه بالمخمسات تماماً ولا يفترق عنها إلا في كون الوحدة الأولى من المخمسات تتألف من خمسة مصاريع مقفأة مع بعضها ثم تختلف القافية بعد ذلك في سائر المصاريع ماعدا في المصراع العاشر والخامس عشر والعشرين والخامس والعشرين ... الخ فإنها تكون متفقة مع قافية الوحدة الأولى . والمنظومة « المركبة » يكون أساسها في الغالب « غزلاً » من الغزليات ، يخذ الشاعر فيضيف إلى كل بيت منه مصراعين ليصنع منه « مربعاً » ... أو ثلاثة مصاريع ليصنع منه « محمساً » ... أو أربعة ليخرج منه مسدساً ... وهكذا دواليك .

ومثال الخمس قول حافظ الشيرازي^(١) :

در عشق تو ای صنم چنانم
کز هسق خویش در گمانم
هرچند که زار و نا توانم
گر دست دهد هزار جانم
در پای مبارکت فشانم

کو بخت که از سر نیازی
در حضرت چون تو دلنوازی
معروض کنم نهفته رازی
هبات که چون تو شاهبازی
تشریف دهد بآشیانم
الخ

و « المسدس » و « المسبع » و « الثمن » وسائر أنواع المنظومات المركبة تجري على هذا النسق ولا حاجة بنا إلى سوق أمثلة لها .

المستزاد :

أما المستزاد فعبارة عن « رباعية » أو « غزلية » أو « قصيدة » يزداد بعد نهاية كل

(١) المترجم : مثل « براون » للربيع والخمس بمثلين باللغة الإنجليزية صاغهما ترجمة لقصيدة منوچهری التي سبق ذكرها في هامش ص (٤٢ - ٤٧) ولم نر وجهها لذكرها .

مصراع من مصاريحها زائدة موزونة لا يستلزمها المعنى أو الوزن ؛ وهذه الزوائد تفي مع بعضها ويكون معناها متصلاً بحيث يمكن اعتبارها قصيدة منفصلة قائمة بذاتها: [وللحريري في مقاماته قصيدة ربما أمكن أن يقال عنها إنها كانت محاولة للنظم على هذا الأسلوب في الشعر العربي (١) :

يا خاطب الدنيا الدنية . . . إنها شرك الردى . . . وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحك . . . في يومها أبكت غداً . . . يا لؤمها من دار
[الخ

ويجب ملاحظة أن معنى القصيدة وكذلك قافيتها تتوافران بغير الزيادة ، وإنه ليس من الضروري أن تبني القصائد المركبة أو المستزادة على منظومة أخرى سابقة ، فلقد أنشئت بعض القصائد أساساً في ضرب أو آخر من هذه الضروب .

أقسام الشعر بحسب موضوعاته :

بالإضافة إلى التقسيم السابق الذى تناول الشعر بحسب ضروبه هنالك تقسيم آخر يتناوله بحسب موضوعه . ويتصل هذا التقسيم بالقصيدة أكثر مما يتصل بغيرها من ضروب النظم المختلفة التى رأيناها ، وربما انطبق أيضاً على القطعة و « المثوية » . وعلى ذلك يمكن تقسيم القصيدة بحسب موضوعها إلى الأقسام الآتية :

- (١) مديحه — إذا قصد منها المدح . . .
- (ب) هجويه — إذا قصد منها الهجاء . . .
- (ج) مرثيه — إذا قصد منها الرثاء . . .
- (د) حكيه — إذا قصد منها الفلسفة والحكمة والتصوف . . .
- (هـ) ربيعيه — إذا قصد بها وصف الربيع . . .
- (و) شتائية — إذا قصد بها وصف الشتاء . . .
- (ز) خزانيه — إذا قصد بها وصف الخريف . . .

(١) للترجم : أورد المؤلف مثلاً للمستزاد بالإنجليزية ترجمة للقصيدة السابقة ولكننا وجدنا من الخبر للقارىء العربى ان نستشهد بالمثل الذى اوردناه .

(ح) مناظره — إذا قصد منها المناظرة كمنظرات « أسدى » بين « الليل والنهار » أو بين « الرمح والقوس » أو بين « المجوسى والسلم » أو بين « الأرض والسماء » .

(ط) السؤال والجواب — إذا نظمت القصيدة على طريق محادثة بصورة السؤال والجواب .

وقد يتبع الشاعر طريقه « السؤال والجواب » فى الغزليات ، كما قد يتبع طرقاً أخرى ربما كان أهمها « التلميح » . . . والشعر الملمع عبارة عن المنظومة التى تصاغ بعض أبياتها أو مصاريعها بالعربية وبعضها الآخر بالفارسية أو أية لهجة أخرى من اللهجات الإيرانية .

ولدينا نوع آخر من المنظومات يعرف باسم « التهلويات » أنشأه الشعراء فى لهجة من اللهجات الإيرانية الخاصة واستمروا يستعملونه حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم قل استعمالهم له بعد ذلك .

يبقى بعد ذلك أنواع أخرى من الشعر أهمها :

(ا) الموشح^(١) (ب) الغز

(ج) المعنى (د) النظرية : وهى المنظومة التى يصوغها الشاعر قياساً

على قصيدة أخرى أو تقليداً لها .

(هـ) التضمين : وهو أن يضمن الشاعر فى منظومته قصيدة أخرى ليست من شعره .

والمثل الوحيد الذى أذكره لهذا النوع الأخير فى اللغة الإنجليزية منحصر فى

القصيدة التى كتبها « لويس كارول Lewis Carroll » فى كتابه Phantasmagoria

الذى أعيد نشره بعنوان Rhyme and Reason فقد ضمن فيها أبيات القصيدة

الشهيرة التى مطلعها « I never loved a dear gazelle »

وإليك الأبيات الأولى من قصيدته :

(١) الموشح العربى الذى كثر استعماله لدى أهل الأندلس والقرب يشبه السمطات

الفارسية ولكنه يختلف عن الموشح الفارسى .

المترجم : انظر تعريف التوشيح لدى الفرس فى ترجمتى العربية لمذائق السحر ص ١٦٠ .

I never loved a dear gazelle,
Nor anything that cost me much :
High prices profit those who sell,
But why should I be fond of such .. ?

الشعر الخليط :

ويجب أن نفي الإشارة إلى «الشعر الخليط macaronic verse» وهو الذي يستعمل فيه الشاعر ألفاظاً فارسية ويعاملها معاملة الألفاظ العربية^(١)، وأمثلة هذا الشعر موجودة في أشعار الشيخ «نعدي» ولكن خير مثل لها موجود في كتاب ابن أسفنديار المسمى «تاريخ طبرستان» (مؤلف حوالي سنة ١٢١٦ م = ٦١٣ هـ) فيه قصيدة طويلة مكونة من أربعة وسبعين بيتاً من هذا النوع من الشعر كتبها القاضي «هشام» في هجاء واحد من معاصريه . وقد أعدت نشر هذه القصيدة في ص ٨١ - ٨٥ من ترجمتي الإنجليزية المختصرة لكتاب تاريخ طبرستان التي نشرتها في سنة ١٩٠٥ في «سلسلة جب التذكارية» .

ومطلع هذه القصيدة كما يلي :

أى بفرهنك وعلم دارا ءُ ليس مارا بجز تو همتاءُ
منم وتو كه لا حيا لنا هزل را كرده ايم أحياءُ
وخير أمثلة للشعر الخليط في اللغات الأوروبية منحصر في مثلين :

الأول : القصيدة التي عنوانها *Macaronicorum Poema* التي نشرها في سنة ١٥٢٩ م الشاعر «مرلينوس كوكايوس : Merlinus Coccaius» .

الثاني : القصيدة التي عنوانها *Polemō - Meddīnia* وهي من نظم «وليم درموند William Drummond» ونشرت في أكسفورد في أكتوبر سنة ١٦٩١ م^(٢) .

وهناك مصطلحات أخرى يستعملونها في تسمية الأشعار بالنظر إلى موضوعها

(١) المترجم : ضرب المؤلف هنا مثلين في الإنجليزية عوملت فيها بعض الألفاظ الإنجليزية معاملة الألفاظ اللاتينية ولم نر وجهاً لذكرها .

(٢) المترجم : أورد المؤلف نبذة من القصيدة الأخيرة لم نر حاجة إلى إيرادها بنصها .

فهناك « الكفريات » وهى القصائد التى تتعلق بالإلحاد والمروق من الدين ، وهناك « المحرّيات » وهى التى تتعلق بالخمير ومجالس الشراب . . . وهناك أنواع أخرى كثيرة لا نجد أنفسنا فى حاجة إلى تعدادها لأنه لا يمكن ذكرها على وجه التحديد ولأنه لا خفاء فى معرفة موضوعها من التسميات التى أعطيت لها .

وفى عدا ما ذكرناه ، هناك جملة كبيرة من الصناعات البلاغية التى يستعملها كتاب النثر المنمق والشعر المصنوع ؛ ومن الواجب على كل من يريد أن يدرك طبيعة الكتابات الأدبية فى الفارسية أو العربية أو التركية أن يلم بها ولو إلمامة بسيطة حتى يتذوق هذه الكتابات ويستسيغها . وكثير من هذه الصناعات لا تعرف فى الإنجليزية الآن ولكن جماعة من كتاب القرن السادس عشر كانوا يستعملونها بكثرة ويهتمون بها اهتماماً كبيراً ، ومن أحسن أمثلتها ما كتبه « جورج پتتهام : George Puttenham » عن « فن الشعر الإنجليزى » *Arte of English Poecie* ونشره فى سنة ١٥٨٩ م ثم أعيد طبعه فى سنة ١٨٦٩ وأغلب أنواع « التجنيس » يمكن الاطلاع على شواهداها فى كتابات « توم هود Tom Hood » وفى *Ingoldsby Legends* وما شابه ذلك من الكتب .

قصيدة قوامى الكنجوى:

وفى الفارسية قصيدة مصنعة تضم أهم أنواع الصناعات البلاغية التى استعملها البلاغيون والشعراء (١) . وهذه القصيدة من إنشاء الشاعر « قوامى الكنجوى » شقيق الشاعر المشهور « نظامى الكنجوى » (٢) وهو من رجال القرن الثانى عشر الميلادى (أى السادس الهجرى) وقد ضمنها مائة بيت مذكورة برمتها فى الجزء الأول من كتاب « ضياء پاشا » المعروف باسم « خرابات » ص ١٩٨ - ٢٠١ وفى بلى نص هذه القصيدة أورده بيتاً بيتاً مع ترجمة مشورة له وشرح يبين كنه الصناعة البلاغية التى تقصد به .

(١) المترجم : تعرف هذه القصيدة فى الكتب الفارسية باسم « بدايع الأسعار فى صنایع الأشعار » .

(٢) المترجم : هذا هو القول المشهور ولكن هناك من يشك فى صحة هذا النسب .

١ — أى فلك را هوى قدر تو بار . وى ملك را ثناى صدر تو كار
ومعناه : يا من يكون هوى قدرك هو الحمل العسير للفلك .

ويا من يكون الثناء على فضلك هو الشغل للملك

فهذا البيت يتضمن صنعتين معروفتين إحداهما تعرف بـ « حسن المطلع » وتكون كما يقول « جلادوين » بأن يجتهد الشاعر في أن يجعل أول بيت من منظومته مطبوعاً بحيث ترتاح الأذان لسماعه وتنشط الطباع لإدراكه ؛ وأما الصنعة الأخرى فهي « الترصيع » ومعناه اللغوى وضع الجواهر في الذهب ومعناه البلاغى أن يقسم الكاتب أو الشاعر عبارته إلى أقسام منفصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحرف الروى وفيما يلي مثال بالإنجليزية له :

O Love who liest on my breast so light,
O dove who fliest to thy nest at night !

ومثال باللاتينية هو كما يلي (١) :

Quos anguis tristi diro cum vulnere stravit
Hos sanguis Christi miro tum munere lavit

[والترصيع في البيت الفارسى ظاهر في الألفاظ المتفقة في الوزن والروى وهى « فلك » و « ملك » و « هوى » و « ثناى » و « قدر » و « صدر » و « بار » و « كار » .]

٢ — تير چرخت ز مهر ديدنه سپر تير چرخت ز مهر ديدنه سپار

معناه : إن سهم قوسك يرمى في السماء درعا

ونجم المشتري جافيك يثبت عينه عليك

في هذا البيت أيضاً صنعتان هما « الترصيع » الذى سبق لنا ذكره وكذلك « التجنيس » . والتجنيس على سبعة أقسام كلها ممثلة في هذا البيت والأبيات الستة التالية . أما الألفاظ التى تمثل النوع الأول من الجناس أو التجنيس التام في هذا البيت فهي متشابهة من حيث الهجاء والنقط والنطق . فكلمة « تير » تكون بمعنى كوكب المشتري كما تكون أيضاً بمعنى « السهم » وكذلك كلمة « چرخ » تكون بمعنى

(١) أنظر ص ١٠١ من كتاب: Morgan's 'Macaronic Poetry', New York 1872

الفلك كما تكون بمعنى « القوس » وكذلك كلمة « مهر » تكون بمعنى الشمس كما تكون بمعنى الحب وكذلك كلمة « ديدنه » تكون بمعنى « رأى » أو تكون بمعنى « العين » وكذلك كلمة « سپر » تكون بمعنى الدرع أو تكون « سپار » وهي المادة الأصلية من المصدر « سپردن » بمعنى أن يودع وكلمة « ديدنه سپار » في نهاية البيت صفة مركبة بمعنى يودع العين أو « يثبت البصر ».

٣ - جود را برده از ميانه ميان بخل را داده از كناره كنار
ومعناه : ولقد احتضنت الجود ، فأخذته من وسط الجميع
وطرحت البخل جانبا ، فانتحى إلى ناحية

والتجنيس الذى يثله هذا البيت هو من النوع الثالث الذى يعرف باسم « التجنيس الزائد » وله مثل آخر فى البيت الخامس وقد سمي كذلك لأن الكلمتين تجانسان فى الحروف والحركات ولكن إحداها تنتهى بحرف زائد كما نجد فى « ميان » و « ميانه » وفى « كنار » و « كناره (١) » .

٤ - ساعد ملك ورخش دولت را تو سوارى وهمت تو سوار
ومعناه : وعلى ساعد الملك ، وعلى جواد الحظ والإقبال (٢)
أنت السوار ، وهمتك هى الراكب الفارس (السوارى)

فى هذا البيت مثل للنوع الثانى من التجنيس وهو « التجنيس الناقص » حيث تتفق الحروف فى الكلمات المتشابهة ولكنها تختلف فى الحركات (٣) .

[شاهده كلمة « سوار » بكسر السين تكون بمعنى ما يلبس على العظم . وأما كلمة « سوار » بفتح السين فمعناها الراكب أو الفارس] :

٥ - پست با رفعت تو خانه خان تنگ با فسحت تو شارع شار
ومعناه : وبالقياص إلى رفعتك يكون قصر « الحان » حقيرا

(٢) المترجم : أورد المؤلف مثلا بالإنجليزية للتجنيس الزائد لم تر حاجة إلى إيراده .

(٣) المترجم : ترجمنا كلمة « رخس » بمعنى جواد لأن جواد رشم البطل الإيراني عرف

بوجه النسبة .

(٤) المترجم : أورد المؤلف مثلا بالإنجليزية للتجنيس الناقص لم ترداعيا لإيراده .

وبالتياس إلى فسحتك يكون شارع « الشار » ضيقاً صغيراً^(١)
في هذا البيت نجد مثلاً للنوع الثالث من التجنيس وهو التجنيس الزائد الذي
سبق لنا الحديث عنه .

٦ — بي وفاى تو مهرجان ناچيز با وفاى تو مهرجان چو بهار
ومعناه : وبغير الوفاء لك لا يكون حبي لروحي شيئاً مذكورا
وبوفاى. لك يسدو لى الحريف ريعا نضيرا

في هذا البيت مثل للتجنيس « المركب » يوجد في كلمة « مهرجان » الأولى
بمعنى « حب الروح » وكلمة « مهرجان » الثانية بمعنى عيد الحريف^(٢) .

٧ — صبح بدخواه ز احتشام تو شام گل بد گوى ز افتخار تو خار
ومعناه : وبجسمتك يصير صباح من يتعنى السوء لك . . . ليلا
وبفخارك يصير ورد الذي يتحدث بالسوء عنك . . . شوکا

في هذا البيت مثل للتجنيس « المكرر » [حيث يجعل الكاتب أو الشاعر في
نهاية الأسجاع أو أواخر المضارع لفظين متجانسين متالين ويجوز أن يكون في
صدر اللفظ الأول منهما زيادة] مثلما نجد هنا في توالى اللفظتين « احتشام »
و « شام » وكذلك في اللفظتين « افتخار » و « خار^(٣) » .

٨ — عدلت آفاق شسته از آفات طبعت آزاد بوده از آزار

ومعناه : ولقد طهر عدلك الآفاق من الآفات
وتحرر طبعك من عناصر الأذى والإساءات

فهنا مثل للتجنيس « الطرف » موجودة في كلمتي « آفاق » و « آفات » وفي
كلمتي « آزار » و « آزاد » فالكلمتان متجانسان في جميع حروفهما ما عدا الحرف
الأخير منهما^(٤) .

(١) الخان أمي الملك « والشار » لقب كان يتلقب به حكام ولاية غرجستان بالقرب من النور.
(٢) المترجم : هنا أيضاً يورد المؤلف مثلاً للتجنيس المركب ولم ترد دعماً ليراذه لأنه بالإنجليزية
(٣) المترجم : « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « » « »
(٤) المترجم : حذفنا المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذا النوع .

٩ - از تو بیار ظلم را دارو و ز تو أعدای ملک را تبار
ومعناه : وبك يكون الشفاء لمن أصابه الظلم

وبك يكون الكفاء لأعداء الملك والدولة

والتجنيس هنا هو من نوع « تجنيس الخط » فكلمة « تبار » تشابه في الكتابة
كلمة « تبار » ولا تختلف عنها إلا من حيث الأبحام أى النقط .

١٠ - جز غبار نبرد تو نبرد ديدة عقل سرمه ديدار

ومعناه : ولن تكبجل عين العقل إلا بغبار حروبك وستجعل منه الكحل لبصيرتها
فهنا مثل الاستعارة في قوله « ديدة عقل » أى عين العقل بمعنى العقل البصير
أو المدرك للأشياء كأنه يراها .

١١ - در گل شرم یافت بی گل تو شانه چرخ ماه آینه دار

ولست أعرف معنى لهذا البيت وربما كان نضه مضطربا ولكن الشاعر يتمثل
به للصنعة المعروفة بـ « مراعاة النظير » أو « التناصب » وتكون بأن يجمع الشاعر
في بيت من أبياته جملة أشياء من جنس واحد كالشمس والقمر ، والسهم والقوس ،
والشفة والعين ، والوردة وزهرة اللعل (١) .

[ومراعاة النظير هنا واضحة في ذكر أشياء متشابهة مثل « چرخ » و « ماه »
وشانه وآينه] .

١٢ - آن کند کوشش تو با أعدا که کند بخشش تو بادینار

ومعناه : وسعيك يفعل بالأعداء والخصوم

ما يفعله جودك بالدنانير والدرهم .

فهنا مثل « للدح الوجه » فالشاعر يريد أن يتمدح شجاعة ممدوحه في مواقع
القتال والنزال فيقول له إن شجاعتك تودى بأرواح الأعداء كما يذهب جودك
بالدرهم والدنانير .

(١) المترجم : حذف المثل الإنجليزي الذى أورده المؤلف لهذه الصنعة .

١٣ — باهواى تو كفر باشد دين بى رضای تو نخر باشد عار
 هذا البيت يمثل لنا « المحتمل للوجهين » أى ما يمكن تفسيره على معنيين
 متضادين . ولما كان معنى هذا البيت يتوقف على تحديد الفاعل والمفعول فإنه يمكن
 ترجمته بإحدى هاتين الترجمتين :

- (أ) وبهواك يكون الكفر ديناً ، وبغير رضاك يكون الفخر عاراً
 (ب) وبهواك يكون الدين كفرةً ، وبغير رضاك يكون العار نخرأ

ويرى « پتنهام Puttenham » فى كتابه « فن الشعر الإنجليزى » ص ٢٦٦
 أن هذه الصفة تعتبر من عيوب الأسلوب إلا إذا كانت متممة كما يفعل الترقون
 عادة عند ما يريدون المدح ظاهراً ويقصدون فى الحقيقة القدح والهجاء . ولقد ذكر
 مورير Morier فى كتابه « حاجى بابا » حديثاً ورد على لسان الشاعر « عسكر »
 قال فيه « فكتبت قصيدة جعلتها على وجهين انتقمت فيها لنفسى مما لاقيته من صاحب
 الخزانة من سوء معاملة وكذلك حرصت على أن تكون على ظاهرها مبدية لمخاضه
 ومفاخره فكانت برمتها من ذات المعنيين ، ولقد اعتقد لجهله أننى قصدت المدح بينما
 أنا فى الحقيقة لم أقصد إلا القدح ، وظن أننى أعنى بالكلمات العربية الفخمة كثيراً من
 الحمد والثناء ، بينما هى فى نفسها لا تشتمل إلا على أشد عبارات الفحش والهجاء ،
 ولقد أخفيت المعانى التى أردتها بحيث لم يكن أحد يستطيع الوصول إليها بغير
 مساعدتى له بالشرح والبيان . . . »

ولقد روى « رشيد الدين الطواط » فى كتابه « حقائق السحر » حكاية عن
 أحد الظرفاء من أهل الفضل قال لحائك ثياب اسمه « عمرو » كانت له عين واحدة :
 « لو أنك استطعت أن تحيك لى ثوباً بحيث لا يقدر أحد أن يتبين إن كان قباء
 أوجبةً فإننى سأقول فىك بيتاً لا يستطيع أحد أن يتبين منه إن كان مدحاً أو هجاء . »
 فإلك له « عمرو » هذا الثوب ، وقال الشاعر فى هذا البيت :

خاط لى عمرو قبا لى عينه سوا

فى هذا البيت تمنى الشاعر لو كانت عيناً عمرو سواً وليس يعلم أحد أريدها

سواء في الأبصار أم في عدم الإبصار . . . لأن الشطره الأخيرة تحتل المعنيين (١) .

١٤ — هست رايت زمانه را عادل ليك نستت خزانه را غدار

ومعناه : ورأيتك هو الحكم العادل للزمان ،

لكن يدك غدارة بالخزانه ليس لها أمان .

هذا البيت يمثل لنا الصنعة المعروفة بـ « تأكيد المدح بما يشبه الذم » لأن الصراع الثاني يفيد تأكيداً للمدح الذي ذكر في الصراع الأول وما غدر يده بالخزان إلا دليلاً جديداً على كرمه وسخائه وعدله .

١٥ — فلك افزون ز تو ندارد كس اي فلك نيك كير ونيكش دار

ومعناه : والفلك لا يرفع أحداً أكثر من رفعتك

فتمسك به أيها الفلك . . . واحفظه في هناء

هذا البيت يمثل لنا صنعة « الالتفات » وهي عبارة عن انتقال الخطاب من شخص إلى آخر ، وتكون بانتقال العبارة من المخاطبة إلى المغاية أو من المغاية إلى المخاطبة . وقد ذكر جلاويين أمثلة كل نوع في كتابه « البلاغة لدى الفرس » ص ٥٦-٥٨ (٢) .

١٦ — بخت سوي درت خزان آيد راست چون بت پرست سوي بهار

ومعناه : والحظ يزحف إلى بابك .

كما يفعل عابد الأصنام نحو معبد بهار

هذا البيت يتضمن الصنعة المعروفة بـ « الإيهام » وتكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في ثره أو نظمه ألفاظاً يكون لها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ، فإذا سمعها السامع انصرف خاطره إلى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى البعيد أو الغريب .

(١) المترجم : حذف المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذه الصنعة .

(٢) المترجم : هذه الأمثلة موجودة في كتاب « حقائق الشعر » لرشيد الدين الطوطا ويمكن الإطلاع عليها في الأصل الفارسي أو في الترجمة العربية التي نشرتها في سنة ١٩٤٥ لهذا الكتاب .

والإيهام هنا موجود في كلمة «خزان» فعناها القريب هو «الحريف» ومعناها البعيد هو «زاحف» وكذلك في كلمة «بهار» فعناها القريب هو «الريح» ومعناها البعيد عبارة عن معبد من معابد الأصنام في آسيا الوسطى انتسبت إليه أسرة البرامكة الشهورة .

وقارىء هذا البيت ينصرف ذهنه لأول وهلة إلى المعنى القريب لهاتين الكلمتين ولكن الشاعر في الحقيقة لم يقصد إلا المعنى الآخر البعيد (١) .

والآيات الثمانية التالية أوردتها جملة لأن كل واحد منها شاهد على نوع من أنواع «التشبهات» المختلفة التي تبلغ ثمانية أنواع ، هي الآتية بحسب ترتيب الآيات :

- | | | |
|---------------------|--------------------|-------------------|
| (١) التشبيه المطلق | (ب) تشبيه التفضيل | (ج) تشبيه التأكيد |
| (د) التشبيه المشروط | (هـ) تشبيه الإضمار | (و) تشبيه التسوية |
| (ز) تشبيه الكناية | (ح) تشبيه العكس | |

ولسنا في حاجة إلى بيان كل نوع من هذه الأنواع فإن تسمياتها تكفي لإيضاح مدلولاتها . وفيما يلي الآيات الثمانية التي تمثلها :

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| ١٧ - تیغ تو همچو آفتاب بنور | سیر دارد زمانه را ز نگار |
| ١٨ - چرخ وماهی نه نیستی تواز آنک | نیست این هر دورا قوام وقرار |
| ١٩ - بلکه از تست چرخ را تمکین | بلکه از تست ماه را اظهار |
| ٢٠ - ماهی ار ماه ناورد کاهش | چرخى ار چرخ نشکند زنهار |
| ٢١ - گرتو چرخى عدو چراست نگون | ورتو ماهی عدو چراست زار |
| ٢٢ - جای خصمت چو جای تست رفیع | آن تو تحت وان خصمت دار |
| ٢٣ - چون تودر روز شب کنی پیدا | چون تواز خار گلی کنی دیدار |
| ٢٤ - شام گردد چو صبح سرخ لباس | صبح گردد چو شام تیره شعار |
- ومعنى هذه الآيات :

— وسيفك كالشمس المنيرة يجعل ازمان مليتاً بالجمال والبراء .

(١) المترجم : حذف هنا مثالين بالإنجليزية أوردهما المؤلف لتمثيل على هذه الصنعة في لغته .

— وأنت الفلك والقمر ، لا بل لست كذلك ، لأن كلاهما لا قوام له ولا قرار .
 — بل الفلك يستمد تمكينه منك وكذلك القمر يستمد بهاءه من طلعتك .
 — وأنت القمر لو استطاع القمر ألا يصيبه نقصان ، وأنت الفلك لو استطاع :
 الفلك ألا يكسر وعده .

— وإذا كنت الفلك فلماذا عدوك هو القلوب ، وإذا كنت القمر فلماذا عدوك
 هو الهزبل الآخذ في النقصان .

— ومكان عدوك رفيع مكانك ، ولكن مكانك هو العرش ، ومكانه هو المشنقة .
 — وعندما تجعل النهار يبدو كالليل ، وعندما تجعل الورد يبدو من الأشواك (١) .
 — يصبح المساء كأنه الصبح قد احمر لباسه ، ويعنى الصباح كأنه المساء
 قد أظلم شعاره .

والصنعة التالية تعرف بـ « سياقة الأعداد » وفيها يسوق الكاتب أو الشاعر
 عدداً من الأسماء المفردة على نسق واحد بحيث يكون كل واحد منها له معنى قائم
 بذاته ويكون كذلك تعليلاً لشيء آخر كما يبدو من البيت الآتي :

٢٥ — دست برد است گاه عرض هنر بسخا و وفا وعدل ويسار
 ومعناه : وقد فاز في وقت عرض الفضل
 بالسخاء والوفاء والعدل واليسار

٢٦ — نورت از مهر ، لطفت از ناهید برت از ابر ، جودت از کوهسار
 معناه : ونورك من نور الشمس ولطفك من لطف « الزهرة »
 وبرك من بر السحاب وجودك من فيض الجبال
 هذا البيت فيه تمثيل لصنعة « تنسيق الصفات » عندما يذكر الشاعر شيئاً بجملة
 أسماء أو جملة صفات متوالية دون أن يراعى فيها الترتيب أو التنظيم .

(١) جعل النهار يبدو كالليل كناية عن الظلام الذي يصيب النهار ؛ بب ما يرتفع في المعركة
 من غبار قائم يجذب ضياء الشمس ، وجعل الورد يبدو من الأشواك كناية عن أهدار دم
 الأعداء بأطراف الرماح والسيوف .

والآيات الثلاثة التالية تمثل لنا صناعة « الحشو » التي تكون بإضافة كلمات لا يستلزمها المعنى؛ والحشو أما « قبيح » إذا كان اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده؛ وإما « مليح » إذا حسن به الكلام وازداد رونقه؛ وإما « متوسط » إذا تساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان .

٢٧ - الحشو القبيح :

قهرت ار مجتهد شود ببرد آسمان را بسخره ويگار

٢٨ - الحشو المتوسط :

ليك لطف تو اي همايون راى بلطف دُر بر آورد ز بحار

٢٩ - الحشو المليح :

باغ عميرت كه تازه باد مدام چشم بد دورروضه ايست يار
ومعنى هذه الآيات :

- وقهرتك إذا سعى ، فإنه يحمل السماء على أن تكون مسخرة لك وخاضعة .

- ولكن لطفك - يا صاحب الرأي الملكي - يستطيع أن يجلب الدرر من البحار .

- وبستان عمرك ، وإنى أدعو لك بالضرورة على الدوام ، هو روضة مشجرة ، أدعو الله ان يعيد عنها عين السود .

والبيت التالي يمثل الصنعة المعروفة بـ « الاشتقاق » أو على الأصح « شبه الاشتقاق » وهي في الحقيقة نوع من « التجنيس » تبدو فيه الألفاظ كأنها مشتقة من أصل واحد ولكنها في الحقيقة ليست كذلك :

٣٠ - روزكوشش چوزيران آرى آن قدر پيكر قضا يگار

ومعناه :

وفي يوم الجهاد عندما تركب جوادك

فلك صورة القدر وتصميم القضاء

هنا نجد أن كلمة « بيكر » وكلمة « بيكار » تبدوان كأنهما من أصل واحد ولكنهما ليستا في الحقيقة كذلك ، والأولى بمعنى « صورة » والثانية بمعنى « عزم » أو « تصميم (١) » .

والآيات الثلاثة التالية تمثل لنا أنواع « السجع » التي تسمى على التوالي :

- (أ) السجع التوازي : حيث تتفق الكلمات في الوزن وعدد الحروف والروى .
 (ب) السجع اللطرف : حيث تتفق الكلمات في الروى دون الوزن وعدد الحروف .
 (ج) السجع المتوازن : حيث تتفق الكلمات في الوزن دون الروى .

٣١ - السجع التوازي :

در سجودت نوان شونده ز پیش بر وجودت روان کتند تثار

٣٢ - السجع المتوازن :

سر کشان جهان حادثه ور اختران سپهر آینه دار

٣٣ - السجع اللطرف :

آردت فتح در مکان امکان دهدت کوه بفرار قرار

ومعنى هذه الآيات :

— وفي السجود لك يأتون أمامك في ذلة وخضوع

وعلى وجودك ينثرون الأرواح والأنفس .

— المتفطرسون في هذا العالم المليء بالحادثات

ونجوم هذا الفلك المسك بالمرآة .

— والفتح يجلب لك الإمكان في كل مكان .

وعزمك الشبيه بالجليل يمطيك القرار والثبات لا القرار .

والآيات الأربعة التالية تمثل لنا أنواع « المقلوبات » الأربعة وهي :

- (١) مقلوب الكل : حيث تكون الكلمة مقلوقة الحروف لكلمة أخرى كما نجد في « كرم » و « مركك » .

(١) الترجمة : حذفنا الأمثلة الإنجليزية التي أوردتها المؤلف للاشتقاق .

(ب) مقلوب البعض : حيث يكون في الكلمتين تقديم وتأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الحروف كلها على التوالي كما نجد في « رشك » و « شكر » .

(ج) المقلوب المجنح : وهو عبارة عن « مقلوب الكل » ولكن الشاعر يضع إحدى الكلمتين في أول البيت والثانية في آخره .

(د) المقلوب المستوي : ويكون بأن تستطيع أن تقرأ جملة مشورة مركبة من بضعة ألفاظ ، أو مصراعاً من الشعر ، أو بيتاً كاملاً منه ، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد في هذه الثلاثة متفق الأصل مع مقلوبه . وهذا النوع هو أصعب أنواع المقلوب ولكنه أكملها وأجملها .

٣٤ — مقلوب البعض :

رشك قدرت برد سپهر ونبجوم شكر فتحت كند بلاد وديار

٣٥ — مقلوب الكل :

كرم دارد زتاب دل بيكان مرگت بارد بنخم بر سوفار

٣٦ — المقلوب المجنح :

گنج نصرت دهد گزارش جنك راي دولت زند حمايت يار

٣٧ — المقلوب المستوي :

رامش مرد گنج باري وقوت توقوى را بجنك در مشار

ومعنى هذه الأبيات :

— إن الفلك والنجوم لتجبدك على قدرك

وإن البلاد والديار لتشكرك على فتحك .

— وإنه ليشخذ طرف الرمح ويجلوه من نار القلوب .

فيحظر سهمه الموت على خصمه وعدوه .

— وطريقة إنفاذه للحرب تجلب له كنوز النصر

وحمايته للأصدقاء تمهد له سبيل الملك .

— وراحة الإنسان في جمع الكنز والقوت
فلا تعتبر القوى قويا في الحرب والقتال .

والآيات الثمانية التالية تمثل الأنواع المختلفة من « رد العجز على الصدر » وهي
صنعة غير مستفيضة كما يدل عليها اسمها وتقتصر (كما يقول جلاويين) على ذكر كلمة
بعينها في أي جزء من شطرى البيت (١) :

- ٣٨ — كار عدل تو ملك داشتن است عدل را خود جزاین نباشد كار
٣٩ — به يسار تو جود خورد يمین شد يمین زمانه بر تو يسار
٤٠ — خصم تيار دولت تو كشد خصم نيكو تراست در تيار
٤١ — در مقامی كه بار زر بخنی ريزش ابر را نباشد بار
٤٢ — می گذاری برمح وام عدو كس نديد است رمح وام گذار
٤٣ — چرخ از آزار تو نیازدرد بندگان را بجا كنيد آزار
٤٤ — نارد از خدمت تو بیرون سر ورچه بشكافیش به نرزه چومار
٤٥ — دشمنان را بدآوری وخلاف با تقاضای كنيد دوار
٤٦ — قهر وكینت به باد داده چو خاك لطف وقهرت بآب گشته چو نار

ومعنى هذه الآيات :

- وعدك مشغول بامتلاك الملك ، ولا شغل للعدل إلا في هذا الأمر .
— والجود يقسم يمينا صادقة على يسارك ، ويمين الزمان أصبحت يسارك .
— والخصم دائم العناء بسبب دولتك ، ومن الخير أن يبقى الخصم في عناء .
— وعندما تهب أحوال الذهب والمطايا ،
لا يبقى للسحاب مجال لأن يسقط غيظه وأمطاره .

(١) المترجم : يذكر المؤلف أن هذه الصنعة قريبة بما يسمى في الشعر الإنجليزي باسم
Epanalepsis أو Echo sound أو باسم Epizeuxis أو Cuckoo—spell أو باسم
Ploche أو the doubler وقد حذف الأمثلة اللاتينية والإنجليزية التي وردت في الأصل .

— وبرحك ، تستطيع ان تسدد الدين للعدو ،

ولم ير أحد من قبل أن الرمح يقوم بسداد الديون .

— والفلك لا يتأذى بما تفعله فيه من ضرر ؛

وكيف يعقل أنك تؤذي خدمك وأتباعك . . . ؟

— ولن يحاول ان يخرج برأسه عن خدمتك ؛

ولو شققته برحك كما تشق الأفعى . . . !

— ولقد أودى القهر بأعدائك بما هم فيه من خوف وخلاف ،

قضت بهما أحكام هذه القبة الدائرة .

— وقد أسلم قهرك وغضبك أعداءك للرياح ، فأصبحوا كالتراب ؛

وقتلهم ماء لطفك وقهرك ، كما تفعل الماء بالنار .

والبيت الأخير وكذلك البيت التالي يمثلان ما يعرف « بالمتضاد » حيث يذكر

الشاعر في البيت الواحد ألفاظا يكون الواحد منها مضاداً للآخر كما فعل عند ذكر

العناصر الأربعة في آخر الأبيات التي ذكرناها فيما سبق .

والبيتان التاليان يمثلان صنعة « الإعنت » حيث يتكلف الشاعر شيئاً لا لزوم

له ليزين به كلامه ، كأن يلتزم في آخر الأبيات حرفاً قبل حرف الروى تستقيم القافية

بدونه ، أو كأن يلتزم بتكرار كلمة أو أكثر في جميع الأبيات (١) .

٤٧ — اى نيكوخواه دولت تو عزيز واى بدانديش روزگار تو خوار

٤٨ — هرکه زنهار خوار عهد تو نشد بسپارش بعالم خو و خوار

ومعنى هذين البيتين :

— فيا من . . . يصبح مزيد الخير لدولتك . . . عزيزا ،

ويا من . . . يصبح مرید السوء لإيامك . . . حقيراً .

— إن من لا يرمى عهدك وميثاقك ؛

عليك أن تسلمه لهذا العالم الغادر .

وهذه الصنعة تسمى أيضاً بـ « لزوم ما لا يلزم » وتشتد صعوبتها (خاصة في زباني

(١) المترجم : أورد المؤلف ثلاثة أمثلة بالإنجليزية لهذه الصنعة لم أر فائدة من ذكرها .

صورها الموضحة في البيتين الفارسيين السابقين) إذا أراد الشاعر أن يصطنعها في قصيدة طويلة .

والبيت التالي يمثل « المزدوج » حيث يضمن الشاعر أبياته ألفاظاً مزدوجة يراعى فيها السجع وذلك بالإضافة إلى القافية .

٤٩ — كاه ريزه به نيزه برأى چون كنى عزم رزم اينت سوار
ومعناه :

— وأنت تخطف قلامة القش بطرف رحك ،

وعندما تعزم على الحرب . . . فيالك من فارس ماهر . . . !!

والبيت التالي مثال « للتاون » حيث يقول الشاعر بيتاً من الشعر تمكن قراءته على وزنين مختلفين .

٥٠ — اى بوده قدوه وضع وشريف وى شده قبله صغار وكبار
ومعناه :

— فيا من أنت قدوة للوضع والشريف ؛

ويا من أنت قبله للصغير والكبير .

فهذا البيت يمكن وزنه كسائر أبيات القصيدة على أحد الوزنين الآتين :

(١) الخفيف المنحون المقصور

— u u		— u — u		— — u —
فعلان		مفاع لن		فاعلاتن

(ب) السريع المطوي :

— u —		— u u —		— u u —
فاعلان		مفتعلن		مفتعلن

والصنعة التالية هي التي تعرف بـ «إرسال المثل» ويلحق بها صنعة أخرى هي «إرسال الثلثين (١)» .

() الترجمة : يذكر المؤلف أن هذا شبيه بما يعرف في الإنجليزية باسم :
Proverial Commission ويذكر أن « بنهام » يقسمه إلى Parimia و Gnome
ويضرب مثلا لنوع الأخير بالإنجليزية لم نر حاجة إلى ذكره .

وقد امتاز بهذه الصنعة جملة من شعراء الفرس ربما كان أشهرهم «صائب الأصفهانی»
المتوفى سنة ۱۶۷۷ م = ۱۰۸۸ هـ وقد أصبحت أفعاله نماذج يحتذىها عدد كبير
من شعراء الأتراك؛ وكذلك امتاز بها «أبو الفضل السكري الروزی» الذي حدثنا
عنه الثعالبي في يتيمة الدهر فقال إنه^(۱) كان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية:

۵۱ - نكشد آب خصم آتش تو نشكند تاب نور مهره مار
۵۲ - گر مهی فارغ از هوای خسوف گر می ایمن از بلای خمار
ومعناها:

— وماء خصمك لا يستطيع أن يطفىء نارك ،
كما أن حجر^(۲) الأفي لا يستطيع أن يتغلب على وهج النور .
— وإذا كنت قمرًا فإنك فارغ البال لا تفكر في الحسوف ؛
وإذا كنت خمرًا . . . فإنك في أمن من بلاء الخمار .

والآيات العشرة التالية أوردها الشاعر مثالا لصنعة «اللفز»:

۵۳ - چيست آن دور وأصل او زدنيك چيست آن فرد وفعل او بسيار
۵۴ - خام او هرچه علم را پخته مستی او هرچه عقل را هشيار
۵۵ - دلشكن ليك درد دل پيوند خوش گذرليك روزگار گذار
۵۶ - ريخ او زد بي دلان راحت خوار او زد زيركان دشوار
۵۷ - چون دعا خوش عنان وبی مرکب چون قضا زهنورد وبی هنجار
۵۸ - اندهش همچو لهو راحت بخش آتش همچو آب نوشگوار
۵۹ - نره در وی شکنج موسيقي ناله در وی نوای موسيقار
۶۰ - عشق أصليست كز منازعتش عقل غمگين بود روان غمخوار
۶۱ - خاصة عشق بتي كه در غزلش مدحت شاه می كتم تكرار
۶۲ - شايد ار زان غزاله بنوشيد زين نوا اين غزل بنغمه زار

(۱) أنظر ج ۴ من يتيمة الدهر ص ۲۲ - ۲۵ .

(۲) يزعمون أن الأفي تحمل حجرا شديدا البريق والضياء ، ويعتقد ذلك أهل الشرق
والغرب على لسواء .

وتعنى هذه الأبيات :

- ما الشيء البعيد وأصله قريب . . . وما الشيء الفرد وفعله كثير . . . !
- ساذجه ينضح العلم ويزيده ، والسكر به يجعل العقل يفيق من نشوته .
- يحطم القلوب ، ولكنه شفاء لآلام القلوب ؛ بطيء المرور ، ولكن مروره بالأيام سريع .
- آلامه راحة لدى من لا قلوب لهم ، وذلته صعبة لدى المهرة الأذكياء .
- طيب كالدهاء . . لا عنان له ولا مركب ، واقع كالقضاء . . . لا دافع له ولا راد .
- غمه شبيه باللهو الذى يجلب الراحة ، وناره شبيهة بالماء الصافي يطيب لشاربه .
- ونعرتة شبيهة بالبحن الموسيقى ، ونحيه شبيهة بألحان الموسيقى .
- والعشق أصل ، يصبح العقل بمنازعته محزوناً ، وتصبح الروح بشوراته أسيفة مغنومه .
- وعلى الخصوص عشق هذه الدمية ، التى أكرر فى التعزل بها مدائح المليك .
- فإذا استمعت الغزاة (أى الشمس) وبكت حزناً ،
- لهذه النعمة التى أوردتها فى هذا الغزل الحزين . . حق لها ذلك .

والألتاز تكون غامضة فى أغلب الأحوال ومن أجل ذلك يؤسفنى أن أعترف بأننى لم أوفق إلى معرفة حل هذا اللغز السابق . ولكن هناك طائفة أخرى مذكورة مع حلولها فى كتاب « روكرت » عن الشعر الفارسى والبلاغة الفارسية (أنظر ص ٣٣٦ - ٣٣٨) .

يأتى بعد ذلك « المطلع ذواقافيتين » وهو عبارة عن مطلع توجد فى داخله قافيتان أو مطلع جديد تقفى فيه شطرته الأولى مع الثانية .

٦٣ — از دلم سوسنش ببرد قرارا بسم زركش سپرد خمار
ومعناه :

— وقد سلب سوسنها (صدرها الأبيض) الراحة من قلبى

وأودع زرجها (عينها) الخمار فى رأسى

وتلو ذلك التمثيل للصنعة المعروفة بـ « تجاهل العارف » وهى شبيهة بما يسميه

بتنهام باسم Aporia ، أو The Doubtful

٦٤ - ويحك . . . آن زكس است يا جادو يارب آن سوسن است يا كلنار .
ومعناه :

— ويحك . . . هل هذه نرجسة أم سحر مبین . . . !!
ويارب هل هذه سوسنة أم هي زهرة الرمان . . . !!

ويتلو ذلك التمثيل لصنعة « السؤال والجواب » .

٦٥ - كغتم : از جان بعشقی بيزارم كفت عاشق ز جان بود بيزار

— قلت : إني مُعنى بالحياة بسبب العشق ،
قالت : والعاشق يُعنى بالحياة عادة . . . !!

والبيت التالي مثال « للموشح » ويؤسفى أن أعترف ثانية بأننى لم أوفق
إلى حله (١) :

٦٦ - دوست ميدار مش كه يار منست دشمن آن به كه خود نباشد يار

— وإني أحبها . . . لأنها صاحبتي وصديقتي ؛
ومن الخير ألا يكون الصديق عدواً . . .

وفي البيت التالي تمثيل للشعر « الملح » وقد ذكرناه فيما سبق وقلنا إن أمثله
الإنجليزية واللاتينية كثيرة الوجود في Ingoltsby Legends (٢) .

٦٧ - سوخت در آتشم چه ميگويم أحرقتنى الهوى بغير النار

— أحرقتنى بالنار فما عساي أقول ؛

« أحرقتنى الهوى بغير النار . . . »

والآيات الخمسة التالية تمثيل للصناعات التي تتعلق بالحروف العربية من حيث
وصلها وفصلها . ومن حيث إعجمها أو إهالها . ومن أجل ذلك لا يمكن التمثيل لها
في اللغة الإنجليزية ، وأول أنواعها : هو « المقطع » حيث لا تصل الحروف ببعضها

(١) المترجم : التوشيح في الفارسية صنعة يورد بها الشاعر في أول الأبيات أو وسطها حروفاً
أو كلمات ، بحيث إذا جمعت بينها أو مع تصحيفها ، خرج لنا منها بيت أو مثل أو اسم أو لقب .

(٢) المترجم : حذف مثلين بالإنجليزية في الأصل . كان التلميح فيهما باللغة اللاتينية .

وثانيتها : هو « الموصل » حيث تتصل جميع الحروف ببعضها ولا تقبل التقطيع ؛
وثالثها : هو « المجرد » وهو ضرب من الصناعة لم أستطع الحصول على تعريفه (١)
فبالإضافة من كتب البلاغة ؛ ورابعها : هو « المرقط » أو « الرقطاء » حيث يكون
أحد الحروف منقوطة والآخر عاطلاً ؛ وخامسها : هو « الأخيف » أو « الخيفاء »
حيث تكون كلمة برمتها منقوطة تلوها كلمة أخرى عاطلة :

٦٨ -- المقطع :

زار وزردم ز درد دورى او درد دل دار زرد دارد وزار

٦٩ - الموصل :

تن عيتم نحيف كشت بغم بكل بختم نهفته كشت بخار

٧٠ - المجرد :

چهره روشنش که روز منست زیر زلفش مهیست در شب تار

٧١ - الرقطاء :

غمزه شوخ آن صنم بکشاد اشك خونم ز چشم خون آثار

٧٢ - الخيفاء :

دل شد وهم نیند ازوی مهر سر شد وهم نیجد از تن کار

ومعنى هذه الآيات :

— وأنا هزيل مصفر بسبب بعدى عنها ، والحزن على الحبيب يجعل المرء هزلاً معتلاً .

— وقد هزلت حياتى بما أصابنى من غم ، واختفت وردة حظى بين الأشواك المتكاثرة .

— ووجهها الوضاء هونهارى الواضح المنير ، وتحت ذؤابتها قرأضاء فى وسطليلها المظلم .

— وقد جعلت هذه الدمية الجميلة تفتح بغمزاتها الجسورة ، سيول الدموع من عيني الدامية .

— وذهب قلبى . . . ولم يظفر منها بآية من آيات الحب ،

وذهب عقلى . . . ولم ينثن عما هو فيه من غواية .

والبيت التالى تمثيل لصنعة « المعنى » ولست أستطيع حله أيضاً :

(١) الترجمة : ربما يقصد به صنعة « المذف » وهى التى يطرح بها الشاعر أو الكاتب حرفاً من حروف المعجم فلا يستعمله فى شعره أو نثره .

٧٣ - موج ودود دل ودو ديدنه من برد دريا وابر را مقدار

ومعناه :

— وأنواج قلبي وأدخته التصاعدة وعيناي الغارقتان في البكاء ،
قد فاقت البحار الواسعة والسحب الهامية . . .

والصنعة التالية هي « التضمين » حيث يدخل الشاعر في شعره بيتاً قاله شاعر آخر .
ويشترط في البيت المضمن أن يكون معروفاً متداولاً على الألسن وإلا وجب على الشاعر
أن يشير إشارة صريحة على تضمينه لهذا البيت خشية أن يتهم بالسرقة والاتحال (١) .

وفيما يلي مثال من « التضمين » تجاسرتُ على صياغته في أشعار فارسية من
نظمي ، وقد دعاني إلى نظمه أحد أصدقائي فقد كان يتعشق فتاة اسمها « مي : May »
وهي كلمة تنطق كما تنطق كلمة « مي » الفارسية بمعنى « الخمر » . وقد أخذت البيت
المضمن من قول « سعدى الشيرازي » في كتابه « گلستان » :

مست می ییدار گردد نيم شب مست ساقی روز محشر بامداد

ومعناه :

— إن السكران بالخمير (مي) يصحو من نشوته في منتصف الليل ،
أما السكران بالساقى فلا يصحو من نشوته إلا في صبيحة يوم الحشر .
فصفت منه تضمينا احتوى على صنعتين أخريين هما « التجنيس التام » في كلمة
« مي » وكذلك « الإغراق » وهذا هو قولي :

مست می ییدار گردد نيم شب فرمود شيخ

آن اگرچه قول شيخ است نيست جای اعتماد

من مي دائم كه هرگاه مست آن گردد کسی

سر ز مستی بر ندارد روز محشر بامداد

ومعنى هذين البيتين :

— قال الشيخ سعدى : إن السكران بالخمير (بـمى) يفيق في منتصف الليل من خماره .

() المترجم : حذف المثل الإنجليزي الوارد في الأصل

وهذا القول من أقوال « الشيخ سعدى » صحيح ولكن لا يجب تصديقه .
والاعتماد عليه .

— فإني أعرف فتاة إسمها « مى » كلما سكر بحبها شخص ،

لا يستطيع أن يرفع رأسه ويتخلص من نشوته حتى صبيحة يوم الحشر .

٧٤ — وصل خواهم ندانم أنكه بكس رايگان رخ نى نمايد يار

ومعناه :

— وأنا أريد الوصل ... فهلا علمت ، إن الحبيب لا يندى طلعت له لأحد مجاناً ...

وهنا يجب أن أعترف بحقيقة مزعجة ، وهى أنني لأعرف الجزء المضمن من هذا

البيت ، ولأمن أى الشعراء استعارة ناظم هذه القصيدة ، وربما ساعد ذلك كله على أن
أتمهم بالجهل ، ونسى النقاد اتهام الناظم بالسرقة لأنه لم يبين صراحة المكان الذى
استقى منه تضيئه .

وقبلا يلى تمثيل لصنعة « الإغراق » وهى نوع من أنواع « المبالغة » الثلاثة

التي تشتمل على :

(أ) التبليغ (المبالغة) : حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا وعملا .

(ب) الإغراق : حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا ولكنها غير محتملة عملا .

(ج) الغلو : حيث تكون المبالغة مستحيلة عقلا وعملا .

ومن أمثلة الغلو ما أورده « دولتشاه » فى صحيفة ٣٣ من « تذكرة الشعراء »

فى البيتين التاليين من قول الشاعر « غضائرى الرازى » فى مدح السلطان محمود الغزنوى :

صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان يگانه ايزد دادار بي نظير وهال

وگر نه هر دو بيخشيدى او بروز سخا اميد بنده نمائدى بايزد متعال

ومعناها :

— وكان من الصواب إن الله الفرد العادل الذى لا نظير له ولا شبيه ؛

لم يُظهر الانسان كلا العالمين (الدنيا والآخرة) .

— ولو أنه فعل ذلك ... لجاد الملك بهما جميعاً فى يوم الجود والسخاء ؛

ولم يبق للعبد بعد ذلك مطمع آخر فى رب السماء ... ١١

وأبلغ من ذلك في « الغسلو » ما قال نيل الزرندي (من بلدة زرنند) في
« بهاء الله » رئيس البائية :

خلق كويند خدائي ومن اندر غضب آيم برده برداشته مپسند بخود تنك خدائي
ومعناه :

— إن الخلق يقولون : إنك الله ، ولكنني غضب مما يقولون ... !!
فارفع الحجاب عن نفسك ، ولا ترض لنفسك بعار الألوهية^(١) ... !!
وفيما يلي البيت الذي ورد في قصيدة « قوامي » تمثيلاً للاغراق :

٧٥ — ورنمايدز بس صفا كه دراوست راز من در رخش بود ديدار
ومعناه :

— وإذا أظهرت وجهها ... فلكثرة الصفاء الذي يبدو فيها
تبدو أسرارى ظاهرة لعين الرائي ... !!

والآيات السبعة التالية أوردتها الشاعر أمثلة للصناعات التي تعرف باسم « الجمع »
و « التفريق » و « التقسيم » والآيات نفسها تكشف لنا عن الصنعة التي تشتمل عليها:
٧٦ — الجمع :

بر لبش زلف عاشق است چو من لا جرم همجو منش نيست قرار
٧٧ — التفريق :

باد صبح است بوى زلفش ني نبود باد صبح عنبر بار
٧٨ — جمع وتقسيم :

من وزاين او نگونسايم ليك او بر گل است ومن بر خار
٧٩ — جمع وتفریق :

هست خطش فراز عالم رو آن يكي ابر ، واين يكي گلزار

(١) أنظر ترجمتي « للتاريخ الجديد : New History » ص ٣٩٥ . وذكرا أنني
سمعت أن هذا البيت قاله أصلاً أحد غلاة الشيعة في الحسين بن علي رضي الله عنه .

٨٠ - تقسيم وتفريق :

غم دو چیز مرا دو چیز سپرد دیده را آب ، وسینه را زنگار
٨١ و ٨٢ - جمع وتفريق وتقسيم :

همچو چشم توانگر است لبش آن باشك ، واین بلولوی شهوار
آب آن تیره ، آب این روشن آن این گریه ، وآن او گفتار

ومعنى هذه الآيات :

- وطرحتها عاشقة لشقتها ، كما انا عاشق لها

ومن أجل ذلك فهمى مثلى ، لا تعرف الهدوء ولا الاستقرار

- ورأحة طرتها شبيهة بنسيم الصباح ،

غير أن نسيم الصباح لا يكون محملاً بالعنبر والعبير...!!

- وأنا وطرحتها مقلوبان رأساً على عقب ، ولكن طرتها انقلبت على الورد (أى

الحدود) وأما أنا فقد انقلبت على الأشواك (أى الأحران) .

- وقد علا الشعر فوق وجهها ، فكان كالسحاب ، وكان وجهها كروضة الورد

- ولقد حزنت على شيئين ، فأعطاني الحزن عليهما شيئين

ففاضت عيني بالماء ، وامتلاً صدرى بصدأ الأحران . . . !

- وأصبحت شقتها غنية مثل عيني ؛

فامتلات عيني بالدموع ، كما امتلاً نعرها بالآلىء والدرر الغالية

- واسود ماء عيني ، وصفا بالضياء ماء شقتها

فكان البكاء من نصيب عيني ، وكان الحديث الحلو من نصيب نعرها ...

والآيات الأربعة التالية تمثیل للصنعة التي تعرف بـ « التفسير » وهي تقسم

إلى قسمين :

(أ) تفسير الجلى .

(ب) تفسير الخفى .

والنوع الثانى من هذين النوعين ممثل فى البيتين التاليين :

٨٣- جگر و جان و چشم و چهر منست در غم عشق آن بت فرخار
٨٤- هم بغم خسته ، هم بتن مهجور هم بخون غرقه ، هم ز زخم افکار

ومعناها :

(١) (٢) (٣) (٤)

— وكبدى وروحي وعينى وطلعتى فى عشق تلك الدمية الجميلة .

(١) (٢) (٣) (٤)

أضناها الحزن ، وفارقت الجسد ، وغرقت فى الدماء ، وأثخنت بالجراح .

أما النوع الأول فمثل فى البيتين التاليين :

٨٥- خورد و خوردم بعشق آن ناکام هست وهستم ز هجر او ناچار
٨٦- او مرا خون ، ومن ورا اندوه او ز من شاد ، ومن ازو غمخوار

ومعناها :

— وتجرعتُ . . . وتجرعتُ . . . فى عشفها بغير رغبة أو حيلة .

وكانت ... وكنتُ ... من هجرها عاجز الأسباب والحيلة

— فتجرعتُ دمی ، وتجرعتُ الأحزان من أجلها

وكانت مسرورة بفراقى ، وكنتُ محزوناً لفراقها

والبيتان التاليان تمثیل لصنعة « الكلام الجامع » حينما يحاول الشاعر أن يدخل

فى آياته شيئاً من الحكمة أو الموعظة أو تجارب الزمان :

٨٧- موم از غم سپید گشت چوشیر دل ز محنت سیاه گشت چو قار

٨٨- این ز عکس بلا کشید خضاب وان ز راه جفا گرفت غبار

ومعناها :

— وایض شعری ، فأضحى كاللبن الصائى بسبب حزنى علمها

واسود قلبى ، فأمسى كالقار الأسود بسبب محنتى التى أنا فيها

— فتخضب هذا بلون البلاء الذى أصابنى

وتعبر ذلك بغير طريق الجفاء والهجر ... !!

والصنعة التالية هي « حسن التخلص » أو « حسن المخلص » وهي عبارة عن أن ينتقل الشاعر عند ما يصل إلى بيت الانتقال أو الـ « كرزگاه » في الغزل أو النسيب إلى مدح ممدوحه أو إلى أى قصد آخر يقصده بحيث يكون انتقاله على وجه مستطاب وطريقة مستملحة :

٨٩ — غم دل گر بیست بازارم مدح شه میکشایدم بازار
ومعناه :

— وقد أغلقت أحزان قلبي الأسواق في وجهي ؛
ولكن مدحى للملك يفتح لى الأسواق القفلة .

والصنعة التالية هي « التزلزل » ويوصف الكلام بها فيقال « التزلزل » وهي — كما قال جلادوين (ص ٣٢) عبارة عن أن يذكر الشاعر لفظا بحيث إذا غير حركة واحدة من حركات حروفه تحول الكلام من المدح إلى الهجو :
٩٠ — شاه قزل ارسلان که دست ودلش هست خصم شمار وخصم شمار
ومعناه :

— والمملك هو « قزل أرسلان »^(١) الذى يده وقلبه
يحوظان بالأعداء ولا يحوظهما العطاء

والصنعة التالية هي « الإبداع » وهي في أبواب البلاغة عبارة عن إبداع (أو أداء) معنى جديد من معنى آخر قديم قاله شاعر سابق أو كاتب متقدم بحيث لا يكون بين العنيين خلاف إلا من ناحية الصياغة ، وهذا قريب جداً من « السرقات الشعرية » ولكنه لا يعاب على قائله ، بل يعتبر دليلاً على فضله وتبريزه ؛ وهو في هذا مخالف لسائر أنواع السرقات الشعرية التي تشمل « الانتحال » و « المسخ » و « السلخ »^(٢) .

ومن الضروري أن يكون في حوزتنا المعنى القديم حتى نستطيع أن تبين مدى « الإبداع » في المعنى الجديد ؛ ومن أسف أنني لا أعرف أصل البيت التالى :

(١) من أتاتكة اذريجان حكم ما بين سنتي ١١٨٥ — ١١٩١ م = ٥٨١ — ٥٨٧ هـ .

(٢) أنظر كتاب « روكرت » ص ١٨٨ — ١٩١ .

٩١ - حزمش آورده باد را بسكون عزمش افكنده خاك را بدمدار
ومعناه :

— وحزمه ... يوقف الرياح ويجعلها في هدوء وسكون
وعزمه ... يجعل الأرض في دورة دائمة .
والبيت التالي يمثل صنعة «التعجب» :

٩٢ - جای دُرُگر میانہ دریاست از چه مغنیست دست او دُرُبار
ومعناه :

— ومكان الدر واللالی کائن في وسط البحر ،
ولكن ... يا عجباً ... لماذا تَطْرِدُه الدر والجواهر ... !؟ .

والبيت التالي فيه الإجابة على السؤال السابق وهو تمثيل للصنعة المعروفة بـ
«حسن التعليل» حيث يفسر الشاعر حقيقة واقعة بملء خيالية أو شعرية :

٩٣ - رغم دریا که بخل می ورزد او کند مال بر جهان إشار
ومعناه :

— وبرغم البحر الذي يؤثر البخل ويضن بما فيه ، فإنه يؤثر الدنيا بما له وجزيل عطائه
فإننا نجد أن جود الملك سيبه ما يشعر به من كراهية لبخل البحر وشحه ،
والبحر في العادة معروف بكرمه حتى أصبحوا يصفون الكريم بأنه « دریا دست »
أي له يد تجود بالعطاء كالبحر .

ومع ذلك فالبيت التالي في رأيي أجمل في تمثيل هذه الصنعة من البيت السابق :
حسن ماہ را با تو سنجیدم بیزان قیاس پلهٔ مه بر فلک شد ، وتومانندی بر زمین
ومعناه :

— لقد وزنت بميزان القياس حسن القمر مع حسنك ، فشالت كفة القمر وارتفعت
إلى السماء ، بينما بقيت كفتك أنت على الأرض
والصنعة التالية هي «الطرد والعكس» وهي عبارة عن تغيير مواضع العبارات
في المصراع الأول وذكرها معكوسة في المصراع الثاني :

٩٤ - چه شکار است نزد او چه مصاف چه مصافست پیش او چه شکار

ومعناه :

— وسواء لديه الخروج للصيد أو الخروج لميادين القتال ، وسواء لديه ميادين القتال أو الخروج للقنص والصيد .

والبيتان التاليان تمثيل لصنعة « المكرر » وهي شبيهة بالصناعات التي أسماها « پنهام » باسم Anadiplosis و Epanalepsis و Epizeuxis وخاصة النوع الأخير الذي من أمثله قولهم :—

« It was Maryne , Maryne that wrought mine woe »

وقولهم :

« The chiefst staff of mine assured stay
With no small grief is gone, is gone away .

وقول « السير والتر رالي » :

« With wisdom's eyes had but blind fortune seene.
Then had my love , my love for ever beene. »

٩٥ — بدره بدره دهد بسائل زر دجله دجله كشد بزم عقبار
٩٦ — كشته زان بدره بدره خجل برده زان دجله دجله دجله يسار

ومعناها :

— وهو يعطى السائل بدره بادرة ، ويجلب العقار إلى الحفل دجلة دجلة
— وقد أصبحت كل بدره خجلة من بدراته . واغتنى دجله من فرط منحه وهباته
والأبيات الأربعة الأخيرة من القصيدة تمثيل للصنعتين اللتين تسميان بـ « حسن الطلب » و « حسن القطع »

٩٧ — خسروا... بازمانه در جنگم كه بغم من گدازدم هموار
٩٨ — چه بود گر کف تو بر گیرد از میان من وزمانه غبار
٩٩ — تا عیان است مهر را تابش تانهاں است جبرخ را أسرار
١٠٠ — روز و شب جز سخا مبادت شغل سال ومه جز طرب مبادت کار

ومعناها :

— أيها المليك... إني دائم الكفاح مع الزمان ،
لأنه يذيني دائماً في نار العموم والأحزان .
— فماذا عليك لو استطاعت يدك القادرة ، أن ترفع ما بيني وبين الزمان من غبار و تقار

— وما دام ضياء الشمس مرثيا للعيان، وما دامت أسرار الفلك خافية عن التقرير والبيان
 — فإني أدعو الله ... ألا يكون لك شاغل طوال الليل والنهار سوى السخاء ، وألا
 يكون لك عمل عمله طيلة السنين والشهور غير الطرب والهناء
 وقد اشتملت القصيدة السابقة على أكثر أنواع الصناعات البديعية وأهمها ،
 ولكن هناك أنواعاً أخرى يمكن أن يطلع عليها الباحث المتعمق فيما كتبه «جلادوين»
 و « روكرت » ويجدر بنا أن نضيف إلى ما ذكرناه الأنواع الآتية :—

١ - التأريخ :

وهو عبارة عن أن يذكر الشاعر أو الكاتب تاريخ حادثة من الحوادث في
 عبارة أو مصراع أو بيت بحيث إذا حسبت الحروف التي تتضمنها العبارة أو البيت
 بحساب «أبجد» أو الجمل خرج لنا التاريخ المذكور .
 وربما كان خير أداء بالإنجليزية لمثل فارسي لهذه الصنعة هو ما قام به « هرمان
 بيكنل » مترجم حافظ حينما ترجم « التأريخ » المشهور الذي يذكر سنة وفاة حافظ
 في البيت الآتي :

چودر خاك مصلى ساخت منزل بچو تاريخش از « خاك مصلى »

ومعناه :

— ولما كان قد جعل مقامه في « أرض المصلى »
 فابحث عن تاريخه في عبارة « خاك^(١) مصلى »

خ = ٦٠٠

ا = ١

ك = ٢٠

م = ٤٠

ص = ٩٠

ل = ٣٠

ى = ١٠

المجموع = ٧٩١ أى سنة ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م

(١) المترجم كلمة «خاك» بالفارسية بمعنى أرض أو تراب و«المصلى» مكان في شيراز به مدفن حافظ

وصعوبة «التأريخ» في اللغة الإنجليزية أن سبعة من أحرفها فقط هي التي لها قيمة حسابية وهي الأحرف : X و V و M و L و I و D و C ومع ذلك فقد استطاع « بكنل : Bicknell » أن يتغلب على هذه الصعوبة وأن يؤدي البيت الفارسي بالعبارة الإنجليزية الآتية :-

Thrice take thou from MUSALLA'S EARTH (M + L + L = 1100)
ITS RICHEST GRAIN (I + I + C + I = 103 × 3 = 309).
فإذا طرحنا ٣٠٩ من ١١٠٠ كان الناتج ٧٩١ وهو تاريخ وفاة حافظ^(١).

٢ - التلميح

التلميح من أجل الصناعات البلاغية وأحسنها ، وهو عبارة عن الإشارة إلى قول مأثور أو حكاية مشهورة أو بيت معروف من الشعر وأمثاله في الإنجليزية ماورد في : Ingoldsby Legends حيث يقول :

Such a tower as a poet of no mean calibre
I once knew and loved poor, dear Reginald Heber,
Assigns to oblivion a den for a she - bear.

فالتلميح هنا في قول « هبر » في قصيدته « فلسطين » .

« An I cold Oblivion midst the ruin laid,
Folds her dank wing beneath the ivy shade »

ومن أجل أمثاله الفارسية ماورد في « بستان » الشيخ سعدى^(٢) حيث يقول:
چه حاجت که نه کرسی آسمان نهی زیر پای قزل ارسالان
ومعناه :

— وما الحاجة إلى أن تضع الكراسي التسع للسموات، تحت أقدام قزل ارسالان .. !!
والتلميح هنا إلى قول « ظهير الفارياي » :

(١) انظر جملة من التأريخات الأوربية في ص ٢٣ - ٢٥ من كتاب :

Morgan's Macaronic Poetry. ومن أجل وأبسط هذه التأريخات تسجيل وفاة

الملكة اليمابات في العبارة الإنجليزية الآتية :-

My day is close I in Immortality. (MDCIII=A.D 1604).

وكذلك تأريخ وفاة « مارتن لوتر » في عبارة لاتينية سجل سنة ١٥٤٦ م

(٢) أنظر ص ٢٨ من طبعة جراف : Graf.

نه كرسى فلك نهاد اندیشه زیر پای تابوسه بر ركاب قزل إرسالان نهاد
ومعناه : إن الفكر قد وضع تحت أقدامه كراسى الفلك التسعة حتى يقبل ركاب
« قزل إرسالان » .

وكان « عبيد الزاكاني » من أشهر شعراء التهكم بين الفرس ، وقد توفي قبل
« حافظ » بما يقرب من عشرين سنة . وله فيما نظم « مشوية » لازالت تدرس
للأطفال في إيران عنوانها « الفأر والقط : موش وكره » وهو يصور فيها قطعاً
عجوزاً يلبس لبوس الصلاح والتقوى ليخدع الفئران ويتمكن من اصطيادها ؛ وقد
ذهب الفئران إلى ملكهم يخبرونه إن القط قد تاب وأناب واشتغل بالتقوى والصلاح.
مؤذ كانا . . . كه كربه زاهد شد عابد ومؤمن ومسلما . . . !!
ومعناه :

— البشري البشرى . . . لقد تاب القط وأصبح زاهداً
عابداً . . . مؤمناً . . . مسلماً . . . !!

وقد اشتهرت هذه القصة بحيث أضحت عبارة « كربه زاهد شد » أي « لقد
تاب القط وأصبح زاهداً » من العبارات التي يشيرون بها إلى كل أئيم زنيم يتظاهر
بالتقوى والصلاح ليخدع من حوله ويستطيع جمع ما يشتهي من مكاسب ومغانم ؛ ولقد
لمح « حافظ » إلى هذا القول في بيته المشهور :

أى كيك خوش خرام .. !! بكا ميروى .. ؟ بايست .. !
غره مشو كه « كربه عابد » نماز كرد !!
ومعناه :

— فيا أيتها القطة التي تختال في مشيتها . . . إلى أين تذهبين . . .
قفي . . . ولا تتخدعي إذا أصبح قط العابد بين الصلین (١) . . . !!

صعوبة استعمال التلميح في الأسماء الإسلامية :

والتلميحات من أصعب المسائل التي يصادفها الباحث الأوربي الذي يشتغل بأداب

(١) الترجمة : أنظر الفزل ١١١ من « أغاني شيراز » .

اللغات الفارسية أو العربية أو التركية أو الإسلامية على العموم . ذلك لأن الثقافة التاريخية أو الأدبية التي يشترك فيها التعلون في البلاد الإسلامية ، تختلف تمام الاختلاف عن مثلها لدى الأوروبيين والأمم المسيحية . وقد نتج عن ذلك أن التلميح مثلاً إلى آية قرآنية يكون ظاهر الدلالة والوضوح للرجل المسلم المتعلم ، بينما يتكلف القارىء المسيحي جهداً كبيراً للتحقق من مصدره والوصول إلى دلالاته . وأنا أكتفي بعثل واحد لبيان هذه الصعوبة ، ربما كانت قصته متحولة ولكن دلالاته كافية فيما نريد .

وخلاصة الخبر أن « الفردوسى » حينما غضب على السلطان « محمود الغزنوى » لعدم تقديره للمحمته الرائعة « الشاهنامه » كتب هجوية لازعة^(١) تركها لدى واحد من أصحابه وأخبره ألا يذيعها إلا بعد فترة من الزمن يتمكن فيها من الذهاب إلى طبرستان والاحتفاء بحاكمها « الاصبهذ شيرزاد^(٢) » ، فلما ذاعت هذه الهجوية وقرأها السلطان محمود امتلاً غيظاً وحنقاً على قائلها وأرسل إلى أمير طبرستان يطلب إليه تسليم الفردوسى ، وهدده بأنه سيرحف عليه بأفياله ويخرب بلاده ودياره ، ويقتل شعبه ورجاله ، إذا هو امتنع عن إجابته إلى مطلبه ، فلما وصلت الرسالة إلى الأمير اكتفى بأن يكتب على ظهرها الحروف الثلاثة « ا . ل . م . » ثم بعث بها ثانية إلى السلطان محمود . وقد قيل أن السلطان لم يفهم في البداية قصده من كتابة هذه الأحرف ، ولكن وزراءه ورجال حاشيته تبيينوا على الفور مقصده ، وعلموا أنه يشير تلميحاً إلى ما أصاب « ابرهه » عندما اعتمد على أفياله وأراد أن يعتدى على « مكة » في نفس السنة التي ولد بها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهى السنة التي عرفت فيها بعد بسنة الفيل . وقد نزلت في « أصحاب الفيل » سورة قصيرة هى سورة الفيل وفي مطلعها هذه الأحرف الثلاثة ا . ل . م كما يبدو من آياتها القرآنية الآتية :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كغصف مأكول » .

وقد كان التلميح إلى هذه الآيات القرآنية وافياً بالعرض حتى يقال أن السلطان

محمودا اتقى عن عزمه ورجع عن تهديده ... !!

(١) هذه الهجوية موجودة في مقدمة النسخ المطبوعة من الشاهنامه .

(٢) بعض المصادر تسميه « شهریار بن شرزین » .

ولا شك أن إبداء المهارة في اقتباس الآيات القرآنية أو التلميح إليها يعتبر من أجل الصناعات التي يعجب بها المسلمون عامة والتي تحتل مكانة أثيرة في قلوبهم . وستنهي إلى الفرصة ثانية للحديث عن هذا الموضوع في نهاية هذا الفصل .

٣ - التصحيف :

والتصحيف من أجل الصناعات . وهو عبارة عن تغيير مواضع النقط التي تستعمل في كثير من حروف الأبجدية العربية ، فإذا تغيرت مواضع هذه النقط وبقي بناء الأحرف على شكلها الأصلي تغير معنى العبارة « المصحفة » تغيراً تاماً . ومن أمثله ما ورد في « بستان الشيخ سعدى (١) » .

مرا بوسه گفته بتصحيف ده كه درويش را توشه از بوسه به

ومعناه :

— إعطني قبلة « بوسة » مع تصحيفها

فإن الزاد « توشه » خير للدرويش من القبلة « بوسة (٢) »

ولا يمكن التمثيل لهذا الضرب من الصناعة إلا باستعمال الحروف العربية ، ولولا ذلك لاستشهدت بقصيدة رائعة أوردها « رشيد الدين » في كتابه « حدائق السحر (٣) » لو صحفت أبياتها لتغير معنى كل منها وانتقل مغزاها من المدح والتثناء إلى القدح والهجاء . فمثلا لو أخذنا المصراع الذي يقول فيه :

* هست در أصلت بلندی بی خلاف *

ومعناه :

* والرفعة في أصلك بلا خلاف *

ثم صحفناه لأصبح المصراع :

(١) صفحة ١٦٦ . من طبعة جراف .

(٢) المترجم : كلمة « بوسة » في الفارسية بمعنى قبلة ، وكلمة « توشه » بمعنى زاد أو قوت .

(٣) المترجم : أنظر ص ١٧٠ من ترجمتي العربية لكتاب « حدائق السحر » .

* هست در أصلت پلیدی بی خلاف *

ومعناه :

* والضعفة في أصلك بلا خلاف *

٤ - السهجو والجواب :

ولقد يبدو في هذه المرحلة أنه من الواجب علينا أن نتحدث في إجمال عن المهجو « Satire » والجواب « Parody » .

أما المهجو فقد كان لدى العرب ، منذ جاهليتهم ، من أقوى الأسلحة التي يزودون بها ، وكان الشعراء يذكرون في قصائدهم المعروفة باسم « المثلث » كل ما ينسب إلى خصومهم من دواعي الخزي والعار وأسباب الشين والشنار ؛ وربما كانت هجوية « الفردوسى » في السلطان محمود — وهى التي أشرنا إليها فيما سبق — من أوائل القصائد الفارسية التي قيلت في الهجاء . وهذه القصيدة لازعة حقاً ولكنها خالية من عبارات الفحش والإقذاع التي تشوه كثيراً من الهجويات العربية والفارسية على السواء وفيما يلي ترجمة الأبيات الخمسة الأولى من أبياتها :

— ولطالما بذلت في إكمال الشاهنامة الجهود الضنية والسنين الطويلة
لكي يهني الملك تقوده الوفيرة وعطاياه الجليلة

— فلم يعطني شيئاً إلا الضجر والعناء ، ولم أفر منه بشيء إلا التافه الهباء ... !!

— ولو كان والد الملك من أصل ملكي عزيز

لتوج رأسى بتاج من الذهب الخالص الإبريز ... !!

— ولو كانت أمه سيدة كريمة الأصل عالية القدر ،

لأغرقتني إلى ركبي في ذهب وفضة بغير حصر ... !!

— ولكنه محروم من كل عظمة في أصله ونجاره

ومن أجل ذلك لم يستطع أن يسمع أسماء العظام في أسماره (١) ... !!

(١) المترجم : فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات نقلاً عن تذكرة الشعراء ص ٥٣

ولمن شاء أن يعرف مثلاً من أمثلة الفحش الذي يحط من قيمة كثير من المهجويات الفارسية أن يقرأ في دقة وتعن مجموعة المهجويات المنظومة التي تبودلت في العراق الذي نشأ بين الشاعر خاقاني (المتوفى في سنة ١١٩٩ م = ٥٩٦ هـ) وبين أستاذه ومعلمه «أبي العلاء الكنجوي» وهذه المهجويات منشورة مع ترجمتها في المقال المتع الذي نشره «خانيقوف» بعنوان «مقالة عن خاقاني الشاعر»^(١) الفارسي في القرن الثاني عشر ، وفيما يلي الرباعية التي قالها «أبو العلاء» فافتتح بها هذا النزاع المستطير الذي وقع بين الشعارين ، وهذه الرباعية هيته سيرة إذا قورنت بما تلاها من منظومات شديدة الفحش ، ومن أجل ذلك فالمقام يسمح لي بترجمتها ، أما نصها الفارسي فكما يلي :

خاقانيا گرچه سخن نيك دانيا يك نكته گويمت بشنو را يگانيا
هجو كسى مكن كه ز تومه بود بسن باشد كه پدر بودت تو ندانيا
وأما ترجمتها فكما يلي :

— يا خاقاني . . . إنك ماهر في صناعة الأشعار والكلام
ولكن دعني أحدثك بمسألة دقيقة واستمعها مني مجاناً

— حذار أن تهجو بعد اليوم من يكبرك سناء، فلهله أن يكون أباك وأنت لا تعلم ذلك!!
أما المهجوية التي يتضمنها البيتان التاليان فربما كانت أفضل نموذج صادفته
للمهجويات الفارسية المهذبة التي لا يبلغها اللوم ولا يصيبها التجريح ؛ وهذان البيتان
منسوبان للشاعر «كجال بن اسماعيل الأصفهاني» الذي قتله الغول عند غارتهم أهل

==
بسی سال بردم بشهنامه رنج كه تا شاه بخشد مرا تاج و گنج
بجز خون دل هیچ چیزم نداد نشد حاصل من ازو غیر باد
اگر شاهرا شاه بودی پدر بسر بر نهادی مرا تاج زر
اگر مادر شاه بانو بدی مرا سیم وزر تا بزانو بدی
چو اندر تبارش بزرگی نبود نیارست نام بزرگان شنود
(١) أنظر . . . Memoire sur Khâcânî. par N. de Khanikof ; Paris. 1865 .
وهذا المقال منشور أيضاً في «المجلة الآسيوية» عدد أغسطس سنة ١٨٦٤ .

أصفهان في سنة ١٢٣٧ - ١٣٣٨ م = ٦٣٥ هـ ، ونصهما الفارسي كما يلي :

گر خواجه زهر ما بدی گفت ما چهره ز غم نمی خراشیم
ما غیر نکویش نگوئیم تا هر دو دروغ گفته باشیم
ومعناهما :

- إذا كان السيد قد تحدث في شأنى بالنسر وسوء الكلام
/فإني ان ألطم من أجل ذلك الحدود في حزن واغتمام . . . !!
- ولن أتحدث في شأنه إلا بالخير والإحسان
حتى يصبح كل منا مشهوراً بالزور والبهتان . . . !!
- أما « الجواب » فقد يكون « معارضة » لقصيدة أخرى أو مجرد تقليد لها
وفي هذه الحالة يسمى « نظيرة » .
- وأشهر شعراء المعارضة الذين ظهرُوا في إيران هم :

- ١ — عبيد الزا كاني : الشاعر الساخر الذي توفي حوالي سنة ١٣٧٠ م = ٨٧٧٢ هـ
وقد نشرت جملة منتخبة من آثاره المنظومة والمنثورة في مدينة القسطنطينية
في سنة ١٨٨٥ م = ١٣٠٣ هـ .
- ٢ — أبو إسحاق الشيرازي : ويعرف أيضاً باسم « بسحق الشيرازي » شاعر الأطعمة .
- ٣ — نظام الدين محمود القاري البردي : شاعر الألبسة .
- وقد نشرت طائفة منتخبة من آثار الاثنين الأخيرين في القسطنطينية أيضاً في
سنة ١٣٠٣ هـ .

وليس من شك ، أن أول هؤلاء الشعراء كان أكثرهم تفوقاً في فنه بحيث يمكن
أن يعتبر أكبر شعراء التهكم بين الفرس . وقد امتاز بعلو كعبه في النثر والشعر ،
وسيتسع المجال للحديث عنه في تفصيل عندما نصل إلى الحديث على العصر الذي
عاش فيه .

الفسيحات والاستعارات نسودها روح المحافظة :

والحديث عن البلاغة لدى المسلمين يطول ويتشعب ويتسع لأكثر مما أوردته فيما سبق من صفحات ، ولكن المجال يمنعني من أن أضيف إليه شيئاً الآن . وربما كان من الخير أن أرجع القارىء الذى يرغب فى مزيد من الإيضاح إلى الكتب التى كتبها فى هذا الموضوع « جلادين » و « روكرت » و « جب » و « بلوخمان » وإلى كتاب المسلمين أنفسهم الذين ألفوا كثيراً فى مثل هذه الموضوعات .

ومع ذلك أرى لزاماً على أن أحدث باختصار عن كتاب كبير الفائدة لكل مشتغل بالشعر الغزلى لدى الفرس وأقصد به كتاب « أنيس العشاق » تأليف « شرف الدين رامى » الذى عاش فى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادى (= القرن الثامن الهجرى) وموضوع هذا الكتاب يقتصر على الحديث على التشبيهات التى يستعملها الكتاب فى وصف قصبات المشوق ومعالم حسنه وقد ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه الأستاذ « كليمان اويار : Clement Huart » أستاذ اللغة الفارسية فى مدرسة اللغات الشرقية الحية وطبعه ، فى باريس سنة ١٨٧٥ م .

وهذا الكتاب يشتمل على تسعة عشر فصلاً يتحدث فيها مؤلفه عن الموضوعات التالية بهذا الترتيب :

- الشعر — الجبين — الحواجب — العيون — الأهداب —
- الوجه — الصدغ — الخال — الشفاه — الأسنان —
- القم — الذقن — الرقبة — الصدر — السواعد —
- الأصابع — القد — الوسط — الأقدام .

ويبدأ المؤلف فى كل فصل من فصول الكتاب بذكر الأسماء المختلفة التى يطلقها العرب والفرس فى تسمية العضو الذى يتحدث عنه ، ثم يفرق بين دلالات هذه التسميات كلما ساعده المجال على ذلك ، ثم ينتقل إلى ذكر الاستعارات التى يستعملها الكتاب والشعراء لهذا الجزء من الجسم ، وما يتصل به من أوصاف ، مراعيًا فى ذلك أن يسوق الأمثلة والشواهد الكثيرة من أقوال الشعراء المختلفين .

فالحاجب مثلاً يسمى في الفارسية « ابرو » وهو إما متصل أى مقرون ، أو منفصل أى مفروق ؛ واتصاله يعتبر من دلالات الحسن والجمال ، وشعراء الفرس يستعملون في الحديث عنه ثلاثة عشر تشبيهاً واستعارة ؛ فهم يصفونه بأنه « الهلال » أو « القوس » أو « قوس قزح » أو « العقدة القوس » أو « المحراب » أو « حرف ن » أو « حرف ك » أو « رأس الصولجان المقوف » أو « الوسم » ائدى يسمون به الحيل والملاشية لمعرفة أصحابها أو « الطغراء » التي يتوجون بها مراسم الحسن والجمال . فإذا تحدث المؤلف عن « الشعر » وجدنا أن الاستعارات والتشبيهات التي يجريها الاستعمال تزيد على هذا العدد بكثير ، وقد ذكر المؤلف أنها تبلغ الستين في الفارسية ولكن من الجائز أن تزيد على ذلك لأن « الشعر » كما يقولون يتصف بمائة صفة ، أوردها المؤلف في تفصيل فائق جميل .

الشعر الإسلامى نسوده روح المحافظة .

والمحافظة في الشعر لا تقتصر على أوزانه وقوافيه وإنما تمتد إلى صميم موضوعاته ، وإلى ما يشتمل عليه من مقابلات وتشبيهات واستعارات ومحسنات بدعية وما إلى ذلك من سائر الأمور التي تعارف عليها المسلمون منذ القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) . وهذا القول ينطبق خاصة على « القصيدة » بمعناها الفني ؛ ومن هنا نجد أن تقدير الأوروبيين للشاعر الفارسى وعظمته ، يختلف في أغلب الأحيان عما ينعقد عليه الرأى لدى مواطنيه . ذلك لأن جمال الأفكار وحدها هي التي يمكن المحافظة عليها عند الترجمة ، بينما يخفى جمال الأسلوب مهما كان المترجم ماهراً أو قادراً . ومن هنا نجد أن « عمر الحيام » الذي لا يرقى به مواطنوه إلى شعراء الدرجة الثالثة ، قد ذاع صيته في أوروبا أكثر من غيره من شعراء بنى جلده ، بينما بقى شعراء القصاصد مثل « الأنورى » و « الخاقانى » و « ظهير الفاريابى » مجهولين حتى بأسمائهم لدى أهل العرب ، رغم ما فازوا به من تقدير كبير لدى مواطنهم من الفرس .

أساس النقد في الموضوع والأسلوب :

وقد جرى شعراء العرب البكرون الذين عاشوا في العصر الكلاسيكي ، وأقصد به العصر الجاهلي وعصر النبي والخلفاء الراشدين والعصر الأموي ، على طبيعتهم وسليقتهم فلم يتأثروا بشيء من المؤثرات الخارجية ، وظلوا صورة صادقة للوسط الذي يعيشون فيه بحيث أن الصعوبة التي تقابلها في فهم أشعارهم ترجع أساساً إلى عدم معرفتنا بهذا الوسط ، لا إلى ما تشتمل عليه أشعارهم من تشبيهات بعيدة أو استعارات خيالية خافية ؛ لأن هذه الأشعار في الحقيقة سليمة التعبير ، تفيض على طبيعتها دون أن يفسدها عامل من عوامل التأثير والتعقيد .

ولو رجعنا إلى « العصر الأموي » لوجدنا أن قواعد النقد كانت تبني على الأفكار والمعاني التي تشتمل عليها المنظومات لا على صياغتها وأسلوبها ، ويبدو لنا ذلك واضحاً من القصة المروية في الكتاب المتع الذي ألفه « الفخري^(١) » في التاريخ وخلصتها أن عبد الملك (الخليفة الأموي الذي حكم من سنة ٦٨٥ - ٧٠٥ م = ٦٦ - ٨٦ هـ) النفث يوماً إلى جلسائه فسألهم : ما تقولون في قول القائل :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت فوا حرباً ممن يهيم بها بعدى

قالوا : « معنى حسن »

قال : « هذا ميت كثير الفضول . . . ! ليس هذا معنى جيداً . . . »

قالوا : « صدقت »

قال : « فكيف كان ينبغي أن يقول . . ؟ »

فقال رجل منهم : كان ينبغي أن يقول :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك : « ما أحسنت . . . ! »

قالوا : « فكيف ينبغي أن يكون . . ؟ »

قال : « كان ينبغي أن يقول :

(١) الترجيم : أنظر ص ١١٤ من كتاب « الفخري » في « الآداب السلطانية والدول الإسلامية » طبع مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ .

أهم بعدد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لدى خلة بعدي
 قالوا : « أنت يا أمير المؤمنين أشعر الثلاثة . . . ! ! » .
 فهذه القصة تدلنا دلالة قاطعة على أن الأمر كله كان وقفاً على الأفكار والمعاني
 لا على الألفاظ والأساليب .

ابن خلدون ورأيه في الإسلام :

والآن... فلننظر إلى مقاله أ كبر مؤرخي العرب الفيلسوف الشهير «ابن خلدون»
 (الولود في تونس سنة ١٣٢٢ م = ٧٢٢ هـ . والتوفي في القاهرة سنة ١٤٠٦ م
 = ٨٠٩ هـ) فهو يقول في الفصل الثامن والأربعين من مقدمته تحت عنوان
 « فصل في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني » مانصه (١) :

« إعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني
 تبع لها وهي أصل . فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها
 في الألفاظ ، يحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه ، حتى تستقر
 له الملكة في لسان مضر ، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ، ويفرض نفسه
 مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد
 منهم في لسانهم ؛ وذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول
 تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل له . والذي في اللسان والنطق إنما هو
 الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضاهر . وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي
 طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ، فلا تحتاج إلى صناعة ، وتأليف الكلام
 للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه ، وهو بمثابة القوالب للمعاني ؛ فكأن الأواني
 التي يعترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ،
 والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها
 لا باختلاف الماء ؛ كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات

(١) الترجمة : أوردت الأصل قلا عن مقدمة ابن خلدون طبع بيروت سنة ١٩٠٠ م ،
 ص ٥٧٧ .

الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ؛ وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن ، بمثابة المقعد الذى يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه» .

ويستمر « ابن خلدون » بعد ذلك في دراسة مسببة لهذه الأساليب التى نضوغ فيها أفكارنا فنكتسب بها بهجة وجمالا ، ثم ينصح القارىء بأن يحتذى فى عبارته أساليب الشعراء الجاهليين من العرب ، وكذلك أساليب « أبى تمام » الشاعر الذى جمع ديوان الحماسة وتوفى فى منتصف القرن التاسع الميلادى (= منتصف الثالث الهجرى) و « كلثوم بن عمرو العتابي » الذى نشأ على عهد « هارون الرشيد » و « ابن العزى » الذى تولى الخلافة يوماً واحداً انتهى بمقتله فى سنة ٩٠٨ م = ٢٩٦ هـ . و « أبى نواس » شاعر الرشيد المعروف بالعبث والدعابة و « الشريف الرضى » المتوفى سنة ١٠١٥ م = ٤٠٦ هـ . و « عبد الله ابن المقفع » المجوسى الأصل الذى قتل فى سنة ٧٦٠ م = ١٤٣ هـ . و « سهل بن هارون » المتوفى سنة ٨٦٠ م = ٢٤٦ هـ . و « وابن الزيات » الوزير الذى قتل فى سنة ٨٤٧ م = ٢٣٣ هـ . و « بديع الزمان الهمذاني » مؤلف المقامات المتوفى سنة ١٠٠٨ م = ٣٩٩ هـ . و « الصابى » مؤرخ الدولة البويهية المتوفى سنة ١٠٥٦ م = ٤٤٨ هـ .

ثم يستمر « ابن خلدون » فيقول إن الذى يحذو حذو هؤلاء ويحفظ مؤلفاتهم لا بد بالغ بأسلوبه أجمل مراتب ، وسيبرز بغير شك عمن يحتذى حذو كتاب القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين (= السادس والسابع الهجريين) من أمثال « ابن سهل » و « ابن النيبه » و « البيصاني » و « عماد الدين الكاتب الأصفهاني » . ثم يأخذ « ابن خلدون » بعد ذلك فى تعريف « الشعر » وفقاً لما أبداه من آراء فى قول (١) : « الشعر هو الكلام البليغ البنى على الاستعارة والأوصاف ، الفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » .

وقبل ذلك بصحيفة تقريباً شبه « ابن خلدون » الناثر أو الشاعر بالمهندس

(١) انظر ص ٥٧٣ من مقدمة ابن خلدون طبع بيروت أو ص ٣٢٥ جزء ٣ من طبعة

كارمير فى باريس سنة ١٨٥٨ م .

أو النساج ، لأن حاله شبيهة بمجالهما في وجوب احتذاء كل منهم لنموذج أو قالب أو نمول يجعله نصب عينه وغاية أملة ؛ وهو من أجل ذلك يميل إلى اتباع رأى جماعة من التقاد يرون استبعاد « المتنبى » و « أبى العلاء المعرى » من زمرة أساطين العربية لائىء إلا لأن كلا منهما كان نسج وحده ولم يتقيد بأساليب العرب التى أقرها الاستعمال الطويل المستمر .

روح المحافظة فى أساليب الشعر والنثر فى الفارسية :

فإذا رجعنا بعد ذلك إلى الفرس — وهم تلاميذ العرب المخلصون — وجدنا أن ما ذكرناه فى هذا الصدد عن العرب ينطبق عليهم أيضاً تمام الانطباق . وصاحب كتاب « چهار مقاله (١) » يذكر أن : كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً فى صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم ، وحتى يتلقى النكات الرقيقة من أفواه الأساتذة المبرزين ، وحتى يستمع إلى لطائف الحكماء الماهرين ، وحتى يقتبس طرائف الأدباء القادرين ، ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز فى الكتابة أن يقرأ فى العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات « صاحب إسماعيل ابن عباد » و « الصابى » و « قدامة بن جعفر » و « بديع الزمان الهمداني » و « الحريرى » و جماعة آخرين من الكتاب ؛ وكذلك أشعار « المتنبى » و « الأبيوردى » و « الفزى » ... وعليه فى الفارسية أن يقرأ « قابوس نامه » الذى ألفه « كيكوس » حاكم طبرستان من آل زيار فى سنة ١٠٨٢ م = ٤٧٥ هـ . و « الشاهنامه » من نظم الفردوسى وأشعار « الرودى » و « العنصرى » .

وما زالت المغالاة فى المحافظة واتباع القديم تسيطر على كل الأمور الأدبية المتصلة بإيران دون أن يجيبها شىء من الضعف أو التراخى . ولكن المدرسة الحديثة فى تركيا استطاعت أن تنتصر عليها انتصاراً مؤزراً بفضل الجهود التى بذلها « ضيا پاشا » و « كمال بك » و « شناسى افندى » . وفى الحقيقة ، إن روح المحافظة هذه قد

(١) المترجم : افشار ١٣ من « چهار مقاله » طبع ليدن سنة ١٩٠٩ م حيث يقول بالفارسية : « أماسخن دبيردين درجه نرسد تا از هر علم بهره ندارد ، و از هر أستاذ نكته ياد نگيرد ، و از هر حكيم لطيفه نشنود ، و از هر أديب طرفه اقتباس نكند » .

وقفت حجراً عثرة في سبيل الخلق والإبداع ، وكانت سبباً في التكرار الملل في الموضوعات والأساليب وطرق الأداء ؛ ولكنها من ناحية أخرى كانت العامل الأكبر في حفظ اللغة الفارسية وحمايتها من التبذل الذي أصاب أحياناً لغتنا الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية بفعل العباقرة الشاردين الذين لم يتقيدوا بمراعاة القديم ولم يظفروا بفسط وافر من الدقة والمران .

التصنع صفة عارضة في الرسائل الفارسية :

ومن الحق أن نقرر هنا أن الأساليب الفارسية كانت كالأساليب العربية تختلف وفقاً للأزمنة والأمكنة . وقد رأينا أن قواعد النقد التي اتبعها « دولتشاه » في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أي التاسع الهجري) تختلف كثيراً عما اتبعه صاحب « چهار مقاله » في منتصف القرن الثاني عشر (أي السادس الهجري) بينما نجد أن « ابن خلدون » قد منعه شغفه بالقديم من أن يعجب بالإغراق في استعمال المحسنات البلاغية التي انتشرت في كتابات أهل الشرق وكذلك في كتابات بني جلده خلال القرون الثلاثة الأخيرة .

ومع ذلك كله فإننا لا نعدم أن نصادف البساطة واليسر في كتابات القدماء والمحدثين من الفرس على السواء ، فيما كتبوه من نظم أو نثر على السواء ، فكتاب « الإيقان » وهو من كتب « البايية » الذي كتبه « بهاء الله » حوالي سنة ١٨٥٩م يمتاز بمتانة الأسلوب وقوته حتى ليشبه كتاب « چهار مقاله » الذي ألف من قبله بسبعة قرون ؛ وكذلك المنظومات التي ينظمها الشعراء المعاصرون في « تعزية الحسين » أو الأغاني الشعبية التي تعرف باسم « التصانيف » كل هذه تبلغ في سلامتها وعدم تكلفها مبلغ ما قاله « الرودكي » من أشعار جميلة رائعة . بينما نجد أن هذا الأسلوب للتصنع المشحون بالمحسنات البلاغية الذي يعرفه كل من قرأ « أنوار سهلي » يأخذ في السيطرة على « الآداب الفارسية » كلما كان رعاتها من أصل تركي أو مغولي ، حتى يبلغ هذا الأسلوب ذروة مداه على أيدي الكتاب والشعراء العثمانيين من أمثال « ويسى » و « نركسى » .

الفصل الثاني

عصر الدولة الغزنوية

منذ بدايته إلى وفاة السلطان محمود الغزنوي

منته فارسى في نهاية القرن العاشر الميلادى (١):

عند ما أذن القرن العاشر الميلادى (= الرابع الهجرى) بالزوال كانت « البلاد الفارسية » مازالت تابعة إسمياً للخلافة فى بغداد ؛ وكان الخليفة فى ذلك الوقت هو « القادر بالله » وقد طال مدة خلافته من سنة ٩٩١ م إلى ١٠٣١ م (= ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ) . ولكن « البلاد الفارسية » فى الحقيقة كانت مقسمة فى هذه الفترة بين « السامانيين » وعاصمتهم فى « بخارى » وبين الديلمية من « آل بويه » الذين تسلطوا على الأقاليم الجنوبية والجنوبية الغربية وأصبح لهم الحكم المطلق فى بغداد والسيطرة الفعلية على الخليفة بحيث أضحي فى الواقع آلة فى أيديهم يحركونها كيف يشاءون . يضاف إلى هاتين الدولتين إمارتان صغيرتان حكمتا على السابع فى « طبرستان (٢) » و « كردستان » وهما « آل زيار » و « آل حسنويه » . والظاهر أن هذه الدول جميعها كانت من أصل إیرانى (فارسى أو كردى) والظاهر أيضاً أن حكامهم جميعاً لم يلقبوا بألقاب « السلاطين » وظل الواحد منهم يلقب بلقب « الأمير » أو « الإصفهيد » أو « الملك » وفى هذا دلالة كبيرة على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أمراء على الولايات أو حكماً على الأقاليم لا تبلغ مرتبتهم مرتبة السلاطين .

(١) أى نهاية القرن الرابع الهجرى .

(٢) طبرستان القديمة تشمل حالياً مازندران وگیلان أى الإقليم الواقع جنوب بحر قزوين إلى جبال « البرز » .

وقد عاصر « البيروني » هذه الدول التي تتحدث عنها واستطاع أن يذكر لنا في تفصيل أصل الدول الثلاث الهامة منها^(١)، فذكر أن « البويهيين » ينتسبون إلى الملك الساساني « بهرام كور » ولكنه شك في هذا النسب بعض الشك ، وقال إن بعض الناس يرجعونهم إلى أصل عربي ؛ ومع ذلك فانتسابهم إلى بيت الملك الساساني أو عدم انتسابهم إليه لا يدعو إلى الشك مطلقاً في جنسيتهم الفارسية الواضحة .

أما « آل سامان » فقد ذكر « البيروني » عنهم إن الإجماع يعتقد على صحة نسبهم إلى « بهرام جوين » الذي كان مرزباناً على بعض ولايات فارس أثناء حكم الملك الساساني « خسرو بويهز » من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٧ م .

فلما تحدث عن « الزياريين » أرجع نسبهم إلى الملك الساساني « قباد » من سنة ٤٤٨ إلى سنة ٥٣١ م . ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن شكوك « البيروني » في نسب بعض هذه الدويلات وتأكيداته في نسب بعضها الآخر ، ربما كان مرجعه إلى بعض العوامل السياسية التي أملت عليه دائماً أن يثبت لنا نبل الأصل الذي انتسب إليه مولاه الكريم وصاحب نعمته « قابوس بن وشمگیر الزيارى » الملقب بـ « شمس المعالي قابوس » ؛ وربما كانت هذه العوامل السياسية نفسها هي التي أوحت إليه أن يرضى مولاه بالدأب في الطعن في نسب « آل بويه » . ويؤكد لنا صحة هذا الرأي ما ورد في جزء آخر من كتابه^(٢) ذكر فيه « البيروني » أن البويهيين حقيقون بكثير من اللوم والتعنيف لإغداقتهم الألقاب الفخمة على وزراءهم ، وأن هذه الألقاب ما هي إلا أكذوبة كبرى من أكاذيبهم الكثيرة ؛ فإذا انتهى من ذلك مدح مولاه « شمس المعالي قابوس » وذكر أنه لم يختر لنفسه إلا لقباً بسيطاً لا يتجاوز معناه ما اتصف به من صفات عالية رفيعة .

منزلة الأرب في خراسان وطبرستان وجنوب فارس :

كان مقر السامانيين في « خراسان » وكانت هذه الولاية في ذلك الوقت أكثر

(١) أنظر « الآثار الباقية » وكذلك من ٤٤ — ٤٨ من ترجمة « سخاو » لهذا الكتاب .

(٢) أنظر من ١٣١ من ترجمة « سخاو » للآثار الباقية .

اتساعاً من الولاية التي تعرف بهذا الاسم حالياً ، لاشتمالها إذ ذاك على الأقاليم الواسعة من « آسيا الوسطى » ؛ وقد قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب إنها مهد الأدب الفارسي الإسلامي . وقد تحدث « الثعالبي » عنها في حماس فائق فذكر أنها « مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ونجم أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدياء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر ^(١) » . ومع ذلك فلا يجب أن نتصور أنها فاقت الأقاليم الجنوبية من إيران في الأدب والعلم وعلى الخصوص إقليم « فارس » لأن هذا الإقليم هو في الواقع مهد العظمة الفارسية الحقيقية . والثعالبي نفسه يورد لنا بيتين من الشعر قالهما الشاعر « أبو أحمد بن أبي بكر » من أبناء الدولة السامانية الذين عاشوا في نهاية القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) يتضح منهما أن منزلة « خراسان » كانت تالية لمنزلة العراق في الفضل والعلم ^(٢) . بل مازال يجري على الألسنة في إيران بيت تافه من الشعر يصم الخراسانيين بأنهم ماجنون مخرجون ^(٣) (الدنك) .

ورغم ذلك كله ، كان في « خراسان » بعث اللغة الفارسية الأدبية بعد الفتح الإسلامي ، لأنها كانت أقصى ولايات الخلافة وأكثرها بعداً عن « بغداد » حاضرة « الثقافة الإسلامية » التي ظلت تستعمل اللغة العربية كلغة الأدب المعترف بها في

(١) أنظر ص ٢٣ من الجزء الرابع من يتيمة الدهر — طبع دمشق وكذلك مقالة المستشرق « باربييه دي مينار » في « المجلة الآسيوية » عدد مارس — ابريل سنة ١٨٥٤ ص ٢٩٣ بعنوان « صورة الأدب في خراسان وما وراء النهر في القرن الرابع الهجري » وعنوانها الفرنسي .

Tableau Litteraire du Khorassan et de la Transoxiane au IV^e-siècle de l'Hégire.

(٢) المترجم : انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣ ونص البيتين كما يلي :
لا تعجب من عراقي رأيت له بجرأ من العلم أو كثرأ من الأدب
وأعجب لمن يبلاد الجهل منشاؤه إن كان يفرق بين الرأس والذنب
وانظر أيضاً مقالة « باربييه دي مينار » التي أشرنا إليها فيما سبق .

(٣) أنظر كتاب « سنة بين الفرس » A Year Amongst the Persians, p 232 ونصه بالفارسية .

از خراسان مثل من الدنك می آید برون
وكلمة « الدنك » عند الخراسانيين بمعنى فاسق او فاجر او شرير .

الولايات الممتدة من إسبانيا إلى سمرقند حتى حطم المغول الخلافة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) .

وكانت « طبرستان » أيضاً من الولايات البعيدة النائية التي استطاعت أن تحتفظ باستقلالها عن خلفاء بغداد وعن حكام السامانيين في « خراسان » طوال المدة التي حكمتها فيها قادتها المعروفون باسم « الإصبهيد^(١) » ثم البيت العلوي الشيعي ثم آل زيار . وكانت تزدهر فيها ثقافة أدبية رفيعة تدل عليها هذه النبذ الكثيرة التي وردت في أسبق تواريخها الذي ألفه « ابن اسفنديار » في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) . فقد أشار فيه إلى طائفة كبيرة من التأليفات العربية . وكذلك نقل فيه مجموعة من الأشعار العربية التي أنشدها منشدوها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) وخاصة أثناء حكم أئمتها الزيديين^(٢) (٨٦٤ - ٩٢٨ م = ٢٥٠ - ٣١٦ هـ) كما ذكر فيه طائفة من الكتب الفارسية من بينها كتاب أو كتابين في اللهجة « الطبرية » الخاصة^(٣) .

(١) هولاء ظلوا يحكمون طبرستان فترة طويلة بعد الفتح الإسلامي وزوال ملك سادتهم الساسانيين .

(٢) انظر القسم الأول - الفصل الرابع (ورقة ٤٢ ب وما يليها من المخطوط المحفوظ بإدارة الهند ، وكذلك صحيفة ٤٢ وما يليها من ترجمة الإنجليزية) وفيه يذكر المؤلف ملوك طبرستان راعيائها وأولياءها ورجالها المشهورين وكتابتها وحكامها ومنجمها وفلاسفتها وشعراءها ، وقد ذكر من بين شعرائها المشهورين « ابا عمرو » الذي كان يسمى « شاعر طبرستان » حوالي سنة ٨٧٠ م = ٢٥٧ هـ وكذلك « أبا العلاء السروي » و « السيد الأطروش » وقد نسب إلى « السيد أبي الحسين » طائفة من الكتب العربية المشهورة ، وأورد أسماء خمسة من أهم مؤلفاته .

(٣) يذكر ابن اسفنديار طائفة كبيرة من الأشعار التي قيلت باللهجة الطبرية ومن بينها الأشعار التي قالها « خرشيد بن أبي القاسم الماطيري » و « باربد الجريدي » . ولكن يظهر أن أقدم كتاب في هذه اللهجة هو كتاب « نيكى نامه » الذي أصبح فيما بعد أساساً للكتاب الفارسي « مرزيان نامه » (أنظر كتاب شيفر « مختارات فارسية - مجلد ٢ ص ١٩٥) : Schefer : Chrestomathie Persane, Vol. II, p. 195 وكذلك نقل « ابن اسفنديار » طائفة من الأشعار الطبرية التي قالها « علي بيروزه » الملقب « ديواروز » وكان من المعاصرين لعهد الدولة البويهية (منتصف القرن العاشر الميلادي والرابع الهجري) .

وقد يكون مثارا للحيرة والتساؤل أن نرى أن قدراً قليلاً جداً من الأدب الفارسي قد نشأ على أيام « البويهيين » رغم ما نعرفه عنهم من أنهم كانوا فرساً وكانوا شيعة وكانوا من كبار رعاة العلوم والآداب بحيث أضحي من أكثر الأمثلة جريانا على الألسن قولهم : « أبلغ من العبادين » أي من وزيرهم المعروف « صاحب اسماعيل بن عباد » ومؤرخهم الكبير « الصابي » . فإذا لاحظنا أن جملة الأدب الذي نشأ في أكنافهم كان عربياً ، لم يمكننا تفسير هذه الظاهرة بأكثر من أنها كانت نتيجة لازمة لعلاقتهم التي احتفظوا بها مع « بغداد » مقر الخلافة وعاصمة الإسلام . ومع ذلك كله فلن يخامرنا أدنى شك في أن الشعر الفارسي قد نما وترعرع في قصور البويهيين كما نما وترعرع عندهم أيضاً الشعر العربي . وقد ذكر « محمد عوفى » وهو أقدم من سجل تراجم شعراء الفرس في كتابه « باب الأبواب » إسمي شاعرين من الشعراء ، أنشدا الشعر بالفارسية وكانا محلا لرعاية « صاحب اسماعيل ابن عباد » وهما « منصور بن علي الرازي » الملقب بـ « النطقي » و « أبو بكر محمد بن علي السرخسي » الملقب بـ « الحسروي » . وقد أخبرنا « عوفى » أن أولهما كان مقربا من « صاحب » وقد قال في مدحه القصائد الفارسية . ونقل لنا « عوفى » بعض أمثلتها ومن بينها الأبيات الثلاثة الفارسية التي طلب صاحب من « بديع الزمان الهمداني^(١) » ترجمتها إلى العربية ليختبر قدرته في الكتابة والإنشاء عندما قدم إليه وهو في الثانية عشرة من عمره^(٢) .

وأما ثانيهما وهو « الحسروي » فقد قال شعراً عربياً وفارسياً في مدح الحاكم ازابارى في طبرستان « شمس المعالي قابوس بن وشمكير » وكذلك في مدح « صاحب ابن عباد » . ونجد أيضاً شاعراً ثالثاً هو « قمرى الجرجاني » قد تغنى بأشعاره الفارسية في مدح هذا الأمير .

السلطانة محمود الغزنوي :

أما مجموعة الشعراء والمثشدن الذين كانت تزدان بهم قصور الفاتح العظيم

(١) هو مؤلف « المقامات » التي تعتبر كثيراً حاوياً لذخائر اللغة العربية ولا يفضلها إلا مقامات « الحريري » .

(٢) أنظر « باب الأبواب » ج ٢ ص ١٦ - ١٩ .

السلطان محمود الغزنوي الذي تولى العرش بعد أبيه « سبكتكين » في سنة ٩٩٨ م = ٣٨٨ هـ . فقد كانت أبعد شهرة وأقوى مكانة من كل من ذكرناه من الشعراء فيما سبق لنا من قول .

وقد ارتفعت الدولة الغزنوية إلى الأوج في قليل من الزمن بفضل همه « محمود » وحسن قيادته ، ثم أسرع بعد ذلك إلى حضيض ازوال أمام قوة « السلاجقة » المتزايدة . ويرجع أصلها في الحقيقة إلى سنة ٩٦٢ م = ٣٥١ هـ حينما أسسها عبد تركي اسمه « البتكين » من عبيد السامانيين في مدينة « غزنه » في وسط الهضاب الأفغانية المرتفعة . ولكن هذه الدولة لم يتم تكوينها سياسياً إلا بعد أربعة عشر عاماً من هذا التاريخ عندما تولوها « سبكتكين » والد « محمود » وكان هو أيضاً عبداً لمؤسسها الأول « البتكين » . وبذلك نجد أن محموداً الذي عرف فيما بعد بألقاب كثيرة من بينها « بطل الإسلام » و « فاتح الهند » و « محطم الأصنام » و « يمين أمير المؤمنين » و « يمين الدولة » لم يكن في الحقيقة إلا ابناً لعبد كان مملوكاً لعبد آخر ؛ وقد استغل « الفردوسي » هذه الحقيقة في هجائه لمحمود حينما خابت آماله في الحصول على مكافأة جديرة بما لاقاه من نصب وعناء مدة ثلاثين سنة قضاها في نظم ملحمة الخالدة « الشاهنامه » فاستطاع في طرفة عين أن يمحوا الشهرة العريضة التي حازها نصير الآداب « محمود الغزنوي » وأن يقلبها إلى أخبث أنواع الشين والشنار ، بحيث إذا جاء « جامي » بعد ذلك بخمسة قرون نجده يقول البيت الآتي مصداقاً لهذا المعنى :

كذشت شوكت محمود و در فسانه نماند جز این قدر که ندانست قدر فردوسی
ومعناها :

— لقد مضت شوكة « محمود » وطوتها الأساطير .

ولم يبق منها إلا أنه لم يعرف للفردوسي قدره الكبير . . . ! ! !

ووفقاً للنهج الذي أتهجنناه في الجزء الأول من هذا الكتاب لن يفوز منا السلطان « محمود الغزنوي » إلا بالسامية يسيرة للغاية ؛ وستقصر جل عنايتنا على هذه الدائرة من النشاط الأدبي العلمي الذي ظهر على أيامه ، والذي استطاع محمود — بواسطة التخويف لا الترغيب — أن يجعل مركزه في قصره بحيث كانت ترنو إليه الأبصار

وتشخص إليه الأنظار . أما أعماله فتدل على عبقرية حربية وسياسية فائقة . فقد استطاع أن يغلب السامانيين على أمرهم وأن يفزوا الهند وينازل الهنود في اثنتي عشرة معركة في مدة أربع وعشرين سنة (١٠٠١ - ١٠٢٤ م = ٣٩٢ - ٤١٥ هـ) وأن يزيد حدود مملكته التي ورثها حتى امتدت من بخارى وسمرقند إلى كجرات وقتوج وشملت فيما شملته أفغانستان وما وراء النهر وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وجزء كبيراً من الولايات الواقعة في الشمال الغربي من الهند . حتى إذا كانت سنة ١٠٣٠ م = ٤٢١ هـ أدركته الوفاة . وبعد ذلك بسبع سنين انتقل ملكه العريض فعلياً إلى أيدي السلاجقة الأتراك ، ولو أن دولته التي أسسها لم يقض عليها القضاء النهائي إلا في سنة ١١٨٦ م = ٥٨٢ هـ عندما استولى « ملوك الغور » على آخر ممتلكاتها في الهند وأوقعوا بها الواقعة القاصمة .

وطالما وصف الكتاب محموداً الغزنوي بأنه كان نصيراً كبيراً للأدب والفنون ، ولكنه في رأي أقرب إلى أن يوصف بأنه من كبار « الحافظين » لرجال الآداب والفنون . وكثيراً ما كان يعاملهم في النهاية معاملة تنطوي على كثير من الازدراء والإهمان كما يتضح لنا ذلك من قصته التي رويتها عن الفردوسي . ولم يكن بين رجال العلم في زمانه من يفضل « ابن سينا » و « البيروني » وقد كان أولهما حكماً فيلسوفاً تلمذ على « ارسطو » و « جالن » وأصبح بذلك أستاذاً للبلاد الأوروبية في القرون الوسطى ؛ وأما ثانيهما فكان مؤرخاً يشار إليه بالبنان . وكان مولده أولهما في سنة ٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ ومولده الثاني قبل ذلك بسبع سنوات تقريباً ؛ وكان الاثنان يعيشان عيشة هائلة^(١) مع زمرة منتخبة من رجال العلم والأدب مثل الفيلسوف « أبي سهل المسيحي » والطبيب « أبي الخير الحسن بن الحمار » والرياضي « أبي نصر ابن العراق » لدى « مأمون بن مأمون » أمير خوارزم الذي اغتصب محموداً مملكته في سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ^(٢) . ولقد أرسل محمود قبل ذلك إلى « مأمون » خطاباً ، أشفه على يد واحد من أتباعه المسمى « حسين بن علي بن ميكائيل » يقول فيه : لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم مثل فلان

(١) أنظر كتاب « چهارمقاله » القصة ٣٥ وكذلك ص ١١٨ - ١٢٤ في الترجمة الإنجليزية .

(٢) أنظر ترجمة « سخاو » لكتاب « الآثار الباقية » ص ٨ .

وقلان وكل واحد منهم قد أصبح نسج وحده وبرز في علمه ، ومن الواجب عليك أن ترسلهم جميعاً إلى قصرى حتى يتصرفوا بلباقى ، فنحن نرجو أن ننتفع بعلمهم وفهم ، ونرجو أن يحقق لنا أمير خوارزم هذه الرغبة التى أبديناها . . . »

ابن سينا بفرمه قبضته محمود :

وكان هذا الخطاب على ظاهره معتدل اللهجة ، ولكنه فى الحقيقة كان مجرد أمراً من محمود إلى « مأمون » أن يعث إليه بمن لديه من رجال العلم والأدب . وقد فهمه « مأمون » على هذا الوجه ، فأرسل يستدعى الرجال الذين وردت اسمائهم فى سطورهم ، فلما حضروا إليه قال لهم : « إن السلطان محموداً رجل قوى وقد جمع الجيوش الجرارة من خراسان والهند ، وهو يحرص على الاستيلاء على العراق (خوارزم) ولست أملك أن أخالف له أمراً أو أعصى له طلباً فإعساكم تقولون فى ذلك . . . !؟ » فأبدى ثلاثة من الرجال وهم « البيرونى » و « الخوارزمى » و « العرقاق » رغبتهم فى الذهاب إليه ، مدفوعين فى ذلك بما سمعوه عنه من نخوة وكرم . ولكن « ابن سينا » و « المسيحى » آثرا الرفض واستطاعا بمعونته « مأمون » أن يعملوا على الهرب والفرار . فأما « المسيحى » فقد هلك فى عاصفة رملية اجتاحتها فى الصحراء ؛ وأما « ابن سينا » فقد استطاع بعد معاناة كثير من الشدائد أن يصل إلى « ايبورد » ثم ارتحل منها إلى « طوس » فـ « نيسابور » حتى وصل فى النهاية إلى « جرجان » وكان يتولاها فى ذلك الوقت رجل العلم والأدب « شمس المعالى قابوس بن وشمكير » (المقتول فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ) .

وكان « ابن سينا » أول الرجال الذين طلبهم محمود ، فلما علم هذا الأخير بهربه أمر رجاله أن يصوروا صورته ، وأن يذيعوها فى أنحاء البلاد . وفى هذه الأثناء استطاع « ابن سينا » أن يشقى أحد أقارب « قابوس » فاستدعاه هذا الأمير ليعبر له عن إعجاب به بحكته ، فلما مثل بين يديه ، عرف أنه الرجل الذى يرغب فيه « محمود » ولكنه لم يشأ أن يسلمه إليه واستبقاه لديه مكرماً مبعجلاً ، فبقى فى خدمته حتى سافر إلى « الرى » ودخل فى خدمة « علاء الدولة محمد » حتى أصبح وزيراً له . وقد

تمكن « ابن سينا » طوال هذه الفترة — كما يحدثنا صاحب « چهار مقاله (١) » — من أن يكتب في الساعات المبكرة من الصباح صفحتين يومياً من كتابه الفلسفي العظيم « الشفاء » .

البيروني والسلطان محمود الغزنوي:

فإذا رجعنا الآن وهلة قصيرة إلى حياة « البيروني » في القصر الغزنوي كما وصفتم الحكاية الثالثة والعشرون من كتاب « چهار مقاله » فإننا نجد أن السلطان محمود الغزنوي جلس يوماً في مدينته غزنة في قصره الصيفي ذي الأبواب الأربعة ، وكان يتوسط حديقته ذات الألف شجرة ، فطلب من البيروني أن يحسب النجوم ويخبره عن الباب الذي سيخذه مخرجاً من القصر ، وأذعن « البيروني » لأمر مولاه ، وكتب إجابته على ورقة طواها ووضعها تحت وسادته . عند ذلك أمر السلطان بأن يحدثوا في الحائط ثغرة جديدة فجعلها في هذه المرة مخرجه من القصر ، ودعا بالورقة التي كتبها البيروني فلما قرأها اشتدت دهشته لأن « البيروني » كان قد كتب فيها العبارات التالية : « لن يخرج الملك من هذه الأبواب الأربعة ، ولكنه سيحدث ثغرة في الحائط الشرقي يدلف منها إلى الخارج » . وكان السلطان محمود يريد أن يهزأ بالبيروني ، فلما وجد إجابته على هذا النحو غضب غضباً شديداً ، وأمر رجاله فألقوه من فوق السقف ، ولكنهم تلقوه في شبكة نصبوها فوق الأرض ، ثم أحضروه إلى الملك ثانية فسأله : « هل استطعت أيضاً أن تتنبأ بما حدث لك في هذه المرة . . . ؟ » فأسرع البيروني إلى أحد جيوبه وأخرج منه دفترأ قد كتب فيه : « اليوم سيلقي بي من مرتفع ، ولكنني سأصل الأرض سالماً ، ولن يصيب جسدي شيء من السوء . . . !! » وكشر الملك عن نابه مرة ثانية ، وأمر رجاله فخبسوه في القلعة فبقي في محبسه ستة أشهر حتى استشفع له وزيره « أحمد بن الحسن اليمندي » الذي انهمز فرصة مواتية فقال لمولاه : « إن أبا ريحان البيروني رجل مسكين حقاً ، فقد تنبأ مرتين بأمر صادق ، ولكنك بدل أن تخلع عليه الخلع الجميلة قيدته بالقيود والأغلال الثقيلة . . »

(١) أنظر الحكاية السابعة والثلاثين .

قال الملك لوزيره : « إنني أعلم أن هذا الرجل لانظير له إلا ابن سينا ، ولكن تنبؤاته جاءت على غير مرأى ، والملوك كالأطفال الصغار ، لكي تتال خيرهم يجب أن تتحدث بما يجول في خواطرهم ، وكان من الخير له في ذلك اليوم أن تفشل إحدى نبوءاته ؛ ومع ذلك أصدر أمرك في الغداة أن يفرجوا عنه ، وأن يمنحوه جواداً مطهماً ، وأن يخلعوا عليه خلمة غالية ، وأن يعطوه ألف دينار وعبداً وجارية جميلة » .

وبمثل هذه الكفاة التأخرة عن أوانها ، أراد السلطان محمود (كما فعل مثل ذلك تماماً مع الفردوسى) أن يكفر عن سيئاته التي ارتكبها في ساعة من ساعات الغضب الذي لا يبرر له ، وفي ساعة من ساعات الشك الذي لا أساس له .

أبو الفتح البستي :

ومن بين رجال الأدب المعروفين بالمهارة في الإنشاء العربي نظماً وشرأ « أبو الفتح البستي » وقد أخذ « سبكتكين » والد محمود عندما تم له الاستيلاء على مدينة « بست » وهزيمة حاكمها « بايتوز » . وقد اتقل هذا الكاتب البارع والشاعر البدع إلى خدمة السلطان محمود ومات في بخارى منفياً (١) في سنة ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م . وقد كان ماهراً في الصناعات البديعية ، وله قصيدة معروفة يخبرنا « التنبي » بأنها كانت عالية الشأن في زمانه يحفظها الناس عن ظهر قلب ، وما زال « النشدون » ينشدونها إلى الآن في مقاهى « القاهرة » ومطلعها (٢) :

زيادة المال في دنياه نقصان وريحه غير محض الخير خسران

وتقل لنا « دولتشاه » من أشعاره العربية الأبيات التالية :

نضحتكم يا ملوك الأرض لا تدعوا كسب المكارم بالإحسان والجود

(١) انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٣١ وكذلك تاريخ اليبيني للعتبي طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ ج ١ ص ٦٧ - ٧٢ مع شرح النبي ، وكذلك ابن خلكان ترجمة دى سلين « De Slane » ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) هذه القصيدة المذكورة في كتاب « خرابات » لضيا بك ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

وانفقوا ببيضكم والجر في شرف . لا ينتهي باختلاف البيض والسود
هذي ذخائر « محمود » قد انتهت . ولا اتهاب لنا في ذكر محمود
وتاريخ وفاته المذكور في بيتين من قول « ملك عماد الزوزني » على هذا
النحو :

شيخ عالي قدر مجد الدين أبو الفتح آنكه بود
مقتداى اهل فضل وسرور اهل كلام
چار صد باسى چو از تاريخ احمد در گذشت
در مه شوال رحلت كرد تا دار السلام
(أى فى شهر شوال سنة ٤٣٠ هجرية) .

رعاة الآداب وكثرتهم :

وقد امتاز هذا الزمان بتقدير الأمراء لرجال الأدب والسعى إلى إرضائهم وخطب
ودهم ، فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه وخصومه في كثرة من يحوطه من
رجال العلوم والفنون . وكانت المراكز الأدبية في ذلك الوقت عبارة عن « غزوة »
عاصمة السلطان محمود ، و « نيسابور » عاصمة أخيه « أبي المظفر نصر » في ولاية
خراسان ، و « بخارى » إلى أن انتهى أمر السامانيين حوالى سنة ١٠٠٠م = ٤٣٩١
والمدن المختلفة في جنوب وغرب إيران تحت حكم البويهيين ، وقصور العلويين
والزياريين في ولاية طبرستان ، وقصور ملوك خوارزم الثلاثة المعروفين باسم « مأمون »
في مدينة « خيوه » .

واقدر يستطيع الكاتب أن يكتب بحثاً ممتعاً عن كل واحد من هذه المراكز
الأدبية الالامعة ، وسيجد مادتها موزعة في طيات الكتب ولكنها غزيرة وافية ،
وسيجد أخباراً كثيرة عن الشعراء الذين أنشدوا بالعربية في كتاب « يتيمة الدهر »
للأبي منصور الثعالبي وفي ملحق اليتيمة وهو « دمية القصر » للباخرزى الذى لم ينتشر
حتى الآن (١) ، وسيجد أخباراً كثيرة عن شعراء طبرستان وكتابها في المقالات التي

(١) المترجم : نشر هذا الكتاب في مدينة حلب سنة ١٢٤٩هـ = ١٩٣٠م .

نشرها « دورن » عن تاريخ هذه الولاية في سنة ١٨٥٠ - ١٨٥٨ م في مدينة « سان يترسبورج » وكذلك في التاريخ القديم الذي ألفه « ابن اسفنديار » ، ونشرت ترجمة مختصرة له في المجلد الثاني من « سلسلة جب التذكارية » ؛ وسيجد أخباراً كثيرة عن « إصفهان » في الرسالة التي نشرت مختصرة في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية عدد يولييه وأكتوبر سنة ١٩٠١ م ؛ وسيجد أخباراً كثيرة أخرى في كتب التاريخ والتراجم العامة وعلى الخصوص كتب « ابن الأثير » و « ابن خلكان » و « العتي » وغيرهم من الكتاب والمؤلفين .

أبو منصور الثعالبي :

وكان من عادة الشعراء ورجال العلم والأدب في ذلك الزمان أن يتقلاوا بين القصور المختلفة ، وأن ينظموا القصائد أو يؤلفوا الكتب ويهدوها إلى الأمراء المختلفين . فوجد مثلاً أن أبا منصور الثعالبي النيسابوري أهدى كتابه « لطائف المعارف » إلى صاحب إسماعيل بن عباد (١) وزير نجر الدولة البويهبي ؛ وأهدى « المبهج » و « التمثل والمحاضرة » إلى « شمس المعالي قابوس بن وشمكير » ؛ وأهدى « سحر البلاغة » و « ققه اللغة » إلى « الأمير أبي الفضل الميكالي » ؛ وأهدى « النهاية في الكناية » و « نثر النظم » و « اللطائف والظرائف » إلى « مأمون بن مأمون » أمير خوارزم (٢) .

أبو ربحانه البيروني :

وكذلك فعل أيضاً العلامة الكبير أبو ربحان البيروني (ولده سنة ٩٧٣م = ٣٦٣هـ) فقد قضى الشطر الأول من حياته في رعاية أمراء خوارزم وأخوة من أسرة مأمون ،

(١) أنظر ص ٢ من طبعة « دي يونج » في ليدن سنة ١٨٦٨ م .

(٢) أنظر مؤلفات الثعالبي في كتاب « بروكلمان » عن تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٢٨٤ إلى ٢٨٦ وكذلك في ص ٩ وما يليها من مقدمة « زوتنبرج » على كتاب « غرر أخبار ملوك الفرس » وهو كتاب قدمه الثعالبي إلى شقيق السلطان محمود المروف بأبي المظفر نصر .

ثم انتقل إلى قصر شمس المعالي « قابوس بن وشمكير » في طبرستان ، وهناك أهدى إليه كتابه « الآثار الباقية » حوالي سنة ١٠٠٠ م = ٥٣٩١ هـ ، ثم عاد إلى خوارزم ومنها نقلوه بأمر السلطان محمود إلى أفغانستان حوالي سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ فبقى في خدمته إلى أن أدركت السلطان محمود منيته في سنة ١٠٣٠ م = ٤٢١ هـ وبعد ذلك بقليل نشر كتابه الثاني « تحقيق ما للهند من مقوله معقوله أو منقوله » . وقد نشره وترجمه « الدكتور سخاو » وأشار في مقدمته إلى « أن الباحث الحديث في أيامنا لو بدأ دراسة اللغات السنسكريتية والهندية وأعانتة العلوم والآداب المختلفة على ذلك ؛ لبقى عدداً طويلاً من السنين دون أن يتمكن من معرفة تاريخ الهند القديم بعث الدقة والبراعة اللتين وصل إليهما البيروني في تاريخه عن الهند » .

وبعد ذلك بستين استطاع « البيروني » أن ينشر كتابه الذي كتبه بالعربية والفارسية^(١) « التفهيم في صناعة التنجيم » وكتاب « قانون السعدي » . وقد كتب أول هذين الكتابين للسيدة « ريحانة الخوارزمية » وكتب ثانيهما وأهداه للسلطان « مسعود بن محمود بن سبكتكين » . ثم أهدى بعد ذلك كتابه عن الأحجار الكريمة إلى « مودود بن مسعود^(٢) » .

مراكز الحضارة الأربعة في إيران :

بالإضافة إلى « غزنه » كانت توجد في إيران في الفترة المبكرة من العصر الغزنوي مراكز أربعة تجذب إليها رجال العلم والأدب وهي :

١ - قصر الصاحب بن عباد : وزير البويهيين؛ وكان يقيم عادة في « إصفهان » أو « الري » .

(١) أنظر كتالوج المخطوطات الفارسية جمع « ريو » من ٤٥١ - ٤٥٢ . وقد وصف فيه مخطوطاً فارسية لهذا الكتاب تاريخه ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ
الترجم: طيب الأستاذ جلال هاشم النور الفارسي لهذا الكتاب أخيراً في طهران سنة ١٣١٨ هجرية شمسية ، بعنوان : « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » .
(٢) أنظر قائمة بمؤلفات البيروني في كتاب بروكلمان ج ١ من ٤٧٥ - ٤٧٦ .

- ٢ - قصر السامانيين في « بخارى » .
- ٣ - قصر شمس المعالي « قابوس بن وشكير » في « طبرستان » على مقربة من بحر قزوين .
- ٤ - قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم « مأمون » في « خيوه » .
- ولكن حدث في فترة السنوات العشرين الواقعة بين سنتي ٩٩٧ م و ١٠١٧ م = ٣٨٧ - ٤٠٨ هـ أن توفي «الصاحب بن عباد» في سنة ٩٩٧ م = ٣٨٧ هـ؛ كما زالت الدولة السامانية من الوجود في سنة ٩٩٩ م = ٣٩٠ هـ؛ ثم قتل بعد ذلك شمس المعالي « قابوس » في سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ على يد جماعة من الأشراف الثأرين؛ كما قتل أيضا «مأمون الثاني» ملك خوارزم عقب ثورة أعقبها ضم ممتلكاته إلى السلطان محمود في سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ؛ واستطاع السلطان محمود بواسطة ذلك وبواسطة الفتح والغزو أن يضم إليه رجال الأدب والعلم الذين كانوا يحوطون خصومه من الأمراء الذين ذكرناهم فيما سبق؛ ومع ذلك لم يكن هو نفسه ليمتاز بما امتاز به هؤلاء الخصوم من ذوق فني وخصال سليمة وشيم كريهة .

الصاحب بن عباد :

والثعالبي يتحدث في يتيمة عن الصاحب بن عباد فيقول مايلي (١) :

« ليست تحضرنى عبارة أرضاها الافصاح عن علو محله في العلم والأدب ، وجماله شأنه في الجود والكرم ، وتفرد لغايات المحاسن ، وجمعه اشقات الفاخر ، لأن همة قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهده وصفى يقصر عن أيسر فوائده ومساغيه . ولكنى أقول هو صدر الشرف ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفن في دهرنا سوق ... »

ويضيف ابن خلكان إلى ذلك العبارة التالية :

« واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغير المدائح ... »

(١) انظر يتيمة الدهر طبع بيروت ج ٣ ص ٣١ - ٣٢
المرجم : في النص الذى اوردهناه زيادة قليلة .

شمس المعالي قابوس :

أما شمس المعالي « قابوس بن وشمكير » حاكم طبرستان ، فيرجع نسبه إلى « آل قارن » (قارنوند) وهم إحدى الأسر السبع الرفيعة على أيام الساسانيين الذين كان العرب يسمونهم « أهل البيوتات » . والبيروني يرجع نسبه إلى الملك الساساني « قباز » والد « انوشيروان^(١) » ويقول « ابن اسفنديار » في « تاريخ طبرستان » « إن من شاء أن يلمس عظمته ورفقته ، فعليه أن يقرأ ما كتبه عنه « الثعالبى » و« العتبى » في كتبهما^(٢) . وقد جمع « البرزادى » أقواله وجعلها في كتاب عنوانه : « قرأتين شمس المعالى وكمال البلاغة » وقد نقل « ابن اسفنديار » ما يقرب من ثلاثين سطرا من هذا الكتاب وعلق عليها بأن « قابوس » كان مبرزاً في علوم البلاغة العربية ، تمتازاً في الشجاعة وأوصاف البطولة ، متفوقاً في الفلسفة والنجوم . وقد كتب بالعربية رسالة عن « الاسطراب » أعجب بها كثيراً « أبو اسحاق الصابى » .

وكان « قابوس » يكلف كاتبه « عبد السلام » بمراسلة « صاحب بن عباد » ووزيره « أبى العباس الغامى » ؛ وكذلك كان يرسل « أبى نصر العتبى » مؤرخ السلطان محمود ، وقد نقل هذا المؤرخ عنه في أعجاب شديد رسالة عربية قصيرة من تأليفه في بيان ما امتاز به كل واحد من الصحابة^(٣) .

ومن أسف أن « قابوس » رغم ما امتاز به من نبيل الأصل وعلو العقل كان فظاً غليظ القلب كثير الظنون يتعطش في بعض الأحيان إلى سفك الدماء ، وقد كانت حادثة إعدامه لأحد كتابه الـ « حاجب نعيم » بتهمة الاختلاس هي السبب المباشر والأخير الذى دعا رجاله إلى الثورة عليه وخلعه وقتله . فلما تم لهم ذلك نصبوا في مكانه ابنه « منوچهر فلك المعالى » وهو الأمير النبى استمد منه الشاعر « منوچهرى » لقبه الشعرى (تخلصه) لرعايته له وتقريبه إياه .

(١) انظر الآثار الباقية ترجمة سغاو ص ٤٧ .

(٢) انظر يتيمة الدهر طبع دمشق ج ٣ ص ٢٨٨ وكذلك تاريخ العتبى طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ ج ٢ ص ١٤ - ١٧ و ص ١٧٢ - ١٧٨ .

(٣) انظر تاريخ العتبى ج ٢ ص ١٧ - ٢٦ .

السلطان محمود ، أموره وألقابه :

أما الحكام الآخرون المعاصرون للسلطان محمود الغزنوي فيكفي أن نذكر منهم أن خليفة بغداد على عهده كان « القادر بالله » ؛ أما الخليفة الفاطمي في مصر فكان « أباعلى المنصور » في الثلثين الأولين من الفترة التي تولاهما السلطان محمود ، والخليفة « الظاهر » في الثلث الأخير من أيام حكمه .

والمأثور عن « محمود » أنه أول من تلقب بلقب « سلطان » . ويظهر أيضا كما يستفاد من « تاريخ العتي (١) » أنه تلقب أيضا بلقب « ظل الله في أرضه » كإفعل بعد ذلك سلاطين آل عثمان . وكان محمود سنى المذهب يعترف بالسلطة الروحية العليا للخليفة بغداد (٢) أما ألقابه الكاملة فكانت كما يلي (٣) :

« الأمير السيد ، الملك المؤيد ، عيّن الدولة ، وأمين الملة ، أبو القاسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين ملك الشرق بمجانيه » .

وأشهر وزرائه هو « أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى » . وكانوا يلقبونه بـ « شمس الكفأة » وهو الوزير الذى استشفع أكثر من مرة للبيرونى والفردوسى ، وقد مدحه كثير من الشعراء المعاصرين بكثير من القصائد الجميلة .

ويجب علينا عند هذا الحد أن ننصرف عن هذا المجلد الذى استعرضنا فيه صورة إيران السياسية في هذا الوقت لندرس جملة من الكتاب والشعراء المتأثرين الذين عاشوا فيه ، ولن نقصر دراستنا على من استعمل اللغة الفارسية وحدها من هؤلاء ، لأننا لو فعلنا ذلك لظلمنا العبقريّة الفارسية كل الظلم ، لأن اللغة العربية ظلت طوال هذا العصر ولمدة القرنين ونصف القرن التالية ، لغة العلم ولغة السياسة والمراسلة والأدب الرفيع ، وعلى ذلك سنبداً حديثنا عن أشهر كتاب الفرس الذين أخذوا العربية وسيلة لكتاباتهم ومنشآتهم كلها أو جلها .

(١) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير سنة ٤٢٠ هـ فهو يذكر أن محموداً في نهاية حياته كان يأمر بصلب الإسماعيلية وتلق المعتزلة ويأحرار كتب الفلاسفة والعلماء .

(٣) انظر تاريخ العتي ج ١ ص ٢١٠ .

أبو ريحان البيروني :

ومن أشهر هؤلاء على الإطلاق «أبو ريحان البيروني» مؤلف الكتب الآتية :

(أ) الآثار الباقية .

(ب) تحقيق ما للهند من مقولة معقولة أو منقولة .

(ج) التفهيم في صناعة التنجيم بالفارسية .

وله كتب كثيرة أخرى أغلبها مفقود ، وقد ذكرها جميعاً ناشره و مترجمه المستشرق العلامة الدكتور « سخاو » . ولكي يدرك القارىء رأياً منصفاً عادلاً عن مكانة البيروني ومنزلته أجد نفسي مضطراً لدواعي الاختصار إلى أن أحيله إلى القدمات التي ألحقها الدكتور « سخاو » بترجمته للكتابين الأولين وخاصة ماورد فيهما بالصفحتين السادسة والسابعة من مقدمة الكتاب الثاني . ولا شك أن البيروني كان رجلاً غزير المعرفة ، سمح الأخلاق ، يمتاز بدقة النقد كما نفهمه في الوقت الحاضر ، وكان كما يقول « سخاو » حريصاً على تحرى الحقيقة ، ذا شخصية فردية عالية مليئة بالشجاعة والإقدام ، لا يحجم عن كيل الضربات القاصمة إذا رأى الخير تجتاحه جائحة أو الحق تنزل به نازلة .

وقد ولد البيروني في «خوارزم» في سبتمبر سنة ٩٧٣ م = ٣٦٣ هـ ومن المحتمل

أنه مات في مدينة « غزنه » في ديسمبر سنة ١٠٤٨ م = ٤٤٠ هـ .

ابن سينا :

رجل آخر من كبار الكتاب والمفكرين الفرس الذين عاشوا في هذا العصر هو « ابن سينا » . وقد تحدثنا عنه بعض الحديث فيما سبق من صفحات ، وقلنا إنه تلمذ في الفلسفة على تعاليم « أرسطو » كما تلمذ في الطب على تعاليم « بقراط » و « جالن » . ولم يقتصر تأثيره في العصور الوسطى على الفكر الأسيوي بل تعداه إلى الفكر الأوروبي فأثر فيه أبلغ الأثر . ولو أنني حاولت أن أدرس نطاق فلسفته ومدى تجاربه الطبية في كتابي هذا لضاقَت صفحاته عن استيعابها . وقد ذكر « بروكمان »

في كتابه «تاريخ الآداب العربية» (ج ١ ص ٤٥٢-٤٥٨) جملة من مؤلفاته تبلغ المائة، قد عاجلت شتى الموضوعات ما بين قسه وفلسفة ونجوم وطب وعلوم مختلفة أخرى. ولا شك أن أشهر كتبه كتابان هما :

(١) الشفاء : وهو يتعلق بعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والرياضيات .

(ب) القانون : وهو يتعلق بالطب .

وأول هذين الكتابين يقع في ثمانية عشر جزءاً^(١).

ولمن شاء من القراء ان يعرف شيئاً عن حياة « ابن سينا » أن يرجع إلى ما كتبه عنه « ابن خلكان » في « وفياته » وكذلك إلى ما كتبه « بروكلان » في كتابه الذي سبق ذكره ، وكذلك فيما كتبه « الشهرستاني » في كتابه « الملل والنحل » إما في أصله العربي أو في الترجمة الألمانية التي قام بها « هاربروكر^(٢) » أو فيما كتبه عنه البارون « كارا دي فو^(٣) » .

وقد ولد « ابن سينا » في مدينة « بخارى » في سنة ٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ ومات في « همدان » أو « أصفهان » في سنة ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ .

ويقول « ابن خلكان » : إنه « لما بلغ السنة العاشرة من عمره كان قد أتمن علم القرآن العزيز والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهند والجبر والمقالة ... الخ » ثم درس مع « الناتلي » الطبيب علوم المنطق ويوقليد والماجسطي ، ودرس مع « إسماعيل الفقيه » الفقه والتصوف ، وتخصص بعد ذلك في فلسفة الطبيعة والحكمة وسائر العلوم الأخرى بما فيها الطب الذي درسه على يد الطبيب المسيحي

(١) المترجم : نسر الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور أجزاء من هذين الكتابين .

كما نسر الأب جورج فنواي بتكليف من جامعة الدول العربية بمناسبة العيد الألفي لابن سينا نبأ مؤلفاته بعنوان « مؤلفات ابن سينا » طبع القاهرة سنة ١٩٥٠ ، ونشرت جامعة الدول العربية أيضاً « الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا في بغداد » سنة ١٩٥٢

(٢) كتابه بالمعروف الرومانية : (Haarbrocker)

(٣) إسم الكتاب الأصلي: Avicenne: by Carra de Vaux. Paris. 1900.

« عيسى بن يحيى » . فلما بلغ السابعة عشرة من عمره طبقت شهرته الآفاق في الطب حتى استُدعوه لمداواة الأمير « نوح بن منصور الساماني » وقد نجح في معالجته نجاحاً تاماً ، فقربه ذلك الأمير ، وأغدق عليه من نعمه ، وسمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات ، وقد وصفها ابن سينا فقال إنها مكتبة غنية بالكتب الكثيرة ؛ وكان بعض هذه الكتب مجهول الإسم لدى كثير من الناس ، كما كان بعضها غير معروف له من قبل ، ولم يصادفه في غيرها فيما بعد ؛ ومن أسف أن هذه المكتبة احترقت بعد ذلك بقليل من الوقت ، فآتهم جماعة من أعدائه بأنه أحرقها عامداً حتى يصبح وحده الواعى لما استفاده من كتبها النادرة ومخطوطاتها الفريدة .

وأدركت المنية بعد ذلك والده ، وانهارت الدولة السامانية بالقرب من نهاية القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) فكان ذلك سبباً في أن يترك ابن سينا مدينة « بخارى » وأن يقصد إلى « خوارزم » . وقد فاز هنالك بتقريب أميرها « مأمون » له ، ولكن الظروف التي سردناها فيما سبق من صفحات - تلاقعن كتاب « چهار مقاله » - اضطرتهم ككاروينا ، إلى الهرب من « خوارزم » إلى « نسا » و « أيورد » و « طوس » حتى وصل أخيراً إلى « جرجان » حيث أحسن استقباله « شمس المعالي قابوس بن وشمكير » فنزل عنده مكرماً معززاً ، حتى إذا قتل هذا الأمير ترك ابن سينا « جرجان » وذهب إلى « الري » و« قزوین » و« همدان » حتى انتهى به المطاف إلى مدينة « أصفهان » حيث التحق بخدمة الأمير البويهى « علاء الدولة ابن كا كويه » . ولقد تعرض أثناء حياته لكثير من الشدائد والمحن ولاحقته الأمراض والعلل ، وقضى فترة في الحبس والمعتقل ، وكادوا يعدمون له في وقت من الأوقات ، ولكنه ظل يكافح حتى اغتاله الموت في النهاية فقضى فريسة لعلة أصابت أمعاءه في صيف سنة ١٠٣٧ هـ = ٤٢٩ هـ (١) .

(١) يرى ابن الأثير في نهاية حوادث سنة ٤٢٨ هـ أن علاء الدولة كان متهماً في دينه ، ومن أجل ذلك فقد التحق ابن سينا بخدمته حتى يستطيع أن يكمل مؤلفاته المليئة بالإلماد دون أن يعيبه شيء من الأذى . فلما أصابت الهزيمة علاء الدولة على أيدي الغزنويين في سنة ٤٢٥ هـ =

وبالإضافة إلى ما ذكرناه لابن سينا من كتب فلسفية وعلوية نجد له جملة من الأشعار العربية والفارسية سنتحدث عنها بعد قليل. ونجد له أيضاً قصتين فلسفيتين هما :

(أ) حي بن يقطان :

ويجب ألا نخلط بينها وبين سميتها التي فازت بالسمرة وهي من إنشاء « ابن الطيفيل » وقد طبعت في أكسفورد في سنة ١٦٧١. وسنة ١٧٠٠ م. وترجمها إلى اللاتينية « بوكوك (١) ». [طبعت مراراً في القاهرة]

(ب) سلامان وأبال :

وقد جعلها الشاعر « جامي » فيما بعد موضوعاً لإحدى منظوماته وطبعها « فولكنر (٢) » في سنة ١٨٥٠ م وترجمها « فينجرالد (٣) » إلى الإنجليزية ثم نشرها دون أن يلحق بها اسمه وأهداها للمرحوم الأستاذ « كويل (٤) » في سنة ١٨٥٦ م .

قصائد ابن سينا الفارسية :

وقد استطاع الدكتور « إتيه » بدأبه وصبره على البحث ، أن يجمع من مصادر مختلفة خمس عشرة منظومة من أشعار ابن سينا الفارسية (قوامها اثنتا عشرة رباعية ومقطوعة واحدة من بيتين وغزليتان) يبلغ عدد أبياتها جميعاً الأربعين ، وقد نشرها مع ترجمة ألمانية لها في مجلة « أخبار جوتنجن (٥) » سنة ١٨٧٥ م . ص ٤٥٥-٥٦٧ بعنوان « ابن سينا كشاعر فارسي غنائي » .

== كانت كتب ابن سينا من بين الأسلاب التي حملها الجيش النوروى إلى مدينة غزنة ، وقد حفظوها في مكباتها حتى أحرقت المدينة جيوش الملك حين النوروى الذي لقب بـ « جهان سوز » أى محرق الدنيا .

- | | |
|-------------------------|------------------------------|
| « Pocke » | (١) اسمه بالحروف الرومانية : |
| « Falkoner » | » » » (٢) |
| « Fitz Gerald » | » » » (٣) |
| « Cowell » | » » » (٤) |
| 'Gottinger Nachrichten' | » » » (٥) إسما |

ويجب أن نلاحظ أن من بين الرباعيات المنسوبة إلى ابن سينا رباعية مشهورة ينسبونها عادة إلى «عمر الحيام» وهي الرباعية الثالثة مما نشره «إتيه» والثالثة بعد المائة الثالثة في الترجمة التي نشرها «هونقليد» لرباعيات الحيام^(١).

ونص هذه الرباعية بالفارسية كما يلي^(٢):

از جرم حضيض خاك تا اوج زحل
كردم همه مشكلات گردون را حل
بيرون جسم ز بند هر مكر وحيل
هر بند گشاده شد مگر بند اجل ... !!

ومعناها :

ما بين حضيض الأرض وأوج زحل
استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
ونجوت بنفسى من أحاييل المكر والحيل
وحللت كل العقدة ، ما عدا عقدة الأجل ... !!

رباعيات الحيام الجائلة :

ومن السلم به ما هو معروف لدى جميع المهتمين بدراسة الفارسية من أن عدداً من الرباعيات التي تنسب إلى «عمر الحيام» وتشتمل عليها كثير من الطبقات الحديثة للرباعيات ، ينسب في نفس الوقت إلى شعراء آخرين غير الحيام ، وربما كانت نسبته إلى هؤلاء تستند إلى أسانيد لا يصحها الوهن أو الخلل ؛ وهذه «الرباعيات الجائلة»

Whitfield

(١) اسمه بالحروف الرومانية :

(٢) الترجمة : أورد براون هنا الترجمة الإنجليزية لهذه الرباعية لفتنجرالد ثم ترجمة هونقليد لها ثم الترجمة الألمانية للدكتور إتيه ، وقد رأيت الاستغناء عن هذه الترجمات بذكر الأصل الفارسي وترجمته العربية

قد قام بدراستها « ژوكوفسكى^(١) » في مقاله العلمية الهامة التي أرسلها إلى «الظفرية» ، وهي مجموعة من الدراسات الأدبية الشرقية نشرت في سان پيتربورج سنة ١٨٩٧ م احتفالاً بمرور خمس وعشرين سنة على حصول البارون «فون روزن» على الأستاذية في هذه الدراسات .

وقد كتب « هوفيلد » عن هذه الرباعيات الجائلة ما يلي^(٢) :

«وصعوبة أخرى متصلة بما ذكرنا ، تعرض لنا عندما نجد أن كثير من الرباعيات التي تنسب لعمر الحيام ، تنسب أيضاً إلى غيره من الشعراء . ولقد ذكرت أمثلة قليلة منها في تعليقاتي ، ولكن البحث الدقيق سيكشف لنا عن جملة أخرى غيرها . وربما يظن بعض الناس أن لغة الرباعيات وما امتازت به من خصائص تكفي وحدها للتفريق بين الأصل منها وبين ما زيفه غيره من الشعراء بعد قرنين أو ثلاثة من ازمان ؛ ولكنني أذهب مع « چودزكو : Chodzko » فيما ذهب إليه من أن اللغة الفارسية الأدبية التي استعملت منذ ثمانمائة سنة لا تفرق عن مثلتها التي تستعمل في الوقت الحاضر إلا في القليل الطفيف ، ولو صح الفرض وكان شعر الحيام يمتاز بميزات خاصة ، لأمكن القول بأنه يمكن التفريق بينه وبين غيره من الأشعار ، ولكن الحقيقة الماثلة هي أن الشعر الفارسي برمته يجري على طرائق واحدة متماثلة ، ولم يشذ الحيام في ذلك عن غيره من الشعراء . أما الشعر التائر على التعاليم الدينية ، وهو ما ينسب عادة إليه ، فيمكن أيضاً العثور عليه فيما كتبه سلفه مثل «ابن سينا» وخلفه مثل «أفضل الدين الكاشي» وغيره من الكتاب اللاحقين له . ومن أجل ذلك فلم أستبعد من ترجحت أية رباعية نسبوا قولها إلى الحيام وإلى غيره من الشعراء . وما دامت النسخة الخطية التي تقع في يدي سليمة غير سقيمة فقد جعلت دأبي أن أورد ما بها من رباعيات ، لا لأني على ثقة من أنها من مقولة الحيام ، ولكن لأن الاحتمال متكافئ ، في نسبتها إلى الحيام أو إلى غيره من الناس» .

أما الغزليتان اللتان ضمنهما الدكتور « إتيه » في مقاله ، فواحدة منهما في

(١) اسمه بالحروف الرومانية « Zhukovski » .

(٢) أنظر ص ١٧ من مقدمة ترجمته الإنجليزية لرباعيات الحيام .

وصف الحمر، والأخرى في ذكر بعض الحكم والنصائح، وهما في رأي لايدلان على براعة فائقة، ولا يسلان من التجريح من حيث صحة نسبتها إلى ابن سينا؛ ومن أجل ذلك فإني أعرض عن ترجمتهما وأحيل القارئ الحريص على المزيد إلى المقالة الممتعة التي كتبها الدكتور «إتيه» في مجلة «أخبار جوتجن» (١)

قصيدة ابن سينا عمه الروح :

وأجل قصائد ابن سينا وأدعائها إلى الإعجاب هي قصيدته العربية المشهورة عن الروح ونصها كما يلي (٢) :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محبوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تبرقع (٣)
وصلت على كرهه إليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألقت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفرأقها لم تقع
حتى إذا اتصلت بها هبوطها	في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت	بين المعالم والطول الخضع

(١) الترجمة : فيما يلي بعض مؤلفات ابن سينا باللغة الفارسية : « دا نشنامه علائي » ، « رساله در حقيقت وكيفيت موجودات » ، « معراجنامه » ، « رگك شناسي أو رساله نبضيه » ، « ظفرنامه » ، « قراضه طبيعيات » ، « كنوز المرمين » ، « رساله جوديه » ويشكون في نسبة الرسائل الأربع الأخيرة إليه .

(٢) هذه القصيدة مذكورة في كتاب ابن خلكان (طبع وستنفلد ج ١ رقم ٨٩) وكذلك في خرابات سنيا بك ج ١ ص ٢٨٣ ، وقد اعتمدنا على الكتاب الأخير في النص الذي نقلناه ، وهو يختلف في نهايته عن النص المذكور في ابن خلكان .

(٣) يظهر أن هذا البيت هو الذي أوحى لجلال الدين الرومي بيته المشهور في بداية التنزي ، حيث يقول :

تن ز جان و جان ز تن مستور نيست ليك كس را ديد جان دستور نيست
اظنر كتاب « أغنية الناي » للاستاذ بالمر :

تبكى إذا ذكرت دياراً بالحمى
وتظل ساجدة على الدمن التي
إذ عاقها الشرك الكفيف وصدها
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
سجمت وقد كشف الغطاء فأبصرت
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
فلأى شيء أهبطت من شاهق
إن كان أهبطها الإله لحكمة
فهبوطها إن كان ضربة لازب
وهي التي قطع الزمان طريقها
فكأنها برق تألق بالحمى

بعدماع تهى ولما تطلع
درست بتكرار الرياح الأربع
قصف عن الأوج الفسيح الأرفع
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
ما ليس يدرك بالعيون المجمع
والعلم يرفع كل من لم يرفع
سام إلى قعر الحضيض الأوضع
طويت عن الفطن اللبيب الأروع
لتكون سامعة بما لم تسمع
حتى لقد غربت بغير المطلع
ثم انطوى فكأنه لم يلع

بربع الرسامة السهمذاني :

ويجب أن نذكر من كتاب العربية المتمازين الذين نشأوا في إيران ، ذلك العبقري
البارع الذي اخترع ذلك الضرب من الإنشاء الذي يعرف بـ « المقامات » وتقصد به
« أبا الفضل أحمد بن الحسين السهمذاني » الذي اشتهر باسم « بديع الزمان » .
وقد أخبرنا الثعالبي في يتيمة^(١) أنه مات صغير السن في الأربعين من عمره سنة
٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م والظاهر أنه لم يكن يحب بلده « همدان » فقد قال فيها
بتيه المروفين^(٢) :

همذان لي بلد أقول بفضله لكنه من أقبح البلدان
سبيانه في القبح مثل شيوخه وشيوخه في العقل كالصبيان
وقال مثل هذا المعنى مرة أخرى في بيت ورد بإحدى رسائله^(٣) نفسه :

(١) أنظر « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ١٦٨ .
(٢) أنظر ترجمة (پرستون Preston) للمقامات طبع لندن سنة ١٨٥٠ ص ١٢-١٣ .
(٣) أنظر « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٢٧٩ .

لا تلتنى على ركاكة عقلي إذ تيقنت أنني همداني

وبناء على ذلك نجده في سنة ٩٩٠ م = ٣٨٠ هـ يغادر بلدته الصغيرة «همدان» ولم يكن له من العمر في ذلك الوقت أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وقد يم وجهه في البداية إلى رجل الآداب ونصيرها «الصاحب اسماعيل بن عباد» . وقد رأينا فيما مضى كيف أخذ «الصاحب» يختبر مقدرته بإعطائه أبيانا فارسية لينقلها على البديهة إلى شعر عربي (١). ثم قصد «بديع الزمان» بعد ذلك إلى «جرجان» وأخذ وقفاً لرواية الثعالبى — يرتاد مجالس «الإسماعيلية» الذين كان عددهم كبيراً في هذا الإقليم ، حتى في هذا الوقت البكر الذى سبق ظهور شيخهم الخطير «الحسن بن الصلح» بما يقرب من قرن من الزمان حين أخذه مقرال «دعوته الجديدة» .

وفي سنة ٣٨٢ هـ = ٩٩٢ م وصل «بديع الزمان» إلى «نيسابور» فأتم هناك كتابة مقاماته ، وكانت تبلغ الأربعمائة مقامة كما يقول بذلك الثعالبى ، وطاف بعد ذلك بأهات المدن في «خراسان» و«سجستان» والإقليم المحيط بغزنه ، ثم انتهى به اللطاف إلى مدينة «هرات» حيث استقر بها إلى أن أدرسته الوفاة .

وكان بديع الزمان يمتاز بذاكرة حادة عجيبة ، فكان يسمع القصيدة التى تتألف من خمسين بيتاً مرة واحدة ، ثم يأخذ فى إعادتها دون أن يتلعم أو يتردد ، وكان يتصفح الكتاب النثور بنظرة عاجلة فيحفظ عن ظهر قلب أربعة أو خمسة من صفحاته .

ولطالما أكثر الباحثون من المقارنة بين «بديع الزمان» ومقلبه «الحريرى» وقد عقدوا الأبواب فى بيان ميزة كل منهما فى هذا الضرب من الإنشاء الذى امتازا به دون غيرهما . ومن أجل ذلك لائزى بنا حاجة إلى معالجة هذا الموضوع مرة أخرى فى هذا الكتاب ، ونحيل القارئ التعمق إلى ما كتب بصده فى مواضع أخرى (٢) .

(١) أنظر «يتيمة الدهر» ج ٤ ص ١٦٧ ومنها يبدو أن بديع الزمان كان مغرماً بالنقل على البديهة من الفارسية .

(٢) أنظر مثلاً ما كتبه «پرستون» فى مقدمته على ترجمة «مقامات الحريرى» ص ١٣-١٤ من المقدمة ١٣ و ١٤ من الأصل .

ومع ذلك كله يجب أن نلفت النظر خاصة إلى قصيدة عربية أنشأها بديع الزمان في مدح السلطان « محمود » ونقلها العتيبي في « كتاب اليميني (١) » ومن بينها الآيات الآتية :

تعال الله ما شاء	وزاد الله إيماني
أفريدون في التنا	ج أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت	إلينا بسليمان
أطلت شمس محمود	على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام	عبيداً لابن خاقان (٢)
إذا ما ركب الفيل	لحزب أو ميدان
رأت عينك سلطاناً	على منكب شيطان
فمن واسطة الهند	إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السند	إلى أقصى خراسان

مهيار الديلمي :

شاعر فارسي آخر اتخذ العربية لساناً هو « مهيار الديلمي » . وهو جدير منا بعناية خاصة لتلك الحقيقة المتعة التي تصل بحياته ، وهي أنه ولد وتربى على الدين « الزردشتي » ثم اعتنق بعد ذلك الإسلام في سنة ١٠٠٣ م = ٣٩٤ هـ على يد شاعر آخر هو « الشريف الرضي » الذي كان تقيماً للعلويين في بغداد ، وأدركته الوفاة في سنة ١٠١٥ م = ٤٠٦ هـ .

ومهيار الديلمي مثل طيب يثبت لنا أن الديانة الزردشتية كانت تفوز بمكانة عظيمة في الأقاليم المحيطة ببحر قزوين ، وأن المسلمين كانوا يتسامحون مع معتقها ويسمحون

(١) أظن كتاب اليميني طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ . ج ١ ص ٢٨٤ - ٣٨٦ .

(٢) « آل بهرام » أي « السامانيون » لأنهم ينسبون كما رأينا فيما سبق إلى « بهرام جويين » . و « خاقان » هو لقب ملوك الترك منذ عهد الأساطير المتلفة بـ « افراسياب » .

هم بأن يشتركوا معهم في جميع العلوم والآداب التي اتخذت العربية لساناً ووسيلة للأداء. وقد تبدو هذه الحقيقة أكثر وضوحاً في اطراد استعمال نسبة « المجوسى » إلى كثير من الأسماء الواردة بكثير من الكتب مثل كتاب « دمية القصر » للباخرزى وقد جعله صاحبه ملحقاً لكتاب « يتيمة الدهر » للثعالبي في تراجم الشعراء .

المجوسى الالبيى :

وأشهر من عرف بـ « المجوسى » هو « على بن العباس المجوسى » طبيب « عضد الدولة البوسى » ومؤلف كتاب « كامل الصناعات » وقد توفى في سنة ٩٩٤م = ٣٨٤ هـ ، ووالده هو الذى ترك ديوانته القديمة واعتنق الدين الإسلامى . ويحدثنا كتاب « چهار مقاله » فى الحكاية السادسة والثلاثين عن أحد الأدوية التى استعملها ذلك الطبيب الماهر .

وإلى العصر السابق مباشرة لهذا العصر الذى ندرسه يرجع كتاب « الفهرست » الذى تم تأليفه سنة ٩٨٨م = ٣٧٨ هـ ، وكتاب « مفاتيح العلوم » الذى تم تأليفه سنة ٩٧٦م = ٣٦٦ هـ ، وقد تحدثنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب عن محتوياتهما حديثاً مستفيضاً .

ويجدر بنا الآن أن نتحدث عن طائفة من كتب التواريخ المحلية التى ظهرت فى هذا العصر ومن بينها :

« تاريخ بخارى » من تأليف « الرشخى » سنة ٩٤٢م = ٣٣١ هـ .
 « تاريخ قم » وقد تم تأليفه للصاحب إسماعيل بن عباد حوالى سنة ٩٨٩م = ٣٧٩ هـ .

« تاريخ أصفهان » من تأليف « المافروخى » .

« تاريخ طبرستان » من تأليف « البردادى » .

وقد كتبت هذه الكتب جميعاً في الأصل باللغة العربية ، ولكن تراجعها الفارسية هي التي بقيت لنا حتى الآن (١) .

ومن بين كتاب الفرس الذين كتبوا بالعربية : المؤرخ « علي بن مسكويه » المتوفى سنة ١٠٢٩ م = ٤٢٠ هـ وقد بقيت لنا طائفة قليلة من كتبه .

وقد ذكرنا فيما سبق تاريخ « العتبي » عن السلطان محمود الغزنوي وهو تاريخ انتهى بذكر سنة ١٠١٨ م = ٤٠٩ هـ ، ولو أن مؤلفه عاش إلى سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ .

كما ذكرنا أيضاً المؤلفات الكثيرة التي ألفها صاحب « يتيمة الدهر » أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ١٠٢٨ م = ٤٣٠ هـ .

أما الكتب المشهورة الفارسية فكانت قليلة العدد قليلة الأهمية ، وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب جملة المشهورات التي ترجع إلى العصر « الساماني » مثل :

(أ) ترجمة البلعمي لتاريخ الطبري حوالي سنة ٩٦٤ م = ٣٥٣ هـ .
 (ب) كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية لـ « موفق الدين أبي منصور بن علي الهروي » حوالي سنة ٩٧١ م = ٣٦١ هـ .

(ج) تفسير فارسي للقرآن في مخطوطة فريدة بمكتبة كامبردج .

(د) ترجمة البلعمي لتفسير الطبري حوالي سنة ٩٨١ م = ٣٧١ هـ .

فإذا أضفنا إلى هذه الكتب :

كتاب « دانش نامه علائي » من تأليف ابن سينا لعهد الدولة المتوفى سنة ١٠٤٢ م = ٤٣٤ هـ .

وكتاب « خجسته نامه » للهرايي .

(١) المترجم : هذا الرأي يحتاج إلى شيء من التمهيس لأن كتاب « المافروخي » موجود بالعربية ومطبوع في مصر .

وكتاب «ترجمان البلاغة» للفرخى . وموضوع الكتابين الأخيرين علوم العروض والبلاغة وقد كتبنا على وجه التقريب حوالى سنة ١٠٥٨ م = ٤٥٠ هـ ، فإننا نكون بذلك قد استوفينا قائمة الكتب الفارسية المنشورة التي بقيت بين أيدينا ، والتي تم تأليفها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هناك قدراً كافياً من الأدلة يثبت لنا أن أدبا مستقلا باللهجة الطبرية (نسبة إلى طبرستان) كان موجوداً في ذلك الوقت ، وكان مشهوراً كما يدل على ذلك كتاب «مرزبان نامه» ومنظوماً كما يدل على ذلك كتاب «نيكى نامه» . وقد حفظ لنا «تاريخ طبرستان» لابن اسفنديار ، وهو كتاب استمدته من كتاب «اليزدادى» الذى سبق لنا ذكره ، طائفة كبيرة من أمثلة هذه الأشعار «الطبرية» التي أنشدها جماعة من الشعراء تجاهلهم كتاب التراجم العاديون مثل «الإصهيد خورشيد بن أبى القاسم المامطيرى» و«باربد الجرىدى» و«إبراهيم معينى» و«الأستاذ على يروزه» وهو من المعاصرين للتنبى والمادحين لعصدا الدولة البويهى و«ديواروز مستمرد» وكان خصماً للشاعر الأخير ، ومن أقرب القرين إلى شمس العالى «قابوس بن وشمكير» .

شعراء الفارسية :

بعد ذلك يجب أن نتصرف مباشرة إلى دراسة «شعراء الفرس» الذين ازدهرت على أيديهم الآداب الفارسية فى هذا العصر وعلى الخصوص الشعراء الذين ازدهت بهم القصور الغزنوية . ولا شك أن «الفردوسى» بإكمله العمل الجليل الذى بدأه «الديقى» المتوفى سنة ٩٧٥ م = ٣٦٥ هـ ، وذلك بنظمه للمحمته الخالدة وتضمينها الأساطير المتعلقة بوطنه ، لا يعتبر أكبر الشعراء فى عصره حسب ، بل يعتبر من أكبر الشعراء الذين ظهوروا فى الوجود حتى الآن ، ولقد قالت بهذا الرأى «مقطوعة» من الشعر الفارسى نتمها :

در شعر سه تن پیغمبراند هر چند که لا نبی بعدی
أوصاف و قصیده و غزل را فردوسی و آنوری و سعدی

و معناها :

— للشعر ثلاثة أنبياء ، ولو أن الحديث النبوي يقول : « لا نبی بعدی »

فأما الوصف فنييه « الفردوسی » ؛ وأما القصيدة فنيها « الأنوری » وأما
الغزل فنييه « السعدی » .

ويلى « الفردوسی » في مكاتنه ، أصحاب المديح من الشعراء و منشدو القصائد
مثل : « عنصرى » شاعر السلطان محمود ؛ و « أسدى » صاحب المهردوسی و من
أهل بلده و مخترع شعر الناظرة ؛ و « عسجدى » و « فرخى » و « منوچهرى »
و جماعة آخرين من الشعراء لا يرقون إلى منزلة هؤلاء من بينهم :

« بهرامى » الذى ألفت كتابا مفقوداً في العروض والشعر اسمه « خجسته نامه »
و « عطاردى » و « رافعى » و « غضائرى الرازى » و « منصورى » و « يعينى »
الذى قيل عنه إنه ألفت كتابا مفقوداً بالفارسية عن السلطان محمود الغزنوى و « شرف
الملك » الذى ينسب إليه كتاب فارسى في صناعة الكتابة اسمه « كتاب الاستيفاء »
و « زينقى العلووى المحمودى » والشاعرة « رابعه بنت كلب » التى تنسب إلى بلدة
« قسدار » أو « قزدار » و جماعة آخرون كثيرون غير هؤلاء ، نجد أسماءهم وأشعارهم
مذكورة في الفصل التاسع من كتاب « لباب الأبواب ^(١) » تأليف محمد عوفى .

وليس من الممكن أو الضرورى أن ندرس كل هؤلاء في كتابنا الحاضر ، بل الخير
كله في أن نقصر دراستنا على نخبة مختارة منهم . يمكن قازوا بالشهرة و حسن الأداء .
وهناك بالإضافة إلى هؤلاء ثلاثة من الشعراء المجتازين الذين ينتسبون إلى هذا
العصر وهم يختلفون بعض الشيء . عمن سبق لنا ذكرهم وهم :

(١) أنظر « لباب الأبواب » ج ٢ ص ٢٨ — ٦٧

(١) الكسائي :

وقد بدأ حياته بقول المدائح ، ثم ندم على ذلك في نهاية حياته ، لأن خدمة القصور تؤدي إلى الرياء والملق ، وقضى بقية حياته ينظم الأشعار الدينية .

(ب) أبو سعيد بن أبي الخير :

الشاعر الصوفي الذي أنشد الرباعيات .

(ج) بندار الرازي :

المنسوب إلى بلدة « الري » وقد عرف بأنه من أصحاب اللججات ، كما أنشأ أيضاً بعض أشعاره باللغتين العربية والفارسية .

وهناك شاعر آخر من أصحاب اللججات ومنشدي الرباعيات وقد عدّه «إتيه^(١)» من شعراء هذا العصر ، معتمداً في ذلك على أن « رضا قلي خان » في كتابه «رياض العارفين» قد حدد وفاته بسنة ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م . ولكنه في الحقيقة ينتسب إلى العصر السلجوقي المبكر لأن تاريخ السلاجقة المسمى بـ « راحة الصدور^(٢) » الذي تم تأليفه في سنة ١٢٠٢ م = ٥٩٩ هـ يذكر لنا قصة مقابلته لـ « طغرل بك » في همدان سنة ١٠٥٥ أو ١٠٥٨ م = ٤٤٧ أو ٤٥٠ هـ .

* * *

ولا يفوتنا قبل أن نتحدث عن شعراء السلطان محمود ، أن نذكر أنه هو نفسه

(١) أنظر مقاله التي عنوانها « الآداب الفارسية الحديثة » في المجلد الثاني من « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية :

• Grundriss der Iranischen Philologie; p . 223 .

(٢) نسخته المطوية الوحيدة . وُرِخَتْ سنة ١٢٣٨ م = ٦٣٦ هـ . وكانت ملكاً للاستاذ « شيفر » وهي الآن بالملكية الأهلية بباريس تحت رقم ١٣١٤ في الملحق الفارسي . وقد نشرت وصفاً لها في مجلة الجمعية الآسيوية للكتبة في سنة ١١٠٢ م . في الصفحات ٥٦٧ - ٦١٠ و ٨٤٩ - ٨٨٧ .

(المترجم : وقد طبع هذا الكتاب ونشر ضمن مطبوعات سلسلة جب التذكارية) .

كان شاعراً فيما يقولون ، وقد ذكره «عوفى» فى « باب الألباب » تالياً للأمير التميمى « اسماعيل بن نوح » آخر السامانيين ، وجعله ثانياً من وردت أسماؤهم بين الملوك والأمراء الذين أثر عنهم قول الشعر أحياناً . ويذكر «إتيه» أن ست غزليات تنسب إليه ، ولكنه يشك فى صحة الأساسيد التى ذكرت ذلك ، وقد نقل « عوفى » مقطوعتين نسبهما إليه ؛ الأولى منهما من ثلاثة أبيات وهى فى رثاء فتاة اسمها «كلستان» (أى روضة الورد) كان يحبها ويتعلق بها ونصها^(١) :

تا تو اى ماه زير خاك شدى خاك را بر سپهر فضل آمد
دل جزع كرد گفتم اى دل صبر اين قضا از خدای عدل آمد
آدم از خاك بود خاكى شد هر كه زوزاد باز اصل آمد

ومعناها :

— منذ نزلت ... أيها القمر ... إلى مرقدك فى طيات التراب .

وقد أصبحت الأرض تعلق رفةً على الأفلاك والقباب ...!!

— ولقد أحس قلبى بالجزع فقلت له : الصبر .. الصبر

فهذا قضاء الرحمن ، وإليه مرجع الأمر ...!!

— وكان آدم من تراب فصار إلى تراب ،

وسلالته لا بد أن تلحق بأصلها عند المآب ... !!

أما المقطوعة الثانية فقوامها ستة أبيات ، وقد قيل إن السلطان محموداً أنشأها عندما أحس بدنو أجله ، وهى قطعة معروفة ومشهورة ، ولكن نسبتها إليه يشك فيها جداً ، وقد روى «دولت‌شاه^(١)» ثلاثة أبيات منها ونسبها إلى السلطان «سنجر» السلجوقى وبذلك أصبح احتمال نسبتها إلى هذا أو ذاك جائزاً تقديراً ومتعادلاً فرضاً وتفكيراً ، ونص هذه القطعة كما يلى :

(١) أنظر « باب الألباب » ج ١ ص ٢٣ .

(٢) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٦٧ والأبيات التى ذكرها هى الأول والخامس والسادس

مما رواه « باب الألباب » ج ١ ص ٢٥ .

ز بیم تیغ جها نگیر و گرز قلعه کشای
 جهان مسخر من شد چو تن مسخر رای
 گهی بجز و بدولت همی نشستیم شاد
 گهی ز حرص همی رفتی ز جای بجای
 بسی تفاخر کردم که من کسی هستم
 کنون برابر بینم همی امیر و کدای
 اگر دو کله بوسیده بر کشتی ز دو گور
 سر امیر که داند ز کله کرای
 هزار قلعه گشادم یک اشارت دست
 بسی مصاف شکستم یک فشردن پای
 چو مرگ تاختن آورد هیچ سود سرد نکرد
 بقا بقای خداست و ملک ملک خدای

و معناها :

- خوفا من سیفی الذی یغزو العالم ، ومن محجی الذی یفتح القلاع ،
 انصاع لی العالم . . . کما انصاع الجسد للعقل و أطاع
 — وبقینا وهلة تتمتع فی سرور بالعز والدولة والسلطان ،
 واثارنا الحرص أحياناً ، فأخذنا تنتقل من مكان إلى مكان .
 — وكثيراً ما غفرت بأنی رجل الدنيا والدين
 فإذا بی الآن أرى الأمير مساویاً للسائل المسكين . . . !!
 — ولو أخذ أحد الناس جمجمتين مهشمتين من قبرین قديمین
 وكانت إحداهما لأمریر والأخرى لفقیر ، لما استطاع أن یفرق بین الاثنتين .
 — ولقد فتحت كثيراً من القلاع بإشارة واحدة من یدی
 وحطمت كثيراً من الجیوش برکلة واحدة من قدمی
 — ولكن الموت یهاجمنی الآن ، وليس له من دافع
 والله وحده له الملك والبقاء فی كل المواقع .

أما أخلاق السلطان محمود فإن^(١) شعراءه ومؤرخيه لا يتحدثون عنها بالطبيعة إلا بكل ثناء يبلغ حد الإغراق والبالغة . ولكن « ابن الأثير » عندما ذكر خبر وفاته في سنة ٥٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م أثنى عليه لمهارته وتدينه وتعففه وتقريبه للعلماء والأفاضل ومحاربه لأهل الكفر والإلحاد ، ولكنه عاد فقال إن تقيصة واحدة كانت تشينه هي جبه الجمل للمال ، وعدم تخريبه الطرق القويمة في اكتسابه والحصول عليه ، وقد روى عنه الخبر الآتي :

« ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق ، فمن ذلك ، أنه بلغه أن إنساناً من نيسابور كثير المال عظيم الغنى ، فأحضره إلى غزنه وقال له : بلغنا أنك قرمطى فقال : لست بقرمطى ولى مال يؤخذ منه ما يراد وأعنى من هذا الاسم . فأخذ منه مالا وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده . »

ومع ذلك فكثير من المسلمين لا يستطيعون أن يجعلوا السلطان محموداً موضعاً لشبهاتهم وشكوكهم ، لأنه كان بطلاً من أبطال الدين ، وسوط عذاب على الكفار والملحدن ، ومحطاً لعبادة الأصنام والتماثيل ، وهادماً للخرافات والأباطيل ؛ ولكن لاشك أن « ابن الأثير » استطاع أن يلبس بنظره النافذ نقطة الضعف في أخلاقه ، وهي الطمع الشديد (ولا شك أن هذا كان سبباً في دأبه على الغزوات والحروب في بلاد الهند) وكان بالإضافة إلى ذلك شديد التدين قاسياً على الملاحدة وكفار الهنود ، وقد قتل منهم عدداً كبيراً لا يبلغه العد والإحصاء ، وكان سريع التغير والتبدل لا يثبت على حالة واحدة ، وكان أكثر من ذلك كله غازياً لا يقهر ، ولم يعرف طوال حياته أن يكون صديقاً مخلصاً أو عدواً كريماً .

وقد ولد في العاشر من المحرم سنة ٥٣٥٠ هـ = ١٣ نوفمبر سنة ٩٧٠ م ، ومات في سنة ٥٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م وله من العمر ستين سنة ميلادية ، وكان أقرب المقربين إليه غلامه « أياز » وقد روى كتاب الفرس كثيراً من الحكايات عنه ، ولا شك أن شخصيته

(١) فيما عدا من أغضبهم من أمثال « الفردوسى » .

تاريخية وحقيقية، لأن ابن الأثير سجل تاريخ وفاته في سنة ٥٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م وذكر اسمه الكامل على هذا النحو : « أياز بن إيماق أبو النجم » .

عنصرى :

وما دنا قد فرغنا من ذكر السلطان محمود فقد آن لنا أن نتحدث عن شاعره : «العنصرى» . وهو شاعر تال في المرتبة للفردوسى ، ولكن ذلك لم يمنع من بقاء ذكره السنين الطويلة بعد ما زال مجد الدولة الغزنوية وذهب ضياؤه . ويذكر «نظامى عروضى السمرقندى» في كتابه «چهار مقاله» البيتين الآتين مصداقاً لهذا القول :

بسا كاخا كه محمودش بنا كرد كه از رفعت همى بامه مرا كرد
نه بينى زان همه يك خشت بر پاى ثنای عنصرى ماندست بر جاى

ومعناها :

— ما أكثر القصور التي شيدها «محمود» وأقامها بالبنا،
فجعلها في رفعتها تظاول أقمار السماء

— ولكنك الآن لن تجد آجرة واحدة منها قائمة في مكانها
وكل ما بقى هو ما أقامه له «العنصرى» من ثناء...!!

أما حياة «العنصرى» فلا نكاد نعرف منها شيئاً ، وحتى تاريخ وفاته مختلف فيه تبعاً للمصادر المختلفة التي تجعله بين سنتى ١٠٤٠ و ١٠٥٠ م = ٤٣٢ و ٤٤٢ هـ . و «عوفى» كعادته يكيل له الثناء في عبارات مملوءة بأنواع الجناس والمحسنات اللفظية ، وكذلك فعل «دولت شاه» فأغرق وبالغ في الثناء عليه ؛ وقد ذكر كلا الرجلين أن اسمه الكامل هو : «أبو القاسم حسن بن أحمد» وشهد بذلك أيضاً الشاعر المعاصر «منوچهرى» فأورد اسمه على هذه الصورة في إحدى قصائده التي سنذكرها مع ترجمتها بعد قليل . وفيما يلي ترجمة ما كتبه «دولت شاه» عن «العنصرى» . قال : «أن مناقبه وعظمته أظهر من الشمس ، وقد كان كبير الشعراء على عهد السلطان محمود الغزنوى ، وله فضائل أخرى بالإضافة إلى ما امتاز به من شاعرية ، فقد كان بعض الناس يلقبه بالحكيم ويقولون أن اربعمائه شاعر كبير كانوا يلازمون ركاب السلطان يمين الدولة محمود أنار

الله برهانه ، وكان الأستاذ العنصرى رئيساً لهؤلاء الشعراء جميعاً . وكانوا يقرون له بالأستاذية والتبريز . وقد تمهياً له أن يجمع في مجلس السلطان بين منصب النديم ومنصب الشاعر ؛ وظل يسجل نظماً مقامات السلطان وغزواته . وله قصيدة طويلة تبلغ مائة وثمانين بيتاً ، سجل فيها جميع غزوات السلطان وحروبها وفتوحها ، وقد انتهى الأمر بأن منحه السلطان لقب «ملك الشعراء» في مملكته ، وأمر كل شاعر في المملكة أن يعرض شعره على الأستاذ العنصرى حتى يميز بين غثه وثمينه ، ثم يعرضه بعد ذلك على السلطان . فأصبح مجلسه كل يوم مقصداً للشعراء ، واجتمع له من ذلك جاه ومال عظيمان^(١) . والفردوسى يطريه ويمدحه في منظومته الشاهنامه وسنذكر ذلك في مكانه . والله أعلم .

والعبارة الأخيرة مما قاله «دولت‌شاه» تنطبق على كثير من الأخبار التي يرويها ، وهي تصلح لكافة الظروف والأحوال ، وإن كانت في العادة لا تسلم من الخطأ وسوء التقدير . والمثل الذي اختاره من أشعاره هو قصيدته التي قالها على طريقة «السؤال والجواب» وهي كافية في إعطائنا فكرة عن أشعاره عامة ؛ وقد قال «العنصرى» هذه القصيدة في مدح الأمير «نصر بن سبكتگین» حاكم خراسان وأخى السلطان «محمود الغزنوى»^(٢) . وفيما يلي ترجمتها دون أن أحاول الاحتفاظ بوحدة القافية فيها كما هي العادة في القصائد :

(١) ليس هناك سبب ظاهر يدعوه الى جمع هذه التروية ، اللهم إلا إذا كان رضاه موقوفاً على أسباب أخرى لا تتصل بمجودة الأسلوب وبراعة الفن الشعرى !! .

(٢) نس هذه القصيدة موجود في «تذكرة الشعراء» ص ٤٥ - ٤٦ وكذلك في الورقة الثالثة والرابعة من ديوان العنصرى المطبوع على الحجر في طهران بدون تاريخ .

الترجم : وفيما يلي نس الأبيات العشرة الأولى من مطلعها :

هر سؤالی کر ان لب سیراب	دوش کردم مرا بداد جواب
گفتهش جز بشب نشاید دید	گفت : پیدا بشب بود مهتاب
گفتم : از تو که برده دارد مهر	گفت : از تو که برده دارد خواب
گفتم : آن زلف سخت خوشبوست	گفت : زیرا که هست عنبرناب
گفتم آتش بر رخت که فروخت	گفت : آن کو دل تو کرد کباب =

- کل سؤال وجہتہ لہ بالآمس القریب ،
 أجبتنی عنہ شفتاہ البدیتان بمجواب عجیب
- قلت لہ : ألا تجوز رؤیتک إلا فی اللیل الساجی
 فأجاب : وكذلك تبذو الأتقار فی اللیل الداجی ...!!
- قلت : من الذی استطاع أن یسلب حبک ...
 فأجاب : الذی استطاع أن یسلب النوم من جفنک ...!!
- قلت : إن طرتک تفوح بالعبیر ازکی
 فأجاب : لأنها مجدولة من العنبر الندی ...!!
- قلت : ومن الذی أشعل النار فی خدک ...!
 فأجاب : هو الذی أحرق بالنار صمیم قلبک ...!؟
- قلت : سوف لا أحول وجهی عن النظر إلى وجهک المستطاب
 فأجاب : وهل یستطیع احد أن یتحول عن القبلة والمحراب ...!؟
- قلت : إن عشقک قد ابتلانی بالعذاب الدائم
 فأجاب : وهذا حال العاشق الهائم ...!!
- قلت : وكيف السبیل إلى راحتی من العذاب ...؟
 فأجاب : بالنظر إلى طلعة الملیک الشاب ...!!
- قلت : اتعنی الأمير نصرأ ناصر الدین ...؟
 فأجاب : نعم فهو مالک لرقاب الملوك أجمعین ... !!

گفت : کس روی تباہد از محراب
 کن : عاشق نکو بود بمذاب
 گفت : هر دم ز روی خسرو شاب
 گفت : آن مالک ملوک رقاب
 گفت : کافی ازو شدست آداب
 الخ الخ

= گفتم : از روی تو تمام روی
 گفتم : اندر عذاب عشق تو ام
 گفتم : از چیست روی راحت من
 گفتم : آن میر نصر ناصر دین
 گفتم : او را کفایت ادبست

- قلت : إن له في الأدب كفاية ...!!
- فأجاب : بل وصلت الآداب به إلى نهاية ...!!
- قلت : هل تستطيع أن تلم بأفضاله ...؟
- فأجاب : خارجة عن الحساب جلائل أعماله ...!!
- قلت : ومن رسوله إلى الحرب الضروس والقتال الشديد ...؟
- فأجاب : السنان من قرب ، والشهاب الثاقب من بعيد ...!!
- قلت : وهل هو لازم للزمان والأجباب ...؟
- فأجاب : أكثر من لزوم العمر والشباب ...!!
- قلت : وهل رأيت له مثيلا في هذه الدنيا أو هذه الرجاب ؟
- فأجاب : لا ... ولم أسمع عن مثيله في كتاب ...!!
- قلت : وماذا تقول عن كفه وجودها ... ؟
- فأجاب : البحر سراب إذا قورن بها ...!!
- قلت : وهل يستجيب لأقوال السائلين : ... ؟
- فأجاب : ويشبههم بالقيود والسياب أجمعين ... !!
- قلت : وبماذا يجزى الأحرار والأجباب ... ؟
- فأجاب : بالجاء والجلال والإيجاب ... !!
- قلت : وماذا تعرف عن سهامه القاتلة ... ؟
- فأجاب : إنها شبيهة بالشهب والصواعق النازلة ... !!
- قات : وما سيفه الغالب ...؟ ومن عدوه المهارب ...؟
- فأجاب : الأول لهب واصب ... والثاني زئبق ذائب ... !!
- قلت : ومن الخارج عن حكمه المشهود له بالصواب ... ؟
- فأجاب : إذا وجد أحد ، فأمره زوال وخراب ... !!
- قلت : إن أعداءه يديمون الكذب عليه والافتراء الزنيم ...!!
- فأجاب : أكثر من فعل «مسيلة» الكذاب الأثيم ... !!

- قلت : سأعطيهِ ملك الإفاق أجمعين
فأجاب : هو جدير بكل ملك ميين . . . !!
- قلت : على من يقع العناء بسبب ما امتاز به من جود . . . ؟!
فأجاب : على ناسج الأقمشة وضارب النقود . . . !!
- قلت : إن جوده هو أشرف المذاهب والحصال
فأجاب : وهو هبة له ، اختصه بها الله المتعال . . . !!
- قلت : وكيف يقبض على كل هذا الملك الوسيع . . . ؟
فأجاب : بخاتمه المتبحر وركابه السريع . . . !!
- قلت : سوف لا أسكت عن ترديد مدحه المستطاب . . .
فأجاب : هكذا يفعل أولو النهى والألباب . . .
- قلت : وماذا أطلب له من النعم الإلهية . . . ؟
فأجاب : العمر الطويل ، والدولة الفتية . . . !!

عسجدى :

وشاعرنا التالى ذكر آ هو «العسجدى» واسمه أبو نظر عبدالعزيز بن منصور .
والعروف لنا عنه أقل بكثير مما عرفناه عن «العنصرى» . وقد ذكر «دولت شاه» أن
ديوانه على أيامه لم يكن يسهل الحصول عليه ، وإن كانت تفاريق من أشعاره قد تضمنتها
كتب المختارات ، ثم قال عنه إنه كان من تلاميذ العنصرى ، وجعله من بلدة «هرات»
ولكن «عوفى» للتقدم عليه زما ، نسه إلى بلدة «مرو» . وفيما يلي رباعية نسبها
«دولت شاه» إليه :

از شرب مدام ولاف مشرب توه
وز عشق بتان سيم غنغ توبه
دل در هوس گناه وبر لب توبه
زين توبه نا درست يارب توبه

ومعناها :

من شرب الدمام والفخر بالشراب ... أنا اطلب التوبة
ومن عشق الدمي ذات الغيب الفضي ... أنا اطلب التوبة^(١)
والقلب غارق في المعاصي ، وعلى شفق كلمة التوبة
فيارب ... أعنني على هذه التوبة الكاذبة ، وصحح مني التوبة

فرضي :

الفرخى هو أبو الحسن على بن جلوغ السجزي (نسبة إلى سجستان وإن كان دولتشاه يخطئ ويُنسب إليه إلى مدينة ترمذ) وهو ثالث الشعراء الذين التقى بهم الفردوسي — كما تقول القصة المشهورة — عند قدومه إلى غزنة . وأخباره معروفة لنا بعض الشيء . والفضل الأكبر في ذلك راجع إلى الحكاية الطويلة المروية عنه في كتاب « چهار مقاله^(٢) » .

وللفرخى كتاب في فنون الشعر اسمه « ترجمان البلاغة » وهو كتاب مفقود قد أودى به الزمان فيما نعلم^(٣) ، وربما استعمله « رشيد الدين الوطواط » في تأليف كتابه « حقائق السحر » . وقد ذكر فيه : « أن الفرخى لدى الفرس بمنزلة المتنبي لدى العرب » .

أما ديوانه فقد ذكر « دولتشاه » : إنه مشهور فيها وراء النهر ولكنه غير معروف في خراسان « وتوجد منه الآن نسختان خطيتان إحداهما في « المتحف البريطاني » والأخرى في « إدارة الهند » . كما توجد منه طبعة على الحجر نشرت في طهران سنة ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ م .

وقد جاء في كتاب « چهار مقاله » إن « جلوغ » والد الفرخى كان ملحقاً

(١) المترجم : « الغيب » هو الرقية المثلثة وكانت تعتبر من علامات الجلال .
(٢) أنظر الحكاية الخامسة عشرة من هذا الكتاب .
(٣) المترجم : طبع هذا الكتاب أخيراً في تركيا .

بخدمة الأمير «خلف» من سلالة الصفاريين^(١). أما «الفرخى» نفسه فقد استبقاه أحد الدهاقين في خدمته لبراعته في قول الشعر والعزف على العود، ورتب له راتباً سنوياً مكوناً من مائة درهم ومائتي قفيز من القمح، كل مائة منها تبلغ خمسة أمانان؛ ثم تزوج «الفرخى» بعد ذلك بإحدى النساء اللاتي كن في قصر «خلف» فلم يكفه مرتبه، وعلم بذلك الدهقان فزاد له من راتبه حتى أبلغه إلى خمسمائة درهم وثلثمائة من من القمح، ولكن «الفرخى» لم يقنع بهذا الراتب وعم وجهه شطر الأمير «أبي المظفر الصاغاني^(٢)» لما سمعه عنه من كرم وثناء، لعله يصيب لدى مولاه الجديد بعض الحظ الذي فاته لدى غيره كما يقول في قصيدته التي مطلعها:

با كاروان حله برقم از سيستان با حله تنيده ز دل بافته ز جان
ومعناه:

— خرجت من «سجستان» مع قافلة الحلة، ومعنى حلة مطرزة بدماء قلبي منسوجة من أشجان روحى.

فلما بلغ مقصده وجد أن الأمير «أبا المظفر» قد خرج من بلده إلى بعض المراعى يشاهد فيها رجاله وهم يسمون جياده بالسكى في ميدان الوسم (داغگاه)، والمأثور عن هذا الأمير أنه كان من أكبر محبي الخيل، وأنه كان يمتلك — فيما يقول صاحب چهار مقاله — ثمانية عشر ألف رأس من الجياد والمهاري.

واستقبل الشاعر في غيبة الأمير حاجبه «عميد أسعد» وكانت له معرفة بقول الشعر وإنشاده، فما كاد «الفرخى» يسمعه بعض قصائده حتى أعجب بها كل الإعجاب، ولكنه لم يصدق أن سجزيًا مهلهل الثياب رث الهيئة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، تلو رأسه عمامة كبيرة على شاكلة ما يلبسه أهل سجستان، يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر الذى سمعه، وعلى ذلك التمنت إليه قائلاً:

(١) احتفظ هذا الأمير ببعض أملاك الدولة الصفارية حتى ذلك الوقت.

(٢) نسبة إلى «جفانيان» وهو مكان فيا وراء النهر يقع بين «ترمد» و «قباديان».

« إن الأمير في مكان الوسم وسألتحق بخدمته ، وسأصحبك معي ، فالمكان رائع جميل ، وهو دنيا متشابكة من الحضرة النضيرة والمراعي الوفيرة ، تملأه الخيام النصوبة ، تيرها الثريات المشبوبة ، وأغانى «الرودى» تردد في الخيام على معانقة أهل الوجد والغرام ، وهم يتساقون كؤوس الخمر والمدام ، وينعمون بأهنا الأمانى والأحلام ، والأمير قد نصب خيمته في وسط المكان ، وأوقد أمامها ناراً كالجيل أو البركان ، ورجاله يقبسون منها الأقباس ، فيسمون بها الجياد والأفراس . وقد يقف الأمير أمام سرادقه والكأس في يسراه ، والسوط في يمينه ، فيتناول رشفة من الخمر ، ويصدر ما يشاء من أمر... فما عليك لو نظمت لنا قصيدة في وصف هذا المقام ، حتى أقدمك إلى الأمير فتحظى بالتقريب والإكرام .. ۱۹۰ » .

قمضى الفرخى ليلته وهو يروض القريض حتى استطاع أن ينثى، القصيدة التالية التى تعتبر بحق من أجمل ما قاله (۱) :

تا برند نیلگون بر روی پوشد مرغزار
 پریشان هفت رنگ اندر سر آرد کوهسار
 خاکرا چون ناف آهو مشک زاید بی قیاس
 سید را چون پر طوطی برگ روید بيشمار
 دوش وقت نیم شب بوی بهار آورد باد
 جدا باد شمال وفرخا باد بهار
 باد گوئی مشک سوده دارد اندر آستین
 باغ گوئی لعبتان جلوه دارد در کنار
 نسترن لؤلؤی بیضا دارد اندر مرسله
 ارغوان لعل بدخشی دارد اندر گوشوار
 تا بر آمد جاههای سرخ گل بر شاخ گل
 پنجهای دست مردم سر فرو کرد از چنار

(۱) المترجم : لم يذكر المؤلف أصل هذه القصيدة ولكن فضلت نقله عن النص المذكور في «تذكرة الشعراء» ص ۵۵ وكذلك «خرابات» ج ۱ ص ۱۸۷ .

باغ بوقلمون لباس و شاخ بوقلمون نمای
 آب مروارید رنگ و ابر مروارید بار
 راست پنداری که خلعتهای رنگین یافتند
 باغهای پر نگار از داغگاه شهریار
 داغگاه شهریار اکنون چنان خرم شود
 کاندزان از خرمی خیره بماند روزگار
 سبزه اندر سبزه بینی چون سپهر اندر سپهر
 خیمه اندر خیمه بینی چون حصار اندر حصار
 هر کجا خیمه است خفته عاشقی با دوست مست
 هر کجا سبزه است شادان یاری از دیدار یار
 سبزه‌ها با بانگ چنگ و مطربان تفرگوی
 خیمه‌ها با بانگ نوش و ساقیان میگسار
 عاشقان بوس و کنار و نیکوان ناز و عتاب
 مطربان رود و سرود و خفتگان خواب و خماری
 بر در پرده سرای خسرو فیروز بخت
 از پی داغ آتشی افروخته خورشید وار
 بر کشیده آتشی چون مطردی دیسای زرد
 گرم چون طبع جوانان زرد چون زر عیار
 داغها چون شاخهای بسد یا قوت رنگ
 هر یکی چون نار دانه گشته اندر زیر نار
 کودکان خواب نادیده مضاف اندر مضاف
 مرکبان داغ نا کرده قطار اندر قطار
 خسرو فرخ سیر بر باره دریا گذر
 با کنند اندر میان دست چون اسفندیار
 همچو زلف نیکوان خورد ساله تاب خورد
 همچو عهد دوستان سالخورده استوار

مير عادل بوالمظفر شاه با بيوستگان
 شهریار شهرگیر و پادشاه شهردار
 هر کرا اندر کند تاب خورده افگند
 گشت نامش بر سرین وشانه ورویش نگار
 هرچه زین سو داغ کرد از سوی دیگر هدیه داد
 شاعران را با لگام وزیران را با فسار

ومعناها :

- منذ اکتست المروج بالحریر الأزرق
 واتشحت قن الجبال بالإبرسم ذی الألوان ...
- والأرض تؤتی من المسک والعیبر ما لاشیبه له ولا حصر له من نوافج الغزلان
 وأشجار الصنفاص تخرج ما لاحد له من الأوراق الشبیهة بأجنحة البیغاوات
- ولیلة الأمس ، فاح الهواء بروائح الریع فی منتصف اللیل ...
 فیاخذنا نسیم الشمال ، وما أجمل روائح الریع ... !!
- وكأتما كانت أکمام الریاح محملة بفتات المسک
 وكأتما كانت البساتین تحتضن العرائس فی أذرعتها ... !!
- وانعدت عقود اللؤلؤ الأیض فی أعناق النسرین
 وتدلّت حلقات الیاقوت « البدخشی » فی آذان الأرغوان (١)
- وأطلت کؤوس الورد الحمراء علی الأغصان والأفنان ...
 وحنت أوراق « الشنار » رؤوسها فی ذلة وإذعان (٢) ... !!

(١) المترجم: «الباقوت البدخشي» هو المنسوب إلى «بدخشان» وهو أجود أنواع البواقيت وأشدها حرمة ، والأرغوان زهر أحمر اللون .

(٢) المترجم: «الشنار» تعريب للكلمة الفارسية «چنار» وهي شجرة مستقيمة العود .

- ولبست الحدائق أبهى الألوان ، وازدهت الأغصان في كل مكان ... !!
- وتلاأت المياه في الغدران ، وأمطر السحاب دره القتان ... !!
- حتى لتظن أن هذه الحدائق الجميلة قد فازت بالخلع الجليلة
- وأن « مكان الوسم » الذي اختاره الملك قد أصبح أبهى خميلة ... !!
- وأصبح سرادق الأمير مليئاً بالبهجة والحبور ...
- بحيث بدت الحيرة على وجه الزمان مما امتلأ به من غبطة وسرور ... !!
- نخضرتة ... متصلة اتصال الأفلاك في عليائها ... !!
- وخيامه ... متلاصقة تلاصق القلاع في بنائها ... !!
- وفي كل خيمة ... يضطجع عاشق ثمل إلى جوار معشوقه الوهّان ... !!
- وفي كل خميلة ... يسعد حبيب هائم برؤية حبيبه الهيمان ... !!
- والحمائل ... تتجاوب بأنغام الأعواد والمغنين ... !!
- والخيام ... تتردد فيها صيحات السقاة الخمورين ... !!
- والعشاق في تقييل ومعاقبة ، والحسان في دلال ومعاقبة ...
- والطربون دائبون في العزف والغناء ، والنشاي غارقون في غفلة الانتشاء ... !!
- ولقد اتقدت على باب خيمة الأمير السعيد نار أخذت في التأجج
- أشعلوها ليسم بها جياده ، فأصبحت كأنها الشمس ذات التوهج ... !!
- وارتفعت لهبا ، وكأنها الأعلام المصنوعة من الديباج الأصفر
- واشتدت حرارتها كحرارة الشباب ، واصفرت طلعتها كالذهب الخالص ... !!
- واحمرت الياسم ، فأضحت كقطع الياقوت الدكناء ... !!
- وبدت مصفوفة في النار ، كأنها حبات الرمان الحمراء ... !!
- واصطف الغلمان الذين لم يذوقوا طعم النوم والكبرى ... !!
- ووقفوا يسكون بالجياد التي لم يسموها ... قافلة في أثر قافلة ... !!

- والأمير السعيد قد امتطى ضهوة سابع جميل ...
 والأنشوطة في قبضة يده وكأنه « اسفنديار » الجليل (١)
 — واتثنت الأنشوطة في يده ، فأصبحت كطرة الفتاة الحناء
 واستحكمت في قبضته كما يستحکم عهد الأصدقاء القدماء
 — وأحاط بالأمير العادل «أبي المظفر» جماعه من الأخصاء
 ووقف بينهم ملكاً مظفراً ، قد دانت له جميع الأنحاء
 — فإذا وقع الجواد في عقدة أنشوطته
 وسمه بالكي فأصبح اسمه منقوشاً على وجهه ورقبته ومجيزته
 — ولكنه يسم الجياد ، ثم يجود بها بعد ذلك
 فصبح للشعراء أزمته ، وللزأرين مقاودها وأعتها ... !!

ويقول صاحب « چهار مقاله » : إن « العميد أسعد » عندما سمع هذه القصيدة بقى في حيرة كاملة ، لأن أذنه لم تطرقها من قبل قصيدة أخرى في مثل جمالها؛ فترك جميع أعماله ، وأمر للفرخى بجواد ركبه ، وتوجه معه إلى الأمير ؛ ووصل إليه والشمس آخذة في المغرب ، وقال له : لقد أحضرت إليك يا مولاي شاعراً لم ير أحد نداء له منذ وارى «الدقيق» وجهه في ثقب التراب ؛ ثم حكى له خلاصة ما سبق من أمره معه . فأذن الأمير بإحضار الفرخى إلى مجلسه ، فلما دخل عليه وحياء ، مد الأمير يده إليه ، وقربه من مجلسه ، وسأله عن حاله ، وتلطف إليه ، وأمله في نواله وصلته ؛ فلما دار الشراب جملة دورات نهض الفرخى من مكانه وأخذ ينشد في صوت حزين جميل قصيدته التي مطلعها :

با كاروان حله برقم ز سيستان با حله تنيده ز دل بافته ز جان

(١) بطل من أبطال الأساطير الإيرانية .

— خرجت من « سجستان » مزاملا لقافلة « الحلة »

ومعى حلة مطرزة بدماء قلبي ، منسوجة من أشجان روحي

فلما فرغ من إنشادها ، وكان الأمير من قائل الشعر والخبراء به ، تعجب من جودتها ؛ فالتفت إليه « العميد أسعد » وقال : تمهل قليلا . . . يا سيدي . . . حتى تمن النظر فيما هو آت . . . وسكت « الفرخي » قليلا حتى إذا عمل الشراب في رأس الأمير ، وبلغ منه السكر مبلغه ، نهض « الفرخي » من مكانه وأخذ ينشد قصيدته التي يصف فيها مكان وسم الجياد . فملكت الجيرة لب الأمير ، والتفت إلى « الفرخي » قائلا : لقد أحضروا إلى الآن ألفاً من المهاري الجيدة ، كلها بيضاء الفرة ، محجلة الأرجل ، وأنت رجل « سجزى »^(١) ما كر ختال ، فأمسك منها ما استطعت يكن من نصيبك !! . . .

وكان الشراب عند ذلك قد أثقل رأس « الفرخي » وبلغ به غاية النشوة ، فطوح بعاملته عن رأسه ، ورمى بنفسه في وسط هذا القطيع ، واستطاع أن يقود أمامه عدداً منه ، سار به إلى ناحية السهل والقلادة ؛ ولكن المهاري جرت يمينا ويساراً فلم يتمكن من أن يأخذ من بينها مهراً واحداً ، وبدأ له في نهاية الأمر رباط خرب يقع إلى جوار المعسكر ، أخذت المهاري تدخل فيه ؛ وكان « الفرخي » قد بلغ غاية التعب والنصب ، فدخل إلى دهليز هذا الرباط ، واستلقى على الأرض واضعاً عمامته تحت رأسه ، ولشدة ما كان يحسه من تعب وسكر استغرق في نوم عميق .

وجاء رجال الأمير وعدوا المهاري الموجوده داخل الرباط فوجدوها اثنتين وأربعين مهراً ، فتوجهوا إلى الأمير وأخبروه بما كان ؛ فضحك الأمير كثيراً ، وتعجب مما حدث وقال : إن « الفرخي » رجل حسن الحظ ، سيرتفع شأنه ، فاحتفظوا به ، واحتفظوا له بهذه المهاري ، فإذا ما صحا من غفوته أيقظوني أنا أيضا .

(١) أي من أهل سجزستان .

فامتثلوا لأمره ؛ ونهض « الفرخي » من نومته في اليوم التالي مع طلوع الشمس ، واستيقظ الأمير من تلقاء نفسه وصلى صلاة الصبح ، ثم أمر بإحضار « الفرخي » إليه ، وتلطف إليه كثيرا ، ثم سلم إلى تابعيه هذه المهاري ، وأمر له بجواد كامل العدة من جياده الخاصة ، كما أمر له بخيمنتين وثلاثة بغال وخمسة من العبيد وبعدد من اللبوسات والمفروشات . وعلا أمر « الفرخي » في خدمة الأمير علواً كبيراً ، وبلغ شأواً بعيداً من العظمة والجاه ؛ ثم التحق بخدمة السلطان عيين الدولة « محمود الغزنوي » ، فلما رآه على هذه الحال من العظمة والرفعة والجاه ، تولاه بما هو جدير به ، فإزال شأنه في علو وارتقاء حتى بلغ عدد من يتبعه من الخدم إذارب عشرين غلاماً يتمنطقون بمناطق من الفضة الخالصة .

الفردوسي :

تروي قصة مشهورة^(١) أنه بينما كان الشعراء الثلاثة الذين ذكرناهم فيما سبق يتحدثون يوماً في إحدى الرياض في مدينة « غزنه » قصدهم غريب قادم من « نيسابور » يريد أن يلتحق بمجلسهم فاعترضه « العنصرى » وقد هاله فضول هذا الغريب القروى وقال له :

— إنا شعراء الملك ، ولا يدخل في زمرتنا إلا شاعر ، فإن شئت أن تلحق بجماعتنا فما عليك إلا أن تجيزنا بشطرة رابعة لثلاث شطرات من الشعر ، سيقول كل واحد منا واحدة منها .

فأذعن « الفردوسي » وهو الغريب القادم لهذا الاختبار وعمد « العنصرى » إلى اختيار قافية صعبة ، يسهل بها تقفية ثلاث شطرات وتستصعب بها الرابعة ، فقال مبتدئاً :

« جون عارض تو ماه نباشد روشن »

(١) مروية في « تذكرة الشعراء » لدولت شاه س ٥٦ - وقد ذكرها كل من أتى بعده من كتاب التراجم ، ولكن صاحب « چهارمقاله » وكذلك « محمد عوفى » لم يذكرها وهما أقدم اثنين من كتاب التراجم المعتمدة .

ومعناها : إن القمر لا يضيء كنور وجهك في بهائه ... !!
ثم نرى « العسجدى » قال : « ما تند رخت كل نبود در گلشن »
ومعناها : وفي بهاء وجناتك ... لا يكون الورد في رياضه ... !!
ثم أعقبه « الفرخى » قال : « مژگانت گذر همی کند در جوشن »
ومعناها : وأهدابك تنفذ من الجواشن الثقيلة ... !!
وأقبلت نوبة « الفردوسى » قال الشطرة الآتية وفيها إشارة إلى قصة غير مشهورة
في أساطير الملوك الأقدمين :

« ما تند سنان كيو در جنك پشن »

ومعناها : وكأنها سنان « كيو » في حربه مع « بشن » ... !!

عند ذلك طلب الشعراء الثلاثة إلى « الفردوسى » أن يشرح لهم القصة التي
أشار إليها في « شطرتة » ففعل لهم ذلك ، وأبدى كثيرا من الخبرة بأساطير إيران
القديمية . وأخبر « العنصرى » مولا « السلطان محمود » بأنه قد عثر في النهاية على
شاعر ماهر قين بأن يكمل نظم الملحمة الوطنية التي بدأها « الدقيقى » لأحد ملوك
السامانيين منذ عشرين أو ثلاثين سنة وأتم منها ألف بيت نظمها في قصة الملك
« كشتاسب ، وظهور نبي الفرس زردشت (١) » ، ولكن الموت اخترمه عندهذا
الحد فاغتاله غلام تركى من غلمانه ، وقضى بذلك على هذا الشاعر التاعس الموهوب .

هذا هو جملة البيان الذى أوردته « دولتشاه » وغيره من أصحاب التراجم عن
الكيفية التى اتصل بها « الفردوسى » بالبلاط الغزنوى ، ولكنى قد بينت فى ملاحظة
سابقة أن أقدم الكتب التى كتبت عن هذا الشاعر وهى التى ترجع إلى منتصف القرن

(١) يذكرك عوفى (ص ٢٣) إن « الدقيقى » نظم عشرين ألف بيت من الشاهنامه بالإضافة إلى
ما نظمه « الفردوسى » وقوامه ستون ألف بيت . ولكن « الفردوسى » نفسه يقصر عدد ما نظمه
« الدقيقى » على ألف بيت ، وذهب إلى هذا رأى أيضا المستشرق « تولدك » فى ص ١٩ من مقاله :
« الملحمة القومية الإيرانية : Iran. Nationalepos »

الثاني عشر وبداية الثالث عشر الميلاديين لا تورد مثل هذه الرواية . ولاشك أن ذلك مما يؤيد وجهة نظر الأستاذ « نولدكه » في أنها رواية مخترعة من أساسها . والضيق الحاصل لنا في مثل هذه المواضع ليس ناتجاً كما هو العادة من نقص التفاصيل التي يوردها أصحاب التراجم ، بل على العكس من ذلك ، عن كثرة الروايات الباطلة التي لا تؤيدها المصادر القديمة التي كتبت عن حياة الشاعر ، ولا البند القليلة المنفرقة التي رواها « الفردوسي » عن نفسه في « الشاهنامه » ؛ وربما كانت هذه وتلك في كثير من الأحيان تعارضان تمام المعارضة وتبدوان على طرفي نقيض . ومن أجل ذلك وجب علينا في مثل هذه الحالات أن نرفض رفضاً تاماً هذه الروايات المتأخرة التي ترجع إلى النصف الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي (= منتصف التاسع الهجري) وحسبنا أن نجيل القاريء المتفحص إلى ما أورده من نظائرها « أوزلي » في كتابه « تراجم شعراء الفرس »^(١) وما ذكره « مول »^(٢) في مقدمته على طبعة « شاهنامه » المصحوبة بترجمتها الفرنسية ، وإلى غير ذلك من الكتب التي يتداولها بعض الناس من غير طائفة المستشرقين المتخصصين .

ولاحلاف بين أهل المشرق والمغرب في أن « الفردوسي » شاعر عظيم الخطر ؛ ومهما اختلف تقديرنا الشخصي للمحمته « الشاهنامه » فلاحلاف في أنه هو ومنظومته حقيقتان بدراسة مفصلة موضحة ، ولكن الغرض الذي أجعله نصب عيني عند تأليف هذا الكتاب يدعوني إلى أن ألتبس الإجمال بقدر المستطاع ، لأن هدفي منذ البداية منصب على إعطاء القاريء الأوروبي صورة من الحياة الأدبية في إيران تمدد بالتفاصيل التي لا يجدها في الكتب الأوروبية الأخرى .

وأهم المصادر العتمدة التي في أيدينا هي التالية : —

أولاً : مؤلفات الشاعر نفسه ؛ وهي عبارة عن « الشاهنامه » وقصة « يوسف وزليخا » للنظومة وبعض الغزليات التي جمعها وترجمها الدكتور « إتيه »

(١) أنظر : Biographies of the Persian Poets, by Ouseley.

(٢) يكتب هذا الاسم بالحروف الرومانية هكذا : Jules Mohl.

في مقاله « الفردوسي كشاعر غنائي (١) »

ثانيا : الرواية التي أوردها « نظامي عروضي السمرقندي » في كتابه « چهار مقاله » وقد زار قبر الفردوسي في « طوس » سنة ١١١٦ م = ٥١٠ هـ أي بعد وفاته بما يقرب من قرن واحد واستطاع أن يضمن كتابه ما سمعه هناك من أخبار احتوتها الحكاية العشرون (٢) .

ثالثا : الرواية المقتضبة التي ذكرها « محمد عوفي » في الجزء الثاني من كتابه « باب الالباب » .

وقد تمكن الأستاذة الأورويين من أمثال « تومز مكن » و « مول » و « روكرت » من أن يجعلوا « الشاهنامه » معروفة لدى الأورويين بعد ما طبعوها وترجموها ، ولكن لازالت أهم الدراسات التي كتبت عن الفردوسي هي تلك التي كتبها « إتيه » في مقاله التي ذكرناها فيما سبق ، وكذلك فيما كتبه « نولدكه » في مقاله البارعة التي عنوانها « الملحمة القومية الإيرانية » وهي التي نشرها في كتاب « المفضل في الدراسات اللغوية الإيرانية » والتي أعاد نشرها « تربنر : Trubner » في كتيب منفصل سنة ١٨٩٦ نجعل عليه عمادنا فيما نحن مقدمون عليه من نقل .

(١) انظر : Firdusi als Lyriker في « Munch Sitzung Sherichte » أخبار جلسات المعهد العلمي بميونخ « سنة ١٨٧٢ من ٢٧٥ - ٣٠٤ وسنة ١٨٧٣ من ٦٢٣ - ٦٥٣ ، وكذلك « يوسف وزليخا » في أعمال المؤتمر الدولي السابع للمستشرقين في فيينا سنة ١٨٨٩ القسم السامي من ٢٠ - ٤٥ ، وكذلك ملاحظات نولدكه في « الدراسات الفارسية » الجزء الثاني عدد ١٢٦ من « أخبار جلسات المجمع العلمي بفينا » : « Wiener Sitzungsberichte » وقد أورد الدكتور « إتيه » قائمة بأسماء الكتاب الإنجليز الذين استعانوا بالكتب السابقة لكتابة المقالات في المجلات والجرائد . وهذه القائمة موجودة في مقالة التي عنوانها « الأدب الفارسي الحديث » المنشورة في الجزء الثاني من « المفضل في الدراسات اللغوية الإيرانية » .

(٢) هذه الرواية مذكورة أيضاً بتامها في كتاب تاريخ طبرستان تأليف ابن اسفنديار وكان أول من استخراجها من ذلك الكتاب هو الدكتور إتيه ، لأن نص « چهار مقاله » لم يكن ميسراً له ، لافي النسخة المطبوعة على الحجر ولا في مخطوطة المتحف البريطاني ، وقد نشر هذا النص الذي اعتمد فيه على ثلاثة مخطوطات في مجلة المستشرقين الألمان عدد ١٥٨ .

ولا يفوتنا أن نذكر أننا مدينون لـ «نولدكه» خاصة بدراسة عميقة سليمة لحياة الفردوسي ، أظهر فيها معالمها الحقيقية والمحتملة ، معتمداً في ذلك على أحسن المصادر التي يعتمد عليها الباحث الناقد ، وأقصد بذلك أقوال «الفردوسي» نفسه وهي التي نجدها مبعثرة في مختلف المواضع في شاهنامته الشاسعة .

وقبل أن نخوض في ذكر الأساطير الطويلة التي أشرنا إليها فيما سبق ، يحسن بنا أن نتبى أولاً من ذكر الروايتين القصيرتين اللتين أوردها «عوفي» في «لباب الألباب»^(١) والمؤرخ «حمد الله المستوفي» في كتابه «تاريخ كزنده» الذي ألفه في سنة ١١٣٣٠م = ٧٣١هـ ؛ وقد ذكر الأخير منهما أن اسم «الفردوسي» الكامل هو «الحسن بن علي الطوسي» وجعل وفاته في سنة ٥٤١٦هـ = ١٠٢٥م . أما صاحب «الباب» فكما دته يكيل الثناء للشاعر ويعجب أشد الإعجاب بمتانة عباراته ، وقوة تراكيه ، وبعد خياله ، وقدرته على المحافظة على هذه الأمور في منظومة طويلة شغلته السنين الطويلة من عمره ؛ ثم يذكر بعد ذلك أن الشاعر «مسعود بن سعد» وهو من الشعراء المبكرين الذين عاشوا حوالي سنة ١٠٨٠م = ٤٧٣هـ اقتبس منها بعض المختارات مما يدل دلالة واضحة على أن الشاهنامه قد فازت في هذا الزمن المبكر بكثير من الإنتشار والذبوع .

رواية «جهار مقاله»

أما كتاب «جهار مقاله» — وهو أقدم المصادر وأجدرها بالإعتماد — فيذكر أن «الفردوسي» كان دهقاناً (أى قروياً من أصحاب الأراضى) وأنه كان من قرية «باز»^(٢) في ناحية «طبران» بالقرب من «طوس» إحدى مدن خراسان التي كانت تقع في مكان مدينة «مشهد» الحالية . وكان يعتمد في معيشته على ما تغلة له بعض الضياع ، ولم يكن له من عقب غير ابنة واحدة ، أراد أن يحسن تجهيزها ، فدفعه ذلك

(١) انظر ج ٢ ص ٣٢-٣٣

(٢) ذكر ابن اسفنديار في تاريخه مثل هذه الرواية ولكنه لم يذكر اسم هذه القرية .

إلى نظم ملحمة الطويلة لعله يجد من أصحاب الجاه والسلطان من يهديها إليه فيجزيه الجزاء الأوفى على ما تجشم من تعب دائب وجهد طويل متصل . فلما فرغ منها بعد ثلاثين سنة (أوخمسة وعشرين وفقاً لبعض المصادر الأخرى) وكان ذلك في سنة ٣٨٩ = ٩٩٩ هـ كما يقول «نولدكه» أعطاها لكتابه «علي ديلم» فنسخها وراويه «أبي دلف» فأنشدها ؛ وقد ذكر «الفردوسي» هذين الرجلين في إحدى مقاطع الشاهنامه وقرن بهما «الحسين بن قتيبة» حاكم طوس لأيديه الجميلة التي مدته بكثير من العون والتشجيع . وفيما يلي نص القطعة التي ذكر فيها أسماء هؤلاء الرجال (١) :

ازين نامه از نامداران شهر	علي ديلم وبو دلف راست بهر
نيامد جز احستشان بهره ام	بگفت اندر احستشان زهره ام (٢)
حيي قتيبة است از آز ادگان	که از من نخواهد سخن را يگان
نيم آ که از اصل و فرع خراج	همی غلطم اندر میان دواج

ومعناها :

— من مشاهير هذه المدينة ، الذين ذكروا في هذا الكتاب

لـ «علي ديلم» ، و «أبي دلف» نصيب من الفضل والثواب

— فلم أسمع منهما إلا أقوال الاستحسان والإعجاب

وقد كدت انقطر خجلاً وعجزاً أمام أقوالهما العذاب

(١) المترجم : النص منقول عن «چهار مقاله» وليس موجوداً في الأصل .

(٢) هذا البيت مشكوك في مبناه ومعناه وأنى أفضل نصه الذي ورد في تاريخ «ابن اسفنديار» حيث وردت في الشطرة الأولى «از بختشان» بدل كلمة «احستشان» ولكنني مع ذلك أشك في صحة ماورد بالشطرة الثانية حيث ذكر «احسانان» بدل كلمة «احستشان» ولو أننا اتبعنا هذه التعديلات وأصبحنا النص الذي ذكرناه في صفحة ٧٩ من ترجمتي لكتاب «چهار مقاله» لأصبح معنى هذا البيت : — «لقد كادت كيدي تنفجر لما بذلت من خير وكرم؛ أي لقد هزني كرمها وحرك الساكن من قلبي .» ولاشك أن هذا الإصلاح يفض الصعوبة التي اعترضني في ترجمة هذا البيت وأشرت إليها في الهامش رقم ٤ من ترجمتي .

— وكذلك «حي قتيبة» فإنه من أحرار الرجال (١)
ولم يتطلب أن أقول فيه حبة شيئاً من الأشعار والأقوال ... !!

— فأعقاني من الخراج حتى جهلت بأصوله وفروعه
وأصبحت بذلك اتقلب في الحرير، بل في الخير جميعه ... !!

ويذكر صاحب «چهار مقاله» في تفسير البيت الأخير أن «حسين بن قتيبة» كان يتولى جباية الخراج في «طوس» وأنه أعنى «الفردوسى» مما عليه؛ ومن أجل ذلك فقد خلد الشاعر اسمه حتى القيامة وجعل الملوك يذكرونه ويرددونه.

ولما فرغ «على ديلم» من نسخ «الشاهنامه» في سبعة مجلدات حملها «الفردوسى» وعم وجه شطر «غزنه» مستحجاً معه روايته «أبا دلف» وسرعان ما تمكن من أن يجعل الوزير «أبا القاسم أحمد بن الحسن اليمندى» (٢) يشغف بمنظومته ويتولى تقديمها إلى السلطان محمود الذى سر بها سروراً عظيماً. ويمضى صاحب «چهار مقاله» في روايته فيقول: «إن الوزير كان له أعداء وكانوا دائماً يصبون تراب التخليط في كأسه (أى يقدحون فيه) فشاورهم السلطان محمود في مقدار العطاء الذى يعطيه للفردوسى، فقالوا له: حسبه خمسون ألف درهم وهذا المبلغ كثير عليه، لأنه رافضى ومعزلى؛ والدليل على اعتزاله قوله:

به بيندگان آفريننده را نيينى مرنجان دو بيننده را

ومعناه:

— إنك لن تستطيع أن ترى الخالق بعينيك، فلا تعجب إذن ناظرارك (٣).

(١) هذا الإسم مذكور في نسختي المتحف البريطانى لكتاب «چهار مقاله» على أنه «حى» أو «حبنى» ولكن تاريخ ابن اسفنديار يذكره «حسين» وربما كان هذا هو الصواب.

(٢) في «چهار مقاله» يذكر هذا الاسم على أنه «الوزير أحمد بن الحسن الكاتب» ولا شك أنه يقصد به «اليمندى» أما «ابن اسفنديار» فيذكر هذا الإسم هكذا «حسين بن أحمد».

(٣) «رؤية الله» كانت سبباً في نقاش طويل بين الفرق الإسلامية. والمعزلة ينفونها، والحنابلة يثبتونها.

والدليل على تشييعه قوله :

مرا غمز کردند کان پر سخن بمهر نبی وعلی شد کهن
اگر مهر شان من حکایت کنم چو محمود را صد حمایت کنم
پرستار زاده نباید بکار وگسرد باشد پدر شهریار
ازین در سخن چند رانم همی چو دریا کرانه ندانم ناهمی
به نیکی بند شاه را دستگاه وگرنه مرا بر نشاندی بگاہ
چو اندر تبارش بزرگی نبود انست ندم بزرگان شنود

ومعناها :

- لقد عابوني فقالوا : إن هذا التشدق الثرثار
 - قد شاب على حب النبي وعلی ، وتقدمت به السنون والأعمار ... !!
 - ولو أني أخذت أردد أقوالی فی حبهما وما يتصل بهما من أخبار
 - لحيت بذلك مئات من أمثال «محمود» وكل سلطان جبار .. !!
 - ولكنني أعرف أن ابن الأمة لا يصلح في عمل من الأعمال
 - ولو كان أبوه ملكاً من ذوی الخطر والجلال ... !!
 - فإلام أسوق الحديث في هذا الباب الواسع ... ؟!
 - وهو كالبحر ، لا أعرف حداً لمداه الشاسع ... !!
 - وليس في طاقة هذا السلطان أن يفعل الخير والإحسان
 - ولو قدر له ذلك لأجلسني على العرش في أسمى مكان ... !!
 - ولم يكن في أرومته ما يتصل بالعظمة وكرم الحثد والانتاء ... !!
 - ومن أجل ذلك لم يعرف كيف يستمع إلى أسماء العطاء ... !! (١)
- فإذا صحت هذه الرواية التي ذكرها صاحب «جهاز مقاله» عن الفردوسي - ولست أحسبها إلا صحيحة في أساسها - ، فإني أميل إلى افتراض صلة بين ما أصاب الفردوسي من ضرر وما أصاب سيده ومولاه «اليمندي» من شر انتهى به إلى الجبس كما خبرنا

(١) المترجم لم يذكر «براون» هذه الآيات في هذا الموضع واكتفى بالإشارة إليها وإرجاع القارىء إلى ترجمته لكتاب «جهاز مقاله» ص ٨٠ - ٨٩ .

بذلك ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م حيث ذكر أن « مسعود بن محمود الغزنوي » أفرج عنه وأعادته إلى منصبه .

ومع ذلك فليس من السهل التغلب على الاعتراضات التي توجه إلى هذا الفرض، لأن « نولدكه » على الخصوص ، يثبت لنا أن الفردوسي ولد غالباً في سنة ٣٢٣ هـ أو ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م أو ٩٣٦ م وأنه فرغ من « الشاهنامه » نهائياً في سنة ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م ، وأن عمره في ذلك الوقت قد نيف على الثمانين (١) ؛ وفي هذا الوقت دون غيره ثار النقاش على مسألة مكافأته على نظم « الشاهنامه » .

ويمضى صاحب « چهار مقاله » في حديثه عن الفردوسي فيقول :

« وكان السلطان محمود رجلاً شديداً تعصب فأثرت فيه هذه الوشايات واستمع لها ، فلم يصل « الفردوسي » في النهاية إلا بعشرين ألف درهم (٢) وغضب الفردوسي غضباً شديداً . وذهب إلى الحمام فاغتسل ثم خرج منه وشرب ققاعاً (٣) ، وقسم النقود بين صاحب الحمام وبائع الققاع . وكان يعلم بقسوة محمود ، فخرج من مدينة « غزنه » ليلاً ونزل بمدينة « هراة » في دكان إسماعيل الوراق والد « الأزرقى (٤) » ؛ ثم توارى في منزله مدة ستة أشهر حتى وصل رسل محمود في طلبه إلى مدينة طوس وانصرفوا عنها . فلما أحس الفردوسي بالأمن والطمأنينة خرج من « هراة » وتوجه إلى طوس ، وحمل الشاهنامه معه ، وذهب إلى « طبرستان » ونزل عند ملكها « الإصبهذشهر يار »

(١) يثبت « نولدكه » أن الفردوسي فرغ من نظم « لشاهنامه » قبل أن يقوم بأهدائها إلى السلطان « محمود الغزنوي » بزمن طويل ويبرهن على ذلك بأن هناك نسخة أخرى أهديت إلى « أحمد بن محمد بن أبي بكر الخانجاني » بتاريخ ٣٨٩ هـ = ٩٩٩ .

(٢) هذا الرقم المذكور في النسختين المخطوطتين المحفوظتين في المتحف البريطاني ، وكذلك في تاريخ « ابن اسفنديار » أما النسخة المطبوعة على الحجر فتذكر أنه ستون ألف درهم . ومدار الجدل في هذه الروايات هو أن السلطان استبدل الدنانير الذهبية بـ « الدراهم » الفضية .

(٣) المترجم : نوع من الشراب المسكر كالجمعة .

(٤) شاعر مشهور سئحت عنه فيما بعد .

الذى ينتسب إلى « آل باوند » وهم أسرة كبيرة يتصل نسبها بالملك « زردجرد بن شهریار ^(١) » .

« ثم هجا الفردوسى محموداً في منظومة من مائة بيت ، قرأها على « شهریار » وقال له : سأقل هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك فإنه عبارة عن أخبار جدودك وما أثرهم : فتلطف شهریار في معاماته وأبدى له أنواع الرفق والإحسان ، وقال له : يا أستاذ ... لقد حمل الوشاة محموداً على ذلك ، ولم يعرضوا عليه كتابك بما هو جدير به ، وقد حوا في شأنك ، هذا بالإضافة إلى أنك رجل شيعى ، والمعروف أن كل من يتولى أهل بيت الرسول لا يستقيم له أمر من أمور الدنيا ، لأنهم هم أيضاً لم يستقم لهم أمر من أمورها ، وأنت تعرف أيضاً أن السلطان محمودا سيدى ومولای ، فاترك الشاهنامه باسمه ، واعطنى هجاءه حتى أمحوه ، وسأعطيك في مقابل ذلك عطاء قليلا ، وسيدعوك محمود بنفسه ويطلب رضاك ، فلا يضيع بذلك ما تكبدته من جهد في نظم هذا الكتاب .

« ثم أرسل إليه في اليوم التالى مائة ألف درهم ، وقال : لقد اشتريت كل بيت من أبيات الهجاء بألف درهم ، فأعطى هذه الأبيات المائة ، وطب حالا واهناً قلباً مع السلطان محمود .

« فأرسل الفردوسى إليه هذه الأبيات . وأمر شهریار بحجوها ، ومحا الفردوسى أصولها . وبذلك اندرس هجاؤه للسلطان ؛ وقد بقيت ستة أبيات من بينها ، هى الآتية ^(٢) :

— لقد عابونى فقالوا : إن هذا المتشدد الثرثار . . .

قد شاب على حب النبى وعلى وتقدمت به السنون والأعمار ^(٣) . . . !!

- (١) آخر ملوك الساسانيين ، وقد فتح العرب بلاده أثناء حكمه ، وقد استعاض « ابن اسفنديار » العبارات التالية لكلمة « باوند » بالعبارات الآتية : « وكان خالا لشمس العالى نايوس بن وشمكبير وقد سجلت ما أثره ونواحي عظلمته في كتاب اليمينى للعنى » .
- (٢) المترجم : ذكرت نفس هذه الأبيات بالفارسية في صحيفة ١٥٩ .
- (٣) يقصد بذلك أنه أحب النبى وعلياً فقط ، ولم يذكر أبابكر وعمر وعثمان ، وهم

- ولو أنني أخذت أردد أفتوالى في جهما وما يتصل بهما من أخبار ...
 لمحتُ بذلك مئات من أمثال محمود وكل سلطان جبار ... !!
 — ولكنني أعرف أن ابن الأمة لا يصلح في عمل من الأعمال ...
 ولو كان أبوه ملكاً من ذوى الخطر والجلال ... !!
 — فإلام أسرق حديثي في هذا الباب الواسع ...
 وهو كالبحر ، لا أعرف حداً لمداه الشاسع ... !!
 — وليس في طاقة هذا السلطان أن يفعل الخير والإحسان ... !!
 وإلا لأجلسني على العرش في أسمى مكان ... !!
 — ولم يكن في أرومته ما يتصل بالعظمة وكرم الانتماء ... !!
 ومن أجل ذلك ، لم يعرف كيف يستمع إلى أسماء العظما ، ... !!

« وفي الحق ، إن شهریار أدى بذلك خدمة جليلة للسلطان محمود ، واعتبرها محمود منة كبيرة منه . ولما كنت في نيسابور في سنة أربع عشرة وخمسة سمعت عن الأمير « معزى »^(١) أنه قال : سمعت عن الأمير « عبد الرزاق » بطوس أنه قال : كان السلطان محمود في بعض الأوقات ببلاد الهند ، فلما كان في طريق العودة إلى مدينة غزنه ، اعترض طريقه ثأر من الثوار تعصن في قلعة منيعة . فنزل محمود في اليوم التالي على باب قلعة ، وأرسل إليه رسولا يقول له إنه يجب عليه أن يأتي إلى السلطان في العداة ، ليقدم له فروض الخضوع والولاء وليأزم الأعتاب السلطانية حتى ينال من السلطان خلة شريفة ، وله أن يعود بعد ذلك إلى قلعة . فلما كان العدو ركب السلطان محمرد وعلى يمينه وزيره^(٢) عاد الرسول وتقدم إلى السلطان فالتفت السلطان إلى وزيره وقال :

== الخفاء الثلاثة الأوائل من الخفاء الراشدين لدى أهل السنة . ويتضح من هذه الآيات أن الفردوسى يريد أن يقول إن التهمة الوحيدة التي اتهم بها خصومه وهي تهمة التشيع ، إنما مردها إلى هذا البيت الذي عبر فيه عن حبه الخالص الشديد لأهل البيت .
 (١) هو شاعر السلطانيين الساجوقيين « ملكشاه » و « سنجر » وقد قتل مولاة خناً برمية سهم خاطئة في سنة ٥٤٣هـ = ١١٤٨ م .
 (٢) يذكره دولتشاه أن هذا الوزير هو « اليمندى » وهذا جائز ، لأن المعروف إن

— ترى أية إجابة أجاب بها هذا التمرد ... ؟

فردد الوزير على الفور قول الفردوسى :

— إذا لم يكن وفقاً لإرادتى هذا الرد والجواب ... !!

فلامر من التجأئى إلى السيف والميدان ومنازلة « افراسياب » ... !!

فقال محمود : لمن هذا البيت .. ؟ فإن الرجوله تنفجر من معانية (١) .. ؟!

فأجاب الوزير : إنه من شعر الرجل المسكين « أبى القاسم الفردوسى » وقد
احتمل العناء خمسة وعشرين سنة كاملة ليم كتاب الشاهنامه ، ولكنه لم يفز بشيء
من ثماره ... !!

فقال محمود : لقد أحسنت بتذكيرك إباى بأمره ، وقد أحسست بالندم عما بدر منى
نحوه ، ولقد بقى هذا الرجل النليل محروماً من نوالى ، فذكرنى بأمره بمجرد
عودتى إلى غزنه حتى أرسل إليه شيئاً .

فلما وصل الوزير إلى مدينة غزنه ، ذكر محموداً بشأنه ، فقال السلطان له :

— مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار (٢) تعطى له من أصباغ
« النيلة » ولتحملها إليه فى طوس الإبل السلطانية ، ومر رجالى أن يسألوه العذرة .
ومضت سنوات والوزير مشغول بهذا الأمر ، حتى استطاع فى النهاية تنفيذة ،
ووضع الأحمال على ظهور الإبل ، ووصل العطاء سالماً إلى ناحية « طبران » (٣) .

= هذا الوزير قد قبض عليه وحبس فى سنة ١٠٢١ = ١٠٢٢ م ، وأن الفردوسى
مات فى الفترة الواقعة بين هذه السنة وسنة ١٠٢٥ = ١٠٢٦ م .

(١) استبدل « ابن اسفنديار » هذه العبارة بعبارة « لمن هذا البيت فإنه يفرض بالشجاعة
والنضال » .

(٢) استبدل « ابن اسفنديار » كلمة « دينار » بكلمة « درهم » ثم أكل العبارة على النحو
الآتى : « فلما جمعت الدراهم أرسلها على الإبل السلطانية إلى مدينة طوس » .

(٣) « طبران » ناحية من طوس . أنظر « معجم البلدان الفارسية » تأليف « باربييه دى ميتار »
Dict. de la Perse, par B. de Meynard. : ٣٧٤

فلما دخلت الإبل من باب الـ «رودبار» كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب «رزان»^(١). وكان في «طبران» في ذلك الوقت خطيب متعصب، أخذ يصيح ويقول: أنا لأجيز أن تصل جنازة الفردوسى إلى مقابر المسلمين فقد كان رافضياً...!! فأخذ الناس يجادلونه، ويجهدون في إقناعه، ولم تفلح مجادلهم في التأثير فيه. وكانت للفردوسى حديقة داخل هذه البوابة فدفنوه فيها^(٢). وما زال قبره هناك حتى اليوم، وقد زرت قبره في سنة عشر وخمسة^(٣).

«ويقولون إن الفردوسى أعقب ابنة فاضلة، فأرادوا أن يسلموها صالحة السلطان ولكنها رفضتها ولم تقبلها، وقالت للرسول: لست في حاجة إليها. فكتب صاحب البريد^(٤) بذلك إلى السلطان، فلما عرض عليه الأمر، أمر رجاله أن يخرجوا هذا العالم^(٥)»

(١) تابع «نولدكه» ابن اسفنديار فكتب هذا الاسم «رزان» ولكن النسخة المطبوعة على الحجر من كتاب «جهاز مقاله» وكذلك نسخة المخطبة الثلاث التي تحفظ في مكتبات لندن واستانبول تكتب الكلمة «رزان». وقد ذكر «البلادى» أن إحدى محلات سجستان تسمى بهذا الاسم كما توجد ناحية في خراسان بالقرب من مدينة «نسا» تسمى «رزان» أنظر المرجع السابق ص ٢٥٩.

(٢) تختلف عبارة ابن اسفنديار قليلاً فترجمتها كالآتي: «وكانت هناك حديقة تسمى حديقة (الفردوس) وكانت ملكاً للفردوسى فدفنوه فيها».

(٣) كذلك يروى «دولت شاه» أن قبر الفردوسى كان موجوداً في زمانه أى سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٣ هـ وكان مزاراً يحج إليه المعجبون به. وقد وصف مكانه فقال إنه يقع بالقرب من مزار العباسية بمدينة طوس.

[الترجم: بمناسبة الاحتفال الأثني للفردوسى جددت الحكومة الإيرانية في السنوات الماضية قبر الفردوسى وأقامت له مقبرة نعمة تليق بمكانته].

(٤) من أهم الواجبات التي كانت ملقاة على عاتق «صاحب البريد» أن يخبر مولاه بكل ما يحدث في ولاياته مما يصل إليه عمله، ويشمل ذلك إخباره بكل ما يفعله الوالى في ولايته. وقد شرح ذلك بالتفصيل كتاب «سياسة نامه».

(٥) يقصد به الخطيب المتعصب الذى ورد ذكره في العبارات السابقة. وقد ذكر «دولت شاه» وجملة من أصحاب الكتب المتأخرة أن هذا الفقيه هو «الشيخ أبو القاسم الجرجاني» فقد رفض أن يصل على الفردوسى لأنه أمضى عمره في مدح أبطال الجوس والزرادشة ويذهب الخبر إلى أنه عندما نام في هذه الليلة، رأى الفردوسى في منامه يدخل

من « طبران » اتمام فضوله الذي أبداه ، وأن يعدوه عن أسرته ، وأن يعطوا المال لأبي بكر بن إسحاق حتى يعمر به رباط « چاهه »^(١) الواقع على رأس الطريق بين « نيسابور » و « مرو » فلما وصل أمر السلطان إلى « طوس » قاموا على تنفيذه فكان تعبير رباط « چاهه » من هذا المال .

رواية دولتشاه :

هذه هي أقدم نبذة وردت لنا عن « الفردوسي » ، وهي أقرب ما روى عنه إلى الصحة والتصديق ، لأننا على ثقة من أنه لو صح أنها ليست صادقة في كل التفاصيل التي اشتملت عليها ، فإنها على الأقل تمثل لنا ما كان يعتقد بشأنه طائفة المثقفين من أهل بلده بعد قرن واحد من وفاته . وعلى ذلك فنحن نعلق عليها أهمية كبرى جعلتنا نفضل تقديمها على باقي الروايات .

ولاشك أن « دولتشاه » استقى بعض أخباره مما ورد بكتاب « چهار مقاله » (وقد ذكر ذلك صراحة في بعض المواضع) ولكنه زخرف الحقائق المجردة المذكورة به وأضاف إليها من عنده بعض الأخبار الزائفة أو الخيالية .

وقد ذكر فيما ذكر ، أن اسم الشاعر هو « الحسن بن إسحاق بن شرفشاه »

= جنات عليين ، فسأله كيف استطاع أن يصل إلى هذه المرتبة العالية فأجاب : بفضل هذا البيت الذي قلته في توحيد الباري جل شأنه :

جهان را بلندی و پستی توئی ندانم چه هرجه هستی توئی

ومعناه :

— اللهم ...!! إنك جميع ما في الكون من رفيع ووضيع ...

ولست أعرف كنهك ، ولكنك أنت كل ما هو كائن...!!

(١) هكذا ورد هنا الاسم في إحدى النسخ الخطية والطبوعة من « چهار مقاله » ، وقد كتب « جامه » في نسخة أخرى من نسخ لندن ، وكتب « جامه » في نسخة استانبول ، أما « ابن اسفنديار » فكتبه « رباط و چاهه » . بمعنى : رباط و بئر ؛ وقد أسماه دولتشاه « رباط عشق » وقال إنه يقم إلى جوار خراب « شقان » على الطريق بين « خراسان » و « استراباد »

وأنة تخلص في بعض أشعاره بـ « ابن شرفشاه^(١) » وأنه كان من قرية « رزان » بالقرب من « طوس » وأنه لقب نفسه بـ « الفردوسى » نسبة إلى حديقة هناك كانت تسمى « الفردوس » وكانت مملوكة لعמיד خراسان « سورى بن المغيرة » وكان والد الفردوسى يشغل بستانيا في هذه الحديقة .

والفردوسى وقفا لهذه الرواية رجل فقير معدم ، يجور عليه حاكم بلده ، فيفر إلى « غزنه » ويعيش فيها فترة معتمدا على التكسب بأشعاره ، حتى تهيأ له الفرصة التي ذكرناها فيما سبق ، ويتعرف إلى « العنصرى » فيأخذ هذا على عاتقه تقديمه إلى السلطان « محمود الغزنوى » ثم يقوم بعد ذلك في بقية القصة بالدور الذى قام به الوزير « اليمندى » في القصة السابقة ويبدو بعد ذلك على أنه راعيه ووليه .

ويقولون إن السلطان عند ما سمع قول الفردوسى :

چو كودك لب از شیر مادر بشت زگواره محمود گوید نخست

ومعناه :

— متى غسل الطفل شفتيه من لبن أمه ، فإن أول كلمة ينطق بها هي « محمود » .
قرّبه وأغدق عليه النعم فأزله في قصره ، ورتب له مرتبا يصرف له بانتظام .
وتقول هذه الرواية دون ما عدها من الروايات^(١) أن « أياز » غلام السلطان محمود قد ساء ما رآه من انصراف « الفردوسى » عنه فأخذ يكيد له لدى السلطان ويتهمه بالزندقة والكفر حتى أعلنه السلطان بذلك صراحة وقال له: إن زنادقة هذا المذهب (أى القرامطة والإسماعيلية) يأتون من طوس ولكنى عفوت عنك على شريطة أن تقام عنده .
وتقول هذه الرواية إن الشاعر اختفى بعد ذلك بضعة أشهر في مدينة « غزنه » منتهزا الفرصة ليسترد من مكتبة السلطان نسخة « الشاهنامه » فلم تم له ذلك لجأ إلى أحد الوراقين في « هراة » ؛ ويتغير اسم هذا الوزاق في هذه الرواية فتذكره على

(١) يذكر « نولداك » في مقاله ص ٢٢ أن مقدمة « باينقر » تذكر أن والد الفردوسى

كان يسمى : « غفر الدين أحمد بن فرخ الفردوسى » .

(٢) أنظر مقالة « نولداك » ص ٢٦ .

أنه « أبو العالی » وليس « اسماعیل » ثم تضى بقية رواية « دولتشاه » على هذا النحو وتذكر لنا بعض التفاصيل والأقاويل المختلفة ولكنها تتفق في خلاصتها مع ما ذكرناه في الرواية السابقة .

أما الأخبار المستقاة من مؤلفات الفردوسى نفسه ، فهى إذا صح نصحها (١) أهم المصادر عن تاريخ حياته ؛ وقد قلنا فيما سبق أن الأستاذ « نولدكه » والدكتور « إتيه » قاما على دراسهما دراسة عميقة كلفتهما كثيراً من العناء والصبر ، ومن المستحيل على فى كتاب ضيق النطاق مثل كتابى هذا أن أذكر كل ما وصلإ إليه من نتائج ، بل إن ذلك لا يتجتم على لزما ، لأن كل دارس متفحص للشاهنامه سيرجع بالضرورة إلى ما كتبه أولهما فى مقاله « الملحمة القومية الإيرانية » وإلى المقالات التى كتبها الآخر عن هذا الموضوع وألحقها بطبعته لمنظومة الفردوسى العروقة « يوسف وزليخا » وكذلك إلى فصول مقاله التى كتبها بالألمانية بعنوان « الآداب الفارسية الحديثة » وهى المنشورة فى المجلد الثانى من « المفضل فى الدراسات اللغوية الإيرانية » .

وإذا تحريتنا الإيجاز فإنه يدولنا أننا كنا على حق فى افتراض أن الفردوسى كان « دهقاناً » من دهاقين « طوس » وأنه كان يعيش عيشة ميسرة لاضنك فىها ، وأنه ولد حوالى سنة ٩٢٠ م = ٣٠٨ هـ أو بعد ذلك بقليل من الزمن ، وأنه شغف بالأخبار القديمة والروايات الشعبية ، فقرأ فيها كتاباً منشوراً من تأليف « أبى منصور العمري » جمعه « لأبى منصور بن عبد الرزاق » حاكم خراسان فى سنة ٩٥٧ م = ٣٤٦ هـ واستقى فيه أخباره من أقدم المصادر الفارسية ، فدفعه ذلك إلى نظم « الملحمة القومية » وفرغ من نسختها الأولى فى سنة ٩٩٩ م = ٣٩٠ هـ بعد خمسة وعشرين سنة من العمل المتصل ، ثم أهداها بهد ذلك إلى « أحمد بن محمد بن أبى بكر الخالنجانى (٢) » كما أهدى نسختها الثانية التى تمت حوالى سنة ١٠١٠ م = ٤٠١ هـ إلى السلطان « محمود » وأعقب ذلك مباشرة غنبيه على السلطان وهربه من مدينة « غزنه » . ثم لجأ فترة قصيرة إلى أحد الأمراء البويهيين (٣) وألف

(١) فى كثير من الأحيان يضطرب النص ويبدو سقيماً .

(٢) نسبة إلى خالنجان .

(٣) يرى « نولدكه » أن هذا الأمير البويهى هو « بهاء الدولة » أو ابنه « سلطان الدولة » الذى خذنه فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ أما « إتيه » فىرى أن هذا الأمير هو « مجد الدولة أبوطالب زستم » .

له منظومته الكبيرة الأخرى « يوسف وزليخا » وعاد بعد ذلك إلى بلده « طوس » رجلا مسنا قد نيف على التسعين من عمره ، فكث بها حتى أدركته منيته في سنة ١٠٢٠ أو ١٠٢٥ م = ٤١١ أو ٤١٦ هـ على وجه التقريب .

مؤلفات الفردوسى :

ولنتقل الآن إلى ذكر مؤلفات الفردوسى . وهى تشتمل كما هى بين أيدينا الآن على ما يلى :

- ١ — الشاهنامه .
- ٢ — المنظومة الروائية « يوسف وزليخا » .
- ٣ — عدد غير قليل من الغزليات حفظته لنا كتب التراجم والمختارات ؛ وقد جمعه ونشره وترجمه الدكتور « إتيه » فى مقالاته التى سبق ذكرها بعنوان « الفردوسى كشاعر غنائى » .

ولاشك أن شهرة « الفردوسى » فى قول الشعر راجعة إلى نظمه للشاهنامه ؛ ويكاد الناقدون الشرقيون والغربون يجمعون على الإعجاب الشديد بهذه الملاحمة الهائلة . ولكى أنا شخصيا فى كثير من الحجل والتورط أعترف لهم بأنى لم أستطع مطلقا أن أشاركهم ما هم فيه من تحمس وإعجاب . فالشاهنامه — فى رأى — لا يمكن أن ترقى إلى مستوى « العلاقات » العربية ، وهى وإن كانت المثال والقالب اللذين اتخذتهما أشعار الملاحم فى أراضى الإسلام قاطبة ، إلا أنه لا يمكن من ناحية الجمال والعاطفة والنوq الفنى مقارنتها بأجود الأشعار التعليمية أو الروائية أو الغزلية التى قالها شعراء الفرس . ومن السلم به أنه من المستحيل المناقشة فى الأمور المتعلقة بالنوq الفنى ، وخصوصا ما تعلق منها بالأدب ، ولعل إخفاقى فى تذوق الشاهنامه ناشى من نقص طبيعى فى حسمى يجعلنى أمىج أشعار الملاحم عامة ، ولا غضاضة على فى ذلك فكلنا معرض لمثل هذا النقص فى بعض الناحى ، خاصة فيما يتعلق بالموسيقى ، فألحان « واجز » قد تطرب شخصا من الناس فتصل به إلى مرتبة التجلى والوجد ، بينما لا يهتم بها الآخرون أو يحسون عند سماعها بشىء من الضجر والتملل . وحتى إذا

أخذنا ذلك في الحسبان ، فلا أستطيع إلا أن اعترف بأن أشعر بأن « الشاهنامه »
 بها جملة من العيوب الثابتة المحددة . فطولها مبالغ فيه ، وقد اقتضاه بالطبيعة نطاق
 الموضوعات التي تحدثت عنها ، وهي تشمل كل التاريخ الخرافي الذي عرفته إيران منذ
 أقدم الأزمنة إلى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي ؛ والشاهنامه كذلك عملة
 من حيث الوزن الذي صيغت فيه هي وبقية المنظومات الحماسية الفارسية . وليت
 الأمر يقتصر على ذلك بل إن التشبيهات الكثيرة التي تتردد فيها تبدو لي عملة مضجرة
 للغاية ؛ فكل بطل فيها هو الأسد الرابض أو الفيل الهائج أو التمساح المائج ، وإذا
 تحرك فهو الدخان المتطاير أو الغبار المتناثر أو الريح الصافر...!!

وإذا صح أن الأثر الأدبي إذا ترجم فقد ما امتاز به من جمال في الأسلوب
 والتركيب ، ولم يستطع إلامهرة الترجمين الاحتفاظ بجمال عباراته ومبانيه ، فإنه من
 السلم به أيضاً أنه من اليسر بمكان أن نحفظ في الترجمة بجمال أفكاره وروعة معانيه .
 ومن أظهر الأمثلة على ذلك أن « قزجرالد » استطاع أن ينقل لنا في ترجمة رائعة
 « رباعيات الحيام » بما اشتملت عليه من جمال وروعة ؛ ولكن أمر الشاهنامه على
 النقيض من ذلك تماماً ، فهي تصمد في وجه الترجمين جميعاً ، وتعجزهم عن أية ترجمة
 مقبولة لها ، لأن الروعة الموسيقية التي تطن بها ألفاظها تضع بالضرورة عند الترجمة
 تاركة لنا الأفكار التي تشتمل عليها عارية جرداء .

ولست أدعى مطلقاً المهارة في قول الشعر ، وأنا اعترف أن كثيراً من شعراء
 الفرس والعرب قد أصابهم شيء من الغبن بسبب ما نشرت من ترجمات لأشعارهم
 في هذه الصفحات ؛ ولكني مع ذلك أستطيع أن أقطع في اطمئنان بأن قليلاً
 جداً من قرأني الإنجليز الذين سيقراون القطع المختلفة التي ترجمتها من الشاهنامه في
 هذا الجزء الحالى من كتابي أو الجزء الذي سبقه ، سيرددون في الحكم بأنهادون ما
 ترجمت من أقوال لشعراء آخرين .

(١) هذه الروعة لا يمكن أن ينكرها كل من استمع للمنشدين المحترفين الذين ينشدون
 الشاهنامه ، وهم الذين يعرفون لدى الفرس باسم « شاهنامه خوان » .

وإذا صحت وجهات النظر هذه التي أبدتها ، وهى تخالف المؤلف والمعروف فلماذا إذن فازت الشاهنامه بشهرة عريضة وذاع صيتها ذيوماً عظيماً لا مثيل له فى إيران وكذلك فى جميع البلاد التى يدرسون فيها اللغة الفارسية . . . أما ذيوها فى إيران ، فأهم أسبابه أن الفرس يعتزون بها كسجل خالد لمظلمتهم القومية التى اتصفوا بها منذ أقدم العصور ، والتى أخذت بعد ذلك للأسف فى التدهور والفتور . وقد انتقل رأى الفرس هذا إلى جميع المشتغلين بالفارسية فى كافة البلاد الآسيوية والأوروبية واعتنقه فممن اعتنقه المستشرقون الأوروبيون الأوائل ، واعتبروه رأياً صحيحاً جيداً بالتصديق والتسليم ، وجاء بعدهم جماعة من المستشرقين أسلم رأياً وأكثر تدقيقاً ، ولكن بعض العوامل الأخرى أثرت فيهم وجعلتهم لا يحدون عن هذا الرأى لما وجدوه فى «الشاهنامه» من دراسة لعوية « فيلولوجية » باعتبارها من أقدم الكتب الفارسية التى عرفت بحرصها الشديد على استبعاد الألفاظ العربية ، ولما لمسوه فيها من روح « هلمنية » تميل إلى تمجيد العبقرية الآرية والحط من قدر الشعوب السامية ، ولما عرفوه من أهمية كبيرة لمحتوباتها فيما يتعلق بالأساطير والحرفات الشعبية ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الفردوسى فاز من مواطنيه بشهرة عظيمة بسبب نظمه للشاهنامه وحدها ، وتعلمنا أن رأى هؤلاء هو العمد بغير شك فيما يذهبون إليه ، ووجدنا أن هذه الشهرة العريضة مازالت لاصقة به منذ البداية حتى هذه الأزمنة ، لا يعترها وهن أو تغير ، فإنه من العسير على أن أفصح عن رأى الشخصى أكثر مما ذكرت . ولكنى فى هذه المناسبة أحب أن ألفت نظر المستشرقين الأوروبيين إلى أنه لو صح لنا دائماً أن نأخذ برأى المواطنين فى شعرائهم فإن « المتنبى (١) » يجب أن يفوز بما فاز به « الفردوسى » تماماً من شهرة عريضة وصيد ذائع ولو أن بعضهم قد أنكروا عليه ذلك وقسا عليه فى حكمه .

وقد ترجمت فى الجزء السابق من كتابى هذا جملة من مقطوعات الشاهنامه المتصلة بقصة « اردشير » وبينت فيها كيف كان « الفردوسى » أميناً فى متابعة المصادر

(١) كان المتنبى معاصراً للفردوسى تقريباً فقد ولد سنة ٩٠٥ م = ٥٢٩٣ ومات مقتولاً

سنة ٩٦٥ م = ٥٣٥٤ .

التي نقل عنها ، ثم اتبعت ذلك يبحث مطول عن الموضوعات والميزات التي اشتملت عليها هذه الملحمة الفارسية . ونطاق الكتاب الحالي لا يسمح لي بأن أعيد في هذا هذا المكان ما سبق لي ذكره فيما مضى . ومن أجل ذلك فسأقتصر على إيراد مثل آخر منها هو عبارة عن ترجمة السطور الأولى من قصة « رسم وسهراب ^(۱) » . الشهيرة ؛ وهي آيات يعترف الجميع بأنها من أروع ما جاء في الشاهنامه ، ونصها موجود في الجزء الأول من طبعة « ترنر مكن » ص ۳۱۵-۳۱۶ وهو ^(۲) :

كون رزم «سهراب» و «رسم» شنو
ديگرها شنيدستی اين هم شنو
یکی داستان است پر آب چنم
دل نازك از « رسم » آيد بخنم
اگر تند بادی بر آيد ز کنج
بخاک افکند نا رسیده ترنج
سَم کاره خوانش ار دادگر
هنرمند گویش ار بی هنر
[۵] اگر مرگ دادست بیداد چیست
زداد این همه بانگ و فریاد چیست
ازین راز جان تو آگاه نیست
بدین پرده اندر ترا راه نیست
همه تا در آرزو رفتن فراز
بکس وا نشد این در آرز باز
رفتن مگر بهتر آیدت جای
چو آرام گیری بدیگر سرای

(۱) أصبحت هذه القصة معروفة لدى الإنجليز بفضل تلخيصها الرائع الذي نشره « ماتيو آرنولد » .
(۲) المترجم : نقل « براون » هذه الأبيات إلى الإنجليزية عموماً بما كاة الأصل بالمحافظة على الوزن والقافية . وقد أثبت هنا الأصل مع ترجمة مثورة له .

اگر مرگ کس را نیوایدی

ز پیر و جوان خاک بسیاری
[۱۰] اگر آتشی گاه افروختن

بسوزد عجب نیست زو سوختن

بسوزد چو در سوزش آید درست

چو شاخ نو از یخ کهنه برست

دم مرگ چون آتش هولناک

ندارد ز برنا و فرتوت باک

جوان را چه باید بگیتی طرب

که فی مرگ راهست پیری سبب

درین جای رفتن نه جای درنگ

بر اسپ قضا گر کشد مرگ تنگ

[۱۵] چنان دان که دادست بیداد نیست

چو داد آمدش بانگ و فریاد چیست

جوانی و پیری بنزد اجل

یکی دان چو در دین نخواهی خلل

دل از نور ایمان گر آگنده

ترا خامشی به که تو بند

پرستش همان پیشه کن با نیاز

همه کار روز پسین را بساز

برین کار یزدان ترا راز نیست

اگر دیو با جانت انباز نیست

[۲۰] بگیتی در ان کوش چون بگذری

سر انجام اسلام با خود بری

کنون رزم «سهراب» گویم درست

از ان کین که او با پدر چون بجست

ومعناها :

- استمع الآن إلى قصة « رسم » و « سهراب »
واصنع إليها كما اصغيت إلى غيرها من قصص عجاب ..!!
- فهي قصة مليئة بدموع العيون والأشجان
تثير القلوب الرقيقة ضد « رسم » سيد الشجعان
- وإذا هبت الرياح العاتية في ركن من الأركان
أطاحت بالثمار الفجة وأسقطتها عن الأغصان
- وإني لأسميه ظلما ، ولو عرف بالعدل والإنصاف .
وإني لأسميه فاضلا ، ولو عرف بالجهل والإسفاف
- وإذا كان الموت عدلا ... فماذا يكون الظلم والاعتساف ... ؟!
وما كل هذا العويل والصياح طلبا للعدل والإنصاف ... !!
- ولن تعلم روحك شيئا من أمر هذا السر الدفين
ولن تكشف طريقك ما وراء هذا الحجاب المكين ... !!
- ولقد أسرع جميع الأنام حتى بلغوا باب الحرص والأمل
فما بلغوه وأدركوه ... أنسد عليهم وانقفل ... !!
- ومن يدري ... ؟ فربما يطيب مقامك متى رحلت عن هذه الدنيا القانية
وظفرت بالراحة والسكينة في الدار الباقية ... !!
- ولو لم ينتلج الموت بعض الأشخاص في كل زمان
لامتلات الأرض ، وازدحمت ساحتها بالشيب والشبان ... !!
- ومتى انقادت النار ساعة إشعالها ، وسرى بها اللهب
فليس عجيبا أن يزداد ضرامها الرهيب ... !!
- ومتى انقادت النار استمر ضرامها ، واتصلت لها العظيمة
ونبتت كما تنبت الأغصان النضيرة من الجذور القديمة ... !!
- وما أشبه لحظة الموت بهذه النار ذات الهول
فهي لا ترهب أحدا ، ولا تبقي على فتى أو كهيل ... !!

- وعلام يفرح الشبان بهذه الدنيا ، وعلام يطرب بها الشباب
 وليست الشيخوخة وحدها علة الموت ... بل تنوعت الأسباب ... !!
- فإذا اتقض عليك الموت ممتطيا جواد القضاء ، وضيق عليك الحناق
 في هذه الدار العاجلة ... دار الرحيل والفراق
- فاعلم أن الموت حق على جميع الأرواح
 وأن الأمر الحق متى جاء فلا يفتي الصياح والنواح ... !!
- وإذا لم تشأ أن تصيب دينك بالفساد والحلل
 فاعلم أن الشباب والشيب سواء أمام سيف الأجل ... !!
- وإذا كان قلبك مليئا بنور اليقين والإيمان
 فخير لك الصمت . فإنك عبد من عبيد الرحمن ... !!
- وثابر على التعبد والصلاة والضراعة
 وهيء أمورك ، وأعدّ عدتك لقيام الساعة ... !!
- وليس هناك سر يخفي عليك من أمر ربك
 مادام الشيطان لا يكون قرينا لروحك وقلبك
- فأقصر سعيك على هذا ، في هذه الدنيا العابرة
 فإذا مت ... فزادك الإسلام في الدار الآخرة
- واستمع إلى الآن ... فسأقص عليك مباشرة حرب « سهراب »
 وكيف نشأت الحرب بينه وبين أبيه ، وما كان بينهما من أمور عجاب ... !!
- ويؤكد بعض الناس أحيانا أن « الشاهنامه » لا تكاد تشتمل على شيء من
 الألفاظ العربية ، وهذا الرأي خاطيء كل الخطأ ، لأن « الفردوسي » حقيقة قد
 تحاشى بقدر ما استطاع استعمال هذه الألفاظ في ما حتمت لما أحسه فيها من عدم
 انسجام مع موضوع منظومته ، ولكن كثيرا من الألفاظ العربية كان قد تأصل في
 اللغة الفارسية في هذا الوقت بحيث أصبح من المستحيل عليه أن يتحاشاها أو يتجنب
 استعمالها . والأبيات التي ذكرناها فيما سبق يبلغ عددها الواحد والعشرين بيتا وهي
 تشتمل على عدد من الألفاظ يبلغ (٢٥٠) لفظا : نجد من بينها تسعة ألفاظ عربية
 الأصل هي :

عجب — طرب — سبب — قضا — عجل — خلل — نور — إيمان —
 إسلام؛ كما نجد فيها لفظة نصف عربية هي « هولناك » .
 وهذه النسبة هي السائدة في صفحات الشاهنامه بحيث تبلغ الألفاظ العربية فيها
 أربعة أو خمسة في المائة من مجموع ألفاظها .

يوسف وزليخا :

نأتي بعد ذلك إلى المنظومة الثانية من مؤلفات « الفردوسى » الشعرية وتقصدها
 بها مشويته التي موضوعها قصة « يوسف وزليخا » . وهذه القصة قد أضيقوا على
 أصولها المجردة كثيرا من الزيادات والإضافات ، وأصبحت من أكثر الموضوعات التي
 ينظر فيها الشعراء الرومانتيكيون في إيران وتركيا ، ولم يكن « الفردوسى » أول من
 طرقتها كما أشار إلى ذلك الدكتور « إتيه » فقد سبقه إلى نظمها — كلورد في إحدى
 المخطوطات — شاعران آخران أحدهما من بلخ اسمه « أبوالمؤيد » والآخر من الأهواز
 اسمه « البخيارى » وقد ضاعت منظوماتها جميعا ولم يبق لنا إلا منظومة
 الفردوسى التي بقيت على اثر من بفضل مجهود الدكتور « إتيه » الذى لا يعرف
 الكل . ونسخة هذه المنظومة نادرة في بلاد المشرق ولكنها وفيرة في مكتبات
 إنجلترا وفرنسا ، ويوجد فيهما من نسخها على الأقل سبع نسخ ، من بينها نسخة
 لم يرها الدكتور « إتيه » وقد وجدها الدكتور « إ . دينسون روس (١) » في
 مجموعة المخطوطات التي كانت مملوكة للسير « ولیم جونز » وهي المخطوطات التي تحفظ
 الآن بإدارة الهند .

وقد طبعت هذه المنظومة على الحجر ثلاث مرات في الهند ومرة واحدة في
 إيران ، ثم يسر لنا بعد ذلك الدكتور « إتيه » قراءتها بتصحيحها في طبعة سليمة من

(١) المترجم : السيد دينسون روس Sir E. Denison Ross كان مديراً لمعهد الدراسات
 الشرقية بلندن ، وعليه نلقبت دراساته الشرقية أثناء التحاقه بهذا المعهد في الفترة الواقعة بين
 سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٦ وقد أدركته الوفاة في استانبول أثناء الحرب العالمية الأخيرة .

نشرياته ، كما ترجمها إلى الألمانية نظماً « شلشتا وسرد : Schlechta-Wssehrd »
في مدينة فينا سنة ١٨٨٩ .

والدكتور «إتيه» هو مرجعنا في هذه المنظومة ، فقد قام على دراستها ومقارنتها
بالمظومتين التآخريتين اللتين نظمهما في نفس هذا الموضوع . الشعرا « جامي »
١٤٨٣ م = ٨٨٨ هـ و « نظامي الهروي (١) » ، ويرى « إتيه » أنها جديرة
بالإعجاب ، وهو يخالف في هذا الرأي نقاد الفرس الذين يحطون من قدرها
ويرون أن الفردوسي قد نظمها بعد ما غاض شبابه وذوى عنفوانه وانحطم قلبه
بسبب النكد الذي استولى عليه لنظمه للشاهنامه ، ويرون كذلك أنه صاغها في
نفس الوزن والأسلوب اللذين صاغ فيهما ملحمتيه وهما في الحقيقة لا يصلحان لنظم
القصص الرومانتيكية .

غزليات الفردوسي :

وإذا نظرنا إلى الأمثلة التي بقيت لنا من غزليات الفردوسي في كتب التراجم
والختارات وجدنا أن النقاد قد غمطوها حقها . وقد أشرت فيما سبق إلى المقالات
التي نشرها الدكتور « إتيه » عن هذا الموضوع . ومن أجل ذلك فسأقتصر في
هذا المكان على إيراد مثلين من غزليات الفردوسي . الأول منهما مذكور في كتاب
« تاريخ كرده (٢) » والآخر في كتاب « لباب الألباب (٣) » لمحمد عوفي .

والغزلية الأولى نصها كما يلي :

سرى نخر بر آسمان سود می	شبی در برت گر بر آسود می
گلاه از سر مهر بر بودمی	قلم در کف تیر بشکستمی
به پی فرق کیوان بفرسودمی	بقدر از نهم چرخ بگذشتمی

(١) منظومة «جامي» هي المعروفة من هاتين المنظومتين .

(٢) أظن تاريخ كرده طبع لندن سنة ١٩١٠ م ص ٨٢٤ وكذلك مقالتي عن شعراء
الفرس المنشورة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ ويناير سنة ١٩٠١

(٣) أظن «لباب الألباب» ج ٢ ص ٢٣ .

به بیچارگان رحمت آوردی بدرماندگان بر بیخودی

ومعناها :

- لهأني هبأت ليلة واحدة في صدرك ... !!
 - لشمخت برأسي إلى السماء في غر وازدهوت عجباً بك ... !!
 - ولحطمت قلم « عطارد » في كفه ... !!
 - ولترعت ناج « الشمس » عن مفرقها ... !!
 - ولنفذت من أطباق السماء التاسعة ...
 - ولترعت مفرق « كيوان » بأطراف أقدامي .. !!
 - ثم جلبت الرحمة للبؤساء والساكين ...
 - ولعفوت عن الخاطئين والمقصرين ... !!
- أما القطعة الثانية فنصها :

بسی رنج دیدم بسی گفته خواندم ز گفتسار تازی واز پهلوانی
 بچندین هنر شست و دو سال بودم چه توشه برم ز آشکار و نهانی
 بجز حسرت و جز وبال گناهان ندارم کنون از جوانی نشانی
 بیاد جوانی کنون مویه دارم بر آن بیت بو ظاهر خسروانی
 جوانی من از کودکی یاد دارم درینجا جوانی درینجا جوانی

ومعناها :

- ما أكثر ما رأيت من أهوال ، وما أكثر ما أنشدت من أقوال ... !!
- وما أكثر ما رددت من كلام عربي وپهلوی ... !!
- ولقد بقيت اثنتين وستين سنة أنشر فنون الفضل والعرفان
- فأى فائدة أفادتنى ، وماذا كسبت منها فى السر والإعلان ... !! ؟
- لم يبق لى من كل ذلك إلا الحسرة ، وإلا الوبال والذنوب ... !!
- ولم أعد أذكر من الشباب أثراً إلا ما أنا فيه من كرب ... !!

- وأصبحت أبكى الشباب بما تفيض به دموعى وأشجانى ...
 وأصبحت أردد في ألم بيت « أبى طاهر الخسروانى » ... !!
 — وأقول كما قال : إننى أذكر الشباب وأيام الطفولة والصغر ...
 فيا أسفا على الشباب ... ويا وياتاه من الشيخوخة والكبر ... !!

اسرى :

الشاعر الثالى الذى يستحق شيئاً من عنايتنا هو أسدى الكبير «أبو نصر أحمد ابن منصور الطوسى» . ويجب أن نفرق بينه وبين ولده «على بن أحمد الأسدى» مؤلف «گرشاسب نامه»، ومؤلف أقدم القواميس الفارسية^(١)، وناسخ أقدم مخطوطة فارسية وصلت إلى أيدينا^(٢)، وهى المخطوطة التى أكمل نسخها فى سنة ١٠٥٥م = ٤٤٧ هـ وتوجد الآن فى مكتبة «فينا» وقد نشرها «زيلجمان» فى سنة ١٨٥٩ م .

وربما كان من الخير لو أننا قدمنا دراسة «أسدى الأكبر» على «الفردوسى» لأن الأخير منهما كان تلميذاً للأول فيما يقولون ، وكان كذلك من أصدقائه وأبناء بلده ؛ ولكن يجب أن أشير إلى أنى لا أؤزم نفسى بمتابعة الترتيب الزمنى الدقيق فى دراستى لمختلف العصور ، ولو فعلت ذلك لكان تاريخ وفاة «أسدى» - وقد مات بعد «الفردوسى» - مبرراً لى فى الترتيب الذى اتبعته ؛ خاصة وأن كتب التراجم الإسلامية لا تذكر إلا تاريخ الوفاة دون غيره من التواريخ ؛ ولدى بالإضافة إلى ذلك ما يقطع بأن «أسدى» كان أكبر الشعراء .

ومعرفتنا بحياة «الأسدى» ضئيلة للغاية ، فلم يذكره «اللباب» ولا «جهارمقاله» أما كتاب «تاريخ كزیده» فذكر اسمه فقط مقترناً بكتاب «گرشاسب نامه» الذى لم يكن من تأليفه بل من تأليف ولده المعروف باسم «أسدى الأصغر» . أما «دولت شاه» فيذكر لنا كماداته كثيراً من الأخبار والتفاصيل ، ولكنها على حالها

(١) المترجم : يقصد «فرهنگ اسدى» وقد طبعه المستشرق «پول هورن» .
 (٢) المترجم : يشير إلى النسخة المخطوطة من كتاب «الأبنية عن حقائق الأدوية» للوفى ابن على الهروى .

تعتبر عديمة القائدة ، لأنه لم يعتمد في سردها على أى مصدر سابق جدير بالثقة والتصديق . ومن ادعاءاته مثلاً قوله أنهم عرضوا على الأسدى نظم الشاهنامه ، ولكنه اعتذر من ذلك بتقدم سنه وكبر عمره ، ووكّل إلى تلميذه « الفردوسى » أن يقوم بنظمها ، فلما رقد « الفردوسى » على فراش الموت فى « طوس » وأخذ يجود بأنقاسه الأخيرة كانت أربعة آلاف بيت من ماحمته ما زالت باقية لم يكملها فتولى « الأسدى » إكمالها فى يوم وليلة ، ثم قرأها عليه فى صبيحة اليوم التالى ، وبذلك استطاع أن يطلع صدر « الفردوسى » وهو فى النزع الأخير من عمره . ولا ينسى « دولتشاه » أن يعين لنا على وجه التحديد هذه الآيات التى أكلها « الأسدى » فقال إنها الآيات التى تبدأ بالفتح العربى لإيران وتنتهى بانتهاء الكتاب . وأضاف إلى ذلك قوله : « إن الفضلاء يجمعون على أنه يمكن بنىء من التدقيق التمييز بين الآيات التى نظمها الفردوسى وبين تلك التى نظمها الأسدى » .

وفى مكتبة كامبردج مخطوط لكتاب « دولتشاه ^(١) » على هامشه الملاحظة الآتية تعاقباً على ما جاء فى هذه الرواية الخيالية :

« إن الفردوسى كما سيذكر عنه فيما بعد هو الذى أكمل الشاهنامه بنفسه ، ومن الواضح الجلى أن أحداً لم يشترك معه فى نظمها ، لأنه بعد أن أكملها وأهداها إلى السلطان محمود استطاع بإحدى الحيل أن يستردها من خازن كتبه وأن يضيف إليها هجويته الشهيرة للسلطان ؛ ومن هذا يتضح أن ما ذكر آنفاً يتنافى مع هذا الدليل » .

وقد اطلع شخص آخر على هذا التعليق السليم فوقه بخطه بالفارسية « نيكو گفتى » أى « لقد أبدعت القول ... !! » .

وشهرة « الأسدى » راجعة إلى أنه هو الذى أكمل وأحكم « شعر الناظرة » وقد يقال إنه هو الذى أبدعه ؛ وقد درس الدكتور « إتيه » هذه المسألة وضمن

(١) هذا المخطوط هو الرقيم : Add. 831 .

التأنيح التي وصل إليها في أعمال المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين الذي عقد في برلين سنة ١٨٨٢ م تحت عنوان : « Über Persische Tenzonen » .
والعروف عن «أسدي» أنه نظم خمس منظومات من هذا النوع من شعر المناظرة هي الآتية :

١ — مناظرة بين العربي والفارسي .

٢ — مناظرة بين السماء والأرض .

٣ — مناظرة بين الرمح والقوس .

٤ — مناظرة بين الليل والنهار .

٥ — مناظرة بين المسلم والمجوسي (الزردشتي) .

وفيما يلي سألحق ترجمة كاملة للمناظرة الرابعة كما وردت في كتاب «دولت‌شاه» .
أما القارئ الذي يريد الاطلاع على فخوى المنظومات الأخرى وما اشتملت عليه من إشارات إلى حياة الشاعر وأعماله فأني أحيله إلى ما كتبه «إتيه» في مقاله التي سبق ذكرها ، وإلى الصفحات ٢٢٦ — ٢٢٩ من مقاله التي تضمنها كتاب « جيجر » ، و «كون^(١)» الذي عنوانه « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية :

«Grundriss der Iranischen Philologie

أما المناظرة بين « الليل والنهار » فصها بالفارسية كما يلي (٢) :

[مناظرة شب وروز : از گفتار أسدي]

بشنو از حجت گفتار شب وروز ۳۳

سر گذشتی که زدل دور کند شدت غم

هر دورا خاست جدال از سبب بیشی فضل

در بیان رفت فراوان سخن از مدحت و ذم

(١) يكتب هذان الاسمان بالحروف الرومانية هكذا : Kuhn & Geiger

(٢) للترجم : لا يذكر « براون » نس أمثله في كتابه ولكن ذكرتها دائماً في هذه

الصفحات ، ثم ترجمتها بالرجوع إلى الأصل الفارسي ومقارنتها بالترجمة الإنجليزية .

گفت شب : فضل شب از روز فزون آمد از آنک
روز را باز ز شب کرد خداوند قدم
زد یزدان ز پرستنده و از عابد روز
ساجد و عابد شب راست فزون قدر و قیم
قوم را سوی مناجات بشب برد کلیم
هم بشب گشت جدا لوط ز یداد و ستم
مگر چرخ بشب کرد محمد بدو نیم
سوی معراج بشب رفت هم از بیت الحرم
هر مہی باشد سی روز و بقرآن شب قدر
بہتر از ماہ ہزار است ز بس فضل و شیم
ستر پوش است شب و روز نمایندہ عیب
راحت افزاست شب و روز فزاینده ألم
ہست در روز ز اوقات کہ تہیست نماز
وز نماز ہمہ شب نخر نی بود و اُم
من آن شاہ کہ تخم زمی است ایوان چرخ
مہ سپہدار و ہمہ آنجم سیارہ خدم
ہر مہ سال عرب را عدد از ماہ منست
بر سر منست از پر جبریل رقم
بر رخ ماہ من آثار درستیت پدید
بر رخ و چہرہ خورشید تو آثار سقم
راست خورشید تو چندانکہ بسالی برود
کم ز ماہی برود مہ از کیف وز کم

روز از شب بشنید این و بر آشفتم و بگفت
خامش کن چہ در آئی سخن نا محکم

روز را عیب بطعنه چه کنی. کایزد عرش
 روز را پیش ز شب کرد ستایش بقسم
 روزه، خلق که دارند بروزست همه
 بحرم نیز بروزست حج از رب حرم
 عید و آدینه، فرخ عرفه و عاشورا
 همه روزست چو بینی ۴۳ از عقل و فهم
 روز خواهد بود بر خاستن خلق بمحشر
 روز شد نیز وجود همه مردم زعدم
 تو بعاشق نه برنجی و باطفال نهیب
 در تن دیو دلی بر دل بیمار ستم
 بوم و خفاش بشب مرغ و سیه جی و دیو
 دزد اکثر همه شب کرد و همه اهل نهیم
 من بأصل از خور چرخم تو بجنس از دل خاک
 من چو تابان ضوء نارم تو چو تاریک فخم
 روی آفاق ز من خوب نماید ز تو زشت
 دیده، خلق ز من نور فزاید ز تو نم
 مرا گونه، اسلام و ترا گونه، کفر
 مرا جامه، شادیت ترا جامه، غم
 تو بچهر از حبشی نخر بحسن از چه کنی
 حبشی را چه رسد حسن اگر هست صنم
 سپه و خیل نجوم چه باشند که یساک
 بگریزند چو خورشید من افراخت علم
 چه زیان کت به نبی پیش ز من داشت خدای
 در نبی نیز هم از پیش سمیعست اضم
 خلق الموت بخوان گرچه حیات از پس اوست
 به ز موتست بهر حال حیات آخر هم

مگر ز ماه تو شناسند مه و سال عرب
 ز آفتاب هم دانند مه و سال عجم
 گرچه زرد آمده خورشید او به ز مهست
 گرچه زرد آمده دینار هم او به ز ذرم
 ماه تو از ضو، خورشید من افزاید نور
 وز پی خدمت خورشید کند پست بجم
 گر ز خورشید سبکتر رود او پیک و بست
 پیک البته سبکتر نهد از شاه قدم
 از فویضه سه نمازست بروز و دو شب
 ز ان نماز تو کم آمد که ز من هستی کم
 و بقول نبوی راضی و خواهی که بود
 در میان حکم کافی عدل خداوند حکم
 یا پسند آر بگفتار شه عادل زاد
 یا رضا ده برئیس الوزرا کان کرم
 راد بو نصر خلیل أحمد کرا نصرت وجود
 افر جاه و جلالست و سر ملک و نعم

و معناها :

-- استمع من حجة إلى حديث الليل والنهار
 خدیشما حکایه متمعه تبعد عن القلوب شدة الحزن والنم ... !!
 -- فقد نشأ بينهما جدال لمعرفة أيهما أكثر فضلاً
 مجری بینهما حدیث طویل بین المدح والنم ... !!
 --- قال الليل : إن الليل يفضل النهار لهذه الأسباب :
 وهی إن الله أخرج النهار من الليل ... !!

- ولدى الله يكون الساجد والعايد أثناء الليل
أعلا قدراً من الساجد والعايد أثناء النهار ... !!
- وقد استصحب « موسى » قومه إلى المناجاة أثناء الليل
. وكذلك في الليل ابتعد « لوط » عن مواطن الظلم والإثم...!!
- وفي الليل شق « محمد » القمر إلى نصفين
وفي الليل خرج إلى معرجه من بيت الحرم ...!!
- والليل ستار للعيوب ، والنهار فضاح للذنوب
والليل جلاب للراحة والهناء ، والنهار جلاب للألم والعناء...!!
- وفي النهار أوقات تخلو من الصلاة
وأما صلاة الليل بأجمه ففيها نغز النبي والأم ... !!
- وأنا ملك اتخذت الأرض عرشاً ، والفلك إيواناً ،
والقمر حارساً ، والسكواكب السيارة خدماً ... !!
- وأشهر السنة العربية عبارة عن عدد من أقماري
وعلى رأسى رقم من أجنحة جبريل ... !!
- وعلى طلعة قمرى ... تبدو آثار الصحة والعافية
وعلى طلعة شمسك ... تبدو آثار السقم والهزال ... !!
- ودورة شمسك تستغرق سنة كاملة
ودورة قمرى تستغرق أقل من شهر واحد ... !!

* * *

- استمع النهار إلى حديث الليل هذا ، ثم ثار وقال في استهزاء :
صمتا . صمتا ... وكيف جاز لك أن تهرف بمثل هذا الهراء ... !!
- وكيف جاز لك أن تطعن في النهار .. وصاحب العرش تعالى ،
قد أقسم بالنهار فقدمه على ذكر الليالى ... !!
- وصيام الناس جميعاً مجعول في وقت النهار
وكذلك الحج إلى البيت الحرام جعله الله في هذا الوقت السار ... !!

- والعيد وصلاة الجمعة ووقفة عرفات وعاشوراء
كلها مجعولة نهاراً ... إذا نظرت بعين العقل والذكاء!!
- وفي النهار سيكون بعث الناس وحشرهم
وفي النهار أيضاً كان خلقهم ووجودهم !!..
- وما أكثر رهبتك للأطفال ، وما أكثر آلامك للعاشقين
وأنت شيطان مريد ، تقسو على المرضى والساكين . !!
- والبوم والحفاس وطيور الليل والجن الأسود والشياطين
جميعها تظهر بالليل ، وكذلك اللصوص والمجرمون ..!!
- وأصل مشتق من فلك الجوزاء ، وجنسك مشتق من جوف البعراء
وأنت مظلم كالفحم القاتم ، وأنا منير كالنار ذات الضياء ..!!
- وبني يزدان وجه الأفق ، وبك يبدو في قببح شنيع ..!!
ويزداد النور بضائى في أعين الخلق ، وأماظلمتك فتكثر فيها الدموع ...!!
- ولى نور الإسلام ، ولك ظلمة الكفر والعصيان
ولى أردية الهناء ، ولك أردية الهموم والأحزان ... !
- وكيف تفخر بالحسن ولك وجه حبثى كثير الإظلام ..!!
وكيف يصل الحسن إلى حبثى ولو كان من أبهى الدمى والأصنام ..!!
- وماذا تكون جيوش نجومك وهى تفر من الشمس فى خوف ووجل
ومتى رفعت شمسى أعلامها ... هربت أمامها على مجل ..!!
- وأى ضرر يصيبنى .. إذا ذكرك الله قبلى فى القرآن
فقد جاء ذكر «الأصم» قبل «السميع» فى آيات الفرقان^(١) .

(١) المترجم : إشارة إلى ماجاء فى سورة هود آية ٢٦ حيث قال تعالى (مثل الفريقين
كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون) .

- وأقرأ في الكتاب قوله : « خلق الموت » فقد ذكر « الحياة » من بعده^(١)
 وإن كانت « الحياة » على كل حال خير من « الموت » ولحده...!!
- وإذا كانت سنة « العرب » تعرف بأقمارك
 فإن سنة « المعجم » تعرف بشمسى كذلك...!!
- والشمس وإن أصفرت ، خير من القمر في بهائه
 وكذلك الدينار وإن أصفر ، خير من الدرهم في يابسه...!!
- وقمرك يستمد نوره من ضوء الشمس
 وبنحنى في خدمتها إجلالا وتكريماً...!!
- وهو وإن أسرع عن الشمس في دورته ، فما هو إلا رسولها ،
 والرسول بغير شك يتقدم الملك في سيره وخطاه...!!
- وفي النهار ثلاث صلوات ، وفي الليل وقتان للصلاة
 وقد انقصوا من صلواتك لأنك تنقص عنى في قيمتك...!!
- فإذا لم ترض بقولى ، وشئت الاقتناع والقبول
 فاجعل الحكم العدل بينى وبينك هو الله الحكيم...!!
- واقع بقول الملك العادل الكريم
 أو ارض برئيس الوزراء فهو منجم الجود والإحسان...!!
- وهو أبو نصر الخليل بن أحمد الذى أصبح النصر
 تاجاً لجهاهه وجلاله ، والجود أساساً لملكه ونعيمه...!!
- ولا يفوتنا أن نذكر أن « الأسدى » أغضب السلطان « محمودا الغزنوى » بإحدى
 مناظراته هذه وهى التى جعلها بين « العربى والعجمى » وذلك لما أورده فيها من
 مدح لأمرين من خصومه من أمراء البويهيين هما « شمس الدولة أبو طاهر الهمدانى »

(١) المترجم : إشارة إلى ما جاء فى سورة الملك الآية الثانية حيث يقول تعالى (الذى خلق
 الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً).

(٩٩٧-١٠٢١=٣٨٧-٤١٢هـ) ومجدالدولة أبوطالب رستم (٩٩٧-١٠٢٩م = ٣٨٧-٤٢٠هـ). وفي هذا مثال آخر لما كانت عليه تسمية السلطان من حمق وحسد.

أبو الفرج السجزي :

أبو الفرج السجزي متقدم زمنا عن ذكرناهم من الشعراء فيما سبق ، ولكنه نال لهم في الأهمية والمكانة ، كما إنه لا يلزم مبلغ تلميذه «منوچهری» الذي سنتحدث عنه بعد قليل . ومن أهم الرجال الذين شملوا السجزي بالرعاية « أبو علي سيمجور» وهو واحد من الضحايا الذين أودت بهم أطماع السلطان محمود الغزنوي ، وقد قيل إنه مات في سنة ١٠٠٢م = ٥٣٩٣هـ . وتكاد حياة السجزي وظروفه تكون مجهولة لنا تماما ولو أن « دولتشاه » كعادته لا يرضن عليه ببعض الأخبار^(١) كما لا يرضن عليه بذكر مقطوعة واحدة من أشعاره هي الآتية :

عنقاي مغربست درين دور خرمي

خاص از راي محنت ورنجست آدمي

چندانکه گرد عالم صورت بر آمديم

غمخواره آدم آمد ويچاره آدمي

هر کس بهدر خویش گرفتار محنتست

کس را نداده اند برات مسلمي

وترجمتها :

... إن السعادة في هذا الزمان نادرة كمنقاه المغرب

وكأنما الحياة قد خصصت من أجل المكارِه والنوائِب...!!

... ومهما طال طوافي حول عالم الصور والظواهر

فإنني لم أر فيها إلا قعيد الموموم والكروب العوادِر...!!

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٣٩-٤٠ .

— وقد نزلت الحن على كل شخص بقدر طاقته
ولم يبرأ أحد براءة كاملة من نصيبه وحصته !!..

منوچهرى :

أما «منوچهرى» فقد كان تلميذاً للسجزي . وقد عاش حتى سنة ١٠٤١ = ٥٤٣٣ هـ أو بعد ذلك ؛ وقد ذكرناه فيما سبق وترجمنا له قصيدة من أشهر قصائده (١) وليس من السهل الحصول على نسخة ديوانه، ولكن الأستاذ «إدى بيرستين كازيميرسكى» (٢) قام على طبعه في باريس سنة ١٨٨٦ مع ترجمة كاملة له ، ألحق بها كثيراً من التعليقات والملاحظات والمقدمات التاريخية الرائعة . وقد طبع قبل ذلك بما يقرب من ست سنوات طبعة على الحجر في مدينة طهران . وتحدث «دولت شاه» عن هذا الديوان فقال : « إنه مشهور معروف في أنحاء إيران » . ويؤخذ من بيت من أبيات الديوان أن «منوچهرى» كان من بلدة «دامغان» التي تبعد بما يقرب من خمسين ميلاً إلى جنوب «استراباد» على الطريق من طهران إلى مشهد . وفي هذا ما يتنافى مع ما ذكره «دولت شاه» عن نسبه إلى «باغ» أو «غزنه» .

ويذكر «عوفى» (٣) إن اسمه الكامل هو «أبوالنجم أحمد بن قوص» (٤) بن أحمد النوچهرى» ثم لا يوجد عليه بعد ذلك بشئ من الأخبار إلا أنه كان على صفر سنه شديد الذكاء وقد أدركه الموت وهو في شبابه وغيض إهابه ، ويقولون إنه كان يلقب بلقب «شست كله» وهو تعبير يحتمل كثيراً من التفسير (٥) ولكنهم في العادة يفسرونه بمعنى «صاحب الستين قطعاً» إشارة إلى ما كان له من غنى وثراء . ومن العجيب أن «عوفى» لا يذكر شيئاً عن هذا اللقب ؛ وقد عثرت على نبذه في كتاب «راحة

(١) أنظر ص ٤٢ — ٤٧ من هذا الكتاب .

(٢) كتابة الإسم بالرومانية هكذا : A. de Biberstein Kazimirski .

[الترجم : طبع أخيراً ديوان منوچهرى في تهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش باهتام «محمد دبيرسباقى»]

(٣) أنظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٥٣ — ٥٥ .

(٤) الدكتور (إتية) يستبدل (قوص) بـ (يعقوب) .

(٥) أنظر ص ٣ من طبعة (كازيميرسكى) .

الصدور « الذى ألقه « الراوندى » فى تاريخ السلاجقة^(١) ، يستفاد منها أن اثنين من الشعراء كانا يعرفان باسم « منوچهرى » وأن الكتاب المتأخرين قد اختلط عليهم الأمر فجعلوها شخصاً واحداً ؛ أما هذان الشاعران فهما :

(أ) أبو النجم أحمد منوچهرى : الشاعر الذى عاش فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى = الخامس الهجرى .

(ب) شمس الدين أحمد منوچهر : الشاعر الذى عاش فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى = السادس الهجرى وهو الذى كان يعرف باسم « شست كله » . وليس فى أيدينا الآن شىء من أشعاره ، وكل ما نعرفه عنه أنه أنشأ قصيدة عرفت باسم « قصيدة تَبَاج » نسبة إلى قافيتها فيما يظن .

وإما يلى ترجمة كاملة لقصيدة أخرى من قصائد « منوچهرى » الحقيقى وصف فيها « الشعمة » وانتهى فيها إلى مدح « العنصرى » ؛ وهذه القصيدة مذكورة فى ديوان الشاعر وكذلك فى كتابى « عوفى » و « دولتشاه » .

وفى يلى نصها فى كتاب « تذكرة الشعراء »^(٢) :

أى نهاده بر ميان فرق جان خوشتن

جسم ما زنده بجان و جان تو زنده بتن

گر نه کوکب ، چرا پیدان کردى جز بشب

ور نه عاشق چرا گرى همى بر خوشتن

کوکبى آرى وليکن آسمان تست موم

عاشق آرى وليکن هست معشوقت لکن

(١) أشرت إلى هذا الكتاب الهام فى مقال كتبه فى « مجلة الجمعية الملكية الأسيوية » سنة

١٩٠٢ م ٥٨٠-٥٨١ .

الترجم : وقد طبع هذا الكتاب الأستاذ محمداقبال سنة ١٩٢١ ضمن سلسلة جبال تذكارية

(٢) للترجم : أنظر م ٤١-٤٢ وكذلك توجد هذه القصيدة فيما عدا الأبيات الأربعة

الأخيرة فى كتاب « لباب الألباب » ج ٢ م ٥٤-٥٥ .

پیرهن بر زیر تن داری و پوشد هر کسی
 پیرهن بر تن تو تن پوشی همی بر پیرهن
 گر بمیری آتش اندر تو رسد زنده شوی
 چون شوی بهار خوشتر گردی از گردن زدن
 تا همی خندی همی گریی و این بس نادرست
 هم تو معشوقی و هم تو عاشقی بر خویشان
 بشگفتی بی نوبهار و پژمیری بی مهرگان
 بگریی بی دیدگان و باز خندی بی دهن
 تو مرا مانی بعینه من ترا مانم همی
 دشمن خویشم هر دو دوستدار انجمن
 خویشان سوزیم هر دو بر مراد دوستان
 دوستان در راحتند از ما و ما اندر حزن
 هر دو گریانیم و هر دو در درد و هر دو گداز
 هر دو سوزانیم و هر دو فرد و هر دو ممتحن
 آنچه من در دل نهادم بر سرت بینم همی
 آنچه تو بر سر نهادی در دلم دارد وطن
 روی تو چون شباید بر شگفته بامداد
 و آن من چون شباید ناشگفته در چمن
 از فراق روی تو گشتم : دو آفتاب
 وز فراق تو شب تاری شد ستم مفتن
 من دگر یاران خود را آزمودم خاص و عام
 نی طلبکاری ز یک تن نی وفا اندر دو تن
 رازدار من توئی ای شمع یار من توئی
 غمگسار من توئی من آن تو تو آن من

تو همی تابی چو نور ومن همی خوانم بهر
هر شی تا روز دیوان أبو القاسم حسن
اوستاد اوستادان زمانه « عنصری »
عنصر دین ودلش بی عیب بی غش وقتن
شعر او چون فضل او هم بی تکلف هم بدیع
فضل او چون شعر او هم نازنین وهم حسن
زین فزوتتر شاعری دعوی بود لاف و گراف
این حکیمان دگر یکفن واو بسیار فن
در زغن هرگز نباشد فن اسب راهوار
گرچه باشد چون صهیل اسب آواز زغن
تا همی خوانی تو اشعارش همی خانی شکر
تا همی بوئی تو آیاتش همی بوئی سمن

وترجمتها:

— یا مَنْ وضعت روحك فوق رأسك
إن أجسامنا تحي بالروح ، ولكن روحك تحي بجسدك ... !!
— إذا لم تكوني كوكبا ... فلم لا تظهرين إلا أثناء الليل ... !!
وإذا لم تكوني عاشقة ... فلم تدعين البكاء على نفسك ... !!
نعم .. أنك كوكب ساطع .. ولكن سماءك مصنوعة من الشمع الناصع
وأنك عاشقة حقاً ... ولكن معشوقك هو هذا الوعاء الرائع ... !!
... ومن عجب .. أنك ترتدين قيصك تحت طيات جسمك (١)
وكل إنسان يلبس قيصه فوق جسده ، بينما أنت ترتدين جسدك فوق قيصك...!!
— ومن عجب .. أنك إذا مت واتصلت بك شعلة من نار ، دبت فيك الحياة ثانية
ومن عجب .. أنك إذا مرضت ، تحسن حالك بقطع رأسك ...!! (٢)

(١) قيص الشمعة هو ذؤابتها التي تشتغل ، وجسدها هو الشمع الذي صنعت منه .

(٢) المترجم : إذا قطعت فتيلة الشمعة وأصلحت زاد التورز المنبت منها .

- ومن العجب وأندر العجب .. أنك تضحكين وتبكين في آن واحد
 ومن العجب وأندر العجب .. أنك أنت العاشق والمعشوق في وقت واحد ... !!
- ومن عجب ... أنك تزدهين بغير ربيع ، وتذوين بغير خريف
 وتبكين بغير عين ، وتضحكين بغير ثغر أو فم ... !!
- وما أشبه حالى بحالك ، وما أشبه حالك بحالى
 فكلانا يخاصم نفسه ، لكي يكون خادما للمجتمع ... !!
- وكلانا يحترق ، وكلانا يصيده الهزال والاصفرار ، وكلانا يذوب وينصهر
 وكلانا يديم البكاء ، وكلانا في محنة الوحدة والعناء ... !!
- وها أنذا أرى فوق رأسك ما أخفيت في قرارة قلبي [أى النار]
 وأرى النار التي توجت بها رأسك قد توطنت في دخيلة نفسى ... !!
- وإن مدامك لى الذهب المصهور تذيينه فوق حدودك الذهبية
 وأما خدودى فهي الأزهار الصفراء الدابلة من بين أزهار الخائل ... !!
- ولقد أصبح من عادى النوم أثناء النهار ، لأنى من أجلك
 أديم السهر طوال الليل ، وتقل رأسى بالنوم طول النهار ... !!
- ولقد أصبحت خصيا للشمس عندما اقترق عن طلعتك
 وأصبحت مفتتنا بوصالك طوال الليل البهيم ... !!
- ولقد جربت أصدقائى جميعا في كل الأوقات والأحوال
 فلم أر سرا يحفظ في قلوبهم أو وفاء يستقر في ربوعهم ... !!
- وأما أنت أيتها الشمعة ... فصديقتى الحالصة المؤمنة على أسرارى
 وأنت اللطفة لأحزاني ... وقد أصبحت ملكا لك كما أصبحت ملكا لى ... !!
- وما دمت تحترقين فإننى سأظل أقرأ على نورك في حب وحنين
 ديوان « أبى القاسم حسن » حتى مطلع النهار البين^(١) ... !!

(١) هذا هو اسم المنصرى ، ويعتبر هذا البيت هو بيت الانتقال من التشبيب إلى المديح
 ويعرف في الفارسية باسم « گریزگاه » .

- وهو « العنصرى » أستاذ الأستاذة فى هذا الزمان
 وقد خلا عنصره من كل عيب ، وقلبه من الغش ، وروحه من الافتان ... !!
 -- وشعره شبيه بفضله .. كلاهما بديع لا تكلف فيه
 وفضله شبيه بشعره .. كلاهما ملىء بالرقه والروعة والحسن ... !!
 -- ومن العبث أن يدعى مدح أنه يتفوق عليه فى البلاغة ونظم الكلام
 فإن الحكماء جميعا لهم فضل واحد ، وللعنصرى من الأفضال ألوان وفنون ..!!
 -- ولن يكون للغراب مهما نعب صوت يشبه سهيل الجواد الأصيل
 ولو تشابه نعب الغراب مع ما للجواد من سهيل ... !!
 -- وأنتك لتمضغ فتات السكر عندما تأخذ فى إنشاد أشعاره
 وأنتك لتتم أريج الياسمين من عبيق ديوانه وأزهاره ...!!

يضاف إلى ذلك أن « منوچهرى » اختار لنفسه هذا التخلص نسبة إلى حاكم
 طبرستان الأمير الزيارى « منوچهر بن قابوس بن وشمگیر » الملقب بملك العالى . وقد
 بولى حكم خراسان بعد قتل أبيه فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ ، ومات فى سنة
 ١٠٢٨ م = ٤١٩ هـ

غضائرى :

نحدثنا فيما سبق عن هذا الشاعر الذى ينسب إلى مدينة الرى ويعرف باسم
 « غضائرى الرازى » واستشهدنا على صنعة « الإغراق » بقصيدته التى مدح بها
 السلطان محمودا الغزنوى وكيف فاز منه - كما يقولون - بسبعة أكياس من الذهب
 باع قيمتها أربعة عشر ألف درهم ، وفى هذه القصيدة يقول بيتيه الآتيين :

صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان

يگانه ايزد دادار بی نظير وهال

وگر نه هر دو بيخشيدى او بروز سخا

اميد بنده نماندى بايزد متعال

ومعناها :

— كان من الصواب أن الله الفرد العادل الذى لا نظير له
لم يكشف الانسان كلا العالمين (أى الدنيا والآخرة) ...!!
— ولو أنه فعل ذلك ، لجاد الملك بهما جميعا فى يوم السخاء ،
ولم يبق للعبد مطمع آخر يرجوه من رب السماء ... !!
وما أقل ما كتبه « عوفى » و « دولتشاه » عن هذا الشاعر بحيث يمكن أن
تقول صادقين أننا لا نكاد نعرف عنه شيئا سوى أنه كان مبرزاً فى إنشاء شعر
الناظره والمدبح .

بهرامى :

ذكرنا فيما سبق أيضا الشاعر « بهرامى السرخسى » وقلنا إنه قد ألف كتابا
فى العروض والشعر اسمه « خجسته نامه » . وقد ذكر صاحب « چهار مقاله » فى
كثير من الإعجاب كتابين آخرين من تأليفه هما :
(ا) غاية العروضيين
(ب) كنز القافية

ويدوأنه قد ألف كتابا أخرى مثورة فى فنون البلاغة والشعر ، ولكنها جميعا
قد ضاعت مع الزمن ولم تسلم من غاراته .
ولم يذكر « دولتشاه » هذا الشاعر ولكن « عوفى » ذكره فى عبارة مختصرة
وأورد له جملة من المقطوعات تبلغ الست أو السبع .

ولقد يمكن أن نطيل القائمة التى تشتمل على الشعراء الذين عاشوا فى هذا العصر
لأن « عوفى » يذكر منهم عددا يزيد على أربعة وعشرين شاعرا ، يضاف إليهم من
خصه بالذكر صاحب كتاب « چهار مقاله » ومن بينهم الشاعرة « رابعه بنت كعب »
والشعراء « لبيبي » و « أمينى » و « أبو الفضل » و « الطالقانى » و « المنشورى »
و « العطاردى » و « زينقى العلوى المحمودى » .

ويندو من البيتين الآتين وقد قالها الشاعر الأخير في مطلع إحدى قصائده وهما :
 اى خداوند روزگار پناه . مطربان را بخوان وباده بخواه
 تا بدان لعل می فرو شوئیم کامهارا زگرد و خشکی راه
 ومعناها :

— مزلای .. یا کھف الأنام والأیام

ادع الطربین ، وصر بکؤوس المدام .. !!

--- حتى نستطيع أن نغسل حلوقنا بهذه الخمر الياقوتية الحمراء

نمأعلق بها من غبار الطريق وجفاف الهواء .. !!

أنه كان في رقه السلطان « محمود الغزنوي » في إحدى غزواته الكثيرة بلاد الهند وقد أشار إلى ذلك أيضا في مقطوعة أخرى ذكرها « عوفي » في كتابه وهي :

زخون عدو كرد قننه نشانی بتیغت همه زنگ بدعت زدائی

مگر نذر داری که هر مه که نوشد شہی را ببندی وشہری گشائی

مگر عهد داری که همچون سکندر ملوک زمین را تو قدرت نمائی

ومعناها :

— قد هبطت الفتنة بدماء الأنداء

ومحقت صدأ البدعة بسيفك القاطع .. !!

— فهل نذرت مع كل هلال يولد في بداية الشهر

أن تأسر ملكا أو تفتح بلدة جديدة .. !!

— أو هل تعاهدت كما فعل « الإسكندر » من قبل

أن تظهر قدرتك وتقهّر ملوك الأرض أجمعين .. !!

وفيما عدا ذلك ما زال ثلاثة من الشعراء الذين لم نذكرهم في هذا الفصل يتطلبون

مناحنا شيئا من الحديث وهم :

(ا) بندار الرازي : المنسوب إلى مدينة « الري » وهو من شعراء اللهجات الخاصة

(ب) كسائي الروزي : المنسوب إلى مدينة « مرو »

(ج) أبو سعيد بن أبي الخير : الشاعر الصوفي صاحب الرباعيات

وآخرهؤلاء الثلاثة هو أكثرهم شهرة وبعد صيت ، وقد عاش طويلاً (من سنة ٩٦٨-١٠٤٩ م ٣٥٨ - ٤٤١ هـ) وتخطى الفترة الفاصلة بين العصرين الساماني والسلجوقي ، ومن أجل ذلك فسندخص له مكاناً جديراً به في الفصل التالي الذي سنطيل الحديث فيه عن الشعر الديني والتعليمي بقدر ما نفلل فيه من الحديث عن أشعار الملاحم والمديح

ويبقى علينا أن نتحدث عن الشاعرين الآخرين « پندار » وال « كسائي »

پندار الرازي :

أما « پندار » فيقال إنه كان يدعى بـ « كمال الدين » ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً إلا أنه كان في خدمة الأمير البويهى « مجد الدولة أبى طالب رستم » الذى كان يحكم مدينة الري ، وأنه كان قبل ذلك فى خدمة الرجل العظيم « الصاحب إسماعيل بن عباد » .

ويقال إن « پندار » توفى سنة ١٠١٠ م = ٤٠١ هـ وإنه كان قادراً على نظم الشعر باللغات العربية والفارسية والديلمية .

ولست أستطيع أن أجد شيئاً ذكر عن « پندار » أسبق مما ذكره « دولتشاه » فى كتابه (١)؛ أما « عوفى » و « ابن اسفنديار » فقد سكتا عنه سكوتاً تاماً ، ومن عجب أن « دولتشاه » كان فى الحديث عنه مقلاً على غير عادته ، واكتفى بأن يذكر مثلين من أشعاره ؛ أحدهما فى اللغة الفارسية ، والآخر فى اللغة الديلمية ، وقد وجه المثال الأخير منهما إلى أحد أصدقائه عندما نصحه بأن يتزوج ، ولقته مفهومة لنا بالقدر الذى يكشف عن منمونه ، ولكننا لانجسر على ترجمته ترجمة دقيقة صحيحة . أما المثال الأول فعروف مشهور وهم ينسبونه إلى أكثر من واحد من الشعراء المشهورين .

(١) انظر « تذكرة الشعراء » ص ٤٢ - ٤٤ .

ونصه :

از مرگ حذر کردن دو روز روا نیست
روزی که قضا باشد وروزی که قضا نیست
روزی که قضا باشد کوشش نکند سود
روزی که قضا نیست درو مرگ روا نیست

ومعناه :

--- لا يصح الحذر من الموت في يومين على السواء
يوم يقع فيه القضاء ، ويوم يتمتع فيه القضاء ...!!
-- فالיום الذي يقع فيه القضاء ، لا يجدي معه كفاح الأقبوا ،
واليوم الذي لا يقع فيه القضاء ، لا يجوز فيه الموت والفاء ..!!
وقد ذكر « دولتشاه » بالإضافة إلى ذلك بيتاً من الشعر قاله الشاعر المتأخر
« ظهير الدين الفارياي » ومدح فيه الشاعر « پندار » ونصه :
در نهان خانه طبع بتاشا بنگر تا ز هر زاویه عرضه دهم پنداری
ومعناه :

.. انظر إلى الأعماق الخافية في طبعي ولو نظرة واحدة في اختصار
فسأعرض عليك في كل ركن من أركانها شاعراً في مهارة « پندار »
ولكني أشك في أن كلمة « پندار » المذكورة في هذا البيت من أسماء الأعلام ،
وربما كانت من أسماء المصادر بمعنى « الفكر » أو « الخيال » (١) .

وفي مقابل الأخبار القليلة التي رواها دولتشاه عن « پندار » نجد يعوضنا
عن قلة بحكاية كبيرة الدلالة رواها عن والده « مجد الدولة » وكانت تقوم بالوصاية
عليه أثناء صغره ، وجملة القصة أن « مجد الدولة » اعتلى العرش وهو صبي

(١) بعدما انتهيت من كتابة هذا الفصل عثرت على هذا البيت في كتاب « مجالس المؤمنين »
وبذلك ينفي ما عرض لي من شك ، ويتحتم أن يكون المقصود بلفظة « پندار » هو هذا الشاعر .
ولكنه ذكر هنا بالباء الموحدة هكذا : « پندار » .

صغير في سنة ١٩٩٧ م = ١٣٨٧ هـ قامت أمه بالوصاية عليه وأمسكت بأزمة الأمور في أيديها الحازمة . وقد قيل إن السلطان محموداً طالبها بالجزية والحراج فلما رفضت هدها بأن يرسل إليها ألفين من أفياله الحربية لتخرب مدينة « الرى » وتحمل ركابها إليه في مدينة «غزنه» . فاستقبلت الوالدة رسول محمود وأكرمت وفادته وأعطته هذه الرسالة ليلفها إلى مولاه ، وقالت فيها :

« لا شك أن السلطان محموداً بطل من أبطال الإسلام . وهو من أقوى الأمراء ، والحكام ، وقد دانت له أكثر الأنحاء في إيران وبلاد الهند ، ولطالما خشيت سطوته ومحاربه طوال السنوات الإثني عشر التي عاشها زوجي «نغرا الدولة» . ولكن منذ انتقل زوجي إلى جوار ربه وقد اتزاح عن قلبي هذا الخوف الذي ملك نواصيه ، لأنني أجد أن السلطان محموداً من أكبر الملوك وأعزهم شرفاً ، ولن يقدم على محاربة امرأة عجوز مثلي ؛ فأما إذا اختار الحرب والقتال فمن المؤكد أنني لن أتردد عن الطعن والنزال ، فإن وفقني الله إلى التغلب عليه فسيذكر لي هذا النصر إلى يوم الدين ، وأما إذا فاز بالنصر علي فسيحدث المتحدثون فيقولون : إنه لم يفز إلا على امرأة عجوز .. وإني ليأخذني العجب كيف يفسر له في مثل هذا الحالة أن يعلن هذا الفوز ، وفي أي صورته يذيعه في أنحاء ملكه العريض ..؟ وقد بدأوا « كيف يمكن أن يكون رجلاً من نقصت همته عن همة النساء...؟! » وإني لأعرف أن السلطان عاقل حازم ، ولن يقدم على مثل هذا الأمر ، ومن أجل ذلك فإنني أنعم على أريكة الهدوء والراحة ، لا يأخذني شيء من الخوف أو الشك فيما سنتهي إليه عاقبة الأمور » .

ويقول «دولت شاه» إن هذا الخطاب أفاد الفائدة المرجوة منه فلم يقدم السلطان على محاربة هذه المرأة طوال حياتها ، ولم يهاجم شيئاً من أملاك ابنها . وبما يضي على هذه القصة كثير أمن البهاء أن «ابن الأثير» ذكر أنه ما لبثت هذه المرأة أن ماتت في سنة ٤١٩ هـ حتى أثار السلطان محمود في السنة التالية (٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م) على مدينة الرى وخلع عنها ابنها «مجد الدولة» ثم دخلها أثناء الربيع وأخذ من أهلها ألف ألف دينار وما يساوي نصف هذا المقدار من الحلى والمجوهرات ، وستة آلاف ثوب من القماش

والخلع النفيسة ، ومقداراً كبيراً من مختلف الأسلاب والغنائم . ثم دعا إليه « مجد الدولة » وقال له : ألم تقرأ المشاهنة وتاريخ الطبرى^(١)؟! فلما أجابه مجد الدولة بالإيجاب التفت إليه ثانية وقال له : يبدو لي من خلقك أنك لم تقرأ هذين الكتابين ، فهل تلعب الشطرنج...؟! فأجابه مجد الدولة بالإيجاب مرة ثانية ، وهنا التفت إليه محمود وقال له : ألم يعرض لك مطلقاً كيف يدنو الملك من الملك الآخر في رقعة...؟! فأجاب مجد الدولة في هذه المرة بالنفي . عند ذلك سأله محمود : فلماذا إذن أبحث لنفسك أن تنازل من هو أقوى منك سبباً وأوسع سلطاناً...؟! ثم أمر بعد ذلك بنفيه في خراسان ، وأتبع ذلك بصلب جماعة من الباطنية أو الاسماعيلية وتمريد العترة وحرق كتبهم وكتب الفلاسفة والمنجمين ، فلما اشبع رغبته وشفى غلته حمل مئات الأحمال من الكتب الباقية ونقلها إلى مدينة « غزنة »^(٢).

الكسائي :

ويجدر بنا في نهاية هذا الفصل أن نذكر شيئاً عن « الكسائي » ؛ وهو من أشهر الشعراء الذين ظهروا في زمانه ، ولكننا لا نذكره في هذا المكان من أجل ذلك بحسب ، بل من أجل العلاقات التي كانت تربطه بالرجل الخطير والشاعر العظيم « ناصر خسرو » الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل التالي من هذا الكتاب .

والكسائي يختلف عن « بندار » في أن التمداء قد درسوه أكثر من المحدثين ، وقد خصص له « عوفي » أكثر من خمس صفحات من كتابه^(٣) واعتبره صاحب « چهار مقاله » واحداً من كبار الشعراء السامانيين^(٤) ، ولكن « ديوانشاه » أهمله تماماً ولم يذكر عنه شيئاً على الإطلاق .

(١) الظاهر أنه اختار هذين الكتابين خاصة لأن الأول به سير ملوك الفرس والثاني به سير ملوك المسلمين عامة .

(٢) انظر « تاريخ ابن الأثير » طبع القاهرة الجزء التاسع ص ١٢٨ .

(٣) انظر « لباب الأبواب » ج ٢ ص ٣٣ - ٣٩ .

(٤) انظر چهار مقاله ص ٤٥ وقد ساء هنالك « أبا الحسن » لا « أبا إسحق » كما ذكر الدكتور « إتيه » .

وقد ولد في يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ١٩٥٣ = ٢٧ شوال سنة ١٣٤١ هـ ، وذلك وفقاً لما قاله في إحدى قصائده التي نقلها عوفى في كتابه (١) والتي ذكر الشاعر فيها : « إنه نظمها في أواخر أيام حياته وفي أيام الوداع وساعات القراق عندما بلغ الخمسين من عمره . وقد كرر العبارة الأخيرة صراحة مرتين في هذه القصيدة . واستنتج الدكتور «إتيه» من هذا أن الكسائي مات في سنة ١٠٠٢ م = ٥٣٩٣ هـ (ذكر ذلك في مقاله (٢) التي نشرها عن هذا الشاعر سنة ١٨٧٤) ولكنه عاد بعد ذلك وعدل عن هذا الرأي في مقاله التي نشرها بعنوان «الآداب الفارسية الحديثة» في «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» ص ٣٨١ . واقترض أن هذا الشاعر عاش إلى أن بلغ أرذل العمر وأن الخصومة قامت حقاً بينه وبين «ناصر خسرو» الذي ولد كما يقول هو نفسه ، في سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م .

ويرى الدكتور «إتيه» أن احتقار «ناصر خسرو» للكسائي كان مرجعه إلى الحقد وإلى الاختلافات الدينية التي فرقت بينهما ، وقد فسّر هذه الاختلافات بطريقة لاأقره عليها ، لأنه قال ان الأول اعترض على الثاني إنكاره للخلفاء الراشدين الثلاثة ، وبمعنى آخر أن ميول الكسائي الشيعية كانت معادية لميول «ناصر» الذي كان بدوره من غلاة الشيعة كما تدلنا على ذلك قصائده الكثيرة ، وقد ظل هو نفسه بعض الوقت . كما أخبرتنا بذلك كتب التاريخ ، شيخاً لدعاة الإسماعلية في ولاية خراسان .

أما السبب الحقيقي في كراهية «ناصر خسرو» للكسائي فيرجع فيما أظن إلى أن الأول منهما كان تابعاً للإسماعلية أي من فريق «السبعة» وأما الثاني فكان من فريق «الإثني عشرية» . وكلا الفريقين كما هو معلوم نشأ من أصل واحد ولكنهما اختلفا بعد ذلك كل الاختلاف فيما يتعلق بالبيعة وماتج عن ذلك من أغراض سياسية ونظرية . يضاف إلى ذلك أن «ناصر خسرو» كان يبغض السلطان محموداً بغضاً شديداً لأنه كان كلاً رأياً من أعداء الإسماعلية وغيرهم من الملاحدة ، بينما وقف «الكسائي»

(١) المترجم : انظر «باب الألباب» ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) انظر مقاله بعنوان «غزليات الكسائي» وقد نشرها في «محاضر جلسات المعهد العلمي

البافاري للفلسفة والعلوم» سنة ١٨٧٤ م ص ١٢٣-١٥٣ .

مواجهه — رغم تشييعه — لخدمة هذا السلطان وقول المدائح فيه . وفي هذين السببين — كما يدولى — الإيضاح الكافي الذى يفسر لنا سبب النفور الذى وقع بين هذين الشاعرين .

ومع ذلك فلم أجد فى ديوان « ناصر خسرو » إلا سبع قطع^(١) أشار فيها إلى « الكسائى » وهى الواقعة فى الصفحات ١٩ و ٢٨ و ٣٨ و ٥١ و ١٣٣ و ٢٤٧ و ٢٥١ من ديوانه المطبوع على الحجر فى مدينة تبريز سنة ١٢٨٠ هـ . وفيما يلي نصها وترجمتها:

الإستشهاد الأول فى ص ١٩ يقول البيت الآتى :

گر بخواب اندر کسائى دیدى این دیبای من
سوده کردى شرم و خجلت مر کسائى را کسا
ومعناه :

— لو رأى « الكسائى » فى منامه هذا الديق النطق من أشعارى ...
لتمزق كساءه خجلا واستحياءاً من آثارى ... !!
الإستشهاد الثانى ص ٢٨ يقول البيت الآتى :

گر سخنهاى کسائى شده پيرند و ضعيف سخن حجت با قوت و تازہ و بر ناست
ومعناه :

— إذا كان للكسائى كلام ، فكلامه ضعيف قاصر ... !!
أما كلام « الحجة »^(٢) فكلام قوى ممتع ناصر ... !!
الإستشهاد الثالث فى ص ٣٨ يقول البيت الآتى :

ديه، رومى است سخنهاى او گر سخن شهره کسائى کساست

(١) المترجم : بالرجوع إلى « ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو » المطبوع فى طهران سنة ١٣٠٤ — ١٣٠٧ هـ . ش نجد أن اسم الكسائى ورد تسع مرات فى أشعار « ناصر خسرو » . وقد أوردت نصوص الأبيات من هذه الطبعة .

(٢) يقصد لقبه الذى عرف به بين الاسماعيلية وهو « حجة خراسان » .

ومعناه :

— وكلامه (أى شعر ناصر خسرو) هو الديباج الرومى ... !!

إذا كان كلام الكسائى الشهير هو الكساء العادى ... !!

والرابع ص ٥١ يقول البيت الآتى :

كه ديبای رومی است اشعار من اگر شعر فاضل كسائى كسات

ومعناه :

— وأما أشعارى فهى الديباج الرومى ...

إذا كانت أشعار الكسائى الفاضل هى الكساء العادى ... !!

والخامس ص ١٣٣ يقول البيت الآتى :

شعر شدى گر بشنيدى بشرم شعر تو بر پشت كسائى كساش

ومعناه :

— فإن كساء الكسائى ليصبح شعراً على ظهره ... !!

إذا استمع فى خجل إلى شعرك وجمال أثره ... !!

والسادس ص ٢٤٧ يقول البيت الآتى :

تا تو بدل بندهٔ إمام زمانى بندهٔ شعر توست شعر كسائى

ومعناه :

-- ما دمت من صميم قلبك خادماً لإمام الزمان (١)

فإن أشعار «الكسائى» ستكون خادمة لشعرك ... !!

والسابع فى ص ٢٥١ يقول البيت الآتى :

با نو سخنان او كهن گشت آن شهره مقالت كسائى

(١) يقصد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

ومعناه :

— وبالقياس إلى أشعاره (أى أشعار ناصر) الجديدة النضيرة ...
تقدم العهد على مقالة الكسائي الشهيرة ... !!

وليس في حوزتى للأسف هذه المادة الغزيرة التي كانت في متناول الدكتور «إتيه» ولكن مع ذلك لا أجد في هذه الأبيات التي نقلناها عنه فيما سبق ، ولا في سائر ديوان «ناصر خسرو» شيئاً يدل على تحقير الكسائي ، بل على العكس من ذلك نبحده ويمجده ويعظمه ، لأن الشاعر إذا أخذ يفخر على عادة الشرقيين المألوفة ، فإنه يذكر عن نفسه أنه أعلا شأناً وأكثر خطراً من كل عظيم سبقه أو عاصره ، ولو حاد عن هذه الطريقة لزل من عليائه وارتضى بالحية والفشل .

وعلى ذلك فقد كان «الكسائي» بغير شك من الشعراء المشهورين في زمانه ؛ ولقد ذكرنا أنه كان شيعياً يتغنى في قصائده بمدح علي وآل البيت ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يشيد بذكر السلطان محمود وكرمه ، كالم يمنعه ذلك أيضاً من التغنى بالخمر والشراب . وخمره في هذه الحالة كانت خمراً حقيقية لا مجازية كالتى تغنى بها أصحاب الصوامع والتصوفون .

ولقد ذكرنا فيما سبق أنه نظم قصيدة وهو في الخمسين من عمره ، وهذه القصيدة كما يقول «إتيه» وأنا معه في الرأي ، تدل على أنه في هذا الوقت أصابه شيء من التغير في حياته وتفكيره ، فأخذ يهجر حياة اللهو العابث ، ويروض نفسه على التعفف والزهد فهو يقول في هذه القصيدة (١) :

بسيصد وچهل ويك رسيد نوبت سال
چهار شنبه وسه روز باقى از شوال
يامدم بجهان تا چه گويم وچه كنم
سرود گويم وشادى كنم بنعمت ومال

(١) الترجمة: قلت النم الفارسى من «لباب الألباب» ج ٢ ص ٣٨ .

ستور وار بدین سان گذاشتم همه عمر
 که برده گشته فرزندم و اسیر عیال
 بکف چه دارم ازین پنجه شمرده تمام
 شمار نامه با صد هزار گونه و بال
 من این شمار بآخر چگونه فصل کنم
 که ابتدایش دروغست و اتمش خجال
 درم خریدم آرم ستم رسیده حرص
 نشانه حدثاتم شکار ذل سؤال
 درینغ فرّ جوانی درینغ عمر لطیف
 درینغ صورت نیکو درینغ حسن و جمال
 بجا شد آن همه خوبی بجا شد آن همه عشق
 بجا شد آن همه نیرو بجا شد آن همه حال
 سرم بگونه شیرست و دل بگونه قیر
 رخم بگونه نیلست و تن بگونه نال
 نهیب مرگ بلرزاندم همی شب و روز
 چو کودکان بد آموزرا نهیب دوال
 گذاشتم و گذشتیم و بودی همه بود
 شدیم و شد سخن ما فسانه اطفال
 ایا کسائی پنجاه بر تو پنجه گذارد
 بکند بال ترا زخم پنجه و چنگال
 تو گر بمال و امل بیش ازین نداری میل
 جدا شو از امل و گوش وقت خویش بمال

ومعناها :

بلغت دورة الزمان السنة الواحدة والأربعين بعد الثلاثمائة . . .
 فلما كان يوم الأربعاء ، وقد بقيت ثلاثة أيام من شوال ...

- أتيتُ إلى هذه الدنيا ، حتى أقول ما أقول وأفعل ما أفعل . . .
وحتى أنشد الأغاني ، وأفرح بالنعمة والمال ... !!
- قضيت العمر جميعه على شاكلة الدواب والأنعام ... !!
وأصبحت عبداً لأطفالي ، وأسيراً لأولادى وعيالى ... !!
- فإذا عساي أملك الآن من السنوات الحسين التي تم عددها . . . ؟
اللهم إلا سجلا مليئاً بعثات الآلاف من أنواع الوبال ... !!
- وكيف أستطيع أن أفصل في النهاية هذا الحساب ... ؟
وكيف بدأ بالكذب والمين ... وكيف انتهى بالحجل والعار ... !!
- فأنا عبد اشترتني الدراهم ، وضحية أودى بها الحرص ... !!
وأنا هدف للحادثات ، وفريسة لنذل السؤال ... !!
- فيا أسفاً لهجة الشباب ... ويا أسفاً لذلك العمر اللطيف ...
ويا أسفاً لصورتي الجميلة ... ويا أسفاً للحسن والجمال ... !!
- فإلى أين ذهب كل هذا الحسن .. ؟ وإلى أين ذهب كل هذا العشق .. ؟
وإلى أين ذهب كل هذا العزم .. ؟ وإلى أين ذهبت كل هذه الأحوال الطيبة .. ؟
- وقد أضحت رأسي في لون اللبن ، وأضحى قلبي في لون القار ...
وأضحى وجهي في لون النيلة ، وأضحى جسدي هزيباً على شاكلة البوص ... !!
- ويرعبني خوف الموت والفناء فأظل في رهبة طوال النهار وآناء الليل ... !!
كما تخيف المقرعة الأطفال الذين لا يجيدون التعلم ... !!
- لقد قسنا الأيام ، ومضينا عن الحياة ، ووقع بها ما كان مقدرًا لنا ...
وهذه أشعارنا قد أصبحت الأفايص يتسلى بها الأطفال ... !!
- فيا كسأى ... إن السنوات الحسين تجثم على صدرك بمخالها ... !!
وهذه ضرباتها قد قصت جناحك واقتلعت ريشك ... !!
- فإذا لم يعد لك ميل إلى المال والأمل أكثر من ذلك ...
فخررتسك من كل أمل ، واعرك أذن وقتك ، وتنبه من غفلتك ... !!

بعد ذلك يروق لي أن أذكر مثلاً آخر من قول « الكسائي » لأنه يبدو لي كثير الشبه بما يردده « الحيام » في رباعياته التي يتعشقها كل المعجبين بترجمتها الرائعة التي قام بها « فيتز جرالده » ، والمعنى الذي يتردد في قول « الخيام » هو :

— لشد ما تأخذني الدهشة لحرص الحمار على شراء الكروم . . .

بينما هي أتفه بكثير مما يبيعه من عقار مختوم . . . !!

وفي مثل هذا المعنى قال « الكسائي » البيتين الآتين:

گگل نعمتی است هدیہ فرستاده از بهشت

مردم کریم تر شود اندر نعیم گگل

ای گگل فروش . . . گگل چه فروشی برای سیم

واز گگل عزیزتر چه ستانی بسیم گگل

ومعناها :

— الورد نعمة أهدتها لنا رياض الجنان . . . !!

ويمن طلعتة وبهائه يزداد ما في الناس من جود وإحسان . . . !!

— فيا بائع الورد . . . ! لماذا تبيع الورد بالدرهم الرنان . . . ؟ !

وما عساک تشتري بئمنه . . . وهل تجد ما يمتاز عليه بالرجحان . . . !!

الفصل الثالث

العصر السلجوقي الأول

منذ ظهور «طغرلبك» إلى وفاة «ملكشاه»

ويتضمن الحديث عن مذهب الحشاشين ونشأتهم

يقول «ستانلى لين بول» فى كتابه القيم «الدول الإسلامية»^(١) : «إن ظهور السلاجقة الأتراك يعتبر فاعحة لفترة هامة من فترات التاريخ الإسلامى ، فقد ظهروا فى وقت زالت فيه إمبراطورية الخلافة ، وأصبحت فيه هذه الدولة الموحدة التى كان يحكمها حاكم إسلامى واحد مجموعة من الدويلات المشتتة البعثة التى لا تملك من الحول ما يمكنها من السيطرة والسلطان ، اللهم إلا إذا استئينا «الفاطميين» فى مصر ، وهؤلاء كانوا على المذهب الشيعى كما هو معلوم . أما أسبانيا والملكات الإفريقية بما فيها ولاية مصر الغنية فكانت جميعاً قد خرجت من يد خليفة بغداد ؛ وأما شمال سوريا وأرض الجزيرة فوقعتا فى أيدي رؤساء العرب المتذمرين . واستطاع بعضهم أن ينشئوا لأنفسهم الإمارات والملك ؛ وأما البلاد الفارسية (إيران) فكانت موزعة بين الحكومات المختلفة التى أسسها الأمراء البويهيون (وكانوا جميعاً من أصل شيعى لا يكون كثيراً من الاحترام للخلفاء العباسيين الضعفاء) كما كانت موزعة أيضاً بين مجموعة من الدويلات النافذة التى كانت داعمة التعارك والتنازع فيما بينها مما أدى إلى انتشار الوهن وذيوع البلاء .

وكان انتشار المذهب الشيعى سبباً فى زيادة التفكك الذى أصيبت به الولايات المختلفة التى كانت تتكون منها الإمبراطورية .

(١) أظركتاب : Mohammedan Dynasties, by Stanley Lane-Pool

واقضت هذه الحال المضطربة دواء ناجعاً ، سرعان ما وجدته في غزوة الأتراك السلاجقة . فقد كانوا بدوا سدجا لم تفسد حياة المدن ولا الخلاقات الذهبية ؛ فاعتنقوا الإسلام بحماس بالغ ، ملك منهم قرارة النفوس والأرواح ، ولقد جاءوا لإتخاذ هذه الدولة المحتضرة ، رجاء أن يدركوها في ساعاتها الأخيرة ، فصح رجأؤهم ، واستطاعوا فعلاً أن يردوا إليها القوة والحياة . واجتاحوا بجموعهم الكثيفة إيران والجزيرة وسوريا وآسيا الصغرى ، وخرّبوا البلاد التي وطأها أقدامهم ، وحطموا الإمارات التي صادفوها في طريقهم ، واستطاعوا بذلك أن يوحدوا مرة ثانية البلاد الإسلامية الأسيوية وأن يجعلوها تحت حكم واحد ، تخضع له من أطراف الحدود الغربية لبلاد أفغانستان إلى أطراف الحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ؛ وتمكنوا أيضاً من أن يمددوا العزم والحياة في أرواح المسلمين بعد ما فترت عزائمهم وخذت حماسهم ؛ فدفعوا البيزنطيين إلى ما وراء حدودهم ، وأنشأوا جيلا من المسلمين المحاربين المخلصين ، يرجع إليه وحده الفضل فيما أصاب « الصليبيين » من هزائم كثيرة متكررة . وهذه هي مجمل الأسباب التي تجعل للسلاجقة مكانا ممتازا في التاريخ الإسلامي ... »

ولقد يجوز لنا أن نضيف إلى هذه العبارات السابقة ، أن « السلاجقة » كانوا المهديين « للأتراك العثمانيين » الذين أسسوا ملكهم في البداية في آسيا الصغرى ثم زادوا فيه حتى شمل الشام ومصر والبحر الأبيض وأوروبا وشمال أفريقيا ، ولا شك أن هذا الملك قد تأسس أولا على أكتاف الإمارات السلجوقية في بلاد الروم (آسيا الصغرى) ، ثم تقرر مصيره نهائياً بقدم الغول في غزوتهم المعروفة وطردهم في زحفهم الحافظ لجماعة من الأتراك أخذوا يولون وجوههم ناحية المغرب بقيادة « ارطغرل » و« عثمان » ، وإلى الأخير منهما ينتسب سلطان تركيا في الوقت الحاضر (١) .

والحديث عن نشأة « السلاجقة » هو الأساس الذي ينبى عليه الجزء التاريخي من هذا الفصل ، وأهم المصادر التي سأرجع إليها في الموجز الذي سأسوقه فيما بعد هي الآتية :

(١) المترجم : هكذا كتب « براون » في سنة ١٩٠٦ ، ومعلوم أن الحركة الكمالية قضت على الخلفاء العثمانيين بعد ذلك بما يقرب من ست عشرة سنة .

١ - تاريخ ابن الأثير: طبع القاهرة، الجزء، بين التاسع والعاشر وبعض الحادى عشر
 ٢ - تاريخ عماد الدين، الذى نقله البندارى عن الرسالة العربية التى ألفها
 عن السلاجقة الوزير « أنوشروان بن خالد » المتوفى سنة ١١٣٧م =
 ٥٣٢ هـ. وهذا الكتاب هو عبارة عن المجلد الثانى من مجموعة المجلدات
 التى نشرها الأستاذ « هوتسما » بعنوان « مجموعة النصوص المتعلقة
 بتاريخ السلاجقة » (١) طبع ليدن سنة ١٨٨٩م. ونشر أحياناً إلى
 الجزء الأول من هذه المجموعة عند الحديث على « سلاجقة كرمان » فقد
 اشتمل هذا الجزء على تاريخهم .

٣ - راحة الصدور : وهو عبارة عن مخطوطة فارسية فريدة (٢) اشتملت
 على تاريخ السلاجقة وتم تأليفها فى سنة ١٢٠٢م = ٥٩٩ هـ؛ وقد
 وصفت محتوياتها فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٢ فى
 الصفحات من ٥٦٧ إلى ٦١٠ ومن ٨٤٩ إلى ٨٨٧ .

وحرصاً على عدم الإطالة ، سأشير فيما يلى من حديث إلى المصدر الأول مكثفاً
 بذكر « ابن الأثير » متبوعاً بذكر السنة التى ورد فيها ذكر الموضوع الذى نتحدث
 عنه ، وفى أحيان قليلة جداً سأذكر رقم الصحيفة وفقاً لطبعة القاهرة ؛ وسأشير إلى
 « البندارى » و « سلاجقة كرمان » وفقاً لما جاء فى طبعة « هوتسما » لهذين
 الكتابين ؛ أما « راحة الصدور » فسأذكره بهذا الاسم واتبعه بكلمة « ورقة
 كذا » إذا أشرت إلى مخطوطة « شيفر » أو بكلمة « صحيفة كذا » إذا أشرت
 إلى مقال المنشور فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية »

أصل السلاجقة :

نشأت دولة السلاجقة فى سرعة عظيمة فائقة، وبمفاقت فى حدتها السرعة التى نشأت
 بها الدولة الفزنوية ، وكذلك دام بقاءها ونفوذها فترة طويلة زادت على ما استغرقت^٤

(١) أنظر : Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides,

Par Houtsma

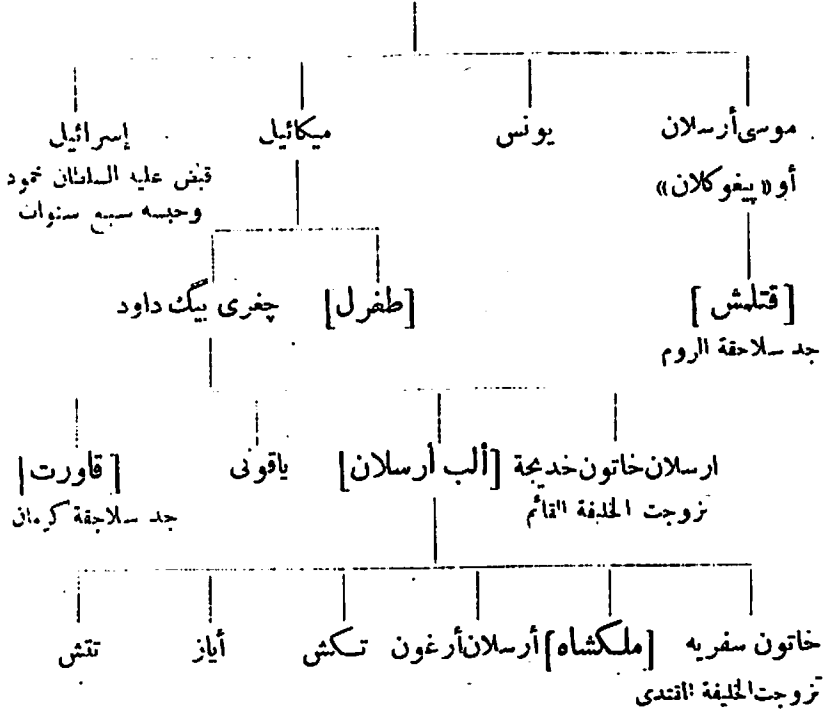
(٢) المترجم : طبع الأستاذ محمد إقبال هذه المخطوطة فى سنة ١٩٢١ ونشرها ضمن « سلسلة

جيب التذكارية » .

الدولة الفزنوية . والسلاجقة فرع من الأتراك الغز الذي أخذوا يغيرون في سنة ١٠٢٩م = ٤٢ هـ على حدود إيران الشمالية والشرقية ، وأخذوا بذلك يسبون كثيراً من المتاعب والمصاعب للسلطان «محمود الفزنوي» . وقد ذكر ابن الأثير أن جدهم الأعلى كان يسمى «تقاق» (١) وهو والد «سلجوق» الذي كان أول من اتخذ الإسلام ديناً من بين جماعته . وقد أتى السلاجقة في بداية الأمر من «تركستان» إلى ما وراء النهر ، جعلوا مشتاهم في «نور» بالقرب من بخارى ، ومصيفهم في السغد بالقرب من سمرقند .

وفي الشجرة التالية بيان لأحفاد «سلجوق» ذكرنا فيه الأسماء الهامة منهم بحروف كبيرة واضحة بين الأقواس .

سلجوق (مات في جند)



خاتون سفريه [ملكشاه] أرسلان أرغون تكش
زوجت الخليفة اتندى
والفترة التي تحدث عنها في هذا الفصل تشمل حكم الملوك الثلاثة الأولين من ملوك السلاجقة وهم :

(١) فسروا كلمة (تقاق) بمعنى القوس .

- ١ - طغرل : أعلن ملكاً في مدينة مرو في سنة ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ ؛ وتوفي في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م = ٤٥٥ هـ .
- ٢ - ألب أرسلان : ولد سنة ١٠٣٢ م = ٤٢٥ هـ^(١)؛ وتولى الملك سنة ١٠٦٣ م = ٤٥٥ هـ ؛ وقتل في ٢٤ نوفمبر سنة ١٠٧٢ م = ٤٦٥ هـ .
- ٣ - ملكشاه : تولى الملك سنة ١٠٧٢ م = ٤٦٥ هـ وتوفي في ١٩ نوفمبر سنة ١٠٩٢ م = ٤٨٥ هـ .

وقد استغرق حكم هؤلاء الثلاثة فترة بلغت خمسة وخمسين سنة ، كانت فيها أزمة الأمور موكولة إلى رجل من أشهر الوزراء اتدين أنجبهم إيران ، وأقصد به الوزير الحازم « نظام الملك » الذي قتل قبل وفاة ثالث الملوك الذين قام على خدمتهم وهو « ملكشاه » بخمسة وثلاثين يوماً ، فكان مقتله إيذاناً بانتهاء أكثر العصور ازدهاراً من عصور الحكم السلجوقي . وعلى ذلك يمكننا في إيجاز وقبول أن نسمى هذه الفترة التي نتحدث عنها بـ « عصر نظام الملك » .

والسلاجقة كأغلب الأتراك اعتنقوا مذهب أهل السنة منذ اتخذوا الإسلام ديناً ؛ وصاحب « راحة الصدور » يحدثنا أن الإمام « أباحنيفة » وهو أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الحنفي الذي انتشر أكثر من غيره من المذاهب ، دعا الله في يوم من الأيام أن يوطد أركان مذهبه وبيقيه ، فسمع من عالم الغيب من يقول له « لن يضعف مذهبك مادام السيف في يد الأتراك » ويعلق الراوندي على تلك العبارة بقوله : « ومن يمن الطالع أن السيف في أيديهم الآن^(٢) في بلاد العرب وإيران والروم (آسيا الصغرى) وروسيا ، وقد ازدهرت دراسة الدين والعلوم والتصرف في حمايتهم وخصوصاً في بلاد خراسان ، وقد محقوا الكفر والإلحاد والتشيع والفلسفة والمذاهب المادية أو المتعلقة بالتناسخ ، ولم يبقوا على شيء من سائر المذاهب إلا ما وافق طريق الإسلام الصحيح » . ويقول ابن الأثير^(٣) : إن ملك

(١) المترجم : تقول بعض المصادر ومنها ابن الأثير انه ولد سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م .

(٢) كتب الراوندي كتابه « راحة الصدور » في سنة ١٢٠٢ م = ٥٩٩ هـ .

(٣) انظر ج ١٠ ص ٧٣ .

السلاجقة قد اتسع على أيام « ملكشاه » فامتد من حدود الصين إلى حدود الشام ، ومن أقصى بلاد المسلمين شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً ، ودفع الجزية لهم بأباطرة الروم (أى الإمبراطورية الشرقية) .

الخلفاء الفاطميون

ومع ذلك فلم يكن مذهب أهل السنة هو المذهب السائد في ديار الإسلام دون أن تراحه المذاهب الأخرى ؛ فقد كانت مصر والجزء الأكبر من شمال إفريقيا وبلاد الشام في أيدي الخلفاء الفاطميين الذين بلغوا أوج العظمة والجلال أثناء خلافة « المستنصر » الذى طال حكمه من سنة ١٠٣٥ م إلى ١٠٩٤ م = ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هـ ، أى طوال الفترة التى نحن قائلون بدراستها في هذا الفصل . فإذا تجاوزنا حدود الفاطميين وأتينا إلى إيران وجدنا مدى التأثير العميق الذى بلغه فيها «دعاة» الباطنية من أهل الشيعة . وسنعرض لشيء من أمثلته المتعة في هذا الفصل وما يليه من فصول ، ولا بد أن نذكر هنا أن اثنين من أشهر دعائهم ، هما الشاعر « ناصر خسرو » و « الحسن الصباح » صاحب « الدعوة الجديدة » ومؤسس مذهب « الحشاشين » ، يتصلان اتصالاً وثيقاً بجميع الأحداث الهامة التى حدثت في هذا العصر المتع وبجميع من اشتهر فيه من أسماء وشخصيات .

الدولة الفزنوية :

ولست في الحقيقة في حاجة إلى أن أتحدث في هذا الفصل عن دول أخرى بجانب السلاجقة والفاطميين ، ولكنى أذكر في إيجاز أنه سرعان ماتوفى السلطان محمود حتى نشأ الخلاف بين أولاده ، واستمروا في عراق وقاتل حتى استطاع أن يتغلب «مسعود» على إخوته ، فيتولى مكان أبيه ويكمل معاركه في بلاد الهند ، ثم يأخذ « طبرستان » و « جرجان » من حاكمها الزبارى الأمير « دارا بن منوچهر » في سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ . وبعد ذلك بثلاث سنوات هزمته جيوش السلاجقة بالقرب من بلخ وتمكنت من الاستيلاء على أفياله الحربية ، فلما كانت سنة ١٠٤٠ م = ٤٣٢ هـ خلعه عن

العرش وقتلوه ، وولوا في مكانه أخاه «محمدآ» ثم ابنه «مودودا» . وبعد ذلك بسنة واحدة دخلت ولاية «طبرستان» في حكم السلاجقة ؛ حتى إذا كانت سنة ١٠٤٤ م = ٤٠٦ هـ هزموا «مودودا» في بلاد خراسان ، ولكنه مع ذلك استطاع أن يطرد الأتراك الغز من مدينة «بُست» وأن يستمر في معاركه في بلاد الهند ؛ وبهذه الصورة انتهى حكم الغزنويين في إيران وإن كانوا قد احتفظوا بملكهم الأصلي في مدينة «غزنة» حتى سنة ١١٦١ م = ٥٥٧ هـ عندما طردهم منها ملوك «الغور» وأصبح الحديث عنهم بعد ذلك مما يخص شؤون الهند دون غيرها من البلاد .

الدولة البويهية :

أما آل بويه وقد كانوا أكبر أعداء الغزنويين في سابق الأيام ، فقد انتهى حكمهم بدخول «طغرل» مدينة بغداد في ١٨ ديسمبر ١٠٥٥ م ٢٥ رمضان ٤٤٧ هـ ووضع الخليفة العباسي تحت رقابته ووصايته . وما كادت تنقضي على تلك الحادثة ثلاث سنوات حتى مات في مدينة «الري» آخر أمراءهم المعروف باسم «الملك الرحيم» .

فإذا رجعنا الآن إلى الحديث عن السلاجقة وجدنا أن «البنديري» ومؤلف «راحة الصدور» يذكران أن السلطان محمود دعاهم في البدايه الى الإقامة في الأقاليم الحيطلة بمدينة بخارى ، ولكنه سرعان ما أحس بالوجل منهم لكثرة عددهم وازدياد نفوذهم فأمر في سنة ١٠٢٩ م = ٤٢٠ هـ بالقيض على واحد من أولاد «سلجوق»^(١) وجسه في قلعة بلاد الهند تسمى «كالنجان» فبقى فيها حتى مات بعد سبع سنوات . وفي قصة معروفة مذكورة في كتاب «راحة الصدور» أن السلطان محموداً أحس منهم بالوجل عندما كان يتحدث إلى «إسرائيل بن سلجوق» في يوم من الأيام ، ففرض له أن يسأله عن عدد الرجال المسلحين الذين يمكن له أن يمد بهم إذا عرضت له حاجة إليهم . فأجابه إسرائيل بقوله : إنه إذا أخذ سبهما من جرابه

(١) يقول «ابن الأثير» إن الذي قبض عليه السلطان محمود من أولاد سلجوق هو «موسى ارسلان بيغو» أما المصادر الأخرى فتجمع على إنه «إسرائيل» . ويقول ابن الأثير أيضاً انه في السنة التي قبض فيها على موسى ارسلان ولد «الاب ارسلان» .

وأرسله إلى قومه أمده بمائة ألف رجل ، فإذا أرسل اليهم قومه أمده بمائتي ألف آخرين . وكان السلطان كما يقول مؤلف « راحة الصدور » قد نسي المثل القائل « لا تفتح بابا يصعب عليك سده ، ولا ترسل سهما يصعب عليك رده » فلما استمع إلى قول اسرائيل أحسن بالحشية تملأ صدره وقرر على الفور أن يسلك معهم طريق الحشونة والغلظة بالصورة التي ذكرناها فيما سبق .

هجرة السلاجقة جنوباً :

ولمات « إسرائيل بن سلجوق » في قيرونة ومنفاه ، استطاع ابنه ، قتلش أن يهرب إلى بخارى^(١) حيث التحق بقومه وعشيرته مؤكداً لهم الإيمان بأنه لا بد من انتقام من هذا السلطان الغادر . ولكن حدث في سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ أن أصاب السلاجقة غدر آخر على يد ملك خوارزم « هارون بن التوتاش » فاضطرهم ذلك إلى التحرك جنوباً والاستقرار في الإقليم الواقع بين « نسا » و « باورد » . ويقول صاحب « راحة الصدور » إن هذه الهجرة حدثت قبل ذلك التاريخ في أيام السلطان محمود ويأذن صادر منه ، عارض فيه أشد المعارضة « أرسلان جاذب » حاكم طوس . وطلب إلى مولاه أن لا يسمح لهؤلاء الخيران الأقوياء بهذه الهجرة ، وأوصاه بأن يبادر بأمر رجاله بأن يقطعوا الإبهام من يد كل سلجوقي يستطيعون القبض عليه حتى يتعذر على السلاجقة بعد ذلك استعمال القوس التي كانوا يبدون في استعمالها ضروب المهارة والحدق^(١) !!...

مسعود والسلاجقة :

وقد بدأت المتاعب الحقة بعد ما منح مسعود في هزيمة أخيه وتنصيب نفسه على عرش أبيه ، ويبدو أنه استطاع في سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ عندما كان قائماً بغزوته لطبرستان

(١) هكذا ورد في كتاب « راحة الصدور »

(٢) يبدو من هذا أن السلاجقة كانوا في الرماية يتبعون طريقة « الرمية الغولية » وسنشير إلى هذه الطريقة فيما بعد عندما نعرض لقتل الشاعر « كمال الدين اسماعيل » .

أن يصيب بعض النجاح وكاديهزم السلاجقة ، ولكن ما كادت هذه الغزوة تقرب من نهايتها حتى تمكن السلاجقة من التغلب عليه ، لأن جنده كانوا متعبين ولأن أسلحته علاها الصدا في جوهذه المناطق المليئة بالرطوبة والبلل . ولم يستمع «مسعود» لرأى مستشاريه الذين حذروه من عاقبة الاستهانة بما حدث وأوصوه بعدم ترك خراسان لهؤلاء الطغمة من الغامرين الجدد ؛ بل عمد إلى مصالحتهم بشروط سهلة هينة حتى يستطيع التفرغ بعد ذلك لإحدى غزواته في بلاد الهند؛ وكانت نتيجة هذا الاستخفاف أن أفلتت أزمة الأمور من يده كلية عندما عاد من الهند ؛ ولم يلبث أن أعلن «ظفرل بن ميكائيل بن سلجوق» نفسه ملكاً في صيف سنة ١٠٣٨ م = ٤٣٠ هـ فخطبوا باسمه في مدينة «مرو» ثم في مدينة «نيسابور» بعد ذلك التاريخ بقليل . وعند فتحهم لهذه المدينة الأخيرة نجد أن ابن الأثير ينسب إليهم الحكاية الشهيرة التي تدل على سذاجتهم وبساطة عقليتهم عندما اشتبهوا في الكافور وظنوه ملحاً ، وهي نفس الحكاية التي رواها تاريخ الفخرى ونسبها إلى المسلمين الأوائل عند استيلائهم على المدائن^(١).

تأسيس الرولة السلجوقية :

وقد ساعد خلع مسعود ثم قتله في سنة ١٠٤ م = ٤٣٢ هـ وما استتبع ذلك من اضطرابات في مدينة غزنه ، على تثبيت أقدام السلاجقة وتدعيم دولتهم . فتمكنوا في السنة التالية من الاستيلاء على طبرستان ، ولم يمض ثلاث سنوات على ذلك حتى استطاعوا التغلب على « مودود بن مسعود » في خراسان ، ثم بعثوا برسالة إلى الخليفة « القائم » ضمنوها شكرهم من البيت الغزنوي مؤكدين له ولاهم ، ساعين إلى الحصول على رضاه عليهم واعترافهم بهم . ثم أقدموا بعد ذلك على تقسيم الأراضي الواسعة التي دخلت بسرعة في حوزتهم ، فوَقعت «بُست» و «هرات» و «سجستان» من نصيب موسى أرسلان بن سلجوق ؛ وأعطيت مرو إلى ابن أخيه «جعفرى بيگك

(١) انظر تاريخ الفخرى طبع « الواردت » من ١٠٠ ، وكذلك الجزء الاول من « تاريخ الأدب في إيران » من ١٩٩ من الأصل الإنجليزي .

داود»؛ وأخذ ابن أخيه الآخر «طغرل» إقليم العراق؛ واستولى «قاورت بن
چغرى» على «كرمان» و«تون» و«طَبَس»؛ ونال «ياقوتى» ولاية
أذربيجان وأبهر وزنجان؛ أما ابن چغرى بيك الثالث وهو «ألب أرسلان»
فقد اختاروه ليقى مع عمه «طغرل» في عاصمته التي اتخذها في مدينة «الرى»،
وأعطيت مدينة «همدان» لابراهيم بن اينال بن سلجوق^(١)، كما أعطيت جرجان
ودامغان لـ «قلش» بن موسى أرسلان.

الخليفة يعترف بطغرل :

ولما وصلت رسالة طغرل إلى الخليفة «القائم بأمر الله» أنفذ إليه في مدينة الرى
رسولا هو «هبة الله بن محمد المأمونى» وزوده رسالة تضمنت ردا جميلا . أعقبها
أمر الخليفة بأن يذكر اسم «طغرل» في الخطبة وأن يضرب على القنود قبل اسم الأمير
البويهى «الملك الرحيم» . وانهى الأمر بعد ذلك في ديسمبر سنة ١٠٥٥م = رمضان
٤٤٧ هـ بدخول «طغرل» مدينة بغداد في موكب رسمى ، وهناك خلع عليه الخليفة
مختلف الخلع والتشريفات وأجلسه على العرش إلى جواره ، وألبسه حلة جميلة ، وتحدث
معه خلال ذلك ، وكان يقوم بالترجمة بينهما «محمد بن منصور الكندرى»^(٢) ولم تعض
فترة طويلة حتى تزوج الخليفة «القائم» بابنة أخى طغرل المسماة «أرسلان خاتون
خديجة» وهى أخت «ألب أرسلان» فزفت إليه فى كثير من مظاهر العظمة
والجاء ، ورأى طغرل النبى فى منامه يحذره من البقاء فى بغداد فتركها بعد أن أقام
فيها ثلاثة عشر شهرا ، وربما كان السبب الرئيسى فى تركه لبغداد راجعا . إلى حد
ما ، إلى ما وقع فيها من شغب أحدثته فيها جيوشه التركية ، وإلى رغبته فى إخضاع
الموصل وديار بكر وسنجار وبعض الأقاليم الغربية الأخرى .^(٣) ولكن لم يلبث
أن عاد «طغرل» بعد ذلك إلى بغداد ، حتى تلقاه الخليفة شاكرًا له أياديه فى نصر الإسلام

(١) قتل طغرل بتهمة الخيانة فى سنة ١٠٥٧م = ٤٤٩ هـ .

(٢) أنظر البندارى ص ١٤

(٣) مما حدث فى هذه الفترحات أن طغرل استولى على دير به اربعمائة راهب قتل منهم مائة
وعشرين ، وافتدى الباقون أنفسهم بدفم المبالغ الطائفة .

وخدمة المسلمين ، ودعا له أن يحسن استعمال ما أفاء عليه الرحمن من سلطة وقدرة ، ثم لقبه عند ذلك بـ « ملك المشرق والمغرب » .

موت طغرل :

ومع ذلك ، لم يكن طغرل قدشفى أطعاه واستوفى أمانية ، فلما ماتت زوجته في سنة ١٠٦١ م = ٤٥٣ هـ تقدم إلى الخليفة وطلب تزويجه من ابنته (١) ، وكان الخليفة شديد الممانعة في ذلك ولكنه اضطر في النهاية إلى التسليم بسبب طلباته المتكررة التي سادتها صبغة من التهديد والوعيد . وخرجت العروس في حفل يليق بمقامها قاصدة مدينة « تبريز » لنذهب من هنالك إلى « الري » حيث كان زوجها يعد معدات الزواج ، ولكنها قبل أن تصل إليها بقليل ، مرض طغرل مرضا أودى به في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م = يوم الجمعة ثامن رمضان سنة ٤٥٥ هـ وقد أدركته الوفاة في قرية « تاجرشت » فأعادوا عروسه بعد ذلك إلى بغداد . وكان طغرل عند وفاته في السبعين من عمره وقد وصفه ابن الأثير فقال عنه إنه شديد الحزم ، دقيق في تأدية واجباته الدينية ، حريص على أسرازه ، يشوبه شيء من الغلظة والشدة عند الاقتضاء ، ولكنه كان فيما عدا ذلك شديد الكرم حتى على أعدائه من البيزنطيين (الروم) (٢) .

الب ارساله :

تولى الملك بعد طغرل ابن أخيه « ألب ارسلان » ، وكان له أخ اسمه سليمان . حاول الوزير « الكندري » المعروف بـ « عميد الملك » أن يأخذ البيعة له وينصبه على العرش ، ولكنه فشل في مساعاه وأصابه بسبب ذلك كثير من البلاء الذي انتهى

(١) أما صاحب « راحة الصدور » فيقول إنها اخت الخليفة

(٢) انظر عبارة ابن الأثير في نصها الأصلي في ج ١٠ ص ٩ - ١٠

بالقبض عليه وإرساله إلى « مرو » حيث بقي في الأسر ستة كاملة ، قتلوه بعدها قتلة شعاء على يد خادمين ، أنفذها إليه « ألب ارسلان » للقضاء عليه ؛ فلما علم الكندري بغرضهما أذعن لقضاء الله وودع أفراد أسرته ، وطلب أن يموت بحد السيف لا بالندق بالحبال ، ثم أرسل قاصدا إلى « إلب ارسلان » ووزيره « نظام الملك » بالرسالة الشهيرة الآتية : (١)

« قل للسلطان لقد خدمتني خدمة جليلة . فقد أعطاني عمك ملك العالم الديني لأتصرف فيه ، فلما أمرت بقتلي أعطيتني ملك العالم الآخر جزاءً لاستشهادي ، وبذلك تم لي على يدكما امتلاك الدارين الفانية والباقية . »

« وقل لنظام الملك بثما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان . ومن حضر قليا وقع فيه . وإني أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك بما أصابني . »

وكان هذا الوزير المنكود قد تجاوز الأربعين من عمره عند مقتله ، وقد اشترى عنه أنه كان عالما بالعربية ، ومن أجل ذلك فقد قام « الموفق النيسابوري » بتقديته إلى طغرل الذي أحلقه بخدمته وجعله كاتباً له (٢) . ولقد نظم الكندري جملة من الأشعار العربية الجميلة ذكر لنا طائفة منها ابن الأثير في تاريخه ؛ وكان من التعميبين للمذهب الشافعي ، وقد أمر بلعنة الرافضة والأشعرية (٣) في المساجد والجوامع . فلما جاء « نظام الملك » أمر الخطباء بالاستمرار في لعنة الرافضة ولكنه منعهم من لعنة الأشعرية ، وأرضى بذلك جملة من كبار الفقهاء كان من بينهم « أبو العالى الجويني » و « القشيري » مؤلف الرسالة المعروفة باسمه عن حياة المشروقية . والمنسوبة عن « الكندري » أنهم خصوه في صباه في « خوارزم » حيث دفنوا بهاذكراً .

(١) أنظر تاريخ ابن الأثير في سنة ٤٥٦ ج ١٠ ص ١١ وكذلك « راحة الصدور » ورقة

(٢) ربماتشات من هذا الخبر الحكاية المعروفة عن صلة نظام الملك بالموفق النيسابوري . والأشعار التي ينسبها الكتاب التأخرون على أنها من قوله إنما هي في الحقيقة كما نعلم من قول الشاعر « برهاني » .

(٣) مؤلف « راحة الصدور » يجعل هاتين الفرقتين المتعارضتين « من الملاحدة الذين ينب عليهم دفع الجزية والغرامة كاليهود . » أنظر مقالتي ص ٥٧٣ .

قتلوه في «مرو» ثم أخذوا جسده إلى موطنه «كندر» فدفنوه بها ، وأخذوا رأسه إلى «نيسابور» فدفنوها بها . وحملوا قحف جمجمته إلى نظام الملك في مدينة «كرمان» .

نظام الملك :

ومن المحزن حقاً أن رجلاً كبيراً ووزيراً عظيماً مثل «أبي علي الحسن بن اسحق» الملقب بـ «نظام الملك» لا يبدأ اسمه في الظهور على صفحات التاريخ إلا متصلاً بهذه الفعلة المشنعاء التي أصابت «الكندري» ؛ ولكن من عجب ، أنه قد جازت عليه لعنة سلفه بالتبول . فتضى حياة طويلة نافعة لا يدانيه فيها أحد من رجال السياسة الشرقيين ثم انتهى به الأمر أيضاً إلى قتله شنيعة دامية .

وقد ولد «نظام الملك» في أسرة من الدهاقين في مدينة «طوس» سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ ، ومات أمه قبل فظامه ، وأصيب أبوه بعد ذلك بكثير من الخسائر والأزمات المالية ، ولكنه رغم هذه الظروف العاتية ، استطاع أن ينال قسطاً كبيراً من التعليم ، فدرس العربية والعلوم الفقهية حتى استطاع أن يشتغل كاتباً في مدينة «بلخ» لدى حاكمها «علي بن شادان» وكان هذا الوالي منصباً على حكومة بلخ من قبل «جعفرى بيك» والد «أب أرسلان» ، فلما أدركت «جعفرى بيك» الوفاة أوصى ابنه الصغير بنظام الملك فاتخذه وزيراً وديراً (١) ، حتى إذا اعتلى عرش السلطنة جعله كبير وزرائه ، ووكّل إليه تدبير الأمور في مملكته الواسعة العريضة . وامتاز «نظام الملك» بأنه كان من أقدر رجال الإدارة وأقوى رجال السياسة ، وكان متديناً ، سنى المذهب ، شديد الوطأة على الملاحدة والكفار ، قاسياً أشد القسوة

(١) بالإضافة إلى ما ذكره منا ابن الأثير (ج ١٠ ص ٧١ - ٧٢) عن نشأة نظام الملك في صباه ، نجد أنه يذكر رواية أخرى تتفق مع هذه في أنها أيضاً تجعل فاتحة حياته العملية في مدينة بلخ ، ولكنها تختلف عنها في ذكر سيد آخر التحق بنظام الملك بخدمته وهذه الرواية تتفق مع ما رواه «البنديرى» في النبذة الطويلة التي خصصها لنظام الملك وكمال له فيها كثيراً من الثناء (ص ٥٥ - ٥٩) .

على أهل التشيع والإسماعيلية خاصة ، وكان بالإضافة إلى ذلك جواداً يكرم الأدباء ، ويقرب الفضلاء والعلماء (١) لا يضمن يبذل جهوده الجسارة في صيانة الأمن ، وإسعاد الخلق ، ونشر الدين والتعليم .

ومن أول الأعمال التي عملها « نظام الملك » عند توليه الوزارة ، تأسيسه للمدرسة « النظامية » الشهيرة في بغداد ، ومدّها بالأموال الطائلة ، وقد بدأ بنائها في سنة ١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ و فرغ منها في سنة ١٠٦٧ م = ٤٦٠ هـ . واستطاعت هذه المدرسة بعد ذلك أن تضم كثيراً من الأساتذة والمدرسين الذين امتاز بهم الزمان مثل الفقيه الكبير « أبي حامد محمد الغزالي » (١٠٩١ - ١٠٩٥ م = ٤٨٤ - ٤٨٨ هـ) الذي وصفه السيوطي بقوله : لو أمكن أن يوجد نبي بعد محمد لكان الغزالي هو هذا النبي على وجه التأكيد .

ألب أرسلان

أما « ألب أرسلان » فإن ابن الأثير (٢) يجعل مولده بين سنتي ٤٢٠ هـ و ٤٢٤ هـ = ١٠٢٩ و ١٠٣٣ م ولكن صاحب « راحة الصدور » يجعله في بداية سنة ٤٣١ هـ = ٢٣ سبتمبر سنة ١٠٣٩ م ثم يقول : « إنه تولى الحكم اثنتي عشرة سنة بعد موت عمه « طغرل بك » في سنة ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م وكان يتولى خراسان قبل ذلك بستين من ذ وفاة والده « جفري بيك داود » ثم يذكر إنه كان في الرابعة والثلاثين من عمره عند وفاة أبيه ، ويقول « إنه كان طويل القامة ، له شاربان طويلان ، يعقد أطرافها إذا شاء الرماية ، ولم تخطى ، سهامه هدفها على الإطلاق (٣) وكان يلبس على رأسه قلنسوة (كلاه) عالية ، يقول الناس إن المسافة بين قمتها وأطراف شاربيه كانت تبلغ الذراعين ؛ وكان حاكماً قوياً وملكاً عادلاً ،

(١) كان « عمر الحيام » من أقرب المقربين إليه وستحدث عنه فيما بعد .

(٢) « البنداري » أيضاً يجعل مولده في سنة ٤٢٤ هـ .

(٣) ومع ذلك فسرى فيما بعد أنه مات نتيجة لرمية خاطئة .

كريم النفس قوى القلب ، سربها إلى معاينة العمال الجائرين وخصوصا من يرتكب منهم جريمة الاختلاس أو التزوير ، وكان برآ بالفقراء حتى ليقال إنه كان يوزع عليهم في نهاية رمضان خمسة عشر ألف دينار ، كما كان يمد المحتاجين والمعوزين في جميع أرجاء مملكته الفسيحة بما يكفل لهم العيش ويسر لهم سبل الحياة . (١) ، وكان محباً لدراسة التاريخ ، يستمع في شنف ومتعة إلى ما يقرأ له من سير الملوك الجاهلين وإلى الكتب التي تكشف الغامض من أخلاقهم وقوانينهم وأساليب إدارتهم .

وقد أعقب « ألب أرسلان » ذرية لا يقل عددها عن خمسة أبناء وثلاث بنات . وقد تزوج ابنه « ملكشاه » بابنة « الخاتون التركية » (٢) وزوج ابنه « أرسلان أرغون » بأميرة من أميرات البيت الغزنوي ، كما تزوج ابنته « خاتون سفريه » بالخليفة المقتدى .

أعمال ألب أرسلان

كانت المدة التي تولى فيها « ألب أرسلان » الحكم قصيرة الأمد (٣) ، ولكنها كانت مليئة بمجالات الأعمال . ففي السنة الأولى من حكمه استطاع أن يخضع في الشمال الشرق « ختلان » و « هراة » و « صغانيان » كما استطاع أن يرد الروم إلى بلادهم في آسيا الصغرى . وبعد ذلك بقليل استطاع في سنة ١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ أن يستولي على « جند » (٤) وأن يخذل الثورات في « فارس » و « كرمان » وأن يخذ من شوكه الحلفاء الفاطميين ويسترد منهم حلب ومكة والمدينة ، فلما كان صيف سنة ١٠٧١ م = ٤٦٣ هـ استطاع على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف رجل

(١) يقول ابن الأثير أن مملكة « ألب أرسلان » كانت تمتد من أقصى حدود ما وراء النهر إلى أقصى حدود الشام .

(٢) الترجمة : زوجة « ملكشاه » هي « ترکان خاتون » .

(٣) من سبتمبر سنة ١٠٦٣ إلى نوفمبر سنة ١٠٧٢ م = ٤٥٥ إلى ٤٦٥ هـ

(٤) كان جده الأعلى « سلجوق » مدفوناً بهذه المدينة وربما كان ذلك هو السبب في اهتمامه بأمر الاستيلاء عليها .

من خيرة المحاربين أن يهزم البيزنطيين هزيمة منكرة عند «ملازگرد» بالقرب من مدينة أخلاط (خلاط) في غرب آسيا الصغرى ، وكان جيش البيزنطيين يبلغ على الأقل مائتي ألف (١) رجل ، بينهم الإيرانيان والروس والأتراك وأهل جورجيا والقوقاز والقرنج والأرمن . وقد استطاع «ألب أرسلان» أن يأسر الامبراطور البيزنطى «ديوجينس رومانوس» .

وقد روى المؤرخون المسلمون (٢) قصة عجيبة حدثت عند أسره هذا الامبراطور البيزنطى ، مجملها : أن أحد أمراء «ألب أرسلان» واسمه «سعد الدين گوهرآئين» كان يمتلك عبداً حقيراً صغير الجثة ، شاء أن يصحبه معه فى جيش المسلمين ولكن «نظام الملك» أبى عليه ذلك وقال له مداعباً : وأى خير ترجوه على يديه . . . ؟ أنتظن أنه سيأتينا بامبراطور الروم أسيراً . . . !؟ وشاء القدر أن تحدث أعجب المصادفات وأن يتمكن هذا العبد من أن يأسر الامبراطور ، ولكنه لم يكن يعلم ما لأسيره من مكانة ممتازة وأهمية زائدة ، وكاد يقتله لولا أن كشف واحد من رفاقه عن شخصيته فأبقى عليه وأحضره إلى «ألب أرسلان» فلما مثل بين يديه لطمه «ألب أرسلان» بيده ثلاث مرات وقال له :

ألم أعرض عليك الصلح مراراً ولكنك رفضته . . . ؟ فأجابه الامبراطور المنكود قائلاً : ما عايتك من لومى وتعنيفى . . . !! ونظر السلطان إليه ثانية وقال : وماذا كنت تصنع بى لو أنك أخذتنى أسيراً . . . ؟!

وأجاب الامبراطور اليونانى : كنت عاملتك بالقسوة وأخذتك بالعنف . . . !!

وقال السلطان : وما تظن أننى صانع بك . . . ؟!

أجاب رومانوس : واحدة من ثلاث : فإما أن تقتلى ! وإما أن تطوف بى

(١) صاحب راحة الصدور يذكر أن الجيش السلجوقى كان عدده ١٢ و ٠٠٠ رجل ، وأن الجيش البيزنطى كان عدده ٦٠٠ و ٠٠٠ رجل ، أما البندارى فيجعل الجيش البيزنطى ٣٠٠ و ٠٠٠ رجل ، ولكن ابن الأثير يجعله مائتي ألف .

(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ س ٢٥ ، وكذلك البندارى س ٤٣ ، وكذلك راحة الصدور

مشهراً في ديار المسلمين ، وإما أن تغفو عن نظير الفدية والخضوع لك ، وهذه الأخيرة بعيدة النال لا أمل لي فيها ولا رجاء .

فقال السلطان : بل هذه الأخيرة هي التي انقعد عليها عزمي . . . !!
 وحدد السلطان الفدية التي اقتضاها من الإمبراطور بألف ألف دينار ، وعقد معه محالفة لمدة خمسين سنة ، اشترط فيها أن تكون جيوش البيزنطيين مستعدة لمعوثته عند طلبه بالعدد الذي يقتضيه وفي الوقت الذي يحتاج إليها فيه ، كما اشترط أيضاً تحرير الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي اليونان . وقبل الإمبراطور « رومانوس » هذه الشروط نخلع عليه السلطان خلعة شريفة ، وخصص له سرادقاً كبيراً ، وأعطاه خمسة عشر ألف دينار لينفق منها أثناء إقامته ، ثم أفرج عن جملة من ضباطه وأمرائه ليقوموا على خدمته ، ولما حان موعد رحيله ركب السلطان معه مسافة فرسخ ثم أمر جماعة من رجاله أن يكونوا في ركابه إلى أن يصل إلى دياره في أمن وسلامة ؛ ولكن الهزيمة التي أصابت « رومانوس » أنزلته من عليائه ، فعمد رعاياه كما يقول البنداري « إلى إزالة اسمه من سجلات الملوك قائلين عنه : لقد سقط من عداد الملوك وغضب عليه المسيح !

موت ألب أرسلان

وبعد سنتين ، في نوفمبر سنة ١٠٧٢م = ٤٦٥هـ كان « ألب أرسلان » مشغولاً في الناحية الأخرى من مملكته بحربه مع الأتراك ، فوصل إلى نهر « جيحوز » على رأس جيش عدده ٢٠٠٠٠٠ رجل^(١) استغرق عبورهم إلى الضفة الأخرى من النهر أكثر من ثلاثة أسابيع . وبينما كان معسكراً هنالك ، جلبوا إليه أسيراً اسمه « يوسف نرزمي^(٢) » كان قائداً على حصن من الحصون صمد في وجه رجاله إلى أن استولوا عليه عنوة وبعد قتال عنيف . ويؤكد بعض المؤرخين أن « ألب أرسلان » كان مغتلاً من هذا الأسير وما جرى على لسانه من ردود خادعة زائفة ، فأمر رجاله أن

(١) انظر « البنداري » ص ٤٥ ، وابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥ .

(٢) راحة الصدور يكتب « نرزمي » ، وتاريخ سلاجقة كرمان يكتبها « برزمي » ، وأما ابن الأثير والبنداري فيكتبانها « خوارزمي » .

يحضروه قريباً من عرشه وأن يبسطوه أمامه على الأرض ، وأن يشدوا رجله ويديه إلى أربعة اوتاد مثبتة في الأرض ، وأن يتركوه على هذا الحال حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة . واستمع الأسير إلى هذا الحكم القاسى فأرغى وأزبد وشتم السلطان بأبداً العبارات وأردأ الشتائم ثم أخذ يصيح ويكي قائلاً : ما هكذا يموت مثل هذه الميتة الشنعاء...!!! واستولى الغضب والحق على « ألب أرسلان » فأشار إلى رجاله أن يتعدوا عن الأسير وأسرع إلى قوسه ورماه بهم يريد قتله في التو والساعة ، ولكن المهارة التي امتاز بها في الرماية خاتته في هذه اللحظة الحرجة ، غاب سهمه . وأخطأ هدفه ؛ وهجم الأسير وقد وجد نفسه طليقاً لا يسك به أحد ولا يعوقه قيد على « ألب أرسلان » فجرحه جرحاً مميتاً في خاصرته بواسطة خنجر كان يخفيه في طيات ثيابه ، وقد حدث كل ذلك في سرعة خاطفة ، لم يستطع فيها أحد من الحراس أن يتدخل لإتخاذ السلطان ، وكان الحراس في هذه اللحظة يباغون الألفين من حوله . وأسرع « گوهر آئين » لنجدة سيده ولكنه أصيب أيضاً بجحمة من الجراح ، وتمكن « فراش » في النهاية من قتل هذا الرجل الستئس بضربه على رأسه بعصاه التي كان يحملها . وانقضت على ذلك فترة طويلة ثم تعارك ابن هذا الفراش مع واحد من أتباع الخليفة في بغداد قتله تابع الخليفة واحتمى بحرم الخلافة حيث لا يمكن أن تمتد إليه يد ... وأتى الفراش إلى « ملكشاه » وطلب الثأر لابنه المقتول وقال له : « يامولاي...! افعل بقاتل ابني مثلما فعلت بقاتل أبيك ،...!! » وشاء الخليفة أن يدفع لوالد القتيل فدية تبلغ عشرة آلاف دينار حتى يتخلص من تفتيش بيته ولكن « ملكشاه » رفض ذلك وأصر على المطالبة بالقاتل حتى سلم إليه فأمر بقتله .

وبقى « ألب أرسلان » على الحياة يوماً أو يومين بعد جرحه ، وكانت هذه الفترة كافية لأن يعلى على وزيره الخلص « نظام الملك » وصاياه التي يريدونها ؛ وخلاصتها أن يتولى ابنه « ملكشاه » العرش في مكانه ؛ وأن يتولى ابنه « أياز » ولاية بلخ ما عدا قلعتها فإنها تكون في يد أمير من أمراء « ملكشاه » ؛ وأن يستمر أخوه « قاورت » حاكماً لكرمان وفارس^(١) ومات بعد ذلك « ألب أرسلان » مطمئن البال مستسلماً لقضاء الله . وأثر عنه أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

« ما من وجه قصدته وعدو أردته إلا استعنت بالله عليه ، ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر ، قلت في نفسي : أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على ، فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى وأستقبله من ذلك الحاطر» (١).

وقد دفن « ألب أرسلان» في مدينة « مرو» وكتب واحد من الشعراء على قبره هذا البيت :

سر ألب أرسلان ديدى ز رفعت رفته بر گردون
بمرو آ ، تا بخاك اندر سر ألب أرسلان بيني

ومعناه :

— لقد رأيت رأس « ألب أرسلان» تعلق السماكين وتشمخ فوق السماء
فعمال الآن إلى «مرو» حتى تراها حبيسة في جوف الأرض وبطن القبرا.

ملكشاه :

عندما دعى « ملكشاه» لتولى عرش الملكة العظيمة التي أسسها أبوه وعمه أييه ، لم يكن له من العمر أكثر من سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة ؛ وما لبث أن تولى العرش حتى لاحت في الأفق بعض المتاعب والشدائد ؛ فأسرع « التكين» خان (٢) سمرقند بالاستيلاء على « ترمذ» وقهر جيوش أخيه « أياز» ؛ وتمكن كذلك السلطان الغزنوي « ابراهيم» من القبض على عمه « عثمان» وأخذه مع أمواله وخزائنه إلى أفغانستان ، ولكن ما لبث أن تبعه الأمير « كمشتكين» وتابعه « انوشتكين» واستطاعا التغلب عليه وقهره (٣) . وأدهى من ذلك كله وأمر أن عم « ملكشاه» المسمى « قاورت» وهو أول ملوك السلاجقة في « كرمان»

(١) انظر « ابن الأثير» ج ١٠ ص ٣٦ .

(٢) « خان» بمعنى ملك وهو لقب للوك الأتراك مثل «خاقان» .

(٣) « انوشتكين» هو جد الدولة الناشئة التي عرفت باسم ملوك خوارزم «خوارزمشاه» وستحدث عنها في فصل تال .

توجه إلى «الري» على رأس جيشه ، يريد انزعاج الملك من ابن أحميه وجعله لنفسه ، وتلاقى الجيشان في «السكرج» بالقرب من «عمدان» ووقعت بينهما موقعة هائلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها ، ثم انتهت بهزيمة «قاوُرت» وأسره وقتله . ولقد وقع ابنه «اميرانشاه» و «سلطانشاه» في الأسر أيضاً ، فأمر «ملكشاه» بسمل أعينهما ، ولكن الأخير منهما لم يفقد حاسة الإبصار كلية ، فتمكن فيما بعد من أن يعقب أباه على ولاية كرمان . وكان لنظام الملك فضل كبير في التغلب على هذه الأزمة بما أسداه للمسيكه من خدمات كثيرة جليلة ، فمنحه السلطان لقاء ذلك لقب «آتابك» ، وهو لقب كان من أرفع الألقاب في ذلك الوقت ولكنه أصبح فيما بعد كثير الشبوع والذبوع (١) .

وفي السنة التالية ، مات الخليفة «القائم» وأعقبه على الخلافة حفيده «القتدي» ؛ وبعد سنة أخرى ، استطاع الخليفة الفاطمي استرداد «مكة» لمدة اثني عشر شهراً ولكنه فقد في نظير ذلك مدينة «دمشق» ؛ وفي هذه السنة نفسها ١٠٧٥ م = ٤٦٧ هـ بنى «ملكشاه» المرصد الذي اشتغل فيه «عمر بن إبراهيم الحياي» وجماعة آخرون من أشهر رجال العلم (٢) ، بوضع التقويم الجلالى الجديد الذي رغب السلطان في عمله ، والذي يرجع تاريخه إلى يوم النيروز (٣) من سنة ١٠٧٩ م = ٤٧٢ هـ ؛ ولم تمض سنتان على ذلك حتى تمت خطبة الخليفة «القتدي» لابنة السلطان «ملكشاه» ولكنه فقد في تلك السنة نفسها ابنه «داود» فحزن لموته حزناً شديداً ولم يسمح لرجاله أن يحملوا جثته من أمامه لدفنها وكاد يقضى على نفسه كدأ عليه ، ولكن أزم من شفى جراحه عند ما ولد له بعد ثلاث سنوات ابن آخر أسماه «سنجر»

(١) أحميه «ناصر الدين شاه» وابنه «مظفر الدين شاه» هذا اللقب ومنعاه لوزيرهما «أمين السلطان» ولكنه منذ سنة أو سنتين أبعد عن الوزارة وأقصى إلى المنفى .

(٢) ذكر ابن الأثير رجلين من زملاء «عمر» هما «ابوالمظفر الإسفزاری» و«مبيون بن نجيب الواسطي» انظر ج ١٠ ص ٣٤ .

(٣) المترجم: «نوروز» أو «نيروز» بمعنى اليوم الجديد وهو مطلع السنة الفارسية ويوافق الاعتدال الربيعي من كل سنة .

نسبة إلى مكان ولادته في « سنجار » بالقرب من الموصل .

وحوالي سنة ١٠٨٣ م = ٤٧٥ هـ أخذت الالعة التي صلبها « الكندري » على نظام الملك وأولاده شمر وتفريخ . وكان أكبر أولاد هذا الوزير يسمى « جمال الملك » وكان شديد الزهو والغرور ، فسمع أن نديم السلطان المسمى « جعفر ك » قد هزأ بأبيه في إحدى دعاياته ، فأسرع إليه من مدينة « بلخ » حيث كان يتولى حكومتها وذهب إلى قصر السلطان وانهاه على النديم بضربه في حضرتة ، ثم أمر رجاله بأن يشدوا لسانه إلى قفاه فمات في الحال على هذه الصورة الشنيعة ، ولم ينقل « ملكشاه » شيئاً في ذلك الوقت ، ولكنه أصدر أمره أسراً إلى « أبي علي » عميد خراسان أن يدس السم لـ « جمال الملك » ، ففعل ذلك على يد واحد من أتباعه وخدمته .

وزار « ملكشاه » مدينة بغداد مرتين أثناء حكمه . فأما الأولى فكانت في ذي الحجة سنة ٤٧٩ هـ = مارس سنة ١٠٨٧ م ، واستصحب معه وزيره « نظام الملك » وتمكن من زيارة قبر الإمام السابع « موسى » وقبر الشيخ الصوفي « معروف الكرخي » وقبر الإمامين « أحمد بن حنبل » و « أبي حنيفة » وقد حمل كثيراً من الهدايا إلى الخليفة « القتيبي » ولعب غداة وصوله لعبة الكرة والوصولجان . وفي هذه الأيام زوج اخته « زليخا خاتون » من « محمد بن شرف الدولة » وأقطعته « الرجة » و « سرآن » و « سروج » و « الرقة » و « الخابور » وزوج ابنته من الخليفة القتيبي ؛ وحملت زوجته « ترکان خاتون » ولداً أسمته عند ولادته « محموداً » وقد كان له شأن في الأيام المشؤومة التي أعقبت موت أبيه ، لأن « ملكشاه » كان له ابن آخر اسمه « أحمد » جعله ولياً لعرشه ولكنه مات في مدينة مرو في الحادية عشرة من عمره بعد ولادة محمود بسنة واحدة ؛ وقرابة هذا الوقت عقد « ملكشاه » محادثة مع البيت الغزنوي وزوج إحدى بناته بالملك الغزنوي الصغير مسعود الثاني .

أما الزيارة الثانية التي قام بها « ملكشاه » لمدينة بغداد فقد حدثت في أكتوبر سنة ١٠٩١ م = رمضان ٤٨٤ هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة . وقد تمكن في الفترة الواقعة بين ازبارتين من الاستيلاء على « بخارى » و « سمرقند » وبلاد أخرى فيما وراء النهر ، وتلقى وهو في مدينة « كاشغر » النائبة الجزية التي بعث بها إليه من القسطنطينية الامبراطور

البيزنطى . وبذلك بلغت الإمبراطورية السلجوقية من علو الشأن ما لم تبلغه في وقت من أوقات حياتها عامة ، وكان من دلائل ذلك أن أصحاب القوارب الذين عبروا بـ «ملكشاه» ورجاله إلى الضفة الأخرى من نهر جيحون ، دفع لهم «نظام الملك» أجورهم بصكوك مستحقة الدفع في «أنطاكية» حتى يتحققوا بأنفسهم من مدى الاتساع الذى شمله ملك وليتهم . وركب «ملكشاه» جواده وخاض به مياه البحر الأبيض المتوسط على شاطئ «اللاذقية» الواقعة على سواحل الشام وشكر ربه على هذا الملك الفسيح الذى أنعم به عليه . وقد كافأ أوليائه بالإقطاعات الواسعة في الشام وآسيا الصغرى ، وبلغ جيشه النظامى ٤٦٠٠٠ رجل ، سجلت أسماءهم في سجل خاص بديوان الحرب ، وتمكن بواسطتهم من أن يعد نفوذه في بلاد التار والصين ، وأن يستولى على مدينة عدن على البحر الأحمر . وكان من دأبه أن يشرف على توزيع الصدقات على رعاياه ، وكان قريب النال لكل مظلوم يظن أنه في حاجة إلى ملاقاته والشكاية له . أما عنايته بالأموال الدينية فيشهد عليها هذه الآبار الكثيرة التى أمر بحفرها على طريق الحاج ، ثم اتفاه مع أمير الحرميين على تخفيف الضرائب التى كان يقتضيها منهم ؛ وكان الصيد من أحب هواياته وأشدّها سلطانا عليه ، وقد أمر رجاله أن يحفظوا سجلا يقيدون به عدد الصيد الذى يظفر به في كل يوم ، وقد بلغ في بعض الأيام سبعين غزالا .

وقدرأى صاحب «راحة الصدور»^(١) سجلا من هذه السجلات (التى تسمى بالفارسية شكارنامه) كتبه بخط يده الشاعر «أبو طاهر الخاتوني» وهو الشاعر الذى ألف كتاباً من أقدم الكتب في تراجم شعراء الفرس وجعله بعنوان «مناقب الشعراء»^(٢) . ومع ذلك فإن ابن الأثير يخبرنا أن «ملكشاه» كان يحس بشيء من الندم ووخز الضمير لإقدامه على قتل مثل هذا العدد الكبير من الكائنات البريئة والخلوقات الضعيفة . وقد حكي لنا هذا المؤلف^(٣) إنه «اصطاد مرة صيداً كثيراً ، فأمر بعده ، فكان عشرة

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٦ .

(٢) من الكتب المفقودة التى ليست في متناولنا الآن .

(٣) انظر تاريخ ابن الأثير ج ١٠ ص ٧٩ .

آلاف رأس ، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال : إنني خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة ، وفرق من الثياب بين أصحابه ملايحي ، وصار بعد ذلك كلما صد شيئاً تصدق بعده دنائير ، وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته .

وكانت «أصفهان» أحب مدن مملكته إلى قلبه (١) وقد اتخذها مكاناً لإقامته ، وزينها بجملة من المباني الجميلة والحدائق الغناء ، وكانت قلعة «دژكوه» مما استحدثه فيها ، وقد وقعت بعد سنوات قليلة من بنائها في أيدي واحد من زعماء «الحشاشين» الخطيرين هو ازعيم المعروف بـ «ابن عطاش» .

سقوط نظام الملك :

طوال هذه السنوات السعيدة المحفوفة بمطالع اليمن ومواكب الإقبال ، كان «نظام الملك» هو الساعد الأيمن للملك الشاب «ملكشاه» يدبر له الأمور ويصرفها بما عرف عنه من حكمة ورشاد . وقد بلغ الآن الثمانين من عمره . وكان خلال حياته الطويلة - إذا تيسر له شيء من فراغ الوقت - قضاءه في الإشراف على المدارس الكثيرة التي بناها في بغداد وإصفهان ، مستمعاً إلى حديث الصفة من العلماء والفضلاء ، أو مشغولاً بتأليف رسالته الكبيرة التي قام على تأليفها إطاعة لأمر «ملكشاه» عن تاريخ الحكم وفن الحكومة ، وهي التي عنونها على الأصح بـ «سياسة نامه» وإن كان جماعة من كتاب الفرس يشيرون إليها عادة باسم «سير الملوك» . وهذه الرسالة تعتبر من أهم التأليفات المشورة المفيدة التي تفخر بها الآداب الفارسية ، وقد نشرها «شيفر» أخيراً فجعلها بذلك في متناول جميع المشتغلين بالفارسية ، وترجمها إلى الفرنسية فيسرها لمجموعة أكبر من القراء والمطلعين .

وكان أبناء «نظام الملك» الإثنا عشر يشغلون جلهم أو كلهم أعلى مناصب الدولة ،

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٧ وكذلك مقال الذي نشرته بعنوان «وصف مجمل مخطوطة نادرة عن تاريخ اصفهان» ص ٦٦ .

وقد بلغ هو وأسرته من علو الشأن ما يذكرنا بما بلغه «البرامكة» في قديم الأزمان ، وربما فاق شأنهم شأن هـؤلاء وأربى عليهم ، ولكن السب الأبيدي الذي أودى بالبرامكة وغيرهم من كبار الوزراء الذين أخرجتهم إيران والذي سيودي دائماً بكل وزير تنجبه هذه البلاد ، وأعني إثارة حفيظة الملوك عليهم بواسطة خصومهم الحاقدين ، كان يضيق الخناق على «نظام الملك» ويدل على هدمه وتخطيمه. وكانت «تركان خاتون» - زوجة ملكشاه المحبوبة - هي أعدى أعدائه وألد خصومه ، وكانت شديدة التأثير على زوجها ، مسموعة الكلمة لديه ، وكان مطعمها الوحيد الذي تصبو إليه أن تضمن ولاية العهد لابنها الصغير «محمود» . وكان وزيرها « تاج الملك » يؤيدها في تحقيق هذه الرغبة ، بينما كان العروف عن «نظام الملك» أنه يؤيد الأئمة الأكبر «بركيارق» الذي لم يتجاوز في ذلك الوقت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره . أما السب المباشر الذي أدى إلى نكبة «نظام الملك» وأسرته فكان مرجعه إلى السلوك الشائن الذي سلكه واحد من أحفاده كان حاكماً على مدينة مرو (١) فقال بالأذى واحداً من الناس ، أسرع برفع شكايته إلى ملكشاه . فأرسل السلطان رسالة شديدة اللهجة إلى «نظام الملك» سأله فيها على سبيل التهم : هل هو يفتع بمنصب الوزارة أو يعتبر نفسه شريكاً له في الملك ؟ ثم أخبره أن أقرباءه « لا يقنعون بالمناصب العالية في الدولة بل يظهرون كثيراً من التبجح والرعونة اللذين لا يمكن الإغضاء عنهما . واستاء الوزير العجوز من هذه الكلمات العنيفة التي كالمها له «ملكشاه» وأحس بأن مليكه مدين له بكثير مما ناله من خير ، فقال في رعونة وغلظة : «إن الذي وضع التاج على رأسك قد وضع القلنسوة على رأسي...!!» وأضاف إلى ذلك عبارات خشنة أخرى (٢) ، تلقاها الحاضرون إلى السلطان في كثير من المبالغة والتمويل ، فأمر ملكشاه بعزله وتوليته «أبي الغنائم تاج الملك» في مكانه (٣) ؛ وقد اقترنت هذه الحركة بكثير من التغييرات الوزارية الطائشة فاستبدل «كمال الدين أبو الرضا» بـ«سديد الملك أبي العالي» كما استبدل

(١) هو ابن ابنه «جال الدين» الذي أمر «ملكشاه» بدس السم له قبل ذلك بشهر سنوات فمات مسووماً .

(٢) يورد ابن الأثير تفصيلات هذه الحادثة في كثير من الإيضاح (ج ١٠ ص ٧٦ - ٧٧) ولكني رويت هنا ماورد في «راحة الصدور» (ورقة ٥٨) فقد استرعت روايته أنظار جميع الكتاب الذين تناولوا هذه الواقعة بالبحث .

(٣) كان «تاج الملك» من أقرب المقربين إلى «تركان خاتون» كما ذكرنا ذلك آنفاً .

«شرف الملك أبوسعدي» بـ «مجد الملك أبي الفضل القمي». والمأثور عن هذا الأخير أن «أباطاهر الخاتوني» هجاه لبخاه بمقطوعة فارسية تعتبر من أروع الأمثلة مما بقي من أشعاره^(١). وذكر «أبو المعالي النحاس» هذه التغييرات الوزارية فقدمها في أبيات ترجمتها كالآتي (٢):

- علي عهد «أبي علي» و «أبي الرضا» و «أبي سعد» .
- كان الأسد يدخل حضرتك في وداعة الحمل أو أشد... !!
- وكان كل من يدخل إليك في تلك الأيام كأنه الرسول المزود ببشرى النصر والظفر والإقدام .
- وأما علي عهد «أبي الغنائم» و «أبي الفضل» و «أبي المعالي» فقد أصبح كل شيء يلسع حتى الحشائش النامية على أرضك... !!
- فإذا كنت قد مللت خدمة «نظام الملك» و «كجال» و «شرف» فنبهه إلى ماجره عليك «تاج الملك» و «مجد الملك» و «سيد الملك»...!

قتل نظام الملك:

ولم يمض نظام الملك طويلا بعد عزله، فبينما كان في رقعة «ملكشاه» في سفره من أصفهان إلى بغداد توقف في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ = ١٤ أكتوبر سنة ١٠٩٢ م بالقرب من «نهاوند» (ذلك المكان الحالد الذي أصيب عنده جنود الملك الساماني الأخير بالهزيمة الماحقة على أيدي المسلمين في منتصف القرن السابع الميلادي) فلما غربت الشمس وتناول «نظام الملك» طعام إفطاره هم بالذهاب إلى خيمة زوجه وأولاده، فاعترض طريقه شاب ديلمى قديزي بزى الساكين ثم أخرج خيابة

(١) انظر ص ٦٠٠ من «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» سنة ١٩٠٢ وتوجد أمثلة كثيرة أخرى من أشعار هذا الشاعر في كتاب «المعجم في مفاير أشعار العجم» تأليف شمس قيس؛ طبع بيروت ضمن «سلسلة جب التذكارية» .

(٢) انظر المرجع السابق، وكذلك ص ٤ من ترجمة شيفر لكتاب «سياسة نامه» وقد أورد «البندياري» ترجمة هذه الأبيات بالعربية ص ٦٣

خنجرأ من طيات ملابسه وطعنه به طعنة قاتلة . ولم يكن هذا المسكين المزيف في الحقيقة إلا عضواً في جماعة « الفدائيين » أو « الحشاشين » الذين اجتمعوا في ذلك الوقت حول « الحسن بن الصباح » وغيره من رؤساء « الدعوة الجديدة » (١) الإسماعيلية . ويقال إن هذه الحادثة كانت فاتحة لسلسلة أعمالهم المفزعة الجريئة ، ولكن ابن الأثير (٢) يذكر حادثة أخرى سبقتها ، تمتثل في قتل أحد المؤذنين في مدينة إصفهان ، ويقول إن « نظام الملك » عرض نفسه للانتقام هؤلاء الجماعة عند ما أمر بإعدام أحد التجارين بتهمة اشتراكه في قتل هذا المؤذن . يضاف إلى هذه الأسباب ، وإلى ما عرف من عداوة شخصي بين « الحسن بن الصباح » وبين هذا الوزير (كما تدلنا عليه قصتها المتداولة المعروفة) أن نظام الملك كان يظهر كثيراً من الكراهية والبغض للرافضة أو الشيعة ، وخاصة فريق السبعة منهم الذي كان من أقوى معتقيه الإسماعيليون والحلفاء الفاطميون في مصر ؛ وهذا السبب الأخير يكفي وحده للكشف عن سبب قتله والقضاء عليه . وكذلك وجد فريق من الناس كان من رأيه أن « تاج الملك » الذي خلفه في الوزارة ، كان المحرض الحقيقي على ارتكاب هذه الجريمة التي ظنها في البداية ستساعده على تثبيت مكانته وتقوية نفوذه ، ولكنها أدت في الحقيقة إلى قتله هو أيضاً (٣) بعد أربعة شهور من مقتل « نظام الملك » .

وقد أحست أغلبية ساحقة من الناس الذين حكمهم « نظام الملك » مدة السنوات الثلاثين الماضية بكثير من الحزن لمقتله ؛ ومن المعروف في بلاد الشرق أن الشعراء قالوا يمدحون وزيراً معزولاً ، ولكن ابن الأثير (٤) يخبرنا أن كثيراً من الرائي قيلت

(١) ابن الأثير يسميها « الدعوة الأخيرة » انظر ج ١٠ ص ١٠٨ . ويجب أن نذكر أن الشرقيين يميلون دائماً إلى أن ينسبوا قتل العظام إلى فرقة من فرق الملاحدة حتى يبرروا بعد ذلك اضطهادها ، ومن أمثلة ذلك أنه عند مقتل « ناصر الدين شاه » نسبوا قتله إلى « البابية » ولكن ثبتت بعد ذلك براءتهم من كل صلة بهذه الجريمة .

(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٠٨ ، فهو يذكر أيضاً أنه في سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م قتل « آق سنقر » بيد واحد من الباطنية أو الإسماعيلية .

(٣) قتله جماعة من أتباع « نظام الملك » في فبراير سنة ١٠٩٣ م = ٤٨٦ هـ .

(٤) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٧١ .

فيه ، من بينها المرثية العربية التي قالها «سبل الدولة»^(١) وفيها البيتان الجميلان الآتيان :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف
ويروى صاحب «چهار مقاله»^(٢) أن منجاشهيراً اسمه «الحكيم الموصلي» أخبر
«نظام الملك» أنه سيموت بعموته «أى موت الحكيم الموصلي» بستة أشهر، فلما وصات
الأنباء من نيسابور في ربيع سنة ١٠٩٢ م = ٤٨٥ هـ بأن هذا المنجم قد مات ،
وكان «نظام الملك» يعتقد فيما يقوله ويؤمن بصحته ، أخذته رجفة شديدة ،
وأخذ يعد معدات جنازته ويتجهز لاستقبال الموت ، ولم يكد الحريف ينشر نساؤه
في الآفاق حتى حان حينه وتحققت هذه النبوءة العجيبة .

ويشير «ابن الأثير»^(٣) إلى حكايات كثيرة كانت متداولة عن «نظام
الملك» حتى زمانه (أى القرن الثالث عشر الميلادى والسابع الهجرى) وقد زخرت
كتب التأخرين بمثل الحكايات ، ومن بينها الحكاية المتحللة التي يرويها بعض الناس
على أنها من الأخبار التاريخية الموثوق بصحتها ، وخلاصتها أن «نظام الملك» بينما كان
يلفظ أنفاسه الأخيرة إثر الجرح الذى أصابه ، كتب الأبيات الآتية وبعث بها إلى
«ملكشاه»^(٤) .

سى سال باقبال تو اى شاه جوانبخت
زنگ ستم از چهره آفاق ستردم
طغراى نيكو نامى ومنشور سعادت
پيش ملك العرش بتوقيع تو بردم

- (١) هذا الشاعر هو الذى حدثنا عنه دولتشاه (س٩) بأنه أنشأ قصيدة عربية من أربعين بيتاً
في مدح «مكرم بن العلاء» مطلعها :
- دع العيس تنزع عرس الفلا الى ابن العلاء وإلا فلا
وقد أعطاه ابن العلاء كياً ميثاً بالذهب لقاء هذه القصيدة وقال له :لوساعدن الفى لجملت
لك كياً من الذهب لقاء كل بيت من أبيات هذه القصيدة !!..
- (٢) انظر الحكاية السادسة والهمشرين .
- (٣) انظر ج ١٠ ص ٧٢ .
- (٤) انظر تذكرة الشعراء ص ٥٩ ، وكذلك تاريخ كريدته طبعة ككاتان ج ١ ص ٢٣ .

چون شد ز قضا مدت عمرم نود وشش
 در حدّ نهاوند ز يك زخم بمردم
 بگذاشتم آن خدمت دیرینه بفرزند
 اورا بخدا و بخداوند سپردم
 ومعناها :

- بإقبالک علیّ ... ثلاثین عاماً أيها الملك السعيد ... (۱).
 استطعت أن أحقل صدأ الظلم عن وجه الآفاق .
 — ولقد حملت إلى «رب العرش» محمورا بتوقيعك
 منشور السعادة ، وطغراء الهناءة
 — فلما انقضى من أجلى ستة وتسعون عاماً
 أصابتنى ضربة قاتلة بالقرب من «نهاوند»
 — فتركت تلك الخدمة الطويلة ليتولاها ولدى
 وانی لأترکه وديعة فی ید الله وید مولای وسیدی الملك ...
 ولقد سبق لی أن أشرت فی مکان آخر (۲) إلى أن البیت الأخير من هذه الأبیات
 مروی بصورة تختلف قليلاً عن النص الذى ذكرناه ، وأنه من غير شك من إنشاء
 الشاعر «برهانی» شاعر السلطان «ملکشاہ» . وأنه قاله لمولاه عندما أوصاه بابنه
 «المعزى» الذى نال رضا مولاه وأعقب أباه على إمارة الشعر ؛ أما الأبیات الثلاثة
 الأولى فمتحة للأسباب الآتية :
- أولاً : أن صاحب «چهارمقاله» حدثنا بأن «نظام الملك» لم يكن يقدر الشعراء .
 لأنه لم يكن على شيء من الدراية بفهم .

(۱) قصد التحديد على وجه الدقة ثلاثين عاماً لأنه تولى الوزارة من سنة ۱۰۶۳ إلى ۱۰۹۲ م = ۴۵۰ - ۴۸۵ هـ ؛ ولكن «دولتشاہ» يذكر بدل كلمة «سى» بمعنى ثلاثين كلمة «چل» بمعنى : أربعين .
 (۲) ترجمة براون لكتاب «چهارمقاله» ص ۶۷ .

ثانياً : أن « نظام الملك » كان له من العمر خمسة وسبعون سنة عند وفاته ، ولم يصل إلى السادسة والتسعين .

ثالثاً : أن أولاد « نظام الملك » الكثيرين نالوا جميعهم أرقى المناصب في مملكة « ملكشاه » بحيث لم يكن غيرهم يطمع فيما نالوه أو يفكر في ضرورة الحصول على ما فازوا به .

وإني أريد أن أذكر هذه الحقيقة لأنها من أقوى الأدلة التي تبرهن لنا عن ميل الشعوب وخاصة الفرس ، إلى نسبة الحكايات الشهيرة والأشعار الجيلة والأقوال المأثورة والحوادث الرائعة ، إلى الأشخاص المعروفين المشهورين ، ومن أجل ذلك ، وكما أشرت سابقاً ، نسبوا طائفة كبيرة من رباعيات الشعراء للعمورين إلى « عمر الحيام » ؛ ومن أجل ذلك أيضاً سئى أنهم يحكون جملة من الحكايات عن « ناصر خسرو » و « الحسن بن الصباح » لم تكن في الحقيقة مما يتصل بهما ولكنهم اقتبسوها من سير أناس مغمورين غير معروفين .

موت ملكشاه :

لم يعش « ملكشاه » أكثر من شهر واحد بعد مقتل وزيره الذي جازاه جزاء سنار ، فبعد أقل من ثلاثة أسابيع من موت « نظام الملك » ، خرج « ملكشاه » في السادس من نوفمبر سنة ۱۰۹۳ = ۴۸۵ هـ للصيد فأصابه برد أو أكل طعاماً لم يناسبه فجموه لعله يبرأ من علته ، ولكن الحمى لازمته حتى مات بعلته في التاسع عشر من شهر نوفمبر (الثالث من شوال) ، فرتاه الشاعر « معزى » بهذين البيتين المعروفين :

رفت در يك مه بهردوس برين دستور پير

شاه برنا در پی او رفت در ماه دگر

ای دریا آنچنان شاهی ووزیری اینچنین

قهر یزدانی به بین و عجز سلطانی نگر (۱)

(۱) انظر « تذكرة الشعراء » ص ۶۰

ومعناها :

— في شهر ... ذهب الوزير العجوز إلى جنة الخلد والمآب ..

وفي الشهر التالي تبعه الملك مكتمل النضرة والشباب

— فواحزنا ... على الملك ... وبأ أسفا على هذا الوزير

وباعجباً ... لعجز السلطان وقهر الله وسطوة القادير .. !!

و « معزى » هو أيضاً نفس الشاعر الذى قال الرباعية الآتية عند عزل « نظام الملك » وتولية خصمه « تاج الملك » فى مكانه :

نشأخت مملك سعادت اختر خويش در منقبت وزير خدمت گر خويش
بگماشت بلاى تاج بر لشكر خويش تا در سر تاج كرد تاج سر خويش (١)

ومعناها :

— لم يستطع الملك أن يقدر ما لنجمه من سعد كامل

عندما أعطاه الله وزيراً خدوماً ، يمتاز بكثير من الفضائل

— فوكل على عسكره «تاج الملك» فما زال يحب عليهم بلاءه

حتى جعل الملك تاجه على رأس «تاج الملك»...!!

وقد ذكر صاحب «راحة الصدور» أن ولادة ملكشاه كانت فى سنة ٤٤٥ = ١٠٥٣م ؛
أما «ابن الأثير» فقد جعلها بعد ذلك بستين ، وفى كلتا الحالين لم يبلغ ملكشاه الأربعين
من عمره عند وفاته .

قصة نظام الملك والصباح والخباص :

تحدثنا إلى الآن عن « نظام الملك » ذا كرين الأخبار التى رواها عنه أقدم المؤرخين
وأصدقهم ، ولكن هناك جملة من الأفاصيح التى تتصل به ، أشار إليها « ابن الأثير »
فى تاريخه ، ونال بعضها كثيراً من الشهره وبعد الصيت ، وأصبحت فى العصور الأخيرة

(١) انظر « تذكرة الشعراء » ص ٥٩ .

موضع الثقة والتصديق في البلاد الآسيوية والأوروبية بحيث نجد من العسير علينا أن نتغاضى عن ذكرها في كتاب مثل كتابنا هذا . وأروع هذه القصص وأكثرها ذبوعاً . هي القصة (١) التي تربط بينه وبين الرجل الرهيب «الحسن بن الصباح» ، مؤسس «الدعوة الجديدة» الذي أجمعت الأدلة على أنه كان على صلة بمقتله فيما بعد . وهذه القصة يعرفها كل المعجبين بـ «عمر الحيام» ورباعياته (٢) وهي تشتغل على كثير من المصائب التصلة بالتواريخ المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها ، لأن أهم المصادر التي ذكرتها هي «الوصايا» التي ينسبونها إلى «نظام الملك» وقد ثبت قطعاً أنها منتحلة عليه (٣) ؛ ومن أجل ذلك فإن كبار النقاد لم يترددوا في رفض هذه الرواية التي تفترض أن رجلين من أشهر الرجال «الحسن بن الصباح» و «عمر الحيام» [وقد ماتا في سن غير معلومة فيما بين سنتي ٥١٧ و ٥١٨ هـ = ١١٢٣ و ١١٢٤ م] كانا من زملاء «نظام الملك» في الدراسة أيام الشباب . والمعروف عن «نظام الملك» أنه ولد في سنة ٤٠٨ هـ = ١٠١٧ م وعلى ذلك فليس من اليسير أن نتوقع أن هذين الشخصين بالذات يعيشان إلى أن يبلغا المائة من العمر ؛ حتى لو فرضنا احتمال ذلك لكانا أصغر سناً بكثير من «نظام الملك» الذي يبدو أنه فرغ من دراسته وتحصيله والتحق بالخدمة العامة في سن مبكرة صغيرة (٤) . وقد أثار هذا الاعتراض بشدة الأستاذ «هوتسما» في مقدمته على «البنديري» وهو يرى في دقة ورجحان ، أن «نظام الملك» لم يكن زميلاً في الدراسة للشاعر النجم وصاحبه شيخ الحشاشين ، بل كان زميلهما في الحقيقة هو «انو شيروان بن خالد»

(١) انظر «ابن الأثير» وغيره من الكتب والمصادر وكذلك «البنديري» ص ٦٧ .
(٢) هذه القصة المذكورة في مقدمة الطبقات المختلفة لترجمة «فيتزجيرالد» للرباعيات ، وكذلك ذكرها «هوينفلد» في طبعته للرباعيات وترجمتها .

(٣) ذكر «إتبه» في مقاله عن الأدب الفارسي الحديث (بالجزء الثاني من المنصل في الدراسات اللغوية الإيرانية ص ٣٤٨) أن كتاب «الوصايا» يرجع تأليفه إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي ولكنه مع ذلك يرى أن أصوله ترجع إلى زمن أسبق من ذلك . ومن هنا نجد أن «إتبه» يعطيه شيئاً من الأهمية على عكس «ريو» . انظر كتالوج المخطوطات الفارسية ص ٤٤٦ .

(٤) هناك من الأدلة ما يرجح أن نظام الملك تعرف بالحسن بن الصباح قبل ذهاب الأخير إلى مصر انظر «ابن الأثير» تحت سنة ٤٩٤ هـ ج . ص ١١٠ .

الوزير اللاحق الذي وزر للأمير السلجوقي «محمود بن محمد بن ملكشاه» الذي حكم فيما بين سنتي ١١١٧ و ١١٣١ م = ٥١١ و ٥٢٦ هـ. وقد أشار هذا الوزير في تاريخه^(١)، عند حديثه عن نشأة الحشاشين أو الملاحدة، إلى أنه تعرف في شبابه بجماعة من قاداتهم، وتلقى العلم على بعضهم «وخاصة رجل من الري جاب العمورة وطوف في آفاقها وكان يشتغل بالكتابة والإنشاء». ولن تردى في خطأ إذا قدرنا أن هذا الرجل الذي أشار إليه «أنوشيروان» في هذه العبارة إنعامه «الحسن بن الصباح» بعينه. وإذ اصح هذا الفرض العقري، فلدينا مثل آخر لتلك الظاهرة التي تحدثنا عنها أكثر من مرة، والتي تحدو الناس إلى نسبة الحوادث الرائعة إلى الرجال المتأزبن المعروفين. والتواريخ في هذه الحالة الأخيرة لا تتعارض مع بعضها بل تتفق كثيراً فيما بينها، فقد ورد في كتاب «عيون الأخبار»^(٢) أن «أبا نصر أنوشيروان بن خالد بن محمد الكاشاني» ولد في مدينة الري (وبها ولد الحسن بن الصباح) في سنة ٤٥٩ هـ = ١٠٦٦ م وأنه تولى الوزارة للأمير السلجوقي محمود، وكان في رفته إلى بغداد في سنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م، ثم تولى الوزارة بعد ذلك للخليفة المسترشد فيما بين سنتي ٥٢٦ و ٥٢٨ هـ = ١١٣١ و ١١٣٣ م، وتوفي في سنة ٥٣٢ أو ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ أو ١١٣٩ م. وعلى هذا فمن المحتمل كإستفاد من عبارته أنه هو الوزير الذي كان زميلاً في الدرس لمواطنه الخطير «الحسن بن الصباح» ومع ذلك فهذه القصة التي درسناها تستند في الحقيقة إلى مصدر آخر موثوق به، يسبق جميع هذه المصادر المتأخرة التي ذكرتها من قبيل «الوصايا» و«روضة الصفا» و«تاريخ أئمة». وقد ذكرت ذلك في مقالتي التي نشرتها في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بعنوان «أضواء أخرى تكشف عن الحيام»^(٣) وقات أن هذه القصة بينهما قد أوردتها المؤرخ الك. رشيد الدين فضل الله «التوفي سنة ١٣١٨ م = ٥٧١٨ هـ في

(١) هذا التاريخ هو الأساس الذي اعتمد عليه «البندياري» في كتابه؛ انظر ص ٦٦-٦٧.

(٢) انظر مخطوطة كامبردج رقم Add. 2.022 من (١٦٦ - ١) ولم يكن «هوناما» يعرف

بأمر هذه المخطوطة فقال: إن تاريخ ولادته غير معلوم.

(٣) انظر عدد ابريل سنة ١٨٩٩ من ٤٠٩ - ٤٢٠.

كتابه القيم « جامع التواريخ » وقد نقلت عن هذا الكتاب (١) نص هذه القصة ونشرته هو وترجمته في مقالتي التي ذكرتها آنفا . والمصدر الذي ينسب إليه رشيد الدين هذه القصة هو كتاب من كتب الإسماعلية اسمه « سرگذشت سيدنا » أو « سيرة سيدنا » وهو كتاب عن تاريخ « الحسن بن الصباح » كان بين كتب اللاحدة التي وجدت في قلعة الحشاشين الحصينة « ألمات » عند ما استولت عليها جيوش « هولاء كوخان » المغولية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وقد رآه وخص مشتملاته « عطا ملك الجويني » كما حدثنا بذلك في كتابه تاريخ « جهان گشا » (أو تاريخ قابع العالم ويقصد به چنگيزخان) ، قبل أن يلقى به بعد ذلك في النار لنتيمه مع سائر الكتب التي اشتملت على تعاليم الإلحاد والملاحدة . وما يشير الدهشة حقا أن صاحب « جهان گشا » قد اعتمد على هذه السيرة كثيرا في كتابة الجزء الخاص بالإسماعلية أو « الحشاشين » ، وهو الموجود في الجزء الثالث والأخير من تاريخه الكبير عن غزوة القوقاز ، ولكنه مع ذلك لا يشير إلى هذه القصة العجيبة على الإطلاق .

نُتَاءُ الْحَشَّاشِينَ :

وللحشاشين مكان الصدارة في تاريخ هذا العصر وتاريخ القرنين التاليين له ، وقد استطاعوا بواسطة الأعمال التي قام بها فرعهم الشامي أيام الحروب الصليبية أن يجعلوا اسمهم مرهوبا في أوروبا حتى لنجد لزاما علينا في هذا المقام أن نقص الحديث عن نشأتهم وعن معتقداتهم حتى نيسر للقارئ فهم الإشارات الكثيرة التي تشير إليهم فيما يلي من فصول . وقد درست بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب (٢) مذهب الشيعة ونشأتهم وتعاليمهم ؛ كما درست الشعبتين الهامتين اللتين ينقسم إليهما هذا المذهب وهما فريق « السبعية » أو الإسماعلية ، وفريق « الاثني عشرية » ومذهبهم

(١) نص هذه القصة وارد في الورقة ٢٩٢ ب في مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add7,628
 (٢) انظر « تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى زمن الفردوسي » ص ٢٢٠ — ٢٤٧ و ٢٩٥ — ٣١٠ وما يتبعها (من الأصل الإنجليزي) ، وعلى الأخص الفصل الثاني عشر عن الإسماعلية والقرامطة أو فريق السبعية

هو المذهب الرسمي لإيران في الوقت الحاضر . ولا شك أن إعادة مختصرة لما ذكرته من حقائق في الجزء السابق ستكون كبيرة الفائدة للقارئ الذي ليس في متناوله الآن الحصول على ذلك الجزء .

السبعة :

كلمة « شيعية » بمعنى جماعة أو حزب ، و « شيعية علي » بمعنى جماعته أو حزبه . و « علي » هو ابن عم الرسول ، وزوج ابنته ، ووالد الحسن والحسين وجد جميع الأئمة الذين يعترف بإمامتهم التشيعيون أو أهل الشيعة . وفي رأى أهل السنة من المسلمين (الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية) أن علياً هو رابع الخلفاء الراشدين وآخرهم . وهو لا يمتاز في شيء عن أسلافه الثلاثة الآخرين (أبي بكر وعمر وعثمان) كما لا يمتازون هم أيضاً عنه في شيء . أما الشيعة فيرون أنه الشخص الوحيد الحقيقي بخلافة الرسول لقربته منه ولزواجه من ابنته ؛ وقد انتقل حقه هذا في الخلافة إلى أبنائه وذريته ؛ وفي بعض الناس منذ أقدم الأزمنة ميل إلى تعظيم «علي» والارتفاع به إلى مراتب الآلهة ، ولإزالة هذا الاعتقاد موجوداً في طائفة كبيرة من الإيرانيين يسمون أنفسهم بـ «العلي إلهيين» وهم يعتقدون - كما تدل على ذلك تسميتهم - بأن علياً ماهو إلا تجسيد لله

ومنذ أقدم الأزمنة أيضاً ، والفرس يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق الإلهي ، ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخات الشعبي الديموقراطي التي تستولى على طبيعة العرب ومشاعرهم ، ومن أجل ذلك فقد كان طبيعياً أن يصبح الفرس عماد الحزب الشيعي ؛ وهم يعتقدون في أن والدة الإمام الرابع «علي زين العابدين» كانت أميرة من أمراء البيت الملكي الساساني . ولا شك أن هذا المعتقد كان من أقوى العوامل التي دفعتهم إلى أخذ البيعة لهذا الإمام ولأعقابه من بعده .

والشيعة يتفقون في أن علياً وأعقابه هم الخلفاء الوحيدون للرسول ، وهم الناشرون لدينه وتعاليمه ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم في عدد الأئمة وأسمائهم ، ففريق «السبعية» وفريق «الإثني عشرية» (وهما أهم فرقتين من فرق الشيعة نهم بهما في هذا البحث) يتفقان في تسلسل الأئمة حتى الإمام السادس «جعفر الصادق» ثم يفرقان

بعد ذلك ، يرى فريق « السبعية » أن الامام السابع والأخير هو ابنه الأكبر « إسماعيل » بينما يرى فريق « الاثني عشرية » أن الإمام الذي أعقب الإمام السادس هو ابنه الأصغر « موسى » ثم أعقبه حتى الإمام الثاني عشر أو « المهدي » الذي قالوا عنه أنه اختفى من الأرض عند « سر من رأى » في سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م وأنه سيخرج من عزله في نهاية الزمان فيملأ الأرض عدلاً وإحساناً بعد امتلائها بالظلم والعدوان ؛ ولا زال متشعبة الفرس إذا ذكروه في أحاديثهم يتبعون عبارتهم بالدعاء له قائلين : « رد الله غربته ومجبل عودته ورجعته !!... » .

المعتدلو والفتلة :

ومعتدلو الشيعة قصبوا معتدلم على أن علياً وذريته هم أولى الناس بخلافة النبي ورئاسة المسلمين ، ومن أجل ذلك قصبوا كانوا مكروهين سياسياً من خلفاء دمشق وبغداد ، لأنهم كانوا في نظرهم معتصمين للخلافة ؛ يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يختلفون كثيراً مع أهل السنة فيما يتعلق بعدد من المسائل الفقهية الأخرى . وإلى هؤلاء المعتدلين تشير كتب التراجم والتاريخ التي كتبها رجال من أهل السنة بالعبارة التي تصادفنا كثيراً وهي : « تشيع وحسن تشيعه » أي أنه كان من المعتدلين في آرائهم ومعتقداتهم . ولكن إلى جانب هؤلاء كان فريق آخر من الشيعة يعرفون بـ « الفتلة » ثم يكتفوا بأن يعتقدوا أن علياً والأئمة قد تجسد الله فيهم ، ولكنهم تعدوا ذلك إلى الاعتقاد في طائفة من المذاهب الأخرى كالرجعة والحلول وما شابه ذلك من الآراء التي تخالف تعاليم الإسلام تمام المخالفة ؛ وقد انطوت الأثرية من هؤلاء الفتلة تحت واء « السبعية » أو شيعة الإمام السابع « إسماعيل » .

الاسماعيلية :

وأهمية الإسماعيليين السياسية بدأت في الظهور في القرن العاشر الميلادي (= الثالث الهجري) بتأسيس الدولة الفاطمية التي سميت كذلك ، كما يقول مؤلف « جامع التواريخ » لاستناد خلفائهم فيما ادعوه من سلطنة زمنية وروحية إلى نبل أصلهم وتسلسلهم من « فاطمة » بنت النبي ، ومن أجل فقد عرفوا بأسماء مختلفة تتساوى

في مدلولاتها . فهم «علويون» نسبة إلى علي ، وهم «فاطميون» نسبة إلى فاطمة ، وهم «إسماعيليون» نسبة إلى الإمام السابع إسماعيل ؛ ومع ذلك فإن سلسلة النسب التي أرادوا أن يستندوا إليها في إثبات دعواهم العريضة كانت محللا لاعتراض خصومهم من الخلفاء العباسيين ، وقد طعنوا فيها مراراً في سنة ٤٠٢ هـ = ١٠١٠ م وفي سنة ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م وأغلظوا أنهم في الحقيقة من ذرية الملحد الفارسي «عبد الله بن ميمون القداح»^(١) الذي رأى في فريق الإسماعيلية الذي ظل مسالماً حتى ذلك الوقت ، وسيلة صالحة لتشر تعاليمه الباطنية وآرائه المتطرفة ، لكي يتسنى له بذلك الوصول إلى غاياته السياسية ومطامعه الدينية .

الدولة الفاطمية

والدولة الفاطمية التي نشأت في شمال إفريقيا ومصر ، تحقق وجودها السياسي التي حافظت عليه^(٢) ، بواسطة نشر الدعوة الدينية في سائر ديار الإسلام وخاصة إيران . على يد جماعة من أمهر «الدعاة» الذين كانت لهم خبرة عميقة بالفوس البشرية وبالأساليب التي يمكن بواسطتها إغراء العقول المختلفة باعتماد مذاهبهم الغريبة . وإذا شئنا المقابلة بين هؤلاء الدعاة وأمثالهم من الأوروبيين أمكننا أن نشبههم بجماعة «الجزويت» كما أمكننا أن نشبه رؤساءهم من الإسماعيليين بفريق «البابوات السود» الذين نشأوا في المشرق في هذا العصر . وكان من دأب الدعاة أن ينشروا «تعاليمهم» بأي وسيلة رونها صالحة للوصول إلى أغراضهم . وهم يجعلون «التعليم» مبنياً على تفسير الآيات القرآنية بطريق «التأويل» ويؤكدون أن أئمتهم دون غيرهم هم الحفظة والوارثون لهذه التأويلات ، ومن أجل ذلك فقد أسموهم أحياناً بـ «التعليميين» كما كانت تعاليمهم «باطنية» فأسموهم أيضاً بـ «الباطنيين» ، حتى إذا تأسست «الدعوة الجديدة» عرفوا بعدها على الخصوص باسم «الملاحدة» .

(١) مات عبدالله بن ميمون القداح في سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م وهي نفس السنة التي اختفى فيها الإمام الثاني عشر .
 (٢) استمرت هذه الدولة من سنة ٩٠٩ م إلى ١١٧١ م = ٢٩٧ هـ إلى ٥٦٧ هـ فلما كان الخليفة الفاطمي الرابع عشر تغلب عليه «صلاح الدين» واستولى منه على عرش مصر .

مذهب الإسماعيلية

ومذهب الإسماعيلية مذهب فذ معقد ، وقد تحدثت عنه في شيء من التفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وحسبي أن أذكر هنا أنه يمتاز بغنى في مراجعه ومصادره ، وقد أورد الكثير منها في دقة وتخصيص «دى ساسي»^(١) و«جويارد»^(٢) و«دى جويه»^(٣) في مؤلفاتهم القيمة الفائقة ، ولكن لازالت بقية منها لم تطبع حتى الآن^(٤) موجودة في تاريخ «جهان گشا» و«جامع التواريخ»

العدد سبعة في مذهب الإسماعيلية :

ومذهبهم في جملته فلسفي باطني ، قد استمد كثيرا من أسسه من المذاهب الإيرانية والسيامية القديمة ، كما تطرقت إليه بعض تعاليم «الأفلاطونية الحديثة» و«القيثاغورية الحديثة» وهو مبني في كل تفاصيله على العدد الحفي «سبعة» ؛ فهناك سبع فترات في فترات الأنبياء والرسول (آدم ، نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، محمد بن اسماعيل) وكل واحد من هؤلاء الأنبياء السبعة أعقبه سبعة من الأئمة ؛ وأول كل سبعة من هؤلاء الأئمة هو الإمام الصادق وهو «صامت» ولكنه «ناطق» و«رئيس» و«أساس» و«أصل» أو «أس» ؛ وآخر كل سبعة من هؤلاء الأئمة يعقبه اثني عشر «تقيا» ، تنهى الفترة النبوية بالآخر منهم لتبدأ بعدها فترة نبوية أخرى . فالفترة النبوية السادسة التي بدأت بـ «محمد» قد بلغت نهايتها على يد الإمام السابع «اسماعيل» وتقبائه ؛ وبدأت بعد ذلك الفترة النبوية السابعة على يد «محمد بن اسماعيل» انتهى ادعى الخليفة الفاطمي الأول «عبيد الله المهدي» بأنه من حشدته وسلالته

(١) أنظر De sacy: Exposé de la Religion des Druzes (Paris, 1838)

(٢) أنظر Guyard ; Fragments Relatifs à la Doctrine des Ismailis

(Paris, 1874.); Un Grand Maître des Assassins (Paris, 1877)

(٣) أنظر De Goeje : Memoires sur les Carmathes du Bahraïn

et les Fatimide (Leyden . 1886)

(٤) المترجم : نشر أخيراً الجزء الثالث من تاريخ «جهان گشا» ضمن سلسلة جب التذكارية وهو الجزء الذي يتضمن تاريخ الإسماعيلية وتم بذلك طبع هذا الكتاب برتمه .

وهذه الفترات النبوية السبع ، تقابل ، من ناحية ، مراتب الوجود الخمس (١) التي إذا اضيف إليها «الله» و «الإنسان» تكونت منهم أجمعين «طبقات الكون السبع» ؛ وهي ، من ناحية أخرى ، تمثل «المقامات السبع» التي يجب على «المريد» أو العضو الجديد أن يجتازها حتى يصل إلى لب المذهب وقرارته . (١) . وكل هذه المراسم الدينية أو الظواهر الكونية ماهي في الحقيقة إلا تمثيل لهذه الحفايا الباطنية التي هي مظهر ديني رائع يجده رجل العلم والباحث المدقق خلوا من كل معنى ومنطق ، ولكنه لدى أتباعه ومعتقديه مشحون بمفاتيح الجمال والسحر العجيب . وقد ذكر لنا «دى ساسي» في أبحاثه أن أول ما كان يهتم به «الداعي» في دعوته هو أن يشر التساؤل وحب الاستطلاع في نفس العضو الجديد فيجعله يتساءل عن الدلالات الباطنية لكل ما يعترضه من أمور ؛ وكان الداعي يصل إلى ذلك بأن يوجه إليه أسئلة على النمط الآتي . . . !

— لماذا خلق الله الكون في سبعة أيام .. ؟

— لماذا خلق الله سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبع بحار ، ولماذا جعل «فانحة» القرآن من سبع آيات . . . ؟

— لماذا كان العمود الفقري يشتمل على سبع فقرات في العنق ، واثنى عشرة فقرة في الظهر (٢) .

أما اعتراض المعارضين بأن الأنبياء الذين ذكروهم «الإسماعيلية» لم يعلموا مثل هذا المذهب ولا أي مذهب آخر قريب منه ، فقد أجابوا عليه بأن الحكمة الإلهية قد اقتضت عند ظهور النبي محمد أن تخفى تعاليم مذهبهم ، فلا يكشف عنها إلا بعد موته .

(١) هذه المراتب مع ما يكشف فيها من تعاليم المذهب مشروحة بالتفصيل في كتاب «دى ساسي» ج ١ ص ٧٤ - ١٣٨ ، وقد ذكرتها في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤١١ - ٤١٥ .

(٢) فقرات العنق تمثل الأئمة السبع الذين يحملون الرأس في كل فترة من الفترات ، ويعينهم على ذلك النقباء الاثني عشر .

وكان الغرض الأساسى الذى يهدف إليه الداعى الإسماعيلى هو أن يغرى المرید بأن يقسم بين البيعة له وللإمام الذى يمثله ، وأن يؤيد ذلك بدفع إتاوة تؤخذ لحساب الإمام ، دليلاً على طاعة المرید له ، ومساهمة منه فى تعضيد المذهب الذى انتسب إليه .

المستنصر :

فى هذه الفترة التى تتحدث عنها فى هذا الفصل كان المستنصر (أبو تميم معد) الخليفة الفاطمى الثانى الذى ولى الحكم من سنة ١٠٣٥ إلى ١٠٩٤ م = ٤٢٧ إلى ٥٤٨ هـ ، هو الرئيس الأعلى للإسماعيليين ، ولم يلبث أن مات حتى تنافس ابنه « المستعلى » و « نزار » فى وراثته مما أدى إلى انقسام الإسماعيلية إلى فريقين متنازعين ، أحدهما غرنى انضم إليه أهل مصر والشام وشماع أفريقيا ، والآخرون انضموا إليه أهل إيران وما زال يمتد حتى شمل الشام فيما بعد ، ويتكون منه جماعة « الحشاشين » المعروفين .

وقد سبق « المستنصر » إلى الخلافة الفاطمية ، الخليفة المشرك فى جنونه « الحاكم بأمر الله » وقد حكم مدة من ازمان امتازت بالجنون والظلم ثم انتهت بادعائه الألوهية واختفائه ذلك الاختفاء الذى لا شك فى أنه قتل فيه على يد واحد من ضحاياه المظلومين الذين غاظهم جورده واحتقرهم غلظته ، ومع ذلك فإن جماعة من أتباعه المبعين به وهم أجداد الدروز الموجودين فى سوريا فى الوقت الحاضر ، يعتقدون أن اختفائه ما هو إلا انسحاب واحتجاب عن نظرات العيون التى لا تستحق أن تتمتع بطلعه المقدسة (١) .

وقد زال الاضطراب الذى وقع إثر هذه الحادثة بعد ما تولى « المستنصر » العرش فى سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ ؛ واستمر حكمه مدة طويلة بلغت ستين سنة تقريباً ،

(١) يذكر ابن الأثير تحت سنة ٤٣٤ هـ أن واحداً من الأعداء ظهر فى القاهرة وأعلن أنه « الحاكم » وأنه عاد على ظهر الأرض ، وقد استطاع هذا اللدعى أن يجمع حوله كثيراً من الخلق وهجروا وهو على رأسهم على قصر المستنصر ولكنهم سرعان ما قبضوا عليه وصلبوه هو وجماعة من أتباعه ثم ألغوا عليه وإبلا من السهام حتى مات وكان اسمه « سكين » .

يمكن أن تعتبر بحق الأوج الذي وصلت إليه عظمة الإسماعيلية أو الدولة الفاطمية؛ فقد امتد ملكهم، رغم الحسارة التي حاقت بهم في مراکش والجزائر وتونس، إلى شمال أفريقيا ومصر وصقلية ومالطة وأجزاء مختلفة من الشام وآسيا الصغرى وشواطئ البحر الأحمر، ثم لم يلبث أهل «واسط» طويلاً حتى انترفوا في سنة ١٠٥٦ م = ٤٤٨ هـ بالمستنصر الفاطمي خليفة عليهم، ولم تفض على ذلك سنتان حتى تبعهم أهل بغداد، ولقد فقد المستنصر ولاء أهل مكة والمدينة فترة من الوقت (من ١٠٧٠ - ١٠٧١ م = ٤٦٣ - ٤٦٤ هـ) ولكنه سرعان ما استعادها في سنة ١٠٧٥ م = ٤٦٨ هـ، وفي هذه السنة نفسها فقد سلطانه على مدينة دمشق ولكن جيوشه سرعان ما عوضوا هذه الحسارة باحتلال صور وصيدا وعكا في سنة ١٠٨٩ م = ٤٨٢ هـ.

ناصر خسرو:

وقد ترك لنا واحد من أعجب الرجال وأنبئهم ممن أخرجهم إيران ولن يجرد الزمان بمثلهم، وأغنى به الشاعر الرحالة والداعى الإسماعيلي «ناصر خسرو» الملقب بين أتباعه بـ «حجة خراسان»، ترك لنا وصفاً رائعاً لما لقصر المستنصر. والحكمة الحازم العادل، وللأمن والرفاهية اللذين عاشت فيهما الرعية؛ وقد ذكر اسم «ناصر خسرو» في موضعين من «جامع التواريخ»^(١) مقترناً باسم خليفته الذي أنقذه في منطقة نهوده^(٢) «الحسن بن الصباح». فأما أولى هذه القطع فترجمتها كما يلي:

«وسمع ناصر خسرو بعيت المستنصر وشهرته فأنى من خراسان إلى مصر»^(٣) وأقام بها سبع سنوات^(٤) وكان يؤدي فريضة الحج في كل سنة ثم يعود إلى مصر. وجاء بعد الحجة السابعة إلى مدينة البصرة^(٥) وخرج منها إلى خراسان، حيث أخذ

(١) في الورقة ٢٨٦. ١. والورقة ٢٩٠. ١ من مخطوطة المتحف البريطاني الرقمة Add7,628

(٢) كان الإسماعيلي يسون المنطقة التي يث فيها الداعى دعايته باسم «البحر».

(٣) أتى إلى مصر في أغسطس سنة ١٠٤٧ م = ٤٣٩ هـ كما يتفاد من كتابه «سفرنامه»

(٤) لم يتم «ناصر خسرو» في مصر إلا أربعة سنوات ونصف السنة، ولكنه حج إلى مكة

سبع مرات وقد غاب عن دياره سبعة أعوام هجرية بالضبط (من جاد الآخر سنة ٤٣٧ هـ

إلى جاد الآخر سنة ٤٤٤ هـ = يناير سنة ١٠٤٦ م إلى أكتوبر سنة ١٠٥٢ م).

(٥) كان ذلك في شعبان سنة ٤٤٣ هـ = ديسمبر سنة ١٠٥١ م

يقوم في بلخ بالدعاية للعلويين الذين في مصر^(٢)، وقد حاول خصومه قتله فهرب منهم إلى مرتفعات «سنگان» حيث بقي عشرين سنة يقتات بالعشب والماء، وخرج الحسن بن الصباح الحميري اليمني^(٢) من إيران وذهب إلى المستنصر بالله^(٣) وقد استخفى في نيب نجار ثم استأذنه في الدعاية له في الأراضي الإيرانية فإذن له المستنصر بذلك، وانتهز الحسن بن الصباح فرصة وسأله سرّاً عن الشخص الذي تكون له الدعاية بعد موته، فأجابه: لابني الأكبر نزار. ومن أجل ذلك فإن الإسماعيلية [في إيران] يعترفون بالإمامة لـ «نزار»^(٤)، وقد اختار سيدنا [أي الحسن بن الصباح] أن يقوم بالدعاية له في قلاع قهستان...»

الحسن بن الصباح

أما القطعة الثانية فطويلة جداً، ولا لزوم لترجمتها كاملة في هذا المكان. وهي مروية على أنها من أقوال «الحسن بن الصباح» نفسه التي ذكرها في كتاب «سر گذشته سيدنا»، وقد جاء فيها أن اسمه الكامل هو «الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري» ولكنه لم يسمح لأتباعه بتسجيل نسبه وقال لهم: «إني أفضل أن أكون الخادم المختار للإمام عن أن أكون ابنه الذي لا خير فيه». أما والده فقد جاء من الكوفة إلى مدينة «قم» وهناك ولد له «الحسن» ولما بلغ السابعة من عمره شغف شغفاً شديداً بالدراسة والتحصيل، حتى إذا بلغ السابعة عشرة من عمره كان قد استوعب جميع ما درسه وقرأه في استغراق ونهم.

(١) يقصد بهم الخلفاء الفاطميين.

(٢) ادعى أنه من سلالة ملوك اليمن الحميريين، وهو مولود في مدينة «الري» بالقرب من طهران الحالية، وربما جاء أجداده إلى إيران قبل ذلك بقرون عديدة. أما «جامع التواريخ» فيذكر أن أباه جاء إلى إيران من الكوفة، وأنه هو نفسه ولد في مدينة «قم». (٣) كان ذلك في سنة ٤٧٩ هـ وفقاً لابن الأثير (ج ٩ ص ١٥٤ تحت سنة ٤٢٧ هـ) أما «جامع التواريخ» فيقول إنه جاء إلى مصر في يوم الأربعاء ١٨ صفر سنة ١٧٠ هـ (انظر الورقة ٢٩٠ ب) (٤) أما الإسماعيلية في مصر فقد اعترفوا بإمامة السعدي، ويمثل المستعدين الآن في المنسدة جماعة اليهودية (البحره) وأما الزارية فيمثلهم فيها الآن أتباع «أغا خان».

وكان إلى ذلك الوقت كأييه من أتباع « الإثنى عشرية » ولكنه سرعان ما وقع تحت تأثير واحد من الدعاة الفاطميين اسمه الأمير «ضراب»؛ [وقد سبق هذا الاسم في النص الكلمات : « ناصر خسرو حجة خراسان »^(١) . مع عبارة أن الدعوة لم تصادف رواجاً على عهد السلطان محمود الغزنوي^(٢) ، ولكن أناساً كثيرين في إيران قد اعتنقوا المذهب الإسماعيلي من قبل مثل « أبي علي بن سيمجور » والأمير الساماني « نصر بن أحمد »^(٣)]. وتناقش « الحسن بن الصباح » كثيراً مع الأمير «ضراب» غير أنه لم يقتنع بآرائه . ولكن حدث في هذه الأثناء أن مرض « الحسن » مرضاً شديداً ، لم يكن يرجو الشفاء منه ، فكان ذلك المرض سبباً في ميله إلى مذهب الإسماعيلية ، فلما شفي منه أخذ يبحث عن دعاة إسماعيليين آخرين مثل « أبي النجم البسراج » وشخص آخر يدعى « المؤمن » كان موكلاً بالدعوة من قبل الشيخ « أحمد بن عبد الملك بن العطاش » وكان من أهم دعاة الإسماعيلية في إيران كما ذكر ذلك البنداري^(٤) وابن الأثير^(٥) ، وقد انتهى أمر هذا الرجل بالقبض عليه وصلبه عندما تم الاستيلاء على

(١) النص هنا مضطرب وغير ظاهر ، ولست أدري هل المقصود بذلك إن كلمة « ناصر » سبقتها عبارة « تحت تأثير » أو كلمة « كان » . ويخيل لي أن العبارة الأولى هي الأقرب إلى الاحتمال لأن « ناصر خسرو » رجع إلى إيران سنة ١٠٥٢ م = ٤٤٤ هـ ونحن نعلم من ابن الأثير (ج ١٠ ص ١١٠) أن الحسن بن الصباح كان متهماً بالتردد على مجالس « الدعاة المصريين » في مدينة الري ، وأنه اضطر في ذلك الوقت إلى الهرب منها ، ومن الجائز جداً أنه تقابل مع ناصر خسرو هناك . ولقد يواعدنا على فهم ذلك ما كان يحدث مع البساية في الأزمان الأخيرة ، فقد كان العضو الجديد التاسع لهذا المذهب يقدم إلى واحد من أشهر الدعاة وأقربهم ليكون موقفاً من مركز الحركة للتبشير بين أتباعها في إيران .

(٢) يروي العتيبي في تاريخه (طبع القاهرة ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٥١ ، أن أحمد الدعاة الفاطميين واسمه « الناهرتي » - نسبة إلى مدينة ناهرت في مراكنش - جاء إلى السلطان محمود في سنة ١٠٠٣ هـ = ١٠٠٣ م

(٣) يروي « نظام الملك » في كتابه « سياست نامه » (طبع شيفر ص ١٨٨ - ١٩٣) أن الأمير الساماني نصر الثاني كان باطنياً أي إسماعيلياً ، ويذكر لنا كيف أدى إلحاده إلى ضياع ملكه وحياته . انظر كذلك الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٥٥ ؛ (من الأصل الإنجليزي) .

(٤) أسماء البنداري في ص ٩٠ و ٩٢ برئيس الباطنية .

(٥) انظر ج ١٠ ص ١٩ - ١١٠ حيث ذكر المؤلف أن الباطنية توجهت بتاج من الذهب ، وقد ورد ذكر الحسن في الصباح على أنه واحد من تلاميذه .

حسن الإسماعيلية النيسب السمي «شاه دژ» أو «دژ كوه» حوالي سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م. وقد تمكن «مؤمن» بنىء من الحيلة والدهاء أن يأخذ البيعة من الحسن بن الصباح للخليفة الفاطمي، وكان ابن العطاش يقوم بالدعوة في أصفهان وآذربيجان فجاء في رمضان سنة ٤٦٤ هـ (= مايو سنة ١٠٧٢ م) إلى مدينة الري حيث قدموا إليه «الحسن بن الصباح»، فأعجب به كثيراً، وأمره بالمسير إلى مصر وقصد عاصمة الخلفاء الفاطميين. وخرج الحسن بناء على ذلك، إلى مدينة إصفهان في سنة ٤٦٧ هـ = ١٠٧٤ م فأقام بها سنتين يشتغل بالدعوة وكيل لابن العطاش، ثم خرج منها إلى مصر مجتازا طريق آذربيجان، ميفارقين، الموصل، سنجان، الرجبه، دمشق، صيدا، صور، عكا، ثم ركب البحر إلى مصر فوصلها في الثلاثين من أغسطس سنة ١٠٧٨ م = ٤٧١ هـ، واستقبله داعي الدعوة «أبو داؤود» استقبالا حافلا شاركه فيه جماعة من النبلاء والأعيان، وسرعان ما شمله المستنصر رضاه وأغدق عليه نعمه، ولكنه مع ذلك لم يتمكن من الثول بين يديه ورؤيته رأى العين، وإن كان قد أقام بالفاهرة ثمانية عشر شهراً كاملاً، وكثرت دسائس «المستعلي» وأعدائه وخاصة قائد الجيش «بدر» للحسن بن الصباح، فاضطر إلى مغادرة مصر وركب السفينة من الإسكندرية في شهر رجب سنة ٤٧٢ هـ = يناير سنة ١٠٨٠ م، فما كادت تخرج به حتى تحطمت بالقرب من شواطئ الشام، فألقوه ورجع إلى بلاده مجتازا طريق حلب وبغداد وخوزستان، ووصل في النهاية إلى أصفهان في ذي الحجة سنة ٤٧٣ هـ = يونيو سنة ١٠٨٠ م. ومن ذلك الوقت أخذ يدعو لترار- أكبر أولاد المستنصر- وشملت دعوته يزد وكرمان وطبرستان ودامغان وولايات أخرى من إيران لم يدخل في تعدادها مدينة الري، لأنه كان يتجنبها اتقاء لشر «نظام الملك» الذي كان يتحرق إلى القبض سايه، كما دلت على ذلك أوامره التي أصدرها إلى زوج ابنته «أبي مسلم» حاكم هذه المدينة (١). وتمكن الحسن بن الصباح في النهاية من الوصول إلى «قزوين» واستطلاع بحيلة جريئة وصفها لنا صاحب «تاريخ كزيبده» (٢) من الاستيلاء على الحصن

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١١٠.

(٢) أنظر «تاريخ كزيبده» طبع كاتن ج ١ ص ٤٨٨-٤٩١؛ وكذلك ورقة ٢٩١ - ١

من «جامع التواريخ» .

الجبل النيع «ألموت» واسمه في الأصل مكون من الكاهنتين «آله أموت» ومعناه الصحيح هو «تعليم العقاب» كما أورده ابن الأثير في ص ١١٠ من الجزء العاشر من تاريخه ، وإن كان الأغاب تفسيره خطأ بمعنى «وكر النسر»^١. وقد لاحظ كثير من المؤرخين أن المصادفات العجيبة قد شاءت أن تجعل قيمة الحروف التي يتركب منها اسم هذه القلعة (١ + ٣٠ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣) هو التاريخ الصحيح الذي وقعت فيه هذه القلعة في حوزة الحسن بن الصباح وهو سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م .

وقد تبع سقوط قلعة «ألموت» في أيدي الحسن بن الصباح سقوط كثير من الأماكن الحصينة في قبضته وقبضه أتباعه مثل «شاه دز» و «خالنجان» بالقرب من إصفهان ؛ و «طبس» و «تون» و «فائن» و «زوزان» و «خور» و «خوسف» في قهستان ؛ و «وشمكوه» بالقرب من أهرس ؛ و «استوناوند» في مازندران ؛ و «اردهان» و «گرديكوه» ، و «قلعة الناظر» في خوزستان ؛ و «قائمة الطابور» بالقرب من ارجان ؛ وقائمة «خلائخان» في إقليم فارس .

وكان استيلاء «الحسن بن الصباح» وأتباعه على هذه القلاع والأماكن الحصينة بداية ما نالوه من سلطة سياسية ، فلم يكذب موت «الستنصر» حتى انفضوا أمانها عن الإسماعيلية في مصر ، وأصبحت لهم أغراض أخرى غير أغراض هؤلاء ، لأنهم أخذوا يدافعون عن قنينة «نزار» ضد أخيه المستعلي الثاني خلف المستنصر في الخلافه الفاطمية في القاهرة . ومن أجل ذلك نجد أن كتب التواريخ الفارسية جميعها من قبيل «جامع التواريخ» و «تاريخ كزيبه» تفرد فصولا خاصة «الإسماعيلية في مصر والغرب» ، وفصولا أخرى للإسماعيلية في إيران» وهؤلاء الأخيرون هم أتباع نزار أو «الحشاشون» على حد التسمية التي اشتروا بها .

وقد اختلفوا طويلا في اشتقاق كلمة «الحشاشين» وزعموا أنها مشتقة من أصول

(١) «آله» كلمة فارسية صحيحة موجودة في البهلوية ، وهي بمعنى «نسر» أو «عقاب» و «أموت» هي إحدى اللهجات المحلية في كلمة «آموخت» بمعنى تلمذ ، ولست أذكر أية كلمة فارسية قريبة من هذه الكلمة بمعنى «وكر» أو «عش» .

عجبية غريبة ، فقال بعض الباحثين إنها مسخ للكلمة «الحسنين» أى اتباع الحسن ؛ وقال «كازانيف»^(١) إنها متصلة بالكلمة الإغريقية سكسونيه « Srix » بمعنى «سكين» ؛ وزعم «جبلان»^(٢) إنها مشتقة من كلمة «شاهنشا» بمعنى ملك الملوك ، وحاول آخرون تخريجها مثل هذه التخريجات المستحيلة ، وبقيت الكلمة غامضة حتى استطاع العلامة «سلفستردى ساسى» أن يثبت أن الكلمة التى نقلها الصليبيون إلى أوروبا ومسحوها إلى «أساسينى» أو ماشأبه ذلك من الصور القرية^(٣) ، هى بعينها الكلمة التى أوردتها المؤرخون اليونان بصورة «خزسيوى» وقد ذكرها على وجهها الصحيح الربى بنيامين التيوديل^(٤) فكتبها «حشيشين» وهذه الكلمة تقابل الكلمة العربية «حشيشى» التى تجمع على «حشيشين» و «حشيشية»^(٥) وقد أطلقوها على هذا الفريق من الإسماعيلية لاستعمالهم للمخدر المعروف باسم «الحشيش» وهو ما يعرف لدينا باسم الـ «بنج» أو القنب الهندى . وهذا المخدر قد انتشر استعماله حالياً فى البلاد الإسلامية جميعاً من حدود مراکش إلى أقصى الهند . وقد أشار إليه شعراء من الفرس مثل «جلال الدين الرومى» و «حافظ الشيرازى» مما يدلنا على أنه كان معروفا لدى الإيرانيين منذ القرن الثالث عشر الميلادى على أقل تقدير ، ولكن يظن أن الأسرار المتعلقة بخواصه كانت معروفة فى الوقت الذى نتحدث عنه لعدد قليل جدا من الناس ، ربما لم يتجاوزوا الحسن بن الصباح ونفرا قليلا من أخلص خالصانه ، نذكر منهم على سبيل المثال : الطبيب الذى ذكرناه سابقا باسم «احمد بن عبد الملك بن العطاش» . والمجال لا يسمح لى هنا بالتحدث عن خصائص هذا المخدر وقد ذكرت ذلك بالتفصيل فى مكان آخر^(٦) بينت فيه أنه اقترن بشهرة سيئة فى إيران لم يبلغها غيره من المخدرات

(١) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا : Casaneuve

(٢) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا : Gébelin

(٣) كتبها هكذا assassini أو Assessini أو Assissini أو Heissessini

(٤) يكتب اسمه بالرومانية هكذا : Rabbi Benjamin of Tudela

(٥) لا يستعمل المؤرخون الفرس هذه التسمية إلا نادراً ويذكرونها باسم اللاحدة وقد

استعملها البندارى فى ص ٥٦٩ .

(٦) التيت بحثا عن ذلك فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٧ بعنوان « فصل من تاريخ الحشيش » وقد

نشرته فى عدد مارس سنة ١٨٩٧ م فى «مجلة مستشفى سان بارنابيو» .

كالأفيون ، بحيث لا يكاد يذكر فيها الآن إلا على سبيل المجاز فيشيرون إليه بعبارة «البيغاء الخضراء» أو «الحنمايا الغامضة» أو «السيد» أو ماشابه ذلك من التسميات المجازية ؛ وقد بينت أن سبب ذلك لا يرجع إلى مضاره بقدر ما يرجع إلى اقترانه بهذا الفريق المرعب من الملاحدة . ومن الواجب أن نشير إلى أن «شيخ الجبل» لم يشجع أتباعه على استعمال الحشيش وإدمانه ، لأن إدمانه يؤدي إلى التراخي والإهمال والضعف العقلي ، وكلها صفات تحرم أصحابها من أداء الواجبات الدقيقة التي تلقى على عواتقهم ، ومن أجل ذلك فقد كان استعماله بين هؤلاء القوم مقتصورا على مرتبة واحدة من مراتب الإسماعيلية ودرجاتهم .

مراتب الحُصَّاشِين :

ذكرنا فيما سبق أن فريق الإسماعيلية كان مقسما منذ أقدم الأزمنة إلى مراتب ودرجات ، وقد تبدلت هذه المراتب بظهور «الدعوة الجديدة» فعدلها «الحسن بن الصباح» على هذا النحو . ففي مكان الرئاسة يكون «داعى الدعوة» وهو خاضع مباشرة الامام^(١) ، ويعرف خارج أتباعه عادة باسم «شيخ الجبل» وقد أخذ الصليبيون هذه التسمية وأخطأوا فهمها فنقلوها إلى لغتهم وإلى غيرها من اللغات بمعنى «الرجل العجوز» أو «رجل الجبل العجوز» ؛ ويتلو داعى الدعوة في مرتبته «الداعى الكبير» وكانت هذه المرتبة تشتمل على عدد من «الدعاة الكبار» يتكون منهم ما يشبه مجلس الأساقفة ، ولكن كل واحد منهم كان يوكل إليه على حدة أمر ولاية من الولايات أو مقاطعات من المقاطعات ؛ ويأتى بعد هؤلاء الدعاة الكبار من «الدعاة العاديين» وكانت المراتب العالية تتكون من هؤلاء جميعاً ، وكانوا كلهم على علم تام بأصول المذهب وأغراضه وسياسته ؛ أما المراتب المنخفضة فكانت تشتمل على :

١ — مرتبة الرفيق : وهو الذى يكون قد سلك بعض المذارج فى أصول هذا المذهب

(١) بعد موت المستنصر لم يكن الخليفة الفاطمى هو الإمام بل كان الامام ولداً من اولاد «نزار» الذى حرم من ولاية العرش ثم قتل بعد ذلك .

٢ — مرتبة الاىق : وهو الذى يكون قد أخذ البيعة الامام دون أن يتبين

ما تضمنه هذه البيعة من معان وواجبات .

٣ — مرتبة القدائى : وهؤلاء هم الموكلون بالثأر والانتقام وأعمال العنف وقد كانوا

مصدراً لكثير من الرعب الذى كان يمز الملوك على عروشهم

ويلجم أهل السنة فلا يجسرون على لعنتهم وذمهم .

ولا يسعنى فى هذه المناسبة إلا أن أعيد الوصف التصويرى المتع الذى كتبه فى

القرن الثالث عشر الميلادى الرحالة « ماركو پولو » ووصف لنا فيه مراسم استقبال

« القدائى » وسيامته ، فى وقت كانت فيه قوة الحشاشين فى إيران (١) قد أوشكت

على ازوال ، أو زالت فعلا على يد جيوش « هولانكو خان » المغولية ، وقد كتب

هذا الرحالة ما ترجمته :

« وكان شيخهم يسمى بلقهم علاء الدين (٢) وقد أمر بإقامة سور على أخذود

بين جبلين ، ثم غرسه بالأشجار وحوله إلى حديقة غناء ، هي أجمل ما رأته الأعين

ووقعت عليه الأبصار ، وهي مليئة بمخفاف الفواكه وأطيب الثمار؛ وأقام فيها القصور

والجواسق مما لعين رأت ولا أذن سمعت ، وقد طلاها بالذهب ونقشها بأجمل النقوش ،

وجعل بها قنوات تفيض بالتمر واللبن والعسل والماء ، ووضع فيها جملة من أجمل نساء

العالمين وأرق الفتيات وجعلهن يزفن على مختلف الآلات ، ويغنين بأعذب الأصوات

ويرقصن أروع الرقصات ؛ وقد شاء شيخ الجبل بذلك أن يجعل الناس يعتقدون أن

حديقته هذه ماهى إلا الجنة بعينها ، فأنشأها على النمط الذى صوره لهم الدين الإسلامى

وجعلها روضة غناء ، تجوس خلالها أنهار تفيض بالتمر واللبن والعسل والماء ، وملاؤها

بالجليات الفاتنات من النساء ، اللاتى لا هم لهن إلا الترفية عمن بها من نزل ، ومن

(١) أما فرعهم فى الشام فلم يصبه شئ من سوءه ، وما زال موجوداً هالك إلى الآن ولكنه

مسالم لا يتال أحداً بالأذى .

(٢) وهو يشير كما هو معلوم إلى سابق مشايخ الجبل فى « الموت » وهو « علاء الدين

محمد بن الحسن » الذى أعقب أباه « جلال الدين » فى رمضان سنة ٦١٨ هـ = نوفمبر سنة

١٢٢١ م ، وقد أعقب علاء الدين ابنه « ركن الدين خورشاه » وهو آخر مشايخ الجبل فى

الموت ، وقد قبض عليه المنول وأعدوه .

أجل ذلك فإن الأعراب الذين يقطنون هذه الأرجاء ، يعتمدون أنها حقا الجنة التي
وعد بها الأتقياء ... !!»

«ولم يكن يسمح لأحد من الناس أن يدخل هذه الحديقة إلا من شاء أن يجعلهم
من حشاشيه (١). وكان على بابها حصن منيع يستطيع أن يرد هجمات الناس أجمعين .
ولم يكن لها مدخل سواه ، وكان يحفظ في قصره بعدد من العلمان تتراوح أعمارهم
بين الثانية عشرة والعشرين ، ممن يلبس فيهم حب الجندية والقتال ، وكان من دأبه أن
يقع عليهم أقاصيص عن الجنة كالتي كان يقصها محمد على أتباعه (كذا) فيصدقونه
فيما يقول ، كما صدق العرب نبيهم . ثم يأذن لهم بعد ذلك في دخول الحديقة أربعة
أربعة أوستة ستة أو عشرة عشرة ، ولكنه يستقيم قبل ذلك مزيجا من شراب خاص
ينامون على أثره (٢) ، فإذا انطبقت جفونهم وغلبهم الكرى أمر أتباعه أن يحملوهم
ويضرمهم في داخل الحديقة ، فإذا أفاقوا وجدوا أنفسهم داخل هذه الروضة الغناء .

«ومق أفاقوا من غفوتهم ووجدوا أنفسهم في هذا المكان الرائع ، ظنوا أنهم
في جنة الخلد ، ثم يقبل النساء والفتيات بعد ذلك على هؤلاء الفتيان فيلاعبنهم ويشفين
رغباتهم ، ويظنم الرجال منهم بما يرغبون ، فلا يشاءون بعد ذلك أن يتركوا هذا
المكان المشحون بالفنن والذائد» .

«وكان هذا الأمير الذي نسميه بـ « الشيخ » يقوم بتنظيم قصره بشكل رائع
جميل ، وقد تمكن من أن يجعل رجال الجبال السذج الذين يحوطونه يعتمدون
اعتقادا جازما بأنه نبي عظيم ، فإذا شاء أن يبعث واحدا من هؤلاء «الحشاشين» في
في أية رسالة ، فإنه يسميه من هذا المزيج الذي تجدتنا عنه ، فإذا غلبه الكرى
حمراه إلى القصر ، حتى إذا أفاق الشاب لم يجد نفسه في تلك الجنة التي شفى فيها
غلته وأشبع فيها همته ، بل يجد نفسه داخل القلعة ، ثم يدخلونه بعد ذلك على «شيخ
الجيل» فيحنى أمامه في احترام بالغ كأنه في حضرة رسول كريم ونبي عظيم . فيسأله

(١) يقصد بذلك « الفدائيين » وهم الذين يسمون دون غيرهم بالحشاشين .
(٢) هذا الشراب كان عبارة عن مخلول من الحشيش ، ومن أجل ذلك فإن شيخ الجبل
كان يسمى أحيانا بـ « صاحب الحشيش »

الأمير من أين أتى . . ؟ ويجب الفتى بأنه أقبل من الجنة ، وإنها لشبية بما أنزل على « محمد » في القرآن ، وبستمع الآخرون الذين لم يؤذن لهم في دخول هذه الحديقة إلى هذا الحديث ، فيتحرقون شوقاً إلى الدخول فيها والتمتع بماها !! »

« وإذأشاء » الشيخ « أن يقتل أى أمير من الأمراء فما عليه إلا أن يقول لواحد من هؤلاء الشبان : « إذهب واقتل فلانا؛ ومتى عدت فسيأخذك جماعة من ملائكتي إلى الجنة ، أما إذا مت فسا بعث إليك بهم ليحملوك إليها . » وكانوا يصدقونه فيما يقول ، ومن أجل ذلك فقد كانوا يلتمون بأنفسهم في أشد المخاطر وأكثرها تهلكة لكي ينغذوا جميع أوامره ولكي يعودوا بعد ذلك إلى الجنة التي تحرق فيها أنفسهم ، واستطاع الشيخ بذلك أن يجعل رجاله يقتلون أى شخص يريدون التخلص منه ؛ واستطاع أيضاً بواسطة الرعب الذي ينزله في أنفس الأمراء أن يجعلهم جميعاً يدفعون له الجزية عن طيب خاطر حتى يكون معهم في سلام ووثام . »

ويبدو من هذا النص أن الفدائيين كانوا يختارون وقتاً لما يريدونه من طاعة عمياء ، في تنفيذ أوامر شيخهم ، وكانوا يمتازون أيضاً بصفات الشجاعة والصلابة ، ولا يطلب إليهم أن يتفقهوا في تعاليم المذهب كما يفعل غيرهم من أصحاب المراتب العالية . ويصور ذلك كله القطعة الآتية التي رواها لنا « فرايبينو » و « مارينو سانوتو » (١) . حيث قالوا :

« في فترة من فترات الهدنة ذهب هنرى (ملك بيت المقدس) لزيارة الشيخ في الشام ، فخرجا ذات يوم للزهوة فرأيا في مسيرهما شباناً قد ارتدوا الملابس البيضاء ، وجاسوا فوق قمة عالية . فالتفت الشيخ إلى هنرى وسأله عما إذا كان لديه شبان يتنازون بالطاعة العمياء مثل هؤلاء الشبان ولم ينتظر جوابه بل أوماً إلى اثنين من هؤلاء الفتيان بإشارة خاصة فقفزا إليه من قمة القلعة ولقيا حتمهما في التو والساعة » .

ورغم أن الفدائيين لم يكونوا يتفقهون في التعاليم الحفية التي تضمنها مذهبهم الدينى ، إلا أنهم كانوا على أتم تدريب في استعمال الأسلحة ووسائل القتال ، وفي نجحهم المصاعب والقدرة على الصبر والاحتمال ، وفي النفاذ في أساليب التنكر والتخفى والاستتار ، بل لقد أظهروا في بعض المناسبات قدرتهم الفائقة في التحدث باللغات

الأجنبية والأوروبية بحيث استطاع الفدائيون الذين كلفوا بقتل « كوزاد » مركز موتفترات^(١) أن يتحدثوا بلغة الفرنج وأن يقلدوهم في سائر عاداتهم تقليدا بارعا ظهروا فيه بمظهر الرهبان المسيحيين ، فتمكنوا بواسطة ذلك من أن يقيموا في معسكر الصليبيين ستة أشهر كاملة ينتظرون الفرصة السانحة لتنفيذ المهمة الدامية التي بعثوا من أجلها . وكان من النادر بالطبيعة أن ينجو الفدائي بعد قتل فريسته ، لأن الفدائيين كانوا في الغالب يميلون إلى تنفيذ خططهم في جرأة زائدة وشجاعة بالغة ، فيقضى الواحد منهم على الأمير المسلم وهو قائم بالمسجد يؤم الناس لصلاة الجمعة ، أو يندفع إلى الأمير المسيحي فيقتله دون خوف أو وجل في وسط الكنيسة في يوم الأحد وهو واقف يصلى بين جماعة المصلين من قومه وعشيرته . فإذا قتل الفدائي بعد أداء المهمة التي كلفه بها « شيخ الجبل » فإن ميته كانت تعتبر بين أتباع « الحسن بن الصباح » من أشرف الميتات التي تضمن له السعادة المقبلة والحياة المانحة الخالدة ، حتى لقد تقرأ أعجب الأخبار عن أمهات بعض الفدائيين وقد أخذن في البكاء والانتحاب لأن أولادهن عادوا إليهن على قيد الحياة ولم يظفروا بمرتبة الاستشهاد والخلود !!...

وكان من دأب الفدائيين في بعض الأحيان أن يكتفوا بالتهديد والوعيد إذا وجدوا في ذلك ما يحقق مآربهم ويضمن غاياتهم ، وكثيرا ما حدث أن هاجمهم قائد من القواد يعني تذليل معقل من معاقلمهم، فإذا به يصحو في أحد الأيام ليجد في خيمته وبالتقرب من مضجعه خنجرا مغروسا في الأرض ، وقد علق عليه رساله من رسائل التهديد والوعيد تجعله في الغالب ينصرف عن معركته ويقنع من الغنيمة بالإياب ؛ وقد حدث مثل ذلك فيما يقولون للسلطان « ملكشاه » ول « إصلاح الدين » وإن كنت شخصياً أظن أن الروايات التي رويت عن هاتين الحادثتين لا يجب الاعتماد عليها اعتمادا كليا لا يتطرق إليه شيء من الشك أو الريبة .

وقد ذكروا أن فقها أخذ في ذم ملاحدة « الموت » فصدى له واحد من أتباعهم وأخذ يحضر مجالسه على أنه طالب راغب في الاستماع إلى محاضراته وتتبع آرائه ، حتى إذا استرعى التفاته خيره بين كيس مملوء بالذهب أو خنجر مسنون الحد

(١) بالمروف الرومانية هكذا Conrad, Marquis of Montferrat

يكف عن التعرض لهم والتنديد بعمقتهم ، فاختر الفقيه الذهب وكفى نفسه شر البلاء... !! فكانوا إذا اجتمعوا حوله بعد ذلك وسخروا منه لكفه عن التعرض لآرائهم، أجابهم في شيء من السخرية اللاذعة بأنه قد اضطر إلى ذلك اضطرارا بعد ما قدموا له من « حجاج قاطعة وبراهين ساطعة » جعلته يقتنع بأنه كان على خطأ فيما تفوه به قبل ذلك من أقوال خاسرة... !!

وقد استمر نشاط « الحشاشين » كبيرا وبالغا منذ نشأتهم إلى أن تمكن « القول » من تحطيم معقلهم في إيران وقتل آخر شوخهم وثامن أئمتهم « ركن الدين خورشاه » في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) أي في نفس الوقت الذي استطاعوا فيه تحطيم الخلافة في بغداد . وسيعرض لنا ذكرهم كثيرا فيما يلي من صفحات ؛ ولأجل ذلك فإنني أنه القارىء بأن يلم منذ الآن بالمهمة كافية بمبادئ، مذهبهم، وطرائق تكوينهم ، وبيان صلتهم بذهب الإسماعيلية الرئيسي في مصر؛ لأن أهم فتره في تاريخ هؤلاء الإسماعيليين هي الفتره التي أسس فيها « الحسن ابن الصباح » دعوته الجديدة بما اقتن بها من عناصر الرهبة والرعب . أما فرعهم الشامي ، فقد كان له الفضل فيما ناله « الحشاشون » من شهرة عريضة في زبوع أوروبا ، كما كان له الفضل في تزويد معجمنا بكلمة جديدة للدلالة على تسميتهم . وقد استطاع هذا الفرع أن يثبت مكانته السياسية منذ استيلاء رجاله على قلعة « بانياس » في سنة ١١٢٦ م = ٥٢٠ هـ .

ولكننا للأسف سوف لا نجد مجالا للأفاضة في الحديث عن هذا الفرع فيما يلي من صفحات ؛ ومن أجل ذلك فإننا على ثقة من أن القارىء الذي يهمه تتبع هذا الموضوع سوف لا يتأخر عن الاطلاع على المقال القيم الذي كتبه « ستانيسلاس جويار » في « المجلة الآسيوية » سنة ١٨٧٧ م بعنوان « شيخ من شيوخ الحشاشين »^(١) . ويشتمل هذا المقال على سيرة صادقة ممتدة للشيخ « رشيد الدين سنان » الذي استطاع في وقت من الأوقات أن يجعل الفرع الشامي ينفصل عن الفرع الإيراني . وسيرة هذا

(١) عنوان هذا المقال بالفرنسية هو : Un Grand Maître des Assassins, par Stansilas Guyard, Journal Asiatique 1877.

الرجل تعوق في غرابتها و غرابة وقائمه كثيرا من الروايات الخيالية الرائعة ؛ وهي تمدنا بكثير من التفاصيل عن تاريخ الاسماعيليين وأعمالهم وأساليبهم . وقد اضطرت اضطرابا لضييق المجال أن أصدف عن ذكرها في هذا المقام . وما زال بقايا الإسماعيلية موزعين أشتاتا حتى يومنا هذا في أنحاء المشرق بين ربوع سوريا وإيران وشرق أفريقيا وأواسط آسيا وبلاد الهند حيث يديشون الآن بالطاعة لـ « آقاخان » باعتباره رئيسا لهؤلاء الجماعة من الإسماعيلية . و « آقاخان » هذانم أخفاد « ركن الدين خورشاه » الذي كان آخر شيوخ الجبل في « ألموت » وقد ادعى ركن الدين أنه من سلالة « نزار » ابن الخليفة الفاطمي « المستنصر » وأنه ينتسب بهذه الوساطة إلى الإمام السابع « اسماعيل » ابن حفيد حفيد « علي بن طالب » ابن عم الرسول وزوج ابنته .

ناصر خسرو

وقد اضطرتنا دراسة حياة « الحسن بن الصباح » وما قام به من أعمال إلى أن نبتعد عن ذكر زميله « ناصر خسرو » الذي يفوقه من الناحية الأدبية كثيرا ، فأما الحسن بن الصباح فليس في أيدينا من كتاباته إلا النبد المنقولة من « سرگذشت سيدنا » في كتاب تاريخ « جهان گشا » وكتاب « جامع التواريخ » ، وأما « ناصر خسرو » فله بين أيدينا جملة من المؤلفات القيمة الممتعة كتبها ثرا وشعرا وقام على دراستها جماعة من أبناء العلماء مثل « بلاند » و « دورن » و « إتيه » و « فانيان » و « نولدكه » و « برتش » و « ريو » و « شيفر » (١)

و سنقوم بدراسة هذه المؤلفات وترجم لصاحبها (وهو من خيرة الشخصيات الالامعة في تاريخ الأدب الفارسي) في الفصل التالي الذي أفردناه لدراسة الحركة الأدبية خلال هذه الفترة التي أجملنا الحديث عنها وصورناها سياسيا في هذا الفصل الذي اتريتنا منه .

(١) تكتب هذه الأسماء بالمرروف الرومانية هكذا :

Bland, Dorn , Ethé , Fagnan , Noldeke, Pertsch, Rieu, Schefer.

العصير الرابع

الآدب فى العصر السلجوقى الأول

نظام الملك ومعاصره

نظام الملك وكتاب «سياسة نامه» :

من الخير عند استعراض هذا العصر المتعالم ، أن نبداه بالحديث عما تركه «نظام الملك» نفسه من آثار أدبية ، لأنه كان أهم شخصية ظهرت فى إيران فى ذلك الوقت . وآثاره الأدبية لا تزيد على كتاب واحد هو «سياسة نامه» أو «كتاب السياسة»^(١) وقد نشر أصله الفارسى المرحوم الأستاذ «شارل شيفر» فى سنة ١٨٩١م ، كما نشر أيضا ترجمة فرنسية له ، عاينها كثير من التعليقات التاريخية الهامة فى سنة ١٨٩٣م ، وقد أتبع الأصل والترجمة بملحق نشره فى سنة ١٨٩٧م ، يشتمل على ملاحظات متصلة بخياة «نظام الملك» والعصر الذى نشأ فيه استقاها من مختلف المصادر الفارسية والعربية . وقد كان من الصعب الحصول على كتاب «سياسة نامه» قبل ظهور هذه الطبعة التى نشرها «شيفر» لأن النسخ المخطوطة منه كانت نادرة كل الندرة ، وقد استعان الأستاذ «شيفر» بثلاث نسخ مخطوطة كانت إحداها ملكا له وهى الآن فى المكتبة الأهلية ياريس ، والثانية نسخة المتحف البريطانى ، والثالثة نسخة برلين . وقد قابل هذه النسخ فى بعض المواضع بنسختين أخريين فى مكتبة سان پيترسبورج . وتوجد من هذا الكتاب نسخة سادسة موجودة فى مجموعة «بوت» المحفوظة فى مكتبة «كلية الملك» بجامعة كمبردج^(٢) وهذه النسخة حديثة العهد نسبيا ولكنها

(١) أما كتاب «الوصايا» الذى ينسبونه إليه فزائف كل الزيف .

(٢) اسم المجموعة بالإنجليزية هكذا :

أفادتني فألمة كبرى في تسميح بعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة. ويشتمل كتاب « سياست نامه » على خمسين فصلا تبحث في شؤون الملك وحقوق الملك وواجباته وما يتصل بالإدارات المختلفة التي يعتمد عليها في إدارة البلاد؛ وقد أخذ « نظام الملك » يكتب هذا الكتاب في سنة ٤٨٤ هـ (= ١٠٩١-١٠٩٢ م) أي قبل وفاته مقتولا بسنة واحدة؛ كتبه استجابة لرغبة أبداها « ملكشاه » أمام أهل الرأي من مستشاريه^(١) بأن يضع كل واحد منهم رسالة في الحكم يبين فيها أنواع المقاسد والعيوب التي انتشرت في أرجاء بلاده ونواحي إدارتها، ويبين فيها كذلك أنواع البدع المستحدثة الضارة التي أخذت في الظهور، وأنواع العادات الحسنة القديمة التي أصابها الإهمال وعفا عليها الزمان. وقد استجاب جملة من أهل الرأي إلى طلب « ملكشاه » فأنشأوا الرسائل في هذه الموضوعات التي اختارها؛ ولكن الرسالة الوحيدة التي حازت إعجاب واستحسانه هي رسالة « نظام الملك » وقد أُرغنه أنه قال بصددها: لقد عاجل « نظام الملك » جميع الموضوعات وقمأ لرغبة قلمي، ولم يترك شيئا لباحث يضيفه إلى كتابه، ومن أجل ذلك فإني آخذها هاديا ومرشداً يهديني سواء السبيل.

وقد انتهى « نظام الملك » من كتابة هذا الكتاب في سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ - ١٠٩٣ م) وكان فراغه منه قبيل مقتله بفترة قصيرة كما يؤخذ من هذه النبذة القريبة التي اشتملت على نبوءة عجيبة نجدتها قرب الخاتمة، حيث يقول:

« هذا هو كتاب السياسة وقد تم لي تحريره وجمعه بناء على أمر أصدره ملك العالم لهذا المولى الحقيق بأن يكتب في هذه الموضوعات التي اختارها، وقد كتبت منها على البديهة تسعة وثلاثين فصلا^(٢) ثم قدمتها إلى حضرته العالمة، فنالت استحسانه وإعجابها. وقد كانت مختصرة مجملية، ولكنني أضفت إليها بعد ذلك بعض الزيادات وألحقت بكل فصل منها ما يناسبه من الملاحظات والنكات، وبيناً كل ذلك بأقوال سهلة جزلة وألفاظ واضحة بيّنة. فلما كانت سنة ٤٨٥ هـ وأردت الخروج إلى بغداد أعطيها

(١) من أهم هؤلاء بالإضافة إلى « نظام الملك » نجد أسماء « شرف الملك » و « تاج الملك » و « مجد الملك ».

(٢) يظهر أن الفصول الأحد عشر الباقية أضيفت إلى هذا الكتاب عند مراجعته.

إلى ناسخ المكتبة الملكية «محمد العربي» وأمرته أن يكتبها بخطه الجميل حتى إذا قدر لي ألا أعود من هذه الرحلة أسرع بعرضها على ملك العالمين ...»^(١).

وفعلا ، لم يقدر لهذا الكتاب أن ينشر إلا بعد موت مؤلفه بفترة من الزمن . وربما تأخر ظهوره قليلا بسبب المتاعب القومية والحروب الأهلية التي نشبت مباشرة بعد موت «ملكشاه»^(٢) .

وكتاب «سياسة نامه» يعتبر في رأيي من أهم الكتب الممتعة القيعة التي كتبت نثرأ في الفارسية ؛ ذلك لأنه من ناحية يشتمل على قدر كبير من الأخبار والروايات التاريخية ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل كذلك على الآراء السياسية التي كان يراها واحد من أنبغ الوزراء الذين ظهروا في المشرق ، والذين بلغوا مبالغاً من القوة والحكمة لاستطيع تقدير مدهاه إلا بالنظر إلى الفوضى التصلة والحروب الداخلية المستمرة التي أعقبت مقتله . وقد كتب «نظام الملك» كتابه هذا في لغة سهلة يسيرة خالية من كل المحسنات البلاغية ؛ ولقد تنحط عبارته أحياناً إلى مرتبة العبارات السوقية العامة ، أو قد يشوبها بعض الصيغ المهجورة التي كانت مستعملة في ذلك ازمان المبكر . وليس من السهل علينا في هذا المجال الضيق أن نستعرض محتويات هذا الكتاب الواسع الكبير ؛ بل لو أننا افترضنا فرضاً إمكان المجال ؛ لأحسننا بعدم الحاجة إلى ذلك ، لأن مثل هذا العرض يستطيع أن يظفره القراء الأوروبيون في الترجمة الرائعة التي أخرجها الأستاذ «شيفر» لهذا الكتاب . يضاف إلى ذلك أن الانظار يجب أن تنبج في هذا الموضوع أيضاً إلى مقالة قيمة كتبها الأستاذ «نولادكه» بجامعة ستراسبورج في الجزء السادس والأربعين (ص ٧٦١-٧٦٨) من «مجلة المستشرقين الألمان» الصادرة في سنة ١٨٩٢ م .

وقد خصص «نظام الملك» سبعة فصول من كتابه (من الفصل ٤١ إلى ٤٧ . صفحة ١٣٨ - ٢٠٥) لمخاربة الملاحدة والظنون في دينهم وخاصة فريق «الإسماعيلية والباطنية» . وهو يشكو مر الشكوى (في صحيفة ١٣٩) من أن اليهود والمسيحيين والمجوس

(١) للترجم : هذا هو نص هذه العبارة الأخيرة بالفارسية «اگر بنده را باز آمدن نباشد ازین سفر این دفتر را پیش خداوند عالم بر د...» .
(٢) انظر ما كتبه الناشر الفارسي في نهاية فهرس الموضوعات بالصحيفة الخامسة من الأصل .

والقراضة يوظفون بكثرة في أعمال الدولة والديوان ، ثم يثنى على الخطة الصالحة التي أتبعها «ألب أرسلان» أثناء حكمه في منع هؤلاء من تولي هذه الوظائف ومعاملتهم بشدة وغلظة بالفتين . ثم يأخذ في مهاجمة مذهب « الشيعة » على العموم ومذهب « السبعية » على الخصوص ، ويجتهد في البرهنة على أن مذاهبهم مشتقة في أساسها من مذهب التنبي الاشتراكي « مزدك » الذي أمر بإعدامه الملك الساساني « انوشيروان » في القرن السادس الميلادي^(١) ، ثم يورد فصلا مطولا عن مزدك (ص ١٦٦ - ١٨١) يبين فيه أنه بعد القضاء عليه وعلى أتباعه انبعث مذهب من جديد على يد « الحرمة » المعروفين باسم « خرّم دينان^(٢) » ثم على يد « سنّباد الجوسى^(٣) » ثم على يد « عبد الله بن ميمون القدّاح »^(٤) الذي إليه يرجع الفضل في تقوية مذهب الإسماعيلية ، والذي إليه ينتسب خلفاء مصر الفاطميون أو العالويون كما يقول خصومهم . ويشتمل هذا الجزء من الكتاب - فيما عدا ذلك - على مقال بين فيه الكاتب مدى الضرر التي تنشأ من تدخل النساء في شئون الدولة والحكومة ، وكذلك على بيان الصفات التقليدية التي يشترط وجودها في الوزير العظيم . وبه أيضاً كثير من الأخبار عن مدى النشاط الذي قام به دعاة الإسماعيلية في أيام السامانيين وعلى الخصوص أثناء علو شأنهم على أيام الأمير التميمي « نصر بن أحمد » (٣٠١ - ٣٣١ هـ = ٩١٣ - ٩٤٢ م) ، ولم يذكر هذا الكتاب إلا القليل الأقل عن « الدعوة الجديدة » ولم يشر أبداً إشارة صريحة عن منشأ « الحسن بن الصباح » ولكنه مع ذلك يشتمل على أخبار هامة عن ازدياد نفوذ « الباطنية » وهي أخبار كثيرة متعددة تقطع بغير شك بأن هذا الجزء من الكتاب إنما خصصه كاتبه لمهاجمة « الحسن بن الصباح » وأتباعه كما يبدو واضحا من العبارات الأولى من المقال الثالث والأربعين^(٥) حيث يقول في افتتاحه ما يلي :

-
- (١) فصلنا الحديث عن « مزدك » في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٦٦ - ١٧٢ (من الأصل) .
 (٢) انظر ما ورد عنهم في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٢٢ وما يتبعها .
 (٣) انظر نفس المرجع ص ٣١٣ - ٣١٤ (من الأصل) .
 (٤) انظر نفس المرجع ص ٣٩٣ - ٣٩٨ (من الأصل) .
 (٥) المترجم : رقم هذا المقال في الحقيقة هو ٤٤ لأن الطابع جعل المقالين ٤١ و ٤٢ برقم واحد هو ٤١ . وبذلك أصبح كل مقال ينقص واحدا ، وقد تداركت الترجمة الفرنسية هذا السهو وأعطته رقمه الصحيح ؛ وهو في الأصل الفارسي موجود في صفحة ١٦٤ من طبعة « شيفر » باريس سنة ١٨٩١ .

« مقال في بيان أحوال أصحاب المذاهب السيئة. »

« أعداء الملك والإسلام »

« أريد أن أذكر في هذا الصدد جملة فصول في معنى خروج الخوارج ، »
 « حتى يعلم الناس مقدار الشفقة والعطف اللذين أبديتهما للدولة السلجوقية »
 « ومقدار الحب والشفقة اللذين أحس بهما نحوها ، وعلى الخصوص »
 « ما أحسه من حب بالغ للمليكة سيد العالم خاد الله ملكه ، وما »
 « أكنه من إخلاص سابع لأولاده وأسرته ؛ وفي الله أيامه من عين »
 « سوء، وشر الحاسدين . . ! ! »
 « وجد الخوارج في جميع الأزمنة والعصور ؛ وقد خرجوا منذ عهد آدم »
 « عليه السلام حتى الآن ، في جميع أقاليم الدنيا ، وثاروا على الملوك »
 « والأنبياء ، ومع ذلك فما من جماعة أكثر شؤماً ولؤماً وأسوأ مذهباً »
 « وديناً ، وأردأ عملاً ونهباً من هؤلاء القوم .. فليكن معلوماً أنهم »
 « يدبرون من وراء أسوارهم نكبة هذه المملكة ، وإفساد مذهبها »
 « ودينها ، فما تزال آذانهم تتسقط الأنبياء وعيونهم تترص الفرص حتى »
 « إذا أصابت هذه الدولة القاهرة - ثبتها الله تعالى - مصيبة جديدة أو »
 « نزل بها سوء والعياذ بالله ، خرج هؤلاء الكلاب من مكائهم لنشر »
 « الدعوة الشيعية . . وهم في الحقيقة أقوى شأناً من الرافضية والخرمية »
 « لا يدعون وسيلة ممكنة دون أن يلجأوا إليها ، فيجتهدون اجتهاداً في »
 « إفساد العقول ونشر الشائعات والبدع . . وهم يدعون قولاً أنهم مسلمون »
 « ولكنهم يأتون أفعال الكفرة ؛ وباطنهم لعنهم الله بخلاف ظاهرهم ، وقولهم »
 « بخلاف عملهم ، وليس لدين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم عدو أشأم ولا »
 « أنكد منهم ، وليس للدولة الملك خصم ألد وأشد منهم ؛ وينضوى تحت علمهم »
 « اليوم جميع الأشخاص الذين لا قوة لهم الآن في شؤون الدولة ، ويدعون »
 « ظاهراً أنهم شيعيون وهم في الحقيقة يهثون أمورهم في الخفاء ، ويزدادون »
 « قوة ونفوذاً ، ويجتهدون في نشر دعوتهم ويسعون لدى ملك العالم لكي »

« يقنعوه بأن يهدم بيت « بنى العباس » .. ولو تمهياً لي أن أكتشف الغطاء »
 « عن الوعاء فما أكثر ما يتكشف من خباياهم ومخازيمهم !! »
 « ولكن من أسف أن ملك العالم استطاع أن يجني بعض الأموال من وراء »
 « بعض حركاتهم، ومن أجل ذلك فهو يريد بسبب الأموال الكثيرة (التوفيرات) »
 « التي جناها أن يشرع في عمل يرضيهم ، وقد استطاعوا أن يفرسوا في نفسه »
 « حب المال والحرص عليه واتهموني لديه بأني مفرض استهدف صالحى ، »
 « بحيث أصبح نصحى له غير مقبول ولا ممكن ، ولن يعلم مقدار فسادهم »
 « ومكرهم إلا بعد ما أكون قد رحلت عن هذا العالم...!! عند ذلك فقط »
 « يستطيع أن يتحقق من مدى حيل ولولته القاهرة، وأنى لم أكن غافلاً عن »
 « أحوال هذه الطائفة وخطيئتهم التي دبروها ، وأنى كنت في جميع الأوقات »
 « أعرضها على رأيه العالى [أعلاه الله] ولا أخفيها عنه، ولكنى لم أحاول إعادتها »
 « على مسامعه والإصرار على تكرارها أمامه لأنى رأيت أن أقوالى لم تظفر »
 « لديه بالحظوة والقبول . . »

والإشارة التي يشير إليها « نظام الملك » في هذه الفقرة الأخيرة تتفق تماماً مع ما جاء في الورقة « ١٤ - ١ » من النسخة الخطية لكتاب «راحة الصدور» (١) حيث يوضح المؤلف بالشكوى من أن هؤلاء الملاحدة يكثرون في أنحاء البلاد وهم السبب فيما تقاسيه من ضيق وعناء، وما تتحمله من الضرائب الكثيرة المفروضة . وهو يحتاج على ذلك أشد الاحتجاج ويقول إن كثرة من هؤلاء الملاحدة يوجدون في «قم» و«كاشان» و«الرى» و«آبا» و«فراهان» وهم يرقون إلى شغل المناصب العامة بعدما يعدون الملك أن يهبوا له «التوفيرات» الكثيرة من المال (٢). وهى عبارة يسترون بها الضرائب الباهظة التي يفرضونها على الناس . وهنا نجد بعض الدليل على صحة الواقعة التي نستطيع أن نسميها بالقصة القديمة المتناقلة عن المشاحنة التي وقعت

(١) الترجمة : طبع هذا الكتاب ضمن سلسلة جب التذكارية وقام على نشره الأستاذ إقبال .

(٢) الترجمة : نلاحظ أن كلمة « التوفيرات » هى نفس الكلمة التي استعملها نظام الملك .

بين « نظام الملك » و « الحسن بن الصباح » وكيف أن الأخير منهما أراد أن يوجه إليه أنظار الملك فأخذ يطعن في النظم المالية التي يتبعها وزيره « نظام الملك »^(١).

ولابد لي - وقد فرغت من إبداء ملاحظاتي المقتضية على هذا الكتاب الثمين المتع - أن أعترف بأني في محاضراتي لم أجد بين الكتب الفارسية المشهورة ما هو أمتع وأنفع لنفسي ولمن أستمع لي من هذا الكتاب ، ومع ذلك فيجب الإشارة بأنه يجب التحرز من قبول أخباره التاريخية على علاتها ؛ ويجب التنبيه إلى أنه تكثر به الأغلاط أيضا ، فمثلا في صفة ١٢ من النص الفارسي يروي المؤلف أن « يعقوب بن الليث » هدد الخليفة « المعتمد على الله » بأنه سيحضر الخليفة الفاطمي من « المهديّة » ويجلسه مكانه ، والمعروف أن الخليفة « المعتمد » حكم في سنة ٢٥٧ - ٢٧٩ هـ = ٨٧٠ - ٨٩٢ م وأن مدينة المهديّة لم تبين إلا في سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م (على أقل تقدير) وأربعا بعد ذلك بعشر سنوات على القول الأرجح .

وأمثال هذه الأخطاء كثيرة في الكتاب ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالملاحدة ؛ فالظاهر أن المؤلف قد شغل نفسه بهم حتى استطاع أن يتنبأ بنهايته على أيديهم وحتى أنساه ذلك كل ما يتصل بالتحقيق والتدقيق في رواية الأخبار التاريخية عنهم . ومن الجائز المتوقع أن مطاعنه الكثيرة التي كالمها لمذاهبهم وأعمالهم وأغراضهم كانت أكبر العوامل التي دفعتهم إلى قتله والقضاء عليه .

ناصر خسرو :

أشرت في الفصل السابق إشارة مختصرة إلى رجل من أعلام هذه الفترة هو « ناصر خسرو » الشاعر الرحالة ، وأحد دعاة الإسماعيلية المعروفين ؛ وقد آن الأوان الآن لأن نمضي في دراسة آثاره الأدبية . ومن الخير أن نذكر أن كثيرا من الحرافات والأقايع قد نسجت حول شخصه ، وجميعها مستمدة من السيرة الزائفة التي قيل إنه وضعها عن نفسه ، وهي السيرة التي توجد في مقدمة ديوانه طبع تبريز .

(١) هذه القصة موجودة في كتاب « تاريخ كزنده » لخدالله مستوفي ص ٤٤٠ طبع لندن سنة ١٩١٠ ، وكذلك ص ٢٠٨ - ٢١١ من الجزء الأول من طبعة Jules Gantlin

وهي برمتها عبارة عن نسيج واه من الحرافات والأوهام ، اختلطت به بعض الأخبار المتعاقبة بغيره من مشاهير الرجال ، ثم انتهت بحكاية نسبها إلى شقيق « ناصر » ورووها على لسانه ، تذكر أن « ناصرا » قدمات في الأربعين بعد المائة من عمره وأن الجن قد تولت حمل جنازته ودفنه . . . ! ! وقد ذكر « إتيه » (١) أن هذه السيرة وردت في ثلاث روايات ، أطولها وأكثرها تفصيلا هي تلك التي أوردها « تقي الكاشي » في كتابه « خلاصة الأشعار » ، وأقصرها هي المذكورة في الكتابين « هفت إقليم » وال « سفينه » ، أما تلك التي ذكرها « لطفعلی بيك » في كتابه « آتشكده » فهي متوسطة الطول والتفاصيل ، وقد ترجم هذه الرواية الأخيرة « ن . بلاند » في المجلد السابع من « مجلة الجمعية الملكية الأسيوية » ص ٣٦٠ وما يليها . وأورد « شيفر » خلاصة هذه الرواية (بعدما حذف منها الحوارق التي لا يقبلها العقل) في المقدمة التي قدم بها كتاب « سفر نامه » حينما نشره ونشر ترجمته الفرنسية (ص ٨ - ١٧ من المقدمة) . ويغلب على الظن أن هذه الرواية - كما يفترض « إتيه » - ما هي إلا من نتاج القرن التاسع أو العاشر الهجري (أي الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي) ذلك لأن أول كتاب ذكرها فيما نعلم هو كتاب « هفت إقليم » وهو كتاب من تواليف سنة ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ - ١٥٩٤ م . ومع ذلك فمن العلوم أن كثيرا من الحرافات قد منيكت حول « ناصر خسرو » قبل ذلك التاريخ ، ويمكننا التحقق من ذلك بالاطلاع على المقال (٢) الذي تضمنه كتاب « القزويني » المعروف بـ « آناار البلاد » وهو كتاب جغرافي تم تأليفه في سنة ٦٧٥ هـ = ١٢٠٦ م فقد ذكر الكتاب أن « ناصرا » كان ملسكا على مدينة « بانخ » شغاه رعاياه وطروده ، ولجأ إلى مدينة « يمگان » وأخذ في تزيينها ، وأقامة الحمامات الجميلة فيها وإنشاء الحدائق الغناء بها ، ونصب التماثيل الرائعة في أرجائها ، وكانت هذه التماثيل مطاسمة توحى بالروعة والخوف ، لا يستطيع أحد أن يطيل النظر فيها دون أن يفقد رشده وسوابه . وقد وصف « القزويني » هذه الحمامات في كثير من التفصيل وقال إنها ما زالت قائمة حتى زمانه . . . !!

(١) انظر مقاله المتم عن كتاب « روشنائی نامه » في المجلد ٣٣ ن « مجلة المستشرقين

الألمان » سنة ١٨٧٩ م ص ٦٤٥ - ٦٦٥ .

(٢) انظر ص ٢٢٨ من هذا الكتاب تحت مادة « ممكان » .

وإليك الآن مثالا لحادثه رائعة تضمنتها هذه السيرة الزائفة ، وهي برمتها مذكورة في مخطوطة يرجع تاريخها إلى سنة ٥٧١٤ = ١٣١٤ - ١٣١٥ م موجودة في « مكتبة إدارة الهند » (١) وخلاصتها مايلي :

- « وبعد عناء طويل وصلنا إلى مدينة نيسابور . وكان في صحبتنا واحد من
 « تلاميذي له خبرة في الطب والحكمة . ولم يكن أحد يعرفنا في هذه المدينة
 « فلجأنا إلى مسجد من المساجد لتقيم فيه . ولما سرت في أرجاء المدينة كنت
 « أسمع الناس يسبونني أمام أبواب المساجد التي مررت عليها ، ويتمونني بأنني
 « كافر ملحد ، ولم يكن تلميذي ليعلم شيئا عن آراء الناس في . وذات يوم
 « بينما كنت أجتاز السوق عرفني رجل من مصر فالفتت إلى وقال : أأنت
 « أنت ناصر خسرو ..؟! وأليس هذا أخاك أبا سعيد...؟! فشيت اقتضاح
 « أمرى ، وأمسكت على يده بشدة وشغلته بالحديث ، ثم أخذته إلى حيث
 « أقيم وعرضت عليه أن يأخذ ثلاثين ألف مثقال من الذهب على ألا يفزع
 « أمرى أو يكشف سرى . فلما قبل رجائي أعددت له المبلغ وناولته إياه وأخرجته
 « من مسكني . ثم خرجت إلى السوق في صحبة « أبي سعيد » وتوقفت لدى
 « إسكافي ليصلح لي نعلي حتى أستطيع الرحيل عن هذه المدينة . ونجأة سمعت
 « صياحا وصخباً إلى جوارى ، وهب الإسكافي من مكانه وهرع إلى مكان
 « الصخب ليستطلع الأمر ثم عاد إلى بعد برهة وجيزه وعلى مخرازه قطعة من
 « اللحم الأدى . فسألته عن سبب هذه الجلبة ، وما هذه القطعة من اللحم الذي
 « يرفعها على مخرازه ...؟! فأجابني بأن واحدا من أتباع « ناصر خسرو » قد ظهر
 « في المدينة وأخذ يناقش علماء هائي المسائل الدينية فلم يقبلوا آراءه مستندين
 « في معارضتها على الكتب المعتمدة والمصادر الموثوق بها ، فأخذ يجادلهم فيما

(١) هذه المخطوطة تتملق بمخترات من دواوين ستة من شعراء الفرس ، وهي برقم ١٣٢ وقد أخذنا عنها الصورة المنشورة في مطلع هذا الكتاب . أما الحكاية التي ألقوها هنا فهي ترجمة لما ورد في الديوان طبع تبريز ص ٦ - ٧ وقد سبق لي نشرها في كتاب « سنة بين الفرس » ص ٤٧٩ - ٤٨٠

« يقولون ويذكر لهم آياتنا من أشعار ناصر خسرو ، فأمر العلماء بتمزيقه
 « إربا إربا فلما فعلوا ذلك أخذت بدورى قطعة من لحمه لتتأني بعض المثوبة
 « وحسن الجزاء ... فلما علمت بما وقع لتليدى لم استطع أن أملك نفسى
 « وقلت للإسكافى : أسرع وأعطينى نعلى ، فما عاد لثلى أن يبقى فى هذه المدينة
 « التى ينشدون فيها أشعار ناصر خسرو...؟! فلما أخذت نعلى أسرع بالخروج
 « أنا وشقيقى من مدينة نيسابور . . . »

وهناك رواية خرافية أخرى مذكورة فى هذه السيرة الزائفة ، تمثل لنا ناصرا
 وقد هرب من مصر إلى بغداد ، وكيف أن الخليفة العباسى « القادر بالله » نصبه
 وزيرا له ثم أرسله فى بعثة إلى ملاحدة « كيلان » من الحشاشين فلما تعرفوا عليه وتبينوا
 أنه الحكيم الذى طالما أعجبوا بأرائه ، أكرموا وفادته واحتجزوه لديهم ولم يسمحوا
 له بمغادرتهم ، فلما ضاق به الأمر وأراد الخلاص ، قتل شيخهم بتعاونه السحرية ثم خرج
 هاربا وتبعه فريق من الجيش فسلط عليهم المريح فقتلهم عن آخرهم ... !! ولست
 أدرى أى الأمرين أدعى إلى العجب فى هذه الرواية .. ؟ أهى الحوارق التى اشتملت
 عايبها .. أم هذه الأغاليط التاريخية الواضحة التى تضمنتها ...؟! فقد مات الخليفة
 القادر فى سنة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م ولم يبق للحشاشين قاعمة فى « كيلان » إلا فى
 سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م . ويبدو لى أن جزءا من هذه القصة الخرافية قد
 نسبوها خطأ إلى « ناصر خسرو » بينما هى فى الحقيقة متصلة بحياة حكيم آخر
 متأخر عنه هو « ناصر الدين الطوسى » الفيلسوف المعروف الذى أهدى كتابه
 « أخلاق ناصرى » إلى حاكم « قهستان » الإسماعيلى المسمى « ناصر الدين
 عبدالرحيم بن أبى منصور » .. ولاشك أن تشابه الأسماء وما اقترن به من جهل الكاتب
 بعلاقة « ناصر خسرو » بالإسماعيلية ، كل ذلك قد أدى بجماع هذه السيرة الزائفة
 إلى أن ينسب إلى « ناصر خسرو » أنه هو الذى كتب تفسيرا للقرآن يتفق مع آراء
 جماعته الإلحادية ؛ فكان هذا العمل الحاسر الذى قام به سببا فى النكبة التى حدثت له فى
 نيسابور ، وهى النكبة التى ذكرناها آنفا .

آثار ناصر خسرو

فإذا فرغنا من هذه السيرة الزائفة ، وجب علينا أن نغضى قدما إلى دراسة آثاره الصحيحة وهي عبارة عن :

١ - « سفرنامه » أو كتاب رحلاته التي قام بها ، وقد نشره وترجمه المستشرق « شيفر » في باريس سنة ١٨٨١ م

٢ - « الديوان » : وهو مجموعة ماقال من أشعار ، وهو مطبوع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٤ م (١)

٣ - « روشنائى نامه » أو كتاب الضياء .. وقد نشره « إتيه » وترجمه وعلق عليه في « مجلة المستشرقين الألمان » سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ م جزء ٣٣ ص ٦٤٥ - ٦٦٥ وجزء ٣٤ ص ٤٢٨ - ٤٦٨ وكذلك ص ٦١٧ - ٦٠٢ :

٤ - « سعادتنامه » : أو كتاب السعادة وقد نشره « فانيان » في جزء ٣٤ من « مجلة المستشرقين الألمان » ص ٦٤٣ - ٦٠٤

٥ - « زاد المسافرين » وهذا الكتاب محفوظ لنا في نسخته الخطية (٢) التي كان يمتلكها « شيفر » والتي انتقلت الآن إلى « المكتبة الأهلية » بباريس

وسأبدأ الحديث عن هذه الكتب بكتاب « سفرنامه » لأنه يشتمل على أدق التفاصيل التي يمكن أن نضوع منها صورة صحيحة لحياة هذا الشاعر (٣)

كتاب سفرنامه

هذا الكتاب شبيه بكتاب « سياست نامه » مكتوب بلغة سهلة خالية من الصنعة

(١) المترجم : طبع هذا الديوان أخير في طهران سنة ١٣٠٤ - ١٣٠٧ الهجرية الشمسية

(٢) المترجم : طبع هذا الكتاب أخيرا في برلين سنة ١٣٤١ هـ

(٣) المترجم : طبع أخيرا في القاهرة كتابان من الكتب النسوبة إلى ناصر خسرو ، هما : «خوان

الاخوان» و « شش فصل » كما ترجم « سفرنامه » إلى العربية .

والمحسّنات. ويذكر مؤلفه أن اسمه الكامل هو « أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي » (١) ويقول إنه كان يشتغل في خراسان مدة من الزمن بأعمال الإنشاء وجباية الأموال أيام « جغرى بيگ داود السلجوقي » .

وفي خريف سنة ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م رأى في منامه رجلا يحذره من شرب الخمر فأقلع عنها ، وكان من قبل شغوفا بها يرى « أنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن يذى هموم الدنيا ومتاعب الحياة » ثم عزم على الحج إلى مكة ، وكان عمره إذ ذاك يقرب من الأربعين ، فاعتسل وتطهر وذهب إلى جامع « جزجانان » حيث كان يقيم في ذلك الوقت ، ودعا الله أن يتقبل توبته ، وأن يعينه على ترك المعاصي والسيئات ، ثم خرج في رحلته في يوم الخميس السادس من جماد الآخر سنة ٤٣٧ هـ = ١٩ ديسمبر سنة ١٠٤٥ م فوجه بطريق « شبورغان » إلى مدينة « مرو » وطلب إيفاء من العمل انتهى كان يتولاه ؛ ثم سار إلى مدينة « نيسابور » وخرج منها وفي رفته السيد « الموفق » (٢) فزار الشيخ الصوفي « بايزيد البسطامي » في مدينة « قومس » . ثم خرج منها مارا بمدينة « دامغان » حتى وصل إلى مدينة « سمنان » فتعرف هناك على شاب اسمه « الأستاذ علي النسائي » من تلاميذ « أبي علي سينا » كان يناصر الطلاب في الحساب والهندسة والطب ، ولكنه أساء الرأي فيه وفي علمه على ما يظهر ، ثم اجتاز مدينة « قزوین » ووصل إلى تبريز في يوم ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هـ = ٢٦ أغسطس سنة ١٠٤٦ م وهناك تعرف بالشاعر « قطران » وفسر له جملة مقطوعات صعبة من أشعار الشعراء « الدقيقي » و « منجيك » ثم خرج من تبريز إلى « وان » ثم « أخلاط » ثم « بطايس » ثم « أرزن » ثم « ميافارقين » ثم « آمد » ومنها إلى « حلب » ثم إلى « معرة النعمان » حيث تلاقى بالشاعر العربي الفيلسوف « أبي الهلال المعري » وقد ذكره في رحلته فأطراه وأثنى عليه وعلى أخلاقه وفنائه ثناء جميلا . ثم خرج من « معرة النعمان » إلى مدينة « حماه » ثم إلى « طرابلس » ثم إلى « بيروت »

(١) المترجم : نسبة إلى مدينتي « مرو » و « قناديان » والأخيرة منهما مدينة وولاية بالقرب من ترمذ على نهر جيحون .

(٢) هو في الغالب نفس الشخص الذي صادفه في قصة عمر الحيام حيث ذكر أنه أستاذ الرناق الثلاثة : الحيام ونظام الملك والحسن الصباح .

ثم إلى «صيدا» ثم إلى «صور» ثم إلى «عكا» ثم إلى «حيفا» . وبقى في الشام فترة تمكن فيها من زيارة الأراضي المقدسة وقبور الأنبياء وبيت المقدس وبيت لحم ثم استطاع الوصول إلى مكة وتأدية فريضة الحج للمرة الأولى في ربيع سنة ٤٣٩ هـ = ١٠٤٧ م . ثم عاد من مكة إلى «دمشق» ثم إلى «بيت المقدس» وعزم على أن يغادرها إلى «مصر» بطريق البحر ولكن الريح لم تساعد على السفر بحرا فسار إليها براً ووصل في النهاية إلى القاهرة في يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة ٤٣٩ هـ = الثالث من شهر أغسطس سنة ١٠٤٧ م

ناصر خسرو في مصر

وبقى «ناصر خسرو» في مصر مدة سنتين أو ثلاث سنوات ؛ وهذه فترة هامة من فترات حياته، لأنه استطاع أن يتحقق فيها من عظمة الخليفة الفاطمي «المنتصر بالله» وما اتصف به من عدل وإدارة حكيمة مترنة ؛ ولأنه كان في مصر انضمامه إلى الإسماعيلية وتجره في مذاهبهم الباطنية بحيث اتدبوه ليكون داعيم وحجتهم في خراسان . وهو في كتابه «سفرنامه» متحفظ فيما يختص بالمسائل الدينية ، لأنه فيما يبدو قد كنبه للعامه ولم يشأ أن يفيض لهم في هذه الأمور، ومع ذلك يدولنا في وضوح من بذتين وردتا به (ص ٤٠ و ص ٤٢) أنه لا يشك مطلقاً في صحة نسب الفاطميين وأنه شديد التحمس لهم ، لما امتازوا به من إدارة بارنة وثروة طائلة وما ضمنوه لرعاياهم من سعادة سابعة وأمن شامل .

وصف القاهرة في كتاب سفرنامه

وقد أجاد وصف القاهرة وجوامعها (بما في ذلك الجامع الأزهر) وحرارتها العنرة وحدائقها ومبانيها وضواحيها إجادة تبلغ حد الإعجاب . فأما الأخبار التي رواها عن الإدارة الفاطمية للبلاد فهي بالغة الأهمية والقيمة التاريخية . والظاهر أنه أعجب كل الإعجاب بنظام الجيش وترتيبه ، وكيف أن رواتب الجند تدفع إليهم بانتظام بما اقتضى إحساس الأهلين بالطمأنينة إلى سلامة أموالهم من غارة الجند وعدوانهم . وقد بلغ عدد الجيش ٢١٥٠٠٠ جندياً موزعين كالآتي :

الفرسان :	٢٠٠٠٠٠	قبروانى ... وهم من القيروان
	١٥٠٠٠٠	باطلى ... وهم رجال من المغرب (شمال أفريقيا الغربى)
	٥٠٠٠٠٠	بدوى ... من الحجاز
	٣٠٠٠٠٠	من المأجورين ، البيض والسود .
المشاة :	٢٠٠٠٠٠	من المصامدة السود (من شمال أفريقيا الغربى)
	١٠٠٠٠٠	من المشارقة وهم ترك وعجم
	٣٠٠٠٠٠	عبيد الثراء
	١٠٠٠٠٠	من حراس القصر يسمون بـ « السرائين » ولهم قائد خاص
	٣٠٠٠٠٠	من الزنوج والأجاش
	٢١٥٠٠٠٠	جملة الجيش

ولقد أدهشه مقدار الثراء الذى تزخر به الأسواق ، وهو يقول : إن الأمن بلغ حداً كبيراً بحيث لم ير التجار حاجة إلى إغلاق أبواب حوانيتهم ومخازنهم . وفيما يلي فحوى عبارته (١) .

- « وبينما كنت هناك فى سنة تسع وثلاثين واربعمائة هجرية (١٠٤٧-١٠٤٨ م) »
« رزق السلطان بولده ، فأمر الناس بإقامة الأفراح العامة ، فأسرعوا إلى تزين »
« المدينة والأسواق زينة رائعة ، لو أخذت فى وصفها لماصدقنى بعض الناس »
« ولما اعتمدوا قولى ، فقد امتلأت حوانيت البزازين والصرافين وغيرهم »
« بالذهب والجواهر والنقود والبضائع والملابس الموشاة بالذهب والفضة بحيث »
« لم يعد فيها متسع لمن شاء الجلوس . وجميع الناس يحسون بالأمن والسلامة »
« فى ربوع السلطان ، لا يخشى أحد منهم وقعة الجواسيس والتمارين لأنهم »
« يثقون أن السلطان لا يظلم أحداً ولا يطعم فى مال أحد . »
« ولقد شاهدت أموالاً يملكها بعض الناس ، لو أننى أخذت فى التحدث عنها »
« أو وصفها لماصدقنى رجال العجم ولأنسكروا روايتى ، لأننى أنا شخصياً لم أستطع »

(١) انظر ص ٥٣ من سفر نامه طبع «شيفر» ياريس سنة ١٨٨١ .

« أن أعدها أو أحصيا . وأما الرفاهية التي لاحظتها هناك فلم أشاهد مثلهما »
 « في أي مكان آخر . فلقد رأيت هناك نصرانياً من أثرياء مصر ، قالوا إن »
 « سفنه وأمواله وأملاكه لا يمكن عسدها أو حصرها . وحدث في سنة من »
 « السنين أن النيل لم يفيض إلى درجة الوفاء بالحاجة واشتد غلاء الغلال »
 « فاستدعى الوزير هذا النصراني وقال له : إن هذه السنة عجفاء وليست من »
 « سنى الرخاء ، وإن السلطان ليحس بالهم في قرارة قلبه إشفاقاً على الرعية ، »
 « فما مقدار ما تستطيع أن تعطيه من الغلال وتقتضى منه نقداً أو قرصاً ؟! »
 « فأجاب النصراني : أسعد الله السلطان والوزير ، إن لدى من الغلال »
 « الحاضرة ما أستطيع أن أطعم به مصر ست سنوات كاملة ...!! وليس هناك »
 « من شك في أن أهل مصر في ذلك الوقت كانوا كثيرين بحيث أن سكان »
 « نيسابور كانوا لا يبلغون خمسم مئمة بالنسبة وأسرفنا في التقدير . وليس هناك »
 « من شك أيضاً في أن كل خير بالأرقام يستطيع أن يدرك مدى الأملاك التي »
 « ينبغي أن يملكها شخص من الأشخاص حتى تبلغ غلاله هذا الحد والمقدار...! »
 « وكيف كانت الرعية آمنة والسلطان عادلاً حتى تيسرت مثل هذه الأحوال »
 « والأموال في أيامهم...؟! فلا السلطان يجور على أحد أو يظلمه ، ولا الرعية »
 « تخفى شيئاً أو تكتمه . »

وقد استغرقت رحلة «ناصر خسرو» منذ خروجه من موطنه إلى وقت رجوعه سبع سنوات كاملة ؛ فقد ابتدأت في يوم الخميس السادس من جماد الآخر سنة ٤٣٧ هـ وانتهت في يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخر سنة ٤٤٤ هـ (أي من ١٩ ديسمبر سنة ١٠٤٥ م إلى ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٥٢ م) وقد تمكن في خلال هذه المدة من أداء فريضة الحج خمس مرات ، عاد بعدها في النهاية من الحجاز إلى موطنه الأصلي ، ماراً بتهمه واليمن والإحساء والقطيف فالبصرة ، وأقام بالبصرة ما يقرب من شهرين ثم غادرها إلى مرو ، ماراً بـ «ارجان» و«إصفهان» و«نائين» و«طابس» و«تون» و«سرخس» .

ديوان ناصر خسرو :

والآن يجب علينا أن نترك كتاب «سفرنامه» وأن ننتقل إلى دراسة «الديوان» :
ولكن من الضروري لنا قبل أن نقدم على ذلك ، أن نشير إلى نظرية دافع عنها العالم
الكبير المرحوم الدكتور «ريو»^(١) وكذلك العلامة «برتش»^(٢) و«فانيان»^(٣)
ولكنها أصبحت بعد ظهور الأبحاث الجديدة التي قام بها على الأخص «شيفر»
و«إتيه»^(٤) واجبة الترك . ومقتضى هذه النظرية أنه كان يوجد شخصان متمايزان
يسمى كل منهما باسم «ناصر خسرو» ويكنى بـ «أبي معين» ؛ فأما أحدهما فشاعر
ساحر فيلسوف ؛ وأما الآخر فراحلة جواله .

ويورد الدكتور «ريو» هذه النظرية في وضوح تام فيقول :
« إن أمور أقلية تكشف لنا أننا نواجه في دراستنا شخصين متمايزين . فأما الحكيم »
« ناصر كما كان يسمى الشاعر فقد ولد في إصفهان ووصل نسبه بالإمام « علي »
« ابن موسى الرضا » واشتهر بكونه شاعرا قبلما يتم تأليف هذا الكتاب (أي «
« سفرنامه) وقبلما تتم المنظومة المعروفة باسم « روشنائى نامه » المؤرخه بتاريخ
« ٤٢٠ هـ (انظر « برتش » فهرست الكتب بمكتبة جوتاس ١٣ ، أما التاريخ
« الذى ذكرته نسخة ليدن على أنه سنة ٣٤٣ هـ غلطى ، فى أغلب الظن . انظر
« الفهرست ج ٢ ص ١٠٨) . أما ناصر الرحالة مؤلف « سفرنامه » فعلى العكس
« من ذلك يذكر لنفسه نسبتين : إحداهما تشير إلى قباديان وهى بلدة بالقرب من
« بلخ حيث كان مولده ، والأخرى تشير إلى مرو حيث كان مستقره وهو لا يدعى
« مطلقا أنه ينتسب إلى أصل عظيم أو أنه حاز شيئا من الشهرة إلا ما كان »

- (١) انظر فهرست الكتب الفارسية من ٣٧٩ — ٣٨١ .
(٢) انظر فهرست الكتب الفارسية فى برلين من ٧٤١ — ٧٤٢ .
(٣) انظر « مجلة المستشرقين الألمان » مجلد ٣٤ سنة ١٨٨٠ من ٦٤٣ — ٦٧٤ وكذلك
« المجلة الآسيوية » المجموعة الثانية مجلد ١٣ سنة ١٨٧٩ من ١٦٤ — ١٦٨ .
(٤) انظر كذلك ملاحظاتي التى أبدأتها فى مقال المنشور بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية
سنة ١٨٩٩ من ٤١٦ — ٤٢٠ .

« من أمر اشتهاره بالصيرفة والأعمال المالية . أضاف إلى ذلك أن الحكيم »
 « ناصر ولد في سنة ٣٥٨ هـ كما يقول كتاب « حبيب السير » (طبعة بمبای »
 « المجلد ٢ جزء ٤ ص ٦٧) أو في سنة ٣٥٩ هـ كما هو مذكور في كتاب « دبستان »
 « بينما يذكر الرحالة مؤلف « سفر نامه » في إحدى عباراته ما يفيد أنه »
 « بلغ الأربعين من العمر في سنة ٤٣٧ هـ . »

وهناك مشاكل أخرى تعترضنا إذا شئنا التثبت من شخصية الشاعر والرحالة ،
 ومنشؤها جميعا يرجع إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب التأخرين ؛ ومن حسن
 الحظ أنه يمكن التغلب عليها جميعا بمراجعة دقيقة لكتاب « سفر نامه » ولديوان ، ومقارنة
 ما جاء فيهما من أخبار . فإذا فعلنا ذلك وجدنا أن الرحالة كان فيما يظهر يسمى
 بالحكيم ، لأن الهاتف الذي ناداه في المنام قال له في معرض الرد على دفاعه عن نفسه
 لاحتساء الخمر : « أن الراحة لا تكون بفقد العقل والصواب ، ولا يمكن أن يقال
 لشخص إنه حكيم بينما يتود الناس إلى فقدان الصواب ... !! » .

أما « دولتشاه » الذي اشتهر بأغاليطه فعليه وحده تقع تبعة القول بأنه ينتسب إلى
 « إصفهان » وهو قول ينفيه أساساً هذان البيتان الوار . ان في الديوان (١) :

گرچه مرا اصل خراسانی است از پس پیری ومهی وسری
 دوستی عترت وخانه رسول کرد مرا یمگی ومازندری
 ومعناها :

-- ولو أنني أصلاً من خراسان ،

ولكنني بعد ما بانعت المجد والعظمة والساطن ...

-- جعلني حبي لآل الرسول وعترته

انتسب إلى « یمگان » و « مازندران » ... !!

وفياتعلق بتاريخ ولادة هذا الشاعر ، لدينا تصريحه (١) الوارد في صفحة ١١٠ من الديوان ، حيث بقرر أنه ولد في سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م ؛ وفي نفس الصحيفة ونفس القصيدة يقول بعد أربعة أبيات إنه بلغ الثانية والأربعين من عمره «حينما أخذت روحه الواعية تبحث عن الحكمة» ؛ وفي مكان آخر من صحيفة ٢١٧ يستعمل الأعداد التقريبية فيقول ماقاله في كتاب «سفرنامه» من أنه بلغ الأربعين من عمره حينما تحولت حياته إلى هذه الناحية . وعلى هذا فلا يمكن أن تكون هناك مطابقة تامة في رواية الأخبأ أكثر مما هو مشاهد في المطابقة بين في رواية «سفرنامه» وبين ماورد في «الديوان». فإذا تعمقنا في دراسة هذين الكتابين تبين لنا في وضوح وجلاء أن مؤلفهما واحد . أما ذكر الأربعين فعلى سبيل التقريب لأن هذه السن قد وردت في أمكنة أخرى على أنه بلغ الثانية والأربعين . ولو أنعمنا النظر ودققنا قليلا لتبين لنا أن الشاعر قد بلغ الثالث والأربعين حينما بدأ رحلاته (٤٣٧ - ٣٩٤ = ٤٣ سنة) ، وأنه بلغ الخمسين حينما عاد من مصر إلى خراسان ، ويبدو أنه قد نظم جميع القصائد التي يشتمل عليها الديوان بعد هذا التاريخ . وفيما عدا ذلك ، فبالإضافة إلى الإشارتين اللتين تتعلقان بعمره حينما نحأ نحو الحكمة ، لدى سبع عشرة مقطوعة ذكر فيها الشاعر عمره وقت كتابتها وبيانها كالآتي .

يذكر أنه بلغ الخمسين في الصفحات ٢٠ و ٢١٩ و ٢٣٠ و ٢٦٣

ويذكر أنه تجاوز الخمسين في صفحة ٨٧

ويذكر أنه بلغ الستين في الصفحات ٢٤ و ٧٩ و ١٠٢ و ١٦٤ و ١٧٣

١٧٩ و ١٩٩ و ٢٠٧ و ٢٤٤

ويذكر أنه تجاوز الستين في صفحة ٧٠

ويذكر أنه بلغ الثانية والستين في صفحتي ١٦٦ و ١٧١

(١) المترجم : ورد ذلك في قصيدته التي يقول فيها .

بگذشت زهجرت بس سبصد نود و چار بنهاد مرا مادر بر مرکز اغبر
(أقلر س ١٨٣ من طبعة طهران)

وقد أشار في أمكنة أخرى إلى ازدياد ضعفه وشيخوخته في الصفحة الخامسة ؛
والى دنو أجله في الصفحتين السادسة والسابعة ، ومع ذلك فليس لدينا من الأخبار
مابقطع بتاريخ وفاته على وجه التحقيق .

دراسة البرهان

ومنذ سنتين تقريبا قرأت الديوان برمته في طبعة تبريز ، وهي تشتمل على ٢٧٧
صحيفة ، تتضمن وقفا لإحصائي ٧٤٢٥ بيتا من الشعر ؛ وكنت أمل حينئذ أن أكتب
مقالا عن هذا الشاعر فأخذت أدون آرائي فيما يتعلق بخصائصه النحوية واللغوية
والبلاغية ؛ ودونت كذلك إشاراتي إلى الأماكن والأشخاص والحوادث ، وسجلت
بعض المقطوعات التي يكشف لنا الشاعر فيها عن آرائه الدينية والفلسفية وخصوصا
ما يتصل منها بعلاقته بالإسماعيلية والخلفاء الفاطميين ، ولكنني لم أجد متسعا من الوقت
لنشر هذه الملاحظات في مكان آخر ، فكان لزاما علي أن أذكرها باختصار في هذا
القام (١) .

أما فيما يتعلق بلقائه ، فالأمر دقيق جدا بحيث لا يمكنني التحدث عنها في استفاضة
في هذا الكتاب الذي لم يقصده المتخصصون في دراسة الفارسية وحدهم ؛ ومع ذلك
يمكنني أن أقول في إيجاز أن المؤلف - من حيث الخصائص اللغوية والنحوية - استعمل المهجور
التقديم من الألفاظ ، وأن أسلوبه يشبه إلى حد كبير أسلوب « التفسير الفارسي القديم
للقرآن » الذي أطلت الحديث عنه في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » (٢) في شهر
يوليه سنة ١٨٩٤م (صحيفه ٤١٧ - ٥٢٤) في مقال حاولت البرهنة فيه على أن هذا
التفسير قد كتب في خراسان في زمن السامانيين ؛ فكلال الكتابين يشتمل على ما يقرب
من أربعين كلمة نادرة الاستعمال أو ذات معان مهجورة ، وهما بالإضافة إلى ذلك
يشتملان على تعبيرات وصيغ نحوية شاردة .

(١) منذ كتبت هذا المقال نشرت في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » في سنة ١٩٠٥
س ٣١٣ - ٣٢٥ مقالا بعنوان « ناصر خسرو الشاعر والرحالة والداعي » وقد اشتمل هذا
المقال على بعض الملاحظات التي ذكرتها وكذلك على بعض الأسماء التي ترجمتها في هذا الفصل
(٢) أنظر An Old Persian Commentary, j. R. A. S. July 1894

أما الأماكن المذكورة في الديوان فتضمن « بغداد » و « بلخ » و « مصر » و « جرجان » و « غزنة » و « الهند » والمدينتين الوهميتين « جابلقا » و « جابلسا » وكذلك « خاوران » و « ختلان » و « خراسان » و « مازندران » و « جيحون » و « وادي القبچاق » و « الرى » و « السند » و « سجستان » و « سپاهان أو إصفهان » و « ششتر » و « لوت » و « طراز » و « تون » و « يمان » و « زابلستان ». وقد أكثر الشاعر من ذكر موطنه « خراسان » (ص ٢٤١ ، ٢٤٣) وهى البلاد التى أرسل إليها فى أواخر حياته على أنه « حبتها » الإسماعيلي (ص ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦) . وذكر أنه كان هناك كسفينة نوح (ص ١٦٩) بين الأنعام (ص ٢٦٦) من أهلها الأشرار (ص ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤١) الذين أساء الحكم حكمهم (ص ٢٤٣) . وهو يشير إليها فى تحفظ (ص ٤٨ ، ٤٩) فيصورها بأنها صحراء روحية مألحة (ص ٢٠٣) اضطر إلى الأزواء والاختفاء بها (ص ١٨٥) . ويصادف القارىء بعد ذلك بكثرة اسم مدينة « يمان » وهى البلدة التى استقر فيها الشاعر فى النهاية ؛ ويتحدث الشاعر خلال ديوانه عن رحلة قام بها استغرقت خمسة عشر عاماً (ص ١٦٧) وعمّا أحس به من الوحدة والاعتراب (ص ١٦١ ، ١٧٠ ، ٢٢٧) وهو فى إحدى المرات يتحدث عن نفسه كأنه أسير سجين (ص ٢٤٣) ولكنه فى مرة أخرى يدعو نفسه ملكاً وشهرياراً (ص ١٥٩ ، ١٦١) . أما بقية الأماكن التى ورد ذكرها فى أشعاره فقد ورد ذكرها مرة واحدة ، ماعداً « بلخ » فقد ذكرت سبع مرات و « بغداد » فقد ذكرت أربع مرات ، وفيما عدا ذلك فقد وردت إشارة واحدة عن « الترك » و « الفز » (ص ٧)

أما الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الديوان فأكثر عدداً . فقد ذكر من أنبياء التوراة ورسلها أسماء « آدم » و « حواء » و « نوح » و « سام » و « حام » و « إبراهيم » و « ساره » و « موسى » و « قارون » و « يونس » و « دانيال » . أما « المسيح » فقد ذكره فى صفحة ١٧٨ وقرن اسمه باحترام زائد فجعله « الابن الذى لا أب له » و « أخا لشعون » ، استطاع بفيض الله وروحه أن يرد الحياة إلى الأموات . وقد ذكر من بين رجال اليونان أسماء « سقراط » و « أفلاطون » و « يوقليدس » و « قسطنطين » . وذكر من بين ملوك الفرس الأقدمين الذين تحدث عنهم التتخص الفارسى أسماء « جمشيد »

و « الضحاک » أو « أژدها کا » و « فریدون » . و ذکر من بین الساسانیین اسمی « ساپور الثانی بن اردشیر » واسم الأمير « قازن » . و ذکر من بین شعراء العرب و باغاتهم أسماء « النابغة » و « سحبان بن وائل » و « حسان بن ثابت » و « البحتري » . و ذکر من بین شعراء الفرس أسماء « الرودگی » في صفحة ٢٧٣ و « المنصري » في الصفحات ١١ ، ١٢ ، ١٧٢ ، و « الكسائي » في الصفحات ١٩ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، و « الأهوازی » في صفحة ٢٤٩ و « الشاهنامه للفردوسی » في الصفحتين ١٨٣ ، ١٩٠٠

ولست أرف الدليل أندی اعتمد عليه الدكتور « إتيه » (١) ليؤكد أن « ناصر خسرو » لا يشارك « الكسائي » كراهيته للخلفاء الثلاثة الراشدين « أبي بكر » و « عمر » و « عثمان » و يجمع بينهم و بين « علي » قائلا أن فكرة « الحلول الإلهي » انقلت منهم إليه . ولو أننا رجعنا إلى الديوان لوجدنا ست إشارات لى « عمر » اقترن فيها اسمه باسم « أبي بكر » مرتين (٢) ولكننا لا نجد ذكر لـ « عثمان » على الإطلاق . ولا شك أن بعض هذه الإشارات ليس فيها شيء من التحقير أو الامتزان لشأن « عمر » ولكننا نلاحظ أن الأمثلة الآتية تخالف ذلك تمام المخالفة :

يقول في صفحة ٦٢ :

— و نما لامراء فيه أن عمر سبىء لك مكانا في جهنم ، إذا اتبعت طريق المعجبين

بعمر ورفاقه ... !! (٣)

ويقول في صفحة ٢٦٣ :

— و حذار الأسي ... إذا تركت وبقيت في يمكان وحيدا أسيرا ... !! (٤)

(١) أنظر مقاله الموجودة في ج ٢ ص ٢٨١ من « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية »

بعنوان : « الأدب الفارسي الحديث : Neupersische Litteratur »

(٢) المترجم : لورحمنا إلى الديوان المطبوع في طهران سنة ١٣٠٤ — ١٣٠٧ هـ لوجدنا

أن اسم عمر ذكر خلاله ست عشر مرة .

(٣) المترجم : نص هذا البيت بالفارسية كما ورد في طبعة طهران ص ١٠١ هو :

عمر اندرسقرت جایی دهم بی شک اگر بروی بر ره اینها که رفیق عمرند

(٤) المترجم : أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو :

دانشک مشو بدانک در یمكان ماندى تنها وگشته زندانى

از خانه عمر براند سلمات را امروز برین زمین تو سلماتی

— فقد أخرج عمر سلمان من دياره ، وأنت الآن سلمان هذه الديار ...!!
ويقول في صفحة ٢٦٢ :

— وكيف يجوز لي أن أكثر اللجاج والمجادلة في شأن عمرو أبي بكر ...!! (١)
وشبه بذلك ما يقوله في صفحة ٢٤١ بشأن «عائشة» و «فاطمة» :
— كانت عائشة زوجة لوالد فاطمة ، وأنت بالنسبة لي من شيعة زوجة الأب
— فيا سيء الطالع ...!! مادمت من شيعة زوجة الأب ، فمن الطبيعي أن تكون
عدوا لابنة الزوج ... !! (٢)

والشاعر يبالغ في إطراء «علي» وشيعته و«فاطمة» و«الأئمة» و«الأئمة الفاطميين»
وخاصة «الستصر» و«سلمان الفارسي» و«المختار» الذي انتقم لموقعة «كربلاء» .
أما الخليفة العباسي فيذكره الشاعر باسم «الشیطان العباسي أو دینو عباسی» كما ورد
في ص ٢٦١ . وهو يذم أهل السنة ويسمهم «الناسيين» . كما يتحدث عن ثلاثة من أئمة
المازب السنية وهم «أبي حنيفة» و«مالك» و«الشافعي» في الصفحات ١١٥ و١١٩
و٢٠٩ فيقول إنهم يعيزون لعب الميسر وشرب الخمر وغير ذلك من الآثام ؛ وهو يزدرى
قتها ، أملى السنة ويذكرهم بامتهان في الصفحات ٥٨ و٨٢ و١٨١ ؛ ويعرض أحيانا
(في الصفحات ٩٥ و٢٣٧ و٦٤) . لذكر ثلاثة من مشايخ الصوفية هم «بايزيد البسطامي»
و «ذو النون المصري» و «إبراهيم بن أدهم» ولكنه يطردهم ويذمهم . أما الحكام
المسلمون فيذكر من بينهم «السامانيين» في صفحة ١٩١ ويقرن ذكرهم بذكر
«الجماعة المستذلين المستضعفين» (قومي زيردستان) إشارة فيما يظن إلى ملوك الغزنويين
الأرقاء الذين اتقوهم على حكم خراسان . وهو يشير كذلك (صفحة ٧) إلى «آل فريفون»
أو الأسرة الأولى من ملوك خوارزم المروفين باسم الـ «خوارزمشاه» . ويذكر

(١) المترجم: هذه ترجمة الشطر الأول من البيت التالي الوارد في ص ٢٩١ من طبعة طهران:

هیچ با بو بکرو با عمر لجاج نیتست امروزونه روز محشرم

(٢) المترجم: أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو :

فاطمه را عایشه ما بندر است پس تو مرا شیعت ما بندری

شیعت ما بندری ای بد نشان شاید اگر دشمن دختندری

«عمر السلاجوقى» فى صفحة ١٤٣ . ويذكر كذلك «محموداً الفزنوى» أربع أو خمس مرات ، وقد وردت بديوانه (فى صفحة ٢٦٣) إشارة واحدة إلى اوزير السامانى «أبى الفضل البلعمى» الذى ترجم تاريخ الطبرى الى الفارسية .

وفى عدا الإسلام يذكر «ناصر خسرو» من الأديان الأخرى ما يأتى :

ويذكر «اليهود» فى الصفحات ٥٣ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٣٨

ويذكر «المسيحيين» فى الصفحات ١٤ ، ١٥ ، ٦٧ ، ٢٤٢

ويذكر «المجوس» فى الصفحات ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٩

ويذكر «الهنود» فى صفحتى ٣٣ ، ٢٠٤

ويذكر «الثنوية» فى صفحتى ٢٨ ، ٢٧٥

ويذكر «المانوية» فى صفحتى ١١١ ، ٢٦٩

ويذكر «الصابئة» فى صفحة ١١١

ويذكر «الزنادقة» فى صفحة ٥٨

ويذكر «الفلاسفة» فى صفحتى ١١١ ، ٢١٦

أما أصحاب المذاهب الإسلامية ، فى عدا من سبق لنا ذكرهم من «الحنفية» و«المالكية» و«الشافعية» وغيرهم ، فيذكر منهم «الحرورية» و«الكرامية» و«الليالية» (ص ٢٣٩) كما يذكر «القرامطة» فى ص ٢٥٤ . وهو يستعمل لفظ «الباطنى» استعمالاً حسناً فى مقابل لفظ «الظاهرى» ؛ أما «الملحد» فيعرفه الشاعر فى صفحة ١١٨ بأنه الرجل الذى يريد أن يتعمق فى فهم العقائد الدينية . ويبدو مما جاء فى بعض أشعاره أنه كان ملماً بمحتويات «الإنجيل» ومما يؤيد ذلك العبارات الإنجيلية الآتية التى وردت فى أقواله مثل :

كمن يلقى بالجواهر أمام الخنازير (ص ١١)

أجب الجاهل بقدر جهالته (ص ٦٧)

لقد نضب ازيت فى سراجك (ص ١٣٨)

أنا ذاهب إلى الأب (ص ١٣٩)

ستخرج من الدنيا عرباً كما دخلتها عارياً (ص ١٤٥)

ونستطيع أن نستخلص من الديوان كثيرا من الأمور التي رواها الشاعر عن حياته بالإضافة إلى ما ذكرناه منها آنفا . وأغنى القوائد في هذا الصدد هي قصيدته السادسة والسبعين التي ذكر فيها تاريخ ولادته . وهو يحدثنا في الديوان (صفحة ١١٢) عن رغبته الجامحة في إدراك المعاني الباطنية للأوامر الدينية ؛ ويشكر الله في (صفحة ٥) على هدايته إلى اتباع الحق ؛ ويشير (في صفحة ٩١) إلى أن اعتناقه للذهب الإسماعيلي إنما حدث في فترة متأخرة من حياته ؛ ويصف لنا (في ص ١٨٢) مراسم إدخاله في مذهب الإسماعيلية وبمين الولاء التي أفسمها (ص ١١١ - ١١٢) وكيف أنه أصبح مكروها بسبب حبه لأهل البيت (ص ٦) وكيف أن أهل السنة يضطهدونه (ص ٢٢ ، ١٢٧ ، ٢٢٧) ويتمهونه بأنه شيعي (ص ٢٢٣) ورافضي (ص ١١٥) وملحد ، وكيف أنهم يلعنونه على المنابر (ص ٢٢٣) . ولا يستطيع أحد أن يذكر اسمه على لسانه . وهو يتحدث عن نفسه بأنه «حجة خراسان» (ص ٣٣) ؛ وأنه «حجة المستنصر» (ص ٢٣٩) ، ويشير أحيانا إلى غيره من «الحجج» وأنه يعتبر واحداً من نقباء الإسماعيلية الإثني عشر (ص ٢٠٩) ؛ ويلقب نفسه بأنه «مختار على» (في صفحة ١٥٩) وأنه «أداة الإمام المختارة» (في صفحتي ١٥٨ ، ١٦٢) ويفخر بعد ذلك بحياة الزهد والعفاف التي عاشها (انظر صفحتي ٩ ، ٢٥٢) وبمقدار العلوم التي حصلها (الصفحات ١٠٠٥ ، ١٢٧ ، ١٥٨) وبمقدار الآداب والأشعار التي برز فيها (انظر صفحتي ٢٢ ، ٨٠) ؛ ثم يشير إلى كتبه الكثيرة (الصفحات ٢٣٣، ٩٠٥) وإلى أشعاره العربية والفارسية (صفحة ١٧١) وإلى كتابه المعروف بـ «زاد المسافرين» (صفحة ١٩٥)؛ ولكن ما أقل الأخبار التي رواها عن ذوي قرابته ، وإن كنا نصادف إشارات عابرة عن ابنه (انظر صفحتي ٦ ، ١٨٥) وعن والده ووالدته وأخيه (صفحة ٢١٩) .

آراؤه الدينية :

وآراؤه الدينية والفلسفية مصورة أبدع تصوير في ديوانه ، وهي تعتبر في حقيقة الأمر المدار الأصلي الذي تدور عليه سائر أشعاره ، ويمكن إجمال الحديث عنها بأنها جميعاً أفكار إسماعيلية أو باطنية صميمة . وهو يعنى إمعاناً في إتباع مذهبهم

المعروف بمذهب «التأويل» ، ويقول إنه غير التأويل يصبح نص القرآن غير مستساغ الطعم شبيهاً بماء البحر الأجاج (صفحة ٣) ويختفي معناه كما تختفي المياه في كومة من التبن والقش . وقد اتبع هذا المذهب في تفسير «الجنة» و «الجحيم» و «يوم القيامة» و «عذاب القبر» و «المسيخ الدجال» و «شروق الشمس من المغرب» ، وقل إن تفسيرها على هذا النحو واجب وضروري (صفحة ٣٩) بل هو أساسى لفهم الدين وروحه (صفحة ٣٣) ولم يعهد الله لأحد بالمفاتيح التي يفتح بها هذه المغلقات إلا لأئمة أهل بيت الرسول (الصفحات ١٢ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ١٢٤ ، ١٤٢) فهم وحدهم المؤمنون عليها (صفحة ٤) وهو يقول أيضاً إن «التنزيل» واجب وضروري (ص ٢٩) وإن اللغة العربية اكتسبت مجدها الخالد من كونها لغة القرآن والتنزيل (صفحة ٢٤٩) ومع ذلك فلا فائدة من ترديد القرآن كما تفعل البيغاوات (صفحة ٢١٤) ولا جدوى من تقى لا يصحبه فهم وإدراك (صفحة ٣٧) ومرتبة العلم عالية رفيعة ولكنه مع ذلك خادم للدين (انظر صفحتى ١٥٠ ، ٢٣٥) والدين بدوره روح العالم وريحانه (صفحة ١٨٨) ولا وجود لشيء في الكون إلا لله (صفحة ١٩٣) وهو لا يعرف التأيد ولا التوقيت (صفحة ١٦٦) وكل الظواهر ماهى إلا أصداء من وجوده (صفحة ١٠٦) ومع ذلك فهى مشحونة بالمعانى والدلالات (ص ١٩٧) لأن العقل الكلى كامن فيها (ص ١٤) والإنسان هو وحدة الوجود (٢٣٢) ولا حد للزمان والمكان ، وليس للسموات نهاية أو زوال (صفحة ٤) ومع ذلك فالعالم زائل وليس أبدياً (صفحة ١٢ ، ٣٩ ، ٤٠) وفيما يلى مثالان من أقواله يُؤيدان ترجيحه لمذهب «الاختيار» وعدم أخذه بمذهب «الجبر» .

يقول فى صفحة ٥٦ :

— إن الله يخلق الأم والثدى واللبن

ولكن الطفل عليه أن يمتص اللبن من ثدى أمه...!! (١)

(١) المترجم : نص هذا البيت وارد فى صفحة ٩٤ من طبعة طهران هكذا :

گرچه یزدان آفریند مادر و پستان و شیر کودکان را شیر مادر خود همی باید مکید

ويقول في صفحة ١٤٩

— إن روحك هي السجل ، وأعمالك هي الكتابات التي تكتب في هذا السجل
فلا تسطر في سجلك إلا كل ما عز وجل

— واكتب في كتابك كل طيب وجميل من أعمالك

فالقلم .. يا أخى ... طوع لما تخطه يدك ويكتبه بنانك ... !!

وهو يقرر أن الخلفاء الناطميين هم وحدهم الخلفاء الشرعيون للمسلمين (ص ٢١٠) وهم الحفظة للجنة (ص ٢١٣) وفي كل بقعة من بقاع الأرض «باب» للإمام (ص ٧٧)

وهناك إشارات كثيرة للعدد « سبعة » (أنظر صفحتي ٨٨ ، ١٣١) ولمذهب «الأساس» وهو من صميم عقائد الاسماعيلية (الصفحات ١٧٦ — ١٧٨) ويجدر بنا في النهاية وقبل أن نعرض لأمثله مترجمة من أشعاره أن نشير إلى أن «ناصر خسرو» كان يزيدى الملوك ازدراءا شديدا (ص ٦) ويزدرى ملازمهم من الحاشية (صفحتي ١٥١ ، ٢٣٠) ، ويحتقر كذلك مداحهم من الشعراء والكتاب (الصفحات ٧ ، ١١٠ ، ١٤٤ ، ١٤١١٢٤ ، ٨٠) بل وكل اديب (ص ٢٢٨) وعلى الخصوص شعراء الغزل (صفحات ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٧١)

مترجمت منه أشعاره

وفيما يلي مائة بيت ترجمتها (١) من أشعاره ، اخترناها من القصائد الخمس الأولى من ديوانه ، أى من الصفحات العشر الأولى منه ، وقد رأينا أن نضع نقطا صغيرة في مكان الأبيات التي أسقطناها من الأصل :

(١) المترجم : عدد الأبيات هو تسعة وتسعون بيتا على وجه الدقة

المثل الأول (صفحة ۲ - ۴ من طبعة تبریز) (۱)

- أن كلامه هو الله بحار الكلام اترخرة
 قد امتلأت بالجواهر الكريمة والآلىء الباهرة...!!
- وظاهر «التنزيل» مالخ كماء البحر المرير
 ولكن باطن «التأويل» حلو كالآلىء لدى أصحاب التفكير...!!
- والجواهر والآلىء، مستقرة في جوف البحر وأعمقه
 فلا تنفع بالسير على شواطئه، والتمس غواصا ماهرا يصل إلى أعماق أطباقه
- وهل تعرف لأى سبب وضع الله في قاع البحر والماء
 مثل هذه الجواهر والآلىء ذات الرونق والبهاء...!!
- [۵] — وضعها هكذا لأجل «الرسول» وكأنما قال له: هذا المثل واجب الاحتذاء،
 فأعط «التأويل» للحكماء واعط «التنزيل» للدواعى...!!
- وإذا لم يعطك الغواص غير العكر والماء المالح والطين
 فلأنه لم ير منك غير الخنق والكراه والعداء اللدنيين
- فاطاب المعنى الحقيقي لظاهر «التنزيل» وكان كالرجال الأصفياء
 ولا تكن كالجمير، فتتمتع بالهنيق والآقوال الهراء...!!
- وهالك «دارا» صاحب الخيل والحشم
 قد غادر الحية مجردا وحيدا، بلا خيل ولا خدم...!!

(۱) الترجم: أنظر صفحة ۳ من طبعة طهران سنة ۱۳۰۴-۱۳۰۷ الهجرية الشمسية ونس
 لآيات كابل:

دریای سخنها سخن خوب خدایت	پر گوهر باقیمت و بر او او لالا
شور است چو دریای مثل ظاهر تنزیل	تأویل چو لؤلؤست سوی مردم دانا
اندر بن دریاست همه گوهر و او او	غواص طلب کچو روی براب دریا
اندر بن شوراب ز بهر چنهاد است	چندین گهر و او او ارزنده وزیا
(۵) از بهر پیمبر که بدین صنع ورا گفت	تأویل بدانان ده و تنزیل بنوعا
غواص ترا جز گل و شورابه ندادست	زیرا که ندید است ز تو جز معادا
معنی طلب از ظاهر تنزیل چو مردم	خرسند مشو همچو خر از قول باوا
دارا که هزاران خدم و خیل و حشم داشت	بگذاشت همه پاک و بشد با تن تنها

— والزمان العوبة خاطئة تلتقف جميع الأنام
ولا ينجو منها أرفع الأسياد ولا أحقر الخدام ... !!

[۱۰] — وبعد ذلك اليوم . لا يستطيع فرد من الكفاة
أن يجد لدى الحاكم العادل ملجأً أو منجاة ... !!

— وينال جميع الناس ما يستحقون من مجازاه
ويتوى في ذلك الظالم والعادل بغير محاباة .. !!

--- وفي ذلك اليوم سأقدم في وسط الهول والفرع والدعاء
فأتلق أمام الشهداء ، بأذيال ازهراء (أى فاطمة ازهراء)

— حتى ينتصف لى الله من أعداء أولاد الرسول
ويعطيني حقي كاملاً ، وأنال منه الرضا والقبول ... !!

المثل الثانى (ص ٤ — ٥ من نسخة تبريز) (١)

— كيف يمكن للمساء أن تجود عايك بالراحة والاستقرار
بينما هى نفسها لا تعرف الراحة ولا السكينة ولا القرار ... !!

[۱۵] --- يا سيدى ... إن هذا العالم سلم للعالم الآخر وساحته
فإذا شئت بلوغ النهاية فعليك أن ترقاه إلى غايته ... !!

— وتأمل مليا فى هذا الفلك الدائر وهذه الأرض الساكنة
ففيها صنعة عالم الغيب ، وحكته البالغة الكامنة ... !!

بازيت رباينده زمانه كه نيايد زو خلق رها هيچ نه مولا ونه مولا
(۱۰) روزيست از آن پس كه در آنروز نيايد خلق از حكم عدل نه ملجأ ونه منجا
آنروز نيايد همه خلق مكافات هم ظالم وهم عادل بى هيچ محابا
آنروز در آن هول وفرع بر سر آنجم پيش شهدا دست من ودامن زهرا
ناداد من از دشمن اولاد پيـر بدهد بتمام ايزد دادار تعالى
(۱) المترجم : يقابلها صفحة ه فى نسخة طهران ونس الأبيات المترجمة كما يلى :
چگونه كند يا قرار آسمان چو خود نيت ازين قرار آسمانرا
(۱۵) سرا آنجهان نردبان اينجهانست بسر بر شدت بايد اين نردبانرا
درين بام گردان واين بوم ساكن بين صنعت وحكمت غيبـدانرا

وتأمل كيف أمكنه بغير حاجة ولا معونة من أي قبيل
 أن يجعل الروح الخفيفة قرينة لهذا الجسد الثقيل...!!
 -- وكيف استطاع أن يعلق في قبه الفلك الحضراء
 هذه الكرة الكبيرة المعتمة السوداء...!!
 -- وما هذا الذي تقوله...؟ من أن هذا الفلك الدائر المسكين
 سيبليه ما لا يمكن حصره من الأيام والسنين...!!
 [٢٠] ... كلا .. فهذا الفلك غير قابل للبلبلى والزوال
 لا هو .. ولا الريح الدائرية ... ولا الماء الجارى الزلال...!!
 --- والمكان والزمان ... كلاهما دليل على قدرة الرحمن
 ومن أجل ذلك . ليس للسكان حد ... ولا للزمان...!!
 -- ولو أنك قلت لى : إن هذا لا يوجد فى القرآن
 قلت لك إنك لم تحسن فهم معانى الفرقان...!!
 --- وقد جعل الله خازنا وحارسا على القرآن
 وأحال إليه جميع الخليقة من إنس وجان...!!
 --- ولكنتك بدل أن تتبع من اختاره الله والرسول
 فضلت أن تتابع فلانا وكل إمعة مجبول ... !!
 [٢٥] --- فهلا تحققت أن زاد الإنسان لا يلبق إلا للرجال والأصحاب
 وأن طعام الكلاب لا يلبق إلا للكلاب...!!

ننگه کن که چون کرد بهیچ حاجت
 که آویخت اندرین سبز گنبد
 چه گوئی که فرساید اینچرخ گردان
 (٢٠) نه فرسودنی ساختن این فلکرا
 مکان وزمان هر دو از بهر صنع است
 اگر گوئی این در قران نیست گویم
 قرانرا یکی خازنی هست کابزد
 تو بر آت گزیده خندا ویمبر
 (٢٥) مردم شود آب و نان تو مردم
 بجان سبک جفت جسم گرانرا
 مرین تیره گوی درشت کلانرا
 چو یجد و مر بشرد سالیانرا
 نه آب روان ونه باد یزانرا
 ازین نسبت حدی زمین وزمانرا
 همانا نکو می ندانی قرانرا
 حوالت بدو کرد مر انس وجانرا
 گزیدی فلان وفلان وفلانرا
 نبی که سگ سگ کند آب و نانرا

الثالث الثالث (ص ٥ — ٧ طبعة تبريز) (١)

- لو كانت دورة الدهر تجرى وقما لفضلى ومداه
لما كان لى مستقر إلا على قمة القمر فى علاه ... !!
- ولكن من أسف أن الفلك والدهر لا يعرفان قيمة الفضل والصواب
وهكذا قال لى فى وقت الصبا والشباب ... !!
- والعلم خير من الضياع والمال والملوك والجاه
وقد أفتانى بذلك عقلى ، كما أفتت به الحياة ... !!
- وخاطرى يزدهى ، أكثر من القمر ، بالنور والضياء
ولا يصلح مقر القمر ... لمقامى .. فى أوج السماء ... !!
- [٣٠] — وفى مدافعى لجيوش الزمان وسيوفه المصلته القاطعة
اكتفى بالدين مجتأ ، والعقل ترسا من غوايته الواقعة ... !!
-
- وفكرى شجرة مورقة طيبة الثمرات
أوراقها العفة ، وثمارها العلم والطيبات ... !!
- وإذا شئت أن تعرف حالى على الحقيقة وفى جلاء
فانظر لى بعين البصيرة ... كما يفعل العقلاء ... !!
- ولا تنتظر لى جسدى الضعيف الواهن ... وانظر لى أحوالى ذات الرواء
فلى آثار كثيرة ... يزيد عددها على نجوم السماء ... !!

(١) يقابله الأبيات الواردة فى ص ٦ — ٧ من طبعة طهران ونصها كالآتى :

جز بر مقر ماه نبودى مقر مرا	كر بر قياس فضل بگشتى مدار دهر
اين گفته بود كاه جوانى پدر مرا	نهنى كه چرخ و دهر ندانند قدر فضل
اين خاطر خطير چنين گفت مر مرا	دانش به از ضياع و به از جاه و مال و ملك
نايد بكار هيچ مقر قمر مرا	با خاطر منور روشن تر از قمر
دين و خرد بس است سياه و سپر مرا	(٣٠) با لشكر زمانه و با تبغ تيز دهر
پر هيتر و علم ريزد برگ و بر مرا	انديشه مر مرا شجر خوب پرور است
چون عاقلان بچشم بصيرت نگر مرا	گر بايدت همى كه ببيني مرا تمام
زين چرخ پر ستاره فرو نست اثر مرا	منگر بدين ضعيف. نم زانكه در سخن

— وقد أعفاني الله من كل ما تمس إليه الحاجة والضرورة
 وجمعاني في غنى عن كل شيء أثناء اجتيازي لهذه الحياة القصيرة ...!!

[۳۰] — وشكراً لله ... إنه هداني إلى طريق العلم والدين
 وفتح لي .. على متسايريهما ... أبواب الرحمة واليقين ...!!
 -- وجمعاني أشهر من الشمس في أوج السماء
 لأنني عرفت بحجي لآل الرسول والأئمة الأصفياء ...!!
 -- فياجسدي الحقيق ... إنك في هذا العالم نقاية الأشياء
 ولم أجد قريناً أسوأ لي منك بين القرناء ...!!
 — وقد كنت أظنك دائماً من أخلص الخلقاء
 . ولم يكن لي صديق غيرك في البر والبحر والأرض واللاء ...!!

— ولكنك نصبت لي النيرك ... وناصبتني العدا
 ولم يكن لي علم بما نصبت لي من أحاييل المكر والدهاء ...!!

[۳۰] -- فلما وجدتي غفلاً عندك ... استأمننا لاء في صفاء
 فبهرتني بمكرك وغدرك ، وغلبتني ببله اوفاء ...!!
 -- ولو لم تنجدي رحمة الله وبدركني فضل الرحمن
 لأوقعتي مكرك ، واكتسحتني حادثات ازمان ...!!

<p>از هر چه حاجتست بدو مبر را خدای ۳۵ شکر آن خدیرا که سوی علو دین خویش ره داد سوی رحمت و بکشاد در مرا چون آفتاب کرد چنین مشهر مرا همسایه نبود کس از تو بتر مرا جز تو نبود یار بیجر و بیبر مرا وز دام تو نبود اثر نه خبیر مرا از مکر و غدر خویش گرفتی سخر مرا ۴۰ افکنده بود مکر تو در جوی و جبر مرا</p>	<p>از هر چه حاجتست بدو مبر را خدای شکر آن خدیرا که سوی علو دین خویش اندر جهسان بدوستی خاندان حق ای تا کس و نقایه تن من درینجهان من دوستدار خویش گمان بردهت همی بر من تو کینه ورشدی و دام ساختی تا مرا تو غافل و ایمن بیانی گر رحمت خدای نبودی و فضل او</p>
--	---

- والآن . . . وقد تبين لي أنك خصمي وعدوى الألد
لم أعد استسيغ السكر من يديك أو الشهد . . . !!
— وأنت أيها الجسد الجاهل . . . ليس لك عمل إلا النوم والطعام
ولكن العقل لدى خير من الأكل الطيب وطول المنام . . . !!
— وفي رأى العقلاء، أن لا عمل للحمير . . . إلا النوم والغذاء،
ومن العار أن يكون حالي كاللحماء، مع مالى من عقل وذكاء . . . !!
[٤٥] — وأنت يا جسدى . . . سوف لا أقيم معك في هذه الدنيا الفانية
لأن الله يدعوني إلى داره الباقية . . . !!
— حيث يعتبرون المجد بالأعمال والفضائل، لا بالنوم والأكل
فليكفك النوم والأكل . . . وليكفى الفضل والعقل . . . !!
— وقد ذهب قبلى ما لا يعد من الناس والأنام
ومهما طال بقاى . . . فاعتبرنى بمن أودت به الأيام . . . !!
— وسأطير بجناح الطاعة ذات يوم . . . فأخرج من هذه القبة العالية
وكأنى الطائر يضرب بجناحيه فى أطباق الهواء الخالية . . . !!
— وجميع الناس يخذرون ضربات القضاء والقدر
ومع ذلك فهما دليلا طريق فى هذا السفر . . . !!
[٥٠] — و « القضاء » اسمه « العقل » ؛ و « القدر » اسمه « الكلام »
فيهذا حدثنى ، وذكرنى ، و حد من الرجال العظام . . . !!

۴۵ اکنون که شد درست که تو دشمن منی
خواب و خور است کار تو ای بیخرد جسد
کار خرد است سوی خردمند خواب و خور
من با تو ای جسد نفشیم در این سرای
آنجا هر بکار و فضایل نه خواب و خور
چون پیش من خلاق رفتند پیشمار
روزی بی طاعت ازین گنبد بلند
هر کس همی حذر ز قضا و قدر کند
نام قضا خرد کن و نام قدر سخن
نیز از دو دست تو نگوارد شرد
لیکن خرد به است ز خواب و ز خور مرا
تنگست تنگ با خرد از کار خرد مرا
کایزد همی بخواند بجای ذکر ، مرا
بس خواب و خور ترا و خرد با هر مرا
گرچه دراز مانم رفته شمر مرا
بیرون پریده گیر چو مرغ بی مرا
وین هر دور هر برند قضا و قدر مرا
یاد است این سخن ز یکی نامور مرا
۵۰

— وقد أصبح عقلي ونفسي أفصح من محدثي الآن بأمرى
فلم الحذر والخوف من نفسي ، وما يجيش به صدري ...؟!

— ويا من قمت من القضاء والقدر بالاسم والكلام
إذا ظلت مفك دابة .. فلا تظنني أيضا من الأنعام...!!

المثل الرابع (ص ۷-۸ من طبعة تبريز) (۱)

— يارياح الصبا .. ! تحملي مني إلى « خراسان » السلام -
إلى أهل الفضل والمقل منها . . لا إلى العوام والطعام ..؟!

— وكما حملت أخباري الصحيحة إليهم

إحملي إلى ثانية أخبارهم ، وحدثيني عنهم ...!!

[۵۵] — وقولي لهم : إن الدنيا قد خنت عودي المستقيم

وحطمتني بمكرها المعروف وبغدرها القيم . . !!

— فحذار أن تدع عهدوها توقعك في التورر والآنام

فإنها لا ترعى لأحد عهدا .. ولا تعرف الوفاء والدوام ... !!

— وانظر إلى خراسان ، وكيف صارت كالطاحون

وقعت في يد هذا وذاك ... وتناوبها التناوبون ... !!

واكنونكه عقل ونفس سخنگوی خود منم از خویشتن چه باید کردن حذر مرا
ابگشته خوش دلت ز قضا وقدر بنام چون خویشتن ستور گمانی میر مرا
(۱) المترجم : يقابله ص ۸ - ۱۰ من طبعة طهران ونس آيات الاستشهاد كما يلي :
سلام کن ز من ای باد مر خراسانرا مر اهل فضل وخردر نه عام و نادانرا
خبر بیاور از ایشان بمن چو داده بوی ز حال من بحققت خبر مر ایشانرا
بگویشان که جهان سرو من چو چنبر کرد بمکر خویش خود اینست کار گیهانرا
تگر کتان نکنند غره عهد و پیماننش که او وفا نکنند هیچ عهد و پیمانرا
.....
تکه کنبد که درد دست این و آن چو خراس مجند گونه بدیدید مر خراسانرا

- فلماذا غرورك بملك الأتراك السلجوقيين...؟!
 واذكر محموداً وجمال دولته في «زابل» أيام الغزنويين...!!
 — فأين الذي خشي بأسه «الفريغونيون» ؟
 فتركوا له «جوزجانان» وأعطوها له طائعين...!
 [٦٠] — وقد حظمت حوافر خيوله «الهندستان»
 بينما وطئت أقدام أفياله بلاد «الختلان»!!

 — وأنتم أيها الخادعون... لطلما أتيتم أمامه قائلين :
 ليطل عمر السلطان... وليبق آلاف السنين...!!
 — فإن من يعتمد على عظمة دولته، ويتوى تحطيم السندان
 يخذ السندان كالشمع بين أسنانه، قد ذاب ولان...!!
 — وقد كانت «زابل» بالأمس قبلة الأحرار
 وكان حالها كحال «الكعبة» بالنسبة لأهل الإيمان والأخيار...!!
 — فأين الآن ذلك الرجل، وما كان له من جلال وجاه...؟
 وقد كان يرى... تحت موطى... أقدامه... برج السرطان في علاه...!!

- ٦٠ ملك ترك چرا غره ايد ياد كنيد جلال ودولت محمود زاولستانرا
 كجاست آنكه فريغونيان ز هيت او ز دست خویش بدادند گوزگانانرا
 چو هندرا بسم اسب ترك ويران كرد پاي پيلان سپرد خاك ختلانرا

 شما فريغتكان پيش او همي گفتيد هزار سال فزون باد عمر سلطانرا
 بفر دولت او هر كه قصد سندان كرد بزير دندان چون موم يافت سندانرا
 بزير قسبه احرار زاولستان بود چنانكه كعبه است امروز اهل ايمانرا
 كجاست اكنون آن مرد و آنجملات وجاه كه زير خویش همديد برج سرطانرا
 (١) الفريغونيون او آل فريغون هم الأسرة الأولى من حکام خوارزم . يقول رضا قلي
 خان في معجمه «فرهنگ ناصري» : أن فريغون على وزن فريدون اسم لرجل استطاع تولي
 الحكم في خوارزم وبقى الملك في أولاده وأحفاده ويسرفون به آل فريغون ، وهم حکام
 خوارزم ومن بينهم على بن مأمون الفريغوني وهو من المعاصرين للسلطان محمود الغزنوي ومن
 أنسابه وقد قتله بعض غلمانه فأتى السلطان محمود إلى خوارزم وأمر بإعدام قاتليه (انظر أيضا
 تاريخ اليعقوبي للعتبي طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ جزء ٢ س ١٠١ — ١٠٥)

[۶۵] — وها هو الآن قد انثرت أنامله ، وبلبت أنيابه الناصعة

حينما انفض عليه الموت بأنياه ومخالبه القاطعة ...!!

.....

— وإذا سهلت الأمور ... فاخش الشدائد والنكبات

فسرعان ما يجعل الفلك أسهل الأمور من أصعب العقبات ...!!

— ومتى غضب ازمان فإن سورته كفيلة في دورانه

أن تخرج « القيصر » من « قصره » و « الخان » (۱) من « خوانه »

— ولم يقدر للتمر الوضاح ... والشمس ذات الضياء

أن يكونا بمنجاة من الحسوف والكسوف في كبد السماء ...!!

— وكل شيء مهما هان أو رخص وقلت قيمته

فلا تحقر أمره ، واتتبره غاليا ... فربما زادت بهجته ...!!

[۷۰] — واطلب أواسط الأمور ولا ترغب في الوصول إلى الكمال

فإن القمر متى تم أخذ في النقصان والزوال ...!!

.....

— وإذا أسكرت الدنيا بشرابها جموع الخلق والأنام

فتجنّبهم .. كما يتجنّب النقيق ... من لبت برأسه اندام ...!!

۶۵ بریخت چنگش و فرسوده گشت دنداناش چو تیز کرد بر او سرگ چنگ و دندانرا

.....

۷۰ میانه کار همی باش و بس کمال بجوی که چرخ زود کند سخت کار آسانرا

بروز کند چو در آمد بخشم گشت زمان ز قصر قیصر و از خوال خوشتن خانرا

ز چیزهای جهان هر چه خوار و ارزان شد هر آفتاب درخشان و ماه تابانرا

گر آن شده شمر آنجیز خوار و ارزانرا که مه تمام نشد جز ز بهر قصانرا

.....

اگر شراب جهان خلق را چوستان کرد تو شانرها کن چون هوشیار مستانرا

(۱) الخان یعنی الملك ، والجوان مستعمله في العربية بمعنى السباط أو اللائد ، ويقصد بها هنا

القصر الكبير الذي تمد به الموائد الفخمة

— وانظر كيف تهلك الطواويس بما يتصبون لها من شباك الخيلة
لكي يخلصوا على ريشاتها البيجة الجميلة...!!

.....

— والجسد هو قيدك ، والدنيا هي سجنك القيم
فخذار إن تحسب مفرك في هذا القيد وهذا الحبس الأليم...!!
— وقد ضعفت روحك ، وأصبحت .. من العلم والطاعة ... خالية
فاجتهد في العلم ، واكس به روحك الضعيفة العارية...!!

.....

[۷۵] — ودنياك هي الحقل ، وكلامك هو البذر . وروحك هي الدهقان
ويجب على الدهقان أن ينشغل دائماً بزراعة هذا الحقل والمكان...!!

.....

— ولم لا تجتهد الآن ... والريبع يملأ أطباق الهواء
في أن تحمل على رغيف صغير تستمين به إذا أقبل الشتاء...!!

.....

— وقد أصبح نصيبي من العمر وحظي من الزمان
أن أسوغ أشعاري فأنظمها عقدا من الذهب واللؤلؤ والمرجان...!!

نگاه کن که بچیات همه هلاک کنند ز بهر پر نسکو طاوسان پرانرا

.....

ترا تن چه بنداست واین جهان زندان مفر خویش مپندار بند وزندانرا

ز علم و طاعت جانت ضعیف و عریانست بدم گوش و بیوش این ضعیف عبریانرا

.....

جهان ز مهبوس سخن تخم و جانت دهقانت بکشت باید مشغول بود دهقانرا

.....

ترا کنون که بهار است جهد آن نکنی که نانکی بکف آری مگر زمانرا

.....

ز عمر بهر دمین گفت مر مرا که بشمر برشته میکشم این زر و دوز و مرجانرا

.....

لئلا الخامس (ص ۸ -- ۱۰ طبعة تبریز) (۱)

— من الحق ألا يكون لي على أعتاب الملوك مقام ومكان
وألا يكون مقرى إلا على باب الله وأعتاب الرحمن
— وما دمت لا أظلم بأفمالي أحدا من العباد
فهل تنفعني عظمة العظیم . وهل احتاج إلى أياديه الشداد...!!

[۸۰] — وأربعة أشياء هي التي تؤنس روعي طوال الزمان

وهي : الزهد ، والعلم ، والعمل ، وترتيل القرآن...!!

— وعيني ، وقلبي ، وأذني ، أثناء الليل الطويل

تكرر النصح والموعظة لجسدي الضعيف الهزيل....!!

— فتقول العين : بربك احفظني من التطلع إلى كل أمر حرام

وصني من الوقوع في الشرور والخطايا والآثام...!!

— وتقول الأذن : أسد على السبيل ، وأغلق على الطريق

حتى لا استمع للأكاذيب والأباطيل المليئة بالنفيق...!!

— ويقول القلب : بربك احفظني من التردى في المظالم والأهواء

وصني من نزعات الهوى ... كما يفعل الرجال الأصفياء...!!

(۱) المترجم : يقابلها الصفحات ۱۱ - ۱۳ من طبعة طهران ونس الأبيات كما يلي :

شاید اگر نیست بر درملکی جز بدر کردگار بار مرا

چون نکم بر کسی ستم که نبود حشمت آن محترم بکار مرا

.....

خواندن فرقان وزهد وعلم وعمل مؤنس جانتد هر چهار مرا

چشم و دل و گوش هر یکی همه شب پند دغد با تن تزار مرا

چشم همیگوید از حرام و حرم بسته همیدار زینهار مرا

گوش همیگوید از محال و دروغ راه بکن سخت واستوار مرا

دل چکند گویدم همی زهوا سخت نسکهدار مردوار مرا

- [۸۵] — وأما العقل فيقول لي : لقد وكل الله إليّ أمر روحي وجسدك
وجعلني مسيطراً عليك ، وموكلاً على شأنك ... !!
— ولا شأن لك بجيوش المطامع والأهواء ،
فأنا الموكل على محاربتها لألتبس لك النجاء . . . !!
— وكيف أستطيع أن أخرج رأسي من أنشودة العقل الإدراك .. ؟
وقد فضلى الله على الخمر بالتمييز والعقل والإدراك ... !!
— وقد ربط « الشيطان » رأسي إلى قطاره وقافلته
ولكن « العقل » هو الذي خلصني من ركابه ومتابعته ... !!
— ولو لم يدركني « العقل » ليأخذ بأعني من يد الشيطان
لاستمر « الشيطان » ممسكاً بزمامي ، قابضاً على العنان . . . !!
[۹۰] — وهذه الدنيا مغارة ضيقة شديدة الحلوكة والظلام ،
وحسبي منها أن يكون « العقل » هو رفيقي في هذا الغار والمقام (۱)
— ويا ولدي . . . !! حذار أن تشكو من الدهر ودورانه
فما أكثر النعم التي نلتها من تسياره وجريانه . . . !!
— واطالما طوقت به وأكثرت من التجوال ... !!
ولم يكن لي معين على الطواف إلا اللسان والحديث والأقوال . . . !!

- | | |
|--------------------------------|----|
| عقل همی گویدم موکل ص کرد | ۸۵ |
| نیست ز بهر تو با سیاه هوا | |
| سر ز کند خرد چگونه کشم | |
| دیو همی بست بر قطار سرم | |
| گرته خرد بستدی مهارم ازو | |
| غار جهان گرچه تنگ و تار شد است | ۹۰ |
| هیچ مکن ای پسر ز دهر گله | |
| هست بدو گشتم وز یال و سخن | |
| بر تن و بر جانم کرد کار مرا | |
| کار مگر حرب و کارزار مرا | |
| فضل خرد داد بر چهار مرا | |
| عقل برون کرد از آن قطار مرا | |
| دیو کشان کرده بد مهار مرا | |
| عقل بستد است یار غار مرا | |
| کز وی شکر است صد هزار مرا | |
| هر دو بدین گشت پیشکار مرا | |
- (۱) بشر ال « غار نور » وهو الذي نزل به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومع
«أبو بكر» فاختفيا فيه . من كانوا يطلبونها بعد هجرتهما من «مكة» وقد سمي «أبو بكر» من
أجل ذلك بـ « رفيق الغار » وأصبح هذا التمييز يدل على كل صديق مخلص أمين .

-- وها هو الدهر يقول لي : إني مقبل على السفر والارتحال ،
فحذار أن تضيق على الضم والعناق ... وانقض مني الأذيال ... !!

— وقد كان «العقل» دليل ومرشدي في هذه الديار ،

حتى جعلني أتميز بالحكمة وأفوز بالاشتهار ... !!

[٩٥] — ووضع «العقل» على رأسي تاج التقوى والدين

وزينني «الدين» بالفضل وزودني بالحق واليقين .. !!

—

— وكيف يمكنني ألا أجعل روعي القرين وانقضاء ... !!

لمن يسهل حسابي يوم الحشر واللقاء .. !!

— ولا غرو إذا أضحت الدنيا الآن صيدى الحلال

فطالما كنت صيداً لها ووقعت في الجبال ... !!

— وهي إذا استطاعت أن تردى سائر الناس والأنام

لا تستطيع أن تصينني بالجراح والآلام ... !!

— فقد أضحت روعي أرفع من الدهر وحادثاته

ومن أجل ذلك لست أخشى وقعاته وضرباته ... !!

وقد كان بودي أن يسمح لي المجال بذكر أمثلة أخرى من ديوان « ناصر

خسرو » فإنه يزخر بالأمثلة التي تكشف عما انطوى عليه هذا الشاعر من إبداع وعلم

تنگه مکش سخت در کفار مرا

کرد بحکمت چنین مشار مرا

دین هنری کرد وبرد بار مرا

.....

آسان گردد بدو شمار مرا

گرچه همی داشت او شکار مرا

کرد نیارد جهان فگار مرا

بیم نیاید ز روزگار مرا

دهر همی گویدم که بر سفرم

بیشروم عقل بود تا بجهان

بر سر من تاج دین نهاده خرد

.....

چون نکند جانفدای آنکه بمحشر

لاجرم اکثرین جهان شکار من است

گرچه همی خلق را فگار کند

جان من از روزگار برتر شد

وأمانة وحماس ديني واحتقار للناقضين والمخادعين وشجاعة منطقة النظير ، لا نكاد نصادفها - فيما أعلم - في أي شاعر فارسي آخر . وأود بصفة خاصة أن ألفت نظر قراء الفارسية إلى قصيدته الرائعة الرقيمة ١٠٢ المنشورة في صفحتي ١٤٦ و ١٤٧ من ديوانه طبع تبريز . وقد كان بودي أن أثقل إليهم ترجمتها لولا أنها - لسوء الحظ - مشحونة بالمصطلحات الفنية المتعلقة بمراسم الحج بحيث يصعب ترجمتها أو فهمها ما لم يستعان على ذلك بقدر كبير من الترحيح والتفسير . وقد أخذ « ناصر خسرو » في هذه القصيدة يصف خروجه لاستقبال الحجاج الراجمين من مكة وترحيه بمقدم صديق بينهم ؛ فلما تبادل الصديقان تحية اللقاء قال « ناصر خسرو » لصاحبه :

— خبرني . . . كيف مجدت هذا « الحرم » المقدس . . . ؟!

وعلى أي شيء عقدت نية « التحريم » عندما لبست ملابس « الإحرام » . ؟

وهل حرمت على نفسك الخطايا بأنواعها وكل ما يفضل بينك وبين الله . ؟

وأجابه صاحبه بالنفي ، فالتفت إليه « ناصر خسرو » واستمر يقول :

— ألم تسمع صوت الله عندما أخذت في « النلبية » وألم تجب كما أجاب موسى ربه . . . ؟

وأجابه صاحبه ثانية بالنفي ، فاستمر « ناصر خسرو » يقول :

— وعندما وقفت على جبل عرفات وأخذت في السعي ، ألم تصبح « عارفاً » بالله

ومنكرآ لذاتك . ؟ وألم تصل إلى مشامك نفحة من نفحات المعرفة . . ؟

وأجابه صاحبه مرة ثالثة بالنفي ، واستمر « ناصر خسرو » على هذا المنوال يسأله

عن مدى فهمه للمعاني الرمزية التي تتطوى عليها مراسم الحج ، واستمر صاحبه يجيب

بالنفي حتى انتهى « ناصر خسرو » إلى قوله :

— « اعلم إذن .. يا صديقي .. أنك لم تؤد الحج بمعناه الصحيح ، ولم تصل إلى مقام

إنكار الذات ، وكل ما فعلت أنك ذهبت إلى « مكة » وعدت منها بعد ما

تجشمت مشاق الطريق ووعثائه لقاء ما أنفقت من مال ودرهم ، فإذا شئت بعد

الآن أن تؤدى فريضة الحج فما عليك إلا أن تسترشد بما علقتك وأن تتبع ما

أخبرتك به . »

ولاشك أننا نصادف في هذه الطريقة مثلاً رائعاً لتطبيق المذهب الإسماعيلي، المعروف بمذهب « التباويل » أو التفسير الرمزي لمعاني القرآن .

أشعار الإلهاد المنسوبة إلى ناصر خسرو

وعلى النقيض من أشعار التقوى والصلاح التي تملأ الديوان ، نجد أن جملة من الأشعار التي تمتاز بحرية التفكير حتى تبلغ مبلغ الإلهاد ، توجد في نسخة الديوان المطبوعة على الحجر ، وكذلك في أكثر النسخ المخطوطة التي تنسب إلى « ناصر خسرو » . وهذه القطع معروفة جداً في إيران حتى أيامنا الحاضرة؛ وتشتمل عليها بعض المخطوطات التي تتضمن آثاره الشعرية ، وقد ترجمت في صفحة ٤٨٠ من كتابي « سنة بين الفرس » قطعتين من أشهر هذه القطع ، ويسرني أن أعيد نشرها في هذا المكان. فأما القطعة الأولى فواردة في المقالة القصيرة التي كتبها « جامي » عن « ناصر خسرو » في كتابه « بهارستان » وخلصتها كما يلي :

— يا إلهي ...! أنا من خشيتك لا أستطيع أن أجرؤ فأقول لك

إن جميع هذا البلاء الذي نحن فيه صادر منك ...!!

— وما دام نملأك خالين من الحصى والرمال

فماذا أنظرت « الشيطان » ورضيت بالقبول والاحتمال ... !!

— وبإيتك لم تخلق لقائنا ترك هذا الحسن والجمال

. وتلك الشفاه الحمراء ، والنغور الناصعة التي تسي الرجال ...!!

— ولكنك أنت الذي تأمر الصائد أن يحمل على صيده في القفار

وأنت كذلك الذي تأمر الصيد أن يسرع إلى الهرب والفرار ...!!

وأما القطعة الثانية فيغالب عليها روح التمرد والشروء ويقول فيها :

— خرج « ناصر خسرو » ليتنزه في يوم من الأيام

مشغل الرأس ، ولكن بغير الكاس والمدام ...!!

— فمر بمزبلة إلى جوارها جملة من القبور

فنادته المزبلة وقالت له : لا تنظر إلى في فتور ...!!

— وتأمل حال الدنيا... وما أعدت من نعم لضحاياها الساكنين
 فقد اشتملت جوفى على نعمها ، واشتملت القبور على الآكلين الجاهلين...!!
 وهناك قطعة ثالثة تنسب إلى « ناصر خسرو » وهو يهزأ فيها بفكرة البعث
 والنشور . وقد أورد « شيفر » هذه القطعة في مقدمته التي نشرها لكتاب « سفر
 نامه » ، كما أورد أيضاً بيتين من الشعر قيل إن « ناصر الدين الطوسي » قالهما رداً
 على هذين البيتين ، وقد سمعت بنفسى هذه القطعة الثالثة ينشدها بعض المنشدين في
 إيران ، وخلصتها كما يلي :

— رأيت في الغلاة رجلا ، مزقت جسده الذئاب

فتمش الذئب لحمه ، وطعم منه الغراب ... !!

.. وتبرز النسور ، فتبرز في قنن الجبال والقفار

وتبرز الغراب ، فتبرز في قاع الينابيع والآبار ... !!

— فهل يستطيع أن يخفي مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور...؟! :

ألا فاهزأ بذقن كل جاهل يقول بإمكان هذه الأمور .. !!^(١)

وقد رد عليه عليه « ناصر الدين الطوسي » بهذين البيتين^(٢) :

— نعم أن مثل هذا الرجل سيحيى في يوم البعث والنشور

ولو تحاللت عناصره ، وأصبحت كفتات الشعر ... !!

— فبعثه ليس أصعب من خلقه أول مرة ، وما هو بعسير

فاهزأ بذقن « ناصر خسرو » ذلك الجاهل الحقير . !!

(١) المترجم : فيما يلي نس هذه الأبيات بالفارسية نقلا عن مقدمة « شيفر » :

مرد كبرا بدشت گرك دريد زو بخوردند كركس وزاغان

اين يكى ريد بز سر كهار وآن ديگر ريد در بن چاهان

اين چنين كس بمحمر زنده شود تيز در ريش مردك نادان

(٢) المترجم : فيما يلي نس هذين البيتين بالفارسية نقلا عن مقدمة « شيفر » :

اينچنين كس بمحمر رنده شود كرك تايند عنصرش چو جو

ز اولين بار نيست مشكله تيز بر ريش ناصر خسرو

بقية آثاره :

ويجب علينا الآن أن نتحدث باختصار عن بقية كتبه ومؤلفاته . وقد أبقى لنا ازمن منها ثلاثة كتب ؛ طبع منها اثنان هما : « روشنائى نامه أو كتاب الضياء » و « سعادت نامه أو كتاب السعادة » ، وأما الثالث وهو كتاب « زاد المسافرين » فلا توجد منه إلا النسخة المخطوطة المحفوظة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس وقد كانت مازالت للاستاذ « شيفر »^(١) وقد ذكر « حاجى خليفة » كتابا آخر من كتب « ناصر خسرو » هو كتاب « الإكسير الأعظم » ؛ كما ذكر جماعة آخرون من المؤلفين الذين لا يوثق بهم كتباً أخرى نسبوها له ، فنسب له « دولتشاه » في تذكيرته وكذلك لطفلى بيك في « آتشكده » أنه ألف الكتب الآتية :

« كنز الحقائق » و « القانون الأعظم » و كتاب فى « علم اليونان » و « رسالة فى السحر » و « الدستور الأعظم » و « المستوفى » و « تفسير القرآن » وقد ورد الخبر عن هذا الكتاب الأخير فى ترجمة حياة ناصر خسرو الزائفة ، وقيل إنه وضعه خصيصاً للملاحدة الإسماعيلية^(٢) .

ولا يمكن القطع على وجه اليقين بعدد الكتب التى وجدت فعلا من بين هذه الكتب التى ذكرناها أخيراً ، لأن جميع المؤلفات التى كتبت فى مدى القرون الأربعة التالية لموت « ناصر خسرو » لم تذكر عنها شيئاً على وجه الإطلاق^(٣) .

روشنائى نامه :

وكتاب الضياء أو « روشنائى نامه » عبارة عن مثنويه تشتمل على ٥٧٩ بيتاً

-
- (١) المترجم : طبع هذا الكتاب بمطبعة « كلويانى » ببرلين سنة ١٣٤١ هـ .
 (٢) المترجم : يضاف إلى هذه الكتب كتاب « خوان الاخوان » وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٠ م . وكذلك « رسالة شش فصل لياروشنائى نامه » نثر « طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ باهتمام « ايوانوف » W.Ivanow .
 (٣) أنظر المقالة التى كتبها « فانيان Fagnan » بعنوان « مقال عن ناصر بن خسرو » وقد نشرها فى « مجلة الجمعية الآسيوية » المجموعة الثانية ، جلد ١٣ ، ص ١٦٤ — ١٦٨ وبخاصة ماورد بالمصحفة الأخيرة .

منظومة في بحر الهزج السدس^(١) . ويوجد من هذه الثنوية نسختان مخطوطتان محفوظتان في « المكتبة الأهلية » بباريس، إحداهما كانت ملكاً للأستاذ « شيفر » ؛ كما توجد منها نسخة مخطوطة في « ليدن » وأخرى في « جوتا » وثالثة في « إدارة الهند » .

وبالرجوع إلى البيت الرقيم ٥٥٥ من طبعة « إتيه » نجد أنه يشمل على تاريخ إنشاء هذه الثنوية، وهذا البيت هو أكبر دليل ، بل هو الدليل الوحيد ، القائل بأنه كان يوجد شخصان مختلفان يتسمى كل منهما باسم « ناصر خسرو » . فأما قراءة « إتيه » لهذا البيت فتجعل تاريخ إنشاء هذه المنظومة هو سنة ٥٤٤٠ = ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م وقد استند فيها على تخمين مقبول ، أيده بحملة من الأسانيد القوية ، يمكن الاطلاع عليها في « مجلة المستشرقين الألمان » بالمجلد ٢٣ صفحة ٦٤٦ - ٦٤٩ والمجلد ٣٤ صفحة ٦٣٨ . ومع ذلك فهذا التاريخ يختلف فيه النسخ المخطوطة الأخرى التي ذكرناها آنفاً . فنسختنا « ليدن » و « باريس » تذكران سنة ٥٣٤٣ = ٩٥٤ - ٩٥٥ م ، ونسخة « جوتا » تذكر سنة ٥٤٢٠ = ١٠٢٩ م ، وأما نسخة « إدارة الهند » فتذكر سنة ٥٣٢٣ = ٩٣٤ - ٩٣٥ م . ويجب أن نلاحظ أن البيتين اللذين ورد بهما التاريخان الأولان لا يستقيمان وزناً ، وعلى هذا فهما من هذه الناحية مرفوضان لدينا ، وأما البيت الذي ذكر التاريخ الأخير فيتناهي ما ورد به مع كل الحقائق التي نعرفها عن « ناصر خسرو » . ذلك لأنه من المحقق الأكيد أن مؤلف « سفرنامه » و « الديوان » شخص واحد ، عرفت تفاصيل حياته وتواريخها معرفة جيدة تبلغ مبلغ اليقين ، فقد ولد - كما ذكر صراحة في « الديوان » وتلميحا في « سفرنامه » - في سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م ، وعلى ذلك لا يمكن أن يتصور أنه كتب ال « روشنائى نامه » في سنة ٣٢٣ هـ أو ٣٤٣ هـ ؛ كذلك لا يمكن لأحد أن يفترض وزناً غير مقبول سقلا ، فيقول بإمكان وجود شاعرين ، يتسمى كل منهما باسم « ناصر » ، ويكنى كل منهما بكنية « أبى معين » ، ويتلقب كل منهما بلقب « الحجة » ، وينتسب كل منهما إلى أصل واحد ، ويعيش كل منهما في « يمكان » من

(١) هنا هو عدد أبياتها وفقاً لطبعة « Ethé »

ولاية خراسان ، ويستطيع كل منهما أن يكتب شعراً أخلاقياً وتعليمياً على نمط واحد وبأسلوب واحد...!! ويبدو لي من كل ذلك أن الدكتور «إتيه» كان مصيباً في نظراته وتخمينه وأن الـ « روشنائى نامه » كما يقول قد تم تأليفها في القاهرة في خلال عيد الأضحى من سنة ٤٤٠ هـ = ٩ مارس سنة ١٠٤٩ م . وإذا شاء القارىء الاستزادة من بحث هذه المسألة فإني إحيله إلى المقال المستفيض الذى كتبه الدكتور « إتيه » .

وقد طال بنا الحديث عن « ناصر خسرو » واستغرق منا كل هذه الصفحات الكثيرة ، بحيث يتعذر على الآن ، اضيق المقام ، واحتياجى إلى الصفحات الباقية للحديث عن غيره من كبار الكتاب المعاصرين له ، أن استعرض كما ينبغي كتابيه « روشنائى نامه » و « سعادت نامه » ، ومع ذلك فلا ضير على القارىء إذا أوقفت حديثى عند هذا الحد ، لأن القارىء الأوروبى يستطيع أن يقرأ الكتاب الأول فى ترجمته الألمانية المنظومة التى قام بها الدكتور « إتيه » ، كما يستطيع أن يقرأ الكتاب الثانى فى ترجمته الفرنسية المشورة التى قام بها « فانان Pagnan » .

ويجب الإشارة إلى أن كلا من هذين الكتابين فى أصله الفارسى عبارة عن مشوية تعليمية أخلاقية نظمت فى بحر الهزج ، وأن كلاهما لا يبلغ من الناحية الفنية الشعرية مبلغ القصائد الموجودة فى الديوان . وينقسم «سعادت نامه» إلى ثلاثين فصلاً قصيراً ، تشتمل على ٢٨٧ بيتاً من الشعر ، وتعلق جميعها تقريباً بالحديث عن المبادئ الأخلاقية العملية ؛ أما الـ « روشنائى » فتحدث بالإضافة إلى ذلك عن جملة من المسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة وطائفة أخرى من المسائل المتعلقة بنشأة الكون وهى تتضمن أبحاثاً رائمة (من ٥١٣ إلى ٥٢٣) فى ذم شعراء المديح الديويين الذين لا غرض لهم من قول الشعر الا التمسك به وجمع الدرامم والدنانير

شعراء الرباعيات :

فإذا تركنا الآن « ناصر خسرو » وجب علينا أن نمضى مباشرة إلى دراسة أربعة شعراء ، امتاز كل منهم بالتبريز فى قول «الرباعى» وهو ذلك الضرب من ضروب النظم التى قلنا فيما سبق إنها ترجع إلى أصل فارسى خالص .

فأما هؤلاء الشعراء الأربعة فهم :

- ١ - « عمر الحيام » : الشاعر المنجم المشهور الذي ينسب إلى « نيسابور »
- ٢ - « بابا طاهر الهمداني » : الشاعر الذي أنشد رباعياته في لهجته الخاصة
- ٣ - « أبو سعيد بن أبي الخير » : الشاعر الصوفي المعروف
- ٤ - « الشيخ الأنصاري » : أو كما يعرف في الفارسية « بير أنصار » وهو الرجل الورع التقى الذي قال عنه الدكتور « إتيه » (١) : انه امتاز في كتاباته العديدة بمخطط التصوف بالأخلاق ، وقد جعل بعض منشأته مشورة مسجعة ، كما جعل بعضها الآخر منشورا تختلط به بعض « الغزليات » و « الرباعيات » ويعتبر في الحقيقة صاحب الفضل الأكبر في الامتزاج التدريجي الذي حدث بين « الشعر الصوفي » و « الشعر التعليمي » بحيث يمكن أن نجعله أول من مهد الطريق في ذلك للشاعر العظيم « سنائي »

عمر الحيام

ولنبدا الآن بدراسة عمر الحيام (أو الحيايم كما يسمى في العربية) . وقد فاز هذا الشاعر ، بفضل العبقرية التي أبدأها « فيزجرالد » في ترجمة رباعياته إلى الإنجليزية ، بشهرة عريضة في إنجلترا وأوروبا وأمريكا ، لم يفز بثلاثها في بلده إيران ، حيث اقتضرت شهرته على ما كتبه متعلقا بالرياضة والنجوم ، ولم تتعدّها إلى ما كتب من أشعار .

وأقدم ما في حوزتنا من أخبار عنه ، ورد في كتاب « چهار مقاله » أو « المقالات الأربع » من تأليف « نظامي عروضي السمرقندي » . ويجب أن نلاحظ أن الأخبار التي وردت عنه في هذا الكتاب ، لم ترد في المقالة المتعلقة بالشعر والشعراء ، وإنما وردت في المقالة المتعلقة بعلم النجوم والنجمين . وقد كتب نظامي العروضي (٢) هذا الكتاب في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) . وما كتبه عن عمر الحيام ما رواه في الحكاية السابعة والعشرين (٣) حيث يقول ما ترجمته :

« ... في سنة ست وخمسة نزل الإمام عمر الحيايم والإمام المظفر الاسفزازي »

(١) أنظر ص ٢٨٢ من كتابه « الأدب الفارسي الحديث » : Neupers. Litt.

(٢) يجب ألا نخلط بينه وبين الشاعر المعروف « نظامي الكنجوي » .

(٣) أنظر أيضا ترجمة « براون » إلى الإنجليزية ص ١٠٠ - ١٠١ .

« في سراى الأمير أبى سعد بمدينة بلخ بمحلة «بانعى العبيد» وكنت قد التحقت
 « بمخدمتهم هنالك . فسمعت في مجلس من مجالس النادمة والمؤانسة حجة الحق
 « عمر يقول : إن قبرى سيكون في موضع تهب عليه ريح الشمال في فصل
 « الربيع فتتثر على مرقدى الورود والأزهار ؛ فبدأ لى استحالة هذا الحديث ،
 « ولكنى كنت أعلم أنه لايقول الكلام جزافاً . فلما كانت سنة ثلاثين وخمسمائة
 « وصلت إلى نيسابور ، وكانت قد مضت بضع سنوات^(١) منذ مات هذا الرجل
 « العظيم وانطوت صفحة وجهه في تقاب الثرى والتراب ، ويتم يفقده العالم الأسفل ؛
 « وكانت له حقوق الأستاذية على . فذهبت في إحدى الجمعات^(٢) لزيارة قبره
 « واصطحبت معى واحداً من الناس ليدلنى على ثراه ، فأخذنى إلى مقبرة الحيرة :
 « فلما دوت إلى ناحية اليسار ، وجدت قبره في أسفل جدار إحدى الحدائق ،
 « وقد أطلت عليه من وراء هذا الجدار ، أشجار الكثرى والشمش ، وثرت
 « عليه قدراً كبيراً من أزهارها ، كان كافياً لتغطية قبره وإخفائه . عند ذلك
 « تذكرت الحكاية التى سمعتها من فمه في مدينة بلخ فاستولى على البكاء لأنى
 « لم أره نظيراً في مكان قط من أرجاء هذا العالم وربوعه السكونية . جعل الله
 « مقبره في الجنة ... بمنه وكرمه . »^(٣) .

وأما الحكاية الثانية الوازدة عن عمر الخيام في كتاب « جهنار مقاله » فهى
 الحكاية الثامنة والعشرون منه ، وترجمتها كما يلى :

« رأيت الحكيم حجة الحق عمر ، ولكنى لم أره اعتقاداً في أحكام النجوم ،

(١) أى ثلاث عشر سنة لأن « عمر الخيام » مات سنة ٥١٧ = ١١٢٣ م .
 (٢) يقصد بذلك « ليلة الجمعة » أو يوم الخميس مساءً . لأن المسلمين يجملون بداية اليوم
 مع مغرب الشمس . ويخصص الفرس ليلة الجمعة أو كما يسمونها « شب جمعه » لزيارة
 موتاهم من الأقارب والأصحاب .

(٣) المترجم : يجب أن تنتهى هذه الحكاية عند هذا الحد ، ولكن الأصل الانجليزية
 يضيف إلى ذلك أربعة سطور ، اختلط فيها الأمر على المؤلف ، فجعلها تكملة أو خاتمة لهذه الحكاية .
 والواقع أنها مقدمة للحكاية الثانية وقد تداركنا ذلك عند الترجمة . كما أن المؤلف عندما قام
 بطبع النص الفارسى لكتاب « جهنار مقاله » ميز كل حكاية من الحكايتين بمقدمتها وخواتمها
 على الوجه الأصوب .

« وكذلك لم أر كبيراً من الكبراء ولم أسمع من واحد منهم أنه كان يعتقد في
 « هذه الأحكام . ففي شتاء سنة ثمان وخمسة مائة أرسل السلطان (١) شخصاً إلى
 « مدينة مرو ، توجه إلى الوزير الكبير صدر الدين محمد بن المظفر وأمره
 « أن يخبر الإمام عمر : أن اختر لنا وقتاً يصلح لخروجنا للصيد والقنص بحيث
 « لا تعطّر الدنيا ولا تتلج خلال الأيام القليلة التي تختارها . وكان السيد الإمام
 « عمر مقياً في قصر الوزير فأرسل إليه الوزير شخصاً يستدعيه ، وحكى له ماجرى
 « من حديث . فذهب عمر وأعمل فكره يومين كاملين ؛ فلما أحسن الاختيار
 « ذهب بنمسه وحضر ركوب السلطان وفقاً للوقت الذي اختاره ، ولم يكذب
 « السلطان يركب ويذهب من مدار صيحة من الأرض حتى تجمعت السحب وارتفعت
 « الرياح ، وهبط الثلج وتكاثر النباب . فضحك الحاضرون . !! وأراد
 « السلطان أن يرجع ، ولكن الإمام عمر قال له : إهدأ قلب السلطان
 « فسينكشف السحاب في التو والساعة ولن يكون في الأيام الخمسة التالية
 « أثر للرطوبة أو البلل . فركب السلطان واتشع السحاب ولم يعد أحد
 « يرى أثرأله ، وغلت الأيام الخمسة التالية من المطر والبلل . »

« والواقع أن أحكام النجوم صنعة معروفة ولكن لا يجوز لأحد الاعتقاد
 « عليها ، ويجب على المنجم ألا يعتمد عليها اعتماداً كلياً ، وأن يرجع كل حكم
 « يستنته إلى أحكام القضاء والقدر . . . »

هذه الأخبار البكرة التي رويت عن «عمر» تدلنا بوضوح على أنه كان حياً يرزق في
 سنة ٥٠٨ هـ = ١١١٤ - ١١١٥ م ، وأن قبره كان موجوداً في مدينة «نيسابور»
 وأن الفكرة التي سادت بين أعضاء «جمعية عمر الحينام» من أنه دفن تحت
 شجيرات الورد إنما هي فكرة خاطئة ، مبعثها أن كلمة «گل» الفارسية لها معنيان :
 أحدهما بمعنى الزهرة على وجه الإطلاق ، والآخر بمعنى الوردة على وجه التخصيص .
 وقد رأينا أن سياق الحكاية التي رويت عنه في كتاب « چهار مقاله » وهي التي
 ترجمناها فيما سبق ، تقطع صراحة بأن المقصود هو أزهار الشمس والكثرى وليس
 أوراق الورد .

(١) هو فيما يظن السلطان «محمد» أخ السلطان «سنجر» السلجوقي .

أهمت الأبحاث عن حياة عمر الخيام

جميع السير التي نشرت في أوروبا عن « عمر الخيام » حتى سنة ١٨٩٧ م ، اعتمد فيها كاتبوها على كتب فارسية متأخرة ليس لها نصيب من الأهمية في قليل أو كثير ؛ لأن هؤلاء الكتاب كانوا يهدفون إلى خلق القصص الخيالية عن هذا الشاعر ، أكثر مما يهدفون إلى تحرى الحقائق التاريخية الثابتة . فلما كانت هذه السنة نشر الأستاذ « قالتين زوكوفسكى » مقالة البديع الرائع عن « عمر الخيام والرباعيات الجائلة » (١) فوضع بذلك حدا للمقالات الزائفة التي نشرت عنه قبل ذلك التاريخ . وقد كتب هذه المقالة باللغة الروسية ونشرها في المجموعة التذكارية التي طبعت تخليداً لمرور خمسة وعشرين عاماً على اشتغال « البارون فيكتور روزن » (٢) بأستاذية اللغة العربية في جامعة « سان بطرسبورج » وقد سموها بـ « المظفرية » نسبة إلى المعنى الذي يتضمنه اسمه « فيكتور » . وقد كان من حسن الحظ ، لعدم انتشار اللغة الروسية في غرب أوروبا ، أن يقوم المستشرق العبقري الدكتور « إ. دنيسون روس » الذي يتولى الآن عمادة المدرسة الإسلامية بمدينة كلكتا (٣) ، بترجمة هذه المقالة الهامة ونشرها في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٨٥٨ م (مجلد ٣٠ ص ٣٤٩ - ٣٦٦) وقد أعقب ذلك بتلخيصها ونشر أهم النقط التي دارت عليها في المقالة التي كتبها بعنوان « عمر الخيام وعصره » وجعلها مقدمة لطبعة « مثنوي : M. Ithun » للترجمة الإنجليزية التي نشرها « فينجرالد » للرباعيات ، كما أضاف إليها شرحاً وافياً كتبته السيدة « ه . م . باتسون » ونشرته في سنة ١٩٠٠ م (٤) . وقد نقل « زوكوفسكى » الأخبار المروية عن « عمر الخيام » في لغتها الأصلية ، وألحق بها ترجمة روسية لها ، ثم ترجم هذه الأخبار إلى الإنجليزية الدكتور « دنيسون

(١) أنظر : Prof. Valentin Zhukovski : 'Umar Khayyam and the Wandering Quatrains.

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية هو : Baron Victor Rosen

(٣) المترجم : هو المستشرق الكبير المرحوم Sir. E. Denison Ross وقد تلمذت عليه أثناء دراستي في « معهد اللغات الشرقية » بلندن وكان في ذلك الوقت مديراً لهذا المعهد ، وأدركته الوفاة في سنة ١٩١٢ م .

(٤) اسمها بالحروف اللاتينية هو : Mrs. H.M. Balson

روس». وهى فى جملتها عبارة عن أربعة أخبار استمدتها على التوالي من كتاب ألف فى القرن الثالث عشر الميلادى (= السابع الهجرى) ، وخبر منقول من كتاب تم تأليفه فى القرن الرابع عشر الميلادى (= الثامن الهجرى) ، وخبر آخر منقول من كتاب تم تأليفه فى القرن الخامس عشر الميلادى (= التاسع الهجرى) ، وخبر آخر منقول من كتاب يرجع تأليفه إلى أواخر القرن السادس عشر (= العاشر الهجرى) أو مطلع القرن السابع عشر الميلادى (= الحادى عشر الهجرى) .

والخبران الأخيران متأخران تاريخياً ، ولكنه ذكروها فى مقاله لما اشتملا عليه من أهمية بالغة . وقد يمكننا أن نضيف إلى هذه القائمة مجموعة أخرى من الأخبار التى رواها أصحاب التراجم المتأخرون ، ولكننا نعرض عنها ، لأنها فى الغالب لا تنفعل أكثر من أنها تكرر أقوال السابقين فتتقصها من أطرافها أو تضيف إليها ما ليس فيها . ويجب فى هذه المناسبة أن نذكر أن « عوفى » صاحب « لباب الألباب » وهو أقدم كتاب من كتب التراجم الفارسية وقد تم تأليفه فى بداية القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى ، لم يذكر شيئاً بالمرّة عن « عمر الحيام » وكذلك فعل « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء »^(١) فلم يخصص للحيام مقالة مستقلة مفردة بل تحدث عنه عرضاً^(٢) عندما أخذ يترجم لأحد أحفاده السسمى « شاهفور أشهرى »^(٣) .

كتاب « مرصاد العباد »

يظهر أن أقدم الأخبار الروية عن « عمر الحيام » بعد الخبرين اللذين رويناها فيما سبق عن كتاب « چهارمقاله » هو الخبر الوارد فى كتاب « مرصاد العباد » الذى ألفه « نجم الدين الرازى » فى سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م^(٤) وقد أشار « ژوكوفسكى » إلى أن أهمية هذا الخبر محصورة فى أن مؤلف هذا الكتاب يعتبر من كبار الصوفية المخلصين ، وقد كتب عن « عمر الحيام » فوصفه بأنه « فياسوف ودهرى وطبيعى »

(١) تم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٩٢ هـ = ١٤٨٧ م وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٠ م

(٢) أنظر ص ١٢٨ من المرجع السابق .

(٣) الشاعر الفارسى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٤) هذا الخبر منقول فى ص ٣٤١ من مقالة « ژوكوفسكى » وكذلك ص ٢٦١ من مقالة « روس » .

واستشهد على ذلك برهنتين ، يبدو في الأولى منها كفر الحيام وإلحاده ، بينما الثانية تشمل على توجيه اللوم للخالق لحلقه للكائنات الشريرة وإهلاكه للكائنات الحيرة . ! ! . وقد علق « نجم الدين الرازي » على هذه الأقوال بأنها : «دالة على غاية الحيرة ومنهسى الضلال . » (١) .

كتاب « تاريخ الحكماء » للفقهي :

وقد ورد الخبر التالي لذلك في كتاب « تاريخ الحكماء » تأليف « القفطي » (٢) « (ص ٢٤٣-٢٤٤) طبعة الدكتور « يوليوس ليرت : Dr. Julius Lippert » في ليزنج سنة ١٩٠٣ ، وهو كتاب باللغة العربية تم تأليفه في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) وقد نشر هذا الخبر وترجمه إلى الفرنسية المستشرق « وپكه : Wo-pcke » في كتابه عن رسالة الجبر لعمر الحيام L'Algebre d'Omar Khayyami المنشورة في باريس سنة ١٨٥١ م (أنظر ص ٥ من المقدمة وص ٥٢ من النص) وقد أعاد « ژوكوفسكي » نشر هذا الخبر (ص ٣٣٣-٣٣٥) وترجمه إلى اللغة الروسية ، كما ترجمه إلى الإنجليزية « روس » (ص ٣٥٤-٣٥٥) . وهذا الخبر في جملته يصور « عمر الحيام » بأنه واحد من حملة العلوم اليونانية أي الحكمة والفلسفة ، كما بين ذلك الصوفي الكبير « جلال الدين رومي » عندما قال في كتابه « المشوي » بيته المشهور الذي ترجمته :

إلى متى ؟ .. إلى متى ؟ في حكمة اليونان !! .

أما تفيق وتمضي في حكمة القرآن !! .

(١) الترجمة : فيما يلي نص الرباعيتين بالفارسية :

ا - در دايرهٔ كامدن ورقن ماست آترا نه بدایت نه نهایت پیداست
لسی نژنددی در این عالم راست کاین آمدن از کجا ورقن بکجاست
ب - دارنده چو ترکیب طبایم آراست باز از چه قبل فکند اندر کم و کاست
گر زشت آمد پس این صور عیب کراست ورنیک آمد خرابی از بهر چراست
والرباعية الأخيرة هي الرقعة ١٢٦ من ترجمة «هوتفيلد Whinfield» .

(٢) الترجمة : توفي القفطي سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م .

يقول القفطى : « وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم ، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم ، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للأغلال جوامع » .

ثم يمضى القفطى فيقول : « إنه كان عديم القرين في علم النجوم والحكمة ؛ به يضرب المثل في هذه الأنواع ، لو رزق المعصمة » ويختم القفطى مقاله عن الحيام بذكر أربعة أبيات من إحدى قصائده العربية ، سنرى أن ثلاثة منها ترد أيضاً ضمن مقطوعة من ستة أبيات^(١) استشهد بها صاحب الكتاب التالى الذى سنتحدث عنه مباشرة .

كتاب « نزهة الأرواح » للشهرزورى :

والكتاب التالى الذى نتحدث عن « عمر الحيام » هو كتاب « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » تأليف « الشهرزورى » فى القرن الثالث عشر الميلادى (بداية السابع الهجرى) ويوجد من هذا الكتاب نسختان ، أحدهما عربية ، والأخرى فارسية . وقد نشر « ژوكوفسكى » فى مقاله الخبر الوارد عن « عمر » وفقاً للنص العربى والنص الفارسى ، ثم اختار النص الأخير فترجمه إلى اللغة الروسية على خلاف ما فعل « روس » فقد ترجم النص العربى إلى اللغة الإنجليزية . وكلا النصين يستشهد بأشعار فارسية أو عربية من أشعار الحيام وفقاً للغة التى كتب بها هذا النص ،

(١) المترجم: فيما يلى نرى هذه الأبيات وهى سبعة أبيات وليست ستة كما جاء فى كلام المؤلف

محصلها بالكسدى وساعدى	إذا رضيت نفسى بميسور بلغة
فكن يازمانى موعدى أو موعدى	أمنت تصاريف الحوادث كلها
وفوق مناط الفرقدين مصاعدى	ولى فوق هام النيرين منازل
تبيد إلى نفس جميع المساعدى	أليس قضى الأفلاك من دورها بأن
تخر ذراها بالتقاضى القواعد	فيا نفس صبراً عن مقلبك إنما
فواعجى من ذا التريب المباعدى	متى ما دنت دنياك كانت بعيدة
فسيان حالاً كل ساع وقاعد	إذا كان محصول الحياة منية

فيستشهد النص الفارسي بالرباعيتين الرقيمتين ١٩٣ و ٢٣٠ من طبعة «هوفيلد» ،
وأما النص العربي فيستشهد بمقطوعات ثلاث من أشعاره العربية ، تشمل أولها على
أربعة أبيات ، وثانيتها على ستة أبيات ، وثالثها على ثلاثة أبيات^(١) وقد رأينا أن المقطوعة
الثانية من هذه المقطوعات هي من نفس القصيدة التي استشهد الكتاب السابق الذي
نحدثنا عنه بثلاثة أبيات من أبياتها :

والخبر الذي رواه «الشهرزوري» أكمل وأوفى من الخبر الذي رواه «القفطي» ؛
فهو يتحدث عن عمر الحيام فيقول عنه إنه : « كان تلو أبي علي سينا في أجزاء علوم
الحكمة ؛ إلا أنه كان سيء الخلق ، ضيق العطن . وقد تأمل كتابا بإصفيان سبع
مرات وحفظه ، وعاد إلى نيسابور فأملاه ، فقبل بنسخه الأصل فلم يوجد بينهما
كبير تفاوت » .

ثم يقول إنه كان عالماً بلقته واللغة والتواريخ والقراءات انسبع ، ويقول إن الفقيه
المعروف « أناحمد محمد الغرالي » أحسنه بكثير من البغض والكراهية بعدما تباحث
معه في مسألة من المسائل ، وكذلك فعل السلطان «سنجر» ؛ وأما السلطان «ماكشاه»
فكان يحبه ويقربه وينزله منزلة الندماء .

وحكى «الشهرزوري» أن الحيام قبيل وفاته « كان يتأمل الإلهيات في الشفاء ،
فما وصل إلى فصل الواحد والكثير وضع الحلال بين الورتين وقام وصلى وأوصى
ولم يأكل ولم يشرب ؛ فلما صلى العشاء الأخيرة سجد وكان يقول في سجوده :

(١) المترجم : فيما يلي نص المقطوعتين الأولى والثالثة :

يقول في المقطوعة الأولى :

بل الأذى الأعلى إذا جاش خاطري
عفانا وأنطاري بتقديس فاطري
بطرق الهدى من فيض المقاطر
نصب على وادي العمى كالقاطر

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى
أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية
وكم عصبية زات عن الحق فاهتدت
فإن صراطى المستقيم بصائر

ويقول في المقطوعة الثالثة :

يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا
وكم تبدلت بالإخوان إخواناً
بأنه لا تألفى ما عشت إسانا

زجيت دهرأ طويلا في التماس أخ
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ
وقلت للنفس ما عز مطلبها

« اللهم إني عرفتك على مبلغ إمكاني ، فاغفر لي ، فإن مغفرتي إليك وسيلتي إليك » .

كتاب « آثار البلاد » للقرظيني :

يلي ذلك تاريخنا الخبر الوارد في كتاب « آثار البلاد » للقرظيني فقد تحدث ذلك الكتاب عن « عمر الحيام » عند كلامه عن مدينة « نيسابور » في صفحة ٣١٨ من طبعة « وستفيلد Wustenfled » فقال إنه « كان حكماً عارفاً بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضي » وإنه كان مقرباً من السلطان « ملكشاه » السلجوقي ، وإن الفضل يرجع إليه في اتخاذ تمثال من الطين لزجر الطير عن الوقوع في بعض الربط وتنجيس أهله بذرقه .. ثم حكى في النهاية الوسيلة التي اتخذها عمر في فضيحة فقيه من الفقهاء ، اعتاد أن يذكره بالسوء ، ويقول عنه أنه كافر ملحد ، بينما كان ذلك الفقيه يمشي إليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقراً عليه درساً من الحكمة (١) .

وبالانتهاء من ذكر هذا المرجع نتمى من الكلام عن الكتب التي تحدثت عن « الحيام » حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) ويجدر بنا - قبل أن نغنى في دراسة غيرها من الكتب المتأخرة - أن نشير إلى أن جميع الكتب المبكرة التي سق لنا الحديث عنها قد أجمعت على الإشارة إلى « عمر الحيام » بأنه « فيلسوف ومنجم ورياضي » وأنه عندما وصف بأنه « صوفي » انبرى للرد على ذلك الصوفي الكبير « نجم الدين الرازي »

(١) المترجم : فيما يلي نص هذه القصة كما وردت في كتاب « آثار البلاد » :
« وحكى إن بعض الفقهاء كان يمشي إليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقراً عليه درساً من الحكمة ، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء ، فأمر عمر بإحضار جمع من الطالبين والبوليين وخياهم في داره ، فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس ، أمرهم بندق الطبول والنفخ في البوقات ، فبجاءه الناس من كل صوب ، فقال عمر : يا أهل نيسابور ! هذ عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ، ويأخذ مني الدر ، وينذركم بما تعلمون ، فإن كنت أنا كما يقول ، فلائى شىء يأخذ علمى !؟.. وإلا فلائى شىء يذكركم الأستاذ بالسوء !؟.. »

فقال عنه أنه « فيلسوف ودهرى وطبيعى » بينما نرى « القفطى » يقول إن جماعة من متأخري الصوفية قد وقفوا « على شيء من من ظواهر شعره ، فنقلوها إلى طريقتهم وتماخروا بها في مجالسهم وخلواتهم ، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ومجامع للأغلال جوامع !!.. »

كتاب « جامع التواريخ » :

وأهم مرجع من مراجع القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) هو كتاب « جامع التواريخ » تأليف « رشيد الدين فضل الله » وهو عبارة عن موسوعة في تاريخ « المغول » وبعض أبواب التاريخ العام ، تم تأليفها في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادى (في سنة ٥٧١٠ هـ) وما زالت لسوء الحظ غير مطبوعة ، برغم مالها من أهمية كبيرة محققة^(١) .

وأول مانصافه في هذا الكتاب هو « قصة الأصدقاء الثلاثة » التى سبق لنا الحديث عنها^(٢) وقد سبق لى أن ضمنت جزءا من هذا الحديث فى مقال قصير بعنوان « ضوء جديد يكشف عن عمر الحيام » نشرته فى « مجلة الجمعية الملكية الأسيوية » شهر أبريل سنة ١٨٩٩ م (ص ٤٠٩ - ٤١١) ولما كان نص هذه القصة كما ذكرها كتاب « جامع التواريخ » هو أقدم نصوص هذه الأسطورة التى أثارت كثيراً من الجدل والاهتمام بين المعجبين بهذا الشاعر المنجم وبين مترجمه

(١) طبع الأستاذ « كاترمير » جزءاً صغيراً منها يتعلق بتاريخ هولانكوخان (باريس سنة ١٨٢٦ م) كما أن الموكلين بأمر سلسلة جب التذكارية يعنون بنشر أجزاء أخرى من هذه الموسوعة .

الترجم : أصدرت سلسلة جب التذكارية جزءاً من هذه الموسوعة نشره « المسيدبولوشيه » فى المجلد الثامن عشر وهو يتعلق بتاريخ المنول من تولى « أوكتاى » حتى وفاة « تيمورالجاتو » حفيد « قبلاى خان » . كما نشرت جزءاً آخر عن « غازان خان » بعنوان « تأريخ مبارك غازانى » نشره « كارل يان » سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٤٠ م .

(٢) عند الحديث على « نظام الملك » ص ٢٣٦-٢٣٩ من هذا الكتاب

«فيتزجرالد» فإني أرى لزاماً على أن أنشر في هذا المقام ترجمه الجزء المتعلق منها بالحيام ، و خلاصته كما يلي (١) :

« وأما سبب النفور والعداء اللذين وقعا بين «نظام الملك» و«الحسن الصباح» »
 « فترجمه إلى أنهما كانا يحضران الدرس مع «عمر الحيام» في مدرسة في مدارس »
 « نيسابور ؛ وكما يفعل الصبية في أثناء الطفولة ، أحس كل منهم بصدقة بالغة »
 « لصاحبه ، ارتبط فيها ثلاثتهم برباط الدم وأقسموا أغلظ الإيمان على أن »
 « من يصل منهم إلى مركز رفيع في الدولة يجب عليه أن يحمي صاحبه ويقدم »
 « لهما كل معونة لازمة . »

« وتتابعت الحوادث كما بين ذلك صاحب كتاب «تاريخ آل سلجوق» وانتهى »
 « الأمر بنظام الملك فأصبح وزيراً للسلاجقة . فاتصل به عمر الحيام وذكره »
 « بالإيمان التي أقسموا عليها والعهود التي ارتبطوا بها أثناء طفولتهم ؛ فأعترف »
 « نظام الملك بهذه العهود والمواثيق وقال له : إني أهب لك أعمال نيسابور »
 « وتوابعها . ولكن عمر كان رجلاً عظيماً وفيلسوفاً حكماً فرفض ما عرض »
 « عليه قائلاً : إن رغبتى لا تنصرف إلى حكم ولاية من الولايات أو التحكم في أهلها »
 « ولا طاقة لى بالسياسة وأمر العوام ، وإنما تنصرف رغبتى إلى أن تجرى على »
 « معاشاً أوراتياً أرزق منه . فأجرى عليه نظام الملك معاشاً يبلغ عشرة آلاف »
 « دينار ، يصرف له سنوياً من دخل نيسابور دون أن يقطع منه شيء للضرائب »

وتستمر القصة بعد ذلك فتذكر وصول «الحسن الصباح» إلى «نظام الملك» ومطالبته بإياه بتعيينه من المقام . فلما عرض عليه حكومة «الري» أو «أصفهان» رفضها ، ولم يقبل إلا أن يباحق بمنصب من الناصب الرفيعة في بلاط السلطان . فلما تم له ذلك أساء استعمال منصبه ، وحاول أن يوقع بصاحب الفضل عليه ، وأن يتولى

(١) هذه ترجمة فيها شيء من التصرف ولكنها لم تهمل شيئاً من الأمور الأساسية التي وردت في الأصل . وأما المقال الذي نشرته في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» فيتضمن ترجمة حرفية لهذه النبذة .

الوزارة في مكانه ؛ ولكن تديره أخفق وناله كثير من الجزى والعار ، فأثر الحرب إلى « خرابان » ثم إلى « إصفهان » ثم التحق بخدمة الخليفة الفاطمي « المستنصر » بمدينة القاهرة ، حيث تزعم قضية « نزار » ثم عاد إلى إيران ينشر باسمه « الدعوة الجديدة » وقد سبق لنا أن ذكرنا كل هذه الأمور في مكانها من الفصل السابق . ولمن شاء الاطلاع على تفاصيلها أن يرجع إلى ما ذكر عنها في كتاب « تاريخ كزیده (١) » وكتاب « تذكرة الشعراء » لدولتاشا (٢) وغيرهما من الكتب المتأخرة .

كتاب « فردوس التواريخ » :

والخبر التالي الذى رواه « زوكوفسكى » عن عمر الحيام منقول عن كتاب « فردوس التواريخ » الذى تم تأليفه في سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م ؛ وهذا الخبر يتضمن رباعيتين من رباعيات الحيام ، ويصف الناظرة التى وقعت بينه وبين « أبى الحسن البهقى » فى تفسير بيت عربى من الآيات الواردة فى « ديوان الحماسة (٣) » ثم ينتهى بذكر قصة موته وفقاً لما ذكره « الشهرزورى » فى كتابه « زهة الأرواح » .

كتاب « التاريخ المؤلفى » :

وآخر الأخبار التى نقلها « زوكوفسكى » عن الحيام هو الخبر الذى نقله عن كتاب « تاريخ أئى » أو التاريخ الأئى (٤) ، وهو مؤلف حديث جداً ، سبى بهذه التسمية لأن مؤلفه قصد أن يتحدث فيه عن تاريخ السنوات الألف الأولى من سنى الهجرة

-
- (١) أنظر ص ٤٨٦ - ٤٩٧ من هذا الكتاب طبع « جانتن Gantin » .
 (٢) أنظر ص ١٣٨ - ١٤١ من تذكرة الشعراء طبع « براون » بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠ .
 (٣) المترجم : البيت : قصود هو قول الشاعر .
 ولا يرعون أكفاف الهوى إذا حلوا ولا أرض الهدون
 (٤) المترجم : مؤلف هذا الكتاب هو « أحمد بن نصر الله التوى » من أهالى السند وقد ألفه باسم « أكبر شاه » ملك الهند .

أى إلى سنة ١٥٩١-١٥٩٢ الميلادية . ولكنه في الحقيقة لم يصل به إلا إلى سنة ٩٩٧ هـ . والخبر الوارد في هذا الكتاب هو في الحقيقة تكرار لما ذكره « الشهرزورى » مع شيء من الاقتضاب والاختصار ، ولكنه ينتهى بهذه البنية الغريبة :

« ويؤخذ من أكثر الكتب أنه (أى الخيام) كان يدين بمذهب التناسخ . »
 « وحكى أنه كان فى نيسابور مدرسة قديمة استخدموا فى إصلاحها الحجر ، فكانت »
 « تحمل الأجر إليها . فحدث فى يوم من الأيام أن الحكيم (أى عمر الخيام) »
 « كان يئى مع جماعة من الطلبة فى صحن المدرسة ، فما كان من أحد الحجر »
 « إلا أن امتنع بتاتا عن الدخول فلما رأى الحكيم ذلك تبسم ، ثم توجه إلى »
 « ناحية الحمار وقال له على البديهة هذا الرباعى . »
 « اى رفته وباز آمده بل هم گشته »
 « نامت ز میان نامها گم گشته »
 « ناخن همه جمع آمده وسم گشته »
 « ریش از پس کون در آمده دم گشته »
 « ومعناه : »
 « — یا من ذهب .. ثم عدت كالأنعام بل أضل من الأنعام »
 « — لقد أعمى اسمك ، وضاع من بين أسماء الأنام ... !! »
 « — واجتمعت أظافرك ... فأصبحت حوافر الأقدام ... !! »
 « — والتصقت ذفك بعجیرتك ... فصارت هذا الذیل التام ... !! »
 « عند ذلك دخل الحمار ... !! فالتفتوا إلى الحكيم وسألوه السبب فيما كان ..؟ »
 « فقال لهم : إن الروح التى تقمصت جسد هذا الحمار كانت روح أحد المدرسين »
 « بهذه المدرسة ، لهذا لم تنشأ دخولها حتى تبينت الآن أن زولاه قد عرفوها »
 « فاضطرت إلى الدخول ... !! »

وليس من الممكن فى هذا المجال أن نمضى فى ذكر الأخبار المتأخرة الواردة عن « عمر الخيام » فإنها فى الغالب عبارة عن حكايات ظاهرة الانتحال ، وضعت لتفسير بعض الرباعيات التى تنسب إليه . ومن الغريب أن صاحب السير المشهور « ابن

خلكان « قد تجاهل « الحيام » تجاهلا كلياً وكذلك فعل « ابن شاكر » رغم أنه حاول في كتابه « فوات الوفيات » أن يتدارك ما نسبه لـ « صاحب » وفيات الأعيان » . أما الكتي التركي « حاجي خليفة » فذكره ثلاث مرات (١) ؛ الأولى بمناسبة علم الجبر ، والثانية بمناسبة زيج ملكشاه ، والثالثة والأخيرة على أنه معاصر لواحد من المؤلفين الذين تحدث عنهم (٢) ولكنه نسي أن يعين تاريخ وفاته ، مما يدل دلالة ظاهرة على أنه كان يجهل هذا التاريخ . وقد حددوا هذا التاريخ عادة بسنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ - ٤ م ولكني لا أستطيع أن أجد سندا قويا استند إليه في تحديد هذا التاريخ (٣) وكل ما هنالك أنه من المحقق - استنادا إلى ما جاء في كتاب « چهار مقاله » أنه مات في الفترة الواقعة بين سنة ٥٠٩ هـ = ١١١٥ م وسنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م وأنه مات قبل السنة الأخيرة « بيضع سنوات » ، وأن أباه كان يسمى « ابراهيم »

وقد وصف بأن له ضنة بالتأليف والتعليم ، ولكن الدكتور « روس » استطاع أن يخرج لنا قائمة بمؤلفاته التي ذكرت في مختلف المصادر ، فإذا بها تبلغ عثمرة كتب بما في ذلك رباعياته المعروفة وزيج ملكشاه الذي اشترك في استنباطه . وأغلب هذه الكتب عبارة عن رسائل علمية أو فلسفية مكتوبة باللغة العربية . وقد طبع الأستاذ « وبكه » رسالته عن الجبر ونشر ترجمتها بالفرنسية في سنة ١٨٥١ م وما زالت في مكتبة ليدين نسخة مخطوطة من إحدى رسالاته « في شرح ما اشكل من مصادرات كتاب إقليدس » .

(١) ج ٢ ص ٥٨٤ ، ح ٣ ص ٥٧٠ ، ج ٤ ص ٢٧٣ .

(٢) المترجم : عندما تحدث عن كتاب « مهجة التوحيد » لعلاء الدولة الملك بالرى .

(٣) أنظر ما كتبه « ريو » في « فهرست الكتب الفارسية » ص ٥٤٦ وكذلك ما كتبه الدكتور « روس » في مقدمته على ترجمة « فيترجرالد » للرباعيات المطبوعة في لندن سنة ١٩٠٠ م ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) المترجم : الكتب النسوبة إلى الحيام هي التالية :

« الرباعيات » ، « زيج ملكشاه » ، « رسالة في براهين الجبر والمقابلة » . « رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب إقليدس » . « رسالة في الطييمات » . « رسالة في الوجود » . « رسالة في الكون والتكليف » . « رسالة في الاحتيال لدرجة مقدارى الذهب والفضة في جسم مركب منهما » . « رسالة في لوازم الأمكنة » . « نوروزنامه » . « رسالة في جواب القاضي أبي نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي » « رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل » .

الرداب الخيامية

من المقطوع به أن أغلب القراء يتركز اهتمامهم في « الرباعيات » ، وقد كانت الترجمة الرائعة التي أصدرها « فيترجرالد » لهذه الرباعيات سببا في صدور جملة كبيرة من الكتب والرسائل حول الخيام ورباعياته ، أخذت تنتشر في أوروبا وأمريكا وتكثر كثرة هائلة بحيث أصبح من المستحيل علينا أن نتناولها بالبحث في صفحات هذا الكتاب . ومن الملاحظ أن بعض هذه المؤلفات يرقى إلى أجود أنواع التأليف ، وأن بعضها ينحط إلى أسفل مدارك الكتابات الرخيصة التي صادفها أثناء حياتي ؛ ولا شك أن القائمة الطويلة التي يشتمل عليها الملحق التاسع والأربعون من الطبعة الجميلة المختلفة التي نشرها^(١) « ناثان هسكل دول » للرباعيات في مدينتي بوسطن ولندن سنة ١٨٩٨ ، تكفي لإشباع نهم كل معجب بالخيام متعطش إلى آثاره وأخباره . ومع ذلك فقد اضطر هذا الرجل الدؤوب جامع هذه القائمة إلى الاعتراف^(٢) بأن « مجرد جمع ما كتب عن عمر الخيام في سائر اللغات يقتضى من المرء أن يتفرغ لذلك طوال حياته الكاملة ، وأن مجموع المؤلفات التي كتبت عنه تكفي بلاشك لإنشاء مكتبة عامرة حافلة »^(٣) . ومع حرصى على مراعاة الاقتضاب والاختصار ، أجد لزاما على أن أفضل الكلام قليلا عن مسألة « الرباعيات الجائلة »^(٤) التي تناولها بالبحث « ژوكوفسكى » ؛ وكذلك عن المقارنة الدقيقة والتحليل العميق اللذين أجراهما « هرون ألن Heron Allen » لترجمة « فيترجرالد » ومقابلتها بأصول الرباعيات الفارسية .

(١) أنظر ص ٣٤٨ - ٥٩٤ من الطبعة المختلفة للرباعيات من نسخة

Nathan Haskell Dole, Boston and London 1898.

(٢) أنظر ص ٤٩٤ من المرجع السابق .

(٣) المترجم : ربما كان من المفيد أن نذكر للقارىء العربي أن أهم مترجمي الرباعيات

إلى اللغة العربية هم السادة :

« وديع البستانى » و « محمد السباعى » و « محمد الهشيمى » و « أحمد اصفى النجفى »
و « جميل صدق الزهاوى » و « أحمد حامد الصراف » و « أحمد رامى » و « أحمد زكى
أبو شادى » و « نوفيق مفرج » و « حسين مظلوم ريان » و « عبدالحق فاضل » .
وترجم « إبراهيم عبدالقادر المازنى » بعض الرباعيات في « حصاد الهشيم » .

(٤) يقصد بـ « الرباعيات الجائلة » الرباعيات التي تنسب عادة إلى عمر الخيام ولكنها في أوثق المصادر وأقدمها منسوبة إلى غيره من الشعراء .

الرباعيات الجائزة :

وقد وجد «ژوكوفسكى» أن الرباعيات التي تشتمل عليها طبعة «نيكولاس M Nicolas» تتضمن مالا يقل عن اثنتين وثمانين رباعية يمكن نسبتها، اعتماداً على أوثق المصادر ، إلى واحد من الشعراء الآتين :

« أبو عبد الله الأنصارى » . « أبوسعيد بن أبى الخير » . « أفضل الكاشى » .
« عاكف » . « علاء الدولة السمنانى » . « الأنورى » . « العسجدى » . « أثير الدين » .
« العطار » . « ابن سينا » . « أوحدى الكرمانى » . « بديهى السجاوندى » .
« سيف الدين الباخرزى » . « نغرا الدين الرازى » . « الفردوسى » . « أحمد الغزالى » .
« حافظ الشيرازى » . « جلال الدين الرومى » . « جمال الدين القزوينى » . « الحاقانى »
« الثروانى » . « كمال الدين اسماعيل » . « مجد الدين همكر » . « المغربى » . « الملك
شمس الدين » . « نجم الدين الرازى » . « ناصر الدين الطوسى » . « نعمة الله الكرمانى » .
« رضاء الدين » . « سعد الدين الحموى » . « سلمان السواجى » . « شاهى » . « سراج
الدين القمرى » . « طالب الآملى » .

ولو أننا تكلفنا قليلاً من التعب ، لزدنا على هذه القائمة أسماء غيرهم من الشعراء ،
فقد لاحظت وجود أمثلة أخرى يمكن أن نضيفها إلى الأمثلة السابقة ؛ من ذلك أن
الرباعيتين اللتين نشرهما «هوينفلد» برقم ١٤٤ و ١٩٧ ونشرهما «نيكولاس» برقم
١١٦ و ١٨٢ ونسب قولهما إلى عمر الحيام ، نشرهما «ژوكوفسكى» برقم ٢٦ و ٢٧
ونسب قولهما إلى « ناصر الدين الطوسى » و «طالب الآملى» . ومع ذلك فقد وجدت
فى « تاريخ كزیده » ^(٢) أن الأولى منهما تنسب إلى « سراج الدين القمرى » وأن
الثانية تنسب إلى « عز الدين الكراتشى » ^(٢) ومن الواضح أنهما يتناقضان .

(١) كتاب فى التاريخ تم تأليفه سنة ٧٣١ = ١٣٣٠ م

(٢) أنظر مقالتي عن « شعراء الفرس الذين ذكرهم صاحب تاريخ كزیده » وقد نشرتها
فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » . عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ وعدد يناير سنة ١٩٠١
(رقم ٢٨ ، ٥٠)

حيث المعنى تناقضا تاما ، بحيث لا يمكن بداهة نسبتها إلى شاعر واحد . وقد ألحق الدكتور « روس » Ross « بترجمته لمقالة « زوكوفسكى » جدولا قبا للمقابلة بين الرباعيات وقفا لترتيبها في نسخة « هوينفلد » ونسخة « نيكولاس » ونسخة « المكتبة البودلية Bodlian » .

وخلاصة هذا البحث وزبدته ، أنه يمكننا من أن نقطع على وجه التأكيد بأن « عمر الحيام » قد كتب بغير شك كثيرا من الرباعيات ، ولكن من غير الممكن — فيما عدا أمثلة قليلة نادرة — أن نجزم على وجه اليقين بأنه كتب رباعية بعينها من هذه الرباعيات الكثيرة التي تنسب إليه .

وأقدم نسخه مخطوطة من « رباعيات الحيام » هي النسخة الموجودة في « المكتبة البودلية » تحت رقم ٥٢٥ ؛ ويرجع تاريخها إلى سنة ٨٦٥ هـ = ١٤٦٠ م أى أنها نسخت بعد موته بما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن . وهذه النسخة تشمل على ١٥٨ رباعية ؛ وقد نشرها وترجمها نثرا وعلق عليها المستر « إدوارد هرون ألن » في لندن سنة ١٨٩٨ م ، ثم نشر في السنة التالية كتابا في الموضوع نفسه بعنوان « المقابلة بين ترجمة فيتز جرالده لرباعيات عمر الحيام مع أصولها الفارسية (١) » وقد أخصى فيه (ص ١٥ — ١٦) عدد النسخ الخطية والمطبوعة من الرباعيات ومقدار الرباعيات التي تشمل عليها كل نسخة من هذه النسخ . والفرق كبير بين عدد الرباعيات في مختلف النسخ . فبينما يقتصر عددها على ٧٦ رباعية في نسخة خطية قديمة في مكتبة باريس يرجع تاريخها إلى سنة ٩٣٧ هـ = ١٥٣٠ م ، إذا به يبلغ ٦٠٦ رباعية في نسخة خطية بمكتبة بانكيسور ، وإذا به يرتفع إلى ٧٠٠ رباعية في النسخة المطبوعة على الحجر في مدينة لسكنو سنة ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، ثم إذا به يصل إلى ٨٤٥ رباعية في الترجمة المنظومة التي نشرها « جون باين John Payne » ثم إذا بنا في النهاية نجد أن الأنسة « جيسى كادل Jessie E. Cudell » استطاعت بالرجوع إلى مختلف المصادر أن تجمع ما يزيد على ألف ومائتين من الرباعيات المسوبة إلى عمر الحيام .

وقد يمكن في يوم من الأيام بالتقريب في جبايا المكتبات الآسيوية العثور على نسخة خطية قديمة من الرباعيات ، استطاع الاعتماد عليها والوثوق من مشتملاتها . ولكننا كما أوضحنا آنفاً لا يمكننا قبل العثور على مثل هذه النسخة أن نجزم على وجه اليقين — إلا في أمثله قليلة نادرة — بمقدار الرباعيات التي تصح نسبتها إلى عمر . ومن أسف أن لخص الرباعيات من حيث مبانها أو معانيها لا يمكن أن ينهي بنا إلى شيء ؛ فباني الرباعيات من حيث لغتها وألفاظها لا تفيدنا في شيء ، لأننا لا نملك حتى الآن نسخة منها قريبة التاريخ من زمن الشاعر نفسه ؛ وكذلك لا نجدنا أسلوبها نفعاً ، لأن جميع الرباعيات تتشابه في الغالب من حيث الصيغة والوزن والتركيب والمحسنات البلاغية ؛ وهي بالإضافة إلى ذلك قصيرة المدى ، تميل إلى معالجة الأمور « العامة » دون « الخاصة » ، وتمتاز بسهولة المحاكاة والتقليد حتى يصعب — باجتماع كل هذه الأمور — على أي أديب إيراني ، مهما بلغ شأوه في دراسة الآداب الفارسية ، أن يعتمد على أسلوبها ، فيجزم ارتكانا على ذلك بتعيين قائلها ومنشديها .

أما فيما يتعلق بالمقابلة بين ترجمة «فيتزجرالد» للرباعيات وبين أصولها الفارسية فقد وفي المستر « إدوارد هرون ألن » هذه المسألة حقها بكل أمانة وإخلاص في ثاني كتابه اللذين سبق لنا ذكرهما في الصفحات الماضية ، ونحن نكتفي بأن نعيد هنا نتيجة أبحاثه التي وصل إليها بعد كثير من التعب والنصب ، حيث يقول في مقدمة ذلك الكتاب (ص ١١ - ١٢) ما يلي :

« نجد بين الرباعيات التي ترجمها فيتزجرالد تسعاً وأربعين رباعية ترجمها »
« فيتزجرالد بأمانة أو حاكها بإخلاص ، ويوجد الأصل الفارسي لكل »
« رباعية من هذه الرباعيات في مخطوطة « أو سلى Ouseley » أو مخطوطة »
« كلكتا أو فيها معا . »

« وفي هذه الترجمة أربعة وأربعون رباعية أخرى يمكن إرجاع كل منها إلى »
« أكثر من رباعية واحدة فارسية ، ويمكن أن نسميها بالرباعيات المركبة . »
« وهناك رباعيتان أوحى بهما إلى فيتزجرالد بعض الرباعيات التي لا توجد إلا »
« في نسخة نيكولاس . »

« كما أنه صاغ رباعيتين جعلهما تردبدا للروح العامة التي توحى بها الرباعيات . »
 « وفي الترجمة كذلك رباعيتان يمكن إرجاعهما إلى تأثير فريد الدين العطار »
 « وكتابه : منطق الطير . »
 « وهناك رباعيتان من إنشاء عمر أصلا ولكنهما تأثرتا في الترجمة بغزليات »
 « حافظ الشيرازي . »
 « وكانت هناك ثلاث رباعيات ، تضمنتها الطبعتان الأولى والثانية من الترجمة ، »
 « وقد حذفها فيتزجرالد نفسه بعد ذلك ولم أجد لها - رغم البحث الدقيق - »
 « أصلا باللغة الفارسية . ولاشك أنه تأثر فيها بشعراء آخرين ليس يعيننا في هذه »
 « المناسبة تحقيق هويتهم أو معرفة شخصيتهم . »

ولست في حاجة بعد ذلك كله إلا أن أذكر اللبديين ، دون غيرهم ، بأن الرباعية في الأدب الفارسي تعتبر وحدة مستقلة قائمة بذاتها ، وأنه لا يوجد في ذلك الأدب منظومة طويلة تتركب من عدد من الرباعيات ، وأن الترتيب الذي يراعى في مجموعات الرباعيات هو الترتيب الأبجدي وفقا للحرف الأخير من الشطرات الثلاث المقفاة من الرباعية .

بابا طاهر الهمداني

الشاعر الثاني من شعراء الرباعيات الأربعة هو « بابا طاهر الهمداني » اللقب بـ « العريان » . وسيكون حديثي عنه مختصراً لأن رباعياته طبعت مرتين : الأولى مع ترجمة فرنسية محشاه بواسطة الأستاذ « كليمان أويار » في « المجلة الآسيوية » عدد نوفمبر وديسمبر من سنة ١٨٨٥ م (المجموعة الثامنة ، مجلد ٦) ؛ (١) والثانية مع ترجمة إنجليزية مشورة مصحوبة بكثير من التعليقات بواسطة المستر « إدوارد هرون

(١) أنظر مقالة « أويار Huart » في : « المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٨ »
 Journal Asiatique, Nov. - D. c. , 1885 (ser. VIII, vol. 6)

الن « في كتابه « أشجان بابا طاهر » (١) المنشور في سنة ١٩٠٢ م . وقد تضمن هذا الكتاب أيضاً ترجمة أخرى منظومة للرباعيات كتبها السيدة « إليزابث كورتيس برينتون » (٢) . يضاف إلى ذلك أنه قد سبق لي أن خصصت بضع صفحات من الجزء الأول من هذا الكتاب (٣) للحديث عن اللهجات الفارسية والأشعار التي صيغت فيها ، وتحدثت بوجه خاص عن أشعار « بابا طاهر » ؛ وقد أوردت هناك ثلاث رباعيات من أشهر رباعياته بنصها الفارسي ثم أعقبته بترجمة منظومة بالإنجليزية (٤) . ورباعيات « بابا طاهر » تتفق مع كثير من الرباعيات التي كتبت في لهجة خاصة ، من حيث كونها لا تجرى على أوزان الرباعي المعروفة ، بل تجرى على وزن الهزج السدس المحذوف ، فتكرر « مفاعلين » ست مرات في البيت الواحد ولكن التفعيلة الثالثة والسادسة منها تقتضب إلى « مفاعل » أو « فعولن » . ولما كانت هذه الرباعيات من صياغة رجال سدج من رجال الريف ، فإنها بالضرورة لا تبلغ من حيث الصياغة اللفظية أو العنوية مبلغ الرباعيات التي كتبها رجال فنانون من أمثال « عمر الحيام » .

حياة « بابا طاهر »

والمعروف لنا عن « بابا طاهر » قليل جدا ، وقد اختلف كتاب الفرس اختلافا كبيرا في تحديد زمنه ، بحيث جعله بعضهم من الرجال الذين عاشوا في بداية القرن الحادى عشر الميلادى (أوائل الخامس الهجرى) ، وجعله بعضهم الآخر من رجال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر السابع الهجرى) . وأقدم مصادفت

(١) أنظر : Lament of Biba Tahir, by Mr. Eduard Heron Allen : (Quaritch 1902)

(٢) اسم هذه السيدة بالإنجليزية هو : Mrs. Elizabeth Curtis Brenton
 (٣) المترجم : أنظر الصفحات ٧٣ - ٧٨ من الأصل الإنجليزي للجزء الأول من هذا الكتاب المتعلق بالأدب الفارسية منذ أقدم الأزمنة إلى عهد الفردوسى .
 (٤) لست أظن قارئ الإنجليزية يستفيد كثيراً بالمقالة التي كتبها « زوكوفسكى » بالروسية في المجلد الثامن من ١٠٤ - ١٨ من تقارير القسم الشرقي للجمعية الامبراطورية الروسية الانتار ، سنة ١٩٠٩ م

من الكتب التي ذكرت شيئا عنه هو كتاب « راحة الصدور » فقد ورد في الورقة ٤٣ من المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة باريس مترجمته : (١)

« وقد سمعت أنه عندما قدم السلطان طغرل بك إلى مدينة همدان كان بها
 « ثلاثة من شيوخ الصوفية هم : « بابا طاهر » و « بابا جعفر » والشيخ
 « حشاش » ، وكانوا يقفون عند مقدمه على جبل يسمى : جبل الحضر بالقرب
 « من باب همدان ، فلما وقعت عليهم عين السلطان أمر رجاله بالوقوف ، وترجل
 « عن جواده ، وتقدم إليهم ، وقبل أيديهم ، وكان باباطاهر مجذوبا ؟ فقال له :
 « أيها التركي . . . !! ماذا نويت فعله بعباد الله . . . ؟ فأجاب السلطان : سأفعل
 « ما تأمرني به . . . !! عند ذلك قال له بابا طاهر : بل افعل ما يأمرك به الله ،
 « والله يأمر بالعدل والإحسان . (٢)

« عند ذلك بكى السلطان وقال : سأفعل ذلك إن شاء الله . فأخذ بابا طاهر يديه
 « وقال له : هل تقبل مني هذه الهدية . . . ؟ وأخرج من أصبعه رقبة إبريق
 « مكسور كان يستعمله في الوضوء مدة طويلة ، ثم وضعها في أصبع السلطان
 « وهو يقول : أنى أضع في يدك ملك العالم كما أضع هذا الخاتم في أصبعك
 « فكن عادلا . . . !! فظل السلطان بعد ذلك يحتفظ بها . فإذا خرج لموقعة
 « من المواقع وضعها في أصبعه . وهذا كله يدل على ما اتصف به السلطان من تقاء
 « العقيدة وصفاء الطوية ، ولم يكن يدانيه في ذلك أحد من المسلمين . . .
 ومن المحتمل أن تكون المقابلة التي ذكرت في النبذة السابقة قد حدثت بين « طغرل
 بك » و « باباطاهر » في سنة ٤٤٧هـ أو ٤٥٠هـ = ١٠٥٥م أو ١٠٥٨م . وعلى ذلك
 يمكننا في اطمئنان أن نرفض التلويح الذي حدده « رضا قلي خان » لوفاة « باباطاهر »
 حين ذكر في كتابه « رياض العارفين » أنه توفي سنة ٤١٠هـ = ١٠١٩م . أما النبذة
 التي كتبها « ژوكوفسكي » في مقاله الذي سبقته الإشارة إليه في هامش من
 هوامش الصفحات الماضية ، وذكر فيها أن « بابا طاهر » تحدث مع « ابن سينا »

(١) للترجم : فاء . بطبع هذا الكتاب الاستاذ « محمد اقبال » ونشره ضمن «سلسلة كتب
 حب التذكارية»

(٢) سورة النحل آية ٩٢ .

التوفى سنة ٥٤٢٨ = ١٠٣٥ م فمحتملة التصديق عقلا وليس فيها ما يتنافى مع الجأز المقبول . ولا شك أن النبذة التي نقلناها عن كتاب « راحة الصدور » تنفق أنباؤها مع الأخبار القليلة التي ذكرتها كتب المصادر الأخرى، من حيث تصوير « باباطاهر » وإبراز شخصيته، ومن حيث إظهار الاحترام والتبجيل اللذين يفوز بهما « المجاذيب » و « الأولياء » في البلاد الإسلامية عامة ؛ وقد رأيت بعيني رأسى جماعة من هؤلاء ينتقلون بحرية تامة في مكاتب الحكومة التركية ، فيلاقيهم الموظفون دائماً بمنتهى الحفاوة والتكريم (؟)

* * *

أبو سعيد ابن أبي الخير :

نتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الشعراء المشهورين بكتابة الرباعيات ، وهو « أبو سعيد بن أبي الخير » المولود في قرية « مهنة » من أعمال « خاوران » في السابع من ديسمبر سنة ٩٦٧ م والتوفى في الثاني عشر من يناير سنة ١٠٤٩ (= ٣٥٧ هـ إلى ٤٤١ هـ) . وقد اعتبره « إتيه » : « أول من أبدع الشعر الصوفي ، وأول من روج « الرباعيات » وجعلها وسيلة صالحة لأداء الأفكار الدينية والصوفية والفلسفية بحيث تتركز فيها وتصدر عنها جميع التجليات الصوفية الرائعة ؛ وهو كذلك أول من أضفى على الرموز والتعبيرات الصوفية هذا الجمال الزاهر وهذا الخيال القاهر اللذين عرف بهما الشعر الصوفي منذ ذلك الزمان » .

وروى كذلك عن « أبي سعيد » أنه تمكن من الإجماع بـ « ابن سينا » كما فعل « بابا طاهر » . وقد ورد الخبر في حكاية معروفة أنه عند ما انفض مجلسهما الأول قال أبو سعيد لابن سينا : « إننى أدرك ما تعرفه ... !!! » فأجاب ابن سينا بقوله : « وأنا أعرف ما تدركه ... !! » (١)

(١) من بين الكتب التي ذكرت هذه القصة كتاب « أخلاق جلالى » المؤلف في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، أى التاسع الهجرى (ص ٢٨ من نسخته المطبوعة على الحجر في مدينة لسكنو سنة ١٢٨٣ هـ : ١٨٦٦ م وقد روى « تاريخ كنزیده » هذه القصة بصورة أخرى كما ذكر ذلك الدكتور « إتيه » . فقد ورد فيه أن ابن سينا قال : « كل ما أعرفه يدركه أبو سعيد » فأجاب أبو سعيد بقوله : « أما ابن سينا فيعرف ما لا أدركه ... !! »

ومع ذلك فقد وضع الدكتور « إتيه » أن هذين الرجلين كانا على طرفي نقيض في كثير من المسائل الدينية وأن العداوة كانت متأصلة بينهما (١).

ومصادر تأريخ « أبي سعيد » — على خلاف العادة — واسعة كاملة؛ فبالإضافة إلى ما نجد عنه من أخبار كثيرة، تضمنتها تراجم الأولياء والشعراء، نجد أن الدكتور « إتيه » قد كتب عنه، بمعهد فيه من دقة في البحث وعمق في الدرس، مقالين هامتين (٢)، وكذلك قام « زوكوفسكي » في سنة ١٨٩٩ م بنشر مجلدين يحتويان نصوصاً نادرة، تتعلق كلها أو جلها بحياة هذا الرجل، وبما أثر عنه من أقوال وأشعار. ولهذين المجلدين أهمية خاصة تدعونا إلى تفصيل القول عنهما بعض الشيء.

وأول هذين المجلدين يشتمل على النص الفارسي لكل من الكتابين الآتين:

أ — « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ».

ب — « رسالة حورائيه » أو رسالة الحور.

والكتاب الأول من هذين الكتابين أي « أسرار التوحيد » عبارة عن مؤلف مطول يقع في ٤٨٥ صفحة، كتبها أحد أحماد الشيخ أبي سعيد المسمى « محمد ابن النور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير المنسوب إلى قرية ميهنة » (٣). وقد برهن « زوكوفسكي » في مقدمته الرائعة التي قدم بها هذا الكتاب، على أن هذه الصفحات قد كتبها مؤلفها فيما بين سنة ٥٥٢ هـ وسنة ٥٩٩ هـ (= ١١٥٧ - ١٢٠٣ م) لأنها تتضمن إشارات إلى موت السلطان « سنجر » السلجوقي التتوي في أول هذين التاريخين، كما إنها مهداة إلى ملك الغور « غياث الدين محمد بن سام » التتوي في ثاني هذين التاريخين. وقد نشر « زوكوفسكي » نص هذا

(١) انظر ص ٥٢ - ٥٣ من المرجع المذكور في الهامش التالي.

(٢) مجموعة مقالات نشرها الدكتور « إتيه » في: Sitzungsber. d. Bayer. Akad.

Philos.-Philolog. سنة ١٨٧٥ م ١٤٥ - ١٦٨ وسنة ١٨٧٨ م ٢٨ - ٧٠. وقد نشر في

هذه المقالات اثنتين وتسمين رئاعية من رباعيات « ابن سعيد » مصحوة بترجمة منظومة، عليها

كثير من الحواشي والتعليقات.

(٣) كما جاء في « أسرار التوحيد » ص ٣.

الكتاب وفقاً لمخطوطي « بطرسبورج » و « كوبنهاجن ». وهو يقول إن أهميته تنحصر في أنه يعتبر من المصادر الأصلية التي اعتمد عليها « العطار » و « جامي » وغيرهما من « كتاب التراجم » ، كما إن الأخبار التي تضمنها تستبد إلى روايات المعاصرين الذين نقلوها إلى المؤلف بطريق المشافهة أو بما خلفوه لأعقابهم من مذكرات ورسائل .

ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الرسائل التي كتبت عن « تراجم الأولياء » ومن أوضح الكتب التي صورت لنا حياة « الدرويش » في ذلك العصر ، وهو بالإضافة إلى ذلك يشتمل على كثير من المسائل اللغوية الهامة والصيغ المهجورة التي أبقاها الناشر لحسن الحظ على أصولها . وكلا النسختين اللتين اعتمد عليهما الناشر كتبنا في خلال القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي

أما « رساله حورائيه » فعبارة عن مقالة قصيرة تقع في خمس صفحات ، كتبها « أبو عبدالله بن محمود » المنسوب إلى « الشاش » في إقليم ما وراء النهر ، وقد فسر فيها إحدى رباعيات الشيخ « أبي سعيد » .

وثاني المجلدين اللذين نشرهما « ژوكوفسكي » يشتمل على النص الفارسي لمخطوطة قديمة فريدة ، يرجع تاريخها إلى سنة ٥٦٩٩ = ١٢٩٩ م . وهذه المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني ، والجزء الأكبر منها يتعلق بالحديث عن أسرار الشيخ أبي سعيد وتعاليمه الروحية . وقد طبعت هذه المخطوطة في ثمان وسبعين صحيفة ، وهي سابقة في تأليفها لكتاب « أسرار التوحيد » ، وقد ألفها أيضاً واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد ، يظنه « ژوكوفسكي » من أبناء « أبي روح لطف الله » .

ولو أننا شئنا أن نتحدث عن هذه المصادر الزاخرة بالأخبار بما هي جديرة به من اهتمام وتقدير ، لاقضانا الأمر تخصيص مجلد كامل لها ؛ ولكننا نذكر أنه بالإضافة إلى هذه المصادر المستفيضة ، توجد أيضاً بين أيدينا طائفة كبيرة من أخبار هذا الشيخ تضمنها كتب التراجم المتأخرة مثل كتاب « هفت إقليم » (١) وكتاب

(١) ذكره الدكتور « إيه » واستشهد به

« تاريخ كزيبته » وكتاب « صفحات الانس » (١) وغير ذلك من الكتب . كما أن رباعياته قد طبعت على انفراد جملة مرات في البلاد الشرقية، أو ضمن مجموعات تشتمل على رباعياته مع رباعيات « عمر الحيام » ورباعيات « بابا طاهر » وما شاكل ذلك من الرباعيات .

وكانت حياة « أبي سعيد » خالية من الأحداث والوقائع ، وقد أمضاها كما يقول الصوفية في « عالم الأرواح » لا « عالم الأشباح » ؛ وهو لهذا السبب يختلف اختلافا كبيرا عن سائر الكتاب والشعراء الذين تحدثنا عنهم في الصفحات السابقة من هذا الباب .

أبو سعيد والنصوف

وفي رأي أن الفضل في إثبات أهمية الشيخ « أبي سعيد » وأسبقيته بالنسبة لتاريخ التصوف الفارسي ، يرجع إلى الدكتور « إتيه » دون غيره من الكتاب ، فإن الإيرانيين أنفسهم ما زالوا ينكرون أهمية « أبي سعيد » من هذه الناحية ، ويتابعون القول المشهور الذي قاله أكبر متصوفهم « جلال الدين الرومي » حينما اعتبر نفسه ثالث الثلاثة الكبار من الصوفية ، كان « سنائي » أولهم ، وكان « العطار » ثانيهم . ولو أننا راعينا الحق وتخزيننا الصواب لوجدنا أن « أبا سعيد » متقدم على هذين من الناحية الزمنية . وقد أثبت الدكتور « إتيه » في الرباعيات التي اختارها ونشرها من رباعيات الشيخ « أبي سعيد » أن جميع خصائص التصوف الفارسي والتعابير الصوفية الفارسية تبدو مجتمعة لأول مرة في هذه الرباعيات ، وقد ظلت على حالها منذ ذلك الوقت ، وأجمع على اتباعها شعراء الصوفية من الفرس والأتراك والهنود (٢) .

وفيما يلي ترجمة لطائفه من الرباعيات اخترناها من مقالة الدكتور « إتيه » واتبعنا فيها الترتيب التي رقت به هنالك ، وهي تكفي للبرهنة على صحة هذا الرأي (٢) :

(١) طبع « نساويز Nassau Lees » من ٢٣٩ - ٢٤٧

(٢) ينطبق هذا أيضا على أقواله التي أورد الكثير منها كتاب التراجم .

(٣) المترجم : لم استطع للأسف الرجوع إلى أصل هذه الرباعيات بالفارسية لعدم عنوري على مقالة الدكتور « إتيه » في دور الكتب الموجودة في مصر .

(١)

- إدخالك السرور على قلب واحد ،
- خير لك من تعبير ألف من الساجد !!...
- واستعبادك لحر واحد بما تسديه إليه من إحسان
- خير من تحريرك آلاف من العبيد والعلماء !!

(٢)

- يا من تملأُ طلعتك العالم بالأضواء والأنوار !...
- إنني أصلى من أجل وصلك آناء الليل وأطراف النهار .. !!
- فتباً لى . . . إذا شمل عطفك غيرى من الناس
- وتباً للناس . . إذا شاركوني اللفظة والحنين والإحساس . . . !!

(٥)

- يذهب الغزاة إلى حومات الوغى للموت والاستشهاد
- ويا ليتهم علموا حكمة الغزو وسر الجهاد . . . !!
- فإنما يفوقهم شأننا ، قتلى العشق وصرعى الوداد
- لأن الأجابة هم الذين قتلوهم . . . لا الأعداء الشداد . . . !!

(٦)

- إني أدعو للجميع : ألا يحرم أحد منهم من رحمتك الوسيعة
- فإن اللانذ بك يبلغ أوج المدارج الرفيعة . . . !!
- ولو أضاءت شمسك في ذرة من الذرات . . .
- لزاد بهاؤها على شمس الأفلاك والسموات . . . !!

(١٠)

- مادام الجامع والمدرسة ... لا تهدم منهما الأركان
 — وما دام الشك واليقين ... يتناوبان في قلب الإنسان ،
 — فكيف يمكن لمذهب « القلندرية » في هذا الزمان (١)
 — أن ينتشر ، فيخرج مسلما واحدا قوى الإيمان ... !!

(١٣)

- لا تلمنى ... ياسيدى ...!! إذا احتسيت الخمر والشراب ... !!
 — وإذا قضيت في الخمر والعشق أيام الشيب والشباب ... !!
 فانا في إفاقتي أعاشر الأجاب وغير الأجاب
 — ولكننى متى سكرت ... لا أجالس غير الأصحاب .. !!

(١٧)

- قلت : حدثنى عن جمالك .. من الذى يفوز بيهجته وسناه .. ؟
 — فقال : أنا وحدى الفائز به ... مادمت فى الوجود والحياة ... !!
 — فانى أنا وحدى العاشق والعشوق والعشق فى منتهى
 — وبنى أنا وحدى العين البصرة، والجمال الزاهى ، والرآه ... !!

(١٨)

- حدثت طبيبي عن آلامى الكثيرة الحافية
 — فقال لى : كف الحديث ... ولا تسكلم إلا عن صفاته العالية
 — وحذار ان تجعل لك زادا إلا من دماء قلبك الغالية ... !!
 — وحذار أن تفكر فى الدار الفانية أو الباقية .. !!

(١) «القلندرية» جماعة من الدراويش لا يهتمون بالمظاهر ولا بأراء غيرهم من الناس

(١٩)

- هؤلاء الرجال الذين يقدون على ألقاب التكريم
- لا يعرفون حقيقة ما انطوى عليه قلبي الكليم...!!
- ولو كشفوا خبيثة ما تحتوى عليه ضلوعى ... من عذاب ألم
- لقضوا على بأن أحترق بنارى ... كما يحترق المهشم .. !!

(٢٠)

- قدرت على الحب ... ثم تركت أحبتك فى اشتياق وحنين ...!!
- وحرمتنى من العقل والفكر فخلا منهما قلبي الأمين...!!
- وكنت غفيا وقورا ... وكنت من أصلح الصالحين ،
- فأصبحت بحبك شريدا خليعا ... ومن أكبر العربدين ...!!

(٢١)

- هذاك بذر التمام ... مجلوفى بهاه...!!!
- وهو فى أقل مراتبه ... عبارة عن الحسن فى منتهاه ... !!
- فأطل النظر إلى وجهه الشمس . . فإذا عشيت بسناه
- فانظر إلى شعره المجدد ... كيف يتألق فى دجاء ...!!

(٢٧)

- إذا ابضت صفحة وجهى بنور الحق وضياء الإسلام
- بلغت غاية الشرف ، وظفرت بنهاية الاحترام ... !!
- ولكن ... من أسف ... أن العار يكسو وجهى بالسواد والقتام
- بحيث ينجل الجحيم ... بما ارتكبت من ذنوب وآثام ... !!

(٢٨)

- متى بلغت فى حبك مرتبة العشق والوصال ،
- لم أعد أتطلع إلى الجنة ، أو أغرق فى الأمانى والآمال ...!!
- فإن الجنة لا تعينى . . . إذا لم أفر فيها بلقائك ...!!
- والنعيم والجحيم سواء . . إذا لم أظفر برضائك ... !!

(٣٠)

- من قبل أن يخلق الزمان والنجم والسماء ،
- ومن قبل أن يخلق النار والماء والأرض والهواء ،
- ومن قبل أن يخلق العقل والشكل والأصوات والأصداء ،
- أخذت أردد أسرار التوحيد في العلائية والحفاء ... !!

(٣٢)

- أيها الهندي البرهمي ... !! أنظر إلى هذه الحدود الوردية الحمراء ،
- إنها تتقد بنارها المؤججة على وجه هذه الدمية الحسنة ... !!
- فإذا عميت بصيرتك عن أن تعبد الله صاحب الجمال والبهاء ،
- فاعبد هذه النار ... فهي خير لك من عبادة البقرة العجباء ... !! (١)

(٣٣)

- يا إلهي ...! أنا في عثرتي ... ارتجى عفوك ورضاك ... !!
- وأنا في ذلتي ... أبتغى رحمتك ونداك ... !!
- ولن أفعل كسائر الناس ... فاحتمى بهذا أو ذاك
- وليس لي من حام ولا واق في العالمين ... سواك ... !!

(٣٨)

- بارك الله في أقدامي ... إذا سمعت إلى لقياك ... !!
- وبارك الله في كل ساع ... يسعى إلى رضاك ... !!
- وبارك الله في كل من يتمتع ناظره بالتطلع إلى بهاك
- وبارك الله في كل لسان ... يسبح بحمدك وعلاك ... !!

(١) « كاو پرست » أي عابد البقرة ، ويطلق تفرس هذه الكلمة على الهندوكيين لتقدسهم البقر . والشاعر يشير هنا إلى أن حمرة وجه الحبيب شبيهة بالشمس المتقدة أو النار المؤججة ، وعلى ذلك شبهوا العاشق بعابد النار أو عابد الشمس ، لأنه دائماً في لهفة إلى أن بشرق عليه وجه الحبيب . . .

(۵۴)

- ذلك «العارف» الذي سلك طريق الأسرار
 — قد أعمد بالله ... فأنكر الأثرة ... وآثر الايثار .. !!
 — فاتصل بالله ... وانكر نفسك كل الإنكار
 — فلا إله إلا الله . . وهو وحده الواحد القهار ... !!

(۵۵)

- ليلة الأمس ... حدثت ، «الجيب» أحاديث الحب والوصال ... !!
 — فأخذ ينقض العهود ، ويتجنى على في دلال ... !!
 — وانقضت الليلة ، ولم أحك من قصة الحب الالبداية ... !!
 — ولا ذنب لليل ؛ ولكن «قصة الحب» ليس لها نهاية ... !!

(۶۱)

- أنا منذ كنت ... لم ابتعد لحظة واحدة عن وصالك ... !!
 — وقد خدمني حظي السعيد ... فلم أعب عن مشاهدة جمالك ... !!
 — وفيتت فيك ... فلم يعد يشاهدني أحد من الناظرين ... !!
 — وأضاء على نورك ... فظهرت مكشفا للعالمين ... !!
 ونذكر فيما يلي الرباعية التي نسبوها إلى « ابن سينا » ورد الشيخ
 « أبي سعيد » عليها :
 قال ابن سينا : (۱)

(۱) للترجم : فيما يلي أصل هذه الرباعية بالفارسية

ما نيم بفقو نو تولا کرده ور طاعت و معصيت تولا کرده
 آنجا که عنایت تو باشد باشد ناکرده چو کرده کرده چون ناکرده

— نحن اللائذون بعفوك

— المجتنبون لطاعتك ومعصيتك .

— وأينا تكن عنايتك ولطفك ،

-- يصبح مالم نفعله كما لو فعلناه ، وما فعلناه كما لو لم نفعله ... !!

فأجاب « أبو سعيد » برابعة معناها :

— أيها الفارق في الإثم ... يامن خلت أعمالك من كل خير ... !!

— أنك تجتهد في أن تنجو بنفسك فتنكر ما أتيت من شر ... !!

— وهل يمكن محو الذنوب والآثام والشرور ... !!؟

— إنما أنت تعتمد عبثاً على عفو الله الغفور ... !!

وجميع هذه الرباعيات والأشعار تكفي لبيان أهم المسائل التي يدور عليها تفكير الصوفية ومقولاتهم فالفكرة الأساسية لا تكتفي بتصوير « الله » على أنه قادر قاهر خير خصب ، بل تجعله المصدر الوحيد للكون والجمال ، وتجعله الجمال الحق والكون الحق ، وفيه ينطوى كل ما هو غائب عن البصر ، وبنوره يتكشف كل ما يقع عليه النظر ؛ ويتصل بهذه الفكرة كل التعبيرات اللغوية والرمزية التي اشتملت عليها هذه الأشعار والتي تشتمل عليها لغة الصوفية أجمعين ؛ فالله عندهم هو « الحبيب » وهو « العشوق » وهو « المحبوب » ؛ والوجد الحاصل من التفكير فيه هو « الحمر » وهو « الحمار » . والظاهر والباطن منه عبارة عن « طلعت النيرة » أو « طرته السوداء القاعة » ، وما إلى ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة . وفي الصوفية بالإضافة إلى ذلك رفع من شأن المثالية الذاتية على التعارفات الموضوعية ، وفيها كذلك تأويل روحى للواجبات والمراسم الدينية كما هو ملاحظ بين فريق « الإسماعيلية » ، وربما استمد الصوفية منهم فكرة هذه التأويلات وإن كانوا يختلفون عنهم في كل شيء اختلافاً بينا ظاهراً ، وفيها كذلك فكرة لا تقل في أهميتها عن جميع ما سبق ، وهى فكرة « التسامح » التي تجعل جميع المذاهب تمثل « الحق » تمثيلاً يتفاوت كبراً أو صغراً ولكنها تعترف جميعاً بـ « أن طرق الله كعدد أنفاس بنى آدم » أو كما عبر « حافظ »

عن ذلك فيما بعد فقال : « إن كل قبلة يتوجه إليها الإنسان هي خير من عبادة النفس . . . ! ! » (١)

وكثير من أقوال « أبي سعيد » وحكاياته مرويه فيما سجله مؤرخوه و مترجموه . ونحن نكتفي في هذا المقام بذكر أمثلة قليلة منها ؛ فقد سألوه أن يعرف لهم الصوفية فأجابهم : أن الصوفية عبارة عن أطراح ما في يدك وعدم الجزع على ما يصيبك أو ينزل بك . . . ! !

وقال في مناسبة أخرى : إن الحجاب الذي يحجب الله عن عبده ليس هو السماء ولا الأرض ولا العرش ولا الكرسي ، بل هو الغرور وحجب النفس ، ومتى استطعت التغلب على هذين ومحوتهما من طبيعتك ، وصلت إلى الله وزال الحجاب الذي بينك وبينه .

وأخبره جماعة بأن أحد الأولياء كان يمشي على سطح الماء ، وأن آخر كان يطير في أطباق الهواء ، وأن ثالثاً كان يتنقل في طرفة عين من مدينة إلى مدينة ، فأجابهم بقوله : إن الضفدعة تستطيع أن تعوم في الماء ، ويستطيع الخطاف أن ينزلق على سطحه ، ويستطيع الغراب أن يطير في الفضاء ، ويستطيع الشيطان أن يتنقل في طرفة عين بين المشرق والمغرب ، ولكن جميع هذه الأشياء لا أهمية لها في رأيي ، لأن الرجل الجدير بأسماء الرجال هو الذي يعيش مع سائر الناس ، فيشتري منهم ، ويبيع لهم ويتزوج منهم ، ويتعامل معهم ، بشرط ألا يفصل لحظة واحدة عن ذكر الله . . . ! !
ويقال إن « أبا سعيد » كان يعجب إعجاباً شديداً بهذا الشعر الذي ورد في قصيدة عربية قالها « كثير » لمعشوقته « عزة » (١) :

ولو أن ليلي الأخيلى سلمت على ودوني جندل و صفائح
سلمت تسليم البشاشة أو زقا إلهاصدى من جانب القبر صائح

(١) المترجم : عبارة حافظ في الفارسية هي : « هر قبلة كه باشد بهتر ز خود برسنی » .

(٢) المترجم : لم أعثر له - « كثير » على شعر في هذا المعنى ، وأما البيتان المذكوران فمن قول

« توبة بن الحمير » وهما في نفس المعنى الذي ورد في الأصل الإنجليزي

وهذا القول يذكرنا بالأبيات الجميلة التالية التي قالها الشاعر «تيتسون» في «مودا» (Maud):

“ She is coming , my own, my sweet ;
Were it ever so airy a tread ,
My heart would hear her and beat ,
Were it earth in an earthy bed ,
My dust would hear her and beat,
Had I lain for a century dead ;
Would start and tremble under her feet,
And blossom in purple and red ”

وقد تشبها على قبر «أبي سعيد» هذين البيتين باللغة العربية وهما (١):
سألتك بل أوصيك إن مت فأكتبني على لوح قبري كان هذا متبا
لعل شجيا عارفا سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلما (٢)

* * *

عبد الله الأنصاري :

سيكون حديثي مختصرا عن الشيخ «أبي اسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي» الذي اشتهر برباعياته و «مناجاته» .

هذا الشيخ ينتسب كما تدل على ذلك نسبه إلى أصل عربي، فهو من سلالة «أبي أيوب» . وقد ولد في مدينة هراة في اليوم الرابع من شهر مايو سنة ١٠٠٦ م = ٣٩٨ هـ وتوفي في سنة ١٠٨٨ م = ٤٨١ هـ . وينسبون إليه أيضا تاليف الكتابين المعروفين باسم «منازل السائرين» و «أنوار التحقيق» .

وإليك نبذة مترجمة من «مناجاته» :

« يا إلهي !... ما أعجب حكمتك ..؟! هاتان قطعتان من حديد أخرجتا
« من منجم واحد ، فأما إحداها فقد أصبحت حدوة يحدون بها الحياض ؛ وأما
« الأخرى فقد أصبحت مرآة ينظر فيها الملك إلى طلعه ، .. يا إلهي ... »
« أما وقد استطعت بقدرتك أن تخلق نار الهجر والفرار ، فما حاجتك إلى نار »

(١) أظن الصحيفة الأخيرة مما كتبه «زوكوفسكي» في «حالات وستخان شيخ أبي سعيد»
طبع بطرسبورج سنة ١٨٩٩ هـ = ١٣١٧ هـ
(٢) المترجم : وردت في الأصل كلمة «فسلما» .

« السعير والجحيم .. يا إلهي .. لقد تخيلت أنني عرفتك ووصلت إليك »
 « ولكنني الآن تحققت من أن أوهامي كانت كفقاعات الماء .. !! يا إلهي !.. »
 « أنا عاجز حيران .. فلا أعرف ما أملك ... ولا أملك ما أعرف .. !! »

وفبا يلي ترجمة لإحدى الرباعيات المشهورة التي ينسبونها إليه :

— حذار حذار أن يأخذك التيه والعجب والدلال ،

— فظن نفسك أعلا قدراً من سائر الرجال .. !!

— واجتهد دائماً أن تتمثل إنسان عينك وقدرته ،

— فهو يرى كل شيء ... إلا نفسه وصورته .. !!

والرباعية التالية تكفي مثلاً لسائر رباعياته :

— أأتمل بك .. فلا حاجة بي إلى الكأس والشراب ... !!

-- وقد وقعت في شراكك بعدما تحمرت من سائر الشباك والأحبال .

— وأنا دائم السعي وراءك ، ألتمسك في الكعبة وفي سائر المعابد

— ولا فرق عندي بين هذه وتلك ... ولا هدف لي إلا أن أفوز بقلبك !!

* * *

وقد ذكر « إتيه » أن الشيخ « أبا عبد الله الأنصاري » ألف اسكتب الآتية :

١ — « نصيحت » أو النصيحة ... وقد أهدها لنظام الملك .

٢ — « إلهي نامه » أو الكتاب الإلهي

٣ — « زاد العارفين » .

٤ — « كتاب أسرار » أو كتاب الأسرار .

٥ — تهذيب لكتاب « طبقات الصوفية » للسلمى .

٦ --- « أنيس الريدين وشمس المجالس » : وهو عبارة عن قصة « يوسف وزليخا »

مكتوبة ثراً (١) .

(١) المترجم : يعتبر الأنصاري أول من استعمل النثر المسجوع في الفارسية ، وقد كان قادراً على التأليف بالفارسية والعربية . ومن آثاره بالفارسية ما يلي :

١ — رساله أسرار : وهي مخطوطة بالمتحف البريطاني .

٢ — مناجات نامه : وقد طبعت في طهران كما طبعت في شيراز باسم « أنوار التخليق » =

ومتى وصلنا إلى هذا الحد ، وجب علينا أن نتقل إلى الحديث عن طائفة من شعراء هذا العصر الذين لم يشتهروا بالتسوف ، ولا بد أن نذكر منهم على الأقل أربعة شعراء ... هم :

- ١ - « أسدى الأصغر » ... من شعراء طوس
- ٢ - « فخر الدين أسعد » ... من شعراء جرجان
- ٣ - « فصیحی » ... من شعراء جرجان
- ٤ - « قطران التبریزی » ... من شعراء تبريز

قطران التبریزی

ولنبداً الآن بالشاعر الأخير من هؤلاء الأربعة ، فقد قابله « ناصر خسرو » وتحدث معه أثناء توقيفه بمدينة تبريز في الفترة الواقعة بين ٢٦ أغسطس و ١٨ سبتمبر سنة ١٠٤٦ م = ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هـ - ١٣ ربيع الأول ٤٣٨ هـ .

وقد تحدث « ناصر خسرو » عن هذا الشاعر بما يلي : (١)

« وقد رأيت في تبريز شاعراً ، اسمه « قطران » . يقول شعراً طيباً ولكنه لا يعرف الفارسية جيداً . وقد حضر إلى وأحضر معه ديوان منجيق وديوان « الدقيق وقرأ منهما أمامي ، وكلما أشكل عليه المعنى سألتني ، فأجبت ، فكان يكتب شرح الأبيات والمعاني الصعبة ، ثم يقرأ على بعض أشعاره . »

وقد كتب عن هذا الشاعر كل من « عوفى » و « دولتشاه » في كتابيهما

- ٣ - نصاب : وقد طبع في برلين سنة ١٣٤٢ هـ ومعها « مناقبات نامه »
 - ٤ - كثر السالكين : مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران بعنوان « كنجنامه »
 - ٥ - قلندر نامه : مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران تاريخها سنة ٩١٠ هـ
 - ٦ - محبت نامه : وقد طبع في شيراز باسم « مقالات »
- ومن آثاره بالعربية كتاب « ذم الكلاء » وكتاب « منازل السائرین » (١) انظر ص ٦ من الأصل الفارسی لكتاب « سفرنامه »

« باب الألباب » و « تذكرة الشعراء » (١) ولكن الأخبار انني أوردتها عن تاريخ حياته هزيلة للغاية . ويرى « عوفى » أن « قطران » ينتسب إلى مدينة « تبريز » ولكن « دولتشاه » يعتقد أنه من أهالي « ترمذ » ويخالفهما « شيفر » فيرى أنه ولد في جبال الديلم فيما بين مدينة قزوین وبحر قزوین .

ويتحدث « دولتشاه » عن هذا الشاعر فيقول : أنه أنشأ مدرسة في الشعر كانت تصمم جماعة من الشعراء الممتازين من أمثال « الأنورى » و « رشيدى السمرقندى » و « روحى الولوجى » و « شمس سيمكش » و « عدنانى » و « پسر خمخانه » (٢) ثم يضيف إلى ذلك قوله : « إن الكاتب الشاعر رشيد الدين الوطواط اعتاد أن يقول إنه يعتبر قطران سيد الشعراء جميعا في أيامه ، وأما باقى الشعراء فهم شعراء عن طريق الطبع لا عن طريق العلم » .

ولا شك أن « الوطواط » كان محقا فيما قال ، لأن قطران كان أول من أكثر من إدخال الصنعة والمحسنات البلاغية في الشعر الفارسي بحيث بذ في ذلك أكثر الشعراء الذين سبقوه ، ولم ينس « دولتشاه » أن يقرر ذلك فيقول « أنه اجتهد في نظم الأشعار المشكلة مثل الربعات والخمسات والقصائد ذات القافيتين » .

وقدامتاز « قطران » خاصة بنظم القصائد ذات القافيتين . وقد حاول شعراء متأخرون أن يقلدوه ، ولكن القليل منهم هو الذى استطاع أن يتفوق عليه في هذا المضمار ، ونحن نذكر جميعا أن « المعزى » شاعر السلطان « سنجر » كان بين مقلديه ، وأنه أنشأ قصيدة مشهورة ذات قافيتين مطلعها كما يأتى :

أى تازہ تراز برک، کل تازہ بیر بر پرورده ترا دایه فردوس بیر بر
ومعناه :

— یا من أنت أينع من الورد النضير . . . هلا ضممتنى إلى صدرك

لقد غذتک مرضعة الفردوس بشديها البار

ومن العسير تأدية هذه الصنعة البيعية في الإنجليزية ، ومن أجل ذلك فأنا أتربك

(١) أظن « باب الألباب » ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢١ وكذلك « تذكرة الشعراء » ص ٦٧-٦٩

(٢) معناه الحرفى « ابن الحانة »

جمال الحبكة على جماها لمن شاء أن يقرأ أشعار « قطران » بأصلها الفارسي ، فأغلبها يمثل هذه الصنعة البديعة التي تقوم على المحسنات اللفظية أكثر مما تقوم على المحسنات المعنوية ؛ وقد عجزت ترجمتي للبيت السابق عن محاكاة هذه الصنعة ؛ لأن كل شطرة يجب أن تنتهي بكلمة تكون في بنائها ونطقها مشابهة تماما للقطع الأخير من الكلمة السابقة عليها ، كما نجد

في كلتى « فرسنك » بمعنى الفرسخ و « سنك » بمعنى الحجر
وفي كلتى « نارنك » بمعنى النارنج و « رنك » بمعنى اللون
وفي كلتى « آموى » بمعنى نهر جيحون و « موى » بمعنى الشعر

فإذا شيئا محاكاة هذه الصنعة في الإنجليزية وجب علينا أن نصوغ شعرا تراعى في كل بيت من أبياته المحافظة على الوزن والقافية وكذلك أن ينتهى بكنمتين مثل :

« coil » و « recoil »
« face » و « efface »
« use » و « refuse »

وإذا كان هذا عسيرا جدا في الإنجليزية ، فإنه في الفارسية يدو برغم التكلف والتصنع الباديان فيه ، جميلا للغاية ، إذا أحسن الشاعر أداءه وصيانتته (١) .

أسدى الأصغر

يجب علينا أن نفرق بين أسدى الأصغر الذى يسمى « عليا » وهو مؤلف « كرشاسب نامه » (٢) فى سنة ٤٥٩ هـ = ١٠٦٦ م وبين أبيه « أبى نصر أحمد » أستاذ الفردوسى ومخترع شعر الناظره الذى سبق لنا الحديث عنه والذى توفى أثناء حكم السلطان مهعود الغزنوى فى الفترة الواقعة قبل سنة ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م ومن أهم الأمور التى تتصل بأسدى الأصغر ، أنه مازال فى حوزتنا مخطوط

(١) المترجم : انظر صنعة « ذى القانتين » فى ترجمتى العربية لكتاب « حدائق الشعر فى دقائق الشعر » طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥م وهناك ضرب آخرون هذه الصنعة تكون فيه للقصيد قافيتان متجاورتان .
(٢) « كرشاسب نامه » هى إحدى المنظومات الفارسية التى نظمت تقليدا لشاهنامه الفردوسى

كامل كتبه بخط يده في شوال سنة ١٤٤٧ هـ = ديسمبر سنة ١٠٥٥ . ويعتبر هذا المخطوط أقدم المخطوطات الفارسية المعروفة لنا حتى الآن وهو محفوظ في مكتبة « فينا » وقد طبعه الدكتور « زيليجان » (١) طبعة أنيقة في « فينا » سنة ١٨٥٩ م ثم ترجمة إلى الألمانية « عبد الحالق » (٢) وطبع هذه الترجمة بدون تاريخ في مدينة « هاله Halle » .

وموضوع هذا المخطوط هو دراسة الأدوية ، وقد أسماه مؤلفه باسم « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » . ومؤلفه هو « ابومنصور الموفق بن علي الهروي » وقد ذكر الناسخ اسمه في خاتمة الكتاب على هذا النحو « علي بن أحمد الأسدي الطوسي الشاعر » أما « كرشاسب نامه » فعبارة عن ملحمة منظومة يصف فيها الشاعر أعمال « كرشاسب » ومخاطراته ؛ و« كرشاسب » هو أحد أبطال الأساطير في ولاية « سجستان » وتشتمل قصته في هذه المنظومة على تسعة آلاف بيت أو عشرة آلاف ، وأسلوبها شبيه جدا بأسلوب « الشاهنامه » ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أذكر رأيي فيها لأنني لم أستطع أن أظفر بالاطلاع على إحدى المخطوطات العشر التي ذكرها « إتيه » لهذه المنظومة (٣) ، وكل ما وقع في يدي هو هذه المقطوعات المتناثرة التي نشرها « ترز مكن » في طبعته لكتاب « الشاهنامه » (٤)

وأهم من ذلك وأمتع في رأينا ، هو معجمه اللغوي المسمى بـ: « لغت فرس » أو « لغة الفرس » ومخطوطته محفوظة في « الثامنيكان » وقد طبع في مدينة « توينجن » سنة ١٨٩٧ م ، وقام على طبعه الدكتور « بول هورن » (٥) فاعتبر عمله هذا

(١) يكتب اسمه بالحروف الانجليزية هكذا : Dr Seligmann .

(٢) كتب اسمه بالحروف الانجليزية هكذا : Abdul Chalig Achundow .

(٣) انظر مقاله (ص ٢٣٣ — ٢٢٥) من الجزء الثاني من كتاب « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية » وكذلك مقاله عن Persische Tenzonen في صفحة (٦٢ - ٦٦) من المجلد الثاني من تقارير المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين .

(٤) انظر ص ٢٠٩٩ وما بعدها

(٥) يكتب اسمه بالانجليزية هكذا : Paul Horn

أهم أعماله الكثيرة التي خدم بها الأدب الفارسي . . وقد عثر «إتيه» بعد ذلك التاريخ على نسخة أخرى من هذا المعجم في «إدارة الهند» تحت رقم ٢٥١٦ المساوي لرقم ٢٤٥٥ من الفهرست الذي وضعه للمخطوطات الفارسية ، وقد أشار «إتيه» إلى الاختلافات الهامة التي توجد بين هاتين النسختين من المعجم . ونسفة «الثانيكان» هي أقدم النسختين وتاريخ كتابتها هو ٣٠ سبتمبر سنة ١٣٣٢م = ٥٧٣٣ هـ . ويبدو أن «أسدي» قد أخذ في تصنيف هذا المعجم في أواخر حياته (١) ولكن من العسير أن نحدد الفترة التي قام فيها بهذا العمل . وهذا المعجم لا يتناول بالشرح إلا الكلمات الفارسية المهجورة ، ولكن أهميته العظمى ترجع إلى أن كل كلمة من هذه الكلمات قد فسرت بشاهد من الشواهد التي قالها واحد من الشعراء الأقدمين ، ومن بين هؤلاء كثرة لمنكن نعلم عنهم شيئا من قبل . وجملة الشعراء المذكورين في هذا المعجم هو اثنان وسبعون شاعرا ؛ وتتضمن شواهده مقطوعات من نظم «الرودي» لكتاب «كلياته» ودمنه « وهو كتاب مفقود ، وكذلك شواهد أخرى من جملة من القصائد التي لم تكن معروفة لنا بالمرّة أو كانت معروفة باسمها فقط . ومن أهم الملاحظات التي تسترعى نظرنا في هذا المعجم حذف المصنف لاسم «ناصر خسرو» وقد رأينا فيما سبق أن «عوفي» أيضا تجاهل هذا الشاعر تجاهلا كلياً . ولا شك أن تفسير ذلك راجع - في رأينا - إلى الكراهية الشديدة التي أحس بها أهل السنة للإسماعيليين وما اقترن بذلك من الخوف والفرع من أتباعهم .

فهرست الديرين الجرجاني

أما «غفر الدين أسعد الجرجاني» فليس معروفا لدينا إلا بوصفه ناظراً لقصة «ويس ورامين» . وهي قصة من أقاصيص الحب قيل إنها ترجع إلى أصل بهلوي (٢) وبشبهها «إتيه» بقصة «ترستان وايزلت» . ومن المستغرب أن «عوفي» أيضا يقرر في كتابه

(١) انظر مقدمة «بول هورن» ص ٣١

(٢) انظر ص ١١ من الطبعة التي نشرها Nassau Lees في مدينة كلكتا سنة ١٨٦٥ ضمن سلسلة المكتبة الهنديّة Bibliotheca Indica Series

نه لم يعثر (١) من أشعار هذا الشاعر إلا على خمسة أبيات هي جملة ما أمكنه العثور عليها بالإضافة إلى أشعاره الواردة في هذه المنظومة ، ويتناول الشاعر في هذه الأبيات الحماسة الحديث عن مقدار ألمه وجزعه لما صادفه من مولاه « ثقة الملك شهریار » من عدم تقدير ورعاية ، رغم « الأشعار الكثيرة » التي أنشدها في مدحه والإشادة بذكوره ثم ينتهي في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات بالإقذاع في شتمه وسبه وبأنه « لم ير أوسع عن آدمي متصف بصفات الثيران والأبقار غيره ... !! » (٢)

أما « دولتشاه » فلا يذكر شيئاً عن هذا الشاعر وينسب قصة « ويس ورامين » إلى « نظامى العروضى السمرقندى » أو إلى « نظامى الكنجوى » كما يقول بذلك آخرون على حد تعبيره في ص ٣٠ و ١٦٠ من كتابه « تذكرة الشعراء »

وقد تم نظم قصة « ويس ورامين » في سنة ٥٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م عقب تغلب « طغر بك » على « الرومان » ، وقد أهداها الشاعر لوزير هذا السلطان المسنى بـ « أمين الدين أبى الفتح المظفر النيسابورى »

وقد طبعت هذه المنظومة لأول مرة نقلاً عن مخطوطة معينة ، ونشرت ضمن « المكتبة الهندية » في سنة ١٨٦٥ م .

ويقول « إتيه » إن أهمية هذه المنظومة يرجع إلى شيء واحد ، هو أن هذه المنظومة تعتبر أولى المنظومات التي انقسم بوجودها « الشعر الثنوى » إلى قسمين متمايزين : أحدهما الشعر الثنوى الذى صيغت فيه قصص الحب والغرام وقد خصصوا له وزن

(١) انظر ص ٢٤٠ من الجزء الثانى من « لباب الألباب »

(٢) المترجم : فيما يلى نس هذه الأبيات بالفارسية

بيار شعر كتم وخواندم برو زگار	يك يك بجهد بر تته الملك شهریار
شاخى تر از اميد بکشم بنغمتمش	آن شاخ خشک گشت و نیاورد هیچ بار
دعوى شعر کرد و فدانت شاعرى	و آن گاه کرد نیز بناهائى افتخار
زو گاو تر ندیدم و نشنیدم آدمى	در دولتش عجب غلطى کرد روزگار
اميد من دريغ بدان خام قلتبان	أشعار من دريغ بدان روسپى نار

«الهنج»، والآخرة الشعر المتنوي الذي صيغت فيه قصص الملاحم والأبطال، وقد خصصوا له وزن «المتقارب». وفيما يلي أربعة أبيات من «أغنية رامين» نجدها في ص ١٤٢ سطر ١١ - ١٤ :

خوشا ويسا نشسته پيش رامين چنان كيك دري در پيش شاهين
خوشا ويسا نشسته جام بردست هم از باده هم از خوئي شده مست
خوشا ويسا بكام دل نشسته اميد اندر دل موبد شكسته
خوشا ويسا بخنده لب كشاده لب انگه بر لب رامين نهاده
ومعناها: (١)

— ما أبدع « ويس » وقد جلست أملم « رامين »
كأنها تدرجة الوادي أمام الصقر والشاهين...!!
— وما أبدع « ويس » وقد جلست وفي يدها الكأس والجام
وقد بدت مخمورة بالشراب وبالجمال التام...!!
— وما أبدع « ويس » وقد جلست هائلة البال
وقد انكسر قلب « الموبد » وأصابه الوبال...!!
— وما أبدع « ويس » وهي باسمه مقتررة النفر
قد انطبقت شفتها على شفة « رامين » بعد طول الهجر...!!

فصحة « وامق وعذرا »

أما قصة « وامق وعذرا » فأول من نظمها بالفارسية هو «العنصرى» ثم نظمها «فصيحي الجرجاني» بعد ذلك في تاريخ متأخر عن سنة ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م ويقولون أيضا أنها مستقاة من أصل پهلووى . وقد كتب عنها «دولتشاه» مايلي: (١)

(١) المترجم : ترجم انؤلف هذه الأبيات إلى الإنجليزية ولم ترد دعيا إلى إيراد ترجمته ، واستمضنا عن ذلك إيراد أصل هذه الأبيات بالفارسية وترجمتها إلى العربية عن نسخة «ويس ورامين» طبع «مجتبي مينوى» سنة ١٣١٤ هـ . ش بطهران

(٢) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٣٠ سطر ٣ - ١٢

« ويروون أيضا أن الأمير عبد الله بن طاهر أمير خراسان أثناء حكم الخلفاء
 « العباسيين (من سنة ٢١٣ هـ إلى سنة ٢٣٠ هـ = ٨٢٨ - ٨٤٤ م) كان
 « يجلس في يوم من الأيام في مدينة نيسابور ، فأحضر إليه شخص كتابا وقدمه
 « إليه على سبيل الهدية . فسأله الأمير : ماهذا الكتاب ؟ فأجابه : إنه قصة
 « وامق وعذرا ، وهي حكاية طيبة جمعها الحكماء لكسرى أنوشروان .. !
 « فقال الأمير : إننا قوم لا نقرأ غير القرآن ، ولا نزيد غير قراءته وقراءة أحاديث
 « الرسول ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا الكتاب لأنه من تواليف الجوس وهو
 « مردود لدينا . ثم أمر بهذا الكتاب فألقوه في النهر ، وأمر الناس أن يحرقوا
 « تصانيف العجم وكتب الجوس أينما وجدت في ولاياته ، ومن أجل ذلك لم توجد
 « أشعارفارسية حتى أيام السامانيين ، وإذا وجدت أشعارفارسية قبل هذا الزمن
 « فإنها كانت تنشده دون أن تدون . »

وقد ذكر « إتيه » أن هذه القصة نظمت ست مرات في الفارسية ، ولكن
 يبدو أن هذه المنظومات الست قد ضاعت جميعا ، ولم تصل إلينا ، ولم يبق ما يدلنا على
 موضوعها إلا ما نقله إلينا الشاعر « لمعى » في ترجمته التركبية التي نقلها عن منظومة
 « العنصرى » وهى أولى هذه المنظومات من الناحية التاريخية ولو أن عوفى لم
 يورد عنها شيئا إلا مجرد الإشارة إليها (١) . أما « دولتشاه » فيذكر في مقائمه التي
 خصصها لترجمة حال « فصيحى الجرجانى » أنه رأى بضع أوراق متناثرة من منظومة
 هذا الشاعر لهذه القصة ، وقد نقل منها بيتا واحدا ، صياغته على وزن « شاهنامه »
 أى على وزن المتقارب الثمن (٢) . ثم يجتهد « دولتشاه » في أن يعوضنا عن قلة
 الأخبار التي أوردها عن هذا الشاعر بكتابة مقال قصير عن سيده وراعيه « عنصر
 المعالى كيكائوس » حفيد « قابوس بن وشمكير » أمير « طبرستان » الذى امتاز
 بتفوق أدبى نادر . يمكنه من تأليف كتاب « قابوس نامه » وهو الكتاب الذى
 سنتحدث عنه مباشرة في هذا المقام .

(١) انظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ٣٢ سطر ١ - ٩

(٢) المترجم : هذا هو نص البيت الذى ذكره دولتشاه في ٦٩ من تذكرة الشعراء :
 چه فرخ وجودى كه از همتش ببرد يباى ولى نعمتش

قابوس نامه :

هذا كتاب يشتمل على موضوعات تتصل بمبادئ الأخلاق وقواعدها ؛ وقد ألفه « كيكابوس » في سنة ٤١٥ هـ = ١٠٨٢ م وكان له من العمر ثلاث وستون سنة ، ووجهه إلى ابنه « كيلانشاه »

ومخطوطات هذا الكتاب موجودة في المتحف البريطاني (رقم ٣٢٥٢ . 0١٠) وفي آيدن وبرلين ؛ وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في مدينة طهران وتولى طبعه « رضا قلي خان » في سنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م ؛ وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ « كويرى : Query » ونشر هذه الترجمة في باريس سنة ١٨٨٦ م ؛ وترجم الكتاب إلى اللغة التركية ثلاث مرات ذكرها الدكتور « ريو » في الفهرست الذي صنفه للمخطوطات التركية ؛ وقد ضاعت على ما يظهر أولى هذه الترجمات (١) من الناحية التاريخية .

وفاز هذا الكتاب بشهرة عريضة ، وهو بغير شك قمين بها وأهل لها ؛ لأنه مليء بالحكمة والبراعة ، غني بالحكايات والأمثلة ؛ يضاف إلى هذا كله أنه كتاب ملكي كتبه صاحبه بأسلوب صريح لا مواربة فيه ، مستمدا موضوعاته من تجاربه الكثيرة الناضجة وخبرته الطويلة الكاملة . وهو شبيه في كل هذه الأمور بكتاب « سياست نامه » الذي سبق لنا الحديث عنه فيما مضى من صفحات .

ويشتمل « كتاب قابوس » على أربعة وأربعين فصلا ومقدمة تشتمل على شكوى الأمير الذي ألفه من تناقص طاعة الأبناء لآبائهم ، وحث ابنه على أن ينهج في حياته نهجا فاضلا ، مذكرا إياه بأنه ينتسب من ناحية أبيه إلى ملك « كيلان » القديم « ارغش فرها دوند » الذي ذكره « ابن المؤيد البلخي » في شاهنامته ؛ وبأنه ينتسب من ناحية جدة أبيه إلى « مرزبان بن رستم بن شروين » مؤلف كتاب « مرزبان نامه » الذي يعتبر من الطبقة الثالثة عشرة من أحفاد « كيكابوس بن قباد » أخي

(١) أنظر ص ١١٦ من فهرست « ريو » للمخطوطات التركية

« كسرى أنوشيروان » الملك الساساني ، وبأن أمه بالإضافة إلى ذلك هي ابنة السلطان « محمود الغزنوي » ، كما أن والدته جدة أبيه هي ابنة « الحسن بن فيروزان » ملك الديلم .

ويتلو المقدمة مشتملات الكتاب على هذا النحو :

الفصول الأربعة الأولى : في الله والخلقة والرسل والطاعة والواجبات الدينية

الفصل الخامس : في معرفة حقوق الوالدين

الفصلان السادس والسابع : في التواضع والفضل وتسمية المدارك والمعارف

الفصل الثامن : في المواعظ المنقوشة بالهلوية على مقبرة « أنوشيروان »

الفصل التاسع : في الشيب والشباب

الفصل العاشر : في فائدة الإقلال من الأكل وتنظيم الطعام

« الحادي عشر : في ترتيب الشراب وشرائطه

« الثاني عشر : في الضيافة والاستضافة

« الثالث عشر : في المزاح ، والنرد والشطرنج

« الرابع عشر : في العشق والحب

« الخامس عشر : في التمتع بالحياة

« السادس عشر : في فائدة الحمام الساخن وآدابه

« السابع عشر : في النوم والاستجمام

« الثامن عشر : في الصيد

« التاسع عشر : في لعبة الكرة والصواب

« العشرون : في الحرب والقتال

« الحادي والعشرون : في الغنى وجمع المال

« الثاني والعشرون : في حفظ الأمانات والوفاء بالعهود

« الثالث والعشرون : في شراء العبيد

« الرابع والعشرون : في شراء العقارات والمنازل

« الخامس والعشرون : في شراء الخيول والدواب

« السادس والعشرون : في الزواج وشروطه

- الفصل السابع والعشرون : في نزية الأطفال
 « الثامن والعشرون : في اختيار الأصحاب
 « التاسع والعشرون : في الحذر من الأعداء
 « الثلاثون : في العفو والعقاب
 « الحادي والثلاثون : في طالب العلم والفقہ
 « الثاني والثلاثون : في التجارة
 « الثالث والثلاثون : في علم الطب
 « الرابع والثلاثون : في علم النجوم والهندسة
 « الخامس والثلاثون : في فن الشعر
 « السادس والثلاثون : في فن الموسيقى
 « السابع والثلاثون : في خدمة الملوك
 « الثامن والثلاثون : في منادمة الملوك وآدابها
 « التاسع والثلاثون : في الكتابة وأدب الكتاب
 « الأربعون : واجبات الوزير
 « الحادي والأربعون : في صفات التأمّد وواجباته
 « الثاني والأربعون : في صفات الملك وواجباته
 « الثالث والأربعون : في الزراعة والفلاحة وأصحاب الحرف
 « الرابع والأربعون : في المروءة والشهامة .

ويحتوي كتاب «قابوس» كما يحتوي كتاب «سياسة نامه» على حكايات تبلغ إحدى وخمسين حكاية . يسوقها المؤلف توضيحا لآرائه . وهي جميعها مستقاة من تجاربه الشخصية ، وأغلب هذه الحكايات توجد في مجموعات الحكايات الفارسية (١) دون أن تنسب إلى شخص معين ؛ ولكننا إذ أدرجنا إلى أصلها في كتاب «قابوس نامه» نجد أنها تنسب إلى أشخاص معينين معروفين ؛ ومع ذلك فهناك بضع حكايات في هذا

(١) توجد مثلا في كتاب النحو الفارسي الذي ألفه «فوربس»

الكتاب لم ينسها المؤلف إلى أحد من الناس ، وإن كان بعض الكتاب المتأخرين قد نسبوها إلى جماعة من مشاهير الرجال .

وإني أكتفي هنا بذكر مثل واحد من الحكايات المنسوبة ، وهو الحكاية المذكورة في الصفحات ١٤٣ - ١٤٦ من طبعة طهران على الحجر ، وتعلق بحكمة القاضي «أبي العباس الروياني» وكيف استشهد في إحدى القضايا المعروضة عليه بشهادة إحدى الأشجار ؛ وقد ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونسبت إلى نفس الشخص في الكتاب الذي ألفه «ابن اسفنديار» عن «تاريخ طبرستان» (١) فإذا أتينا إلى كتاب «فوربس» عن «النحو الفارسي» وجدنا نفس هذه الحكاية مذكورة في باب الحكايات دون أن تنسب إلى شخص معين على وجه التحديد (٢) .

وأما الحكايات التي لم ينسبها صاحب «قابوس نامه» إلى أحد من الناس فإني أكتفي بأن أذكر منها تلك الإشارة الواردة في ص (٢١٠) عن العادة التي جرى عليها اليونان بعدم السماح لأحد من الناس أن يضرب شخصا سبق أن ضربه ملكهم ، احتراماً لما ناله من شرف المجازاة على يد ملكهم ، وأنه لا يستطيع أن يضربه إلا من كان مساوياً في مرتبته للملوك ، وقد ذكر «دولت شاه» أر هذا التقليد كان متبعاً في أيام السلطان «محمود الغزنوي» ونسبه إليه (٣) ومع ذلك فما لاشك فيه أن «دولت شاه» مدين في اجتلاء هذا الخبر وغيره من الأخبار إلى كتاب «قابوس نامه» ولو أنه لا يذكره إلا مرة واحدة في ص ٦٩ . ولا شك أيضاً أنه استقى منه أخباره عن عزل قابوس بن وشمكير ومقتله (٤) وكذلك أخباره عن الإجابة الجريئة التي أجابت بها

(١) انظر مخطوطة إدارة الهند رقم ١١٣٤ ورقة ٥٩ - ١

(٢) انظر الحكاية رقم ٧١ في صحيفة ٢٨ .

(٣) المترجم: انظر ص ٧ من «تذكرة الشعراء» حيث يقول: «حكايات كنتدك - لطان محمود غزنوي هر كس را كه بدست خود بزدي آن كسي را ديگر هيچ آفريده» توانستی زدند و گفتندی كه همچون محمود كسي بايد كه اورا بزند »

(٤) انظر ص ٤٨ من المرجع السابق .

«السيدة» والدة «مجد الدولة» فاستطاعت أن تمنع السلطان «محمود الغزنوى» من مهاجمة عاصمتها في مدينة الري. (١)

أما الحكاية الشهيرة عن الهديد الذى أرسله السلطان «محمود الغزنوى» لأحد أعدائه وكيف أجاب عليه هذا العدو بالحروف «٠ ل . م . ٠» فقد فى الصفحات ١٨٥-١٨٧ من «قابوس نامه» ولكنها تنسب هذه الإجابة إلى الخليفة «القادر بالله» ولا تنسبها إلى ملك طبرستان، وتقول إن الشخص الذى استطاع أن يحل هذا اللغز هو «أبو بكر الكهستانی» وأنه رقى فى منصبه لقاء مهارته، وبذلك يستبعد اسم «الفردوسى» عن هذه القصة نهائياً. (٢).

وفى ما يلى قائمة بالحكايات الروية فى «قابوس نامه» رأيت أن أورها فى هذا المقام لما بها من نفع أو متعة لبعض القراء. وقد ذكرت أمام كل حكاية رقم الفصل والصفحة وفقاً للنسخة المطبوعة على الحجر فى مدينة طهران سنة ١٢٨٥هـ

- ١ — حكاية الحاج الغنى وإجابته القاسية على سؤال فقير ... فصل ٤ صفحة ٢٠
- ٢ — حكاية الخليفة المتوكل وكيف نجح عبده الخاص «فتح»
من الفرق فصل ٦ صفحة ٢٨
- ٣ — حكاية أفلاطون وكيف غضب عندما مدحه أحد الجبال فصل ٦ صفحة ٣٤
- ٤ — حكاية الطبيب محمد بن زكريا الرازى وكيف اضطرب
عند ما ضحك إليه مجنون فصل ٦ صفحة ٤٥
- ٥ — حكاية كسرى أنوشروان ووزيره بزرجمهر ... فصل ٧ صفحة ٣٧
- ٦ — حكاية عن الكف عن رواية الأخبار العجيبة ولو
كانت صادقة مالم تكن مؤيدة بالبرهان الحاضر ... فصل ٧ صفحة ٣٩
- ٧ — حكاية عن أهمية النفس متعلقة بحلم هارون الرشيد
والرجلين اللذين عبرا له رؤياه فصل ٧ ص ٤٢

(١) انظر إلى ما سبق لنا ذكره عن هذه الأخبار ضمن أخبار «بندار الرازى» وانظر كذلك «قابوس نامه» ص ١٢٨ و «تذكرة الشعراء» ص ٤٣ — ٤٤
(٢) ارجع إلى خلاصة هذه القصة فى الصفحات السابقة عند ذكر صنعة «التليج» فى الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ٩٢ — ٩٣).

- ٨ . حكاية في الموضوع السابق متصلة بمحاجة غلام لمولاه
 الماخن فصل ٧ ص ٤٢
- ٩ — حكاية بزر جهر ورده على عجوز أتهمته بالعجز عن
 إجابة سؤالها فصل ٧ ص ٤٣
- ١٠ — حكاية الشاب العلوي الزنجاني الذي غلبه سني عجوز فصل ٧ ص ٤٥
- ١١ — حكاية الحائك وإبريقه فصل ٩ ص ٥٢
- ١٢ — حكاية العجوز الأحديب والشاب الذي هزى به فصل ٩ ص ٥٣
- ١٣ — حكاية الوزير العجوز والحصان فصل ٩ ص ٥٦
- ١٤ — حكاية الصاحب بن عباد مع ضيفه فصل ١٠ ص ٥٩
- ١٥ — حكاية ابن مقله ونصر بن منصور التميمي فصل ١٢ ص ٦٥
- ١٦ — حكاية المحرم الذي حكم عليه المتصم بالموت وكيف نجى
 نفسه بكبوب من الماء (١) فصل ١٢ ص ٦٧
- ١٧ حكاية النبي والمرأة العجوز فصل ١٣ ص ٧٠
- ١٨ — حكاية شمس المعالي قابوس بن وشمكير جد المؤلف فصل ١٤ ص ٧٤
- ١٩ — حكاية السلطان مسعود الغزنوي فصل ١٤ ص ٧٥
- ٢٠ — حكاية عمرو بن الليث فصل ٢٠ ص ٨٥
- ٢١ — حكاية عزل قابوس بن وشمكير ومقتله فصل ٢٠ ص ٨٧
- ٢٢ — حكاية عن شرف اللصوص فصل ٢٢ ص ٩٤
- ٢٣ — حكاية أحمد الفريغوني فصل ٢٥ ص ١١١
- ٢٤ — حكاية عن فوائد العوم والسباحة فصل ٢٧ ص ١١٥
- ٢٥ — حكاية گشتاسب فصل ٢٧ ص ١١٨
- ٢٦ — حكاية شهر بانويه والحسين فصل ٢٧ ص ١٢٠
- ٢٧ — حكاية موت سفراط فصل ٢٨ ص ١٢٥

(١) تروى هذه القصة عادة عن «مهرزان الفارسي» والخليفة «عمر» . انظر تاريخ الطبري

- ٢٨ — حكاية المهلب فصل ٢٩ ص ١٢٧
- ٢٩ — حكاية «سيدة» والدة مجد الملك والسلطان محمود الغزنوى فصل ٢٩ ص ١٢٨
- ٣٠ — حكاية ذى القرنين ووصاياه عن مدفنه فصل ٢٩ ص ١٣١
- ٣١ — حكاية معاوية فصل ٣٠ ص ١٣٥
- ٣٢ — حكاية القاضى أبى العباس الروبانى والشجرة التى
استشهد بها فصل ٣١ ص ١٤٣
- ٣٣ — حكاية التاجر والمشتري فصل ٣٢ ص ١٥٠
- ٣٤ — حكاية بائع اللبن الذى أنبه ضميره فصل ٣٢ ص ١٥٤
- ٣٥ — حكاية « فضلون » ملك كنجه فصل ٣٧ ص ١٧٧
- ٣٦ — حكاية أخرى عن « فضلون » فصل ٣٧ ص ١٧٩
- ٣٧ — حكاية المأمون والقاضى عبد الملك العبرى فصل ٣٩ ص ١٨٤
- ٣٨ — حكاية صاحب اسماعيل بن عباد فصل ٣٩ ص ١٨٤
- ٣٩ — حكاية الخليفة القادر بالله وإجابته على تهديد السلطان محمود فصل ٣٩ ص ١٨٥
- ٤٠ — حكاية عبد الجبار الخوجانى كاتب أبى على سيمجور فصل ٣٩ ص ١٨٧
- ٤١ — حكاية ربيع بن المطهر القصرى فصل ٣٩ ص ١٩١
- ٤٢ — حكاية الملك الفارسى ووزيره فصل ٤٠ ص ١٩٣
- ٤٣ — حكاية نخر الدولة واسماعيل بن عباد فصل ٤٠ ص ١٩٥
- ٤٤ — حكاية أبى الفضل البلعمى وسهل الحجندي فصل ٤٠ ص ١٩٧
- ٤٥ — حكاية طغرل السلجوقى فصل ٤٢ ص ٢٠٤
- ٤٦ — حكاية السلطان محمود الغزنوى وابى الفرج البسقى فصل ٤٢ ص ٢٠٦
- ٤٧ — حكاية السلطان مسعود الغزنوى فصل ٤٢ ص ٢٠٧
- ٤٨ — حكاية نخر الدولة وعضد الدولة فصل ٤٢ صفحة ٢١٠
- ٤٩ — حكاية الاسكندر الأكبر فصل ٤٢ صفحة ٢٣١
- ٥٠ — حكاية اللصوص فى مشكلة عويصة فصل ٤٤ صفحة ٢٢٠

٥١ - حكاية عما وقع بين دوريشين من أهل
الصوفية فصل ٤٤ صفحة ٢٢٣

وأغلب هذه الحكايات جميل وأصيل ، يبلغ حد الروعة والإمتاع .

وتشتمل « قابوس نامه » بالإضافة إلى هذه الحكايات على جملة من الأشعار ، أكثرها عبارة عن « رباعيات » من نظم المؤلف نفسه . وقد استشهد المؤلف أيضا بأشعار من قول « أبي سعيد بن أبي الخير » و « أبي شكور البلخي » و « أبي سليك الجرجاني » (١) و « انسجدي » و « الفرخي » و « لبيبي » و « قمرى الجرجاني » . وأورد المؤلف كذلك بيتا منظوما في اللهجة الطبرية وقرنه بترجمة صاغها له باللغة الفارسية (٢) .

أما الأشخاص الذين ذكرهم المؤلف في حكاياته ، فمن بينهم جملة من حكام اليونان هم : « فيثاغورث » و « سقراط » و « أفلاطون » و « بقراط » و « جالين » و « الأسكندر الأكبر » ؛ ومن بينهم جملة من ملوك الساسانيين ووزرائهم هم : « أنوشيروان » و « بزرجهر » و « شهربانو » بنت يزدجرد الثالث التي وقعت أسيرة في أيدي العرب وتزوجت بالحسين ؛ ومن بينهم طائفة من آل الرسول كعلي والحسن والحسين ؛ و ذكر المؤلف من الأمويين « معاوية » ؛ ومن العباسيين « هارون الرشيد » و « المأمون » و « المتوكل » و « القائم » كما ذكر طائفة من حكم فارس المسلمين ووزرائهم مثل « عمرو بن الليث » و « السلطان محمود » و « السلطان مسعود الغزنوي » و « أبي الفضل البلعمي » و « صاحب اسماعيل ابن عباد » و « أبي علي سيمجور » و « طغرل السلجوقي » و « نوشتكين » و « الحسن بن الفيروزان الديلمي » و « شمس المعالي قابوس » و « شرف المعالي » وغيرهم ممن لا يبلغون مبلغ هؤلاء في الأهمية ووضوح الشخصية .

(١) ذكر عنه أنه مخترع لنوع من الألحان .

(٢) انظر ص ٨٦ من « قابوس نامه » .

ومؤلف « قابوس نامه » لا يروى في كتابه إلا القليل الأقل مما يتصل بحياته الشخصية؛ وقد أوصل نسبه إلى «أنوشيروان» كما قالت بذلك أيضا كتب المصادر الأخرى؛ ثم هو يذكر أنه أدى فريضة الحج إلى مكة المكرمة أثناء خلافه «القائم» وأنه اشتغل بالجهاد الديني وحارب أهل الهند وجورجيا وأرمينيا . ويذكر أحيانا بعض الأخبار المتصلة بأسلافه وأقاربه من «آل زيار» فترك لنا تقييرا كاملا عن الأحوال التي عزل فيها وقتل بسببها «قابوس» وكيف قتل اثنان من أسلافه هما «وشمكير» و«شرف المعالي» بطريق القضاة والقدر بينما كانا يقومان بالصيد والطراد .

أسلوب « قابوس نامه » :

الأسلوب الذي كتب به كتاب «قابوس نامه» يعتبر من أجمل الأمثلة للنثر الفارسي البسيط الذي لا عوج فيه؛ وهو من حيث الصنعة والتنميق يفضل كتاب «سياسة نامه» ولكنه لا يبلغ مبلغ التزيينات البلاغية التي نصادفها في كتب أخرى مثل كتاب «گلستان». والكتاب مشحون بكثير من العنويات والفكاهات والأمثال ذات المغزى الرائع؛ وفيما يلي طائفة من الأمثال نسوفها على سبيل المثال :

- « كل طائر يطير مع ما شاكلة » ص ٤٥
« المرء في داره كالملك في مملكته » ص ٦١
« خير للبنات ألا تولد ، فإذا ولدت فزوجها أوقبرها » . . . ص ١٢٠
« المنزل الذي يشتمل على سيدتين يبقى بغير كنس » ص ١٧٩
« عصفور في اليد خير من طاووس مرتقب » ص ١٧٩
« لا يموت أحد من الناس إلا إذا حان أجله . ولن يخين
أجله إلا إذا ذهب إلى بردع^(١) في أثناء الصيف » ص ١٧٩
« من أتعس الأمور أن يحتاج الرقيب إلى من يراقبه » ص ١٩٩

(١) بردع أو بردعه أو بردعه بلدة في أذربيجان : انظر الفاموس الجغرافي الذي وضعه المستشرق « باربييه دي ميتار » ص ٩١ - ٩٣ . ولم أنظر بما يؤيد أن هذه المدينة كانت موبوءة من الناحية الصحية .

« إذا أردت أن تدخل مكاناً فانظر أولاً كيف تخرج منه » . ص ٢٠٢
 « مهما بلغ الأمر فلن يؤمن القط على الشحم...!! » . ص ٢٠٤

والمؤلف يعرض علينا أفكاره في خليط عجيب من الصنعة والبساطة ، والشك والزهادة . والاستخفاف والعفاف ؛ فزاه يعالج بعض الموضوعات الأخلاقية دون أن يتعرض لناحيتها الروحية ، فيكتفي ببيان فائدة الصلاة والصوم والواجبات الدينية الأخرى ، ويقرر أنها وسيلة لطهارة الأبدان والتواضع والتعفف ، ويقول بوجود اتباع أحكام الإسلام لأنه لا توجد حكومة أقوى من حكومة الإسلام ؛ وفي رأيه أن إلزام الأغنياء بتأدية فريضة الحج يعتبر من أحكم الوسائل التي اضطرتهم الدين بواسطتها إلى السياحة والتجوال في أنحاء الأرض ؛ ثم يختم حديثه عن هذه المسائل الدينية بأن ينصح ابنه بعدم التعمق في بحث المذاهب الدينية لأن كثرة الأسئلة بشأنها والإكثار من قول « لماذا » و « كيف » بصدها لا يبلغان بالسائل أى مبلغ . ومن أبداع ما كتبه أيضاً نصيحته التي نصحنا فيها بأن نقيس حالنا بحال جارنا الفقير لا بحال جارنا الغني لأننا متى فداننا ذلك شكرنا الله على ما نملكه ولم نحسد الغني على غناه وراثته .

والأمثلة التي يضربها لنا المؤلف عن آداب السلوك لاذعة ماهرة ، وهي في بعض الأحيان تبلغ مبلغ الجديد المستحدث ؛ فنراه يفيض في فائدة « الكلام المعسول » ويطلب إلى ابنه أن يتعلم الحكمة من الجهلاء ، ولكنه يحذره في الوقت نفسه من الإغراق في « التواضع » لأن كثيراً من الرجال قد اخفقوا في نيل أوتارهم بسبب ما امتازوا به من أدب جم وتواضع كثير .

فإذا عرض المؤلف للحديث عن الحق والصدق ، فإننا نجد ممتعاً فيما أبدى من أقوال ، فهو يخاطب ابنه بقوله : « اجتهد يا بني في المداراة ولكن لاتكن كذوباً ؛ واسع إلى أن تشتهر بين الناس بقول الصدق حتى إذا اضطرتت في وقت من الأوقات إلى الكذب ، صدقك اناس فيما تقول .. !! »

ثم هو يحذرنه أيضاً من الإدلاء بالأقوال الصادقة التي يحتمل تكذيبها ولاتسهل البرهنة على صحتها ، فيقول له : « ومن العبث أن يدلى الإنسان برأى يحوجه — رغم

صدقه — إلى السعى في البرهنة على صحته طوال أربعة أشهر وإلى الاستشهاد بأربعمائة شخص من أعدل الشاهدين...!!»

أما الأمثلة التي يضربها لنا المؤلف عن آداب المجتمع فصحيحة سليمة ، فهو يقرر أنه من الواجب على المضيف ألا يكثر من الاعتذار لضييفه عن تفاهة ضيافته ، لأن هذا يشعر الضيف بالخرج وضيق الصدر ، كما يجب على المضيف أن لا يؤنب خدمه على ما يبدو منهم من تقصير في حضور ضيوفه .

فإذا انتهى من ذلك أوصى ابنه ألا يلعب الزرد والشطرنج بالدراهم والدنانير ، وأن يحذر اللعب مع القامرين المشهورين ، وأن يتجنب القسم وحلف الإيمان ، وأن يمتنع عن إغارة النقود لأحد من أصدقائه ما لم يكن مستعداً لأن يعتبر العار يتهبه لصديقه إذا لم يستطع دفعها أو لم يشأ ردها إليه .

وقد اختلطت وصاياه عن الشراب بفكاهة لازعة ، فهو يعترف من ناحية بأن شرب الخمر محظور حظراً باتاً من ناحية الدين ، ولكنه يعود فيقول لابنه : « إني على ثقة من أني مهما نصحتك فإنك لن تستمتع لنصحي وتمتنع عن شرب الخمر ... !! » ولذلك فهو يقصر وصاياه على أن ينصح ابنه بعدم احتساء الخمر في الصباح ، لأن ذلك يعرّبه بتفويت الصلاة ، ولأنه كذلك يجعل خمراً الليل يجتمع بخمار الصباح فيلتقي الخمران في رأسه ويسببان له فساد العقل والإدراك . ثم هو ينصح ابنه ألا يشرب الخمر إلا في منزله تجنباً للفضيحة والعار ؛ وأن يمتنع عن الشراب ليلة الجمعة مراعاة لحركة ذلك اليوم ، ولأن الناس إذا رأوه يفعل ذلك يفخرون له احتساء الخمر في الليالي الباقية من الأسبوع...!! ثم يوصيه بأن لا يهربد أو يفحش إذا شرب الشراب فيقول له : « إن الشراب وحده رجس وإثم ، فإذا اضطرت إلى أن تأثم فلا أقل من أن تجعل أثمك لطيفاً مقبولاً هيناً ، وعليك أن تختار من الأشربة أحسنها فتشربه ، كما عليك أن تختار من الموسيقى أجمل الألحان فتستمع إليه ؛ وإذا مزحت مع أحد من الناس فاجعل مزاحك طيباً مستساغاً ، حتى إذا حوسبت عليه في العالم الآخر لاتسكن ملوماً مذموماً...!!» وهو أيضاً ينصح الناس ألا يسألوا البخلاء والثقلاء حاجة إلا إذا لعبت الخمر برؤوسهم فإن ذلك يجعلهم أكثر استجابة واستعداداً للقضاء الحوائج .

ويعنى المؤلف في إيراد الفصول الممتعة عن شراء العبيد والحياد ، ويدكر ميزة كل صنف من هذه الأصناف وعيوب كل واحد منها ؛ ويتحدث عن الصيد والطراد ثم يعنى بعد ذلك في الحديث عن الزواج فيقول: إن الحب من أول وهلة عبث مستحيل ؛ ثم يذكر الحاصل التي يجب اجتماعها في الزوجة الصالحة ، وأهمية مصاهرة البيوتات القوية صاحبة النفوذ . وفي رأيه أنه لا يجب تعليم البنات القراءة والكتابة ، وأنه من الواجب ألا يبيعن أولياؤهن يما للأزواج الأغنياء الذين لا يصادفون قبولاً في أنفسهن . ويجب ضرب الأطفال إذا تكاسلوا أو لم يتأدبوا ؛ فإذا أبدوا شيئاً من الهمة وحسن التأدب وجبت مكافأتهم بقليل من الدراهم .

ويجب على اللبيب العاقل أن يدارى الأشخاص الذين لا يحبهم ، فيظهر لهم المودة والمحبة ؛ كما يجب عليه ألا يأمن صديقاً من الأصدقاء فيعطيه كل أسرار خشيته أن يقلب ذلك الصديق عدواً ، فيتمكن منه ويتغلب عليه . ويجب على العاقل أيضاً ألا يشمت بوفاة عدو من أعدائه ، لأنه هو نفسه لا يستطيع أن يضمن النجاة والسلامة . والأمانة هي رأس مال التاجر ، ومن الواجب على الشراء أن يقتصدوا في مداخمتهم ، فإذا أرادوا اللبغة فمن الواجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يتمنطق أثناء حياته بمرارة أو بسكين ، بأنه يستطيع بضربة سفيه أن يقضى على الأسود الضارية كما يستطيع بضربة حربته أن يزحزح جبل بيستون^(١) عن مكانه العتيق...!! ويجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يتمنطق ظهر حمار في حياته بأن له جواداً يشبه « دلدل » أو « البراق » أو « رخش »^(٢)...!! ومن الواجب عليهم ألا يشتغلوا بالمهزاء فإن الجره لا تسلم في كل مرة .^(٣) ويجب على الشاعر ألا يكذب في أشعاره وأن لا يبائع فيها .

(١) جبل بالقرب من كرمانشاه عرف قديماً باسم « باغستانا » أو « بهستون » وقد اشتهر بالنقوش الأكتينية التي نقشت على قمته .

(٢) « دلدل » هي بنية على ؛ و « البراق » هو الذي اطمأه النبي في الإسراء ؛ و « رخش » هو جواد « رسم » البطل الأيراني .

(٣) المترجم : يقول في الأمل الفارسي : « وهجا كفتن عادت مكن كه هميشه سبواز آب درست بريناید » وهذا القول مطابق للمثل العربي .

ويجب على العاقل ألا يتأدى في متابعة العدو الهارب أو تضيق السبل عليه ، فإنه إن فعل، ذلك هجم عليه العدو في يأس وضاوة .

ويجب في المكتوبات الفارسية أن تترج بشيء من العربية . فإن الفارسية الخالصة كريهة معيبة (١) .

ويجب كذلك على العاقل ، أن يزهد في خدمة الملوك ، وأن يتجنب معاجة العسكر والجنود .

ومن الخير قبلما أختم حديثي عن هذا الكتاب أن أورد هنا ترجمة لبعض النبذة الواردة في بداية الباب التاسع منه ، وهو الباب التعلق « بالشباب والشباب » ولاشك أن هذه النبذة كافية في التمثيل على أسلوب هذا الكتاب المتمتع الشائق :

« يا بني كمن كبير العقول وإن كنت صغير السن ، ولن أقول لك »
 « لا تتمتع بالشباب ، ولكني أقول لك أن تقضى شبابك في الزهد والعفاف ، »
 « وحذار أن تصبح من جملة الشبان الذين ذبل شبابهم بارتكاب الآثام ، فإن »
 « الشباب نشاط وتوقد ، وهو كما وصفه ارستطاليس نوع من الجنون . وحذار »
 « أن تنخرط في سلك الشبان الجاهلين ، فإن البلاء لا يتأتى من النشاط والتوقد »
 « ولكنه يتأتى من الجهل والتبذد ؛ واستوف حظك من الأيام ، فإنك متى »
 « بلغت مبلغ الشيخوخة فلن تستطيع أن تفعل ذلك . وقد قال شيخ من الشيوخ : »
 « قضيت السنين الطوال أتجمع العمص والأحزان خوفا من أني إذا كبرت فلن »
 « يتطلع إلى صاحبات الوجوه النضيرة من الحسان . فلما بلغت مبلغ الشيخوخة »
 « لم أعد أفكر فيهن أو أتطلبهن ! ولو أنه استطاع أن يطلبهن ، لما كان »
 « هذا الأمر ليليق بشيخ هرم ، أو يحسن من رجل طاعن في السن . . . ! »
 « ومهما بلغ بك شبابك يا بني . . . فلا تنس إلهك عز وجل في وقت »
 « من أوقاتك . وحذار أن تأمن الموت في لحظة من لحظاتك ، فإن الموت لا »

(١) المترجم : يقول في الأصل الفارسي : « واگر نامه بود پارسی پارسی مطلق منویس که ناخوش بود »

- « صلة له بالشيب أو بالشباب كما يقول العسجدى :
- « كَرَّ بِجَوَانِي وَبِهِ يِيرِسْتِي . . . يِيرَ بِمَرْدِي وَجَوَانِ زِيرِسْتِي وَمَعْنَاهُ
- « — لو أن الموت كان متعلقا بالشيب أو الشباب
- « لمات العجوز الطاعن في السن ، وبقى الشاب
- « ومما لاشك فيه أن كل مولود مصيره إلى الموت لا محالة
- « حكاية :
- « سمعت أن حائكا كان يقيم في بلدة من البلدان ، وكان له حانوت على باب
- « المدينة ، فعلق في حانوته كوزا ، دلاه في مسبار ، وأخذ يقذف فيه حجرا
- « كلما خرجت من المدينة جنازة من الجنازات ، فإذا انقضى الشهر عد هذه
- « الأحجار ، وعلم عددا لأشخاص الذين خرجت جنازتهم . ثم يفرغ الكوز ويلقه
- « ثانية ، ويأخذ في إلقاء الحجارة فيه من جديد ، حتى إذا حان الشهر التالي فعل
- « مثلما فعل من قبل . وانقضت الأيام على هذا النوال وإذا ايد القضاء تنزل بالحائك
- « فيردية الموت ، وتصارف في هذه الأثناء أن أقبل شخص يسأل عنه ولم يكن
- « يعرف بموته ، فوجد باب حانوته مغلقا ، فسأل واحدا من جيرانه عنه وعن سبب
- « غيابه . فقال له الجار .. أما تعلم أن الحائك قد انطوى عليه الكوز ... !!
- « فكن متنبها ... يا بني .. ولا يأخذك بالله العرور .. واذكره أينما كنت في
- « طاعة أو معصية ، واسأله العفو والعفران ، وخف الموت حتى لاتقع فجأة في
- « هذا الكوز ... !! وارع للشيخو حرمتهم ، ولا تحذهم بمزاف
- « القول ، فإن أجوبتهم مسكته قاطعة ملجمة ... !!
- « حكاية :
- « سمعت أن عجوزا عمدودب الظهر ، قد بلغ المائة من عمره ، فتعوس ظهره جدا وكان
- « يتكى ، على عكازة ويسير ، فاعترضه شاب ، أراد مداعبته فقال : أيها الشيخ ..!
- « بكم اشتريت هذه القوس الجميلة ... حتى اشتري لنفسى واحدة مثلها ..! فأجابته
- « الشيخ إذا المذنبك العمر ، وخلال بك الصبر ، فسيمنحونك واحدة بالمجان ..!! ...
- « وأذف الشيخو أكثر مما تنصف الشباب ، فإن الشبان لهم أمل في

« الشيخوخه ، وأما الشيخ فلا أمل لهم إلا في الموت ، ومحال عليهم أن يفكروا »
 « إلا فيه . . . ! ومثلهم مثل الحنطة إذا ابيضت ولم يسرعوا إلى حصادها : فإنها »
 « تتساقط على الأرض من تلقاء نفسها ؛ وكذلك مثلهم مثل الفاكهة الناضجة فإنهم »
 « إذالم يسرعوا إلى قطفها فإنها تتساقط من أشجارها دون أن يهزها أحد . . . »
 « وقد قالوا بالعربية :

« إذا تم أمر دنا نقصه توقع زوالا إذا قيل : تم »
 « واعلم . . . يابني . . . ! إنهم ان يسمحووا لك بالبقاء ، إذا تعطلت حواسك ؛ وإنه »
 « متى استغلفت عليك أبواب النطق والبصر والسمع واللمس والذوق فإنك »
 « نفسك لن تتمتع بالحياة ، كما أن أحدا غيرك لن يتمتع بحياتك ، بل تصبح »
 « وبالا وشرا مستطيرا ، ويصبح موتك خيرا من حياتك ؛ فإذا بلغت مبلغ »
 « الشيخوخة فحذار من محالات الشباب ، وابعد عن أفعالهم ، فإن أقرب الناس »
 « إلى الموت يجب أن يكون أبعدهم عن محالات الشباب . لأن عمر الناس شبيه »
 « بالشمس متى حلت بالأفق الغربي فإنها تؤذن بالزوال والمغيب . وقد قلت »
 « في ذلك القطعة الآتية :

« — تنبه . . . يا كياوس . . . فقد أصبحت عاجزا في قبضة شيخوختك »
 « ودبر لنفسك أمر ذهابك . . . فقد بلغت الثالثة والستين من عمرك »
 « — وقد انتهى يومك إلى صلاة العصر »
 « وسرعان ما يدخل الليل متى انتهت من هذه الصلاة . . . !! (١) »

« ومن أجل هذا لا يجوز للشيخ الهرم أن يتصف بمقل الشبان ، أو يقتدى »
 « بأفعالهم . . . ولكن دائما . . . يابني . . . رحبا شفوفا بالشيخوخة ، فإن الشيخوخة »
 « مرض لا يعود المريض فيه أحد ، وهي علة لاعلاج لها عند الطبيب إلا بالموت ، »

(١) المترجم : فيما يلي نس هذين البيتين بالفارسية :

كياوسا در کف پیری شده عاجز تدبیر شدن کن چو بشتت وسه در آمد
 روزت بنام دگر آمد بهمه حال شب زود در آید چو نماز دگر در آید

« لأن العجز لا يستريح من آلام الشيخوخة إلا بالقضاء . وهي مخالفة لسائر »
« العلل والأمراض ، لأن سائر العلل إذا أصابت الإنسان ولم يمت بسببها فإن »
« الأمل بقوى في شفاؤه وبرئته منها ، وأما الشيخوخة فيخلاف ذلك على »
« حُط مسقيم ، فإن المريض بها تسوء حاله يوما بعد يوم ولا أمل له في »
« الشفاء والعافية . وقد قرأت في كتاب من الكتب أن الإنسان يستمر »
« في الزيادة يوميا من حيث القوة والتركيب حتى يبلغ الرابعة والثلاثين »
« من عمره ، فإذا بلغ ذلك العمر لا يزيد ولا ينقص ، ويبقى كالشمس في »
« وسط السماء ، تبطئ في سيرها حتى تأخذ في الزوال والمقيب ؛ فإذا كان »
« الإنسان بين الأربعين والخمسين من عمره ، أصابه من النقص في كل سنة »
« ما لم يكن ليدركه في السنة السابقة ؛ فإذا كان بين الخمسين والستين من »
« عمره شاهد في كل شهر شيئا من النقص يصيبه في جسده ، لم يكن ليشهده في »
« الشهر القاتل ؛ فإذا كان بين الستين والسبعين من عمره شاهد في كل أسبوع »
« بعض النقص ينزل بجسده ولم يكن له وجود في الأسبوع القاتل ؛ فإذا كان »
« بين السبعين والثمانين من عمره شاهد في كل يوم بعض النقص يصيب جسده »
« ولم يكن له وجود في اليوم السابق ؛ فإذا قبض الله له تجاوز الثمانين فإنه »
« يشاهد في كل ساعة شيئا من الألم والعناء ، لم يكن ليمانيه في الساعة »
« الماضية . !! ولذة الحياة موجودة في السنوات الأربعين الأولى من العمر . »
« فإذا صعدت أربعين درجة في سلم الحياة ، فأنتك لا مجاله آخذ في الهبوط بعد »
« ذلك لتعود إلى المكان الذي أخذت في الصعود منه . وما اتعس الشخص »
« الذي يصيبه في كل ساعة ألم جديد لم يكن يحس به في الساعة الماضية ... !! »
« فيا ولدي وقرّة عيني ... لقد أطلت عليك شكوى الضعف والشيخوخة لأن »
« شكواي من الكبر ألحمة مريرة ، وليس في هذا ما يستغرب ، فإن الشيخوخة »
« عدو لدود ، ولا بد من شكوى الأعداء والحصوم ... !! »

كتب أخرى متوفرة

ويجب علينا قبل أن ندرغ من الحديث عن كتاب الفرس الذين نشأوا في هذا العصر ، أن نذكر بعض الكتب المنشورة الأخرى التي لم أوفق إلى الحصول عليها في الوقت الحاضر ، والتي لو أنها وقعت في يدي لما خصصتها كذلك إلا بأشارة يسيره حرصاً على الإختصار ومراعاة لضيق المقام .

« نزهت نامر »

ومن بين هذه الكتب كتاب « نزهت نامر علائى » وهو عبارة عن موسوعة ألفها « شهردان بن أبى الخير » في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى (نهاية القرن الخامس الهجرى) لأمير طبرستان « علاء الدولة خاص بك » وقد وصف « پرتش : Pertsch » مشتملاتها وصفاً كاملاً فى ص ٣٠-٣٦ من « فهرست الكتب الفارسية فى مكتبة جوتا » (١) كما ذكر « إتيه » محتوياتها باختصار فى الأعمدة الرقيقة ٩٠٦ - ٩٠٨ من فهرست الكتب الفارسية فى « المكتبة البودلية » (٢) .

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن كتاب آخر شبيه بهذا الكتاب ولكنه أسبق منه زمناً ، وهو كتاب « دانش نامر علائى » الذى قام بتأليفه « ابن سينا » . . . أما كتاب « بيان الأديان » الذى كتبه « أبو العالى محمد بن عبيد الله » فى سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م فقد عرفنا به « شيفر » فى المجلد الأول من مختاراته الفارسية (٣) .

. . . وهناك كتاب تاريخى آخر كبير الأهمية فيما يتصل بخراسان خاصة وهو كتاب « زين الأخبار » الذى ألفه « الكردبىزى » فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى (أى القرن الخامس الهجرى) ولا توجد من هذا الكتاب إلا نسخة وحيدة معيبة وصفها لنا « إتيه » فى الأعمدة الرقيقة ٩ - ١١ من فهرست الكتب

Gotha Persian Catalogue.

(١) أنظر :

Bodleian Persian Catalogue.

(٢) أنظر :

(٣) راجع المجلد الأول من Chrestomathie Persane: ص ١٣٢ - ١٨٩ وكذلك

الصفحات ١٢٢ - ١٧١ من النصوص الفارسية .

الفارسية في « المكتبة البودلية » . وشبهه بهذا الكتاب من حيث الأهمية الكتاب النادر الذي لم يطبع بعد وهو كتاب « كشف المحجوب » الذي ألقه « عثمان بن أبي علي الجلابي الهجوري » في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى (أى أواسط الخامس الهجرى) وتحدث فيه عن حياة رجال الصوفية ومذاهبهم (١) .

ويعدرنا في هذا المقام أن نشير إلى رسالة أخرى عن الصوفية ، ألفها بالعربية في سنة ٤٣٨ هـ = ١٠٤٦ م « أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري » التوفى في سنة ٤٦٥ هـ = ١٠٧٠ م . وهذه الرسالة تشتمل على أربعة وخمسين بابا . وقد طبعت مرتين على الأقل في مطبعة « بولاق » ولها ترجمة بالفارسية موجودة في المتحف البريطانى تحت رقم ٤١١٨ ، وهذه الترجمة لا يعرف تاريخها على وجه التمين ، ولكنها من غير شك ترجمة مبكرة ، لأن مخطوطة المتحف البريطانى مؤرخة سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م .

ويبقى علينا بعد ذلك أن نذكر ثلاثة آخرين من مشاهير الكتاب ، لهم أهميتهم الكبرى ، بحيث يستحيل علينا في هذا المقام أن نوفهم حقهم من الحديث .

الماوردى

وأول هؤلاء هو « أبو الحسن على الماوردى » التوفى سنة ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م وقد وضعناه أولا لأننا سنكتفى بإشاره بسيطة إليه ، نذكر فيها أن « بروكلمان » قد ذكر له تسعة مؤلفات (٢) ربما كان أهمها كتابان اثنان ؛ أولها : كتاب « الأحكام السلطانية » (٣) ويتناول الحديث عن النظرية المثلى للنظم الإسلامية ، وفيه آراء لم يحدث أبدا أن طبقت عمليا في زمن من الأزمنة وعلى الخصوص في زمن المؤلف نفسه ؛ وثانيهما كتاب « أدب الدنيا والدين » وهو كتاب في الأخلاق مازال يدرس

(١) الترجمة : طبعت ترجمة هذا الكتاب إلى الانجليزية ضمن سلسلة جب التذكارية في سنة ١٩١١ وطبع الأصل « زوكوفسكى » .

(٢) أنظر ص ٣٨٦ من الجزء الأول من كتابه: تاريخ الأدب العربى. *Gesch.-d.-Arab. Litt.*

(٣) طبعت هذا الكتاب في مدينى بون *Bonn* والقاهرة .

في المدارس الثانوية والعالية في تركيا ومصر (١) .

أبو العلاء الممرى

وثاني هؤلاء الرجال لاصلة له بإيران على الإطلاق ولكنه شخصية رائعة جداً في عالم الفكر والأدب الإسلاميين بحيث لا يمكننا أن نمر عليه في سمت وسكون . وهذا الرجل هو الشاعر الضير والفيلسوف الشاك « أبو العلاء الممرى » وقد سمي بالممرى نسبة إلى قرية صغيرة من قرى سوريا هي « معرة النعمان » وهي القرية التي ولد بها وقضى فيها الشطر الأكبر من حياته ، وقد زاره الرحالة « ناصر خسرو » عندما توقف بهذه القرية ثلاثة أيام نهايتها ١٥ رجب سنة ٤٣٨ هـ = ١٥ يناير سنة ١٠٤٧ م وتحدث عنه في كتابه « سفر نامه » على هذا النحو : (٢) .

« وكان في هذه المدينة رجل يسمونه « أبا العلاء الممرى » وكان ضيراً ورئيساً »
 « للمدينة وصاحب نعمة كثيرة ، يمتلك كثير أمن العبيد والعمال . وفي الحق كان »
 « أهل المدينة جميعاً خدماً له . ولكنه اختار حياة الزهد ، فكان يلبس أحقر »
 « الملابس ، ويلزم مسكنه ، ولا يأكل طوال اليوم إلا صف من من خبز الشعير . »
 « وقد سمعت أنه كان يترك باب قصره مفتوحاً على مصراعيه ، وأن نوابه وملازميه »
 « يتولون تدبير أمور المدينة ولا يرجعون إليه إلا في جلائل الأمور . وهو »
 « لا يمنع نعمه عن أحد من الناس ، ويصوم الدهر ، ويقوم الليل ، ولا يشغل »
 « باله بأمر من أمور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل مرتبة عالية في الشعر والأدب ، »
 « جعلت أفاضل الشام والعراق يقرون له بها ويعترفون بأن أحداً في »
 « هذا العصر لم يبلغ منزلته ، ولن يصل إلى درجته أحد . وقد ألف كتاباً أسماه »
 « الفصول والغايات ، جعل كلامه فيه مرموزاً ، وأورد فيه كثيرًا من الأمثال »
 « الفصيحة العجيبة التي لا يقف على سرها أحد من الناس اللهم إلا النفر القليل »

(١) المترجم : لم يعد هذا الكتاب يدرس في تركيا ومصر إلا دراسة خاصة .

(٢) أنظر ص ١٠ - ١١ من طبعة « شيفر » .

« الذين يقرأونها عليه ، بما دعا جماعة من الخلق إلى اتهامه بأنه صاغ هذا
 « الكتاب معارضة للقرآن (١) . ويقبل عليه دائماً من مختلف الأنحاء ما يزيد
 « على مائتي رجل يقرأون عليه الأدب والشعر . وقد سمعت أن له من الأشعار
 « ما يزيد على مائة ألف بيت . وقد سأله أحد الأشخاص السؤال الآتي :
 « — إن الله تبارك وتعالى قد أجزل لك كل هذا . المال ، والنعيم فلأى سبب
 « تعطيهما للناس ولا تتمتع بهما في معيشتك ... ؟!
 « فأجابه المعري :
 « — إنني لأستحق منهما إلا ما أحتاج إليه في مأكلي !!
 « وقد كان المعري على قيد الحياة عندما وصلت إلى المعرة . (٢) »

ويرجع إلى « البارون قون كريمير » الفضل الأول في تعريف علماء أوروبا
 بالمعري وإظهارهم على نواحي عظمتهم وعبقريته ، وقد خصص للحديث عنه تسع
 صفحات من الجزء الثاني من كتابه الرائع عن « تاريخ الحضارة في الشرق » (٣)
 كما نشر عنه سلسلة من المقالات والرسائل الرائعة (٤) .
 وقد أورد « دولتشاه » في مقالته القصيرة التي كتبها عن هذا الشاعر ثلاث
 مقطوعات من أشعاره هي التالية : (٥) .

(١) حفظت لنا قطعة من هذه المعارضة القرآنية ، نشرها لناحولديزير في سنة ١٨٧٥ في
 مجلة المستشرقين الألمان مجلد ٢٩ وقد قرنها بملاحظات منمعة عن المعري في الصفحات ٦٣٧ —
 ٦٤١ . أنظر أيضاً هذه المجلة مجلد ٢٢ من ٣٨٣ وكذلك المجلد ٢١ من ١٧٦ وكذلك كتاب
 جولديزير المسمى دراسات إسلامية مجلد ٢ من ٤٠٣ Muhamedanische Studien .
 (٢) مات بعد ذلك بـبشر سنوات في سنة ٤٤٩ هـ = ١٠٧٥ م وقد بلغ من العمر
 ثمانين سنة .

(٣) أنظر من ٣٨٦ — ٣٩٤ من الجزء الثاني من كتاب Culturg-schichte des Orients
 (٤) أطول هذه المقالات هي المنشورة في Sitzungsberichte d. Wiener Akad.
 سنة ١٨٨٨ م مجلد ١١٧ . وقد سبق هذه المقالة مقالات أخرى في « مجلة المستشرقين الألمان »
 في السنوات ١٨٧٥ و ١٨٧٦ و ١٨٧٧ و ١٨٨٤ . المجلد ٢٩ من ٣٠٤ — ٣١٢ والمجلد ٣٠ من
 ٤٠ — ٥٢ والمجلد ٣١ من ٤٦١ والمجلد ٣٨ من ٤٩٩ — ٥٢٩ .
 (٥) أنظر « تذكرة الشعراء » من ٢٥ .

القطعة الأولى :

أبا العلاء ابن سليمان
عمالك قد أولاك إحسانا
إنك لو أبصرت هذا الورى
لم ير إنسانك إنسانا
والقطعة الثانية :

ألا إنما الأيام أبناء واحد
وهذى الليالى كلها أخوات
فلا تطلبين من عند يوم وليلة
خلاف الذى مرت به السنوات
والقطعة الثالثة :

من راعه سبب أو هاله عجب
فلى ثمانون حولا لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة
والناس كالناس والدنيا لمن غلبا
وقد نشر «جولدزيمر» القطعة التالية من أشعاره فى مقالة له « بمجلة المستشرقين
الألمان » مجلد ٢٩ ص ٦٣٧

فى القدس قامت ضجة
ما بين أحمد والمسيح
هكذا بناقوس يدق
وذا بمثذنة يصيح
كل يعجد دينه
يا ليت شعرى ما الصحيح!؟

وطبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية يعاقب السارق الذى يسرق ما يزيد قيمته على
ربع دينار بقطع يده . بينما يعوض الشخص الذى يفقد يده فى أحوال أخرى بمخمائة
دينار كاملة وفى هذا المعنى يقول المعرى :

تناقض مالنا إلا السكوت له
وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بمخمس مئين عسجد فديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار!؟
وفى باب بيتان يذكرهما « فون كريمير » على سبيل المثال فى « مجلة المستشرقين
الألمان » ج ٢٩ ص ٣٠٥

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحق لسكان البسيطة أن ييكوا
تخطمنا الأيام حتى كأننا
زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك
وقد ذكرت أن « المعرى » لاصلة له بإيران ، لامن ناحية مولده ، ولامن ناحية
إقامته ، ولم يدفنى إلى ذكره فى هذا الكتاب إلا كونه شاعرا كبيرا ومفكرا عبقريا .
يضاف إلى ذلك أن الابحاث المستقبلية ربما تكشف لنا أنه كان ذا أثر محسوس نستطيع

نسه في آراء شعراء الفرس الشكاكين للتشائمين . ولا شك أن آراءه الخاصة تذكرنا
بعض الشيء بـ « عمر الحيام » وإن كان يمتاز عنه بأنه أعلا منه شأنًا وأبلغ منه منطلقًا
من حيث كونه شاعرا وفيلسوفًا شاكًا .
وأهم مؤلفات المعرى هي التالية :

- ١ - سقط الزند : هو ديوان من الشعر يتضمن منظوماته المبكرة
- ٢ - اللزوميات أو « لزوم مالا يلزم » وهو ديوان من الشعر يتضمن أشعاره
التأخرة التي تشتمل على فلسفته وتشاؤمه .
- ٣ - الرسائل : وقد نشرها وترجمها الأستاذ « مارجوليث » بجامعة
اكسفورد في سنة ١٨٩٨ م (١) .

٤ - رسالة الغفران : وهي رسالة كتبها نثرًا في وصف الجنة والنار . وتحدث
فيها عن زيارة خيالية للعالم الآخر وما جرى بينه وبين شعراء العرب والكافرين من
حديث . وقد نشر الأستاذ « ر . ا . نيكولسون » وصفًا لهذه الرسالة مع مقتطفات
منها في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٠ (ص ٦٣٧-٧٢٠) وسنة ١٩٠٢ .
(ص ٧٥ - ١٠١ ؛ ص ٣٣٧ - ٣٦٢ ، ص ٨١٣ - ٨٤٧) وهذا المؤلف تمتع حقا
وابكتنه مليء بالصعوبات والمأثبات المعقدة ، خاصة في فصوله الأخيرة التي تحدث
فيها عن الكفار والزنادقة ، وقد اضطر المؤلف مراعاة للحكمة والمصاحبة أن ينتقد
هؤلاء الطائفة ، ولكننا مع ذلك لانستطيع أن نبرئه من أنه كان يعطف عليهم
عطفًا كبيرًا .

٥ - الفصول والغايات : وهذا هو أجمع كتبه إنغراقًا في الزندقة كما تذهب إلى
ذلك آراء المسلمين . وهو عبارة عن معارضة للقرآن كالتي صاغها « المتنبى » وقد
نشر فصولًا منه المستشرق « جولدمزير » في مقالته التي نشرها في سنة ١٨٧٥ م في
المجلد ٢٩ من مجلة المستشرقين الألمان (٢) (ص ٦٣٧ - ٦٤١) بعنوان :
« أبو العلاء المعرى كمتفكر حر Abul 'Ala al Ma'arri als Frëidenker »

(١) أنظر: Anecdota Oxoniensia, 1898.

(٢) المترجم : طبع هذا الكتاب في القاهرة في طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

وقد رسم الأستاذ « مرجوليوث » صورة ممتعة لحياة المعري جعلها مقدمة لطبعته التي نشرها لـ « رسائل المعري » ؛ كما أن المقالات العديدة التي نشرها « فون كريم » وضمنها كثيرا من أشعاره المترجمة إلى شعر ألماني تمد الباحث الأوروبي بكثير من الزاد الذي يساعده على دراسة هذا الفكر العبقري القوي .

الغزالي :

أرجأت إلى نهاية هذا الفصل الحديث عن رجل آخر له تأثير كبير في هذا العصر ، ويعتبر بحق من كبار المفكرين الذين ظهروا فيه ، وأقصد به « الإمام أبا حامد محمد الغزالي » (١) وهو الفقيه الذي كان له الفضل الأول في إنهاء عصر الفلسفة في الإسلام ، وفي إقامة عنصر « التصوف » الذي يعتبر أبلغ تعبير وأوضح تحديد للمذهب السني الإسلامي .

يقول الدكتور « ت . ز . دي بوير » في كتابه « تاريخ الفلسفة في الإسلام » (٢) : « إن التصوف منذ ظهور الغزالي أصبح الدعامة التي قام عليها صرح المعرفة في العالم السني الإسلامي ، وأصبح كذلك التاج الذي انعقد على مفروق هذا الصرح »

وقد أورد الدكتور « دي بوير » في كتابه العلمي الرائع مافية الكفاية عن الغزالي ومذهبه بحثا أجدد طامعا على الأبطال الحديث عن هذا الفقيه النابه الذي خدم الدين خدمات جليلة ، جعلته يكسب لقاءها اللقب الذي عرف به أبدا وهو « حجة الإسلام » .

ولد الغزالي في بلدة طوس من مدن خراسان في سنة ٥٤٥٠ = ١٠٥٨ م ، وعلى قول آخر في سنة ٥٤٥١ = ١٠٥٩ م وقد صادف مولده تولى « البارسلان » عرش

(١) يقال له أيضا الغزالي بن شاذان الزاي وقد سبق لي كتابة اسمه على هذا النحو في مؤلف سابق فانتقدني على ذلك المستشرق الكبير « جولزيمير » ؛ ومع ذلك فيجب أن أذكر أن هذه التسمية تبعها عدد كبير من كتاب المسلمين منذ القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) انظر : الفخري وكذلك كتاب « بروكاهان » في « تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١١٩ » .

(٢) انظر : ص ١٥٥ من الترجمة الإنجليزية من كتاب :

السلاجقة . ومات أبوه وهو صغير ، فقام على تربيته وتربية أخيه رجل صوفي من أصدقاء أبيه ، ثم التحق بعد ذلك بإحدى المدارس الموجودة في بلده . واعتاد أن يقول :
« طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله »

وقد تلقى الدرس قرة في « جرجان » على يد الإمام « أبي نصر الإسماعيلي » وبينما كان في طريق عودته إلى طوس سطا عليه جماعة من قطاع الطريق وسلبوه كل أمتعه ، وقد تبهم لكي يسترد منهم مذكراته ، وقال لمقدمهم أنه ترك الأهل والوطن لأجل تحصيلها وهي تستوعب جميع علومه ومعارفه . فنهك مقدم اللصوص وقال : « كيف تدعى أنك أدركت ما فهم من علم فلما أخذناها منك تجردت من معرفتها وبقيت بلا علم...؟! » . ثم انتهى الأمر بأن استرد الغزالي مذكراته وأقبل على الاشتغال بها حتى حفظ جميع ما فيها بحيث لو قطع عليه اللصوص الطريق مرة أخرى لم يتجرد من علمه !!

ثم ذهب الغزالي إلى « نيسابور » وجد واجتهد وأحسن التأليف وأجاد الوضع والتصنيف حتى علم به الوزير العظيم « نظام الملك » فولاه في سنة ٥٤٨٤ = ١٠٩١ م التدريس في مدرسته « النظامية » التي أسسها في بغداد قبل ذلك التاريخ بخمس وعشرين سنة . وظل الغزالي أربع سنوات في المدرسة النظامية يقوم « على التدريس وتعليم العلم ، عظيم الجاه ، زائد الحشمة ، عالي الرتبة ، مشهور الإسم ، تضرب به الأمثال ، وتشد إليه الرحال ، إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا ، فرفض ما فيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره ... فاستناب أخاه في التدريس . » وقصد بيت أبيه الحرام فحج ، ثم ذهب إلى الشام حيث ألف كتابه الكبير « إحياء علوم الدين » وهذا الكتاب مكتوب بالعربية ، ولكنه نقل بعد ذلك باختصار إلى الفارسية بعنوان « كيمياء سعادت » أو « كيمياء السعادة » .

فلما عاد الغزالي إلى بغداد جعل هذا الكتاب أصلاً لمجموعة من المراسم الدينية التي أخذ يشرح بها في هذه المدينة ، ثم عاد بعد ذلك إلى نيسابور ودرس بالمدرسة النظامية مدة يسيرة ، ثم رجع إلى بلده طوس حيث توفي في يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخر سنة ٥٠٥ = ١٨ ديسمبر سنة ١١١١ م .

ومؤلفات الغزالي كثيرة ، أحصى منها « بروكلمان » قرابة السبعين ، وهي تشمل ، فباعتد ما ذكرناه على : « رسالة في الرد على الباطنية أو الإسماعيلية » و « اللقذ من

الضلال» و«تهافت الفلاسفة». والكتاب الأخير هو الذي أوحى ، فيما بعد ، لابن رشد القرطبي بتأليف كتابه «تهافت التهافت» .
وفما يلي قطعة نقلها من «النقد» وهي كبيرة الفائدة في الدلالة على مقدار ما بلغه الغزالي من التعمق في الدين قبلما يبلغ مرتبة الصفاء النفسى التى ظفر بها فى النهاية^(١) :

« ولم أزل فى عنفوان شبانى — منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين — أفتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ؛ وأتوغل فى كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة ، وأنفحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة : لأميز بين محق ومبطل ، ومتين ومبتدع ؛ لأغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على بطائه ، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً إلا وأقصد لوقوف على كنهه فلسفته ، ولا متكلمياً إلا وأجتهد فى الاطلاع على غايته كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثوز على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلاً إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى ودينى من أول أمرى وريمان عمرى غريزة وفطرة من الله ، وضعتافى جبلتى ، لا باختيارى وحيلتى . حتى أنجلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن العبا ... » .

وقد استطاع «الغزالي» بعد هذه المجاهدات المبكرة فى البحث عن الحق ، والخروج له من مغاور الشك القاعة ، أن يكسب الدين البين قدرة ورسوخا ، يستطيع بواسطتهما سائر الناس ، أن يبلغوا الرسالة الطمئنة التى رسا إليها هو نفسه بعد جهود بمضنية ومشاكل شائكة ؛ وقد فاز لقاء هذه الجهود باللقب الرائع الذى عرف به وهو «حجة الإسلام» . كما استطاع أن يجعل المامعروفاً كالسيوطى يقول فى شأنه : إنه لوقيض للإسلام رسول بعد محمد ، لما كان هذا الرسول غير الغزالي .. ! .

(١) الترجمة : نقلنا النص من طبعة «النقد» المنشورة فى القاهرة سنة ١٩٥٢م (أنظر ص ٥١)

الفصل الخامس

عصر السلطان سنجر واخوته

(٤٨٥ - ٥٥٢ = ١٠٩٢ - ١١٥٧ م)

الفترة التي تقدم على دراستها في هذا الفصل تستغرق خمسا وستين سنة ، تبدأ بموت « ملكشاه » كما فصلنا الخبر عن ذلك في نهاية الفصل الثالث من هذا الكتاب وتنتهي بموت ابنه « سنجر » .

والعروف عن « سنجر » أنه لم يكن مطلق الحكم في إمبراطورية السلاجقة إلا في خلال الفترة الواقعة بين سنتي ٥١١ و ٥٥٢ = ١١١٧ و ١١٥٧ م ؛ ومع ذلك فقد كان قبل توليه ملك السلاجقة حاكما على ولاية خراسان ، وكان أروع شخصية ذات نفوذ بين آل سلجوق منذ سنة ٥٤٩٠ = ١٠٩٦ م . وقد نجح خراسان بفضل حكومته المستتبة القادرة من شر الحروب الطاحنة التي وقعت بين إخوته ، واستطاع بإدارته الماهرة أن يجنّبها ويلاّت هذه الشرور الدائرة ؛ حتى إذا كانت غارات « الأتراك الغز » أصيبت هذه الولاية الآمنة في السنوات الأخيرة من حكمه بكثير من الأذى والتخريب ، بحيث بدا الدمار الذي نزل بهذه الديار شاملا وقظيماً ومخيفاً ؛ ولكن هذا البلاء الذي وقع على أيدي « الغز » سرعان ما اغتمر خطره وهان أمره ، عندما قورن بما أنزله « المغول » من رعب وفزع خلال غارتهم التي وقعت بعد ذلك بما يقرب من سبعين سنة .

وعلى ذلك يمكننا ، على سبيل التجاوز ، أن نسمى هذه الفترة التي ندرسها بـ « عصر سنجر » وأن نعتبر موته نهاية لعهد « السلاجقة العظام » في إيران . وقد فاق « سنجر » - كما جاء في كتاب « راحة الصدور » للراوندي (١) - جميع

١) أرجع إلى مقالتي عن هذا الكتاب في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٢

ملوك السلاجقة الآخرين من حيث طول عمره وكثرة الأعمال الجليلة التي قام بها .
 فنذ تولى الحكم من قبل « بركيارق » على ولاية خراسان تمكن في فترة السنوات
 الأربعين التي تولاهها من أن يقوم بتسع عشرة غزوة من الغزوات المظفرة . فاستطاع
 أن يستولى على « غزنه » وأن ينصب عليها « بهرامشاه » بشرط أن يدفع إليه جزية
 يومية مقدارها ألف دينار ، كما استطاع أن يأسر ملك سمرقند المسمى « أحمدخان »
 وهو الملك الذي ثار عند موت « بركيارق » في سنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م وأخضع
 ولايتي « سجستان » و« خوارزم » . ومع ذلك كله ، لم يعد لآل سلجوق من الناحية
 السياسية ما كان لهم من القوة والنفوذ أثناء حكم « ألب أرسلان » و« ملكشاه »
 لأننا لو تجاوزنا فرضاً عن الأثر البالغ الذي أحدثته الحروب التي وقعت في بداية
 هذه الفترة بين أبناء « ملكشاه » ، وكذلك عن المصائب الكثيرة التي نتجت عن
 الغارات المتتالية التي قام بها بعض أمراء المقاطعات الثأرين ، فإننا نجد أن إيران في
 ذلك الوقت كان يقوم بها إلى جانب « السلاجقة العظام » بيوت ملكية أخرى
 تنازعهم السيطرة والسلطان .

وكان أهم هذه البيوت وأكثرها خطراً بيت « الغوريين » أو « ملوك جبال
 الغور » في الشمال الشرقي من إيران ، وهو البيت الذي ورث « الغزنويين » في
 هذه الولاية ، ثم « دولة ملوك خوارزم » أو حكام « خيوه » وهي الدولة التي
 أصبحت أكبر خصم للسلاجقة ، عند تولى « آتسز » في سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م
 وكذلك « سلاجقة كرمان » الذين كانوا يحكمون غيرمنازعين في الولايات الجنوبية
 الغربية من إيران .

وربما كان فريق « الإسماعيلية » أو « ملاحدة الموت » أشد خطراً من هؤلاء .
 جميعا ، لانتشارهم في مختلف الولايات وسيطرتهم على سائر الأنحاء . وقد استطاعوا رغم
 المقاومة الشديدة العاتية التي تصدوا لها من أن إلى آخر ، أن يقوموا بكثير من
 الأعمال التي أصبحت مصدر فزع ورعب في إيران ، مالمثل أن امتد خطرهما حتى شمل
 الشام أيضا .

عصر سنجر من الناحية العلمية والأدبية

يمتاز هذا العصر من ناحيته الأدبية والعلمية بكثير من البهاء الذي امتاز به العصر السابق عليه والعصر اللاحق له ؛ فقد ازداد عدد الأدباء الإيرانيين من كتاب النثر والشعر ، وتم خلاله تأليف عدد من أمهات الكتب العربية التي أخرجتها إيران . وقد عاش خلال عهد « سنجر » عدداً من كبار شعراء الفرس ، وولد فيه شاعران كبيران هما :

« الشيخ فريد الدين العطار » المولود سنة ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م

و « نظامى الكنجوى » المولود سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م

وتوفى به جملة من الشعراء المشهورين مثل :

« عمر الحيام » التوفى سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م

« أزرقى » » » ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م

« مسعود بن سعد » » » ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م

« أديب صابر » » » ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م

« معزى » » » ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م

« عمق البخارى » » » ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م

وعاش به طائفة أخرى من كبار الشعراء والكتاب مثل :

« سنائى » و « نظامى عروضى السمرقندى » و « رشيد الدين الرطواط »

و « سوزنى » الشاعر الهجاء . ووجد به أيضاً بالإضافة إلى هؤلاء جماعة

آخرون ، لا يبلغون منزلتهم من حيث الفضل وبعد الصيت .

أما أهم المؤلفات المشهورة التي كتبت بالفارسية في هذا العصر فهي التالية :

١ - « ذخيره خوارزمشاهى » : أو « ذخيرة ملوك خوارزم » وهى عبارة عن

موسوعة طبية ، تم تأليفها سنة ٥٠٤ = ١١١٠ م

٢ - ترجمة كديلة ودمنه : التي قام بها نصر الله بن عبد الحميد سنة ٥٣٨ هـ =

٣ — مقامات القاضي حميد الدين أبي بكر البلخي ، التي أنشأها حوالي سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م .

٤ — كتاب « چهار مقاله » : أو المقالات الأربع التي ألفها « نظامي عروضي السمرقندي » حوالي هذا التاريخ .

وهذا الكتاب الأخير هو من أهم هذه المؤلفات المشورة ، ومن أجل ذلك سنستهدبه غالباً في هذا الفصل . كما فعلنا في الفصول السابقة ؛ ويمكننا أن نعتبر « الفزالي » من أهم كتاب هذا العصر الذين كتبوا بالعربية دائماً أو غالباً ، فقد توفي في سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م كما ذكرنا آنفاً .

ومن أهم الشخصيات التي نلأقها في هذا العصر ثلاثة من علماء اللغة ، هم : « الزوزني » « والتبريزي » و « الجوالقي » ؛ والجغرافي المعروف « البكري » ؛ والشاعران الكبيران « الأيوبردي » و « الطغرائي » صاحب لامية العجم ؛ والمؤرخ « ابن منده » مؤرخ أصفهان ؛ والكاتب المتصوف « القشيري » ؛ وكاتب المقامات « الحريري » وقد كتبها استجابة لأمر وزير السلاجقة ومؤرخهم « خالد بن أنوشيروان » ؛ والمفسران : « القراء البغوي » و « الزمخشري » ؛ وجامع الأمثال العربية « الميداني » ؛ ومؤلف كتاب الملل والنحل « الشهرستاني » ؛ وجماعة آخرون غير هؤلاء لا يتسع المقام لذكرهم وتعدادهم .

* * *

ووقفاً للنهج الذي اتبعناه فيما سبق من فصول ، سنتحدث أولاً على الوضع السياسي لإيران والبلاد المجاورة لها خلال هذا العصر ، حتى إذا فرغنا من ذلك انتقلنا إلى الحديث عن النواحي الأدبية والعلمية فيها ، فنقول إنه عندما توفي « ملكشاه » كان له أربعة أولاد ، هم :

- ١ — بركيارق : وكان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره
- ٢ — محمد : ويصغر عن أخيه الأكبر بستة شهور .
- ٣ — سنجر : وكان في الثامنة من عمره
- ٤ — محمود : وكان طفلاً في الرابعة من عمره

. وكان « بركيارق » عند وفاة أبيه في بلدة أصفهان منع أمه « زبيدة » التي كانت هي أيضا تنتسب إلى أصل سلجوقي . أما « محمود » فكان مع أمه المتعطسة الطامحة « ترکان خاتون » في « بغداد » ، فحاولت هذه السيدة أن تنهز فرصة وجودها في دار الخلافة لتضمن الملك لابنها الصغير ، ولم يشأ الخليفة « المقتدى » في البداية أن يجاريها على ماتريد ، ولكنه سرعان ما وافق على طلبها أمام إلحاح ابنه « جعفر » الذي رزقه من الأميرة « ماء ملك » أخت ماكشاه ، وأمام ما بذلته له من هدايا ورشى للوصول إلى غايتها . فلما تم لها ذلك أرسلت الأمير « بنغا » إلى أصفهان فبلغها بعد أسبوع واحد ليقبض على « بركيارق » ، ولكن جماعة من أبناء « نظام الملك » استطاعوا عند ذلك أن ينقلوه خفية أثناء الليل من إصفهان إلى « ساوه » ثم إلى « آبه » ثم إلى « الرى » حيث نصبوه ملكا على عرش السلاجقة . وقالوا إنه لم يكن قد بلغ الثالثة عشرة من عمره عندما احتفلوا بتتويجه فأشفقوا أن يضعوا التاج الكبير على رأسه ، وعلقوه من فوقه مخافة أن ينوء بحمله (١) . وقد ترأس حفلات التتويج حاكم الرى المسمى « أبو مسلم » وأحاط بأبواب المدينة عشرون ألف جندي يخرسون ملكهم الصغير الجديد .

وفي هذه الأثناء كانت « ترکان خاتون » قد احتلت أصفهان معتمدة على مناصرة « مجد الملك القمى » و « تاج الملك أبي الغنأم » والأمير « أنزوبلسكا » وغيرهم من أعيان « نظام الملك » وقائديه . وسار « بركيارق » بجيشه إلى « إصفهان » وشاء أن يحاصرها ولكنه عدل عن ذلك لقاء خمسمائة ألف دينار دفعت إليه لينفض عنها ويذهب إلى « همدان » . ولكن سرعان ماتم ذلك حتى عادت « ترکان خاتون » إلى تدير المكائد ضده ، فوعدت خاله « ملك إسماعيل » بأنها تقبل الزواج منه ، ودفعت به بذلك إلى محاربة « بركيارق » في سنة ٥٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م بالهرب من الكرج . ولكن الهزيمة كانت من نصيب هذا الحال فدارت عليه الدائرة في اليوم الثالث

(١) أنظر « سيرة ابن هشام » طبع « وستنفلد » ص ٤٢

من فبراير سنة ١٠٩٤م (= ٤٨٧هـ) وأعلن «بركيارق» عند ذلك ملكا في بغداد . ولكنه لم يكدهم له الأمر حتى ثار أحد أعمامه «تنش» (١) ثورة عنيفة تمكن بواسطتها من هزيمة «بركيارق» وأخذه أسيرا إلى مدينة «اصفهان» حيث استقبله أخوه الأصغر «محمود» استقبالا تبادليا عليه مظاهر العطف وحسن المعاملة ، ولكنه في الحقيقة لم يلبث أن وكل أمره إلى «انروبلكا» فأمر بحبسه في «كوشك ميدان» وعزم على سمل عينيه حتى لا يكون أهلا بعد ذلك لمطالبة بالملك .

ومن حسن حظ «بركيارق» أن أخاه الأصغر «محمودا» مرض في نفس الأسبوع بالجدري ومات ، فلم ينفذوا فيه هذه العقوبة الشنعاء التي دبرت له ، واجتمع الأمراء عند ذلك ونصبوا «بركيارق» مرة أخرى على العرش ، ثم مالبت «تركان خاتون» أن قلت في خريف سنة ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م فصفا له «بركيارق» الجؤ وسهات أمامه الأمور .

ومرض «بركيارق» بعد ذلك بنفس المرض الذي أودى بأخيه ، ويئسوا من برئه ولكن الله قدر له الشفاء في النهاية . فلما كان العام التالي نهض لمحاربة عمه «تنش» واستطاع هزيمته وقتله .

وقتل في هذه الأثناء ، أيضا عمه «أرسلان أرغون» وقد كان خارجا عليه . قتله أحد أتباعه في مدينة «مرو»

ونجا «بركيارق» نفسه من القتل على يد أحد ملاحدة «الموت» . وبعد ذلك بفترة وجيزة نصب أخاه «سنجر» حاكما على خراسان في سنة ٤٩٠هـ = ١٠٩٦م ثم عاد إلى العراق .

فلما كانت سنة ٤٩٣هـ = ١٠٩٩م ثار أخوه «محمد» ثورة عنيفة ، ناصره فيها أكبر أولاد نظام الملك وأقدرهم «مؤيد الملك» ، وكان «بركيارق» قد طرده من منصبه فاستحق بذلك خصومته العنيفة الدائمة . وقد كانت هذه الثورة من أعظم المخاطر التي تعرض لها «بركيارق» ؛ واستمرت الحرب دائرة بينه وبين أخيه ، تهادأ أحيانا ، وتنتد أحيانا أخرى ، ويكسبها هذا أو ذاك حتى سنة

(١) المترجم : يكتب هذا الاسم أحيانا هكذا «تنكش»

٥٤٧٩ = ١١٠٣م وقد وقعت بينهما خلال ذلك خمس معارك حامية ، ثم انفقا على الهدنة قبل موت «بركيارق» بسنة أوستين . وقدارت كبت خلال هذه الحروب كثير من الفطائع والشنائع ، فقد أسر «محمد» أم بركيارق السبابة «زبيدة» وأمر بخنقها في سنة ٥٤٩٣ = ١٠٩٩م وكانت في الثالثة والأربعين من عمرها ؛ وثار الجند فأخذوا «مجد الملك القمي» الذي أصبح وزيراً له «بركيارق» بعد «مؤيد الملك» ومزقوه إرباً إرباً بتهمة ميله إلى مذهب الملاحدة والحشاشين ؛ وأمر «بركيارق» باقبض على «مؤيد الملك» ثم اغتاله غيلة شعاء بقطع رأسه وفصلها عن جسده . وعقد الصلح بعد ذلك بين الأخوين في سنة ٥٤٩٧ = ١١٠٣م . فلما بلغت هذه السنة نهايتها ، أصيب «بركيارق» بالمرض الذي أودى بحياته في مدينة «بروجرد» ، وكان له من العمر خمس وعشرون سنة ، وقد أوصى قبل وفاته بتنصيب ابنه الصغير «ملكشاه الثاني» ملكاً على عرش السلاجقة ، ولم يكن هذا الطفل قد بلغ الخامسة من عمره ، فبقي على العرش بضعة أشهر ثم خلع عنه ، وسملت عيناه كما كانوا يفعلون عادة في هذا الوقت بكل من يريدون إقصاءه عن العرش .

محمد بن ملكشاه :

وقد أصبح عند ذلك «محمد بن ملكشاه» الملقب بـ «غياث الدين» الحاكم الذي لا ينازعه منازع في ملك السلاجقة ، فظل متربعا على العرش أكثر من ثلاث عشرة سنة من سنة (٤٩٩ إلى ٥١٢ = ١١٠٥-١١١٨م) وقد عمل بهمة خلال هذه المدة على مقاومة نفوذ «الحشاشين» المتزايد ؛ وستحدث بعد قليل عن تطور حركتهم وما أحدثوه من أمور خلال هذا العصر . وفيما عد ذلك فقدا ممتاز حكم «محمد بن ملكشاه» بهدوء ، نسي لم تتخاله إلا معركة موقفة ، فاز فيها على الأمير الهربي الكريم «صدقة بن مزيد» أمير الحلة في سنة ٥٠٢ = ١١٠٨م وقد ذكر لنا «نظامي العروضي السمرقندي» حكاية غريبة تتعلق بهذه الواقعة في المقالة التي خصصها للنجوم والنجمين (١) .

(١) أنظر الحكاية التاسعة والمشرحين من كتاب «جواهرقاله» وكذلك «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ م ص ٦٥٥

محمود بن محمد

وتولى الملك بعد محمد ابنه « محمود » وكان صبيا في الرابعة عشرة من عمره ،
 فحكم فترة وجيزة ، أساء فيها الحكم (١) ، ثم ساقه حقه إلى محاربة عمه «سنجر»
 حاكم خراسان القوي . فوقعت الواقعة بينهما في مدينة «ساوه» في سنة ٥١٣ هـ =
 ١١١٩ م وأصاب الهزيمة محموداً ، ولكن «سنجر» لم يعاقبه العقوبة المتعارف
 عليها في هذه الأيام ، وقبل شفاعته أمه ، ففقا عن ابن أخيه الغلوب وتجاوز عن
 خطئه وحماقته . ونصبه واليا على العراق (٢) ثم زوجه من ابنته «ماه ملك خاتون»
 فظل حاكما على العراق مدة السنوات الأربع عشرة التالية . ولكن هذه الأميرة
 سرعان ما اغتالها الموت ، وكان «سنجر» يكن لها كثيرا من الحب ، فحزن عليها
 حزنا شديدا ، وظل فترة لا يتسلى بشيء عن ذكرها ، وقد قيل إنه استدعى عند
 موتها الشاعر العجوز «عمق البخاري» وطلب إليه أن ينظم الشعر في رثائها (٣)

سنجر

أعلن في بغداد تنصيب «سنجر» ملكا على عرش السلاجقة في السادس والعشرين
 من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ الموافق الرابع من سبتمبر سنة ١١١٩ م وقد ذكرنا
 فيما سبق أنه تولى قبل ذلك حكم خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين الماضية . وقد
 كان حكمه على العموم موقفا ناجحا ، لم تشبهه إلا سب قائمة ، عكرت صفو سمائه في

(١) أنظر ص ١٢١ — ١٢٤ من «البندارى» طبع «هوتما» فقد ذكر الاتهامات
 العشرة التي وجهت إليه .

(٢) أنظر تذكرة الشعراء لـ «دولتناه» ص ١٣٠ حيث ذكرت هذه الحادثة بالتفصيل
 وقد تكون روايه دولتشاه خيالية في بعض وقائدها . وقد نسبها إلى تاريخ يسبق الذى
 ذكرناه بأربع سنوات .

(٣) المترجم : أنظر المرجع السابق ص ٦٥ حيث جعل مطلع مرثيته البيتين الآتين :
 هنگام آنکه گل دمداز صحن بوستان رفت آن گل شکفته ودر خاک شد نهان
 هنگام آنکه شاخ شجر نم کشد ز ابر بن آب ماند نرگس آن تازه بوستان

الأيام الأخيرة من حياته ويقترن باسمه وبقصره جماعة من كبار شعراء الفرس الذين عاشوا في هذا العصر وأهمهم : « أنورى » و « المعزى » و « أديب صابر » .

وقد ولد « سنجر » في سنة ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م (١) في مكان من آسيا الصغرى اسمه « سنجار » فنسب إليه (٢) ؛ أما وفاته فكانت في سنة ٥٥١ هـ أو سنة ٥٥٢ = ١١٥٦ - ١١٥٧ م وقد بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة قمرية؛ وامتد حكمه كما يقول « الراوندى » إحدى وستين سنة ، منها عشرون سنة تولى فيها حكم خراسان ، وإحدى وأربعون سنة تولى فيها حكم العالم ، ويعنى آخر دولة السلاجقة .

أما الأحداث المؤلمة التي عكرت صفو أيامه الأخيرة فقد بدأت بالثورة التي أعلنها ملك خوارزم « آتسز » وأعلن فيها استقلاله التام في سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م . وفي السنة التالية قهره جماعة من كفار الأتراك وأخذوا زوجته أسيرة ، وقتلوا من رجاله مائة ألف رجل ، واستولوا منه على « مرو » و « سخرس » و « نيسابور » و « يهق » فظلت هذه المدن في أيديهم فترة من الزمان .

أما هزيمته المنكرة على أيدي « الأتراك الغز » فقد حدثت في صيف سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م ؛ فأغار هؤلاء ، القوم على « طوس » و « نيسابور » ونهبوها ، وقتلوا كثيرا من سكانها ، وذبحوا كثيرا من الرجال الذين اشتهروا بالفضل والصلاح . وقد وقع « سنجر » نفسه أسيرا في أيديهم ، فعاملوه ظاهريا بشيء من الإجلال والإكرام ، ولكنهم حظروا عليه حرية النقل ومنعوه من مساعدة رعاياه المنكوبين وأبقوه في أسرهم حتى خريف سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م . فاستطاع « المؤيد » وجماعة من خلصاء أتباعه السابقين أن يرشوا حراسه من « الغز » وأن يتجوه من

(١) هذا التاريخ مذكور في « ابن الأثير » وفي « راحة الصدور » أما البندارى فيذكر أن تاريخ ولادته هو سنة ٤٧٣ هـ = ١٠٧٩ م .

(٢) إذا تخبرنا الدقة وجب علينا أن نقول إنهم اختاروا له هذا الاسم التركي لقاربه ومشابته لاسم السكان الذي ولد به ، فكلمة « سنجر » التركية بمعنى « صقر » أو طائر من طيور الصيد ، والمعروف عن الأتراك السلاجقة وغيرهم أنهم كانوا يسمون أولادهم بأسماء الحيوانات والطيور ، «تلا» منقلا . « مناها الصقر والباز ، و « أرسلان » . « مناها الأسد » .

الأسر وأن يبلغوه مدينة « مرو » سالماً آمناً . وحاول «سنجر» في هذه المدينة أن يجمع جيشاً لينتقم به من « الغز » : ولكن الأسي الذي أصاب قلبه ، والحرب الذي أصاب بلاده ، والشيخوخة التي هدمت شبابه ، اجتمعت كلها فسببت موته في الشهور القليلة التي أعقبت خلاصه . وقد دفن مع عمه « ألب ارسلان » في مدينة « مرو » في البناء الذي بناه هنالك وأسماه « دولت خانه » .

سلاجقة كرمانه :

ويقترب الحديث عن هذا العصر الذي درسناه في الصفحات السابقة باسم أربعة من سلاجقة كرمانهم :

- ١ - تورانشاه : المتوفى سنة ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م .
- ٢ - إيرانشاه بن تورانشاه : المتوفى في سنة ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م . بتهمة ميله إلى مذهب « الإسماعيلية » أو « الملاحدة » .
- ٣ - أرسلان شاه : وهو ابن عم « إيرانشاه » وتوفى سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م
- ٤ - مقيث الدين محمد بن أرسلان شاه : وهو الذي اشتهر بأنه افتتح عصره بسم لأعين عشرين أميراً من أخوته وأبناء إخوته؛ وقد توفى سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م

الخلفاء العباسيون المعاصرون

مات « المقتدى » عند بداية هذا العصر في سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٩٤ م ومات « المقتنى » قرب نهايته في سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . أما الخلفاء الثلاثة الذين تولوا الخلافة في الفترة الواقعة بين هذين الخليفين فأولهم « المستظهر » وقد مات في سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م ، وثانيهم « المسترشد » وثالثهم ابنه « الراشد » . وقد قتل هذان الخليفان على أيدي الإسماعيلية ، وقيل إن « سنجر » هو الذي حرض على قتل « المسترشد » عندما كان أسيراً في بلدة « المراغة » في أيدي السلطان « مسعود السلجوقي » قتلوه في يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٣٠ هـ الموافق التاسع والعشرين من شهر

أبسطس سنة ١١٣٥ م . أما «الراشد» فقد خلعه السلطان «مسعود الساجوق» وقتله بعد سنتين من خلعه في أصفهان في يوم الثلاثاء السابع من سنة ٥٣٣ = ١١٣٨ م . ويلاحظ أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا في هذا العصر أكثر من الأعياب في أيدي السلاجقة ، وقد حكوا عن «المسترشد» إنه قال في خطبة الجمعة في «كرمانشاه» عند ما كان في طريقه لمحاربة السلاجقة في الحرب التي أودت بحياته ، قال العبارة الآتية : —

« فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق ، فبرزوا علينا ، فظال عنهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وكثر منهم الفاسقون »^(١) .

الغوريون والغزنويون :

أما الغزنويون فقد خبا نجمهم منذ أمد بعيد ، ثم استؤصلت شأفتهم في النصف الأخير من هذا العصر الذي ندرسه ، على أيدي «ملوك جبال الغور» هؤلاء المحاربين الأشداء من الأفغانيين الذين يعيشون في «فيروزكوه» .

وكان يتولى ملك الغزنويين في بداية هذا العصر ملكهم «ابراهيم» . وقد وردت عنه في كتاب «سياسة نامه» حكاية تدل على ما امتاز به من قوة شخصية وعلو همة^(١) . فقد حكوا : إن مدينة «غزنه» أقفرت في وقت من الأوقات من الحبز ، فأغلق الحجازون حوائطهم ، وشكا الفقراء والغرياء شدة الضائقة لملكهم ، فأمر باستدعاء الحجازين وسألهم عن السبب الذي أدى إلى نقص الحبز في المدينة ، فأخبروه بأن خبازه الخاص يجمع كل ما يوجد من قمح ودقيق حتى يرتفع سعرهما . فلما علم السلطان بذلك أمر رجاله أن يلقوا بخبازه الخاص تحت أقدام القبيلة ، فلما مات ربطوه على أنياب فيل منها وطافوا به على هذه الصورة في أنحاء البلدة ، وأخذ النادى ينادى بأن هذا الصير سيكون نصيب كل خباز لا يبادر بفتح خانوته ، فما حانت صلاة العشاء

(١) ارجع إلى الحكاية السابعة من كتاب « چهارمقاله » .

(٢) أنظر ص ٤٢ من كتاب « سياسة نامه » طبع شيفر سنة ١٨٩١ م .

حتى كان كل حانوت من حوانيت الجبازين يعرض على بابيه خمسين منّا من الخبز لانهج
من يشتريها !!...

وقد مات السلطان إبراهيم الغزنوى في سنة ٥٩٣هـ = ١٠٩٩م ، خلفه ابنه
« مسعود الثالث » فبقي على العرش حتى مات سنة ٥٥٠هـ = ١١١٤م وتبعه على
العرش ثلاثة من أولاده على التعاقب هم : « شيرزاد » المتوفى سنة ٥٥٠هـ = ١١١٥م
ثم « أرسلان » ؛ ثم « بهرامشاه » ! وقد أمر هذا الأخير بمخنق أخيه « أرسلان » في
سنة ١١١٨م واستولى بذلك على العرش لنفسه وظل متربعا عليه حتى نهاية هذا العصر
الذي ندرسه أى حتى سنة ٥٤٧هـ = ١١٥٢م

ويقتن اسم « بهرامشاه » عادة باسم الشاعر الأول من كبار شعراء الصوفية
في إيران وأغنى به « سنائى » مؤلف « حديقة الحقائق » في سنة ٥٢٦هـ = ١١٣١م
وقد انتهى حكم « بهرامشاه » بنكبة كبيرة ، ففي خريف سنة ٥٣٠هـ = ١١٣٥م
اتهمه « سنجر » بالحيانة فسار إليه بجيشه ، واضطره إلى الخضوع ودفع الجزية ،
وظل « سنجر » في غزنه بضعة شهور ثم عاد في صيف السنة التالية إلى بلخ (١) ؛
وبعد اثنتي عشرة سنة من هذا التاريخ رأى « بهرامشاه » أن يقتل صهره
« قطب الدين محمد » من أمراء الغور ، فلما فعل ذلك أسرع أخوا القتل
« علاء الدين حسين » و « سيف الدين سوري » إلى الثأر لأخيهما وتمكنا في سنة
٥٤٣هـ = ١١٤٨م من طرد « بهرامشاه » من مدينة « غزنه » حيث نصب « سيف
الدين » نفسه حاكما على هذه المدينة من قبل أخيه « علاء الدين » ؛ ولكن سرعان
ما أقبل الشتاء وأغلقت الطرق بالثلوج المتركمة عليها ، حتى دبرت الكائدضده واستدعى
الثائرون « بهرامشاه » ونصبوه على غزنه ثانية ، وقبضوا على « سيف الدين » وطافوا
به في سدة المدينة راكبا على بغل وقد لطحوا وجهه بالسواد ، ثم أخذوه فشنقوه
وصلبوه ، وقد كان من نتيجة هذه الفعلة الشنعاء أن انتقم « علاء الدين حسين »

(١) أما الجوينى فيرى في كتابه « تاريخ جهانگشا » أن « بهرامشاه » فر من أمام
سنجر ، ويقول إن هذا الملك السلجوقى أشار عند فراره إلى رجاله وقال عبارته المشهورة: « هنا
ظهر مدبر ليس له وجه يبدو بعد الآن !!... »

لنفسه انتقاماً شنيعاً في سنة ٥٥٠ هـ = ١١١٥ م أي بعد ثلاث سنوات من موت « بهرامشاه » وتولية ابنه « خسروشاه » فأقبل هذا الغوري الكاسر على مدينة « غزنه » وأزل سخطه ثلاثة أيام متوالية على أهلها المتعجرفين بحيث لقبوه بلقب « جهان سوز » أي « محرق العالم »

ومع ذلك، يجب علينا أن نلاحظ مدى التقدير الذي كان الأدب يفوز به في هذه الأيام . فقد روى لنا صاحب چهار مقاله : « إن علاء الدين حسين عندما أغار على غزنه وأخذ يحطم جميع المباني والمنشآت التي أنشأها محمود ومسعود وإبراهيم ، أخذ في نفس الوقت يشتري القصائد التي قالها الشعراء في مدحهم ثم يأمر بوضعها في مكتبته الخاصة . ولم يعد أحد من الجند أو سكان المدينة يجرؤ على أن يلقبهم بألقاب السلاطين مع أن علاء الدين نفسه كان يقرأ الـ « شاهنامه » حيث قال الفردوسي في مدح السلطان محمود (١) :

— عندما تظلم شفاه الصبي عن لبن والدته

فإن أول ما ينطق به في المهد هو لفظ « محمود » يجرى على شفته

— ومحمود فيل يجنده ... وهو جبريل بروحه

وهو كالزن بكفه ... وهو كنه النيل بقلبه

— وهو الحاكم والمالك القادر الكبير الشأن

الذي جعل « الشاة » تستقى مع « الذئب » من حوض واحد... في أمان...!

ملوك خوارزم أو الخوارزمشاه :

هؤلاء الملوك أهم أثرآ وأبلغ دلالة في تاريخ إيران من دولتي الغزنويين والغوريين . وهم يعرفون باسم الـ « خوارزمشاه » أو « ملوك خيوه » وأول ملوكهم هو « أنوشكين » وكان يشتمل سابقاً للسلطان « ملكشاه » السلجوقي ؛ وقد بدأ ملكه في سنة

(١) الترجم : فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية :

چو كودك لب از شیر مادر بشت زگهواره محمود گوید نخست
بني زنده بیل و بجان جبرئیل بكف ابر بهمن بدل رود نیل
جهاندار محمود شاه بزرگ بآبشخور آرد همی میش و گرگ

٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م (١) ثم استطاع خلفاؤه بعد ذلك التخلص من كل صلة لهم بملوكهم الأقدمين من السلاجقة ، وظلوا يحكمون حتى انتهى أمرهم بالبطل الشجاع « جلال الدين المنكبى » آخر بطل إسلامى صمد فى وجه الجموع الفاتكة من جيوش المغول الكافرة من سنة ٦١٧ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٢٠ - ١٢٣١ م .

وقد بدأت قوة هذه الدولة فى العلو والارتفاع سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م عندما تولى عرشها الملك الماهر الطموح « أنسى » ، فلما شاعت الشائعات عن أطمانه وبلغت آذان « سنجر » اضطر إلى أن يوجه جيوشه إلى خوارزم لمحاربه هناك فى سنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م

وقد استطاع « سنجر » فى هذه المرة أن يهزم « أنسى » هزيمة كبيرة ، كلفته كثيرا من الخسائر ، كان من جملتها ابنه الذى فقد فى هذه الموقعة وعز خطبه فيه (٢) ، وكان من نتيجة هذه الموقعة أن استولى « سنجر » على « خوارزم » وأقطعها من قبله لابن أخيه « غياث الدين سليمان شاه » ولكن لم يلبث أن عاد « سنجر » إلى « مرو » حتى عاد « أنسى » واستولى على عاصمته ، ثم دبر التآمر لنفسه من « سنجر » بأن حرض عليه الكفرة من الأتراك « الخطائين » فهاجموه وهزموه هزيمة منكرة فى صيف سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م ، وقتلوا مائة ألف من جنده وأخذوا زوجته أسيرة فى أيديهم واضطروه إلى الهرب إلى « ترمذ » و « بلخ » .

وفى هذه الأثناء أعلن « أنسى » استقلاله ، ثم تقدم إلى مدينة « مرو » فاحتلها ، وأسر جملة من أفاضل رجالها ، كان من بينهم الفقيه « أبو الفضل الكرماني » (٣) .

- (١) يقول « الجوينى » فى كتابه « جهان گشا » إنه كان متعارفا لى السلاجقة أن يكاثروا أتباعهم من السقاة والحجاب وحراس الملابس الخاصة بإتطاعات من الأرنى
- (٢) يقول « الجوينى » إن اسمه « إلبىخ » وروى أنهم عندما قبضوا عليه أحضروه إلى « سنجر » فأمر بقطع جسده بمنشار فشقه إلى نصفين
- (٣) يبدو ، ما رواه ابن الأثير فى أخبار سنة ٥٣٦ هـ أن « أنسى » لم يكن ينوى التعرس لمدينة « مرو » كما فعل بمدينة « سرخس » ولكنه اضطر فى نهاية سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م إلى مهاجمتها وإتزان البلاء بها عندما علم بقتل جماعة من أتباعه .

وكانت هذه الموقعة كما يقول « ابن الأثير » أول موقعة خسرها «سنجر» وقدرنا أنها كانت فاتحه لسلسلة أخرى من التكنبات المتلاحقة .

ويمكن «أنسز» بعد ذلك من احتلال مدينة «نيسابور» وظل بها فترة لم يتعرض لها بشيء من سوء ، وأمر بحذف اسم «سنجر» من الخطبة لحذفها ثلاثة أشهر من صيف سنة ٥٣٧هـ = ١١٤٢م . وبعد ذلك بما يقرب من سنة واحدة حاول «سنجر» محاصرة «خوارزم» ولكنه معجز عن ذلك قبل الصلح مع «أنسز» . ثم مات «أنسز» عقب ذلك في التاسع من جمادى الآخر سنة ٥٥١هـ الموافق ٣٠ يولييه سنة ١١٥٦م قبل موت خصمه «سنجر» بفترة وجيزة (١) .

شعراء سنجر وأنسز :

ويقترب باسمي «سنجر» و «أنسز» ولا يكاد يفصل عنهما ، أسماء أربعة من كبار الشعراء الإيرانيين ، سندرس آثارهم بعد قليل وهم :

١ - معزى
٢ - أنورى

٣ - أديب صابر .
٤ - رشيد الدين الطواط

أما «المعزى» فكان شاعر السلطان «سنجر» وكذلك كان من قبله ، أبوه «برهان» . وقد فاز بمكانة عالية جعلت الخطب فيه عظيما عند ما قتل على يد مولاه بواسطة سبهم أخطأ الهدف وأصابه في مقتل سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧م .

وربما كانت وفاة «الأديب صابر» أكثر إبلاما ؛ فقد روى دولتشاه (٢) إن سنجر أرسله إلى خوارزم ليتجسس على «أنسز» أو كما قال «الجويني» في كتابه تاريخ «جهان گشا» ليكون سفيرا له لدى ملك خوارزم . وكان «أنسز» قد استأجر اثنين من الملاحدة وأمرهما بالذهاب إلى مرو وقتل السلطان سنجر . فكتب «الأديب صابر» يخبر مولاه بذلك النبأ ، وضمن رسالته وصفاد قيقاً لهذين الرجلين ؛ وحملت هذه الرسالة امرأة عجوز ، سارت بها إلى «مرو» وقد أخفتها في حذاءها . فلما بلغت «سنجر» هذه الرسالة

(١) الترجم : مات «سنجر» في ربيع الأول سنة ٥٥٢هـ

(٢) أنظر : «تذكرة الشعراء» ص ٩٣

تعرف على الرجلين وأعدمهما؛ فلما علم «أتسز» بذلك أمر رجاله أن يقيدوا «الأديب سابر»، فربطوا يديه وقدميه بالسلاسل والقيود ثم أغرقوه في نهر جيحون. وقد أخبرنا «دولت شاه» أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م، ولكنه صاحب تاريخ «جهان گشا» وهو أصدق منه، أخبرنا أنها وقعت قبيل سنة ٥٤٢ هـ = ١١٥٧ م، ويرى «إتيه» - وربما كان محققاً يراه - أنها وقعت سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م.

وسأكتفي فيما يتعلق بـ «الأنورى» و«رشيد الدين الوطواط» (١) بأن أذكر عنهما في هذا المكان ما يتعلق بأخبارهما بصدد المعارك التي تحدثنا عنها فيما سبق.

والمعروف أن «الوطواط» كان كاتباً للسلطان «أتسز» كما كان شاعره الخاص، وقد أثار رقمة «سنجر» عندما كتب قصيدته التي مطلعها:

چون ملك أتسز بتخت ملك برآمد
دولت سلجوق وآل او بسر آمد

ومعناه:

— عندما ارتقى الملك «أتسز» عرش الملك،
انتهى أمر دولة سلجوق وآله...!!

فلما كان «سنجر» في خريف سنة ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م يحاصر «أتسز» في قلعة «هزاراسب» أمر شاعره «الأنورى» وكان يصحبه ويراققه، أن ينشئ بضعة أبيات لكي يكتبها على سهم من سهامه، يقذف به إلى داخل المدينة المحاصرة؛ فكتب «الأنورى» هذه الرباعية:

أى شاه! همه ملك زمين حسب تراست
واز دولت واقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله «هزاراسب» بگير
فردا «خوارزم» وصد «هزاراسب» تراست...!!

(١) سمي كذلك إشارة لجسده ونخاعته.

ومعناها :

— أيها المليك ..! إن ملك العالمين رهن لإشارتك

— والعالم كسب لك بفضل إقبال حظك ودولتك

— نخذ اليوم بحملة واحدة قلعة «هزاراسب»

— وغداً تكون لك «خوارزم» ومائة «هزاراسب»^(١)... ١١...

وليس في هذه الرباعية شيء، يستحق الذكر إلا اللعب على لفظ «هزاراسب»؛ وقد أجاب عليها «الوطواط» بالبيت التالي فكتبوه على سهم وقذفوا به إلى سنجر^(٢) :

گر خصم توای شاه شود رسم گرد یک خر ز هزار اسب تو تواند برد

ومعناه :

— فلو قدر ... وصار خصمك هو البطل المعروف «رسم»

فإنه لن يستطيع أن يأخذ حمراً واحداً من جيادك الألف : «هزاراسب»^(٣)

وسمى «سنجر» عند ذلك سعيًا حثيثاً إلى القبض على «الوطواط» حتى تمكن في النهاية من ذلك، فأمر رجاله بأن يقطعوه إلى سبعة أجزاء. ويقول راوى هذه الحكاية وهو «منتخب الدين بديع أنکاتب»^(٤) «أحد أجداد «الجويني» مؤلف «تاريخ جهانگشا» إن الوطواط استطاع أن يهدى نائبة السلطان وأن يضحكه

(١) هذه الكلمة مركبة من «هزار» بمعنى ألف و «اسب» بمعنى حصان، وعلى ذلك معناها «ألف جواد».

(٢) يبدو أن قذف السهام المزودة بالرسائل المنقوشة عليها كان عادة قديمة متبعة في إيران فيقذفون بها إلى داخل المدن المحاصرة أو إلى خارجها. أنظر ما كتبه نولدك بعنوان «تاريخ اردشير بن بابك»

Geschichte des Artachshir-i-Päpakün, Göttingen 1879.

(٣) المترجم : «هزاراسب» كما أنها اسم مكان فإن معناها في الفارسية أيضاً «ألف جواد».

(٤) المترجم : اسمه «منتخب الدين» بلجيم وليس «منتخب الدين» بالحاء، وهو خال لجد الأعلى لعطاء ملك الجويني.

وترجمة حياته موجودة في «لباب الالباب» لمحمد عوفى ج ١ ص ٧٨.

عندما التفت إليه وقال : « لدى رجاء يامولاي ... وهو أن الطواط طائر هزيل لا يحتمل جسده أن يعزق إلى سبعة أجزاء ، فهل لك أن تكثفي بتمزيقه إلى نصفين !!... » .

وبهذه الوسيلة استطاع الطواط أن يحصل على عفو « سنجر » لأنه تمكن من إضحاكه !!... !

الاسماعيلية في الموت أو الحشاشين :

فإذا رجعنا الآن لاستعراض الأحوال السياسية في إيران في هذه الفترة ، فإنه يتبقى علينا أن ندرس أحوال طائفة أخرى من الناس ، لم يقدر لهم أن يبلغوا مبلغ الدولة السلجوقية ، ولكنهم كانوا من حيث اتساع نفوذهم ورهبة جانبهم أقوى من السلاجقة والغزنويين والنوريين والحوارز مشاهين ، وتقصد بهم جماعة الحشاشين أو الاسماعيلية في « الموت » . وقد وصفنا في فصل سابق الظروف التي أدت إلى نشأة هذه الطائفة في إيران وما أصابها من تغيير بسبب « الدعوة الجديدة » التي تولاها « الحسن بن الصباح » . وقد كان هذا الزعيم الخفيف حيا على أيام « سنجر » لأنه لم يمض إلا في سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م وقد ظل سنوات طويلة لا يخرج من قلعة « الموت » بل لا يغادر منزله الخاص ، ومع ذلك فقد بلغت سطوته أرجاء الشام وأصبح اسمه مرهوبا في الأنحاء الغربية من آسيا ، وكان بالغ القسوة في حياته ، فأدى به ذلك إلى إعدام ولديه بتهمة الزنا والتمساء الحجر ، ثم عين واحداً من أتباعه ليخلفه في رئاسة هذه الطائفة وهو « كيا بزرك اميد » فلما مات هذا الأخير في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م خلفه ابنه « محمد » الذي توفي في سنة ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م .

ومن العيب ، بل من المستحيل ، أن نحاول في هذا المؤلف تفصيل الحديث عن تاريخ « الحشاشين » أو « الاسماعيلية في الموت » في هذه الفترة التي ندرسها ، ولكن يجب علينا أن نعترف بأن هذه الطائفة أصبحت من أقوى العوامل المميزة لهذا العصر ، بحيث نجد لزما علينا أن نبين في هذا المجال بعض نواحي نشاطهم لكي تتمكن من تصوير هذا العصر على حقيقته ، وقد أورد « ابن الأثير » ذكر هذه الطائفة الخيفة

في كل سنة تقريباً من السنين التي تحدث عنها في موسوعته التاريخية، ومن المحقق أنهم قد فجموا كل علاقة تربطهم بالشعبة الأساسية في مصر وشمال إفريقيا عندما أدركت الوفاة الخليفة الفاطمي «المنتصر» وأنهم بدأوا قوتهم السياسية بالاستيلاء على التلعة الجبلية الحصينة «ألموت» (١) في سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م. ومن عجيب المصادفات التي تنبه إلى ملاحظتها أغلب مؤرخي الفرس في هذه الفترة، أن هذا التاريخ يتفق مع القيمة العددية التي تدل عليها الحروف التي تتركب منها هذه الكلمة. وكان أول حدث سياسي أحدثوه هو أنهم تمكنوا بعد ذلك بعامين من قتل «نظام الملك»، ثم تالت بعد ذلك الأحداث على فترات قصيرة، فقتلوا وزير الوالد «بركيارق» المسمى «عبدالرحمن السميرامي». في سنة ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م (٢)، ثم «أنزوبلكا» في سنة ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م؛ ثم «جنح الدولة» في مسجد حمص في سنة ٤٩٦ هـ = ١١٠٢ م ثم القاضي «أبا العلاء سعيد النيسابوري» في سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م، ثم «نغر الملك» وهو من أبناء «نظام الملك» في سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م، ثم القاضين في إصفهان ونيسابور، ثم «عبدالواحد الروياني» في طبرستان سنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م؛ ثم «مودود» في مسجد دمشق سنة ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م؛ و«أحمد ابن وهسودان» في بغداد سنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م؛ ثم القاضي «سعد الهروي» في همدان سنة ٥١٩ هـ = ١١٢٥ م، ثم «عبداللطيف بن الحجددي» في سنة ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م؛ ثم الخليفة الفاطمي «الأمير بأمر الله» في سنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م ثم «أبا علي بن أفضل» وزير الخليفة «الحافظ» وابن عمه في سنة ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م ثم الخليفة العباسي المسترشد في سنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م؛ ثم ابنه وخليفته «الراشد» في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م؛ ثم أحد خواص أتباع سنجر المسمى «جوهر» في سنة ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م؛ هذا بالإضافة إلى عدد كبير آخر من الرجال الذين لا يلقون مبلغ هؤلاء أهمية وخطراً.

(١) هذه الكلمة مكونة من «آله آموت» بمعنى «تعليم القتاب»
 (٢) يحوط هذا التاريخ بعض العكس، وتشير بعض المراجع إلى أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م

وقد استتبع هذه الاغتيالات بالضرورة سلسلة من سلاسل الأخذ بالثأر ، قام بها أهل السنة ، فقرأ في كتب التاريخ عن « اضطهاد الملاحدة والفكرين الأحرار » في مدينة نيسابور في سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م . ثم عن « مذبحه الباطنية » التي أمر بها « بركيارق » في سنة ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م ، وعن صلب الوزير « سعد الملك » وأربعة من الباطنية ، وعن الزعيم الأثيم « ابن عطاش » وبعض أتباعه في سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م . وعن المذبحة التي قتل فيها سبعائة من الباطنية في مدينة « آمد » في سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م ؛ ثم عن مذبحه أخرى أكبر وأهم وهي المذبحة التي أمر بها « سنجر » في سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م لينتقم بها لقتل وزيره « معين الملك » ، ثم عن مقتل « عباس الرازي » في سنة ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م وكان من ألد أعدائهم ، واعتاد أن يبني الأهرامات من جماجمهم .

وقد أشرنا فيما سبق ، إلى أن الحروب الأهلية التي كثرت في الفترة الأولى من هذا العصر قد ساعدت « الحشاشين » كثيراً على تثبيت أقدامهم وتقوية نفوذهم ، ولولاها لما استطاعوا أن يصلوا إلى ذلك بأية طريقة من الطرق ، وقد آتم « بركيارق » بالعطف عليهم ، أو على الأقل بالتسامح الشديد معهم ، لقاء أن يمدوه بمعوتهم أو يقفوا موقف المحايد منه ، ويروي « ابن الأثير » في أخبار سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٠ م أنه عندما أسر « مؤيد الملك بن نظام الملك » سبه « بركيارق » لانتسابه إلى مذهب الباطنية ثم قتله يئذه (١) . وفي نفس السنة سار « بركيارق » لمحاربة أخويه « سنجر » و « محمد » عند بغداد ، فلما تلاقى الجيشان التحاربان بخذاء دجلة ، أخذ أعداؤه يشعنون عليه بجملة إلى الباطنية ويكبرون عليه ويقولون : « يا باطنية .. !! » وربما كان المقصود من المذبحة التي أمر بإجرائها على الباطنية في هذه السنة ، هو أن يزيل من عقول رعاياه هذه الفكرة الخطيرة التي تعلقت به والتي كانت كافية لقتله أو عزله كما حدث تماماً لـ « محمد خان » حاكم سمرقند ، و « إيرانشاه » أمير كرمان السلجوقي ، فإنهما مع جماعة آخرين من الوزراء ورجال السياسة مثل « مجد

(١) يروي « راحة الصدور » هذه الحادثة بشكل آخر . انظر المقال المنشور في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

الملك « قد انتهوا إلى هذه النهاية المؤلمة بسبب اتهامهم بالعطف على الملاحدة ، وقد ساد الخوف جميع الناس ، وأصبح من الأمور العادية أن يلبس من ينحس ثقمة الحشاشين درعا تحت ثيابه كما كان يفعل « بلسكا » حتى إذا قدر عليه ونسى في يوم من الأيام أن يتخذ هذه الحيلة التي اعتادها ، فقد حياته لقاء إهماله وتماونه ، وكان الفدائيون من الحشاشين ، إذا قبض عليهم وحكم عليهم بالتعذيب والإعدام ، لا يعدمون حيلة في الثأر من أعدائهم ، كما فعل قاتل « غر الملك » ، فإنهم حينما أحضروه أمام « سنجر » وأخذوا يستجوبونه عن فعلته أعلن أن جماعة من الأمراء وضباط القصر كانوا شركاءه ، فأمر سنجر بإعدامهم جميعاً ، وربما كانوا أبرياء من هذه التهمة (١).

ومن أعجب الأحداث المتصلة بتاريخ هذه الطائفة المخيفة من الملاحدة ، أحداث رواها بالتفصيل صاحب « راحة الصدور » وكذلك « ابن الأثير » وأقربها الحوادث التي وقعت في ربيع سنة ٥٠١ هـ = ١١٠٧ م وانتهت بتخريب حصن الحشاشين الحصين « شاه دز » أو « دز كوه » بالقرب من أصفهان و« صلب » ابن عطاش « وقتل عدد كبير من أتباعه ... ووالد « أحمد بن عطاش » الذي نشير إليه هو « عبدالملك بن عطاش » وكان رجلاً أديباً من أهل الفضل يقيم في « أصفهان » اتهموه بالعطف على الشيعة فاضطر إلى الهرب إلى مدينة « الري » حيث وقع تحت تأثير « الحسن بن الصباح » ودخل في مذهبه (٢) ، وقد كتب في هذه الأثناء إلى واحد من أصدقائه فكان مما جاء في رسالته : « لقد وقعت على الصقر الأشهب فعوضني الله بذلك جميع ما تركت » وقد اشتغل ابنه بتجارة الكتان ، وكان شديد الكراهية لمذهب أبيه في الإلحاد ، فاستطاع بذلك أن ينجو من كل شر وسوء .

وكان بالقرب من أصفهان قلعة اسمها « دز كوه » بناها « ملكشاه » وأسمها « شاه دز » أي « قاعة الملك » وكانت هذه القلعة تحتوي على خزان الملك وأسلحة الجيوش وكان يقيم بها جماعة من غلمان القصر ووصيفاته ، تتولى حراستهم سرية من

(١) المترجم : انظر تفصيل ذلك في حوادث سنة خمسائة في تاريخ الكامل لابن الأثير (٢) أما ابن الأثير وجماعة آخرون من المؤرخين فيقولون إنه كان استاذاً للحسن بن الصباح وليس تلميذاً من تلاميذه .

الجند الديليين ، فكان « ابن عطاءش » يذهب إلى هذه القلعة بحجة التدريس لهؤلاء الشبان والشابات حتى استطاع تدريجيا بواسطة الهدايا والأقوال المسولة أن يستميل رجال الحامية إلى جانبه . ثم أسس بعد ذلك دارا للدعاية في مكان اسمه « دشت كور » شديد القرب من أبواب المدينة ، ونجح في دعوته نجاحا باهرا ، حتى بلغ عدد أتباعه ومريديه ثلاثين ألفا كما يقول مؤرخنا المذكور .

وبدأ الرعب في هذا الوقت يستولى على أهل « اصفهان » بسبب ما كان يتكرر وقوعه يوميا من اختفاء مواطنهم وأهلهم . ثم مالبت القناع أن تكشف عن هذه الجرائم الغامضة على يد سائلة عجوز ، تقدمت إلى أحد النازل تطلب إحسانا ، فسمعت أصوات عويل وأنين تنبعث من داخله ، فظنت أن بالمنزل مريضا وأخذت تدعوا الله أن يأخذ يده ويشفيه . وحاول سكان المنزل أن يستدجروها إلى الدخول ليعطوها طعاما وقوتا ، ولكنها شكت في نواياهم وأسلمت أرجلها للفرار ، وأخذت تستغيث بمن صادفها .

والتف حولها خلق كثير ، وأحاطوا بالمنزل ، ثم كسروا بابه ودخلوه ، فوجدوا في سراديه منظرا مرعبا ، يتألف من أربعائة أو خمسمائة جثة من الجثث ، بعضهم مصاب على الجدران ، وبعضهم ذبيح على الأرض ، وبعضهم مازال يجود بأفئاسه الأخيرة ، وبين هؤلاء وهؤلاء جماعة استطاع الناس أن يتعرفوا عليهم ويقرروا أنهم من أصدقائهم الذين قعدوهم أخيرا . وقد تبين أن هذا المنزل مملوك لرجل اسمه « علوى المدنى » وأنه كان ندوة للشاشين ، وكان من دأب هذا الرجل أن يستند إلى إلى عصاه ، ويقف عند المغرب على باب الدرب المظلم الطويل الذى يؤدي إلى داره ، فإذا اجتاز به إنسان أخذ يدعو الله أن يضر لمن يأخذ بيد الضير القمير ويقوده إلى باب داره في هذا الدرب ..! فإذا استجاب لدعائه واحد من الضحايا الآمين وأخذ يده انتهى أمره إلى الموت ، لأنه متى وصل به إلى نهاية الدرب انقض عليه جماعة من أتباع هذا الضير ، وأخذوه فطرحوه في سراديب الدار حتى يقضى عليه بالموت . وقد استمر الحال على هذا النوال بضعة شهور قبل أن تنجلي حقيقة المفزعة على هذه الصورة التى بينها . وكان من الطبيعى أن يتلو ذلك انتقام سريع ، فتصدى الناس

له ، وأوقدوا ناراً كبيرة في سوق المدينة ، ثم طرحوا فيها « علوى المدنى » وامراته وجماعة آخرين من شركائه .

وكثر عند ذلك الشك ، وبالنسبة للناس في الريه ، فكان ممن شكوا في أمره الوزير « سعد الملك » ولكن السلطان كان يقرب هذا الوزير ، فأبى في البداية أن يصدق الناس فيما اتهموه به . وكانت قلعة « دژكوه » محاصرة في هذه الفترة ، وكادت موارد « ابن عطاش » أن تنضب ، فأرسل سرا إلى « سعد الملك » يبلغه أنه لا قبل له بالمقاومة أكثر من ذلك ويقترح عليه التسليم والخضوع . ولكن « سعد الملك » أجابه برسالة فخوها : « اصبر أسبوعاً آخر حتى أهلك هذا الكلب » فأصدا بذلك السلطان نفسه ؛ وكان يعلم أن السلطان يحتجم مرة في كل شهر ، فأفلح في رشوة الحلاق حتى يسمم موساه ، ويهلكه بهذه الوسيلة الخافية .

ولكن غلامه أبلغ أمر هذه الخطة الماكرة إلى زوجته الجميلة التي كان يقاسمها أسرارها ، وأبلغتها هذه بدورها إلى عاشقها ، فنقلها العاشق إلى مسامع أحد ضباط « شرف الملك » ثم نقلها هذا في النهاية إلى مسامع السلطان . فأمر السلطان باستدعاء الحلاق فلما أحضره أمر به فجرحوه بموساه ، ونفذ السم فيه ، وظهر تأثيره ، فأسود جلده ، ومات بسرعة ، وهو يتلوى من الوجع والألم الشديدين .

عند ذلك فقط صدق السلطان التهمة المذمومة إلى وزيره ، وأمر بصلبه وصلب أربعة من أعيان أصحابه كان من بينهم : « أبو العلاء المفضل » . ولم يلبث أن انقضى على ذلك يومان حتى سلم « ابن عطاش » قلعة « دژكوه » . وأمر السلطان فأركبوه جملاً : وطافوا به في شوارع « اصفهان » وشهره به بين آلاف المتفرجين ، فقد فوه بالوحل والقاذورات ، وغازوه بأغنياتهم الساخرة ، وبقيت من هذه الأغاني مقطوعة منظومة في لهجة محلية نقلها كتاب « راحة الصدور » ، ثم علقوه مصلوباً مدة سبعة أيام كاملة . وأخذوا يرشقونه بالسهم والحراب وهو مصلوب لا يستطيع الحركة أو الدفاع عن نفسه ، حتى إذا لم يبق في جسده موضع لرشفة أو رمية ، أخذوه وأحرقوه حتى استحال رمادا ذارياً . وكان « ابن عطاش » يدعى الخبرة بأحكام النجوم فتقدم إليه وهو مصلوب واحد من النظارة ، وسأله هل استطاع أن يتنبأ بمصيره بفضل ما عرفه من أحكام النجوم...؟ فأجاب « ابن عطاش » بقوله : « لقد عرفت من طالعى أنني سأطوف شوارع

أصفهان في أبهة تفوق مواكب الملوك ، ولكنني لم أتخيل أنها ستكون على هذه الحال...!!» (١)

وقد هال « السلطان محمد » أمر الحشاشين وأحس بالخطر الذي يهدده فبدأ ينظم الإجراءات التي تؤدي إلى اجتثاث أصولهم والاستيلاء على قلاعهم الجبلية الحصينة ، ولكن الوفاة أدركته في سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م فتوقف بموته تنفيذ مشروعاته ، ووجد الملاحدة فرصة مجددة ، لم ييظنوا في انتهازها لتقوية حالهم . بحيث إذا انقضت على موته عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ، نجدهم قد استطاعوا بواسطة القوة أو الخديعة أو الرشوة أن يستولوا على القلاع الآتية في الشام : وهي قلعة « قدموس » وقلعة « بانياس » وقلعة « مصياث » (٢) وأن يضيفوها إلى ممتلكاتهم في إيران التي شملت « ألموت » و « كردكوه » و « شيركوه » و « طيس » و « خور » و « خوسف » و « زوزن » و « قاين » و « تون » و « وشم كوه » بالقرب من « أهر » و « خالنجان » بالقرب من أصفهان ، و « استناوند » في مازندران ، و « قلعة الناظر » في خوزستان . وقلعة « الطنبور » بالقرب من ارجان ، و « خلاخان » وغير ذلك من المواقع الحصينة المنتشرة في سائر أرجاء إيران .

(١) تروى هذه الحكاية بشيء من التحوير مع حذف الأسماء في كتب الحكايات العربية والفارسية مثل « جوامع الحكايات » تأليف محمد عوفى . ومن الجمل أذ. الشاعر « أنورى » يشير إلى « ابن عطاش » عندما يقول :

در خواب دیده خصم تو خود را بلندي تعبیر آن بديده^١ بيدار دار يافت
ومعناه :

-- لقد رأى خصمك لنفسه الرفعة في المنام والأحلام ،

فكان تعبیر رؤياه أن وجد المشتقة بأعين اليقظة التي لاتنام .

(٢) الترجيم : يسميها صاحب « معجم البلدان » باسم « مصياث » أو « مصياف » ويقول

إنها حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالقرب من طرابلس .

الحركة الروميه في هذا العصر

الآن وقد انتهينا من عرض مجمل للحالة السياسية في إيران على عهد «سنجر» وإخوته، نجمل بنا أن تقوم بدراسة الحركة الأدبية في هذا العصر. وسنجد أن زيادة عدد شعراء الفرس، وازدواج استعمال الفارسية كلغة أدبية في إيران بدل العربية، سيكونان سبباً في أن تقصر عنايتنا على دراسة أشهر الشعراء وأنبيهم ذكراً، كما سيكونان سبباً من ناحية أخرى في أن تقلل من عنايتنا بالأمور العربية والكتابات العربية.

أولاً — شعراء الفرس

ولنض الآن في دراسة أشهر شعراء الفرس بحسب ترتيبهم الزمني على وجه التقريب:

سنأى:

ينسب هذا الشاعر إلى غزنه أو بلخ^(١). واسمه الكامل هو «أبوالمجد مجدود بن آدم» ويعتبر أول الشعراء التصوفيين الثلاثة العظام ممن كتبوا «الثنويات» في إيران، وأما ثانيهم فهو «الشيخ فريد الدين العطار»، وأما ثالثهم فهو «جلال الدين الرومي». ويعتبر هذا الأخير أعظم الثلاثة شأنًا وإن كان هذا لم يمنعه من أن يقول في تواضع:

عطار روح بود وسنأى دوچتم او ما از پی سنأى وعطار آمدم

ومعناه:

— لقد كان «العطار» روحاً، وكان «سنأى» عينيه البصيرتين.
وقد أتينا تلو «سنأى» و«العطار»، وفي إثر هذين الاثنين.

(١) يتحدث «سنأى» في صحيفة ٨١ من النسخة المطبوعة من ديوانه في إيران بأن بلخ تزدهر بصيحه وتفخر بذبوع اسمه.

وكل ما نعرفه عن حياة «سنائي» أمور قليلة ، تكاد تنحصر في أنه كان في الفترة المبكرة من حياته متصلاً بخدمه «بهرامشاه» . أما ما رواه «دولتشاه» عن قصة إعراضه عن الدنيا ، وزهده في حياة الفصنور ، وانتقاله إلى حياة التصوف ، وهي نفس الحكاية التي نقلها «سير جور أوزلي» في كتابه «تراجم شعراء الفرس» فحكاية غير خليقة بالذكر بل جدية بالإهمال^(١) . فإذا أتينا إلى المقدمة التي كتبها لكتاب «الحديقة» أو التي كتبها تلميذه «محمد بن علي الرقام» لم نظفر منهما بشيء على الإطلاق يتصل بحياته^(٢) ، اللهم إلا ما كان متصلاً بما هدفاً إليه — كما يقون «ريو» — من تأكيد ما ذكره «جامي» من أن الشاعر كتب «الحديقة» وهي خير مؤلفاته في نهاية أيامه ، وأنه لم يكدها حتى أدركته الوفاة في سنة ٥٢٦هـ = ١١٣١م .

أما «عوفي» في كتابه «لباب الألباب» فلا يذكر لنا كمادته شيئاً متصلاً بحياته هذا الشاعر . وقد أشار «إتيه» إلى أن بعض الحقائق المعروفة عن هذا الشاعر تتعارض مع بعض التواريخ التي يمكن استخلاصها من المقدمتين المكتوبتين للحديقة^(٣) ، لأن هذه التواريخ تهدف إلى جعل هذا الشاعر متأخراً من الناحية الزمنية عن «المعزي» وإلى القول بأنه لم يمض قبل سنة ٥٤٥هـ = ١١٥٠م إلا بفترة وجيزة .

وآثار «سنائي» تشتمل كما وعلتنا على سبع مثنويات وديوان . فأما المثنويات فهي :

١ — حديقة الحقيقة : وهي المثنوية الوحيدة التي اشتهرت من بين مثنوياته .

٢ — طريق التحقيق

٣ — غريب نامه : أو كتاب الغريب .

٤ — سير العباد إلى العباد .

٥ — كار نامه : أو كتاب الأعمال .

(١) أنظر: Ouseley: Lives of the Persian Poets pp. 184 — 187

وكذلك «تذكرة الشعراء» ص ٩٥ — ٩٧ .

(٢) وصف «ريو» مثنويات هاتين المقدمتين في «فهرست المخطوطات الفارسية» ص ٥٥٠ .

(٣) انظر فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة في المكتبة البودلية ، عمود ١٦٣ ، وكذلك فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة بمكتبة إدارة الهند ، عمود ٥٧١

٦ -- عشق نامہ : أو کتاب العشق .

٧ -- عقل نامہ : أو کتاب العقل .

والمثنويات الست الأخيرة نادرة جداً ، ولم يقدر لي أن أراها بعيني^(١) . أما الديوان
فنسخه المخطوطة كثيرة ، وقد طبع على الحجر في طهران سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م
وهذه النسخة المطبوعة تشتمل على ٢٧١ صحيفة ، كل صحيفة منها تشتمل على ٤٥
بيتاً على وجه التقريب ، بحيث يبلغ مجموع الأبيات التي يتضمنها الديوان اثني عشر
ألف بيت من الشعر ، موزعة بين القصائد والترجمات والتركيكات والغزليات
والرباعيات^(٢)

ومثنويته «الحديقة» هي أشهر مؤلفاته وأكثرها انتشاراً ، وقد طبعت طبعة
شرقية جميلة على الحجر في مدينة بمباي سنة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٩م ؛ ومن أجل ذلك
فستقصر حديثنا عليها وعلى الديوان ونخصهما ببعض ملاحظاتنا^(٣) .

مربقة الحديقة :

أهدى سنائي هذا الكتاب إلى «بهرامشاه» سلطان غزنه ، وهو عبارة عن
مثنوية تتصل بالأخلاق أكثر مما تتصل بالتصوف الخالص ، ويبلغ عدد أبياتها أحد
عشر ألف بيت ؛ وقد قسمها الشاعر إلى عشرة فصول أو كتب :

(١) جميع هذه المثنويات موجودة في مخطوطة « مكتبة إدارة الهند » الرقيمة ٣٠٤٦ و٣٠٤٧ ،
وهناك مخطوطات أخرى تشتمل عليها باستثناء المثنوية التي عنوانها «غريب نامہ» . انظر كذلك
نهرست « إتيه » رقم ٩١٤

(٢) المترجم : للديوان جملة طبعات أخرى ، خيرا وأحسنها هي التي نشرها «مدرس رضوى»
في إيران سنة ١٣٢٠ هـ . ش . على نفقة « شركة طبع كتاب » وقد نشرت مثنويات «سنائي»
الأخرى في إيران في تواريخ متفرقة .

(٣) المترجم : كذلك طبع المايجور « ستيفنسون » الجزء الأول من الحديقة مع ترجمته
الإنجليزية في مدينة كلكتا في سنة ١٩١٠م وصدر الكتاب بمقدمات قيمة عن حياة سنائي
وعن النسخ المطوية والمطبوعة من الحديقة .

- الأول : في حمد الله . الثاني : في نعت النبي .
 الثالث : في العقل . الرابع : في المعرفة .
 الخامس : في الإعراض . السادس : في السماوات والبروج .
 السابع : في الفلسفة . الثامن : في العشق .
 التاسع : في أحوال الشاعر . العاشر : في مدح بهرامشاه سلطان غزنه .

وقد نظم الشاعر هذه الثنوية في بحر من محور الشعر الحالية من كل روعة أو جاذبية أو سحر^(١) . والثنوية في رأيي تعتبر من أسقم الكتب الفارسية المملة ، وهي مليئة بالبديهيات الساذجة والحكايات السخيفة^(٢) ، ولا سبيل إلى مقارنتها بما كتبه «جلال الدين الرومي» في «الثنوي» إلا إذا أجزنا لأنفسنا أن نهارن ما كتبه «روبرت منتجومري» في كتابه «الشیطان» بما كتبه «ملتون» في كتابه «الجنة المفقودة» !! ..
 وفيما يلي حكاية من حكايات الحديقة ، تصور لنا أن الإنسان يستحيل عليه أن يدرك الله إلا إدراكاً ناقصاً معيماً ، وهي نموذج طيب من نماذج هذه الثنوية على العموم :

« في جماعة العميان وأحوال القيل^(٣) »

بود شهرى بزرگ در حد غور	واندران شهر مردمان همه کور
پادشاهی بر آن مکان بگذشت	لشکر آورد وخیمه زد بر دشت
داشت پیلی بزرگ با هیبت	از پی جاه وحشمت وصولت
مردمان راز بهر دیدن پیل	آرزو خاست ز آنچنان تهویل
چند کور از میان آن کوران	بر پیل آمدند چون عوران
تا بداند شکل و صورت پیل	هر یکی تازیان دران تمجیل
آمدند وبدست پیسودند	زانکه از چشم بی بصر بودند

(١) الترجم : وزن الثنوية هو (فاعلاتن مفاعان فعلن) وهو وزن الخفيف السدس المثلث المصور ، وأبوها ليست على ترتيب واحد في جميع النسخ .

(٢) لإتصل إلى مستوى ما كتبه بالانجليزية «مارتن توبر» في كتابه «الفلسفة لثالية»

Proverbial Philosophy, by Martin Tupper.

(٣) المترجم : اکتفی «براون» بذكر الترجمة لانجليزية ولکننا لانفائدة نقلنا النص الفارسی .

هر یکی را بپس بر عضوی اطلاع او فتاد بر جزوی
هر یکی صورت محالی بست دل و جان در پی خیالی بست
چون بر اهل شهر باز شدند بر شان دیگران فراز شدند
آرزو کرد هر یکی ز ایشان آنچنان گمراهان و بد کیشان
هیئت و شکل پیل رسیدند و آنچه گفتند جمله بشنیدند
آنکه دستش بسوی گوش رسید دیگری حال پیل ازو پرسید
گفت : شکلیست سهمناک عظیم پهن و صعب و فراخ همچو گلیم
و آنکه دستش رسید ز بی خرطوم کشت است مرا معلوم
راست چون ناودان میانه تهیست سهمناکست و مایه تهیست
و آنکه را بد ز پیل ملموش دست و پای سبطیر پر بوش
گفت : شکش چنانکه مضبوطست راست همچون عمود مخروطست
هر یکی دیده جزوی از اجزا همگان را نظر قتاده خطا
هیچ رادل ز کلی آگه نی علم با هیچ کور همزه نی
جلیگی را خیالهای محال کرده مانند غنقره بجموال
از خدائی خلاق آگه نیست عقلا را درین سخن ره نیست

و معنی هذه الآیات :

- كانت في حدود «الغور»^(۱) مدينة كبيرة ذات خطر .
وكان أهلها جميعاً مكفوفين ... قد حرموا نعمة البصر ... !!
— فر هنده المدينة ملك في جمواله
و ضرب خيامه في واديه ، و أناخ برجاله ... !!
— وكان له فيل كبير الحجم والحنة والهيبة ،
ليدل به على ماله من جاه وحشمة و صولة ... !!

(۱) المترجم : هي جبال وولاية بين هراة و غزنه ، وهي بلاد واسعة موحشة لاتطوى على مدينة كبيرة ، و أكبر ما فيها قلعة يقال لها «فیروز کوه» . (أنظر : معجم البلدان)

- فرغب الناس في رؤية هذا الفيل
وازدادت رغبتهم ، لما سمعوا عنه من تهويل ... !!
- فتقدم جماعة من بين هؤلاء العميان
واقربوا من الفيل يتخبطون في غير آثران ... !!
- ثم هرع كل واحد منهم إلى مكان الفيل ،
لكي يعرف شكله وصورته في سرعة وتعجيل ... !!
- ومدوا جميعهم أيديهم يتحسسون بها جثته
لأنهم كانوا محرومين من البصر ونعمته .. !!
- ولمس كل واحد منهم عضواً من أعضائه
واستطاع بذلك أن يعرف جزءاً من أجزائه ... !!
- وكون كل واحد منهم صورة مستحيلة تصورها
واستقرت في نفس كل منهم أخيلة تخيلها وقدرها ... !!
- فلما عادوا إلى أهل المدينة بعد هذه الزيارة
اجتمع حولهم الباقون . . والتفوا بغرارة ... !!
- وشاء كل واحد من هؤلاء الضالين
أن يسأل عن حقيقة الأمر ... ويستطلع الخبر اليقين ... !!
- فلما سألوهم عن شكل الفيل وهيئته
أخذوا جميعاً يستمعون إلى حديثهم ويصغون له بحمלתه ... !!
- وسأل سائل منهم عن حال الفيل وما له من صورة
وكانت يد السائل قد لمست أذنه الكبيرة ... !!
- فقال . إن الفيل حيوان هائل عظيم الصورة
عريض ، ومتسع ، كأنه السجادة المنشورة ... !!
- أما من لمست يده خرطوم الطويل
فقال : إنني - على اليقين - قد عرفت الفيل . . !!
- إنه مستقيم كالقناة الجوفاء الحالية ... !!
- ولكنه مخيف ، وخطر ، ومصدر كل داهية ... !!

- وأما من لمس من الفيل يديه الغليظتين
أو قدميه الضخمتين المكتنزتين...!!
- فقال : إن شكل الفيل على الوجه الصائب المضبوط
شبيه على التحقيق بالعمود أو المخروط...!!
- وبذلك أدرك كل واحد منهم جزءا من الأجزاء ،
ولكنهم جميعا وقعوا في أشد الأخطاء...!!
- ولم يستطع أن يعرف واحد منهم شكل الفيل في مجموعه
وكذلك لن يدرك الأعمى شيئا من العلم أو فروعه...!!
- ولقد فكروا جميعا في الخيالات المستحيلة الباطلة
وصاروا كالبلهاء عقولهم قاصرة جاهلة...!!
- وكذلك لن يستطيع الخلق معرفة الحقيقة عن الله القدير
ولذلك لا يتحدث عقلاؤهم في هذا الأمر الخطير...!!

* * *

أما ديوان سنائي فيشتمل — في رأبي — على أشعار تفضل أشعار « الحديقة »
وتماز عنها كثيرا بحيث يكاد الفرق بينهما يدفع المرء إلى الشك في كون مؤلفها شاعرا
واحدا ، لولا معرفتي بأن شعراء الفرس قلما يجيدون إلا ضربا واحدا من الشعر
دون سائر ضروبه . وسأكتفي بمثل واحد للتدليل على هذا الرأي ، وهو أن قصائد
« الأنورى » تفوق قصائد « حافظ » بقدر ما تفوق « غزليات حافظ » غزليات
« الأنورى » . وفيما يلي أمثلة اقتطفناها من ديوان « سنائي » وهو ديوان جدير
بالفحص الدقيق والدرس العميق .

يقول في قصيدة مذكورة في الديوان ص ٨٠ من النسخة المطبوعة على الحجر (١)

برگک بی برگگی ننداری لاف درویشی مزن
رخ چو عیاران ننداری جان چو نامردان مکن

(١) الترجم : هذه القصيدة موجودة في ص ٣٧٥ من نسخة إيران سنة ١٣٢٠ هـ . ش
وقد نقلناها عن هذه النسخة .

یا برو همچون زنان رنگی و بوئی پیش گیر
یا چو مردان اندر آی و گوی در میدان فکن
هرچه بینی جز هوا آن دین بود بر جان نشان
هرچه یابی جز خدا آن بت بود درهم شکن
چون دل و جان زیر پایت نطع شد پائی بکوب
چون دو کون اندر دو دست جمع شد دستی بز
سر بر آر از گلشن تحقیق تا در کوی دین
کشتگان زنده بینی انجمن در انجمن
در یکی صف کشتگان بینی به تیغی چون حسین
در دگر صف خستگان بینی بزهری چون حسن
درد دین خود بوالعجب در دیست کاندروى چو شمع
چون شوی بیمار خوشتر گردی از گردن زدن
اندرین میدان که خود را می در اندازد جهود
و ندرین مجلس که بت را می بسوزد برهن

* * *

سالمها باید که تا يك بستك اصلی ز افتاب
لعل گردد در بدخشان یا عقیق اندر یمن
ماهها باید که تا يك پنبه دانه ز آب و خاک
شاهندی را حله گردد یا شهید را کفن
روزها باید که تا يك مشت پشم از پشت میش
زاهدی را خرقة گردد یا حمار را رسن
عمرها باید که تا يك کودکی از روی طبع
عالی گردد نکو یا شاعری شیرین سخن
قرنها باید که تا از مشت آدم نطقه
بو الوفای کرد گردد یا شود ویس قرن

ومعنى هذه الآيات :

- إنك لا تملك القدرة على الاستغناء ، فلا تفخر بأنك درويش كامل ... !!
- ووجهك لا يشابه وجوه العيارين ، فلا تجعل روحك كروح الأراذل ... !!
- فيما أن تذهب كالنساء ، فتعطر بالعطور وتصبغ بالألوان ... !!
- وإما أن تقبل كالرجال ، فتقذف الكرة في الميدان ... !!
- وكل ما تراه — خلاف الهوى — فهو دين ، فثبتته على صفحة روحك واذكره ، وكل ما تدركه — خلاف الله — فهو صنم ، فخطمه وكسره ... !!
- وارقص هنيئاً ... إذا أصبح القلب والروح نطعاً تحت قدميك
- وصفق مرحاً ... إذا اجتمع الكونان في قبضة يديك ... !!
- وارفع رأسك من روضة التحقيق ، حتى ترى في جادة الدين أن القتلى أحياء ، وأنهم صاروا في جموعهم متراصين (١) .
- وسترى في أحد الصفوف قتلى كالحسين ... قتلوا بحد السيف البتار
- وسترى في صف آخر قتلى كالحسن ... قتلوا بفعل السم الغدار ... !!
- وفي دينك عجب عجاب ، فأنت فيه شبيه بالشمع في سيرتك ... !!
- ومتى صرت عليلاً ، فأبما تصح وتطيب ... إذا قطعت رقبتك ... (٢) !!
- وفي هذا الميدان يلقي « اليهودي » بنفسه ووجوده
- وفي هذا المجلس يحرق « البرهمي » صنمه ومعبوده ... !!
-
- وتلزم سنوات كثيرة قبل أن يصبح حجر واحد بفعل الشمس والزمن
- ياقوتا في « بدخشان » ، أو عقيقاً في « اليمن » (٣) ... !!
- وتلزم شهور كثيرة ... قبل أن تصبح بذرة القطن بفعل التراب والماء
- حلة لحساء ، أو كفنًا لواحد من الشهداء ... !!
- وتلزم أيام كثيرة ... قبلما تصبح حفنة صوف من ظهر الأغنام
- خرقه لزاهد ، أو رسناً لجار أو مقوداً للأنعام ... !!

(١) يشير إلى قوله تعالى «ولأحسن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» .

(٢) المترجم : الشمعة إذا قطع فتيلها زاد ضياؤها

(٣) المترجم : الياقوت البدخشي المنسوب إلى «بدخشان» مشهور بجماله وصفائه ، وكذلك

العقيق الجميل يخرج من اليمن .

- وتلزم أعمار طويلة ... قبلما يصبح طفل طيب الطبع ، سليم الوجدان
 عالماً كبيراً أو شاعراً حلوا الكلام والأوزان ... !!
- وتلزم قرون عديدة ... قبلما تصبح نطفة من ظهر آدمي
 « أبا الوفاء الكردي » أو « أويس القرني » (١) ... !!

* * *

وفيا يلي غزلية قصيرة من غزلياته ، نقلها عن صحيفة ١٦٧ من الديوان (٢) :

هر دل كه قرين غم نباشد از عشق بر او رقم نباشد
 من عشق تو اختيار كردم شايد كه مرا درم نباشد
 زيرا كه درم هم از جهانست جانان و جهان بهم نباشد
 تادر دل من نشسته باشي هرگز دل من درم نباشد

ومعناها :

- كل قلب لا يقترن بالعموم والأحزان في حياته
 لا يصلح أن يكون مستقراً للعشق ، يرقم على صفحاته ... !!
- ولقد اخترت عشقك دون غيرك ، ولم أكن مضطراً أو مرغماً
 وماذا يضيرني . . . ؟ إذا أصبحت مفلساً لا أملك درهما . . . !!
- لأن الدرهم يعتبر من متعلقات الدنيا الزائلة
 والحب والدين لا يجتمعان ، وليس على شاكه . . . !!
- وما دمت مستقراً في قلبي ، وما دمت فيه باقياً
 فإن قلبي لن يصبح قاسياً ولن يصير عاتياً . . . !!
- وفيا يلي مثل آخر من غزلياته الغنائية نقلها عن صحيفة ٢٠٦ من الديوان (٣)
- ترا دل دادم ای دلبر شبت خوش باد من رقم
 تو دانی بادل غمخور شبت خوش باد من رقم

(١) أويس القرني صوفي كبير ، مذكورة سيرته في « تذكرة الأولياء » للشيخ فريد الدين العطار ؛ وأبو الوفاء الكردي صوفي أيضاً لم أعثر على ترجمة حياته .

(٢) الترجمة : هذه الغزلية موجودة في ص ٦٢٦ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ ش .

(٣) الترجمة : هذه الغزلية موجودة في ص ٦٧٤ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ ش .

اگر وصلت بگشت از من روا دارم روا دارم
 گرقم هجرت اندر بر شبت خوش باد من رقم
 پردی نور روز و شب بدانت زلف و رخ زیبا
 زهی جادو زهی دلبر شبت خوش باد من رقم
 بچهره اصل ایمانی ، بزلفین مایه کفری
 ز جور هر دو آفتگر شبت خوش باد من رقم
 میان آتش و آیم ازین معنی مرا بینی
 لبان خشک و چشم تر شبت خوش باد من رقم

ومعناها :

— لقد أسلمت لك قلبي أيها الحبيب ، فطب مساءً إني ذاهب
 وأنت تعلم حال قلبي الحزين ، فطب مساءً إني ذاهب
 — وإذا استحال واصلك لي مرة أخرى ، فأنت محق .. وعلني حق
 ولكن دعني في ساعة الفراق أضمك إلى صدري ، وطب مساءً . . . إني ذاهب
 — لقد سلبت بطرتك السوداء ووجهك الوضيء نور النهار وظلام الليل
 فما أبدعك من ساحر ، وما أجملك من فاتن ، وطب مساءً . . . إني ذاهب
 — وأنت بوجهك أصل للايمان . . . ولكنك بطرتيك أصل للكفر
 وكلاهما سبب للبلاء . . . فطب مساءً . . . إني ذاهب
 — وإنك تراني بهذا الوضع بين النار والماء
 شفتاي صاديتان ، وعيناي باكيتان . . . فطب مساءً . . . إني ذاهب . . . !!

* * *

وقد اخترت هذه الأمثلة اعتباطاً وعن غير تعمد ، ولكنها تكشف لنا عن
 روعة وإبداع بالغين ؛ ولا شك أن الأشعار الفارسية مازالت خبيثة في بعض المناجم
 الغنية التي لم تكشف حتى الآن ، ولو اعتنى بها الباحث الجاد لوجدتها غنية بالدرر
 الزاهرة واليوافيت الباهرة

أزرقى :

« أبو بكر » أو « أبوالمحسن الأزرقى » هو ولد « اسماعيل » الوراق الهروى الذى ذكر صاحب « چهار مقاله » عنه (١) ، أن « انفرادوسى » اختفى فى بيته ستة أشهر عندما أثار عليه حق السلطان « محمود الفزنوى ». والفضل فى شهرة « الأزرقى » راجع كما يقول « جامى » و « دولتشاه » إلى مؤلف أدبى (٢) يشك فى نسبه إليه وكذلك إلى رباعية قيلت فى مناسبتها ، وهى الرباعية التى ذكرناها فى الفصل الأول من هذا الكتاب ص ٣٠ ، فقد استطاع بفضل هذين أن يكسب عطف الأمير السلجوقى « طغانشاه » وأن يفوز برعايته وحمايته (٣) .

وقد اشتهر « الأزرقى » بين شعراء عصره بأنه من كتاب القصائد والمدائح . ووضعه « عوفى » (٤) فى المرتبة التالية مباشرة للشاعر « المعزى » الذى يصغر عنه سناً ويكبر عنه شهرة وبعد صيت . والمدائح مهما قيل فى أمرها ، ومن اشتغالها على العرفان بالجميل لمن أشادت بذكركم ، ومن فضلها فى جلب الغنى العريض لمنشئها ، إلا أنها لأسباب واضحة لاتهم الأجيال المتعاقبة بمقدار ما يهجمهم الشعر الذى يمس العواطف الإنسانية عامة ويبقى على الزمان مهما قدم العهنة أو طال العصر . ومن أجل ذلك فقد أصبح « الأزرقى » كما أصبح جماعة آخرون من أشهر منافسيه ، مجرد أسماء لا يعرف عنهم القارىء الفارسى شيئاً ، وبقي ديوانه معدوماً أو نادراً الوجود . وقد خصص « دولتشاه » مقالاً للحديث عن سيرته (٥) ولكنه لم ينقل لنا من سائر أشعاره إلا الرباعية التى سبق لنا الإشارة إليها . أما « عوفى » فقد أورد لنا مجموعة من قصائده الطويلة (٦) ، كما يجد القارىء ،

(١) المترجم : أنظر ص ٤٩ من الأصل الفارسى و ص ٨١ من ترجمة « براون » الإنجليزية
 (٢) المقصود به كتاب « الفيه شلفيه » وقد وصف « عوفى » محتوياته وصفاً كاملاً فى « لباب الألياب » ج ٢ ص ٨٧ كما فعل ذلك أيضاً سائر المؤلفين . وقد أوردت عنوان الكتاب كما ذكر فى سائر النصوص ، ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن صحة تسميته هى « الفيه شلفيه »
 (٣) المترجم : أنظر أيضاً التعاليم التى نشرها محمد بن عبد الوهاب الفزوينى عن الأزرقى فى « چهار مقاله » فهى غنية بالتفاصيل

(٤) أنظر « لباب الألياب » ج ٢ ص ٨٨ (٥) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٨٢

(٦) « لباب الألياب » ج ٢ ص ٨٦-١٠٤

أيضا في كتاب « تاريخ سلاجقه كرمان » تأليف « محمد بن ابراهيم » قصيدة كاملة أنشأها الأزرقى في مدح « اميرانشاه » أحد أمراء هذا الفرع من السلاجقه (١) . ولما لم يكن في أيدينا من مؤلفات « الأزرقى » إلا قصائده ، وهى صعبة الترجمة ، غير مستساغة إذا ترجمت ، فسأخذو حدو « دولتشاه » وأكتفى بهذا القدر عن الأزرقى وانتقل إلى الحديث عن شاعر آخر .

(٢) مسعود شعر سلجقانه

هو « مسعود بن سعد بن سلمان » وهو جدير بالذكور على الخصوص لبعض القصائد العاطفية للبتكرة التى أنشأها عند ما أمر السلطان « ابراهيم الغزنوى » بحجسه فى قلعة « ناي » بتهمة التآمر عليه مع السلطان « ملكشاه » السجوقى . وقد سجل صاحب « چهار مقالة » هذه القصة (٢) وعلق على هذه الأشعار بقوله إنه يحس عند قراءتها « بأن شعره يقف على جسده ، وأن الدموع تجرى فى مآقيه لما اشتملت عليه من فصاحة ورقة . » وأورد مثلين من هذه الحبسيات ، الأول منهما عبارة عن الرباعية التالية (٤) :

در بند تو ای شاه ملكشه بايد تا بند تو پای تاجدارى سايد
آنكس كه ز پشت سعد سلمان آيد گر زهر شود ملك ترا ننگرايد
ومعناها :

— أيها الملك ... إن « ملكشاه » هو الذى يجب أن يرسف فى قيدك
وأن تربط أقدامه فى سلاسل أسرك ... !!

- (١) طبع « هوتسما » ص ١٤-١٦
(٢) بعد كتابة هذه المقالة نشرت فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » عدد أكتوبر سنة ١٩٠٥ م ٦٩٣-٧٤٠ وعدد يناير سنة ١٩٠٦ م ١١-٥١ ترجمة لمقالة نشرها بالفارسية سديق العلامة ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى « عن هذا الشاعر . وإنى أحيل القارىء الجاد إلى هذه المقالة لأنها تكمل ما كتبت ، بل لأنها فى بعض المواضع تصحح ما سطرته .
(٣) أنظر سيرته فى ص ٤٤-٤٦ من الأصل الفارسى وص ٧٢-٧٥ من الترجمة الإنجليزية
(٤) المترجم : لم يذكر « براون » أصل هذه الرباعية الفارسية .

— أما من يأتي من ظهر « سعد بن سلمان » أو سلالته
فلن يؤذى ملكك ... ولو كان سما زعافا برمته ...!!
وأما المثل الثاني فعبارة عن مقطوعة نصها كالآتي (١) :

مقصود شد مصالح کار جهانیان
بر حبس و بند این تن مهجور ناتوان
بر حبس و بند نیز ندارندم استوار
تا گرد من ندارند ده تن نگاهبان
هر ده نسته بر در و بر بام سجن من
با یکدیگر دمام بگویند هر زمان
هان بر جهید زود که جلتگریست او
کز آفتاب پل کند از سایه زردبان
گیرم که ساخته شوم از بهر کارزار
بیرون جهم ز گوشه این سجن تا گهان
با چند کس بر آیم در قلعه گرچه من
شیری شوم معربد و بیلی شوم دمان
پس بی سلاح جنگ چگونه کنم مگر
من سینه را سپر کنم و پشت را کمان
ومعناها :

— لقد اقتصرت مصالح أهل الدنيا من الخاكين
على حبسى وتقيدى ... أنا الضعيف العاجز المسكين ...!!
— وهم لا يثقون في بقاى في الحبس والتقيد
مالم يضعوا حولى عشرات من الحراس، عن قرب وعن بعد ...!!
— كل عشرة منهم يجلسون على باب سجنى أو فوق سطحه ... فى انتباه والتفات
وهم يتصاحبون فيما بينهم فى كل لحظة من اللحظات ...!!

(١) المترجم : لم يذكر « براون » أصل هذه الأبيات بالفارسية ، ولم نجدها فى الأصل
الفارسى لكتاب « چهار مقاله » .

— فيقولون : تنهوا وخذوا حذرکم ، فإنه متحايل ما کر
يصنع الجسور من أشعة الشمس ، ويرفع السلام من ظلها العابر...!!
— فلاقتض أنى وقت في وقت العراك والنزال
واستطعت الفرار فجأة من ركن هذا السجن ، والخلص من الويال !!
— فهل استطيع أن أتصر على هؤلاء الرجال الكثيرين في هذه القلعة الحصينة
ولو كنت أسدا مفترسا ... أو فيلا هائجا قوى الشكيمة ...!!
— وكيف أستطيع أن أحارب بغير آلة أو سلاح ...!؟
وهل أكتفى بأن أجعل صدرى درعاً ، وأن أجعل ظهري قوسا للرمح...!؟
ولم تلن قناه السلطان أو يرق قلبه حتى أدركه الموت ، وظل « مسعود » في
محبسه اثنتي عشرة سنة كاملة .

وفيا بلى قصيدة من قصائده أوردها «دولت شاه» في ص ٤٧ - ٤٨ من كتابه^(١)
چون بديدم بديده تحقيق که جهان منزل فناست کنون
راد مردان نیک محضر را روی در برقع خفاست کنون
آسمان چون حریف نا منصف بر ره عشوه ودغاست کنون
طبع بهار من ز بستر آز شکر یزدان درست خاست کنون
وز عقاقیر خانه توبه نوش داروی صدق خواست کنون
وین زبان جهان خدیو سرای مادم حضرت خداست کنون
لهجه نو نوای خوش زخمه بلبل باغ مصطفاست کنون
عزت جامه وقصب بر من چون فزون شد خرد بکاست کنون
سر آسوده وتن آزاد پنج گز پشم وپنبه راست کنون
مدتی خدمت شما کردم نوبت خدمت خداست کنون
ومعناها :

— عندما رأيت بعين البصيرة والتحقيق
أن العالم أصبح الآن منزلاً للفناء والضيق...!!

(١) المترجم : اکتفى « براون » بإيراد الترجمة وقد رأينا إيراد الأصل أيضاً .

- وأن الرجال الطيبين الكرماء
 قد تسربلت وجوههم في براقع الخفاء والفناء ... !!
- وأن السماء قد أصبحت كالعدو اللدود
 وأن أحكامها الآن سائرة في نفاق وخداع وشروء ... !!
- نهضت سلماً بعد المرض وتركت فراش الحرص والحاجة
 وأخذت الآن في شكر الله في ضراعة ولجاجة ... !!
- وقصدت دار التوبة ؛ وطلبت منها مختلف العقاقير
 لأعالج بها الصدق ، وأتمس بها باب «الحق» الكبير ... !!
- فبدلت هذا اللسان الذي كان يمدح الملوك والسلاطين
 وأصبحت الآن أقصر مدحى على رب العالمين ... !!
- وتجددت لهجة مدحى ، وأصبحت تعتمه جديدة ذائعة
 وأصبح لسانى بلبلا مغردا في حديقة النبي الراجعة ... !!
- ومقى زادت الملابس الزاهية الموشاة بالذهب
 قل العقل ، ونضب معينه وذهب ... !!
- فالرجل الحر صاحب الهناء والسعادة
 تكفيه خمسة أذرع من الصوف أو القطن في العادة ... !!
- ولقد خدمتكم «أيها الملوك» مدة طويلة مديدة
 فلتكن نوبتي الآن في خدمة الله ذى المنن العديدة ... !!

* * *

ويضيف «دولتشاه» على ذلك أن «مسعود بن سعد» كان من أهالي «جرجان» كما أن «إتيه» يرى أن أباه «سعدا» كان في خدمة الأمراء الزياريين في هذه الولاية . ويقول دولتشاه : إن الأكابر والفضلاء لهم رأى عال في أشعار مسعود ، حتى أن «فلكى الشروانى» عندما أراد أن يفخر بتبريزه في قول الشعر قارن نفسه بمسعود فقال (١) :

(١) الترجمة : هذا هونس البيت بالفارسية وفقاً لما ورد في «تذكرة الشعراء» ص ٤٧

گر این طرز سخن در شاعری مسعود را بودی
بجان صد آفرین کردی روان سعد سلمانش

ومعناه

— لو كان لمسعود من المهارة في الشعر ما لكلامي من حسن البيان
لتهضت روح أبيه «سعد بن سلمان» وقالت له: أحسنت كل الإحسان...!!
والمعروف أن وفاة «مسعود» حدثت في سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م أو في سنة
٥٢٦ هـ = ١١٣١ م وهذا التاريخ الأخير هو أقرب التاريخين احتمالاً وصحة.

أبو طاهر الخاتوني:

شهرة «أبي طاهر الخاتوني» تنحصر أساساً في كونه المؤلف الذي ألف أقدم
كتاب ، وصل خبره إلينا ، في تراجم شعراء الفرس ؛ ومن سوء الحظ أن هذا
الكتاب مفقود ولم يعثر عليه أحد حتى الآن (١) ولاكن «دولت شاه» أشار إليه في
موضوعين (٢) وذكّر صراحة أنه نقل عنه خبرين من أخباره . ومن العجيب أنه لو
صح أنه كان حقيقة في حوزته ، لما اقتصرت استفادته منه على هذا القدر البسيط
ولأكثر من النقل عنه ؛ وهذا يدعوني إلى الظن بأنه لم يكن ينقل عنه مباشرة بل
بطريق كتاب آخر نقل عنه مباشرة . وقد ذكره «حاجي خليفة» في موسوعته
كشرف الظنون (٣) وذكّر أن المصنف مكتوب بالفارسية ، ولكنه نسي أن يذكر
إن تاريخ وفاة مؤلفه ، وربما استعصى عليه أن يكشف عن هذا التاريخ ، فأهمله إهمالاً ،
وقد ورد ذكر «الخاتوني» أيضاً في جملة مواضع من كتاب البنداري «تاريخ السلاجقة»
وهو يخبرنا (٤) بأن «الخاتوني» أنشأ هجويه في واحد من وزراء السلطان «محمد

(١) المترجم : يقصد به «مناقب الشعراء» وقد أخبرني في سنة ١٩٤٩ أحد الأساتذة
الأثراك وهو الأستاذ قاسم أستاذ التصوف في المعهد الإسلامي بتيكا أن أحد أساتذة جامعة
استانبول عثر على نسخة هذا الكتاب وأنه عازم على طبعه
(٢) أنظر «ندكرة الشعراء» ص ٢٩ ، ٥٨
(٣) أنظر طبعة «فلوجل» ج ٦ ص ١٥٢ ، رقم ١٣٠٢٦
(٤) أنظر طبعة «هوتسما» ص ٨٩ ، ١٠٨-١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣

ابن ملكشاه» جعلها بعنوان «تنزير الوزير الزير الخنزير» وأنه كان يعتبر من أفاضل رجال عصرة ، ومن الكتاب الممتازين المتفنين (١) وقد أورد كذلك طائفة من هجوياته المنظومة ، ولكنه للأسف لم ينقلها بأصلها الفارسي بل اكتفى بذكر ترجمتها إلى العربية .

وقد عاش «الخاتوني» حوالي سنة ٥٠٠ هـ أو في بداية القرن الثاني عشر الميلادي ويبدو لي أنه تخلص باسم «الخاتوني» نسبة إلى زوجة السلطان السهامة «جوهرة خاتون» لأنه كان ملتحقاً بمخدمتها . وقد ورد بيت من أبياته الفارسية في كتاب «لفت فرس» تأليف أسدي . ولكن طابع هذا الكتاب وهو «بول هورن» أخطأ في تسميته ، فاسماه «الخاتوني» بدل «الخاتوني» وهو خطأ في الحقيقة لا يغتفر (٢)!! وأكبر مجموعة من أشعار «الخاتوني» موجودة فيما أعرف في الكتاب الفارسي النادر الذي وضعه «شمس قيس» في الشعر وأوزانه (٣) كما إن «الخاتوني» مذكور أيضاً في كتاب الرواندي «راحة الصدور» حيث ورد ذكره على أنه كان يتولى قيد الصيد الذي يصيده «ملكشاه» (انظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٥٩٨)

وبالرجوع إلى أقدم المصادر يتضح لنا جلياً أن «الخاتوني» كان سبرزاً في طائفة من الأمور ؛ ولكن من العجب أن الكتب التأخره لاتذكره إلا قليلاً . وليس هناك من شك في أن ضياع كتابه «مناقب الشعراء» يعتبر من الكوارث الأدبية المحزنة . وينقل لنا أيضاً «راحة الصدور» مقطوعة للخاتوني في بيتين ، هجابهما الوزير «مجد الملك القمي» وذكرا فيهما ما أمتاز به من لؤم وبخل (٤) .

(١) أورد «رضا قليخان» طائفة من أرقامه في كتابه «معجم الفصحاء» ج ١ ص ٦٦ ، ويستفاد مما كتبه «رضا قليخان» عنه أنه كتب أيضاً في تاريخ السلاجقة . وربما كان المقصود بما كتبه هو كتاب «تاريخ السلاجقة» الذي أشار إليه «دولتشاه»

(٢) أنظر ص ٢٣ من المقدمة وكذلك ص ٣١

(٣) المترجم : يقصد به كتاب «المعجم في معايير أرقام المعجم» وقد طبع ضمن «سلسلة جب الذكريات» . سنة ١٩٠٩م

(٤) أنظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٠

الأمير «معزى» هو شاعر السلطان «سنجر» ؛ ولكنه استطاع قبل ذلك في أيام السلطان «ملكشاه» أن يفوز بشهرة عريضة في قول الشعر ؛ وقد استمد تخلصه الذى عرف به من أحد ألقاب هذا السلطان وهو «معز الدين» كما أخبرنا بذلك هو نفسه في إحدى الحكايات المروية في كتاب «چهار مقاله» وقد ذكرناها برمتها في الفصل الأول من كتابنا هذا .^(١) ويصفه صاحب «چهار مقاله» بأنه من أعذب شعراء الفرس فولاً وأجملهم إنشادا ، وأن شعره قد بلغ أوج الروعة والجمال وامتاز بالفصاحة وشدة الأسر . كما أن عوفى يقول في كتابه «باب الألباب»^(٢) : «إن ثلاثة من الشعراء استطاعوا في ثلاث دول متوالية أن يبتغوا مراتب العز والإقبال بحيث لم يتيسر ذلك لغيرهم ، فأما الأول فالشاعر «رودكى» في عهد السامانيين ؛ وأما الثانى فهو «عنصرى» في عهد الغزنويين ؛ وأما الثالث فالشاعر «المعزى» في عهد السلاجقة .»

ولكن نهاية «المعزى» كانت مفاجئة وحزينة ؛ فقد قتله سهم انفلت خطأ من من قوس «سنجر» عندما كان يقوم بالرماية . وقد اشتهرت هذه الحكاية عن مقتله ؛ ولكن هناك رواية أخرى تقرر أنه لم يقتل بل أصابه جرح ، لم يلبث أن شفى منه . ويروى «رضا قليخان» في «معجم الفصحاء»^(٣) بيتا يستشهد به على صحة هذا الرأى ، لو صحت نسبته إلى المعزى ، لدل على غير شك على صحة ما ذهب إليه قليخان ؛ وهذا البيت هو :

منت خدای را که بتیر خدایگان من بنده یگناه نشدم کشته رایگان

ومعناه :

— الله لله ذى الفضل والإحسان

إني ، أنا العبد البريء ، لم يهدر دمي سهم السلطان . . . ١١

(١) أنظر ص ٤٩ — ٥٠

(٢) أنظر ج ٢ ص ٦٩

(٣) أنظر ج ١ ص ٥٧١

ويذكر هذا الكتاب أن وفاة « المعزى » حدثت في سنة ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م
ثم يورد بعض الأشعار التي رثاها بها الشاعر « سنائي » . كما يقرر أن « المعزى » كان
تلو « الفرخى » في الغزليات ، وتلو « العنصرى » في القصائد . وفيما يلي مقطوعة
تهنئ مثلًا لغزلياته (١) :

روى او ماهست اكر بر ماه مشك افشان بود
قد او سروسر اكر بر سرو لالستان بود
كر روا باشد كه لالستان بود بر زاد سرو
بر مه رویش روا باشد كه مشك افشان بود
دل چو گوى وپشت چون چوكان بود عشاق را
تا زغذائش چو گوى وزلف چون چوكان بود
گر ز دو هاروت او دلها بدرد آيد همى
درد دلها را ز دو ياقوت او درمان بود

ومعناها

- وجهها هو القمر . لو أمكن أن تنتشر فوق القمر غلالة من المسك سوداء...!!
وقدها هو السرو.. لو أمكن أن يزهر السرو زهرات الشقائق الحمراء...!! (٢)
— ولو صح للسرو أن يزهر زهرات الشقائق الحمراء
لصح للمسك أن ينتشر فوق وجهها القمري ذى البهاء...!!
— وقلوب العشاق كأنها الكرات المتدرجة ، وظهورهم كأنها الصواالج للقوس
منذ استدارت ذقتها كالكرة ، وتقوست طرفتها كالصولجان .
— وإذا ابتليت القلوب ، فأصابها السقم بفعل عينها الساحرتين ؛
فإن شفاءها مضمون في شفيتها الياقوتيتين...!!

وعندما يشير « عوفى » إلى أن (٢) « طفل البلاغة وصل إلى حد البلوغ على يدي

(١) المترجم : اكتفى « براون » بإيراد ترجمة الآيات الأربعة الأولى من هذه الغزلية وهي
الآيات التي قلناها أعلاه . ولكن الغزلية برمتها تقتل على سبعة آيات كما هي مذكورة
في « باب الألباب » ج ٢ ص ٧٢
(٢) نفس المترجم ص ٦٩ .

المعزى « فإنه ربما يقصد بذلك أننا نجد في أشعاره سائر أنواع التشبيهات الأصيلة المبتكرة التي أصبحت فيما بعد مبتذلة ومألوفة لدى سائر من يدرس الأشعار الفارسية . ولو نظرنا إلى الأبيات الأربعة التي نقلناها آنفاً لوجدناها مليئة بالتشبيهات العادية المألوفة التي تشبه الوجه الجميل بالقمر المنير ، وخصلات الشعر السوداء المعطرة بالمسك الأذقر الذكي (١) ، والقامة المديدة بشجرة السرو المعتدلة ، والحدود الحمراء بزهرة الشقائق القانية ، والذقن والقلب بالكرة ، والظهر الذي قومه أفعال السنين والهموم بالصولجان الذي يقذف الكرة ، والشفاه باليواقيت ، والعيون الساحرة بـ «هاروت» ذلك الملاك الحاطيء الذي يعلم الناس السحر ، إذا سحوا إليه في الجب الذي يجبس فيه مدينة «بابل» .

وفيما يلي غزلية أخرى من غزليات المعزى (٢) :

تا دلم عاشق آن لعل شكر بار بود

ديده من صدف لؤلؤ شهوار بود

صدف لؤلؤ شهوار بود ديدنه آنك

دل او عاشق آن لعل شكر بار بود

نخاد ناوك آن زگس خون خوار دلم

تا سلاح دلم آن زلف زره دار بود

ای نگارنده نگاری که ز تو مجلس من

گه چو کشمیر بود گاه چو فرخار بود

گر گنه کار نشد زلف تو بر عارض تو

چون پسندی که همه سال نگونسار بود

ورگنه کرد چرا یافت بخلد اندر جای

خلد آراسته کی جای گناه کار بود

(١) المترجم : يشبه الشاعر شعر الحبيبة بالمسك الأسود ذي الرائحة الطيبة ، كما يشبه وجه الحبيبة بزهرات الشقائق الحمراء .

(٢) المترجم : نقلنا الأصل الفارسي عن « باب الألباب » ج ٢ ص ٧٣

ومعناها :

- منذ أصبح قلبي عاشقا لشفتك الحلوة الحمراء ...
وقد أصبحت جفوني أصدافاً للدر الثمين اللاألاء...!!
- ومن الحق أن تصبح عين العاشق مليئة بالدرر الغالية
مادام قلبه يتعشق هذه الشفاه الحلوة القانية ...!!
- ولن تستطيع سهام عينك العطشى إلى الدماء
أن تحترق قلبي ، مادامت طرتك هي الدرغ والسلاح والوقاء...!!
- ويا أيتها الدمية الجميلة .. لقد أصبح مجلبي بحضورك شديد البهاء
وكأنه مليء بحسان « كشمير » أو غانيات « فرخار » صاحبات الرواء (١)...!!
- ولو لم تصبح طرتك جانية على وجنتيك
لما قبلت أن تتدلى طوال السنة مقلوبة الرأس على خديك ...!!
- وإذا صح أنها أذنبت .. فلماذا تستقر في جنة الخلد العالية
وهل يعقل أن تصبح جنة الخلد البهيجة مستقراً لأصحاب الآثام النائية ...!!
- وهنا أيضاً نجد عنقدا متصل الحلقات من التشبيهات العادية التي تعارفوا عليها في
الشعر الفارسي الغزلي . فالعين الباكية هي الصدفة التي تجود بالآلىء والدرر ؛ والشفاه
الحلوة الحمراء هي اليواقيت التي تنضج بالسكر ؛ والعين رجسة توصف بأنها ظمأى إلى
الدماء لأنها تجرح بسهامها قلوب العشاق وتدميها ؛ والشعر المجذول يشبه بالسلاسل
والدروع ؛ والمحبوبة هي الدمية الجميلة التي تفوق في جمالها تصاوير « ماني » التركستانيه
ودعى المعابد الهندية ...!! أما وجه المعشوقة فهو جنة الخلد الموعودة ...!!

ولن يدهشني بعد ذلك كله أن أقرر أن سأثر التشبيهات التي استعملها في عصور
متأخرة شعراء الحب في غرب آسيا ، إنما هي من إنتاج « العزى » فقد أبداع الكثرة
البالغة منها ، وكان له الفضل الأول في تقريرها واستعمالها . وإذا صح هذا الرأي
أمكن - إلى حد ما - تحليل السبب الذي من أجله نال « العزى » هذه الشهرة
العريضة في بلاده . ولولا ذلك لما أمكننا وقد اعتدنا قراءة أشعار « حافظ » وغيره

(١) المترجم : كشمير وفرخار بلدان اشتهرا بجبال من بهمان النساء .

من الشعراء المتأخرين أن نعتبر « المعزى » ضمن الناهيين البدعيين من الشعراء ، مالم تُذكر دائماً هذه الفترة المبكرة التي عاش فيها . فلنتركه الإن ولننتقل إلى شاعر آخر ممن ذكرناهم في هذا الفصل وهو رشيد الدين الوطواط .

رشيد الدين الوطواط :

« رشيد وطواط » أو « رشيد الدين الوطواط » هو « محمد بن عبد الجليل العمزى » . سمي بالعمري لا تتسابه إلى الخليفة « عمر » . وكان يشتغل بالكتابة ومن أجل ذلك فإنه يلقب غالباً بالكتاب . وقد ألفت بالإضافة إلى أشعاره طائفة من الكتب المنثورة ، أهمها الكتب الآتية :

١ - صد كله : أو الكلمات المائة من أقوال الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد شرحها وفسرها باللغة الفارسية (١) .

٢ - حدائق السحر : وهو كتاب شهير جداً في البلاغة الفارسية والشعر الفارسي وقد اعتمد في وضعه فيما اعتقد على كتاب « الفرخى » المفقود « ترجمان البلاغة » . وقد طبع على الحجر في إيران ويعتبر من أهم الكتب الجملة في علوم الشعر الفارسية (٢) .

وقد لقبوه بـ « الوطواط » لفضالة جسمه وهزال بنيته ، ولكن « دولتشاه » ، يذكر لنا أنه كان حاد اللسان قوى البيان ، فتتج عن ذلك أن كثر أعداؤه وازداد خصومه . ويروى لنا هذا المؤرخ أن « الوطواط » كان ذات مرة يتناقش في مجلس من المجالس في حضرة مليكة وراعيه « أتسر خوارز مشاه » وقد وضعوا بالمصادفة

(١) المترجم : لهذا الكتاب تسهيلات أخريان هما : « ثمر الآلى من كلام أمير المؤمنين على » أو « مطلوب كل طالب من كلام على بن أبى طالب » وقد طبع هذا الكتاب في ليدج سنة ١٨٣٧م وفي طهران سنة ١٣٠٤هـ .

(٢) المترجم : نشر هذا الكتاب في السنوات الأخيرة الأستاذ عباس إقبال وقدّم عليه بمقدمات طويلة مفيدة عن حياة الوطواط ومؤلفاته . وقد طبعه بمطبعة المجلس في طهران سنة ١٣٠٨ الهجرية الشمسية . وقد نقلته عن هذه النسخة إلى اللغة العربية وطبعته بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في سنة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م .

عجبة أمامه ، فلما اشتد النقاش أعجب « أتسز » بهذه السيل المنهمر من الكلمات التي تخرج من شخصه الضئيل ، فأمر رجاله بأن يرفعوا الدواة حتى يستطيع رؤية الشخص الذي يتحدث من ورأها . فلما سمع ذلك « رشيد الدين الوطواط » أسرع بالهوض وقال على البديهة : « المرء بأصغريه قلبه وإسانه » . ثم يقول « دولتشاه » إن « الوطواط » قد عاش طويلا ، وإنه مات في « خوارزم » أو « خيوه » في سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ^(١) وأما ولي نعمته « أتسز » فقد مات في سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ وقد بكاه الوطواط بدمع سخين ، وورثاه بالرباعية التالية : ^(٢)

شاهها فلك از سياستت مينارزيد پيش تو بطوع بندگي ميورزيد
صاحب نظري بکاست تا در نگرده تا آن همه سلطنت بدین می ارزید
ومعناها :

- أيها الملك . . . لقد كان الفلك يرتعد لشدة قهرك . . .
- وكان يتقاد لك طواعية ، ويستجيب لأمرك . . . !!
- فأين واحد من أصحاب النظر . . . لي نظر في خبرك
- وهل كان كل هذا الملك ليساوي هذه الهابة عندما غيبوك في قبرك . . . !!

وبعد هذه الحادثة بسبع عشرة سنة ، أي في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م تولى عرش خوارزم ال « سلطان شاه محمود » حفيد « أتسز » وشاء أن يرى هذا الشاعر العجوز المريض ، فحمله إليه في محفة ، فلما مثل بين يديه أنشأ له على البديهة الرباعية التالية : ^(٣)

جده ورق زمانه از ظلم بشت عدل پدرت شکستگی کرد درست
ای بر تو قبای سلطنت آمده چست هان تا چه کنی کد نوبت دولت تست
ومعناها :

إن جدهك قد غسل صحائف الزمان من المظالم والشورور

(١) المترجم : يرى الأستاذ « عباس إقبال » أن الوطواط توفي سنة ٥٧٣ هـ

(٢) المترجم : قلنا هذه الرباعية عن « تذكرة الشعراء » ص ٩١

(٣) المترجم : قلنا هذه الرباعية عن « تذكرة الشعراء » ص ٨١ وقد ذكرها « عباس إقبال » كذلك في مقدمته .

— وأقام أبوك بعد له ما اعوج من الأمور .

— فيا من يزهو بك رداء الملك والسلطان

— تنبه ، وتبين ما أنت فاعل ... فهذه نوبتك من الزمان ١١٠٠

وقد ورد قدر كبير من الأخبار المتصلة برشيد الدين الوطواط في كتاب لم يطبع بعد عن تاريخ المقول (١) هو كتاب «الجويني» المعروف باسم «تاريخ جهانگشا» وخصوصا في الجزء الثاني منه المتعلق بتاريخ ملوك خوارزم . ففي بداية هذا الجزء ، وبعد الفصل الذي كتبه صاحبه عن هزيمة «سنجر» في معركته مع جيوش «الخطا» وغارة «أتسز» على مدينة مرو في سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م نجد خطا بطويلا بالعربية كتبه الوطواط إلى شخص يسمى بالـ «حكيم حسن القطان» يبدو أنه اتهمه بنهب كتبه التي ضاعت أثناء هذه الغارة على مدينة مرو . وقد دافع «رشيد الدين» عن نفسه في هذا الخطاب دفاعا قويا ، وأنكر هذه التهمة الكريهة الباطلة وقال : «وها أنا أتأني الله من الوجه الخلال قريبا من ألف مجلدة من الكتب النفيسة والدفاتر الشريفة ، وأنا وقفت السكل على خزان الكتب المبنية في بلاد الإسلام عمرها الله تعالى ليتفع المسلمون بها . ومن كانت عقيدته هذه ، كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم أنفق جميع عمره حتى حصل أويراقا يسيرة ، لويبت في الأسواق مع أجداد أديم ما أحضرت بثمنها مائة لثيم ١١٠٠» (٢) ثم يتلو ذلك وصف لحصار قصبه «هزاراسف» وكيف أمر «أتسز» بإعدام «أديب صابر» وكيف نجح «الوطواط» بمجهود النفس من غضب «سنجر» بسبب أشعاره التي قالها في هذه المناسبة ، وقد سبق لنا ذكرها في موضع آخر . فإذا تقدمنا بعد ذلك بضع صفحات من الكتاب علمنا أن الوطواط وصاحبه «كالم الدين بن أرسلان خان محمود» حاكم «جند» قد تسبوا في سنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م في إغضب «أتسز» فأمر «أتسز» بطرد «الوطواط» من خدمته ، ولكنه استطاع بعد ذلك أن يستعطفه بطائفة من القوائد

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب برهته في ثلاثة أجزاء ضمن «سلسلة جب التذكارية» صدر الأول منها سنة ١٩١٢ والثاني سنة ١٩١٦ والثالث قبيل الحرب العالمية الأخيرة .
(٢) المترجم : نقلت هذه العبارات عن «تاريخ جهانگشا» ج ٢ ص ٦ - ٧

والمقطعات حتى نال عفوه . وقد أورد « الجويني » فيما أورد من هذه الأشعار المقطوعة التالية (١) :

سى سال شد كه بنده بصف، نعال در
بودست مدح خوان وتو بر تخت مدح خواه
داند خدای عرش كه هرگز نايستاد
چون بنده مدح خوانی در هيچ بارگاه
اكنون دلت ز بنده سى ساله شد ملول
در دل بطول مدت يابد ملال راه
ليكن مثل زنتد چو مخدوم شد ملول
جويد گناه وبنده بيچاره بي گناه

ومعنى هذه الأبيات :

- لقد مضت ثلاثون سنة منذ وقفت بالباب في صف النعال ، (٢)
- وكنت مداحا للملك ، وكان الملك على عرشه راغبا في مدحي
- وإله العرش يعلم وحده ، أن أحدا مثلي
- لم يقف مادحا في قصر من القصور . . . ١١
- ولكن قلبك الآن أصبح متعبا من خادمك الذي أمضى في خدمتك ثلاثين عاما ،
- ولا شك أن اللئيم يتطرق إلى القلوب بطول المدة والملازمة . . . ١١
- وقد ضربوا الأمثال فقالوا : « عندما يمل المخدوم ، يبحث لخدمته عن ذنب
- أو جريرة ، بينما يكون الخادم المسكين نقي الطوية والسريرة . . . ١١ »

(١) التتبع : أنظر « تاريخ جهانگشا » ج ٢ ص ١١
(٢) يبدو من ذكر الثلاثين سنة أن « الوطواط » التحق بخدمة ملوك خوارزم سنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م وقد رأينا أنه كان في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م رجلا مسلما مريضاً . كما أت « دولتشاه » ذكر إنه توفي في سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ويقول « الجويني » إن « الوطواط » كان قد جاوز الثمانين من عمره في سنة ٥٦٨ هـ وعلى ذلك يكون مولده حوالى سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م . ولا أعرف المصدر الذي اعتمد عليه « بروكلمان » ليقرر في كتابه « تاريخ الأدب العربية » أن الوطواط مات سنة ٥٠٩ هـ .

ويقول « دولتشاه » إن ديوان « الوطواط » يشتمل على خمسة عشر ألف بيت من الشعر كلها مصنوعة ومليئة بالصناعات البلاغية والبديعية . وقد كان مغرماً على الخصوص بصناعة « الترصيع » فادعى أن أحدا غيره لم يسبقه بين شعراء الفارسية أو العربية إلى إنشاء قصيدة كاملة ، دخلها الترصيع في سائر أبياتها . أما قصائده فتمتاز عامة بأنها من نوع الفخریات والمبالغات التي اعتادها شعراء المدح في هذا الوقت ، ولا يستطيع أحد أن يقول إن شهرته الخالدة ترجع إلى هذه القصائد ، وإنما مرجعها الأول والأخير إلى كتابه « حدائق السحر » وإلى جملة من الأبيات التي نسر لنا بعض الوقائع التاريخية كما ذكرنا ذلك من قبل .

أديب صابر :

من بين خسوم « رشيد الدين الوطواط » كان الشاعر التاسع « أديب صابر » وقد ذكرنا نهايته الفجعة فيما سبق لنا من قول حينما أمر « أتسز » بإغراقه في نهر جيحون في شهر جمادى الأولى سنة ٥٤٢ هـ = أكتوبر سنة ١١٤٧ م أو كما يقول « دولتشاه » في سنة ٥٤٦ هـ .

وقد ذكر « دولتشاه » أن هذين الشاعرين تهاجيا بهجويات وضعية ، بلغت منتهى الحسة والتسفل بحيث لم يسمح لنفسه أن يوردها في كتابه (١) . وكان لكل منهما مصجوه فكان « الأنورى » و « الخاقانى » من أشهر المعجبين بالأديب صابر ؛ بل كان « الأنورى » يفضله على الشاعر « سنائى » الذى يرجحه في بعد الصيت والاشتهار ، فهو يقول (٢) :

چون سنائى هستم آخر گر نه همنچون صابرم

ومعناه :

— أنا على كل حال شبيه بسنائى ولكنى لست شبيها بصابر

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٩٢

(٢) أنظر « لباب الألباب » لمحمد عوفى ج ٢ ص ١١٧

ولا يعرف من حياة «الأديب صابر» إلا قليل من الأخبار التي تتضمنها أشعاره . وقد كان من أهل مدينة «ترمز» ولكن «دولت‌شاه» يذكر لنا أنه أمضى أكثر حياته في خراسان وخاصة في مدينة «مرو». وفيما يلي بيتان من الشعر نقلهما «عوفي» في كتابه اللباب ، أنشأها «الأديب صابر» بمناسبة موت أحد أمراء «ترمز» الظالمين المسمى «أخطى» حينما كان يستقي الخمر ، فانتقل كما يقول «عوفي» في تعبيره الرشيقي «بطريق الشراب إلى نار العذاب... ١١» وهذان البيتان يدلان على أن هذا الشاعر لم يحرم بلده من نتائج مواهبه وثمرات قريحته فهو يقول (١) :

روز می خوردن بدوزخ رفتی ای اخطی ز برم
صد هزاران آفرین بر روز می خوردنت باد
تا تو رفتی عالمی از رفتن تو زنده شد
گرچه أهل لعنتی رحمت برین مردنت باد
ومعناها :

— لقد انتقلت في يوم الشراب .. يا «أخطى» ..! من مجلس النادمة إلى نار
السعير ...! فوافرحته .. وطوبى لهذا اليوم الجدير بالتقدير ... !!
— فمنذ ذهبت ... أصبح العالم بعد ذهابك في عيش نضير .

وأنت جدير باللعة ... ولكن يوم مماتك جدير بالرحمة والتقدير .. !!
وكان «الأديب صابر» يلقب بشهاب الدين ، ولا شك أنه ظل فترة من الزمان في علاقات طيبة مع «آنسن» بدليل هذه القصائد التي يمدحه فيها ، ثم ساءت العلاقات بينهما حتى انتهى الأمر بقتله على يديه . ويبدو كذلك أنه كان متصلا بجملة من الشعراء المعاصرين بالإضافة إلى «الوطواط» فكتاب «لباب الألباب» ينقل لنا طائفة من أشعاره قالها في مدح الشاعرين «عمادي» و «فتوحى» كما ينقل لنا مقطوعة قالها في ذم الشاعر «شمالي» . وفيما يلي مقطوعة من ثلاثة أبيات، كتبها الأديب صابر إلى رجل من ذوى النفوذ ، هجاه جماعة من الظرفاء بهجوية نسبوها إليه فكتب إليه معذرا : (٢) .

(١) نفس المرجع ص ١٢٣

(٢) المرجع : نقلنا هذه الأبيات عن كتاب «لباب الألباب» ج ٢ ص ١٣٤

گفتند که کرده، نکوهش آن را که ستوده، جهانست
 واین فعل نه فعل این ضمیرست واین قول نه قول این زبانست
 این قصد کدام زن بمرست واین فعل کدام قلتبانست

ومعناها :

— لقد قالوا : إنك هجوت من هو حقيق بمدايح العالمين ... ۱۱.

— وفي الحق ... إن هذه الفعلة ليست من أفعالي ولا هذا القول من أقوالى...!!

— ويا ليتنى أعلم أى زانية قالت هذا القول أو أى قواد فعل هذه الفعلة ...!!

ومما يؤسف له أن هذا الأسلوب العنيف شائع على الخصوص بين شعراء القصور
 فى إيران ، ولكننا لا نستطيع أن تقدم للقارىء الأوروبى إلا أल्प أمثلته وأقلها
 عنفا وفسادا . ويبدو لى أن الأمراء المعاصرين كانوا يعملون مثل هذه الأقوال المنبثقة
 من فورات الغضب والغليظ موضوعا لكثير من متعهم وتسليةهم ، بل إنهم فى بعض
 الأحيان كانوا يعرضون عليها تحريضا ، كما يتبين لنا ذلك من الحكاية المروية فى
 كتاب « چهار مقاله » عن شاعرین معاصرين هما « عمق البخارى » و « الرشيدى »
 ؛ وأولهما كان شاعرا لـ « خضر خان » أحد أمراء الـ « ايلك خانين » فى ما وراء النهر
 وتركستان . يقول صاحب « چهار مقاله » :

« إن هذا الأمير كان محبا للشعراء ، وقد التحق بخدمته الأمير عمق ، والأستاذ »

« رشيدى ، و نجار ساغرجى ، و على بانيدى و بشر درغوش و بشر الاسفراينى (۱) »

« و على سهرى و نجيبى فرغانى ، فنالوا منه الصلات العالية والتشريفات الزاهية . وكان »

« الأمير عمق هو أمير الشعراء فى هذه الدولة فنال من أمرائها حظا موفورا و نعاما سائغا »

« كان فى عدادها الغلمان الأتراك و الجوارى المليحات و الجياد الصافيات و السرج »

« الموشاة بالذهب و الأوانى الفاحرة و الأموال الطائلة و العقارات الوافرة . وكان »

« عظيم الاحترام فى مجلس الملك مما اضطر سائر الشعراء إلى القيام على خدمته . »

(۱) المترجم : علق الأستاذ براون فى الهامش بأنه يفضل كتابة هذين الاسمين بلفظ « بشر »
 بدل « پسر » الفارسية بمعنى « ابن » ولذا وجب التنبيه ، لأن الأصل الفارسى يدكر كلمة « پسر »

« وكان يطعم في أن يعامله الأستاذ رشيدى بمثل ما كان يلقاه من غيره من الشعراء ، ولكن ظنه لم يتحقق ، لأن رشيدى كان حديث السن غير أنه كان عالما بصناعة الشعر ؛ وكان يقوم على مدح الست زينب حتى أصبح على المنزلة فى حريم خضر خان ، وكانت هذة السيدة أثيره لدى الملك فأخذت تمدح رشيدى وتعترف بفضله حتى علا أمره ، وظفر بلقب «سيد الشعراء» ، وأخذ الملك يحسن الظن به حتى وصله بالصلوات العزيزة الغالية . وفى يوم من الأيام غاب رشيدى فسأل الملك عمحق : كيف ترى شعر عبد السيد الرشيدى ؟ فقال : إنه شعر طيب منقح ومتقى . . . ولكن يلزمه قدر من الملح . ثم لم تلبث أن انقضت أيام قليلة حتى عاد رشيدى والتحق بخدمة الملك ، فلما هم بالجلوس ناداه الملك وقال له كما هي عادة الملوك عندما يضربون الواحد من رعيهم بالآخر : إننى سألت أمير الشعراء عن شعرك فقال إنه شعر طيب ولكنه خال من الملح ، فيجب عليك أن تقول فى هذا المعنى بعض الأبيات ، فأنحنى رشيدى إجلالاً ثم جلس فى مكانه وقال على البديهة : « — لقد عبت أشعاري ، وقلت أنها خالية من الملح ، ويجوز أن يكون ذلك حقاً . . !! » « — لأن شعري شبيه بالسكر والشهد ، ولا يستطاب الملح مع هذين الشيتين الحلوين » « — أما شعرك فهو اللفت والباقلاء ، ولذا يلزمه الملح . . أيها القواد الحاسر (٢) . . !! »

وقد سر «خضر خان» سرورا بالقاب هذه الأبيات العابثة الساخرة ، بحيث إنه منح «رشيدى» - كما يقول صاحب «چهار مقاله» - ألف دينار من الذهب تقبلت إليه فى مجلس الملك فى أربعة أطباق كما جرت بذلك العادة المتبعة لدى أمراء ماوراء النهر والتركستان .

(٢) الترجيم : فيدا بلى أصل هذه الأبيات بالفارسية :

شعر هاى مرا به بنى نمكى	غيب كردى روا بود شايد
شعر من همجو شكر وشهدست	وندرين دو نمك نكو نايد
شلفم وباقليست گفته تو	نمك اى قلتان ترا بايد

نظامي عروضي سمرقندي :

آن لنا الآن أن نفصل الحديث بعض الشيء عن صاحب كتاب « چهار مقاله » الذي أكثرنا من النقل عنه في هذا الفصل والفصول السابقة ؛ وهذا الكتاب يعتبر في رأي من أهم الكتب المنشورة في اللغة الفارسية وأكثرها متعة وإيناسا ، كما إنه أكثر الكتب التي أعرفها فائدة في الكشف عن الصميم من حياة القصور في إيران وفي أواسط آسيا أثناء القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي. وقد كان مؤلفه شاعرا مداما التحق بخدمة الغوريين أو « ملوك الجبال » وبق في خدمتهم كما يجربنا هو نفسه حتى ألف هذا الكتاب أي مدة خمس وأربعين سنة . وهو يجربنا أن اسمه الكامل كما ورد في « چهار مقاله » هو « أحمد بن عمر بن علي » وأن لقبه هو « نجم الدين » ولكنه مشهور بتخلصه الذي تخلص به وهو « نظامي » . وقد كان بين معاصريه — كما سيتضح لنا ذلك — جملة من الأشخاص فاقوه شهرة وبعد صيت ، عرف كل منهم باسم « نظامي » ، كما إن له سميا متأخرا. عنه هو « نظامي انكنجوى » الذي يعتبر بحق « نظامي » الآداب الفارسية غير منازع ، ومن أجل ذلك يشيرون دائما إلى هذا الشاعر الذي ندرسه الآن باسم « نظامي العروضي السمرقندي » . ولم يصل إلينا من أشعاره إلا التزر اليسير ، بل إن « دولتشاه » نفسه لم ينقل إلينا إلا بيتا واحدا من قصة « ويس ورامين » ، وهي قصة يبدو للأسف أنها ليست من آثاره (١) . وقد أفرد له « عوفى » صفتين من كتابه (٢) ، نقل فيهما خمس مقطوعات من أشعاره ، كلها من أشعار الناسبات التي تمتاز بهذا النوع من الفحش الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، ثم يقرر بعد ذلك أنه ألف جملة « مشويات » لم يبق منها شيء ، بل إن أسماءها ضاعت واندرت . وكل ما نعرفه عنه عبارة عن أخبار متفرقة يرويها هو نفسه في كتابه « چهار مقاله » ، ونستطيع أن نعتد عليها في تحديد التواريخ التالية من حياته وهي :

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٦٠ — ٦١

(٢) أنظر « لباب الأبواب » ص ٢٠٧ — ٢٠٨

١ - إنه كان في مدينة « سمرقند » في سنة ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م يسمع أخبار الشاعر المبكر « الرودكي » .

٢ - إنه كان في مدينة « نيسابور » في سنة ٥٠٦ هـ = ١١١٢ في صحبه الشاعر المنجم المشهور « عمر الحيام » .

٣ - إنه كان في مدينة « هراة » بعد ذلك مدة ثلاث سنوات .

٤ - وفي السنة التالية أي سنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م عاد إلى « نيسابور » ثم ذهب إلى « طوس » حيث أخذ يجمع أخبار الشاعر العظيم « الفردوسي » واتهمز الفرصة لزيارة قبره بهذه المدينة .

٥ - وقد استطاع في هذا الوقت بفضل مساعدة « المعزى » شاعر « سنجر » أن ينجح في تقديم نفسه إلى هذا السلطان ، فكان هذا بداية شهرته وعلو شأنه .

٦ - ثم نجده ثانية في مدينة « نيسابور » في سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م وسنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م . ويمكن في هذه السنة الأخيرة من زيارة مقبرة « عمر الحيام » . وقد شغلت هذه الزيارة أذهان طائفة من أعضاء نادى « عمر الحيام » لأنهم لم يقرأوا كتاب « چهار مقاله » فظلوا يقدسون الوردة الحمراء ويولونها كثيرا من التقدير ، بينما تولى القصة المروية في هذا الكتاب كل تقديرها لزهرات أشجار الخوخ والكثيرى التى كانت تنثر أوراقها على مقبرته ١١٠٠ .

٧ - وفي سنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م اختبأ في مدينة « هراة » عقب هزيمة جيوش الغوريين على يدى « سنجر السلجوقى » .

وقد كتب « نظامى » كتابه في السنوات التسع التالية لهذه الواقعة ، فهو يشير فيه إلى « حسين جهانسوز » أو « حسين محرق العالم » على أنه مازال حيا يرزق ؛ ونحن نعلم أن هذا الرجل قد توفى في سنة ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م .

أما ما يتعلق بالشرط الأخير من حياته فلا علم لنا به؛ بل إن سنة وفاته مجهولة لنا تمام الجهل .

أما سبب خلود اسمه فيرجع أساسا إلى كتابه « چهار مقاله » وهو كتاب لم تقدر

قيمه حتى الآن تقديرا سليما ، ولو أنه في متناول دارسي الفارسية فضل نسخته المطبوعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م ؛ كما إنه في متناول قراء الإنجليزية في ترجمته التي نشرتها له في سنة ١٨٩٩ م . في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » والكتاب برمته جدير بالقراءة ، وقد أكرت من الرواية عنه في صفحات هذا الكتاب ، ولكني مع ذلك كنت مضطرا لضيق المقام أن أحذف كثيرا من الأخبار الممتعة التي تاقنت نفسي لذكرها . وسأكتفي في هذا المقام بأن أنقل للقارىء حكاية لها دلالتها التاريخية المتصلة بحياة المؤلف ، وهى الحكاية الأخيرة من حكايات الباب الثانى المتعلق بأخبار الشعراء ، وبقول فيها :

« تند ما كنت في خدمة مولاي ملك الجبال نور الله مضجعه ورفع في الجنان »
 « موضعه ، كان ذلك الملك الكبير قوى الاعتقاد في ، رفيع الهمة في إكرامى »
 « ففي يوم عيد الفطر وصل إلى حضرته كبير من سلاله أكبر بلخ عمرها الله ، »
 « هو الأمير العميد صفى الدين أبو بكر محمد بن الحسين الروانشاهى ، وكان »
 « شابا فاضلا مفضلا ، وكاتبنا مجيدا مستوفيا لشروط الأدب ، حائزا لثمار الفضل ، »
 « مقبولا في قرارات القلوب بمدوحا بأطراف الألسنة . ولم أكن في هذا الوقت »
 « حاضرا في خدمة الملك . فلما انعقد المجلس قال الملك للحاضرين : ادعوا النظامى . »
 « فالتفت الأمير العميد صفى الدين وقال : وهل النظامى موجود هنا ؟ فأجابوه : »
 « بلى . وظن الأمير أن المقصود هو نظامى منيرى . فقال : إنه شاعر مجيد »
 « ورجل معروف . »

« فلما أتانى الفراش واستدعانى أسرعت فوضعت الحذاء في قدى ودخلت المجلس »
 « وسلمت وجلست في مكانى . فلما دار الشراب بضع دورات قال الأمير العميد »
 « إن نظامى لم يأت حتى الآن . ولكن ملك الجبال أجابه على الفور : بل إنه »
 « قد أتى وهو جالس هنالك ... !! »

« فقال الأمير العميد : إنى لا أقصد هذا « النظامى » بل أقصد نظاميا آخر ، »
 « ثم إنى لا أعرف هذا الشخص ... !! »

« عند ذلك رأيت الملك وقد تغير وجهه ، ثم التفت صوبى قائلا : هل يوجد »

« نظامى غيرك فى أى مكان ...؟ فأجبتة : بلى يامولاي يوجد اثنان آخران . »
 « أحدهما من أهل سمرقند ويسمونه « نظامى المنيرى » والآخر من أهل
 « نيسابور ويسمونه « نظامى الأثيرى » . وأما عبدكم المائل بين يديكم فيسمونه
 « بالنظامى العروضى . »

« فقال : وهل أنت خير منهما ... أم هل هما خير منك ... ؟ »
 « وعلم الأمير العميد أنه أخطأ القول ، ورأى الملك وقد تغير حاله وغضب
 « فقال : يامولاي إن الآخرين معربدان يثيران المجالس بعربدتهاا ويتسببان
 « فى كثير من الضرر والأذى ... !! »

« فقال الملك مازحا متبسطاً : تمهل حتى ترى هذا النظامى يشرب خمسة
 « أقداح من النبيذ ثم يقلب المجلس رأسا على عقب ... !! ولكن خبرنى أى هؤلاء
 « الثلاثة أكثر شعاعرية وقدررة على الشعر ..؟ فقال الأمير العميد: لقد رأيت الاثنين
 « الآخرين وأعرفهما حق المعرفة ، أما هذا فلم يسبق لى رؤيته ولم أسمع إلى
 « شعره ، فياليتيه يقول فى المعنى السابق بضع أبيات حتى أسمع إلى شعره وأحكم
 « على ذوقه وأتمكن من أن أقرر أى هؤلاء الثلاثة أجود طبعا وأحسن
 « شعرا ... !! »

« فالتفت الملك إلى وقال : هيا ... يانظامى .. وحذار أن نخجلنا ... ، وقل
 « ما يرغب فيه الأمير العميد . »

« وكان لى فى ذلك الوقت — عندما كنت أقوم بخدمة الملك — ، طبع فياض
 « وخاطر وهاج ؛ وكان إكرامه وإنعامه يجعلان بديهى مواتية دانية ...
 « فلم أكد أمسك القلم ويدور الشراب دورتين حتى قلت هذه الأبيات
 « الحجة (١) : »

(١) الترجمة : فيما يلى نس هذه الأبيات بالفارسية :

در جهان سه نظامییم ای شاه که جهانی ز ما با فغانند
 من بورساده پیش تخت شهم وآن دو در سرو پیش سلطانتند
 =

- « — أيها الملك .. ! يوجد في العالم « نظاميون » ثلاثة ، قد سارت بذكركم »
 « الركبان وجلجل بأسمهم كل مكان...!! »
- « — وأنا واحد منهم أمام عرش المليك في مدينة «ورساد» ، وأما الآخران »
 « ففي مرو عند السلطان...!! »
- « — وفي الحق ... قد برز كل منهما في قول الشعر حتى أصبح كل منهما »
 « مفخرة خراسان...!! »
- « — وهما يقولان الشعر كالماء الجاري ، ويقدران مواضع الكلم كالحكيم »
 « ذي البيان .. !! »
- « — ولكنني أنا الشراب المعتقد... إذا أدركتهما فإنهما يعجزان ويتخاذلان ..!! »
 « فلما عرضت هذه الأبيات انحنى الأمير العميد وقال: دعك من جميع النظاميين »
 « فلست أعرف بين شعراء ما وراء النهر وخراسان والعراق أحداً يستطيع »
 « ارتجال مثل هذه الأبيات الخمسة وأن يجعلها بهذه التناة والجزالة والعدوية »
 « بحيث تكون مليئة بالألفاظ العذبة ، مشحونة بأبكار اللعاني .. فاهناً »
 « يا نظامي ... فليس لك نظير على سطح الأرض .. ويا مولاي... يا صاحب »
 « الجلالة .. إن له طبعاً لطيفاً ، وخطراً قوياً ، وفضلاً كاملاً ، وقد أصبح »
 « نادرة زمانه بفضل إقبالك وهمتك (رفعهما الله) . وسيزداد شأنه علواً لأنه »
 « مازال شاباً في مستقبل العمر ... !! »
- « فاتقد وجه الملك كثيراً ، وبدت عليه بشاشة بالغة، وكالذي عبارات الإستحسان »
 « ثم قال : لقد منحتك منجم الرصاص في « ورساد » وجعلته لك منذ هذا »
 « العيد الأصغر حتى عيد الأضحى ، فأرسل عاملك حتى يشرف عليه . »

هر يكي مفخر خراساند
 ورچه همچون خرد سخن داند
 هر دو از کار خود فروماند

بحقیقت که در سخن امروز
 گرچه همچون روان سخن گویند
 من شرام که شان چو دریام

« ففعلت ذلك وأرسلت « إسحاق اليهودي » وكان ذلك في صميم الصيف ، «
 « فلما اشتغل الرجال استطاعوا أن يذيقوا كثيرا من هذا المعدن حتى بلغ مقداره اثني «
 « عشر ألف من من الرصاص الخالص ، أخرجوها في سبعين يوما ، وكان نصيبي «
 « منها الخمس . وأصبح الملك يقدرني أكثر من ذي قبل بألاف المرات ؛ أنار «
 « الله مضجعه العزيز بشمع رضاه ، وفرح روحه الشريفة برحمته وعطاياه ، «
 « بمنه وكرمه . »

ونستطيع أن نرى من هذه الحكاية أن شاعرنا لم يكن متواضعا في تقرير مواهبه
 والكشف عن مزاياه ، ولكننا - حيال سروره الواضح عند تصريحه بهذه المواهب
 والمزايا - لا نستطيع إلا أن نجد أنفسنا من كل أسلحة النقد والهجوم ، وأن نقنعها
 بأن التواضع أمر قلما اتصف به شعراء الفرس أو عرفوه ... !!

وقبل أن يتطرق بنا الحديث إلى الكلام عن « الأنوري » أشهر الشعراء الملتحمين
 بقصر « سنجر » يجب أن نتحدث حديثا مختصرا عن شاعرين آخرين أو ثلاثة من
 زملائه . فهم وإن كانوا أقل شهرة منه ومن سائر الشعراء الذين ذكرناهم في هذا
 الفصل ، إلا أنهم مبرزون بين كثرة من أصحاب الشعر الجيد الذين عاشوا في هذه
 الفترة ؛ ومن الحق علينا أن نخصهم بنظرة عابرة .

عبر الواسع الجبلي :

هذا الشاعر - كما تفيد نسبته - من أهل الولاية الجبلية « غرستان » ، وقد
 خرج منها إلى « هراة » ثم إلى « غزنه » حيث التحق فترة بقصر « السلطان بهرامشاه
 ابن مسعود » فلما سار « سنجر » لمحاربة هذا السلطان في سنة ٥٣٠ = ١١٣٥م استطاع
 هذا الشاعر كما يحدثنا « دولت شاه » ، أن ينال رضا « سنجر » بقصيدة جميلة مبتكرة ،
 ننقل منها الآيات الثمانية الآتية (١) :

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٧٤

ز عدل کامل خسرو وز امن شامل سلطان
 تدر و و بک و گور و مور در گشتند در کیهان
 یکی نمخانه شاهین ، دوم همخوابه طغرل
 سه دیگر مؤنس ضیفم ، چهارم محرم شعبان
 خداوند جهان سنجر که همواره چهار آیت
 بود در رایت و رای و جین و روی او پنهان
 یکی بهروزی دولت ، دوم فیروزی ملت
 سه دیگر زینت دنیا ، چهارم نصرت ایمان
 بنان اوست در بخشش ، سنان اوست در کوشش
 تقای اوست در مجلس ، لوای اوست در میدان
 یکی ارزاق را باسط ، دوم ارواح را قابض
 سه دیگر سعد را مایه ، چهارم فتح را برهان
 شد اندر قرن و باطل ، شد اندر عهد او ناقص
 شد اندر عصر او حاصل ، شد اندر وقت او تقصان
 یکی ناموس کی خسرو ، دوم مقدار اسکندر
 سه دیگر نام آفریدون ، چهارم ذکر نوشیروان

و معناها :

- بسبب ما امتاز به السلطان من عدل و أمن شامل
- أصبح الأمن يشمل التدرج والفراخ البرية و حمر الوحش والنمل في كل مكان
- فأصبحت التدرجة تعاشر «الشاهين» ، وأصبحت الفرخة البرية قرينة للصقر
- و أصبح حمار الوحش مؤنسا للضيفم ، وأصبحت النملة محرما للشعبان... ۱۱
- وفي ملك العالمين «سنجر» تستر أربع آيات
- توجد على الدوام في رايته ورايه وجينه ووجهه
- ففي رايته الظفر والاقبال ؛ وفي رايه الفوز وتحقيق الآمال
- وفي جينه زينة الدنيا والحال ؛ وفي وجهه نصر الايمان والأبطال . . . ۱۱
- وبنانه مخصص للعطاء ، وسانه مخصص لجهاد الأعداء

- ولقاؤه محبب في مجلس الأصدقاء ، ولوأوه مرتفع في ميدان الفداء .. !!
 — فأما بنانه فباسط للأرزاق . . . وأما سناناه فقابض للأرواح
 وأما لقاؤه فبسبب للهناء . . . وأما لوأوه فبرهان على الفتح والمضاء . . . !!
 — وقد بطل شيء في رمنه . . . وتقص شيء في عهده
 وحصل شيء في عصره . . . وقل شيء في وقته . . . !!
 — فقد بطلت سطوة « كينخرو » . . . وتقصت رهبة « الاسكندر »
 وحصلت معدلة « أفريدين » . . . وقلت شهرة « انو شيروان » . . . !!

ويتماد « دولتشاه » على أسباب لا تراها كافية ولا شافية ، فينكر القصة المعروفة عن « عبدالواسع الجبلي » وأنه في بداية شأنه كان فلاحا جلقا ، استطاع أن يلفت إليه نظر واحد من الأثرياء الأقوياء ، بشطرات من الشر قالها على البديهة ، وأخذ يرددها دون أن يظن أن أحداً يصغى إليه ، ليتردبها بعض الإبل التي أغارت على حقل من القطن كان يقوم على حراسته ، فأخذ يقول (٩) :

اشتر دراز كرد نا دائم چه خواهی كرد نا
 كردن دراز میکنی پنبه بخواهی خوردنا

ومعناها :

- أيتها الإبل . . . يا ذوات الرقاب الطويلة . . . !!
 — إني أعلم ماذا تصنعين من حيلة . . . !!
 — إنك تمدين رقبتك المستطيلة . . .
 — لكي تأكلى هذه الأقطان الجميلة . . . !!

* * *

(١) يؤكد « دولتشاه » أنه لم ير هذه القصة في أى كتاب من كتب التاريخ المعتمدة ، ولكن فاته أنها مذكورة في كتاب « تاريخ كزیده » وهو من المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه « تذكرة الشعراء » ويعتبر من كتب المصادر التي نتمد عليها أكثر مما نتمد على تذكرته .

سوزنى:

السوزنى من أهل مدينة «نصف» (١) أو «سمرقند» كما يقول «دولت شاه» .
 واسمه الكامل «محمد بن علي السوزنى» وقد اشتهر بقول الهزليات وبرع فيها أثناء
 شبابه ، والظاهر أن أشعاره كانت لازعة جداً حتى بالنسبة لأهل زمانه والوسط الذى
 عاش فيه؛ (٢) فإن «دولت شاه» الذى لم يعرف بالتزمت اعتذر عن أن يورد شيئاً من
 أمثلتها ، بينما أحل لنفسه فى غير امتعاض أن يذكر الأخبار الفاحشة التى وقعت بين
 «أبى العلاء الكنجوى» و«الحاقانى» ، وكذلك فعل «عوفى» فاعتبر هزلياته مليئة
 بالحكمة ولكنه رأى من الخير أن «يقصر عنان البيان عن إيراد أمثلتها» ودعا الله
 أن يغفر ذنوب هذا الشاعر الخاطيء لأنه تاب وأتاب فى شيخوخته وقال جملة قصائد
 فى التوحيد والاستغفار .

وقد ذكر عوفى أنه اشتهر بلقب «السوزنى» لتعشقه غلاماً جميلاً كان يشتغل
 صيا لرجل يحترف صناعة الإبر (٣) .

وقد ذكر عوفى أيضاً أن «حميد الدين الجوهري» كان من خصوم «السوزنى»
 وقد تبودلت بينهما جملة من المعارضات الشعرية .

ويذكر «دولت شاه» أن السوزنى مات فى سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م . كما أن
 صاحب «تاريخ كزنده» يقول إن الله عفا عن السوزنى لقوله هذا البيت من الشعر:
 چار چیز آورده ام یا رب که در گنج تو نیست
 نیتى و حاجت و جرم و گناه آورده ام

(١) المترجم : «نصف» مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند .
 (٢) أورد صاحب «تاريخ كزنده» مثلاً واحداً من أشعار «السوزنى» يتألف من ثلاثة
 أبيات من الشعر استشهد بها فى تبرير رأيه بأن «السوزنى» جاوز حدود المقول فى هزلياته
 وقد كتف الشاعر هذه الأبيات فى الواحدة والخمسين من عمره ولم يشعر فيها بشيء من الندم
 أو الاستغفار . وقد ذكر «تاريخ كزنده» أن اسم «السوزنى» هو «أبوبكر بن
 السلماى» وأنه من قرية «كلاش» من توابع «سمرقند» .
 (٣) المترجم : «سوزن» فى اللغة الفارسية بمعنى : إبرة .

ومعناها :

— إني جالب لك ... ياربي ... أربعة أشياء لا توجد في كنوزك العامرة
وهي : العدم والحاجة والذنوب والجرائر الجائرة ... !!

ويقرر «السوزني» نفسه أن حياته لم تخل من النقد والتجريح ، وهو يقرر هذه
الحقيقة ضمن قصيدة طويلة أوردها « دولتشاه » في ص ١٠٠ من كتابه
« تذكرة الشعراء » .

رقم براه ديو وفتادم بدام او وز ديو ديوتر شدم از سيرت نياه
يك روز ييگناه نبودم بعمر خویش كويا كه بود ييگنهى نزد من كناه
هر كونه كناه ز اعضای من برست چون از زمین نم زده هر كونه كياه
فردا بروز حشر كه امروز منكرند اعضای من بود بر اعمال من گواه
ومعناها :

— لقد سرت في طريق الشيطان ووقعت في حباله انشائكة
بحيث تشيطنت أكثر من الشيطان ، وقفته في سيرته الخاطئة ... !!

— ولم أكن في يوم من أيام حياتي مبرءاً من الآثام
حتى لقد خيل لي أن البراءة منها واحدة من الجرائر العظام ... !!

— وقد تمت من سائر أعضاء مختلف الجرائر والأخطاء

كما تنمو الأعشاب في الأرض الخصبة المدّاء بالماء ... !!

— واليوم إذا أنكر النسكرون ذنوبهم ... ففي يوم الحشر في العداة

ستكون أعضاء بدني شاهدة على أعمالى في غير مداراة ... !!

ويذكر « دولتشاه » أن ثلاثة من الشعراء يعتبرون من تلاميذ « السوزني »
ومقلديه وهم :

١ — على الشطرنجي صاحب قصيدة « اللكلك » التي أوردها « عوفى » في كتابه

لباب الألباب ج ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠

٢ - جنق النخشي (١) .

٣ - لامعى البخارى .

صفار الشعراء

من العبث أن نحاول في هذا المقام ذكر سائر الشعراء الذين عاشوا في هذه الفترة وحققوا شيئاً من الشهرة أثناء حياتهم ، لأن أسماءهم قد عفي عليها النسيان وأصبح لا يحصى لنا عن الرجوع إليها في كتب التواريخ والتراجم القديمة . وقد ذكر محمد عوفى في الباب العاشر من كتابه «اللباب» - وهو الباب الذى خصه لشعراء الفترة الأولى من عهد السلاجقة - أنه عاش في الفترة التى تنتهى بموت «سنجر» والتى هى موضوع دراستنا في هذا الفصل ، اثنان وخمسون شاعراً لا يدخل في عدادهم الشعراء من الأمراء والوزراء والأطباء الذين خصص لهم عوفى الشق الأول من كتابه . ولا شك أن جماعة من هؤلاء جديرون بالذكر في أى كتاب يكون أوسع مقاما من كتابى هذا ؛ ولكنى لن أجرؤ على التحدث عنهم في هذا المكان لسبب آخر هو أنى لم أكون عن شخصياتهم فكرة واضحة ، ولا عن آثارهم رأياً قاطعاً ؛ ومن هؤلاء :

« جوهري الهروى » و « سمانى الروزى » (٢) و « أثير الدين الروزى » و « سيفى النيسابورى » و « روحى الولوالجى » و « رشيدى السمرقندى » و « أثير الدين الأخسيكى » و « أبوالمعالى الرازى » و « قوامى الرازى » و « أبو الفرج الرونى » و « كوهيارى الطبرى » و « سيد حسن الغزنوى » و « عماد الدين الغزنوى » و « على بن أبى رجاء الغزنوى » (٣) .

(١) المترجم : النخشي نسبة إلى مدينة « نخشب » من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند ؛ ويقول ياقوت في معجمه أن « نخشب » هى « نسف » نفسها .
 (٢) المترجم : الهروى نسبة إلى مدينة « هراء » ؛ والروزى نسبة إلى مدينة « مرو » .
 (٣) المترجم : كل شاعر من هؤلاء منسوب إلى بلده . فالولوالجى نسبة إلى « ولوالج » بلد من أعمال « بدخشان » خلف بلخ وطخارستان ؛ والأخسيكى نسبة إلى « إكسيكت » وهى مدينة بآوراء النهر وهى قسبة ناحية « فرغانه » على شاطئ نهر الشاش ؛ والرازى نسبة إلى مدينة « الرى » ؛ والرونى نسبة إلى مدينة « رونه » من حطة لوهور ؛ والغزنوى نسبة إلى مدينة « غزنه » ؛ والطبرى نسبة إلى ولاية « طبرستان » .

ولكني رغم إعراضى عن ذكر هؤلاء وأمثالهم ، أحسن بتقصيرى وخوايى من دلائل الشهامة إذا أهملت ذكر الشاعرة الأولى من شاعرات الفرس ومضيت عنها فى صمت وسكوت ، وهى الشاعرة « مهسى » .

مهسى :

لا نعرف من أمر « مهسى » إلا قليلا من الأخبار ، وما زال اسمها وضبطه واشتقاقه من المسائل التى لم يستقر عليها الرأى حتى الآن (١) . ويبدولى - إذا لم نسى ، الظن بها كثيرا - أنها كانت طروبوة الزرعة مرحة النفس ، وقد استخدمت « الرباعى » فى أكثر أقوالها ، ويقال إنها استطاعت أن تحوز رضا « السلطان سنجر » وحسن قبوله عندما غادر مجلسه فى ليلة من الليالى ليمتطى جواده فلما هم بفعل ذلك وجد الثلج يتساقط ويغطى الأرض فقالت على البديهة الرباعية الآتية (٢) :

شاهها فلكت اسب سعادت زين كرد وز جمله خسروان ترا تحمين كرد
تا در حرکت سمند زرین نعلت بر گل نهد باى زمین سيمين كرد
ومعناها :

— أيها المليك . . . لقد أسرج الفلك لك جواد السعادة والهناء

— وميزك على سائر الملوك بالعزة والقدرة والسناء . . . !!

— وجعل لك الأرض فضية الأديم ، ناصعة الوجه ، بيضاء

— حتى لا يظأ جوادك - بحدوته الذهبية - طينتها الغبراء . . . !!

وقد ذكروا أن « مهسى » كانت معشوقة للشاعر « تاج الدين أحمد بن الخطيب الكنجوى » . ونقل صاحب « تاريخ كزيدة » فى كتابه جملة من الرباعيات التى

(١) يضبطونها أحيانا بكسر الميم وسكون الهاء وكسر السين فيقولون « مهسى » ، وأحيانا بكسر الميم وفتح الهاء وسكون السين فيقولون « مهسى » ، وأحيانا بفتح الميم وسكون الهاء وفتح السين فيقولون « مهسى » .

(٢) أنظر ، تذكرة الشعراء ، ص ٦٥ .

بودلت بينهما ، كما أورد بالإضافة إلى ذلك زباعتين أخريين وجهتهما «مهسقى» إلى جزار شاب كانت تعشقه وتهم به ، وقد كتب « اعتماد السلطنة » مقالا قصيرا عنها في الجزء الثالث من كتابه «خيرات حسان» وهو كتاب يتضمن سيرشيرات النساء ، ولكن هذا المقال لا يكشف عن جديد تزود به بشأن حياتها وآثارها ، ولم نذكره في هذا المقام إلا لئنبه القارئ إلى أن الرباعية التي تسبق الأخيرة من بين الرباعيات المنسوبة إليها في هذا الكتاب إنما هي من قول شاعرة أخرى ، هي « بنت التجاربه » كما يقرر ذلك صاحب « تاريخ كزیده » .

ولابد لنا أيضا أن نذكر أن من أهم صغار الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة الشعراء الثلاثة الآتية أسماؤهم :

١ — فريد كاتب أو فريد دبير وكلاهما بمعنى فريد الكاتب .

٢ — عماد زوزنى أو عماد الزوزنى .

٣ — سيد حسن الغزنوى .

وقد أنشأ « فريد الكاتب » عند هزيمة « سنجر » على أيدى « الغز » في سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م الرباعية التالية التي اشتهرت شهرة بالغة حتى نرى لزاما علينا أن ننقلها في هذا المقام :

شاهاز سنان تو جهانى شد راست تیغ تو چهل سال ز اعدا کین خواست
گر چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کان کس که بیک حال بماندست خداست
ومعناها :

— أيها اللیک . . . لقد استقامت الدنيا بفضل سنانک ومضائك

— وتأر سيفک ، أربعین سنة ، من خصومک وأعدائک

— فإذا أصابک الآن نحس . . . فما ذلك إلا من تقدير قضائک

— والله وحده هو الذى يبقى على حال واحدة ؛ فلا تخزن لبلائک . . . ١١

أما أشهر الشعراء إطلاقا من بين الشعراء الذين اتصل ذكركم بقصر « سنجر » فهو الشاعر « الأنورى » وسندرسه بالتفصيل في الفصل التالى مع اثنين آخرين من معاصريه الشبان هما « الحاقانى » و « نظامى الكنجوى » فإن لهؤلاء الثلاثة أهمية بالغة تكسبهم الحق في دراسة واسعة مفصلة .

التوايف الفارسية المنشورة في هذا العصر

تناولنا بالبحث فيما سبق كتابين من أهم الكتب الفارسية المنشورة التي ظهرت في هذا العصر وهما .

١ — «حدائق السحر» : تأليف رشيد الدين الوطواط .

٢ — «چهار مقاله» : تأليف نظامى العروضى السمرقندى .

وقد تحدثنا أيضا بعض الحديث عن «الغزالي» ومؤلفاته ويكفى أن نذكر للقارىء في هذا المقام أن أهم مؤلفاته الفارسية هو كتاب :

٣ — «كيمياى سعادت» : أو كيمياء السعادة وهو عبارة عن مختصر لكتابه الموسع الذى كتبه بالعربية باسم «إحياء العلوم» .

ويبقى علينا أن ننبه القارىء إلى ثلاثة كتب منشورة أخرى جديدة بالذكر والدراسة وهى :

٤ — «ذخيره خوارزمشاهى»

٥ — «مقامات حميدى» وهى مقامات مكتوبة بالفارسية

٦ — «كلىة ودمنة» كما ترجمها «أبو المعالى نصر الله»

وستحدث فيما يلى عن هذه الكتب الثلاثة .

ذخيره خوارزمشاهى :

وهى عبارة عن موسوعة طبية، وضعها في بداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) «زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل الجرجانى» وأهداها إلى «قطب الدين خوارزمشاه» والد السلطان «أتسز» ، وهى غير جديدة بإضاعة الوقت في التحدث عنها ، لأنها لا تدخل في دائرة الآثار الأدبية الفنية ، وهى في رأيى عبارة عن مختصر أو تلخيص للنظريات الطبية والتجريبية التي اتبعها «ابن سينا» وخلفاؤه .

وقد وضعها صاحبها باللغة الفارسية لتكون في متناول الهواة الذين لا يحسنون فن
التطبيب أو لا يجيدون معرفة اللغة العربية (١)

مقامات صمبىرى :

وضع هذه المقامات « القاضى حميد الدين أبو بكر البلخى » من معاصرى
« الأنورى » وممدوحيه . وهى تقليد فارسى للمقامات العربية الدائمة الصيت التى
وضعها « بديع الزمان الهمذانى » و« الحريرى » اللذين يرجع إليهما الفضل فى إبداع
هذا الأسلوب المصنوع والعمل على ترويقه .

وقد بدأ « حميد الدين » وضع مقاماته الفارسية فى صيف سنة ٥٥١هـ = ١١٥٦م
وقد ذكر صاحب « چهارمقاله » أن هذه المقامات تعتبر نموذجاً للبلاغة وجودة الأسلوب .
وهى عبارة عن ثلاث وعشرين مقامة أو أربع وعشرين مقامة كما اشتملت عليها
النسختان المطبوعتان على الحجر فى طهران وكانبور . وقد توفى « حميد الدين » فى سنة
٥٦٠هـ = ١١٦٤م .

ووصف « ريو » مشتملات هذه المقامات وصفا شاملاً (٢) . وهى بلا شك لا تبلغ
مبلغ زميلاتها العربية من حيث الموضوع والسبك والبراعة فى الأداء ، ولكنها مع
ذلك حازت كثيراً من إعجاب الفرس وتقديرهم كما تشهد بذلك الآيات الآتية من
شعر الأنورى : (٣) :

هر سخن كان نيست قرآن يا حديث مصطفى
از مقامات « حميد الدين » شد اكنون ترهات

(١) ارجع إلى وصف « ريو » لمحتويات هذا الكتاب فى فهرست المخطوطات الفارسية
فى المتحف البريطانى ص ٤٦٦ — ٤٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٤٧ .

(٣) وردت هذه الآيات فى ص ٢٥١ من طبعة تبريز سنة ١٣٦٦هـ وفى ص ٦٠٢ من
طبعة لكنو سنة ١٣٩٧م .

[المترجم : نقلت النص الفارسى عن الطبعة الأخيرة .]

اشك اعمى دان مقامات «خزیری» و «بدیع»
 پیش آن دریای ملامال از آب حیات
 شاد باش ای عنصر محمودیان را روی تو
 رو که تو محمود عصری ما بتان سومنات
 از مقامات تو کز فصلی بخوانم بر غدات
 حالی از نا منطبقی جذر اصم یابد نجات
 عقل کل خطی تأمل کرد از و گفتا عجب
 علم اکسیر سخن داند مگر اقصی القضاة
 دیر مان ای رای قدرت عالم تأیید را
 آفتابی بی زوال وآسمانی با ثبات
 ومعناها :

— کل کلام لا یكون من الأحادیث النبویة أو من القرآن وآياته
 أصبح بعد مقامات «حمید الدین» من لغو القول وترهاته ... !!
 — فاعتبر مقامات «الحریری» و «بدیع الزمان» هی دموع العمیان
 وأما مقامات «حمید الدین» فهی البحار الملیئة بماء الحیاة .. !!
 — فاسعد حالا ... یامن أنت طلیعة الشعراء المبرزین
 وسر قدما ... فإنک «محمود» هـذا العصر ... وما نحن إلا أضنام
 «سومنات» (١)

— ولو أننی قرأت فصلا من مقاماتک ، لاستطاع فی الغداة
 أن ینجو الأصم الأبکم بما به من بکم وصمم ... !!
 — ولقد تأملک «العقل الکلی» فقال یاللمجب العجیب ... !!
 إنما یعرف اقصی القضاة (أی حمید الدین) علم إکسیر الکلام ... !!

(١) الترجمة : «سومنات» هی التي غزاها السلطان محمود الفزنوی وحطم ما بها من أسنام

— فعنى طويلا... بإصاحب الرأي القدير... فإنك في عالم التأييد

شمس لا تغرب ولا تزول ، وسماء مستقرة ثابتة كل الثبات...!!

ويختلف ترتيب المقامات وفقا لاختلاف النسخ . وأسماؤها في نسخة طهران تختلف عن نظائرها في النسخة المخطوطة التي وصفها الدكتور «ريو» . وبعض هذه المقامات ما هو في الحقيقة إلا « مناظرات » كالمقامة لتعلقة بالشباب والشيب ، والمتعلقة بالسنى والشيعى ، والمتعلقة بالطبيب والمنجم ؛ وبعضها يتحدث عن موضوعات مختلفة كالربيع والحب والحريف والجنون ؛ وبعضها عبارة عن ألغاز أو أحاجي أو معميات ؛ كما أن بعضها الآخر يتناول موضوعات فقهية أو تأملات صوفية . وهناك مقامتان من النوع الوصفي ، وصف فيهما المؤلف مدينتي « بلخ » و « سمرقند » ولقد خيل لى أنهما تشتملان على كثير من الأخبار الحقيقية الموثوق بها ، بل وعلى أخبار الرجال الذين عاشوا فيهما ، ولكن سرعان ما تحطمت آمالى عندما تحققت بأن الناحية اللفظية قد غطت على الناحية الموضوعية وطغت عليها .

وأسلوب هذه المقامات الذي يمتاز بالتصنيع والتكلف لا يسمح بنقلها إلى لغة أخرى ، لأن « الأسلوب » هو عماد هذه المقامات ، وأما « الموضوع » فيعتبر أمرا ثانويا بالنسبة له ، ومن أجل ذلك فإننا إذا شئنا أن نعطي القارىء فكرة عن هذه المقامات في أصلها الفارسى وجب علينا ألا نترجم فيها بل أن نفسروا ونحاول التلخيص والتقليد ، وفيما يلي مثل أخذناه من وصف مدينة « بلخ » قبل غارة « الغز » عليها في سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م وما أصابها بعد هذه الغارة (١) :

« روى بصوب خراسان نهادم ، چون بسرحد آنولایت رسیم از واردان
بلخ دیگر گونه حکایت شنیدم

ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقي بشيرا وناعيا

(١) هذه هي المقامة المشهورة في طبعة طهران وقد نقلت منها القطعة الواقعة في ص ١٦٥ [الترجم : نشر الأستاذ على أصغر الهمداني هذه المقامات في مدينة تبريز سنة ١٣١٢ هـ].

ثقافة رواة خبر دادند که مشتاقی که مقصود و مقصد نه بر نمط و نسق عهد گذشته ، و آیام نوشته است ، آن همه نسیمها بسموم بدل شده است ، و آن همه شکرها بسموم عوض گشته ، از ریاحین این بساتین بجز خار نیست ، و از آن آقداح أفرح در سر جز خمار نه ، معشوق را در لباس خواری و جامه سوگواری نشاید دید ، و مربع یاران در خلقان ییمرادی مشاهده نباید کرد

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

گفتم چشم بد کدام ناظر بر این ریاض ناظر باز خورد ، و کدام سموم نفاق آن انتظام و انتساق را از هم جدا کرد .؟! گفتند که ای جوان .. طوارق حدثان و نوازل زمان را جنس این تصرف بسیار است ، و أمثال این دستبرد بیشمار ، و ان الدهر ظلام ، و لیس البیان کالعیان . بران تابدانی و برو تا ببینی که ذکر غایب از جمله معایب است «

و ترجمتها : (۱)

«فانصرفت عن هذا المكان ، و اتجهت صوب خراسان ؛ فلما بلغت حدود هذه الولاية ، و انتهیت إلى هذه الغاية ، سمعت من بعض من وردوا مدينة «بلخ» حكاية غريبة للغاية :

و من یسأل الركب ان عن كل غائب فلا بد أن یلقى بشیرا و ناعیا
 فقال لی الثقافة من الرواة ، تمهل ولا تعجل ، ثمقصودك و مقصدك لیس علی نمط المهود السابقة ، و لا علی نسق الأيام السالفة ، فقد تبدلت النسام بالسموم ، و الحلوی بالسموم ؛ و لم یبق من ریاحین البساتین إلا أشواکها ، و لم یبق فی الرؤوس من آقداح الراح إلا خمارها ، و لا یجوز رؤية المعشوق فی لباس الهوان ، متدثرا بثیاب الأحزان ؛ کما لا یجب مشاهدة مربع الأجاب ، و قدرانت علیه الذلّة و خیم علیه الخراب .

(۱) المترجم : لم يذكر الأستاذ «براون» النص الفارسی وإنما ذكر ترجمته و حاول أن یسجع العبارات الانجليزية لیعطی الفاریء الانجليزية صورة عن أسلوب هذه اللغات . و قد ترجمتها أنا أيضاً منسجعة لاعتیادنا هذا الأسلوب فی العربية .

« أمن أم أوفى دمنة لم تكلم »

قلت لهم : أى النواظر أصابت بالحسد هذه الرياض النواضر ...!؟ وأى سموم النفاق قد شتت هذا الانتظام والاتساق ...!؟
 قالوا لى : أياها الشاب الكريم والفق العظيم ..!! ان طوارق الحدثان ، ونوازل الزمان ، لها أمثلة كثيرة من هذه التصرفات ، وأشياء لا يخصيها العدمن هذه الكوارث والآفات ، وأن الدهر ظلام ، وأيس الخبر كالعيان ، تقدم حتى تعلم ، واذهب بقدميك حتى ترى الأمر بعينك ، فالتحدث عن الغائب ، معدود فى جملة العيوب والشوائب .

كليله ودمنه :

انتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الكتب الفارسية المشورة التى ظهرت فى هذا العصر ، وأعنى به الترجمة الفارسية التى قام بها « نظام الدين أبوالمعالى نصرالله » للنسخة المشورة من كتاب « كليله ودمنه » وهى التى كتبها بالعربية « عبد الله بن المقفع » . وقد وضع « أبوالمعالى » هذه الترجمة الفارسية امثالاً لأمر « بهرامشاه الغزنوى » ثم أهداها إليه . (وقد حكم هذا السلطان من سنة ٥١٢هـ = ١١١٨م إلى سنة ٥٤٤هـ = ١١٥٠م ؛ وقيل إلى سنة ٥٤٧هـ = ١١٥٣م أو إلى السنة التالية (١) .) وقد وضعها أبوالمعالى على كل حال بعد سنة ٥٣٩هـ = ١١٤٤م كما يقول بذلك « ريو » (٢) . وقد أشار « ريو » أيضاً إلى أن هذه الترجمة نالت كثيراً من الإعجاب فى إيران بحيث إن مؤرخ العول ومادحهم « الوصاف » يجعلها مثالا للفصاحة والبلاغة ، كما أن صاحب « هفت إقليم » يقرر أن سائر المشورات الفارسية لا تبلغ مبلغها من حيث الجودة وحسن السبك .

وقد طبعت هذه الترجمة على الحجر فى مدينة طهران سنة ١٣٠٥هـ = نهاية

(١) التاريخ الأول وارد فى كتاب «تاريخ كزیده» والثانى فى « روضة الصفا» والثالث فى « ابن الأمير » .

(٢) أنظر : فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة فى المتحف البريطانى من ٧٤٥-٧٤٦

سنة ١٨٨٧ الميلادية ، وسأشير إلى هذه الطبعة كما أحوجني الأمر إلى ذلك (١) .
 وأول ما أقرره في هذا الموضوع هو أن الكتب العالمية التي نجحت نجاح «كليله
 ودمنه» قليلة جدا ، كما أن الكتب التي ترجمت إلى سائر اللغات مثل «كليله ودمنه»
 نادرة جدا . وأصل هذا الكتاب هندي ، أحضروه إلى إيران في القرن السادس
 الميلادي أثناء حكم «كسرى أنوشيروان» ثم ترجموه إلى اللغة «الهلوية» ثم نقلت
 الترجمة الهلوية مباشرة إلى اللغة السريانية وإلى اللغة العربية ، ثم نقلت النسخة العربية
 إلى كثير من اللغات الشرقية والغربية .

وقد وضع «كيث فولكنر» بالتفصيل تاريخ «كليله ودمنه» في كتابه الذي
 طبعه في سنة ١٨٨٥ م في مطبعة جامعة كامبردج بعنوان . «كليله ودمنه أوقصص
 يبدأ» (٢) وقد أورد في ص (٨٥) من المقدمة جداول وافية تبين لنا العلاقة
 بين هذه النسخ المختلفة وتواريخها ، وتبين لنا أن جميع هذه النسخ منقولة عن
 النسخة الهلوية المفقودة التي نقلت في سنة ٥٧٠ م إلى السريانية القديمة ، ثم نقلها
 «ابن المقفع» حوالي سنة ١٣٣ هـ = ٧٥٠ م إلى اللغة العربية . ولا يشذ عن
 ذلك إلا النسخة «التبئية» فهي وحدها التي نقلت عن اللغة «السنسكرتية»
 مباشرة . . أما سائر النسخ المعروفة من هذا الكتاب فمشقة من نسخته العربية التي
 كتبها ابن المقفع ؛ ويدخل في عداد هذه النسخ الترجمة السريانية المتأخرة التي وضعت
 في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي (٣) وكذلك الترجمات اليونانية والفارسية
 والعبرية (٤) واللاتينية (٥) والاسبانية والإيطالية والسلافية والتركية والألمانية

(١) ناشر هذه الطبعة هو «محمد كاظم الطباطبائي» وقد ذكر أن هذا الكتاب طبع مرتين
 قبل ذلك في سنة ١٧٨٢ هـ ثم في سنة ١٣٠٤ هـ .

(٢) أنظر: Keith Falconer: *Kalilah and Dimnah, or the Fables of Bidpai, Cambridge. 1885*

(٣) نشر الأستاذ «رايت Wright» هذه النسخة السريانية المتأخرة في سنة ١٨٨٤ م .

(٤) أنظر: Derenbourg: *Deux versions hebraïques du livre de Kalilah et Dimnah.*

(٥) في سنة ١٨٨٧ م نشرت كلية الدراسات العليا بباريس النسخة اللاتينية التي

والإنجليزية والدمركية والهولندية والفرنسية . وآخر هذه الترجمات وأحدثها من الناحية الزمنية هي الترجمة الفرنسية التي بدأها « جالان Galland » وأكملها « كاردون Cardonne » في سنة ١٧٧٨ م .

ونسخه « أبي المعالي » هي أقدم الترجمات العارسية الموجودة في أيدينا ، ولم يسبقها فيما نعلم إلا الترجمة المنظومة المفقودة التي تولاهها « الروديكي » قبل ذلك بسنوات كثيرة .

أما خير الترجمات الفارسية لقصة « كليله ودمنه » فهي بغير شك الترجمة التي قام بها « حسين الواعظ الكاشفي » في نهاية القرن التاسع الهجري أو الخامس عشر الميلادي وقد اشتقت من هذه الترجمة النسخة الفارسية الثالثة التي تعرف باسم « عيار دانش » أي « عيار المعرفة » وهي التي وضعها « أبو الفضل » للسلطان « أكبر » ، وكذلك النسخة التركية التي وضعها « علي چلبى » للسلطان سليمان الأول باسم « همايون نامه » أو الكتاب الملوكى . وكلاهما من كتب القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي .

وقد هدف صاحب « أنوار سهيلي » — كما يظهر — إلى تبسيط نسخة « نصر الله » وإذاعتها ولكنه أخفق في ذلك فكان أسلوبه أكثر تصنعا وتكلفا . وللمقارنة بين الأساليب المختلفة لهذه الترجمات سأقتل للقارئ قصة « الثعلب والطبل » كما وردت في سائر النسخ المختلفة ، وهي القصة التي تأتي في بداية باب الأسد والثور . وفيما يلي نصها وفقا لنسخة ابن المقفع العربية (١) :

« قال دمنه : زعموا أن ثعلبا أتى اجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكما هبت
 « الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم
 « باهر . فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته ، فلما أتاه وجده ضحيا »

وضعها « جون كابوا : john of Capua » حوالي سنة ١٢٧٠ م بعنوان Directorium vitae Humanae . وقد اعتمد فيها على النسخة العربية القديمة التي اعتمدت مباشرة على نسخة ابن المقفع العربية .

(١) أنظر طبعة بيروت سنة ١٨٨٤ م ص ١٠٦

« فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقه ، فلما آه أجوف لاشيء »
 « فيه قال : لا أدري لعل أفضل الأشياء أجبرها صوتا وأعظمها جثة ... : ۱ »
 وفما يلي نص هذه الحكاية في نسخه « نصر الله » الفارسية (۱) :

« دمنه گفت : آورده اند که روباهی در بیشه رفت. آنجا طبلی دید در پهلوی »
 « درختی افکنده ، وهر گاه باد بچستی شاخ درخت بر طبل رسیدی آواز »
 « سهمنک بگوش روباه آمدی . چون روباه ضخامت جثه بدید ، ومهابت »
 « آواز بشنید طمع در بست که گوشت و پوست او فراخور آواز باشد ، »
 « میکوشید تا آنرا بدرید . الحق جز پوستی بیشتر نیافت . مرکب ندانست »
 « در جولان کشید وگفت : ندانستم که هر کجا جثه ضخم تر و آواز هایتر »
 « منفعت آن کمتر ... ۱۱. »

أما « أنوار سهیلی » فيخط هذه القصة على النحو الآتي (۲) :

« دمنه گفت : آورده اند که روباهی در بیشه میرفت ، ویوی طعمه هر »
 « طرف می گشت . پیای درختی رسید که طبل از پهلوی آن آویخته بودند »
 « وهر گاه بادی بوزیدی شاخی از آن درخت در حرکت آمده بر روی »
 « طبل رسیدی و آواز سهمنکین از آن بر آمدی . روباه زیر درخت مرغ »
 « خانگی دید که منقار در زمین میزد و قوی می طلبید . در کین نشسته »
 « خواست که او را صید نماید که ناگاه آواز طبل بگوش او رسید. نگاه »
 « کرد . جثه دید بغایت فربه و آواز وی مهیب استماع افتاد . طامعه روباه »
 « در حرکت آمده با خود اندیشید که هر آئینه گوشت و پوست او فراخور »
 « آواز خواهد بود . از کین مرغ بیرون آمد و روی بدرخت نهاد . مرغ از »

(۱) أنظر طبعة طهران على الحجر سنة ۱۳۰۵ هـ من ۷۹ .

[المرجم : قلنا النص عن نسخة طهران سنة ۱۳۱۲ هـ من ۸۰] .

(۲) أنظر « أنوار سهیلی » طبعة طهران على الحجر سنة ۱۲۷۰ هـ من ۵۸ - ۵۹ .

[المرجم : وقد اعتمدنا نحن على نسخة كانبور المطبوعة سنة ۱۸۸۰ م من ۹۱] .

« آن واقعه خبر دار شده بگریخت ، وروباه بصد محنت بدرخت برآمد .
 « بسی بکوشید تا آن طبل را بدرید . جز پوستی وپاره چوبی هیچ نیافت .
 « آتش حسرت در دل وی افتاد ، وآب ندامت از دیده باریدن گرفت ،
 « وگفت : دریغ که بواسطه این جبه قوی که همه باد بود ، آن صید حلال
 « از دست من بیرون شد ، وازین صورت بیمعنی هیچ فائده بمن نرسید...!!»
 « دهل در فغانست دایم ولی
 « چه حاصل چو اندر میان هیچ نیست (۱)
 « گرت دانشی هست معنی طلب
 « بصورت مشو غره کان هیچ نیست »

ویدو من هذا المثل أن نص هذه القصة كما وردت في « أنوار سهلی » قریب
 جدا من أصله ، وإن كان قد دخله بعض التلطيط والزيادة . ومع ذلك فهو مشحون
 بالمبالغات التافهة ، والكلمات الغامضة ، والتشبيهات السخيفة ، والمجازات البعيدة ،
 والتعابير الباردة ، بحيث يمثل لنا تماما أسوأ الأساليب التي اتبعها الكتاب المتصنعون
 الذين عاشوا في رعاية التيموريين فيما وراء النهر والأجزاء الشمالية الشرقية من إيران
 خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين أو الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ،
 والذين انتقلوا — مع الاسف — في ركاب « بابر » إلى الهند فأصبحوا القدوة
 التي يحتذونها أهل هذه البلاد المغرمون بالتعابير المنمقة والعبارات المزوقة . وربما
 كان هذا هو أهم الأسباب التي أدت إلى أن أهل الهند لم يعجبوا على الإطلاق
 بالفارسية البسيطة الخالصة ولم ينتجوا فيها شيئا من الأدب ، بل اتجروا طائفة متحذلقه
 من الكتاب ممن ينشئون بالفارسية المتكلفة ، وهم يشبهون تماما طائفة المتخذلقين الذين

(۱) المترجم : تختلف هذه القصة عن القصة التي رواها ابن المقفع في أنها تصور الثعلب
 وقد كمن في البداية ليصيد فرخة ولكنه عندما استمع إلى صوت الطبل ترك الفرخة . وطمع
 في الطبل فلما صعد الشجرة وتحقق من حقيقة الطبل وأنه أجوف ، تندم على ترك الفرخة
 وأفلات الصيد من يده ببارات . شئرة اثبتت بالبئيين الذين اتهمت بهما القصة .

ينشئون حاليا بالإنجليزية المتكلفة التي تطربنا أمثلتها المضحكة الواردة في كتاب « ترجمه حياة القاضى موكرجى » (١) .

ولكى أتم مشارفاتي أقبل فيما يلي قصة « الثعالب والطبل » كما وردت في النص اللاتيني الذى وضعه « جون كاپوا » حوالى سنة ٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ م اعتمادا على النسخة العربية المنقولة عن العربية ، وترجمته كما يأتي : (٢)

« يقول دمنه : كان ثعلب يتجه نحو نهر . وكان يقربه بشجرة قد علق عليها
 « طبل ، وكانت الريح تحرك أغصان الشجرة فتحدث صوتا ، فلما رآها الثعلب .
 « ظنها حيوانا سمينا مليئا باللحم فزقها ولكنه وجدها خالية خاوية ... !!
 « يقول دمنه : أتى لا أعتقد أن الأشياء ذات الحجم الكبير والصوت المرتفع
 « يكون لها في نفسها قوة ... !! ثم سار في طريقه وانصرف عائدا ... !! »

الكتب العربية في هذا العصر

لم يبق علينا الآن إلا أن نذكر أهم الكتب العربية الخالدة التي تم وضعها في هذا العصر . ومن الحق على أن أنبه القارىء إلى أن اختيار المجموعة الجديرة بالذكر من بين هذه الكتب ليس أمرا ميسورا ولا سهلا ، ومن أجل ذلك فقد عمدت

(١) انظر : Biography of Honble. Chief Justice Mookerjee .

(٢) فيما يلي النص اللاتيني كما جاء في طبعه درنبروج ص ٥٠

Ait Dimna : « Fuit vulpes quidam ambulans versus flumen, circa quod suspensum erat cimbalum in arbore, ventus autem ramos arboris agitabat et propulsabatur cimbalum. Et cum vulpes videret, estimavit esse aliquod pingue animal et plenum carnibus, que cum scindere ipsum, invenit ipsum concavum et vacuum. Et ait: « Nolo credere res magni corporis et fortis vocis in se habere potentiam » et abiit in viam suam . «

إلى اختيار الكتب التي أظنها مفيدة للدراسى الفارسية باعتبارها من المراجع التي يضطرون إلى اللجوء إليها بصرف النظر عن أخواتها العربية التي ترجحها شهرة وبعد صيت .

وأهم كتاب العربية وعلمائها الذين توفوا في هذا العصر الذي ندرسه هم الآتون بحسب ترتيبهم الزمني :

١ - « الزوزنى » : التوفى سنة ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م ، وهو عالم لغوى اشتهر بتفسيره للعلاقات السبع . وقد وضع أيضاً معجمين بالعربية والفارسية ، أحدهما هو « ترجمان القرآن » ليستفاد به في قراءة القرآن وفهمه .

٢ - « التبريزى » : التوفى سنة ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م وهو أيضاً عالم لغوى اشتهر من بين مؤلفاته « شرح الحماسة » و« شرح العلقات » . وقد كان تلميذاً للشاعر العظيم « أبى العلاء المعرى » .

٣ - « الغزالى » : وهو « حجة الإسلام » التوفى سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م وقد درسنا حياته ومؤلفاته في الفصل السابق .

٤ - « الرويانى » : وهو عبد الواحد الرويانى الذى قتله واحد من الحشاشين في مدينة « آمل » عندما كان يقوم بالتدريس والمحاضرة .

٥ - « الظفرانى » : صاحب « لامية العجم » ووزير السلطان مسعود السلجوقى ، وقد أعدم حوالى سنة ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م

٦ - « الحريرى » : التوفى سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م ، وهو صاحب « المقامات » التي ذاع صيتها ، وقد أنشأها للوزير « أنوشروان بن خاله » التوفى سنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م وهو صاحب « تاريخ السلاجقة » الذى طبعه « هوتسا » في مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م ضمن مؤلف البندارى .

٧ - « القراء البغوى » : التوفى سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م وهو فقيه ومحدث

اشتهر من كتبه تفسير للقرآن بعنوان « معالم التنزيل » .

٨ - « البيداني النيسابوري » : التوفي سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م وقد سار ذكره بمؤلفه الجامع للأمثال العربية .

٩ - « ابن عبدون » : التوفي سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، وهو من أهل الأندلس ، وقد اشتهر بقصيدته التاريخية الطويلة التي شرحها فيما بعد واحد من مواطنيه هو « ابن بدرون » للتوفي حوالي سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م .

١٠ - « الزمخشري » : التوفي سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م وهو من رجال المعتزلة وصاحب التفسير الكبير المعروف بـ « الكشاف » وكذلك صاحب جملة من المعاجم اللغوية بالعربية والفارسية .

١١ - « الجواليقي » : التوفي سنة ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م وهو من علماء اللغة وصاحب « العرب » في الكلمات الأعجمية المستعملة في اللغة العربية .

١٢ - « الشهرستاني » : التوفي سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م وهو صاحب « كتاب الملل والنحل » .

١٣ - « النسفي » : وهو نجم الدين أبو حفص عمر المنسوب إلى مدينة بسف المعروفة أيضا باسم « نخشب » وقد توفي سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ويعتبر من أئمة فقهاء الحنفية في زمانه .

١٤ - « الطوسي » : وهو الفقيه الشيعي المتوفي سنة ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م وصاحب مجموعة الكتب الشيعية التي نشرها « سرنجر » في مدينة كلكتا سنة ١٨٥٣ - ١٨٥٥ م .

١٥ - « الطبرسي » : وهو أيضا من فقهاء الشيعة ، وقد توفي سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م .

وأكثر هؤلاء الكتاب — كما هو ظاهر — من أصل فارسي ، ولكن دراستهم بالتفصيل تعتبر من موضوعات « الأدب العربية وتاريخها » ، ولا مجال لها في هذا الكتاب حتى لو اتسعت لذلك صفحاته واستوعبت أوراقه . ومع ذلك فإنني أنبه كل جاد في الاشتغال بتاريخ الآداب الفارسية بأن يعود نفسه على الاطلاع على أكثر مؤلفات هؤلاء الكتاب بين الفينة والفينة ، لأن اللغة العربية — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — ظلت تحافظ على مكانتها في إيران كلغة للعلوم والآداب حتى كانت غارة المغول وسقوط بغداد في منتصف القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي ؛ وقد ألف فيها المؤلفون أكثر كتب المراجع التي لا يستغنى عنها الطالب الجاد والدارس المتفحص ، وربما كان من الخير أن أفضل الحديث قليلا عن بعض هؤلاء الكتاب ولنبداً بالباخرزي فقد توفي سنة ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م وكان لزاماً علينا أن ندرسه في الفصل السابق لولا ما وقعنا فيه من سهو وإغفال .

الباخرزي :

هو « أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخري » وقد اشتهر بقول الشعر وكتابة تراجم الشعراء . وقد كتب عنه صاحب « اللباب » باعتباره شاعراً ، فترجم له ترجمة مطولة في الجزء الأول من كتابه في الصفحات من ٦٨ إلى ٧١ ، أما باعتباره من أصحاب كتب التراجم فقد استطاع « الباخري » أن يتم كتاب « يتيمة الدهر » الذي وضعه « الثعالبي » من قبل ، فأكله بكتابه « دمية القصر » وضعه سير حياة ٢٢٥ شاعراً من المعاصرين وعشرين رجلاً من أهل الفضل لم يؤثر عنهم شيء من الشعر (١) . ومن الأسف أنه قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية ، وأغفل ذكر شعراء الفرس ، ولو أنه تحدث عنهم لكان حديثه مصدراً لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة .

(١) لهذا الكتاب مخطوطان في المتحف البريطاني تحت رقم Add ٩٥٩٤ و رقم Add ٣٣٣٧

أما أشعار «الباخرزي» نفسه فبلغها عربي وبعضها فارسي، وقد كتب عنه العوفي فقال: «لقد أصبح في اللغتين علماً يرتفع فوق أرجاء العالم، ويمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين» .

وكان «الباخرزي» في شبابه كاتباً للسلطان «طغرل» السلجوقي ثم فضل حياة العزلة فاستقال من منصبه وعاش غيشة لاهية عابثة انتهت بمقتله في سنة ثمان وستين وأربعمائة الهجرية (= ١٠٧٥ م) أثناء ثورة من ثورات الشراب كما يظهر .

ويذكر «العوفي» في الجزء الأول من «لباب الألباب» ص ٧٠، وكذلك «رضا قليخان» في الجزء الأول من كتابه «معجم الفصحاء» ص ٣٤٣ أن «الباخرزي» أنشأ بالإضافة إلى أشعاره المنفرقة قصيدة مطولة، جعل عنوانها «طرب نامه» أو «رسالة الطرب» وأنه جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائي للحروف .

وفيما يلي أبيات منقولة في «الباب» من قصيدة عربية قالها الباخري في مدح طغرل: (١)

سرنا ومرآة الزمان بحالها فالآن قد محقت وصارت منحلا
تخذ الركاب فلا تموج بنا على تطل الحبيب ولا تحيي المنزلا
وتحرك الأعطاف تشميراً بنا تقيم الملك المظفر طغزلا

وفيما يلي ترجمة لرباعية من رباعياته الفارسية (٢) :

— حول وجهها الأبيض ليل شديد السواد والقمام (أى الشعر)
— وتحت سكرتها (شفتها) اثنان وثلاثون كوكباً (أى أسنانها) تنير الظلام

(١) انظر «لباب الألباب» ج ١ ص ٦٩

(٢) المترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في ص ٧٠ في المرجع السابق
پیرامن روز قیر کون شب دارد زیر دو شکر سی و دو کوکب دارد
بر سرخ گل از غایه عقرب دارد واز نوش دو تریاک مجرب دارد

— وفوق وردتها الحمراء (أى وجنتها) عقرب أسود هو طرفها السوداء
 — ولكن لديها ترياقان مجربان (أى شفتها) لدفع النعمة ورفع البلاء... ١١
 وفيما يلي رباعية أخرى قالها في وصف الشراب (١) :

— إنى أريد تلك الحجر... فهى سبب للسعادة والهناء
 — واسمها الحجر... ولكنها في الحقيقة كيمياء النهجة والصفاء... ١١
 — وهى من ماء العنب... ولكنها كالعناّب قانية حمراء
 — وهى ماء عجيب... يلهب الوجنات بالنار والبريق والضياء... ١١

وفيما يلي رباعية أخرى يقال إنه أنشأها في حالة النزح (٢) :

— إننى ذاهب... فتعال الآن وانظر إلىّ قبل الرحيل
 — وانظر إلىّ وأنا أتعذب في هذا الحال المؤلم الويل
 — ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوق وإلى يدي من تحتي
 وإلى فراق الأعبة... وإلى سيف الأجل القاطع الثقيل... ١١

وقد رثاه شاعر اسمه « عياضى » بالبيتين الآتيين (٣) :

مسكين على حسن كه از آن شوم كارزار .
 بی جرم چون حسین على كشته كشت زار

(١) المترجم : فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في صفحة ٧٠ في المرجع السابق
 زان مى خواهم كه خرمى را سبب است نامش مى و كيمياء شادى لقب است
 سرخست چو عناب واز آب عنب است آبی كه برخ بر آتش آرد عجب است
 (٢) المترجم : فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في « لباب الالباب » ج ١ ص ٧١
 من مى روم يا مرا سير به بين ورن حال بعد هزار كشور به بين
 سنگى ز بر و دست من از زير به بين وز يار بريدنى بشمشير به بين
 (٣) قس المرجع والمصحفة

شیری بُد او که بود ادیب مرغزار او
گر کشته شد عجب نبود شیر مرغزار

ومعناها :

- مسکین « علی بن الحسن » فقد وقع في هذا العراك المشنوم
- وقتل بغير جريرة كالحسين بن علي الشهيد المظلوم ... !!
- وقد كان أسداً ... وكان الأدب عرينه وواديه
- ولا عجب إذا قتل الأسد في مأسدته وبواديه ... !!

الروايي :

هو قبه الشافعية «عبدالواحد بن اسماعيل الروايي» اللقب أثناء حياته بلقب «فخر الاسلام» وبعد مماته بلقب «الإمام الشهيد». وأهم ما يذكّر عنه هو طريقة استشهاده وقد أوردتها «ابن أسفنديار» في كتابه «تاريخ طبرستان» على النحو الآتي : (١).

- « وقد اشتهر بنفاذ البصيرة وصدق الحكم ، بحيث أنه عندما طلب الملاحدة (٢) »
- « في أيامه الفتوى كتابة في مسألة قدموها إلى العلماء على النحو الآتي : ماذا »
- « يقول علماء الإسلام في قضية اتفق فيها الشاكي والشكو في حقه على قول »
- « التزامه فيه العدل والحق ، ولكن اعترض دعواهما شاهد من الشهود فأنكر »
- « دعوى الشاكي وإقرار الشكو في حقه ... فهل تقبل شهادته أو ترفض ... ؟ »
- « وقد كتبوا هذا الاستفتاء على الورق وأرسلوا به إلى المدينتين المقدستين مكة »
- « والمدينة . فأفتى قبهاء المدينتين وكذلك أئمة بغداد وسوريا بأن شهادة الشاهد »

(١) أنظر ترجمتي المختصرة لهذا الكتاب من ٧٥ - ٧٦ وهي منشورة في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية» وبه أصل القطعة باللغة الفارسية
(٢) سميت جماعة المحاشين باسم «الملاحدة» وعرفوا بهذه التسمية في إيران خاصة

« مرفوضة ، لا يقبل سماعها ؛ ولكنهم عندما قدموا الورقة المتضمنة لهذا الاستفتاء »
« إلى الروياني ، حدق فيها ثم التفت إلى مقدمها وقال له : أيها ملعون التاعس »
« إن غفلتك ستجلب لك الهلاك الويل... ! ثم أمر بحبسه ، وجمع رجال القضاء »
« والشرع وقال لهم : لقد كتب الملاحدة هذا الاستفتاء ، وهم يقصدون بالشاكي »
« والمشكو في حقه النصرى واليهود ، وأما الشاهد الذى يعنونه فهو النبي عليه »
« الصلاة والسلام لأن القرآن يقول : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . »
« فلما سألوا الملاحد في هذه المسألة اعترف لهم بأنه ظل سنة كاملة ينتقل من »
« مكان إلى مكان يجمع الفتاوى والإجابات ، فأمروا برجه ؛ واجتمع أهل »
« « أمل » فرجموه بالحجارة حتى مات . ثم أمر فخر الإسلام الروياني بلبنة »
« الملاحدة ومن ينتمى إليهم . فأثار عمله هذا حفيظتهم ، فأرسلوا إليه جماعة »
« من الفدائيين قتلوه غيلة بالمدى على باب أحد أروقة المسجد الجامع بمدينة »
« أمل من الناحية التى تنتصب فيها منارته . وما زالت المدينة التى استعملت فى »
« قتل هذا الإمام الشهيد محفوظة فى الرواق الذى كان يقيم فيه بالمدرسة وقد »
« شاهدها بنفسى جملة مرات . »

وقد كان غرض « الحشاشين » وما يهدفون إليه من وراء هذا الاستفتاء هو أن يسخروا من قهواء الإسلام بأن يثبتوا لهم أن الشريعة الإسلامية تتنافى مع الفقه الإسلامى تمام النفاة . فإن النصرى وهم الشاكون فى هذه القضية ، يتهمون اليهود وهم الجناة والتهمون فيها بأنهم قتلوا « المسيح » وصلبوه ، واعترف اليهود بصحة التهمة المنسوبة إليهم وقبلوا الآثار المترتبة على جريمتهم ، ولكن النبي محمداً يذهب مذهب بعض الفرق الغنوصية (١) فينكر أن اليهود قد صلبوا المسيح ، وبذلك يشهد ضد الشاكي وينكر فى الوقت نفسه إقرار المتهم . وقد قبل المسلمون جميعاً شهادة نبيهم فى هذا الموضوع كما قبلوها فى مواضع أخرى ؛ ولكنهم لو اتبعوا آراء قهواءهم وعلمائهم

(١) فرقة من المسيحيين تذهب إلى أن طريق الخلاص هو المعرفة وليست العقيدة

لما وجدوا ما يبرر قبولهم لهذه الشهادة . وقد استطاع « الروياني » بنفاذ بصيرته وسرعة حكمه أن يكشف موضع الفخ الذي نصبه الملاحدة ، فأثار بذلك دهشهم وإعجابهم ولكنه في الوقت نفسه أثار حفيظتهم عليه حتى قتلوه غيلة في النهاية .

الحريري :

درسنا فيما سبق هذا الأسلوب المصنوع المبتكر الذي تمتاز به سائر « المقامات » سواء ما كتب منها بالعربية كمقامات « بديع الزمان الهمداني » ومقامات « الحريري » أو ما كتب بالفارسية كمقامات « حميد الدين البلخي » ، ولم تعد بنا حاجة إلى التمهّل في هذا المقام لدراسة أسلوب الحريري خاصة ، فهو الملك المتوج على رأس هؤلاء الكتاب الذين تخصصوا في هذا الأسلوب المتكلف ، كما أن « بديع الزمان الهمداني » هو أول السابقين إلى ابتكاره وترويجه . يضاف إلى ذلك أن مؤلفات « الحريري » قد درست وشرحت وترجمت أكثر من مرة في بلاد الشرق وأوربا ، بحيث أن محاولة الحديث عن هذه الدراسات والشروح والترجمات تستوعب في مجموعها أكثر مما استوعبته صفحات هذا الكتاب كما إنها تصرف القارئ عن كثير من المسائل الهامة التي بينها « دي ساسي » في طبعته الأنيقة للمقامات في باريس سنة ١٨٢٢ م ، أو التي تحدث عنها « تشنري Chenery » في الصفحات المائة التي قدم بها الجزء الأول من ترجمته للمقامات المطبوعة في لندن سنة ١٨٦٧ (١) ، أو التي توجد في التقليديات الألمانية لأسلوب المقامات كما اشتمل عليها المجلد الثاني من كتاب « فون كريمر » عن « تاريخ الأدب الشرقي » (٢) أو في غير ذلك من المؤلفات المتعلقة بالأدب البعريية .

ويقرر « الزمخشري » في بيت من الشعر ، كتبه « دي ساسي » على غلاف طبعته

(١) أنظر :

Chenery : Assemblies or Maqamat, London 1867

(١) أنظر :

Von Kremer: Culturgeschichte des Orients. vol II pp 470-476

أن مقامات «الحريري» جرية بأن تكتب بماء الذهب ؛ وهو في هذا يعبر عن رأى مواطنيه فيه ، ولكنه يخالف في ذلك آراء جملة من كبار المستشرقين الممتازين . ومهما كان الأمر فإن المراجع المتعلقة بدراسة هذه المقامات وافرة وكثيرة وزائدة . أما صاحب المقامات ، فيكفي أن نذكر عنه أنه ولد في البصرة في سنة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م وأنه مات بها في سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م وقد كان ضئيل الحجم ، زرى المظهر ، يقتلع شعرات ذقنه إذا اشتغل بالتفكير والكتابة ، ولكنه مع ذلك كله كان موضعاً لتقدير الوزير «أنوشروان بن خالد» ورعايته ، وقد كتب «المقامات» بناء على طلبه وجعل إهداءها إليه (١) .

أنوشروان بن خالد :

هذا الوزير جدير بالذكر في هذا المقام لأنه صاحب الرسالة المشهورة عن تاريخ السلاجقة ، وهي الرسالة التي طبعها «هوتسما» عند تحقيق تاريخ البنداري وجعلها الجزء الثاني من «مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة» (١) .

وقد جمع «هوتسما» في مقدمته (ص ١١ — ٣٠) جميع ما يعرف عن هذا الوزير ، ولكن وجدته عنه نبذة في مخطوطة لكتاب «عيون الأخبار» محفوظة بمكتبة جامعة كامبردج تحت رقم Add. ٢٩٢٢ بالورقة ١٢٦ فشرتها في ص ٨٦١ — ٨٦٢ من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية لسنة ١٩٠٢ . وفيما يلي خلاصتها كما جاءت تحت سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م .

« وفيها توفي أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني أبونصر الوزير . مولده بالري »

(١) أنظر ص ٥ من طبعة «دي ساسي» للمقامات ، وكذلك ص ١٢ من مقدمة «هوتسما» لتاريخ البنداري وكذلك ص ٢٧٦ من الجزء الأول من كتاب «تاريخ الأدب العربية» لبروكلمان (٢) Houtsma : Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seljoucides ; Leyden. 1889.

« سنة تسع وخمسين وأربعمائة . تنقلت به الأحوال إلى أن ولي وزارة السلطان
 « محمود [بن محمد بن] ملكناه سنة سبع عشرة وخمسة مائة وقدم معه بغداد
 « واستوطنها ، وكان يسكن بالحريم الظاهري في دار علي شاطيء دجلة . وعزل
 « عن الوزارة ثم أعيد إليها ثم قبض عليه السلطان واعتقله ثم أفرج عنه
 « واستوزره الإمام المسترشد في أواخر سنة ست وعشرين وأقام مديراً إلى
 « أن عزل سنة ثمان وعشرين وأقام بمنزله في الحريم الظاهري مكرماً إلى
 « أن توفي في هذه السنة (٥٣٢هـ) ، وكان من الصدور الأفاضل موصوفاً بالجدود
 « والكرم محباً لأهل العلم ، وكان قد أحضر إلى داره أبا القاسم بن الحسين ليسمع
 « أولاده منه مسند ابن حنبل بقراءة أبي محمد بن الحشاب وأذن للناس عامة
 « في الحضور لسماعه فحضره الجهم الغفير وسمعه خلق كثير ، ولابن حنبل
 « الشاعر فيه أمداح وأهاجى . فمن أمداحه فيه قوله :
 « سألوني من أعظم الناس قدراً قلتُ مولايمُ أنوشيروان
 « وإذا أظهر اتواضع فينا فهو من آية الرضيع الشان
 « ومتى لاحت النجوم طلي صفحة ماء فهن غير دواني
 « وكتب إليه القاضي ناصح الدين الأرجاني يطلب منه خيمة ، فلم يكن عنده ،
 « فبعث إليه صرة فيها خمس مائة دينار وقال : اشتر خيمة : فقال الأرجاني :
 « لله در أبي خالد رجلا أحياناً الجود بعد ما ذهبها
 « سأته خيمة ألوذ بها فجاد لي ملء خيمة ذهبها
 « وكان هو السبب في عمل مقامات الحريري ، وإياه عنى الحريري في أول
 « بمقاماته بقوله : فأشار من أشارته حكم وطاعته غم . وكان أنوشروان
 « يتشيع ساعه الله تعالى . . »

الزحسري :

أما العالم اللغوي والمفسر المعتزلي « أبو القاسم محمد بن عمر الزحسري » لجدير
 منا بكلمات قليلة . ولد هذا الرجل في مدينة خوارزم (وهي مدينة خيوة الحديثة)
 في سنة ٥٧٦هـ = ١٠٧٤ م ومات بالقرب منها في سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٣ م .

وقد أقام بعض الوقت في مدينة مكة ، فأسماء الناس من أجل ذلك بـ « جارا لله »
وقد كان من أقوى المعارضين لمذهب الشعوية ، وهو المذهب الذي كان يفضل العجم
على العرب في كل شيء ، ولكنه مع ذلك وضع معجرا عربيا فارسيا ليتنفع به مواطنوه
وقد نشره «قزشتاين» في مدينة ليبرج سنة ١٨٤٤م^(١) .

وأهم مؤلفاته هي الكتب الآتية ، وجميعها مكتوبة باللغة العربية :

- ١ — الكشف : وهو تفسير كبير للقرآن
- ٢ — المفصل : وهو كتاب معروف في قواعد اللغة العربية
- ٣ — كتاب الأمكنة والجيال والياه : وهو عبارة عن معجم جغرافي .
- ٤ — أطواق الذهب .

الشهرستاني .

هو « أبو الفتح محمد بن أبي القاسم بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني »
نسبة إلى «شهرستان» في ولاية خراسان . وقد ولد سنة ٥٧٩هـ = ١٠٨٦م وزار
بغداد في سنة ٥١٠هـ = ١١١٦م وبقي بها ثلاث سنوات . وتوفي في النهاية في بلدته سنة
٥٤٨هـ = ١١٥٣م

وقد ألف كتابين أو ثلاثة كتب قليلة الأهمية ثم ألف في سنة ٥٢١هـ = ١١٢٧م
كتابه المعروف «الملل والنحل» وقد نشره « كيرتون Cureton » في سنة ١٨٤٦م
كما ترجمه إلى الألمانية في سنة ١٨٥٠ الدكتور «تيودور هاربروكر» . وقد ظل هذا
الكتاب مدة طويلة ، المرجع الأول والوحيد لجميع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع
الهام ، حتى تم الآن في مدينة القاهرة طبع كتاب يحمل نفس هذه التسمية ولكنه أسبق

(١) الترجمة : صحت هذا التاريخ هو سنة ١٨٤٣م أنظر

منه زمنا وأوفى موضوعا ، وهو كتاب « ابن حزم » الفقيه الأندلسى الظاهرى (١) ،
المولود فى سنة ٣٨٤ هـ = ٩٩٤م والتوفى سنة ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤م

وقد كان الفضل فى حصولى على نسخة جميلة من هذا الكتاب الهام ، وهو شرف
لم يفز به الا قليل من المحظوظين ، راجعا إلى صديقى وأستاذى المأسوف عليه مفتى
مصر الأ كبرالشيخ « محمد عبده » الرجل العظيم والأستاذ القدير وأعمق مفكرى
الإسلام فى هذه الأيام .

(١) كتاب « الملل والنحل » لابن حزم طبع القاهرة سنة ١٣١٧-١٣٢١ هـ = ١٨٩٤-١٩٠٣م

الفصل السادس

الشعراء الأربعة النابهنون

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)

- ١ - الأنوري
- ٢ - الخاقاني
- ٣ - نظامي الكنجوي
- ٤ - ظهير الفارابي

مقدمة :

سأعرف في هذا القسم قليلا عن تتبع النظام التاريخي الذي راعيته حتى الآن لكي أستطيع أن أدرس في وقت واحد أربعة شعراء من الشعراء الذين ينسبون إلى الفترة الأخيرة من الدولة السلجوقية . وهؤلاء الشعراء الأربعة يعتبرون ، بانفاق آراء مواطنيهم في عداد كبار الشعراء الذين أنشدوا القصيد في إيران .

ولم يكونوا جميعا متعاصرين بالمعنى الدقيق ، كما لا يمكن أن نعتبر غير واحد منهم من شعراء السلاجقة ، ولكننا نجتمعهم في هذا الفصل فنقوم بدراستهم والمقارنة بينهم ، وذلك لما لهم من مكانة خاصة في الأدب الفارسي ، تدعونا إلى الإفاضة في الحديث عنهم ، وإعظائمهم ما هم جديرون به من عناية واهتمام .
هؤلاء الشعراء الأربعة هم :

١ - أنوري الخاوراني من أهل خراسان :

عاش بعد «سنجر» مدة ثلاثين أو أربعين سنة ولكنه اشتهر على أيام «سنجر»

٢ - خاقاني شاعر شروانشاه :

ولد في «كنجه» (الآن اسمها :اليزاقتيبول) في سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ -

١١٠٧ م)

٣ - نظامي :

ولد أيضا في « كنج » بعد الحاقاني بخمس وثلاثين سنة (١٤٣٥ هـ) .

٤ - ظهير الدين القازياني :

ولد في « قازياب » بالقرب من بلخ ، واتصل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي (= السادس الهجري) بطغانشاه في « نيسابور » ، وحسام الدولة اردشير في « مازندران » والأتابكة في « أذربيجان » ثم مات في النهاية في مدينة « تبريز » عند مطلع القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) .

١ - الأنوري

أقدم هؤلاء الشعراء وأكثرهم شهرة هو « الأنوري » . والبيتان التاليان المعروفان بجملانه واحدا من ثلاث شعراء يعتبرون أكبر من أئمتهم إيران على الإطلاق :

در شعر سه تن پيغمبر آند قولیست که جملگی بر آند
فردوسی و أنوری و سعدي هر چند که لا نبی بعدی

ومعنى هذين البيتين :

— للشعر ثلاثة أنبياء ، وهذا قول يتبعه الجميع :

— الفردوسی و الأنوري و السعدي ، ثم بعد ذلك لا نبی بعدی .

ومن الصعب على مستشرق أوروبا يدرس الفارسية ، مهما حاول احترام آراء النقاد من الفرس ، أن يتابع هذا القول فيجعل « الأنوري » مساويا للفردوسی أو « السعدي » أو يجعله في مرتبة أعلا من مرتبة « ناصر خسرو » أو « النظامي » . ذلك لأن « المدائح » وهي الكثرة المطلقة من أشعار « الأنوري » لا تستطيع أن تمس إلى قلب المدوح مهما اجتهد الشاعر في تمييقها وتدييحها .

ومن رأى أحد أصدقائي وهو « ميرزا محمد قزويني » ، العالم الفاضل الذي كان من حسن حظي التعرف عليه ، أن شهرة الأنوري تعتمد أصلا على القصائد التي لم يكن غرضها « المديح » . وربما كانت هذه النظرة هي أصوب الآراء وأقربها إلى الدقة .

ولم يكن الأنورى مبرزاً في قول «الغزل» أو «الرباعي» أو ما شابه ذلك من فنون النظم وضروبه ولكن شخصيته كانت قوية واضحة فيما قال من «مقطعات»

مصادر دراسة الأنورى

وليس في أيدينا عن حياة «الأنورى» إلا القليل من الأخبار الصحيحة التي يمكن أن نعتمد عليها . ولكننا لو درسنا أشعاره دراسة دقيقة لأمكننا بلا شك أن نحصل على كثير من المعلومات التي مازالت خافية عنا من نواحي حياته . وللأسف لا تمدنا المصادر الأخرى إلا بالقليل من الأخبار التي لا يمكن الوثوق منها .

أما عوفي في كتابه «باب الألباب» (الجزء ٢ ص ١٢٥-١٣٨) فلا يخبرنا — كعادته — بشيء عنه ، إلا أنه كان مبرزاً في النجوم والهندسة والنطق ؛ وهذه حقيقة معروفة لدينا من مصادر أخرى ، وعلى الخصوص من قصائده مروية في «تاريخ كزنده» (١) حيث يذكر هذه العلوم ويضيف إليها الموسيقى والإلهيات والأحكام ، بل وكل علم نظري أو عملي يعرفه واحد من معاصريه .

(١) أنظر هذه الفصيدة وترجمتها في ص ٧-٨ من مقالتي المنشورة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ عن «شعراء الفرس المذكورين في كتاب تاريخ كزنده» *Biographies of Persian Poets contained in the Tarikh-i-Guzidá* J. R. A. S. October 1900.

والنص أيضاً موجود في طبعة لكتنو على الحجر سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ص ٧٠٤ و ٧٠٥ وفي ص ٨١٣ من طبعة «براون» للنشورة في «سلسلة جب التذكارية» طبع لندن سنة ١٢٢٨ هـ (١٩١٠ م) وهذه الأبيات هي التالية :

گرچه در بستم در مدح وغزل یکبارگی ظن مبر کر نظم الفاظ ومعانی قاصر
بلکه از هر علم کر اقران من داند کسی خواه جزوی گبر انرا خواه کلی قاهر
منطق و موهیقی و هیأت شناسم آندکی راستی باید بگوم بانصیبی واقرم
در الهی آنچه تصدیقش کند عقل صریح گر تو تصدیقش کنی در شرح و بسطش ماهرم
بستم بیگانه از اعمال، و أحكام نجوم و در همی باور نداری رنجی شو من حاضر

تساة الانورى :

والانورى وفقاً لما يقوله دولتشاة (ص ٨٣ - ٨٦ من طبعى) ولد فى قرية « مهنه » من قرى « أبورذ » فى صحراء « خاوران » ، ومن أجل ذلك تخلص فى البداية بكلمة « الخاورى » ثم غيرها فيما بعد إلى « الأنورى »

وقد حصل علومه فى المدرسة النصورية بمدينة « طوس » حيث قضى سنوات تعلمه فى قمر وإملاق ، وفى يوم من الأيام - كما تقول الروايات - مر بباب المدرسة رجل جليل الهيئة قد امتطى صهوة جواده ، وفى أثره كثير من الخدم والحشم ، فسأل الأنورى عنه فقالوا له : إنه شاعر ... فقال الأنورى : « سبحان الله ... أهكذا أظن فقيراً مسكيناً وقد بلغت النهاية من العلم...؟! ويكون هو غنياً مع ما يعرف من هوان أمر الشعر ...! قننا برب العزة والجلال لأجعلن الشعر شغلى بعد اليوم ولو أنه أقل مراتبى وأهون ما حصلت ...» (١) ثم انبرى فى هذه الليلة فأنشأ قصيدته المعروفة فى مدح السلطان « سنجر » ومطلعها :

گر دل و دست بحر و كان باشد دل و دست خدایگان باشد

ومعناه :

— إذا استطاع القلب والكف أن يكونا بحراً ومنجماً للدرر والجواهر
فإن قلب المليك وكفه هما البحر والمنجم لما يجودان به من عطاء وافر !!

فلما أصبح الصباح تقدم إلى السلطان « سنجر » وأنشده قصيدته ، فاستحسنها السلطان وسأله عن الجزاء الذى يريد منه ، وهل يفضل الالتحاق بخدمته أم الحصول على عطاء مالى ...؟؟ قبل « الأنورى » الأرض بين يديه وقال له بيته المشهور :

(١) الترجمة : أظن من ٨٣ من « تذكرة الشعراء » وقد اعتمدنا فى الترجمة على الأصل الفارسى لأنه أقرب إلى الروح العربية .

جز آستان تو ام در جهان پناهی نیست
سر مرا بجز این در حواله گاهی نیست (١).

ومعناها :

— هذه أعتابك ... ولا ملجأ لي في العالم إلا هذه الأعتاب ...
وهذا بابك ... ولا معتم لراسي إلا في هذا الجنب ... !!
عند ذلك أمر له « سنجر » بمرتب شهرى وبخلة طيبة ثم استصحبه معه إلى
مدينة « مرو » .

ويؤخذ من أبيات مروية في تذكرة الشعراء (ص ٨٤) أن « خاوران » أنجبت
أربعة من الأفاضل ليس لهم خامس . أحدهم « الأنورى » وثانيهم « أبو على أحمد
ابن شادان » الذى كان وزيراً لـ « طغرل بيك » وثالثهم الأستاذ « أسعد مهنة » من
خفول العلماء للمعاصرين للغزالي والمناظرين له ، ورابعهم الصوفى المعروف « أبو سعيد
ابن أبي الخير » الذى ترجمنا له فيما سبق ؛ ونص هذه الأبيات كما يلي (٢) :

تا سپهر صيت گردان شد بخاك خاوران
تا شبانگه آمدش چار آفتاب خاورى
خواجه چون « بوعلی شادان » وزیر نامدار
عالمی چون « أسعد مهنة » ز هر شینی بری
صوفی صافی چو سلطان طریقت « بو سعید »
شاعر قادر چو مشهور خراسان « أنورى »

وقد أقدم « الأنورى » رشم علو منزلته في علم النجوم ، على إخراج حكم من
أحكامها لم يتحقق ، وكاد يقضى على ما عرف عنه من منزلة وشهرة في هذا العلم .
وتفصيل الخبر : أن الكواكب السبعة السيارة اجتمعت على عهد « سنجر »
في برج اليزان ، فقرر الأنورى أنه سينتج من اجتماعها في هذا البرج أن تثور
العواصف في هذا الشهر ، فقتلع البنايات من أساسها والأشجار من جذورها ،

(١) المترجم : الظاهر أن « حافظا الشيرازى » أخذ هذا البيت وجعله مطلقاً لفنزل رقم ٤٠
من غزلياته . أنظر ترجمتي العربية المنشورة تحت عنوان « أغاني شيراز » .
(٢) المترجم : أضفنا هذه الأبيات بنصها الفارسي . وليس لها وجود في الأصل

وتحرب المدن والبلاد ... تخاف عوام الناس من هذا التفرر وحفروا السرايب ليحتموا فيها عند وقوع الواقعة ... فلما حلت الليلة التي حددها « الأنورى » لم يثر من الريح ما يكفي لإطفاء شمة أشعلوها ورفعوها على مشدنة من مآذن المدينة ... !! فلما عاتبوه على خطأ تقديره ، اعتذر بأن آثار القرائن لا تظهر فجأة ، وإنها تحتاج إلى شيء من المهلة والتدرج ... ولكن مضت على ذلك سنة كاملة والرياح على غاية من الهدوء والضعف بحيث لم يكف هبوبها لتذرية المحصول واضطروا إلى إبقائه في يادره على حاله حتى الريح التالى ... !!

وقد قال « فريد الكاتب » بيتين من الشعر بين فيهما بطلان حكم الأنورى ، هذا نصهما :

گفت انورى که از جهت باد های سخت
 ویران شود عمارت وکه نیز بر سرى
 در روز حکم او نوزیدست هیچ باد
 یا مرسل الرياح تو دانى وأنورى

وترجمتهما :

— قال الأنورى : إن الرياح العاصفة ستخرب العمارات وتقتلع الجبال ...
 — فلما كان اليوم الذى حدده ، لم تهب الرياح بل سكنت ... فإمرسل الرياح أنت أدرى بالحال ... !!

وقال أيضا البيتين الآتين فى هذا المعنى :

مى گفت آنورى که درین سال با دها
 چندان وزد که کوه بچنید تو بنگرى
 بگذشت سال و برک نجیید از درخت
 ای مرسل الرياح تو دانى نه انورى

ومعناها :

— قال الأنورى إن الرياح ستهب فى هذا العام بشدة بحيث ترحح الجبال عن مكانها
 — فانقضى عام بطوله ولم تحرك الرياح أوراق الأشجار ... فإمرسل الرياح أنت عالم بحالها ... لا الأنورى !!

وللشهور أن قران الكواكب الذى أشار إليه « الأنورى » وقع فى شهر رجب سنة ٥٨١ هـ (أكتوبر سنة ١١٨٥ م) أو فى السنة التالية كما أشار إلى ذلك « إتيه »^(١) ، وعلى ذلك يكون موت الأنورى قد حدث بعد هذا التاريخ قطعا : لا كما يقول أصحاب كتب التراجم من أقوال متناقضة (ربما تتناقض باختلاف الأمكنة من الكتاب الواحد) حينما يجعلون وفاته بين سنة ٥٤٥ هـ و ٦٥٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢٥٨ م) .

وخير رسالة كتبت عن « الأنورى » هى التى نشرها الأستاذ « فالتين زوكوفسكى Valentin Zhukovski » فى مدينة « پتروغراد » سنة ١٨٨٣ بعنوان « أوحدالدين الأنورى » .

ومن أسف ، أن هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية ، ومن أجل ذلك فهى عسيرة على أغلب المستشرقين ، ولكن الدكتور « پرتش W. Pertsch » أصبح يديننا بفضل جديد هو أنه لخص لنا الجزء المتعلق بحياة الشاعر ونشره فى الجزء الثانى من « الصحيفة الأدبية للفيولوجيا الشرقية . ليزج ١٨٨٤ » :

Litteratur— Blatt für orientalische Philologie, Leipzig, 1884

والرسالة الروسية الأصلية تحتوى على : مقدمات من ٢٤ صحيفة و ١٤٦ صحيفة فى صلب الموضوع ثم ٩٠ صحيفة من النصوص الفارسية ، وتشتمل على الفصول الآتية :

١ - ز	مقدمة
ح - خ	تجويد

(١) يشير ابن الأثير إلى أن هنا القران وقع بين خمسة كواكب (لا سبعة) فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١١٨٦ م) ويشير إلى أحكام النجدين وخطأهم بقوله : « كان النجمون قديما وحديثا قد حكموا أن هذه السنة فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة فى برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن لتلك صحة ولم يهب من الرياح شىء البتة حتى أن الغلال (الحنطة والشعير) تأخر نجازها لعدم الهواء الذى يبرى به الفلاحون . فأكذب الله أحمقوة النجدين وأخزاهم . . . » .

- الفصل الأول : حياة الأنورى
 ٣٠ - ١
 الفصل الثانى : حياته الأدبية وخصائمه
 ٧٨ - ٣١
 الفصل الثالث : شروح الأنورى وخاصة شرح أبى الحسن الفراهانى
 ٩٧ - ٧٩
 الفصل الرابع : لغة الأنورى ومؤلفاته
 ١٠٢ - ٩٨
 ترجمة لبعض القصائد
 ١٣٥ - ١٠٣
 ترجمة لبعض الغزليات
 ١٣٧ - ١٣٥
 لوحة لبيان السنوات الهجرية وما يقابلها من السنوات الميلادية فى الفترة
 الواقعة بين سن ٢٣٥ هـ - ١٢٧٣ هـ
 ١٤١ - ١٣٨

أما الجزء الثانى الذى يشتمل على النصوص الفارسية فهو ما يأتى :

- سبب قصائد ... الأولى منها كاملة الشرح ، والخمس الأخريات عليها
 تعليقات
 ص ٢ - ٧٢
 أربع غزليات مختارة
 ٧٦ - ٧٣
 ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « تذكرة الشعراء » تأليف
 دولتشاه
 ٨٣ - ٧٨
 ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « مرآة الخيال » تأليف
 شيرخان لودى
 ٨٥ - ٨٣
 ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « آتشكده » تأليف لطفعللى بيك
 ٨٨ - ٨٥
 ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « هفت إقليم » تأليف
 « أمين أحمد رازى »
 ٩٠ - ٨٨

ويجب العناية بوجه خاص — فيما جمعه « ژوكوفسكى » من أخبار عن الأنورى —
 بالجدول الذى أورده فى ص ٢٩ ، وبين فيه التواريخ المختلفة لوفاة هذا الشاعر وفقا
 لاختلاف المصادر ، وكذلك بيان الكتب الفارسية والعربية التى تبلغ ستين كتابا
 وهى الكتب التى أشار إليها « أبو الحسن الفراهانى » فى شرحه لأشعار الأنورى
 (ص ٧٩ - ٩٦) .

أما تاريخ وفاة الأنورى فبيانه كما يبدو فى الجدول الآتى :

تاريخ وفاة الأنورى	تاريخ التأليف	اسم المؤلف	اسم الكتاب
١١٥١م - ١١٥٠م	١٧٦٦م - ١٧٦٦م	لطعملى بيك	آتشكده : كاذكر «زوكوفسكى»
١٢٥٨م	»	»	آتشكده طبع بجاى سنة ١٢٧٧هـ =
١٢٦١م	»	»	٢ ١٨٦٠
١١٥٣م	١٦٤٨م	حاجى خليفة	تقوم التواريخ
١١٥٣م - ١١٥٢م	١٤٧٦م	دولتشاه	تذكرة الشعراء
وفى بعض المخطوطات بحد سنة ١١٥٤م أو ١١٥٦م			
١١٥٥م	١٦٦٩م - ١٦٦٩م	شيرخان لوى	مرآة الحيال
١١٨٥م - ١١٨٤م	١٥٩٤م - ١٥٩٣م	أمين احمد رازى	هفت اقليم
١١٩٠م	١٤٤٢م - ١٤٤١م	فصيحي خوافى	الجمال
١١٩١م	١٥٧٨م - ١٥٧٧م	تقى خان كاشانى	خلاصة الأشعار
١١٩٦م	١٦٦٨م - ١٦٦٧م	محمد مختار خان	مرآة العالم
١٢٠٠م - ١٢٠١م		d' Herbelot and Stewart	

ويلاحظ القاريء أن أغلب هذه الكتب حديث التأليف ، لا يستثنى من ذلك إلا كتابان اثنان هما « المجمل » و « تذكرة الشعراء » اللذان يرجعان إلى القرن التاسع الهجرى . (النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى) . أما الكتب القديمة التى كنا نتوقع منها أن تذكر « الأنورى » ، فإننا نجد أن كتاب « چهارمقاله » لا يذكره مطلقا ؛ أما كتاب « تاريخ كزیده » تأليف حمد الله المستوفى (فى سنة ٥٧٣٠هـ = ١٣٣٠ م) فقد تحدث عنه ولكنه لم يذكر تاريخ وفاته ؛ وكذلك فعل كتاب « لباب الألباب » تأليف « محمد عوفى » (فى بداية القرن السابع الهجرى = ١٣ الميلادى) ؛ وكذلك فعل أيضا الكتاب العربى المعروف باسم « آثار البلاد » تأليف القزوينى (طبعة وستنفلد) Wustenfeld ص ٢٤٢ تحت كلمة « خاوران » فوصف شعر الأنورى بأنه : « غاية فى الحسن وهو ألطف من الماء وشعره بالمعجىة كشعر أبى العتاهية بالعزبية » وهذه المقارنة بين شعر « الأنورى » وشعر أبى العتاهية مقارنة فى غير موضعها كما يبدو لى .

وليس فى أيدينا إلى الآن أى مصدر يمكن أن نعتمد عليه فى تقرير التاريخ الذى ولد فيه « الأنورى » أو التاريخ الذى توفى فيه ؛ ومع ذلك فالأسباب التى بينها آتفا تقطع بأن وفاته قد وقعت فى سنة ٥٨١ هـ ، أو بين سنتى ٥٨٥ و ٥٨٧ هـ (١١٨٩ — ١١٩١ م) كما أشار بذلك المستشرقان « ژوكوفسكى » و « إتيه » .

وقبل أن نسير قدما فى دراسة هذه الرسالة الممتعة التى كتبها « ژوكوفسكى » نرى من الواجب علينا أن نشير إلى رسالة أخرى كتبها « مسيوفرتيه M . Ferté » عن الأنورى أيضا ، ونشرها فى « المجلة الآسيويه Journal Asiatique » فى عدد مارس ابريل سنة ١٨٩٥ م (مجموعة ٩ مجلد ٥ ص ٢٣٥ — ٢٦٨) . ولكن هذه الرسالة لن تعوقنا طويلا لعدم أهميتها ، والظاهر أن مؤلفها كتبها دون أن يطلع على ما كتبه « ژوكوفسكى » أو « برتس » فاكتمنى بأن يترجم بعض قصائد « الأنورى » المعروفة وأن يسوق بعض النوادر المتصلة به مما رواه كتاب التراجم وبما يكون مشكوكا فى صحته عادة .

يبدأ « ژوكوفسكى » كتابه بمقدمة يصف فيها المصادر التى استطاع جمعها ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان الأسباب التى دعت إلى اختيار القصائد الست التى نشرها فى

بهاية الكتاب. وأول هذه القصائد هي أيضا الأولى وقفا لطبعة «لكنو» ومطبعة. باز این چه جوانی وجمالست جهان را وین حال که نو کرد زمین را وزمان را
ومعناه :

— أنظر ثانية . . ما أبدع نضرة العالم وجماله وشبابه الفتان . . . ۱۱

وما أبدع هذه الحال التي جددت المكان والزمان . . . ۱۱

ويقول «ژوكوفسكى» إنه اختار هذه القصيدة لأنها من أشهر قصائد «الأنورى» ولأنها من أصعبها وأكثرها تعقيدا ولأن «أبا الحسن القراهانى» كتب عليها شرحا مطولا ، استطاع «ژوكوفسكى» أن يطبعه مع نصها ويضيفه إلى كتابه .
أما القصيدة الثانية فمطلعها :

اگر محول حال جهانیان نه قضاست چرا ماجرای احوال بر خلاف رضاست
ومعناه :

— إذا لم يكن القضاء هو محول حال الناس ،

فلماذا تكون الأحوال على غير ما نرضى ونهوى . . ؟ ۱۱

ويقول «ژوكوفسكى» إنه نشر هذه القصيدة لأن «نيكولاس : Nicolas» ترجمها قبله ولم يستطع فهمها فأساء تصوير حال «الأنورى» وقفا لما ذهب إليه من ترجمة خاطئة . . . ۱

أما القصيدة الثالثة فهي التي سبق ذكرها ومطلعها :

گر دل و دست بحر و كان باشد دل و دست خدایگان باشد

ومعناه :

— إذا استطاع القلب والكف أن يكونا بحرا ومنجبا للدرر والجواهر . . .

فإن قلب الملك وكفه هما البحر والمنجم . . لما يجودان به من عطاء وافر . . . ۱۱
ويقول «ژوكوفسكى» إنه اختارها لأنها تعتبر من أوائل ما قاله «الأنورى»
ومن أكثر قصائده جمالا وروعة .

أما القصيدة الرابعة فقد نشرها «كركپاتريك Kirkpatrik» مع ترجمة إلى اللغة الإنجليزية بعنوان «دموع خراسان The Tears of Khurasan» في المجلد

الأول من كتاب « Asiatic Miscellany » من ٢٨٦ وما بعدها (طبع كلكتا سنة ١٧٨٥ م) ومطلعها :

برسمرقند اكر بگذری ای باد سحر نامه اهل خراسان به بر سلطان پر

ومعناه :

— یا نسیم السحر... إذا مررت بمدينة سمرقند... !!

فاحمل رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان... !!

ويقول « ژوکوفسکی » إنه اختار هذه القصيدة لما اشتملت عليه من أخبار تاريخية ومشاعر إنسانية بالإضافة إلى ما لها من شهرة عريضة وصيت ذائع .

أما القصيدة الخامسة فهي التي مطلعها :

* ای برادر بشنو این رمزی ز شعر وشاعری * (١)

ومنى هذا المصراع :

— أيها الأخ... استمع إلى حديث رمزي عن الشعر والشاعرية... !!

ويقول « ژوکوفسکی » إنه اختارها لأنها تحتوي على اعتراف الشاعر صراحة بدم الشعر وأهله .

أما القصيدة السادسة فهي التي مطلعها :

أى مسلمانان فغان از دور چرخ چنبرى وز نفاق تير وجير ماه وكيد مشترى

ومعناه :

— واويلاه... أيها المسلمون... !! من دورة الملك الدائر..

ومن نفاق المريح وأفعال القمر وكيد المشترى... !!

(١) المترجم : في نسخة خطية اشترتها من طهران يختلف هذا الطبع قليلا فبإدراك الصورة

التالية :

ای برادر بشنو رمزی ز شعر وشاعری تاز ما هستی گداکس راز مردم نشنوی

ويقول «ژوكوفسكى» إنه اختارها لأنها من آخر ما نظمه «الأنورى» من قصائد رائعة ، هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه من أخبار متعلقة بحياته .

وقد اختار «ژوكوفسكى» أربع غزليات فقط من غزليات «الأنورى» واعترف بأنه اختارها بطريق المصادفة لأنه يعتبر سائر غزلياته متساوية من حيث الصنعة والمعنى . وقد أتبع «ژوكوفسكى» مقدمة كتابه بتمهيد بين فيه مركز الشاعر المحترف في إيران في هذه الفترة على الخصوص ، ووضح فيه الحاجة الملحة التي كانت تدفع الشعراء إلى العمل ليحصل على المال اللازم له ، مما يجعله يكرس مجهوداته للأشعار السياسية ومدح الأمراء والكبراء ، وإن كان يتخلل هذا المدح عادة شيء من التهمك بخصوصهم لأن التهمك من مستلزمات المدائح على العموم .

ويقول «ژوكوفسكى» إن استعمال البديع في النظم — دون استعماله في الشعر بمعناه الحقيقي — كان نتيجة لتزاحم «شعراء الملوك» الذين كانوا يقومون إلى حد ما بمهمة الصحفيين في الوقت الحاضر وكذلك بمهمة الندماء والمهرجين . فقد كان شاعر القصر يكتب من أجل المال ، وربما يحدث عن ذلك ضراحة كما قال الشيخ «أبو زراعه العمري الجرجاني» لمدوحه : «إذا أعطيتني واحدا من ألف ما كان يناله الرودكى من عطاء الملوك ، فسأنظم في مدحك من القصيد ما يفضل قول الرودكى ويعلو عليه ألف مرة . . . ١١٠» (١) وكان يطلب من الشاعر أن يرهن على أنه كفى للقول في كل مناسبة تعرض لمدوحه ؛ فعليه أن يقول في الفرح والرح ، وأن يقول في الحزن والترح ، وأن يهني مليكه بسلامة بصره لأنه استطاع أن يرى الهلال الجديد يطلن انتهاء شهر الصيام ، وأن يسليه إذا سقط عن ظهر جواد جامع أو إذا رمى

(١) الترجمة: أظفر ص ١٠ من ج ٢ من «لباب الالباب» حيث يقول :

اگر بدولت با رودكى نى مانم عجب مكن سخن از رودكى نه كم دام
اگر بكورى چشم او يافت گيى را ز بهر گيى من كور بود تنوام
هزار يك زآن كو يافت از عطاء ملوك
بين دهمى سخن آيد هزار چند انم

الكمبتين فخرجتا بغير ما يريد ، أو إذا انهزم أمام عدوه في الموقعة (١) أو إذا أحس بالأم في الأسنان أو ماشابه ذلك من أغراض كثيرة . . . ١١

ويذكر « ژوكوئسكى » نقطة أخرى لها غرابتها وطرافتها ، وهى أن كل شاعر شهير كان له فى العادة راء يقوم برواية أشعاره وترويحها بين الناس . فذكر عن « الفردوسى » مثلاً أن راءيه هو « أبو دلف » (٢) ، كما أن « أبا الفرج الرزوى » قال فى بيت من الشعر ذكره « ژوكوئسكى » مامعناه : « لقد أئشد راءى فى حضرتك ماقلته فى فتح مرو ونيسابور » وكذلك فعل « مسعود بن سعد بن سلمان » حين أمر راءيه « خواجه أبو الفتح » كما يقول ژوكوئسكى : ألا يظهر مواطن الضعف فى أشعاره بل يجهد فى أن يزيل هذه المواضع بما يضيفه عليها حسن صوته من جمال ، وبما تكتسبه من بهاء بواسطة إنشاده الذى يثير القلوب والمشاعر . . . ١١

ولعل الغموض الذى يسربل كثيرا من مدائح المصنعة يجعل من الضرورى على القارىء أن يستعين بشروح مستفيضة مفصلة حتى يتمكن من فهمها وإلا فإنه سيضطرب فى النهاية إلى أن يكتفى بقول العبارة المعروفة « إن معنى الشعر فى بطن الشاعر » . . ويختتم « ژوكوئسكى » كلمته التمهيدية بأن يحاول أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة فى تطور الشعر الفارسى حتى نهاية العصر السلجوقى الأول ، وهى العصور الآتية :

العصر الأول : عصر القصص الحماسى Epic الذى صاحب النهضة الفارسية القومية على أيام السامانيين ، وأنتج الشاعر الكبير الفردوسى .

(١) أنظر الرباعى الذى أنشده « فريد الدين الشكاتب » للسلطان « سنجر » عند انهزامة أمام جيوش ال «قرة خطاي» س ٤٥٩ من «تاريخ كزیده» حيث يقول :

شاما ز سنان تو جهان شد راست تیغ تو چهل سال زاعدا کین خواست
ور چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کانکس که بیک حال بماند ست خداست
ومعناها :

— ايها الملك .. ان العالم استقام بسيفك . وقد انتقمتم من أعدائك أربعمائة عاما بمجد سنائك
— فإذا أصابتك عين السوء فذلك من فعل القضاء . . لأن الذى يبقى على حال واحدة
هو الله سبحانه وتعالى . . . ١١

(٢) أنظر ما كتبه « تولدك » فى *Iranisches Nationalepos* وكذلك « چهارمقاله » س ٤٨

والعصر الثاني : عصر المدائح المشتركة Venal Panegyric التي ثار عليها الشاعران « ناصر خسرو » و « عمر الخيام » .

والعصر الثالث : عصر الشعر الصوفي Mystie Verse وهو الذي ينتمى إليه المداحون الذين لا يتحقق آمالهم وتتكشف أطاعهم عن سراب، ومن هؤلاء « سنائي » وكذلك « الأنورى » وإن كان متأخرا قليلا .

والأخبار المتصلة بحياة « الأنورى » مقتضبة أشد الاقتضاب ، ولكن « زوكوفسكى » استطاع أن يكتب في الفصل الأول من كتابه مقالة وافية عن حياة الشاعر، ربما كانت أوفى ما نستطيع أن نكتبه عنه حتى الآن، وقد استعان في كتابتها بكتب التراجم الثمانية التي ذكرناها آنفا (١) بالإضافة إلى ما استطاع أن يستخرجه من قراءة ديوان الشاعر نفسه .

أما مولد « الأنورى » وصباه فلا نعرف عنهما شيئا على الإطلاق . وأما أنه كان في شبابه طالبا جادا في تحصيل العلم كما يشير إلى ذلك كتاب التراجم ، وأنه كان ملنا بكافة العلوم التي يعرفها أهل عصره، فذلك يؤكد ما كان يديه في شعره من استشهاد يدل على معرفة تامة بشعب العلوم المختلفة وبما ذكره صراحة في مقطوعة معروفة سبق لنا ذكرها ومطلعها :

گرچه در بستم در مدح و غزل یکبارگی

ظن مبرکز نظم ألقاظ ومعانی قاصرم (٢)

(١) هي المذكورة في الجدول السابق في صحيفة ٤٦٩ من هذا الكتاب

(٢) هذه المقطوعة تشتمل على ١٩ بيتا وهي موجودة في ص ٣٠٧ من ديوان أنورى طبع تبريز سنة ١٢٦٦هـ وكذلك باختلاف في ترتيب الأبيات في ص ٧٠٤ - ٧٠٥ من طبعة لکنو سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) وستة أبيات منها روية في «تاريخ گزیده» ص ٨١٣ وفي كتاب زوكوفسكى ص ٦ - ٧ .

وقول الأنورى في بيت آخر من الشعر (ص ٨٧ من طبعة لکنو) ما معناه : «إذا اخطرتني في أي فرع من فروع العلوم لوجدت أنني أدركت فيه مرتبة الكمال » .

ومعناه :

— إنني أغلقت باب المدح والتزول دفعة واحدة .
ولكن حذار أن تظن أنني عاجز عن نظم الألفاظ والمعاني .. ؟!
وفي قطعة أخرى رواها « زوكوفسكى » (في ص ٧) يفخر الأنورى بتبريزه
في جملة من الهوايات مثل الخط والشطرنج والزد ومعرفة أشعار الأوائل والأواخر
والقدرة على التهكم والهجاء والسباب . . . وقد أكد لمولاه أنه سوف لا يمل
مجلسه لأنه امتاز بسعة في توافقه وتشعب في نواحي معلوماته . . . !!

ووضع أيضاً أن كتاب التراجم كانوا مصيين حين قرروا أن « الأنورى » كان
يغض من شأن الشعر ولكنه في الوقت نفسه كان يفرق في إعلان نواهبه فيه كشاعر
من الطراز الأول . فهو يقول في بيت من الشعر (يغلب على ظني أن نصه الصحيح
هو المنشور في الجزء الثاني من لباب الألباب ص ١١٧) . « أنه مساو للشاعر
سنائى وإن كان لم يصل إلى مرتبة أديب صابر » .

« چون سنائى هستم آخر گر نه همچون صابرم » (١)

وسنائى كما نعلم شاعر من الطراز الأول ، وهو أكثر شهرة من « أديب صابر »
ولكن « الأنورى » رفع من قدره لأنه كان يمدح السلطان « سنجر » وقد قتل
في النهاية وهو قائم بعمله يؤدي لسيده خدمة من الخدمات .

وفي هذه القصيدة نفسها يقول « الأنورى » بيتا معناه :

— لقد أصبح يستهان بالنبوغ في هذه الأيام .. وإلا لشهدت أشعاري بأنى لست
شاعراً بل ساحراً ... !!

خود سز ددر عهد با عیست اگر نه ابن سخن
میکند بهان که من شاعر نیم بل ساحرم
ويقول في موضع آخر (طبعة لکنو ص ٦٩٤) .

(١) هنا النص يختلف عن النص المطبوع على الحجر من « لباب الألباب » وهذا النص الأخير
لو ترجم لكان معناه هكذا : وأنا لست مساوياً للشاعر « سنائى » ولا للشاعر « أديب صابر » .

- إن لي روحا متقدة كالنيران ، ولسانا عذبا كالماء
وعتلا حدا ، وذكاء مفرطا ، وأشعارا خالية من الخلل والهراء ... !!
- ولكن وا أسفا ... لست أجد ممدوحا جذيرا بهذا الثناء
ولا معشوقا أستطيع أن أوجه إليه هذا الغزل في صفاء ... !!
- خاطري چون آتشم هست وزبانی همچو آب
فكرت تيز وذكاء نيك وشعري في خلل
ای دريغا نيست ممدوحی سزاوار مديح
وی دريغا نيست معشوقی سزاوار غزل
- وفي موضع آخر (ص ٦٨٨) يعلن الأنوري أن أشعاره تجنّب أنحاء العالم
كاللحم الزاجل ، وأن أسلوبه هو بإجماع الآراء أجل أساليب معاصريه (ص ، ٣٤) .
- وطى العكس من ذلك يحدث « الأنوري » عن صناعة الشعر فيقول : (ص ٧٣٠)
- يا أنوري ... هل تعرف ما هو الشعر وما هو الحرص والطمع في المال .. ؟
أما الأول فطفل رضيع ... وأما الثاني فمرضته ... !!
- وأنت كالديك ... لك تاج من العلم فوق رأسك
ولكن هل لك أن تخبرني لماذا تبيض كالديجاج .. ؟!
- أنوري شعر وحرص داني چيست .. ؟! آن يکی طفل ، وان دگر دايه
تاج داری خروس وار از علم چکنی همچو ما کیان خايه ... !!
- ثم هو يلزم نفسه بعد ذلك بأن « يطوح بقاذورات الشعر للرياح الذارية ... !! » .
وهناك قطعة أخرى ممتعة تدل على صدق ما قرره كتاب التراجم عن الأسباب
التي دعت « الأنوري » إلى هجر العلوم والاشتغال بالشعر وعي مذكورة في نهاية
ص ٦٢٩ من طبعة لکنو ويقول فيها :
- مادام جاهي ميرتفع بقول المدح والقريض
فلماذا أحرق روحي وأضنيها في نيران التفكير العميق ... ؟!
- ولقد ضيعت عشرين عاما من عمري في « لعل وعسى »
ولكنني تحققت بعد ذلك أن الله لن يمنحني عمر نوح الطويل ... ؟!

— ومن أجل ذلك فسأخذ نفسى بالروية ، وأثني عناني

إذا لم أجد باب القبول مفتوحا أمامي . . . !!

— فإذا لم ينجوني العطاء الجزيل لمدحى إياهم

فسأحطم بالهجاء كل من مدحته حتى أخرج السماء من رأسه . . . !!

چو آبروی یفزی ایدم بمدح و غزل . . . چرا بآتش فکرت همی بکاهم روح

یاد بوکه وبکه بیست سال بر دادم مرا خدای ندادست زندگانی نوح

عنان طبع ازین پس کشیده خواهم داشت

اگر کشاده نه بینم در قبول و فتوح

وگر عطا ندهندم بر آرم از پس مدح

بلفظ هنجو دمارا از سر چنین بمدوح

ويقول الأتوري في نهاية ص ٤١ «إن الاستجداء هو وسيلة الشعراء» كدأني

شريت شعراست) ولكنه على استعداد للهجاء اللاذع. إذا لم يفلح الاستجداء في أن

يعود عليه بما يريد من عطاء . . . !! ومع ذلك فهو يحس بكراهية شديدة لجياة القصور

والحاشية ، وإن كان يعود في ثورة جامحة على زمانه ، فيعترف من ناحية أخرى ، بأن حياة

القصور وحدها للأسف هي الكفيلة بأن تدر عليه المال الوفير ، بينما حياة الجد

والاجتهاد لا تفيده شروى تغير . . . !! (أنظر ص ٧١١)

— ليس من الحق أن أتعب قلبي وروحي من أجل أن أكتسب آداب

الندماء . . . !! (أي رجال القصور) .

— فأحرك لساني بالثر والنظم ، وأبعث الأفكار العذاري من عقلي وخاطري . . . !

— لأن الندماء ينتهي بهم الأمر في العادة إلى تلقي اللطامات وتلقي كلمات الازدراء

والسباب . . . !!

نشاید بهر آداب ندیمی دگر بر جان و دل زحمت نهاندن

زبان کردن بنظم و ثر جاری ز خاطر نکتہائی بگر زادن

که باز آمد همه کار ندیمان بسلی خوردن و دشنام دادن

ويقول في سوء معاملة الحظ لرجال العلم (ص ٣٩ سطر ٦) .

— وهل يمكن لفرد أن يعلم كيف أن هذا الفلك العجوز الأحذب مولع بإيذاء العلماء... !!

كسى چه داند كين كوز پشت مينا رنگ
چگونه مولع آزار مردم داناست

وعلى هذا فقد كان الأنورى « طالب علم » باستعداده ومواهبه ، وشاعرا صناعته ومهنته ، فتوزعت نفسه بين ما يعلية عليه استعداده وما تقتضيه منه صناعته . ولم يستطع أن يقنع بنصيب العالم من الفقر ، أو أن يهدأ إلى النفاق الذى تضطره إليه حياة القصور والملوك . وتحقق فيها بينه وبين نفسه ما تجلبه عليه أقواله من تعريض وزراية فازدرى نفسه وطريقة حياته ؛ وتاق إلى أن يعيش كما يعيش «ابن سينا» ولكنه اضطر اضطرارا إلى أن يعيش حياة مشابهة لحياة «أبى نواس» . وقد قال إنه من الواجب على الشاعر ألا يقول الشعر بعد الحسين (ص ٧٢٥) ولكنه هو نفسه ظل يقرض الشعر أربعين سنة على الأقل ؛ فقد ذكر فى إحدى تصانده (ص ٦٣٦) إنه قالها فى سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م) ثم ظل يقول الشعر بعد خيبته المعروفة فى إصدار الحكم الذى استوحاه من اجتماع الكواكب فى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ - ١١٨٦ م) . ولكنه على ما يظهر نجح فى نهاية أيامه عند ماثار عليه أهل « بلخ » (دون جريرة ارتكبتها) فى تطبيق حياة القصور وترك خدمة الملوك والأمراء . والعودة إلى حياة العلم والعزلة والاعتكاف ، وهى الحياة التى طالما منى نفسه بها وأحبها .

وهناك بعض القصائد التى تقوم دليلا على صحة هذا القول وخاصة المقطوعة التى نشرتها مع ترجمتها الإنجليزية (ص ٨ - ١٠) فى مقالتي عن «حياة شعراء الفرس المذكورين فى تاريخ كزنده» وهى المقالة التى نشرتها فى «مجلة الجمعية الأسيوية الملكية» سنة ١٩٠٠ - ١٩٠١ م ؛ فهو يذكر فى هذه المقطوعة (فى شئ من الإخلاص) مقدار الهدوء والراحة اللذين ظفر بهما فى كوخه المتواضع حيث لا زاد له إلا الخبز الجاف وقليل من الأدام ، وحيث لا كأس له ولا مطرب إلا المهاجر والأقلام... !!

وهو يردد هذا المعنى فى موضع آخر (ص ٧٣٣ من طبعة لكتنو سنة ١٨٨٠ م) .

— يا ربى ...! بدل هذه النعم التي أغدقها على
 أعطى القناعة بالحق، ورزقا طاهرا؛ وزادا نظيفا
 — واجعل قوام حياتى الأمن والصحة والطاعة
 ورغيفا وخرقة مهلهلة والاعتكاف فى ركن من الأركان الهادئة ... !!

يارب بده مرا بدل نعمتى كه بود خرسندى حقيقت وپا كيزه توشه
 امنى وصحتى وپسنديده طاعتى نانى وخرقه ونشستن بگوشه

و«السيد نور الله الشوشترى»، مؤلف كتاب «مجالس المؤمنين» الذى احتوى
 على تراجم كثير من أهل الشيعة وتم تأليفه حوالى سنة ١٥٨٦ م، يعتبر «الأنورى»
 واحدا من شعراء الشيعة، ولكن هناك مقطوعات فى ديوانه فى مدح «عمر» إذا
 ثبتت صحتها ونسبتها إليه كان الأمر على خلاف ما قال الشوشترى. هذا بالإضافة إلى أنه
 لا يمكن أن يعقل أن شاعراً من شعراء السلاجقة الذين كانوا من أهل السنة يستطيع
 أن يتغاضى عن هذه الحقيقة فيقدم على مدح مذهب الشيعة وهو عارف أن سياده
 يكرهونه ويفضونه كل البغض.

ويقول الأنورى فى إحدى مقطوعاته الواردة فى ص ٥٣: «أن سيف الدين
 عمر» مفق بلخ هو الإمام الذى اختاره الإسلام فورث عدل «عمر» وصلابته .. !!
 صفى ملت اسلام وصدر دين خدای عمر كه وارث عدل وصلابت عمر است
 ويقول فى مقطوعة ثانية واردة فى ص ٧٤ «إن الاسلام ظهر على يدى عمر» .
 بدلىرى وهيت عمرى كه ظهور شريعت از عمر است
 ويقول فى مقطوعة ثالثة:

— إن الكفر قد انمى على يدى محمد وعمر وقد بهت أنت أيامها من جديد.
 وعندما كان الأنورى ملتحقاً بخدمة الملوك لم يمتنع عن شرب الخمر، بل نجهده
 فى إحدى مقطوعاته (ص ٦٨٨ القطعة الثانية سطر ٤ - ٥) يقول: «هل لك أن
 تدبى على طريقة أستطيع بها أن أعتذر عن شربى للخمر وإحساسى بالقيء والخمار» .
 هيچ دانى چگونه خواهم داشت عذر فى كردكى ومسنى خویش

وفي مقطوعة أخرى (ص ٦٩٨) يقول :

- أنت تعلم . . . يامولاي . . . أننى مريض بالقرس ، ومن أجل ذلك فأنى
 (رغم حبي للخمر) امتنع عن كل ما هو لاذع حريف . . . !!
 — فلما سألتك كأسا من الشراب أعطيتنى كأسا من الخل الحامض الحريف ،
 فلو أننى شربته لقمتم فى يوم مقيامة كاللحوم المتبلة . (المصوص)
 — فأين سايك الوغد . . . !؟ حتى أستطيع أن أهرق فى أنفه وأذنيه كأسا
 مترعة . . . !!

بزرگوارا دانی کز آفت تهرس
 زهرچه ترشى من بنده مى پرهیزم
 شراب خواستم وسرکه کهن دادى
 که گر خورم بقیامت مصوص و خیزم
 شراب دار تو آخر بکاست تا قدحى
 بگوش و بیى آن قلتبان فرو ریزم

هذه هى الحقائق المجردة التى استطعت أن أصل إليها من نظرتى العاجلة لديوان الأنورى ، ولكنى على ثقة من أن الدراسة الدقيقة لنص صحيح من هذا الديوان - وهو مازلنا فى حاجة إليه إلى الآن - ستكشف لنا عن تفاصيل جديدة عن حياة هذا الشاعر وعن كثير من الأسانيد التى يمكن أن نحكم بها على عقلية ونفسيته . فلنكتف الآن بهذا القدر ولنعد إلى الحكايات التى رواها عنه كتاب التراجم والتواريخ ، فهى وإن كانت تافهة القيمة بحيث لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا ، إلا أنه لا يمكن إهمالها جملة والغرض من شأنها غضا تاما .

ومن أهم الروايات المعروفة الرواية التى رواها كتاب « حبيب السير » (مجلد ٢ جزء ٤ ص ١٠٣-١٠٤ من طبعة عباى سنة ١٨٥٧م) عن اتصال الأنورى بسنجر قصتها مخالفة للرواية التى ذكرتها المصادر الأخرى . وهى تقول إن « المعزى » كان أميرا للشعراء فى ذلك العهد ، وكان موكولا إليه مقابلة الشعراء الذين يريدون أن يرفعوا قصائدهم إلى السلطان ومنع من لم تسم مواهبهم عن التشرف بالمول بين يديه ،

فابتدع «المعزى» حيلة مخزية يستطيع بها أن يقضى غيره من الشعراء الذين كان يخشى منافستهم له . . . ذلك أن ذاكرته كانت قوية على الحفظ بحيث كان يستطيع أن يعيد على التوأمة قصيدة بعد سماعها مرة واحدة ، وكان له ابن يستطيع أن يعيدها بعد سماعها مرتين ، كما كان له خادم يستطيع إعادتها بعد سماعها ثلاث مرات . فاذا تقدم إليه شاعر يريد التشرف بالمثل بين يدي السلطان ، فإنه يأذن له أن ينشده قصيدته برمتها فإذا فرغ منها التفت إليه المعزى وقال له : «إني أنا قائل هذه القصيدة ، وسأبرهن لك على صحة قولى بإنشادها لك ثانية ... » ثم يأخذ فى إنشاد القصيدة ؛ فاذا أعادها التفت إلى ابنه وقال : « وابنى أيضا يحفظهما عن ظهر قلب .. » فيأخذ ابنه أيضا فى إنشادها وإعادتها على مسامع الحاضرين ، فالتفت معزى إلى خادمه - كما فعل مع ابنه - فيأمره بإعادتها لثالث مرة ثم يأمر بطرد الشاعر السكين بهمة أنه شاعر وضع يغير على أشعار غيره فينتحلها لنفسه...!! وضايق الشعراء ذرعا بهذه الحيلة التى ابتدعها «المعزى» إلى أن بلغ الأمر «الأنورى» فألقى دلوه فى الدلاء لئلا يفاعل شيئا أو متدبر أمرا ، فتقدم إلى «المعزى» فى ثياب رثة مهلهلة وأخذ ينشده أشعارا مضحكة تافهة ، فاستثار بمظهره وشعره هزء الحاضرين وسبخريتهم ، وظن «المعزى» أنه مهرج ماجن ولم يستشعر شيئا من الخطر يهدده إذا قدمه إلى السلطان، فوعده بذلك فى اليوم التالى ، فلما جان الموعد الذى ضرب له تقدم «الأنورى» فى ثياب محترمة وأنشد البيتين الأولين من قصيدته التى مطلعها :

گر دل و دست بحر و كان باشد دل و دست خدا یگان باشد

ثم توقف عن الإنشاد والتفت إلى «المعزى» وقال له «أعم إنشاد هذه القصيدة إذا كنت سمعتها قبل ذلك ... وإلا فاعترف أنها من إنشائى ... !!»

فذهل «المعزى» لهذه المفاجأة واعترف للأنورى بحسن حيلته وقوة بديته وهذه القصيدة نفسها تشهد بأن «الأنورى» كان يشتغل بقول الشعر قبل ذلك يرضع سنين ، فهو يقول فيها :

خسروا .. بنده را چو ده سال است کاش همی آرزوی آن باشد

کز ندیمان مجلس ار نبود از مقیمان آستان باشد
ومعنی هذین البیتین :

— أیها الملک ...! لقد كانت الرغبة الوحيدة لعبدك منذ عشر سنوات . .
— أن يكون واحدا من ندماء مجلسك ، فإذا لم يستطع ، فليكن مقباً على أعتاب
بابك ... !!

ومهما كان من أمر ، فإن كلمات «الأنورى» تشهد بأنه نال استحسان الملك ورضاه
فهو يقول :

انورى را خدا یگان جهان
پیش خۆد خواند و دست داد و نشانند
باده فرمود و شعر خواست ازو

و ترجمتها :

— فدعا ملك العالم شاعره «الأنورى» وسلم عليه وأجلسه إلى جواره
— ثم أمر بالشراب وسأله أن ينشده بعض أشعاره ... !!

وهناك قصة أخرى عن الأنورى مروية بصور مختلفة في «هفت إقليم» و«بهارستان»
و«مجمّل فصیحی» و«لباب الألباب» (لمحمد عوفى ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩) وهى
تشير إلى تحذير تلقاه من شاعر معاصر هو «خالد بن الربيع» حين أراد السلطان
علاء الدين ملك الجبال (ملك الغور) أن يستدعى الأنورى إلى حضرته ، فأظهر
التلطف فى استدعائه، ولكنه كان يضمّر له السوء ويريد أن ينكل به لأشعار قالها
فى هجوه ا فعلم «خالد بن الربيع» بحقيقة الحال، وشاء أن يحذر صديقه من سطوة
السلطان وقهره ، ولكنه خشى أن يكتب له صراحة بحقيقة الأمر ، خشية أن يثير
غضب السلطان عليه ، فصدر رسالته إليه بهذه الأبيات العربية :

هى الدنيا تقول بعلء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يفررك طول فى ابتسامى فقولى مضحك والفعل مبكى
هى الدنيا أشبهها بشهد بسم وجيفة ملكت بمسك

فاستدل «الأنورى» من هذه الأبيات على الخطر الخائق به ورفض الذهاب إلى السلطان «علاء الدين» وأرسل السلطان رسولا آخر إلى «الملك طوطى» الذى كان يستضيف «الأنورى» وطلب منه أن يرسل إليه الشاعر فى مقابل ألف رأس من الغنم يعطيها له . ولكن الشاعر استطاع أن يقنع «الملك طوطى» بألا يسلمه غنيمة باردة لحصنه ... ١١

ويقول بعض الكتاب إن «الأنورى» اعتذر لملك الغور بقصيدة مطلعها: (١)

كلبه كاندران بروز وبشب

جاي آرام وخورد وخواب من است

وهى قصيدة يرجع تاريخ إنشائها إلى النصف الأخير من حياته حينها هجر القصور وحياتة القصور . والمشهور أن «الأنورى» أمضى أواخر أيامه فى مدينة «بلخ» حيث اختار عيشة العزلة بعد ما أخفق فى حكمه على اجتماع الكواكب السبعة فى سنة ٥٥٨١هـ (١١٨٥ - ١١٨٦م) (٢) . ولكن سوء الحظ تابعه فى هذه البلدة أيضا ، فقد انتشرت بين أهلها قصيدة فى هجائهم باسم «خرنامه» أو «رسالة الحمير» كان مؤلفها الحقيقى الشاعر «سوزنى» (٣) ولكنهم نسبوها خطأ إلى «الأنورى» فعامله أهل البلدة بشئ من القسوة والشدة ، وعرضوه فى شوارع بلدتهم معصوب الرأس بعصابة امرأة ، وكادوا يفتكون به لولا أن تدخل بعض أصحابه فى الأمر فخلصوه من أيديهم . وكان بين الذين خلصوه كثير من أصحاب النفوذ مثل القاضى «سيد أبوطالب حميد الدين» والمفتى «صفي الدين عمر» والمحتسب «تاج الدين أحمد» والأستاذ «نظام

(١) أنظر ص ٥٩٣ - ٥٩٤ من ديوان أنورى طبع لسكنو سنة ١٨٨٠ ، وكذلك مقالى عن الشعراء المذكورين فى «تاريخ كزنده» للنشرة فى مجلة الجمعية الآسيوية للمكية فى أكتوبر سنة ١٩٠٠ .

(٢) حاول البعض الدفاع عن الأنورى فقالوا إنه أشار فى حكمه إلى العواصف السياسية ، لا العواصف الجوية ، لأن جنكيزخان فى ذلك الوقت استطاع أن يتزعم الفول ويتولى أمرهم .
(٣) قالت بعض الروايات أن هذه القصيدة كانت من خمسة أبيات ذم فيها قائلها حواضر خراسان الأربعة (أى مرو وبلخ ونيسابور وهرات) وأن الذى أنشأ هذا المقطوعة هو الشاعر «توحى» بتعريض من «سوزنى» الذى نسبها ، متعمداً إلى الأنورى للإيقاع به .

الدين احمد»... وإلى الأخير منهم وجه الشاعر قصيدة تبلغ أبياتها المائة ، مدحه فيها على تخلصه إياه من بليته (وهي القصيدة رقم ٦ في كتاب زوكوفسكي) ومطلعها :

ای مسلمانان فغان از دور چرخ چنبری
وز نفاق تیر وجبر ماه وکيد مشتری

ولا يفوتني أن أقرر أن هذه القصيدة هي الأصل لقطعة نشرها الأستاذ المرحوم « بالمر E.H. Palmer » في ص ٦٣ — ٨٠ من كتابه المسمى « أغنية الناي » « Song of the Reed »^(١) تحت عنوان Palindodia وهي ترجمة غير دقيقة ، لم تتقيد بالأصل الفارسي ، كما يدل على ذلك الفقرتان التاليتان اللتان يقابلهما ثلاثة أبيات من الأصل :

“Ah .. the spheres are incessantly rolling ,
And the Archer is shifting his ground ,
And the Moon is for ever patrolling ,
And Jupiter going his round .
The water that tastes to another
Refreshing and cool on the lip ,
Is as fire that no efforts can smother
In the cup which I sip .”

“The dust that all quiet is lying
When others recline on the ground ,
Around me in volumes is flying ,
Like a desert where whirlwinds abound ;
And Fate , in the ship of my being ,
In happiness hurries me past ,
But if ever from sorrow I'm fleeing ,
It anchors me fast .”

فلو أننا ترجمنا الأبيات الثلاثة الفارسية التي ترجمت في هاتين الفقرتين لكان معناها الحرفي هكذا :

(١) طبع تروبنر Trübner سنة ١٨٧٧م

— أيها المسلمون ... واويلاه من دورة هذا الفلك الأعوج
 ومن نفاق «الريخ» ورياء «القمر» وكيد «المشترى» (١)
 — فهي تحيل الماء العذب إلى نار تلتهب في لهاقي وحلقى
 وهي تحيل الأرض الهادئة إلى ريح صرصر عاتية تعصف بمسكني
 — والسماء دائماً تفعل بزروق عمري أمراً من أمرين :
 فهي إما أن تنفخ الريح في قلاعه وقت السرور ؛ وإما أن تلقي بمراسيه في
 وقت الأحزان !!..

وأشهر قصيدة معروفة للأثوري في أوروبا هي التي ترجمها «الكاتبان وليام
 كركپاتريك» إلى الانجليزية نظماً تحت عنوان «دموع خراسان» ونشرها في المجلد
 الأول من كتاب Asiatic Miscellany الذي طبع في مدينة كلكتا سنة ١٧٨٥م
 (ص ٢٨٦ - ٣١٠) وكذلك نشرها الأنتاذ «بالمر E. H. Palmer» في كتابه
 المعروف بـ: «أغنية الناي» ص ٥٥-٦٢.

ويقول «كركپاتريك» : «إن هذه القصيدة من أجمل القصائد في اللغة الفارسية .
 فالعواطف المثلثة بها طبيعية ، وهي في الغالب من أجل العواطف وأنبها . وكذلك
 الصور التي اشتملت عليها واضحة ظاهرة للعيان ؛ والشاعر ثائر في قوله ولكنه
 جميل التعبير منق العبارة عفيف الألفاظ ؛ ونظمه ليس سلساً في كل المواضع ولكنه
 على العموم متناسب مع موضوع القصيدة ، وكذلك البحر الذي نظم فيه الشاعر يعتبر
 من أبطأ البحور من حيث موسيقاه ومن أكثرها مهابة وأزانياً . وهذه القصيدة
 لها بالإضافة إلى ذلك فائدة تاريخية كبيرة لأنها تمثل لنا الغارات التي قامت بها قبيلة
 متوحشة من الأتراك «الغز» غزبت أكثر الأنحاء ازدهارا في إيران في سنة ٥٤٨هـ
 (أوائل سنة ١١٥٤م) وكانت هذه القبيلة تستقر براعيها بالقرب من «ختلان»
 من أعمال بلخ ، وكانت تعد مطابخ السلطان «سنجر» بأربعة وعشرين ألف رأس من

(١) المترجم : فيما يلي نص الأبيات الفارسية :

وز نفاق تير وجبر ماه وكيد مشترى	آی مسلمانان فغان از دور چرخ چنبری
خاك ساكن را دهد در مسكن من صرصرى	آب نافع را دهد در مشرب من آتقى
وقت شادى بادبانى وقت انده لنگرى	آسمان در زورقى عمرم كند دایم دوكار

الغنم، تقوم بإيفائها له كجزية سنوية مرتبة عليهم . وقد طمع رئيس المطايخ (خوانسار) في عدد أكثر من ذلك العدد ، وقسا على « الغز » في معاملته إياهم ، فأدى ذلك إلى كثير من المنازعات التي أريقت فيها الدماء ، وقد حاكم بلخ المسمى « قجاج » ما يحيطه من ظروف فكتب إلى مولاه « سنجر » يشكو له من ازدياد قوة « الغز » وجرأتهم عليه ويطلب إليه أن يعينه حاكما عليهم (شحنة) وتعهد له في نظير ذلك أن يخضعهم لسلطانه وأن يجبرهم على رفع الجزية إلى ٣٠٠٠٠ رأس من الغنم . ولكن « قجاج » لم يفلح في تحقيق وعده واستطاع « الغز » أن يطرده من أراضيه وأن يذبحوا ابنه « علاء الدين » .

وحرص الأمراء السلطان « سنجر » أن يخرج إليهم بنفسه ، وأن يرض ما قدموه إليه من معاذير وتعويضات بلغت مائة ألف دينار وألغا من العبيد الترك !! . وتقدم « سنجر » إلى خيامهم فاستولت عليهم الرهبة وتملكهم الرعدة ، وخرجوا إليه هم ونساؤهم وأطفالهم يتوسلون إليه أن يغفر أخطاءهم ويتناسى جرأتهم ، ثم عرضوا عليه أن يدفعوا له سبعة أمنان من الفضة ، يأخذها من كل أسرة من أسرهم . ولكن الأمراء منعوا السلطان « سنجر » من قبول هذه العروض السخية وخاصة « المؤيد » و « يرتش » و « عمر العجمي » وانتهى الأمر إلى القتال . واستيأس « الغز » في الميدان فاستطاعوا بحماسهم أن يستأصلوا جيوش « سنجر » وأن يأخذوه أسيرا إلى عاصمته في مدينة « مرو » وأن يغيروا على هذه المدينة ويديحوها للنهب العام مدة ثلاثة أيام ، أذاقوا فيها الأهليين كثيرا من المرارة والعذاب حتى يضطروهم إلى إظهار الكنوز التي أخفوها . ثم التحق بهم مدد يبلغ عدده ثلاثة أضعاف قوتهم الأصلية ، أغلبه من الجنود المهزومة والأوباش والسفلة ، فاندفعوا بهم إلى مدينة « نيسابور » فدافعهم أهلها وقتلوا عددا منهم ، ولكن « الغز » اشتدوا في غارتهم على هذه المدينة واستطاعوا أن يقتلوا في « المسجد الجامع » عددا كبيرا من أهل البلدة لا يبلغه الإحصاء ، لأن القتلى كما تقول الأخبار : « كانوا غارقين في دماهم لا تستطيع رؤيتهم وهم في لجة عميقة من الدماء المهترقة !!... »

ثم تحول « الغز » فأحرقوا « جامع الطرز » وكانت بنيته تستوعب ألفين من الناس ... ثم استمروا على أضواء المشاعل يغيرون على أنحاء البلدة ويحربون ما تصل إليه

أيديهم . ثم عسكروا خارج البلدة ولكنهم استمروا يوماً يدخلون المدينة ويعيثون فيها ، فيقتلون بعض الأفراد ، أو يكتفون بتعذيب بعض من يلاقونه ، وقد يخربون الديار ويحطمون المنازل ويفعلون من الأمور ما يثير في النفوس كثيراً من المرارة والحسرة . وقد بلغ عدد ضحاياهم بضعة آلاف ، بينهم جماعة من أفاضل الرجال مثل « الشيخ محمد الأكَف » و « محمد بن يحيى » وقد رثى الأخير منهما الشاعر « خاقاني » في ثلاث قصائد على الأقل (١)

وكان الحراب شاملاً بحيث أن مؤلف كتاب تاريخ السلاجقة المعروف بـ « راحة الصدور » (٢) يقول : إن « معزي » ربما فكر في هذه الكارثة حينما أنشد الأَقوال التاليه :

— وكان نديمي موجودا في هذه الحدائق الزاهرة ومن حوله الرقاء والإخوان ؛

— فأصبحت هذه الحدائق مرتعا للشعاب والذئاب والبوم والغربان ... !!

— وأصبحت حمر الوحش ترتع فيها . . . وكانت تدور فيها الكؤوس والأكواب .

— وأصبحت الغربان تتعب فيها . . . وكانت تتجاوب فيها من قبل نغمات العود والمزمار ونبرات الحديث المستطاب . . . !!

— وقد محا الفلك هذه الآثار العزيرة على النفوس والقلوب ؛

— فلن يستطيع منقب في ثناياها أن يتبين المكان الذي كنت أغازل فيه الحبيب . . .

آنجا كه بود آن دلستان با دوستان در بوستان

شد كوف و كركس را مكان شد كرك و روبه را وطن

(١) أنظر مجلة « الجمعية الآسيوية الملكية » سنة ١٩٠٢ ص ٨٥٤ ، وكذلك « كليات خاقاني » طبع لكتنو سنة ١٣٩٣ هـ ج ١ ص ٥٨٧ — ٥٩٠
(٢) مؤلف « راحة الصدور » هو الراوندي .

بر جای رطل وجام می گوران نه۔ ادستند بی
 بر جای نقل و نای و نی آوای زاغست وزغن
 زین سان که چرخ نیلگون کرد آن نما نهارا نگون
 دیار کی گردد کنون کرد دیار یار من (١)

وقد فعل « العز » بسائر أنحاء خراسان مثلما فعلوا بمدينة نيسابور ، ولم ينج
 من أيديهم إلا مدينة « هراة » فإنها قاومتهم أشد المقاومة وقد مكث « سنجر »
 سنتين أسيرا في أيديهم ولم يستطع الخلاص إلا بعد أن دفع رشوة لجماعة من رؤسائهم
 فخرج من « بلخ » إلى « مرو » وأخذ يعد العدة لجمع جيش جديد ولكن الحزن
 استولى عليه بسبب الحراب والدمار اللذين أصيبت بهما دياره فمرض مرضا شديدا
 توفي على أثره في سنة ٥٥٠ هـ (= ١١٥٥ م) ودفن في « مرو » بالقبرة المعروفة
 باسم « دولتخانه » .

وقد كتب « الأنوري » قصيدته التي عرفت باسم « دموع خراسان » أثناء الفترة التي
 وقع فيها « سنجر » أسيرا في يد « العز » وربما كتبها في سنة ٥٥٠ هـ (= ١١٥٥ م)
 وقد خاطب بها الشاعر أمير سمرقند « محمد بن سليمان » كما يرى ذلك « كركياتريك »
 وإن لم يكن هنالك ما يقطع بهذا الرأي . والقصيدة طويلة بحيث لا يتسع المقام لنشرها
 لأنها تشتمل على ٧٣ بيتا ، ومن أجل ذلك فسأكتفي بأن أشر هنا قطعا جميلة من
 ترجمة « كركياتريك » وترجمة « بالمر »

وفيا يلي ثلاث فقرات من ترجمة « كركياتريك » وهي تقابل الأسطر الأربعة
 عشر الأولى من ترجمة « بالمر » وتقابل الأبيات الخمسة الأولى من الأصل
 الفارسي :

(١) المترجم : أنظر ص ١٨٢ — ١٨٣ من كتاب « راحة الصدور » طبع ليدن سنة ١٩٢١ م .

I

“Waft , gentle gale , oh waft to Samarcand ,
 When next thou visitest that blissful land ,
 The plaint of Khorassania plunged in woe :
 Bear to Turania’s king our piteous scroll ,
 Whose opening breathes forth all the anguished soul ,
 And close denotes what all the tortur’ d know .”

II

“Whose red tinged folds rich patriot blood enclose,
 The mortal fine impos’d by ruthless foes ,
 And misshap’d letters proof our trembling fears :
 Whose every word reveals a pungent grief ,
 Whose every line implores a prompt relief ,
 While every page is moistened with our tears.”

III

‘Soon as loud Fame our wretched fate shall sound,
 The ear of Pity shall receive a wound ,
 And feel th’ extreme of intellectual pain :
 Soon as our dismal tale shall meet the view ,
 The melting orbs shall catch a purple hue ;
 And sanguine drops the mournfull verse disdain .”

وفما يلي نورد الجزء المقابل لهذه الفقرات من ترجمة « بالمر » :

“O gentle zephyr : if o’er Samarcand
 Some dewy morning thou shouldst chance to blow ,
 Then waft this letter to our monarch’s hand ,
 Wherein Khorassan tells her tale of woe ;
 Wherein the words that for the heading stand
 Are present danger and destruction nigh ,
 Wherein the words that are inscribed below
 Are grief , and wretchedness , and misery ,
 On every fold a martyr’s blood appears ,
 From every letter breathes a mourner’s sigh ,
 Its lines are blotted with the orphan’s tears ,
 Its ink the widow’s burning anguish dries .
 Its bare recital wounds the listenr’s ears ,
 Its bare perusal scathes the reader’s eyes .”

وفما يلي ترجمة حرفية للأبيات الفارسية التي تقابل القطع السابقة (١)

- إذا مررت ... يا ريح السحر ...! على مدينة « سمرقند »
فاحملي رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان ...!!
- فهي رسالة مطلعها عناء للجسد وعذاب للروح
ومقطعها (أى نهايتها) ألم للفؤاد وضحى للأكباد . . .!!
- وهى رسالة تبدو فى سطورها تأوهات الأعزاء
وتحتوى فى ثناياها على دماء القتلى من الشهداء ...!!
- وقد جفت صفحاتها بفعل التأوهات الحارة التى تخرجها صدور المظلومين
ولكن عنوانها مازال نديا فبللا بفعل الدموع الجارية من أعين المحرومين . . .!!
- وقد احترق بها سمى ... عندما أخذ يصغى إلى أخبارها
ودمى بها إنسان عيني ... عندما نظر إلى مضمونها وآثارها . . .!!
- وقبل أن ترك هذه القصيدة الخالدة يجدر بنا أن نذكر قطعاً أخرى متقابلة فى
ترجمتى « كركپاتريك » و « بالمر » .
- [ثم يذكر الفقرات ١٣ — ١٦ من ترجمة « كركپاتريك » والقطعة التى تقابلها
من ترجمة « بالمر » ولم نر حاجة إلى إيرادها] .
- والترجمة الحرفية للأصل الفارسى [للفقرات الانجليزية التى تركناها] هى الآتية : (١)

(١) المترجم : فيما يلي النص الفارسى للأبيات الخمسة الأولى من القصيدة ، وهو الذى اعتمدنا
عليه فى الترجمة :

بر سمرقند اگر بگذرى اى باد سحر	نامهٔ أهل خراسان به بر خاقان بر
نامه مطلع آن رنج تن وآفت جان	نامه مقطع او درد دل و خون جگر
نامه بر رقص آه عزیزان پیدا	نامه در شکستش خون شهیدان مضر
بکش تحریرش از سینهٔ مظلومان خشک	سطر عنوانش از دیدهٔ محرومان تر
ریش گردد مبر صوت ازو گاه سماع	خون شود مردمک دیده ازو وقت نظر

(١) المترجم: الأبيات الفارسية هي :

بر بزرگان زمانه شده خوردان سنالار بر کریمان جهان گشته لیمان مهتر =

- وقد أصبح الضفار يرأسون العظام والكبرام
 وأصبح أهل اللؤم والبخل يفضلون الكرماء الأسخياء... ١١...
 — وأصبح الأحرار حيازي... يقفون في حزن على أبواب الأسافل
 وأصبح الأبرار أسرى في أيدي الأراذل... ١١...
 — ولم تعد ترى أحدا يبدو البشر على وجهه إلا إذا كان على أبواب الموت
 ولم تعد تجد بنتا بكرا إلا من كانت في بطن أمها... ١١...
 — وأصبح المسجد الجامع في كل بلدة مربطا لدوابهم
 ولم يعد له سقف أو باب... ١١...
 — ولم يعد أحد يخطب باسم «الغز» في أي بلدة من البلاد
 لأن خراسان قد خلت الآن من الخطباء والنابر... ١١...

شعر الأنوري :

ننتقل الآن إلى الفصل الثاني من كتاب « زوكوفسكي »^(١) الذي أفرده لنشاط
 « أنوري » الأدبي ولخصائص شعره . وهنا نجد أن « الأنوري » أتبع نهج الشعراء
 الآتية أسماؤهم ، وهم من العرب والفرس وقد ذكرهم في قطع مختلفة من قصائده :
 « الأخطل » و « جرير » و « الأعتشى » و « حسان بن ثابت » و « البجرتي » و « أبو فراس »
 و « بديع الزمان الهمذاني » و « الحريري » و « العنصرى » و « الفردوسى » و « الفرخى »
 و « أبو الفرج » و « الأمير معزى » و « سنائى » و « أديب صابر » و « رشيدى » و « حميد
 الدين » و « رشيد الدين الوطواط » و « شجاعى » و « كمال الدين اسماعيل » . ويبدو

= بر در دونان أحرار حزین و حیران در کف رندان ابرار اسیر و مضطر
 شاد إلا بدر مرگ نه بین مردم بگر جز در شکم مام نیابی دختر
 مسجد جامع هر شهر ستور ایشاترا پایگاهی شده نه سقفش پیدا و نه در
 نکند خطبه بهر شهر بنام غز از آنکه در خراسان نه خطیبست کنون به منبر
 (١) أنظر ص ٣٤ — ٣٧ من کتاب « زوکوفسکی » .

من هذه القائمة — كما لاحظ ذلك «زوكوفسكى» — أن الأنورى كانت له معرفة تامة بشعر الشعراء القدامى وكذلك بشعر المحدثين من معاصريه. وقد رأينا أن صلته كانت طيبة مع واحد من معاصريه هو الأديب المعروف «حميد الدين» مؤلف «المقامات» وقد تبادل معه كثيرا من الأشعار. وقد ذكر «زوكوفسكى» جملة من هذه القطع الجميلة التي أرسلها الأنورى إلى «حميد الدين» ومن بينها هذه الأبيات المعروفة التي ترجمتها :

— إذا أرسلت بجناح جرادة إلى حضرة سليمان

فألتبس لى غدرا عن هذه الهدية التي أحجل من تقديمها ... !!

— وإني لأخشى ما ينالني من احتقار زهرك وريحانك

وقد أقدمت على إرسال هذه الأشواك إلى بستانك ... !!

ومن بين الشعراء الذين خصهم الأنورى بإعجاب — وفقا لما ذكره صاحب «تاريخ كزنده» و «هفت إقليم» — الشاعر «أبو الفرج الرونى» الذى كان من أهل «لاهور» ومن المادحين للملوك «غزنه» وتوفى فى تاريخ لاحق لسنة ٤٩٢ هـ . (= ١٠٩٩ م) .

أما الأمراء والأفاضل الذين ورد ذكرهم فى أشعار الأنورى فمن بينهم :

«السلطان سنجر» و «أبو الفتح طاهر بن نضر الملك» وهو من أحفاد الوزير المعروف «نظام الملك» و «السلطان طغرل تگين» و «عماد الدين فيروز شاه» حاكم بلخ و «خواجه جهان مجد الدين أبو الحسن العمرانى» و «السيد أبوطالب» و «حميد الدين» صاحب المقامات .

ويغتم «زوكوفسكى» هذا الفصل بذكر الفنون الشعرية التي اتبعها الأنورى مثل «القصيدة» و «الغزل» و «الرباعى» و «الهنجاء» و «المقطوعات» ثم يذكر بعد ذلك جملة من أشعاره التي قالها فى احتقار الشعر، ثم يورد بعد ذلك

المنظومات التي قالها ثلاثة من الشعراء من بينهم «مجد الدين همكر» و «إمامي» (١) عندما سئلوا عن آرائهم في المفاضلة بين «الأنوري» و «ظاهر الدين الفاريابي» فاتفقوا جميعاً على تفضيل «الأنوري» على صاحبه.

صعوبة أشعار الأنوري :

فإذا وصلنا إلى الفصل الثالث من كتاب «ژوكوفسكي» وجدناه يتعلق بصعوبة أشعار الأنوري ، وبالمراجع التي تساعدنا على التغلب على هذه الصعوبة والتي يمكن من فهم أشعاره وخاصة الشرحين الآتين :

١ - الشرح الذي كتبه «محمد بن داود العلوي الشادآبادي» على أشعار الأنوري (وهذا الشخص نفسه هو الذي شرح أشعار «الخاقاني») .

٢ - الشرح الذي كتبه «أبو الحسن الفراهاني» من رجال النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي (= الحادي عشر الهجري) .

وقد أعجب «ژوكوفسكي» بالثاني من هذين الشرحين ، لأن صاحبه اعتمد فيه على ما سمعه شفويًا من روايات ، وكذلك على ما قرأه مكتوبًا من تفاسير اشتمل عليها ستة وثمانون كتابًا ذكرها الشارح بأسمائها .

أسلوب الأنوري :

أما الفصل الرابع والأخير من كتاب «ژوكوفسكي» فيتعلق بأسلوب الأنوري ولقته ، وبما قام به المستشرقون من مجهود لتعريف الناس بالأنوري وبأشعاره . وليس هذا الفصل في حاجة إلى تعليق جديد نكتبه عنه .

فلنترك الآن الأنوري ، ولننتقل إلى الحديث عن الشاعر «الخاقاني» .

(١) النص الفارسي لهاتين القصيدتين موجود مع ترجمته إلى الإنجليزية في ص ٦٠ - ٦٤ من مقالتي عن الشعراء الفرس المذكورين في كتاب «تاريخ كزبده» ، وبذكر مجد الدين أنه قال قصيدته في رجب سنة ٦٧٤ هـ (= يناير سنة ١٢٧٦ م)

٢ - خاقاني

اشتهر هذا الشاعر بصعوبة أشعاره وخفاء معانيها . وأغلب منظوماته من نوع القصائد ولكنه نظم «مثنويًا» طويلاً أسماه «تحفة العراقيين» وصف فيه حجه إلى مكة المكرمة . وضمنه كثيراً من المعلومات التي تتصل بحياته .

وهناك مقالة قيمة كتبها «خانيكوف N . de Khanikoff» عن الشاعر خاقاني تحت عنوان «خاقاني : الشاعر الفارسي في القرن الثاني عشر الميلادي»

Mémoire sur Khâcâni , Poète Persan du XII Siècle .

ونشرها في «المجلة الآسيوية» سنة ١٨٦٤ - ١٨٦٥ م

وقد كتب عنه فقال إنه «نجم لامع بين الملهمين من الفرس» ثم أخذيين لنحاله في صورة واضحة ، استطاع أن يجلو بها كثيراً مما خفي من أمر الشاعر وأمر عصره . ويؤخذ من بيت من قصيدة له عن أصفهان أن «أفضل الذين إبراهيم بن علي الشيرازي» كان يعرف أولاً باسم «حقاتي» ثم تلقب بعد ذلك بالـ «خاقاني» وأنه ولد سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م) في مدينة «كنجة» التي تعرف الآن باسم اليزاقبول Elizavelpol^(١)

وكان أبوه نجاراً وكانت أمه مسيحية من النساطرة اعتنقت الإسلام^(٢) وكانت تشتغل طاهية .

وكان جده - كما نخبونا هو بصراحة تامة - نساكاً ، وكان عمه طيباً اسمه «ميرزا كافي بن عثمان» وإليه يرجع الفضل في تأديبه وتثقيفه .

وفي سن مبكرة تركه أبوه - إما لوفاته أو لهجر أمه - فاهتم عمه بالناية به وتولي تنشئته وتربيته ثم علمه مبادئ العلوم واللغة العربية والطب والنجوم والفلسفة . وقد

(١) هكذا رأى «خانيكوف» ولكن يبدو لي من «تحفة العراقيين» (النسخة المطبوعة على الحجر في سنة ١٨٧٧ م ص ٣٥) أنه ولد في مدينة «شروان» .
(٢) تحفة العراقيين ص ١٩٩ سطر ١ - ٦ تحت عنوان أصل الشاعر

قاسى في تعليمه الكثير لأنه كان على شاكلة أهل عصره ويثته يريد ألا يفسد الطفل ولو اضطر إلى استعمال العصاة والمقرعة . فلما بلغ «خاقانى» الخامسة والعشرين من عمره مات عمه ولم يتجاوز الأربعين من عمره فاقطعت بموته تربية الشاعر ووقف تعليمه .

خاقانى وأبو العلاء الكنجوى :

ولكن خاقانى مدين في براعته في النظم إلى أستاذ آخر هو «أبو العلاء الكنجوى» أحد شعراء «منوچهر شراونشاه»^(١) وقد قدمه هذا الشاعر إلى مولاه فأذن له أن غير تخلصه الذى عرف به باسم «حقاتقى» إلى هذا اللقب الفخم الذى أصبح يعرف به وهو : «خاقانى»

وقد زوج «أبو العلاء» ابنته من تلميذه «الحاقانى» فكان هذا ماثرا لحسد تلميذه الآخر «فلكى الشروانى» الذى مازال غاضبا من أستاذه بسبب هذه الزيجة حتى أَرْضاه في نهاية الأمر بمنحه ٢٠٠٠٠ درهم ليشتري بها كما قال له : «عشرين أمة تركية يفقن عروس الحاقانى جمالا وبهاء...!!»

والظاهر أن رضاء «أبي العلاء» على تلميذه وزوج ابنته لم يستمر طويلا ، وأنه أحس من الحاقانى شيئا من الجفاء والنفور فوجه إليه هذه الرباعية :

خاقانیا گرچه سخن نیک دانا
یک نکته گویمت بشنو رایگانیا
هجو کسی ممکن که ز تو به بود بسن
شاید که پدر بود ... تو ندانیا ... !!

ومعناها :

- ياخاقانى ...!! ولو أنك ماهر حقيقة فى قول الشعر
- ولكن دعنى أنصحك نصيحة واحدة ، فاصغ إليها من غير أجر
- لا تهزأ بشاعر يكبرك سنا... وحذار أن تهجوه
- فربما كان أبالك... دون أن تعرف أنت هذا الأمر ... !!

(١) كان على عهده كثير من الشعراء مثل «نظامى الكنجوى» و«أبو العلاء الكنجوى» و«فلكى الشروانى» و«خاقانى» و«السيد ذو الفقار» و«شاهفور» . أنظر تذكرة الشعراء ص ٧١ .

وربما ساء « الخاقاني » ما سمعه من قدح حميه فيه ، فطلب منه أن يعتذر عما قال
ولكن « أبا العلاء » لم يستمع إليه وجدد هجاءه له في الأبيات الآتية : (١)

تو ای افضل الدين گر راست پرسى	بجان عزیزت که از تو نشادم
دروگر پسر بود نامت بشروان	بخاقانیت بر لقب بر نهادم
بجای تو بسیار کردم نکوئی	ترا دختر و مال و شهرت بدادم
چرا حرمت من نداری تو چون من	ترا هم پسر خوانده هم اوستادم
بمن چند گوئی که گفتم سُخْنا	که من يك شي مر ترا خوش بگدام
وگر خبزگی می کنی باز گویم	کزین سان سُخْنا نباشد نیادم
بگفتم بگفتم نگفتم نگفتم	بگدام بگدام نگدام نگدام

ومعنى هذه الأبيات :

— يا أفضل الدين .. لو أنك سألتني الحق لأقسمت لك بروحى أنتي مستاء منك

— لقد كان اسمك في «شروان» ابن النجار ، فلقتك بالخاقاني ... !!

— ثم أكرت من إحسانى لك ، فزوجتك ابنتى ، وأعطيتك المال والشهرة ..!

— فلم لا تحترمنى ... وقد كنت آخذك ولداً ، وكنت لك أستاذاً ... !!

— وإلى متى تقول أنتي قلت بشأنك حديثاً ، وأنتي نكحتك في إحدى الليالى

نكحة طيبة ... !!

— أما إذا كنت تعبت بي ، فإننى أعيد القول أنتي أنا نفسى لأ كاد أذكر هذا

الحديث ... !!

— فإن كنت أنا قتلته فيها ، وإن كنت لم أقله فيها ، وإن كنت أبيتك فيها ،

وإن كنت لم آتتك فيها ... !!

وقد أجابه « خاقاني » على هذه الأبيات بمنظومة لازعة فاحشة الألفاظ ، نشرها

«خانيقوف» مع ترجمتها ، ثم اعتذر عن إقدامه على نشرها بأنها صيحة فارسية في القرن

الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) فلا غرو إذا احتوت على كثير من الفحش

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٧١

الذی ربما وجدنا له مثیلاً فی هذا القرن فی لغة ایران فی لغة أوروبا أيضاً (۱) .

(۱) الترجم : فیما یلی نص هذه التنبویة تلام من مقالة «خاتیوف» :

هم سرخ قفا وهم سیه روی	بینی سگ گنجه در این کوی
سرخی که ز دست مرغزی خاست	آن سرخ نه کز معمری خاست
چون وحش بی همه عقل وغافل	آن ملحد أبو العالی سافل
غوری سگ و عولی اصل عوری	غریچه وغرچه ز کوری
همشیره شیخ نجدی افتاد	چون آن سگ عوری از جهان زاد
پرورده شیرسگ علی الحال	شکر و چو سگ زبان مختال
و آن جاحد دین آباده : الله	آن جاحظ وقت را بدی خواه
صد ره به ازو جهود و مجوس	بعلریق زمانه باب بطروس
ور خواهی ملحد جهودان دین	خواهی اش جهود ملحدان دان
لا بل چو زحل جهود نیرنگ	مانند جهود شد زحل رنگ
باشد بمنسبت هو بندیک	او کیست که با روان نازک
ان از اب و این روح گوید	او جز بی تقی حق نیوید
هم مشرک بهتر از معطل	آن مشرک و این معطل از دل
شتاب و دهن دریده چون طست	از هم شده افتابش از دست
خو کرده شمهای سرگاز	لا بل که چو شمع طست از آغاز
هم نار جحیم گردش جان	دارد نسب از جحیم خذلان
هم بر سر آرز جان دهد باز	بوده نسبش از آتش آرز
بینی بجعل که وقت گرما	ماند بجعل بفعل و سیما
هم بر سر آتش جان بر آید	از قفل چهارپا بر آید
گرد در و گرد کوه گردد	چون از در دین ستوده گردد
چون یافت نام صباح گوید	صباحی را در ابر جوید
کیال بزرگ مهتری بود	گوید که حسن پیمبری بود
مردست حکیم کیمیا گر	گوید که محمد ای برادر
انگاہ ورا نکاح دین کرد	که با زن زید این آن کرد
مجبوم کر این حدیث او نیست	از محدث کاف و نون که مولیست
بیزارم از این نه گفته اوست	وز روضه مصطفی که میترست
در فندق او دو صد کله دوز	هستند بر این گوا شب و روز
صد کوثر دو منز در دهانش	در فندق او بود دکانش
در نهره چو نشه بلوط از آتش	وز فندقیان بطبع نا خوش
خاقانی را به بین چه خواند	آنکه احمد را حکیم داند
در پوری علی چه گوید آخر	گوید که رسول بود فاجر
مانا که نماند اهل قزوين	صبح شد این لعین بی دین
کردش چو گشت از آفت خویش	شروان که چو کعبه بود از این پیش
چون دارا قمانه گشت بد نام	بیت اقدس بده با ایام
اهل انوت را اهل باد	بر جبهتش از فنا رقم باد

ولم يكنف «خاقاني» في هذه القصيدة باتهام أستاذه وصديقه بأشنع التهم ، بل اتهمه بتهمة أشد وأشنع مما كانت تثيره الشكوك حول المسائل الأخلاقية ، فأعلن صراحة أنه من أتباع « الحسن بن الصباح » وجماعة الحشاشين الذين كانوا يقيمون في حصن « الموت » .

ويقول «خانيقوف» إن الخاقاني أنشد هذه القصيدة فيما بين سنتي ٥٣٢ - ٥٤٠ هـ (١١٣٨ - ١١٤٦ م) وإنه في ذلك الوقت ترك مسقط رأسه والتحق بخدمة ملك شروان المسمى « أختسان بن منوچهر » الذي انتقل بعاصمته من مدينة « كرشاسب » في أذربيجان إلى مدينة « باكو » ، ولكن الأمور لم تسر وقفاً لمزاده هناك ، لأنه كان من الصعب إرضاء هذا الملك الذي كان كثير الشكوك ، كثير الغضب ، لأقل سبب . ويتمثل جفاء طباعه في الحكاية المعروفة الآتية :

« ... أرسل الخاقاني إليه في إحدى المناسبات قصيدة تضمنت البيت التالي :

وشقى ده كه در برم كيرد يا وشاقى كه در برش كيرم
ومعناه :

— فأعطني برداً يضمني إلى متنه ، أو غلاماً أضمه إلى صدري . . . ! !

فأمر « شروانشاه » بقتله على هذا القول الجريء . . . ! ! فلما علم الخاقاني بغضب مولاه أخذ ذبابة وقطع أجنحتها ثم أرسلها إلى مولاه قائلاً : إنها السبب في إهدار دمه لأنه كتب « يا وشاقى » فسقطت الذبابة على الباء فجعلتها « ياء » بنقطتين (٢) .

ويضيف « دولتشاه » على ذلك قوله : « هكذا كان حال الملوك من حيث المهمة والعظمة ، وهكذا كان لطف الشعراء والفضلاء ؛ ولو أن شاعراً طلب الآن من ممدوحه حملين من ألقت لهما رأوا في ذلك ما يعرض من قدره ، ولشكروه على هذا التخفيف فيما يطلب . . . ! ! » (١)

واستاذ «خاقاني» في الذهاب إلى مكة للحج ، وكان قد حج قبل ذلك بثلاثين سنة .

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٨٠

(٢) المترجم : بكتابة كلمة « يا » يكون معنى البيت :

فأعطني برداً يضمني إلى متنه [وأرسله] مع غلام [أى خادم] حتى أضم البرد إلى صدري . . .

عندما كان غلاما صغيرا في رقعة عمه ، وأنشد في ذلك قصائد تصف خروجه من « شروان » ومروره على « سفيد رود » ورؤية الثلج على قمة جبل « سبلان » .

وربما فكر في هذا الوقت في زيارة خراسان كما يقول « خانيقوف » . ولا شك إنه سمع كثيرا عن جود « سنجر » فشوقه ذلك إلى الالتحاق بخدمته ، ولكننا لانكاد نثر على الدليل الذي يثبت لنا أنه استطاع أن يحقق ما كان يحول برأسه من رغبة وأمل .

وقد قال في هذا الصدد جملة قصائد، منها :

چه سبب سوى خراسان شدنم نگذارند

عندلیم بگلستان شدنم نگذارند

ومعناه :

— لأى سبب لا يسمحون لى بالذهاب إلى خراسان .

وأنا العندليب فلماذا لا يسمحون لى بالذهاب إلى البستان . . . !!

وله قصيدة أخرى مطلعها :

بخراسان شوم إن شاء الله از ره آسان شوم إن شاء الله

ومعناه :

— سأذهب إلى خراسان إن شاء الله .

وسأذهب بطريق اليسر إن شاء الله . . !!

وله قصيدة ثالثة مطلعها :

زه روم مقصد امکان بخراسان یام تشنه ام مشرب إحسان بخراسان یام

ومعناه :

— سأسلك سبيلي ، وسأجد مقصد الإمكان في خراسان ...

وإني ظمآن ، وسأجد مشرب الإحسان في خراسان ... !!

ويبدو أن « الخاقاني » استطاع أن يشرق حتى وصل إلى مدينة « الرنى » ثم منع

لأمر من الأمور عن تجاوزها ، فقال في ذلك قصيدة وجهها إلى هذه البلدة ، منها
البيتان الآتيان :

چون نیست رخصه سوی خراسان شدن مرا
 هم باز پس نکشم من بالای ری
 گر باز رفتم سوی تبریز اجازت است
 شکرانه گویم از کرم پادشای ری

ومعناهما:

— لا رخصة لي في الذهاب إلى خراسان... ومن أجل ذلك فسأرجع، فلا قدرة
 لي على تحمل متاع مدينة « الري » ... !!
 — وإذ سمع لي بالذهاب إلى « تبريز » ... فإني أكرر الشكر لملك « الري »
 وأحمد له كرمه ... !!

وربما تخيل « الخاقاني » أنه سيفوز بكثير من التقدير في خراسان ، فقال في
 نهاية القصيدة التي سبقت البيت الآتي :

چون زمن اهل خراسان همه عنقا بینند
 من سلیمان جهانبان بخراسان یایم

ومعناه ::

— ولما كان أهل خراسان يرونني العنقاء ، فرجما استطعت أن أجد سليمان
 الحكيم في خراسان .. !!

وهو يشير بذلك إلى «سنجر» الذي ذكره صراحة فيما بعد . ويبدو لي أنه قال
 هذه القصيدة قبل غارة « الغز » على أملاك «سنجر» في سنة ١١٥٤ م (= ٥٤٩ هـ)
 وهي الغارة التي قتل فيها الطبيب العالم «محمد بن يحيى» صديق الخاقاني ، وكان قد ترأس
 معه كثيرا أثناء حياته ، فلما قتل خنقا على أيدي « الغز » رثاه بمرثيات جميلة مذكورة
 في ديوانه (١)

وكان «الخاقاني» أيضا متصلا بملوك خوارزم (الحوارزمشاه) وبثبت ذلك وجود

(١) أنظر قصيدة باللغة العربية ضمن «كليات خاقاني» موجهة إلى «محمد بن يحيى»

جملة قصائد من قصائده في مدح الـ «خوارزمشاه» وفي مدح شاعره المعروف «رشيد الدين الطواط» الذي أرسل إليه جملة أبيات يثنى عليه فيها .

ويدنو لي أن «الحاقاني» لم يفكر في زيارة «خراسان» بعد موت «سنجر» لما أحدثته فيها غارة «الغز» من دمار وهلاك .

تحفة العراقيين :

أما فيما يختص برحلة «الحاقاني» إلى مكة للحج للمرة الثانية ، ففي أيدينا سجل من إنشائه في مثنويته المعروفة بـ «تحفة العراقيين» التي طبعت في مدينة «لكنو» في سنة ١٢٩٤ هـ . وهذه المثنوية مقسمة إلى خمس مقالات :

المقالة الأولى : في الشكر الإلهي .

المقالة الثانية : تحتوى على بيانات عن ترجمة حياة الشاعر .

المقالة الثالثة : وصف همدان والعراق وبغداد .

المقالة الرابعة : وصف مكة .

المقالة الخامسة : وصف المدينة

وقد شرح «خانقوف» محتويات هذه المقالات الخمس وفسر ماورد بها من أسماء ومن أجل ذلك فسأكتفي بهذا الحديث الوجيز عنها .

وقد أوحى هذه الرحلة بجملة قصائد أخرى جميلة بالإضافة إلى «تحفة العراقيين» ومن بينها القصيدة الرائعة التي مطلعها :

سر حد باديه است ، روان باش بر سرش

ترياك روح كن ز سموم معطرش

ومعاه :

— ها كه حد البادية ... فتقدم إليه ... ولا تتردد ... !!

واشف روحك رياحها العليله المعطرة ... !!

وقد زار «خاقاني» مدينة أصفهان أثناء عودته من الحج ، فأصابه هناك شيء من سوء الحظ كالذي أصاب «الأنوري» في مدينة «بلخ». وتفسير الخبر أنه عند ما وصل إلى «اصفهان» أحسن أهلها استقباله ولكن أحد تلاميذه وهو «مجير الدين البيلقاني» نشر رباعية (١) عن أهل أصفهان مليئة بالسباب والشتائم ، فانبرى شاعر آخر اصفهاني اسمه «جمال الدين عبد الرزاق» للرد عليه بقصيدة لازعة مليئة بالفحش ؛ وأراد «الخاقاني» أن يتخلص مما جره عليه تلميذه ، فأنشأ قصيدة أخرى كلها مدح وثناء على أصفهان والاصفهانيين ، يقول فيها بعد ما أطراها كل الاطراء :

ابن همه كردم برايگان نه برای طمع

كافسر وزر يابم از عطای صفاهان

ديو رجم انكه بود دزد ييتم

گردم طقيان زد از هجای صفاهان

او بقيامت سپيد روی نخيزد

زانكه سيه بست بر قفای صفاهان

أهل صفاهان مرا بدی ز چه گویند

من چه خطا کرده ام بجای صفاهان

ومعنى هذه الأبيات :

— وقد فعات ذلك غير طامع، وبدون أجر ، ودون أن أفكر في الحصول على

تاج ذهبي من عطاء اصفهان ... ١١

(١) المترجم: الرباعية المنسوبة إلى «مجير الدين البيلقاني» هي الآتية :

گفتم ز عراق قوت جان خيزد لعليست مروت كه از آن كان خيزد

كي دانستم كاهل صفاهان كورند با اين همه سرمه كز صفاهان خيزد

ومعناها :

قلت لنفسى إن الروح تسترد قوتها في العراق، وتستطيع أن تجد بواقيت المروءة في مناجها .
ولكنني لم أعرف أن أهل اصفهان عمى العيون ، رغم هذا الكحل الكثير الذي يجلب منها .

— ولكن هذا الشيطان الرجيم الذي سرق فصاحة ياني ، لو أنه تنفس بكلمة واحدة في هجاء اصفهان ،

— لما قام في يوم القيامة أبيض الجبين ، لأنه أراد أن يطلع بالسواد رأس اصفهان... ١١

— فلماذا يتحدث أهل اصفهان بالنسوة في شأني... وأي خطأ ارتكبه في حق اصفهان... ١٢.

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة بعد سنة ٥٥١ هـ كما يستفاد ذلك مما بها من إشارات ، أو ربما في السنة التالية كما يقول «خانيقوف» .

وعندما عاد خاقاني إلى «شروان» غضب عليه ملكها «أختسان» فأمر بحجسه في قلعة «شاران» حيث أنشأ قصيدته «الحبسية» المعروفة . وربما كان سبب غضب مولاه عليه راجعاً إلى غروره وإعتزاده بنفسه (وهي صفة لم تفارق الشاعر في أي وقت من الأوقات) أو ربما كان السبب راجعاً إلى اتهام بعض الحاسدين له بأنه يسعى إلى الالتحاق بمخدمة شخص آخر غير ملك شروان (١) .

ولسنا نعرف إلا القليل من أمر «الخاقاني» من يوم حبسه إلى وفاته بعد ذلك في تبريز سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٥م) ولكننا نعلم من قصائده أنه عاش فترة بعد موت مولاه «أختسان» وأنه فقد امرأته وأحد أبنائه المسمى «رشيد» ولم يتجاوز العاشرة من عمره (٢) .

(١) المترجم: هذه الحبسية تعتبر من أبلغ ما قاله «الخاقاني» من قصائده، ونحن نتقل منها الأبيات الآتية من الطالع :

صبيح دم چون کله بنده آه دود آسای من چون شفق در خون نشیند جسم شب پهای من
مجلس غم ساخته است و من چو بيد سوخته تا بمن راوق کند مژگان می بالای من
رنسک بازیچه است کار گنبد نارنج رنگ چند جوشم کز بیرونم بگردد صفرای من
(٢) تاریخ وفاة «خاقانی» المذكور آنفا قال به عوفی في «لباب الألباب» و «المستوفی» في «تاریخ گزیده» ودولتشاه في «تذكرة الشعراء» ولكن هناك أقوالاً أخرى أوردتها «خانيقوف» في «مقالته تجعل وفاته بعد ذلك إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨م — ١١٩٩م) . وبلاحظ «خانيقوف»

وقد نحدث «خانيقوف» عن المراثية التي رثا بها «خاقاني» زوجته فقال :
 « إن هذه القصيدة - في رأي - هي القصيدة الوحيدة التي يظهر فيها الخاقاني
 كما نود له أن يظهر : شاعراً طيباً رقيق الإحساس . فقد أنساه الأسي قوة بيانه فلم
 يشحن عباراته بالاصطلاحات العسيرة ولا بالصناعات البديعية الكثيرة ، فكان ذلك
 سبباً في أن تتدفق أشعاره إلى قلب القارئ فيحس فيها بلوغة الأسي التي صورت
 هذه النكبة المنزلية منذ سبعة قرون ماضية ١١٠٠٠ »

وقد دفن «الخاقاني» في مقبرة الشعراء في «سرخاب» بالقرب من «تبريز» بجوار
 الشعراء المعروفين «ظهر الدين الفاريابي» و«شاهفور بن محمد الأشهرى النيسابوري» .
 وقد أخبرنا «خانيقوف» أنه سمع من رجلين عجوزين من أهالي تبريز في سنة ١٨٥٥م
 أن هذه المقبرة كانت قائمة ومعروفة قبلما يحطمها الزلزال الشديد الذي خربها ولم
 يبق على شيء من آثارها . وقد حاول «خانيقوف» البحث عن هذا القبر فأجرى
 كثيراً من الحفريات ولكنه لم يستطع الكشف عنه .

ومن اتصل بهم «خاقاني» غير من ذكرناهم :

١ - الفيلسوف أفضل الدين الساوجي .

٢ - أمير الدين الأخسيكتي .

وقد ذكر جماعة غيره هؤلاء من الشعراء والأدباء... كان يذكروهم في معرض الفخر
 عليهم، من بينهم «معزي» و«الجاحظ» (ولكن النسخة المطبوعة على الحجر ذكرت
 بدل «الجاحظ» كلمة «حافظ» وهذا بالطبع خطأ فاحش نصادف كثيراً مثله في
 الشروح الهندية عادة) و«أبورشيد» و«عبدك الشراواني» و«قطران التبريزي»
 و«سنائي الغزنوي» و«العنصرى» و«الرودي» .

فن الخاقاني :

يعتبر الخاقاني من الشعراء الذين برزوا في قول القصائد مثل «الأنورى»

== أن التواريخ الأخيرة أقرب إلى الصواب، لأن المروف أز «خاقاني» عاش بعد «اختسان»
 وأن «اختسان» توفي سنة ٥٨٣ هـ فلا يعقل أن يقال أن «خاقاني» مات في سنة ٥٨٢ هـ

وشهرته قائمة على هذا الفن وحده من الفنون الشعرية ، رغم أنه أنشأ كثيراً من «الغزليات» ومن «الرباعيات» ومن «الثنويات» وخاصة «تحفة العراقيين» التي ذكرناها فيما سبق وكذلك جملة من القصائد العربية .

وأسلوبه غامض في العادة ، كثير التصنع حتى يُقال إنه يفرق في التكلف ، وقد عقد «فون هامر Von Hammer» مقالة قارن فيها بين «خاقاني» وبين «بندار» وقد استعرضها «خانيقوف» وتناولها بالنقد .

أما قصائد «خاقاني» فكثيرة تملأ ١٥٨٢ صحيفة من الصفحات الكبيرة وقفا لطبعة لكنو على الحجر. (١) وفي إحدى قصائده التي نشرها «خانيقوف» يظهر «خاقاني» معرفته بالدين المسيحي ومراسمه ، ويرغب في أن يلتحق بخدمة امبراطور بيزنطة وأن يعتنق الديانة المسيحية؛ كما يذكر أنه يحى تعاليم زردشت اذا سمح له بذلك القيصر... ولكنه عاد فسأل الله الرحمة والغفران في نهاية قصيدته (٢) !!..

٣- نظامى الكنجوى

ثالث الشعراء النابهن الذين عاشوا في هذا العصر هو نظامى الكنجوى، أستاذ الشعر المثنوى الروماتىكى ، الذى برز على كل الشعراء في فنه فاكتسب به شهرة عريضة خلدت ذكره في إيران وفي تركيا أيضا .

وفي أيدينا رسالة قيمة كتبها الدكتور « ولهم باخر Dr. Wilhelm Bacher » ونشرها في مدينة «ليزيج» في سنة ١٨٧١ تحت عنوان :

Nizâmi's Leben und Werke und der zweite theil des Nizâmischen Alexanderbuches, mit persischen Texten als anhang .

وسأعتمد على هذه الرسالة في الكتابة عن «نظامى» في هذا الجزء من كتابى .

(١) المترجم : أحدث طبعة لديوان «خاقاني» هي التي نشرها الأستاذ «على عبد الرسولى» في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية ، وطبعها في «شركت چاپخانه سعادت»

(٢) مطلع هذه القصيدة :

فلك كجروتر است از خط ترسا مرا دارد مسلسل راهب آسا

اتباع «باخر» في رسالته الطريقة العلمية الصحيحة التي يجب اتباعها عند محاولة الكتابة عن حياة شعراء الفرس ، فأهمل تماما جميع الروايات التي لا يعتمد عليها مما كتبه «دولت‌شاه» وأمثاله من كتاب التراجم (١) ، وقصر همه فيما جمع من معلومات عن الشاعر على مصدر واحد موثوق به ، هو عبارة عن الإشارات العارضة التي أشار بها الشاعر إلى نفسه في ثنايا أشعاره .

وعلى هذا نجد أن كتاب التراجم يختلفون في تأريخ وفاة «نظامي» ، فيجعله «دولت‌شاه» (٢) في سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م) ، ويجعله غيره مثل حاجي خليفة ما بين سنتي ٥٩٦ و ٥٩٩ هـ (١١٩٩ - ١٢٠٣ م) . ولكن «باخر» استطاع أن يبرهن بالدليل الكافي على صحة التاريخ الأخير من هذه التواريخ ، وأن يثبت أيضاً كثيراً من الأخبار التاريخية المتصلة بحياة هذا الشاعر ، فقال إنه ولد في مدينة «كنجه» (وتعرف الآن باسم اليزاقتبول : Elizavetpol) في سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ - ١١٤١ م) ، وأنه كتب أولى مثنوياته (٣) المعروفة باسم «مخزن الأسرار» حوالي سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ - ١١٦٦ م) ، وكتب المثنوية الثانية عن قصة «خسرو وشيرين» في سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ - ١١٧٦ م) ، وكتب المثنوية الثالثة المسماة «ليلي ومجنون» في سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ - ١١٨٩ م) ، وكتب المثنوية الرابعة المسماة «سكندرنامه» في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) . وكتب المثنوية الخامسة المسماة «هفت بيكر» أو الصور السبع في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ - ١١٩٩ م) ، ثم مات في منتصف العام الرابع والستين من عمره في سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ - ١٢٠٣ م) .

واسم نظامي كما يقول «باخر» هو الياس ، وكنيته «أبو محمد» ، ولقبه «نظام الدين» وسن هذا اللقب استمد الشاعر تلخاصة الذي عرف به في أشعاره . وعرف

(١) كان «عوفي» صاحب باب الألباب معاصراً لـ «نظامي» ، وكان في مقدوره أن يمدنا بمعلومات قيمة عنه ، ولكنه كما دلت عليه أكتفى بأن يقصر همه على سخافات قليلة في باب الألباب على الألفاظ (أنظر ج ٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٧) .

(٢) أنظر ص ١٣١ من «تذكرة الشعراء»

(٣) كتب «نظامي» خمسة من القصائد المزدوجة عرفت باسم «الخمسة» أو المثنويات الخمسة أو باسم «بنج كنج» بمعنى «الكنور الخمسة» .

أبوه باسم «يوسف بن زكي مؤيد» وقد توفي عنه وهو صغير ، ثم لم تلبث أمه أيضاً أن ماتت بعده بقليل ، وكانت من أسرة كردية كريمة . والشاعر يثير في بعض أشعاره إلى وفاة واحد من أخواله ، ويرى «باخر» أن هذا الحال قام بتربيته بعد وفاة أبيه . وللشاعر أخ اسمه «قوامي المطرزي» نال مكانة لا بأس بها في قول الشعر (١) ، واشتهر على أنه مؤلف قصيدة من مائة بيت عن البديع الفارسي أوردناها في الجزء الأول من هذا الكتاب (٢) .

ويؤخذ من مواضع مختلفة من أشعار «نظامي» أنه تزوج ثلاث مرات ، وأنه أعقب ولداً واحداً على الأقل اسمه : محمد ، كانت ولادته في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م) لأنه كان في الرابعة عشرة من عمره حين أم والده كتابة مثنويته الثالثة «ليلي والمجنون» .

ويقول «دولت شاه» (٣) أن نظامي كان مريداً « (تلميذاً) للشيخ » «أخي فرج الزنجاني» ولكن «باخر» يسمي هذا الشيخ باسم «أخي فرخ الريحاني» . وفيما عدا الأخبار التي رويناها فيما سبق لا نكاد نعرف شيئاً عن الشاعر إلا أنه (كما قال «باخر» ص ١٤ - ١٥) عرف أغراض الشعر الحقيقية وواجبات الشاعر أكثر مما عرفها غيره من شعراء القصور الذين يمثلهم «الأنوري» فأعرض عن المدائح وتجنب ارتياد القصور (٤) ، وإن كان قد تابع أهل عصره في إهداء مثنوياته إلى حكام زمانه ؛ فأهدى «مخزن الأسوار» إلى «إيلدگز» حاكم أذربيجان ؛ وأهدى «خسرو وشيرين» إلى ولديه اللذين أعقباه في الحكيم «محمد» و «قزل أرسلان» (٥) وكذلك

(١) نسخة من ديوانه مكتوبة في القرن الرابع عشر الميلادي موجودة في المتحف البريطاني تحت رقم Or. 6464 .

(٢) المترجم : تعرف هذه القصيدة بين القوس باسم «كشف الأستار عن بدايع الأشعار» أو «بدايع الأسفار في صنایع الأشعار» أنظر الصفحات ٦٣ - ٨٩ من هذا الكتاب

(٣) أنظر : « تذكرة الشعراء » ص ١٢٩

(٤) بذلك أيضاً قالت الروايات المختلفة وكذلك أشعاره في مواضع متفرقة .

(٥) أنابه «قزل أرسلان» على هذه الهدية بأن خصص له قرية «حدونيان» انظر ص ١٢٩ من «تذكرة الشعراء» حيث قال إن الشيخ شكر هذا الإنعام بقوله :

نظر بر محمد وبر اخلاص من كرد ده حدونيانرا خاص من كرد =

أهداها لأخز ملك سلجوقى فى إيران وهو « طغرل بن أرسلان » ، وأهدى « لىلى والمجنون » إلى « اختسان بن منوچهر » حاكم شروان الذى كان يعزى بحمايته الشاعر « خاقانى » ، وأهدى كتاب « الاسكندر » أو « سكندرنامه » إلى « عز الدين مسعود » حاكم الموصل ثم إلى « نصره الدين أبى بكر بيشكين » الذى تولى حكم أذربيجان بعد وفاة عمه « قزل أرسلان » فى سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) ، كما أهدى إليه أيضا كتاب « هفت بيكر » .

ويقول « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء » ص ١٢٩ أنه بالإضافة إلى هذه المثنويات التى سبق ذكرها والتى تعرف بالـ « الخمسة » فإن لنظامى ديوان من الغزليات والموشحات والقصائد يبلغ العشرين ألف بيت (١) . ويذكر « باخر » بيتاً من « لىلى ومجنون » يستشهد به على أن « نظامى » رتب ديوانه هذا فى نفس الوقت الذى كتب فيه هذه القصة أى فى سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ - ١١٨٩ م) . أما « عوفى » فعلى العكس من ذلك يذكر فى كتابه باب الألباب (ج ٢ ص ٣٩٧) « إن الرواة لم ينسبوا لنظامى شيئاً من الشعر إلا هذه المثنويات . ومع ذلك فقد سمعت من أحد العظماء فى مدينة نيسابور أن الرواة نسبوا إليه قول الغزليات الآتية .. » ثم يورد عوفى ثلاثاً من هذه الغزليات ، كل واحدة منها تشتمل على خمسة أبيات ، والأخيرة منها مرثية قالها فى رثاء ابنه (٢)

وقد أضاف « دولتشاه » (ص ١٢٩ - ١٣٠) غزلية رابعة من ثمانية أبيات

تتضمنه : أنه نظراً لإخلاصه له وحدى لعمه ، فقد خصص لى قرية « حمدونيان »
 (١) المترجم : يقول فى النص الفارسى : « ديوان شيخ نظامى وراى خمسة قريب
 بيست هزار بيت باشد و غزليات ، طبوع و موشحات و شعر مصنوع بسيار دارد »
 (٢) المترجم : نص هذه المرثية كما يلى :

آينجان عارض و آنسكه برخفت	اى شده هم سر خوبان بهشت
دوزخى باشده رفتى به بهشت	بر نخ عمر بسر بردن خوش
اين قضا بر سرت آخر كه نوشت	خط نياورده بتو عمر هنوز
خاك از دهنده من خون آغشت	چه عجب گر شودى جان و جهان
آب كى باز توان داد بكشت	سبز زارى خطت اندر خاكست

ذكر في البيت الأخير منها تخلصه صريحاً . ومع ذلك فيجب ملاحظة أنه وجد في الأدب الفارسي جملة من الشعراء تخلصوا باسم « نظامي » وأن دولتشاه ، وقد عرف بكثرة الخطأ فيما كتب من سير وتراجم ، معرض لأن يخلط بين « نظامي » الذي ترجم له في هذه المقالة وبين غيره ممن حملوا هذا اللقب الشعري .
ومهما كان من أمر فإننا لو فرضنا صحة القول بوجود ديوان لنظامي ، فإن هذا الديوان قد ضاع منذ زمن طويل وعفت الأيام على محتوياته .

مطالعة نظامي :

ومكانة « نظامي » كشاعر موهوب ، كثير الإنتاج ، متميز بذكاء نادر ، يعترف بها جميع النقاد من الفرس وغيرهم على السواء . وقد اعترف له بذلك كتاب التراجم ومن بينهم « عوفى » و « حمد الله المستوفى القزويني » و « دولتشاه » و « لطفعلی بيگ » وكذلك الشعراء ومن بينهم « سعدى » و « حافظ » و « جامي » و « عصمت » .

وكما أن ذكاه لا ينافسه فيه إلا القليل من شعراء إيران ، فكذلك أخلاقه قلما يدانيه فيها أحد ؛ ذلك لأنه كان يمتاز بالورع الحقيقي دون أن ينزل إلى التعصب والتزمت والجود ، وكان مستقلاً برأيه شديد الاحترام لكرامته ، ولكنه كان كذلك ظريفاً وديماً ؛ وكان والدًا محباً لأولاده ، وزوجاً عاشقاً لزوجته ، وكان لا يحتسى الخمر ، وهو في ذلك على التقيض من الكثرة الكثيرة من شعراء إيران وخاصة الصوفيين منهم ، فإنهم كانوا يحتسونها برغم تحريمها ، ويجعلونها النبع الذي تصدر عنه آلهة الوحي والشعر . ولو أردنا تحرى الدقة والإيجاز في وصف « نظامي » لقلنا إنه الشاعر الوحيد بين شعراء إيران الذي جمع بين الذكاء النادر والحلق الرفيع ، وأنه تميز بهاتين الخصلتين مجتمعين بين جميع شعراء الفرس الذين أمكنت دراستهم والترجمة لهم .

ومن الواجب علينا الآن أن نتحدث حديثاً قصيراً عن كل واحدة من هذه الشؤون التي تشتمل عليها ال « خمسة » ، ومع ذلك فإنه يجب علينا أيضاً أن نعترف بأن حديثنا عنها سيكون ناقصاً مقتضباً ، لأنه من المحال أن نوفيها حقها أو شيئاً منه في كتاب موجز مثل كتابنا هذا لا يتسع نطاقه للافاضة في العرض والتحليل .

وقد نشرت « الخمسة » في طبعات شرقية مختلفة ، وأنا شخصيا أستعين بنسخة طهران المطبوعة على الحجر في سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ، وهي تقع في مجلد واحد تبلغ عدد صفحاته سبائة صحيفة ، كل واحدة منها تشمل على خمسين بيتا من الشعر (١) .

مخزن الأسرار

فأما « مخزن الأسرار » فهو الثنوية الأولى من هذه الثنويات الخمسة من ناحية ترتيبها الزمني ، كما أنها أقصرها طولاً . وهي تمتاز عن الثنويات الأخرى بأنها ليست قصة روائية Romance بل هي « منظومة صوفية » تشمل على كثير من النكات والحكايات على أسلوب « حديقة الحقيقة » التي ألفها « سنائي » ، أو على أسلوب « الثنوي » الذي كتبه. فيما بعد « جلال الدين الرومي » .
ويظهر لي أيضا أنها دون الثنويات الأخرى من الناحية الفنية ، وربما كان سبب ذلك راجعا إلى كراهيتي الشديدة لوزنها الشعرى الذي صيغت فيه (البحر السريع)

— — — | — — — | — — —
مفتعلن مفتعلن فاعلن

وهي تشمل على كثير من المقدمات في المناجاة والحمد ، يعقبها عشرون مقالة كل واحدة منها تتعلق بموضوع قهبي أو أخلاقي يتناوله الشاعر أولا من الناحية النظرية والمعنوية ، ثم يصوره بعد ذلك بحكاية من الحكايات .
ولكني ندرك أسلوب هذه القصة نكتني بأن نذكر هنا على سبيل المثال ترجمة حكاية « أنوشروان مع وزيره » ، وهي الحكاية التي تمثل الوزير الجري يعنف سيده على ما أصاب الرعية من حيف وإهمال (٢) :

(١) المترجم : أحدث طبعات « الخمسة » هي التي نشرها « وحيد دستگردى » في خمسة أجزاء في طهران - وهناك أيضا نسخة جيدة من « هفت بيكر » نشرها في استامبول المستشرقان « ريتز » و « ريبكا » في سنة ١٩٢٤ .
(٢) أنظر ص ٢٣ من « الخمسة » طبع طهران سنة ١٣٠١ هـ ، وكذلك ص ٨٠ من مخزن الأسرار طبع طهران سنة ١٣١٣ هـ .

- خرج « أنوشیروان » یوما للصيد فابتعد به جواده عن كوكبة الفرسان .
 — ولم يبق له من أنيس إلا وزيره ، فسارا معا ولم يكن معهما كائن من كان .. !!
 — فر الملك بناحية مليثة بالصيد، ورأى بها قرية خربة كقلوب الأعداء .
 — وقد جلست فيها بومتان متجاورتان، وهما يتحدثان، والملك يضيق ذرعا بحديثها
 — فالتفت إلى وزيره وقال له: فيم يتحدثان وما دلالة هذا الصغير الذي يصفران
 — فقال الوزير: ياملك الزمان ، اسمع لي وكن غفورا ، أقل لك مايقولان .
 — ليس حديثها غناء وطربا ، بل هما يعدان خطبة للزواج .
 — فقد أعطى ذلك الطائر ابنته لهذا الطائر ، وهو يطلب منه مهرها الآن .
 — وهو يقول له : اترك لي هذه القرية الخربة وكذلك بضع قرى أخرى مثلها
 — فيقول له الطائر الآخر: «ماعليك بهذا ، أأنت ترى جور الملك ؟ فلا تدع
 الهنوم تستولى عليك ... !!
 — فإنه لو امتدت أيام الملك ولو قليلا .. لأعطيتك من القرى الخربة مائة ألف
 قرية أخرى (١) .. !!

(١) المترجم : فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية :

صيدکنان مرکب نو شیروان	دور شد از کوكبه خسروان
مؤنس خسرو شده دستور وبس	خسرو و دستور و دگر هیچکس
شاه دران ناحیت صید یاب	دید دهی چون دل دشمن خراب
تنگ دو مرغ آمده در یکدیگر	وز دل شه قافیه شان تنگ
گفت بدستور: چه دم می زنند	چیست صغیری که بهم می زنند
گفت وزیر: ای ملک روزگار	گویم اگر شه بود آوزگار
این دونوا ز پی رامشگری است	خطبة از بهر زنا شوهری است
دختری این مرغ با مرغ داد	شیربها خواهد ازو بامداد
کاین ده ویران بگفاری بما	نیز چنین چند سپاری بما
آن دگرش گفت کزین در گذر	جور مالک بین بروغم مغور
گر ملک اینست نه بس روزگار	زین ده ویران دهمت صد هزار

خسرو و شيرين

في هذه القصة يجرى «نظامي» على نسق «الفردوسي» من ناحية الموضوع والصيغة .
وموضوع قصته يشتمل على مخاطر الملك الساساني «كسري پرويز» (خسرو پرويز)
وغرامه مع معشوقته الجميلة «شيرين» ، ونهاية منافسه التعميس «فرهاد» ،
وقد اعتمد «نظامي» في هذه القصة على المصادر التي اعتمد عليها «الفردوسي»
من قبل أو على مصادر أخرى شبيهة بها ، ولكنه تناولها بطريقة أخرى ، ابتعد
فيها عن الدراسة الموضوعية ، فاستطاع أن يخرجها لنا قصة غرامية بعكس «الفردوسي»
فإنه أخرجها لنا قصة حماسية . وقد استعاض «نظامي» في صياغتها عن «البحر
التقارب» الذي خصه الاستعمال للشعر الحماسي ، بالهزج السدس على هذا النحو :

$$\begin{array}{|c|c|c|} \hline \text{---} \text{v} & \text{---} \text{v} & \text{---} \text{v} \\ \hline \text{مفاعيلن} & \text{مفاعيلن} & \text{فعولن (١)} \\ \hline \end{array}$$

وهذه المنظومة تشتمل على ما يقرب من ٧٠٠٠ بيت ، وفيها يلي قطعة منها تمثل
حسرة «فرهاد» وموته عندما أمر «خسرو» رجاله بأن ييلغوا «فرهاد» النبا
الكاذب بموت «شيرين» في نفس الوقت الذي أتم فيه «فرهاد» المهمة للملقة على
عاتقه من قطع أخدود في جبل «بيستون» (٢) ، وهي المهمة التي قام بها ووعد
عند إتمامها بالزواج من «شيرين» :

— فلما سمع «فرهاد» هذا الخبر ، سقط من فوق الجبل كقطعة من الحجر !
— وأخرج زفرة حزينة من كبده ، كالأصوات كبده حربة ذات رأسين
فرزقته . . . !!
— فقال في لوعة : يا أسفا على المشاق التي تحملتها ، وقد مت دون أن أظفر
بالراحة . . . !!

(١) المترجم : هذا هو وزن الهزج السدس المحذوف .

(٢) جبل «بيستون» قريب من «كرمانشاه» وهو مشهور بالآثار الأكيينية وبالنفوس
القديمة ، وكان يسمى في اللغة الفارسية «باجستانا» .

- ویا حسرتاه علی مجهودی الضائع ، وعلی أملی الحائب ... !!
- فما النتيجة التي حصلت عليها من شق الصخور ... : ولم يتيسر مطلبي ،
وازدادت مشقتي ... !؟
- وكنت جهولا أطمع في اليواقيت ، فلم أظفر بها ولم أصب إلا الحجارة
التافهة ... !!
- واشتعلت نيران الدمار في ييدري ، ثم أغرقني البلاء في طوفانه ... !!
- وخلت الدنيا من الشمس والقمر ، وخلت الحائل من الزهر والشجر...!!
- وانطلقاً المصباح المضيء ، فلم تغب عني «شيرين» ... بل غابت عني الشمس
المشرقة ... !! -
- وهذا هو الفلك العادر لا يشفق على مظلوم ، ولا يرعى برحمته محروم...!
- فيا أسفا على هذا الكوكب الذي أصابه الحسوف فجأة ... !!
- ولقد بكت جميع الكائنات على قلبي الحزون ، لأن ماء حياتي قد غاض في
الظلام ... !!
- ولأى سبب يقع الفراق بيني وبين حبيبتي ... ؟ ولماذا أبقى في هذه الدنيا
وقد ذهبت عنها «شيرين» ... !!
- ولو قسم لي البقاء بغير «شيرين» لانخلعت عظامي من جدي ... !!
- ومثات من الحملان تمر أمام الذئب الجائع ، ولكنه لا يختطف إلا حمل
الفقير المسكين ... !! (۱)

(۱) الترجمة: أنظر ص ۱۲۹ من الخمسة طبع طهران سنة ۱۳۰۱ هـ ، وكذلك ص ۲۵۶ من «خسرو وشيرين» طبع طهران سنة ۱۳۱۳ هـ . ش . طبع مطبعة أرمغان . والأصل القارسی كما یلی :

ز طاق کوه چون کوهی در افتاد	چو افتاد این سخن در گوش فرهاد
که گفתי دور باشی بر جگر خورد	بر آورد از جگر آمی چنان سرد
ندیده راحتی در رنج مردم	بزاری گفت کاوخ رنج مردم

- وقد وقعت شجرة السرو الطويلة... فحق لي أن أهيل التراب على هامتي... ۱
- وانتثرت أوراق الورد الباسمة... فحق للبستان أن يصبح سجنًا لي... ۱۱
- وطارت طيور الربيع البيجة، فلماذا لا أنوح في لوعة كالسحب الراجعة... ۱۱
- وانطلقاً السراج الالامع، فلماذا لا يستحيل نهاري الشمس إلى ليل دامس... ۱۱
- وخذت أنفاسي لحسرتي وكربي، واصفرت «شمسي» لغياب «قمری»
وموضع حي... ۱۱
- وسألتحق بـ «شیرین» في طيات العدم، وسأهرع إليها في قفزة واحدة
— ثم صلی علی «شیرین» وترحم علی عشقها، وقبل الأرض علی ذكرها، ثم
أسلم روحه إلى بارئها (۱)... ۱۱

<p>دریفا آن دل امید وارم نشد کارم مبسر مشکل این بود چو نادان طمع در لعل بستم چه طوفان بد که ناگاه در من افتاد چمن خالی شد از شمشاد واز یید نه شیرین کاتاب از من نهال شد نبا شد شفتش بر هیچ مظلوم کز اینسان درخسوف افتاد ناگاه که رفت آب حیات در سیاهی چو شیرین رفت من اینجا چرام سزد کز تن بر آید استخوانم برد گرگ از کله قربان درویش چرا بر سر فریزم هر زمان خاک چرا بر من نگردهد باغ زندان چرا چون ابر نخروشم بزاری چرا روزم نگردهد شب بدین روز مهم رفت آفتاب زرد از آنست بیک تک تا عدم خوام دویدن زمین بر یاد او بوسید و جان داد</p>	<p>دریفا هرزه رنج روزگارم مرا زین کوه کندن حاصل این بود ندیدم لعل و سنگ آمد بدستم چه آتشی بود کاندن خرمن افتاد جهان خالی شد از مهتاب و حورشید چراغ عالم افروز از جهان شد نبخشاید فلک بر هیچ مظلوم دریفا آنچنان خورشید و آنگاه بگرید بر دل من مرغ و ماهی چرا از روی آن دایر جدایم اگر بی روی شیرین زنده مانم اگر صد گوسفند آید فرا پیش فرو رفته بخاک آن سرو چالاک ز گلبن ریخته گلبرگ خندان پریده از چمن کبک بهاری فرو مرده چراغ عالم افروز چراغ مرد باوم سرد از آنست بشیرین در عدم خوام رسیدن صلای عشق شیرین در جهان داد</p>
---	---

(۱) قارن هذه القطعة بما يقابها في القصة التي كتبها الشاعر «شبخي» باللغة التركية

لبلى ومجنونه :

ثلاثة المثنويات التي كتبها «نظامي» هي قصة «لبلى والمجنون» وقد أصبحت لها مكانة كبيرة في أذهان الخاصة والعامة على السواء ، وذاعت شهرتها بين قصص الحب في الشرق وطلعت على ما عداها من هذه القصص ، وفازت بالمكانة الأولى في إيران وكذلك في تركيا حيث أضاف الشاعر التركي «فضولي» كثيراً من الجمال على قصة هذا العاشق الحزين وعلى محبوبته الحسنة مما ساعد على نشرها في الناحية العربية من القارة الآسيوية (١). وفي العربية ديوان ذائع الصيت يشتمل على كثير من الغزليات الجنية التي ينسبونها إلى «قيس العامري» الذي اشتهر بالمجنون ، وهو شخصية تكاد تكون خرافية ، ويقول عنه «بروكلمان» (٢) «أنه توفي فيما يظن في سنة ٧٠ الهجرية (= ٦٨٩ م) .

وقصة «نظامي» لا تحدث وقائعها في إيران بل تقع حوادثها في بلاد العرب ، وهي لا تمثل شخصية ملكية كالقصة السابقة . بل تمثل شخصين عاديين من عرب الصحراء أحدهما هو البطل ، والآخر هو الفتاة المعشوقة . ولكن «نظامي» استطاع أن يصيغها بالصيغة الفارسية وقد اختار لها الوزن الشعري الآتي (٣) :

	— —	u		—	u	—	u		u	—	—	

وتقع هذه المثنوية فيما بين الصفحات ١٩٤ - ٢٧٨ من نسخة طهران وهي تشتمل على أكثر من ٤٠٠٠ بيت .

= وتبعدها مذكورة في كتاب «تاريخ الشعر العثماني» تأليف الرحوم «جب» ج ١ ص ٢٥٤ أما عرض القصة وتحليلها في صفحة ٣١٠ .

(١) أنظر ملخصاً عن القصة التركية مع أمثلة لأسلوب «فضولي» فيما نشره «جب» في كتابه «تاريخ الشعر العثماني» ج ٣ ص ٨٥ وكذلك ص ١٠٠ - ١٠٤ .
(٢) أنظر «تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان ج ١ ص ٤٨ .

Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litteratur

(٣) المترجم : هذا هو وزن المزج المدس الأخر ب المقبوض المحذوف .

ونحن ننقل فيما يلي قطعة منها ، صور فيها الشاعر « زيداً » وقد رأى في منامه
 ليلي والمجنون في جنات الخلد . وتعتبر هذه القصة دليلاً - إذا أحوجنا الدليل - على كذب
 الحرافة الشائعة بين الأوروبيين من أن المسلمين ينكرون على نساءهم الدخول في الجنة
 أو أنهم يستخفون بحب طاهر عفيف ... !!

— فلما فتق الليل نوافج العبير ...

وترفتات المسك على صفحات النهار النير ... !!

— أنى « ملك » فأظهر له في غفلته

روضة الخلد المزدانة في جنته .. !

— وقد ازدانت ساحتها بالأشجار العالية ... !!

وامتلأت بالهناء . كقلوب أصحاب الحظوظ المواتية ... !!

— وكل زهرة في أحضانها حديقة منمقة نامية ... !!

وكل ورقة من أوراق الورد كأنها الثريات الصافية ... !!

— والجمائل كأنها العيون البصرة الراضية ... !!

أصبحت « مستقرّاً للأرواح » بألوانها اللاجوردية الزاهية ... !!

— والزهور المفتحة قد أمسكت بكؤوس الشراب ... !!

وأخذت البلابل السكرى تشدو بأغاني الحب والأحباب ... !!

— وخضرتها يانعة ... لا يشابهها الزبرجد في صفائه ... !!

ونورها ساطع ... لا حد لروائه وضيائه ... !!

— وأخذ العازفون يعزفون بالأتغام والألحان ... !!

وأخذت الحمام تردد أغاني الشوق والحنان ... !!

— وفي ظلال الورود المشمسة ذات البهاء ... !!

قد نصبوا « أريكة » على حافة النهر والماء ... !! (١)

(١) المترجم : الأصل النارسى هو الآنى كما نقله من س ٣٦٩ من « ليلي ومجنون » نطم طهران

سنة ١٣١٣ الهجرية الشمسية .

— و فرسوها بالديجاج والمدمس والحريير ... ۱۱
فدت كأنها فراش الجنة الجميل الوثير ... ۱۱

بر نيفه روز مشك پاشيد
آراسته روضه جهاتاب
خرم چو دل بلند بخنان
هر برک گلی در او چراغی
مینو کده ای برنگک مینا
بر داشته بانگک بلبل مینا
افرخکیش را حدی نه
هم فاخنگان بزند خواندن
تختی زده بر کنار آبی
چون فرش بهشت کزده زیبا
در دست نشاطگه نشسته
آراسته چون بجه در حوز
ایشان دو بدو بقصه خویش
که بر لب خویش بوسه دادند
گاهی بمراد خویش خفتند
سر بر سر تختشان نهاده
بر تارك آن دوشخص میرخت
پر سید ز پیر آسمانی
در باغ لرم چه نام دارند
این منزلت از کجا گرفتند
گفتش ز سر زبان لالی
هستند رفیق جاودانه
این ماه بتان بدلسوازی
مجنون لقب آمد آنکه شاهست
در درج وفا بمهر بوده
اینجا بمراد دل رسیده
الی ابد الابد چنین اند
زیگکونه کند در این جهان سر
شادیش در این جهان چنین است

شب چون سر ناهه را خراشید
بنمود فرشته ایش در خواب
صحنش ز بلندی درختال
در داهن هر شکوفه باغی
در هر چمنی چو چشم بینا
گلهای شکفته جام بر دست
خضرا تر از آن زبرجدی نه
هم رود زنان بزخمه راندن
در سایه گل چو آفتابی
وان تخت بفرشهای دیبا
فرخ دوسرورش پی خجسته
سر تا بقدم بزبور نور
می در کف ونوبهار در پیش
که بر لب جام لب نهادند
گاهی سخنان خویش گفتند
پیری بتعهد ایستاده
هر لحظه ز نوتاری انگیخت
ببندده خواب از آن نهانی
کاین سرو بتان که جام دارند
در منزل جان هوا گرفتند
آن پیر زبان گرفته حالی
کاین یار دوگانه یگانه
آشاه جهان بر است بازی
لبی شد لیل آنکه ماهست
بودند دو لعل نابوده
آسایش این جهان ندیده
اینجا الی دیگر نینند
هر کو نخورد در آنجهان بر
آنکس که در آن جهان خزیفت

- ثم أقبل ملاكان رحيان سعيدان ... !!
 فجلسا في جبور وسرور وحنان ... !!
- وفاض عليهما النور من أخصم القدم إلى قمة الرأس العالية ... !!
 فكأنهما الحور في أبهى الحلال والأردية العالية ... !!
- والحمر في أكفهما ، ونضرة الريح بادية عليهما ... !!
 وها يتحدثان عن قصتهما وأمرها ... !!
- فيقبلان شفة الكأس في لهفة واشتياق ... !!
 أو يقبلان الشفاه والثغور والأعناق ... !!
- وأحياناً يتحدثان بما هما فيه من حب وهيام ...
 وأحياناً يتعانتان في غفلة لذينة الأحلام ... !!
- ووقف إلى جوارها « شيخ » وقور جليل ... !!
 قد أطل برأسه ليمتع بمنظرهما الجميل ... !!
- وكان ينثر عليهما في كل لحظة الذهب والجواهر ...
 ويصب على مفرقهما ما شاء من الإبريز الساحر ... !!
- فتقدم رائي الرؤيا ، فسأل ذلك الشيخ الخافي عن العيان ...
 ليحدثه بأمر هذين العاشقين منذ أقدم الأزمان ...
- فسأله : من يكون هذان العاشقان المسكان بالأقذاح ... ؟
 وما اسمهما في حديقة إرم بين العيد والملاح ... !!
- فإنيها قد تحاببا في منزل الأرواح ...
 فمن أين لهما بهذه المكانة والمنزلة ... يا صاح ... !! ؟
- فأجابه الشيخ على الفور بمحدث بادى النظام ...
 هو من سحر القول أو من جواهر الكلام ... !!
- فقال : هذان جيبان فريدان ...
 قد انعقدت الصداقة بينهما منذ أبعد الأزمان ... !!
- فأما أحدهما فلك ... حكم العالم بنقائه ...
 وأما الأخرى فقمر ... فاق الأقمار بصفائه ... !!

- فلما ماتت « ليلي » . . . وكانت القمر النير . . . ١١ . . .
 جن المنيك ، فلقبوه بالمجنون الكسير . . . ١١
 — وكانا من قبل ياقوتين غير مثقوبتين . . .
 اشتمل عليهما درج الوفاء ، وختموه بالحب حتى لا يفرق بينهما الين . . .
 — ومن أسف أنهما لم يظفرا في الدنيا إلا بالعناء . . . ١١ . . .
 ولكنهما ظفرا هنا بما شاءا من سعادة وهناء . . . ١١ . . .
 — وسوف لا يريان بعد الآن ألماً يدعو إلى الأنين . . .
 وسيظلان فيما هما فيه إلى أبد الأبدين . . . ١١ . . .
 — فإن الذي لا يظفر في الدنيا بعناء . . .
 سيظفر بما يريد ويستهي . . . في أخراه . . . ١١ . . .
 — وكذلك الذي أعبته الأحزان في دنياه . . .
 سيكون سروره في الآخرة على هذا النحو الذي تراه . . . ١١ . . .

هفت بيكرأو بهرام نامر (الصور السبع أو كتاب بهرام نامر)

هذا الكتاب في الحقيقة هو آخر المتنويات التي أنشدها « نظامي » ولكنه في طبعة طهران يأتي بعد ليلي والمجنون ، ويحتل الصفحات من ٢٨٠ إلى ٣٩٤ ، ويشتمل على أكثر من ٥٠٠٠ بيت من الشعر تجري على الوزن الآتي :

| — u u | — u — u | — — u — |

فاعلانن مفاعلن فعلان

وموضوع هذه المتنوية مشابه لموضوع « خسرو وشيرين » في كونه متعلقاً بقصة خاصة بأحد الملوك الساسانيين وهو « بهرام گور » . وأكثر الحكايات التي رويت عن هذا الملك الذي اشتهر بفروسيته ومهارته في الصيد والطراد مبنية على أساس تاريخي ، أو متعارف عليها من قديم الزمان ، فهي مروية في تاريخ الطبري (وقد صرح نظامي باسمه وذكره من بين مصادره التي اعتمد عليها . انظر « باخر » ص ٥٤) . وربما كانت تسمية هذه المتنوية باسم « بهرام نامر » أظهر في الدلالة على

موضوعها من تسميتها باسم « هفت بيكر » ؛ لأن الصور السبع التي ذكرت فيها ليست إلا موضوعا واحدا من موضوعات القصة ، وربما سميت به لأنه أهم موضوع فيها .

والصور السبع التي تشير إليها هذه الثنوية هي الصور التي اكتشفها « بهرام كور » في غرفة سرية في قصره المعروف بالخورنق ، وقد تبين له أنها صور سبع أميرات يمتزج بالجمال والحسن : أولاهن إبنة ملك الهند ، والثانية إبنة خاقان الصين ، والثالثة إبنة شاه خوازرم ، والرابعة إبنة ملك الصقالبة ، والخامسة إبنة شاه إيران ، والسادسة إبنة اميراطور بيزنطة ، والسابعة إبنة ملك المغرب .

فلما رأى « بهرام » صورهن وقع في حبهن جميعا ، فلما مات أبوه « يزد جرد » وتولى العرش مكانه ، كان أول ما فعله أن جد في طلب هؤلاء الأميرات من آباءهن ، واستطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعا . وقد أسكن كل واحدة من هؤلاء الأميرات السبع في قصر مستقل ، جعله في لونه يمثل إقليما من الأقاليم السبعة التي ينقسم إليها الكون ، ثم أخذ في زيارتهن بالتناوب في سبع ليال متتالية ، بادئا في يوم السبت بزيارة القصر الأسود الذي خصه لإبنة ملك الهند ، ومنتها يوم الجمعة بزيارة « القصر الأبيض » الذي تسكنه إبنة ملك المغرب . وتقبله كل أميرة من الأميرات باحتفال فائق ، وتحتفى به خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيتها عندها جملة من الحكايات المتعة كالتى نجدها عادة في قصة « ألف ليلة وليلة » .

وتنتهى الثنوية بقصة « الوزير الظالم » الذي نفت « بهرام » إلى سوء أعماله عند سماعه لحكاية « الراعى وكلبه الخائن » ، فإذا ما انتهت هذه القصة وصلت « الثنوية » إلى خاتمها بوفاة « بهرام »

وفي الثنوية حكاية رائعة تمثل صحة المثل القائل بأن : « التكرار يعلم الحمار » تصور « بهرام كور » وهو يخرج كعادته مع جارية له اسمها « فتنه » تعود أن

(١) هذه القصة مروية بتامها في كتاب « سياست نامه » تأليف « نظام الملك » . أنظر طبعة

يستصحبها معه عند خروجه للصيد ، وتعودت هي أن تغني له على نعمات العود في فترات استراحته واستجمامه ، ففي يوم من الأيام أظهر الملك مهارة عظيمة في الصيد والرمية ، وكان يريد أن يستمع إلى كلمة إعجاب من جاريته « فتنة »
— ولكنها تدللت عليه ، ومنعت نفسها من الثناء عليه

— فبصر الملك على ذلك برهة ، حتى اجتاز به عن بعد حمار وحش
— فقال لها : « أيتها الفتاة التتريّة يا ذات العيون الضيقة ، لا تحقرى مهارتى في الصيد . . . ! ! »

— فهارتني في الصيد لا يشملها وصف ، وكيف يمكن لى أن أبدىها لعينيك الضيقتين . . . ! ؟

— فقولى لى ، وقد أقبل هذا الحمار كيف أطارده ، وفي أى جزء من أجزائه أرميه بسهمى . . . واختارى مكانا بين رأسه وحافره . . . ! ؟
— فأجابته الجارية : « إذا شئت أيها اللئيم أن تبيض وجهك ، فاضرب هذا الحمار بسهم واحد ، واقرن رأسه بحافره . . . ! ! »
— فعلم الملك بتعقيدها للأمر ، وأخذ يبحث عن وسيلة يتخلص بها من سوء مقصدها ونيتها .

— ثم أسرع يطلب قوسه ووضع فيها كرة من الطين الصلصال
— وقذف بها حمار الوحش ، فأصابت الكرة أذنه وآذته
— ورفع حمار الوحش حافره إلى أذنه ليحكها به ، ويخلصها من هذا الصلصال اللئيمى علق بها .

— فإذا بالملك يلقي السهم . . . فيصديه كالبرق . . . ويقرن حافره برأسه . . . ! !
— فالتفت الملك إلى جاريته المقترية وقال لها : « لقد فزت كما ترى . . . ! ! »
— فقالت الجارية هازئة به « لقد أتقن هذا الملك هذا الأمر فكيف يصعب عليه ما أتقن . . . ! ؟ »

— وكل ما يتعلمه المرء ، يسهل عليه فيستطيع فعله ولو كان صعبا . . . ! !
— فإذا كنت قد أصبت بسهمك حافر الحمار فما ذلك إلا لطول مرانك على

الصید . . . وليس في الأمر ما يدل على قوة عضدك (۱) . . . !!»

فلما سمع الملك إجابتها وتهكمها به ، اشتد حنقه عليها ، وأمر أحد ضباطه بأخذها وقتلها ، ولكنها ما زالت بالضابط تتودد إليه وتستعطفه بأن الملك سيندم على قتلها أشد الندم ، حتى استطاعت في النهاية أن تقنعه بأن من الخير له أن يتخذها من الموت ، فأخذها الضابط إلى قصره في الريف وأخفاها هنالك ، وكانت هي نفسها ما زالت تتوق إلى أن تثبت له إن « التكرار يعلم الحمار » وأن « المران ينتهي إلى الإتيان » فلاحظت أن سلم القصر يشتمل على ستين درجة ، فاشترت عجلارضيعة وأخذت تحمله كل يوم على أكتافها وتصعد به ذلك الدرج ثم تهبط به ثانية ، حتى اعتادت حمله رغم غموه وكبره .

وفي يوم من الأيام نزل « بهرام كور » ضيفا على هذا الضابط فغطت « فتنة » وجهها بتقاب ثقيل ، وأخذت تعرض على الملك رياضتها التي مرنت عليها . فأعجب الملك

(۱) المترجم : هذه ترجمة الأبيات المذكورة في ص ۸۹ من النص الفارسي لـ « هفت پیکر » الذي نشره الأستاذان ريتير Ritter وريبكا Rybka في استانبول سنة ۱۹۳۴ ونصها كالآتي:

در ثنا کرد خوبشتم داری	وآن کنیزک ز ناز و عیاری
تا یکی گور شد روانه ز دور	شاه یک ساعت ایستاد صبور
صید مارا بچشم در ناری	گفت کای تنگ چشم تاتاری
در چنان چشم تنگت چون آید	صید ما کز صفت برون آید
وز سرس تا سمش چه اندازم	گوری آمد بگو که چون نازم
سر این گور در سمش دوزی	گفت باید که رخ بر افروزی
چاره گر شد ز بند بسچی او	شاه چون دید پیچ پیچی او
مهره در گمان گروهه نهاد	خواست اول گمان گروهه چو باذ
آمد از تاب مهره مغز بجوش	صید را مهره در فکند بگوش
تا ز گوش آرد آن علاقه برون	سم سوی گوش برد صید زبون
گوش و سم را یکدیگر در دوخت	تیر شه برق شد جهان افروخت
دست بردم چگونگی بی	گفت شه با کنیزک چینی
کار بر کرده کی بود دشوار	گفت بر کرد شهریار این کار
گرچ دشوار شد تواند کرد	هرچ تعلیم کرده باشد مرد
هست از ادمان نه از زیادت زور	رفتن تیر شاه بر سم گور

كثيرا باستطاعتها أن تحمل ثورا إلى سطح المنزل وبإمكانها كذلك أن تهبط به ثانية إلى الأرض ، وطلب إليها أن ترفع تقابها ، فلما فعلت عرف أنها معشوقته السابقة ، فسر سرورا بالغا بسلامتها وعفا عما أظهرته نحوه من عناد ودلال ..

اسكندر نامه أو كتاب الإسكندر

هذه هي المتنوية الخامسة من متنويات نظامي، وهي مكتوبة في وزن «المتقارب» وهو الوزن الذي كتب فيه أكثر الشعر القصصي .

| — u | — — u | — — u | — — u |
 فـعـل فـعـولن فـعـولن فـعـولن

وهذه المتنوية مقسمة إلى قسمين : الأول منهما يسمى « إقبال نامه (١) » أو كتاب الإقبال ، والثاني يسمى « خرد نامه » أو كتاب العقل .

والجزء الأول من هذين الجزئين موجود في الصفحات من ٣٩٦ — ٥٣٠ من طبعة طهران ، ويتلوه الجزء الآخر في الصفحات من ٥٣٣ — ٦٠١ من هذه الطبعة ولا يقل عدد الأشعار التي يشتمل عليها هذان الجزئان عن عشرة آلاف بيت ، ثلثاها في الجزء الأول والثلث في الجزء الثاني .

وقد ترجم « الكولونيل كلارك Colonel W . Clarke » كتاب الإقبال إلى اللغة الإنجليزية نثرا . كما درس الدكتور « والس بوج E. Wallis Budge » قصة الإسكندر « دراسة وافية تبين نشأتها في مختلف الآداب الشرقية . ومن أجل ذلك لم أر داعيا إلى الإفاضة في هذا الموضوع من جديد ، فلن يكون

(١) هناك اختلاف كبير في عناوين هذين القسمين ، فليرجع القارئ إلى مقالة «باخر» ص ٥٠ ، ٥٢ ، والمتفق عليه في الفارسية تسميتهما تباعا باسم «شرف نامه» و «إقبال نامه» أي «كتاب الشرف» و «كتاب الإقبال» .
 أما في الهند ، فيميز المنوود القسمين بجعل عنوان أحدهما « اسكندر نامه برى » وعنوان الآخر « اسكندر نامه بحرئى » .

من نتيجة ذلك إلا الإطالة في هذه المقالة التي تحدثنا فيها عن « خمسة نظامي » فطال فيها الحديث من حيث لا يريد .^(١)

٤ — ظهير الدين الفارياي

هذا الشاعر وإسمه الكامل « ظهير الدين طاهر بن محمد الفارياي^(٢) » أقل شهرة من الشعراء الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم ، وهو مدين فيما حاز من شهرة إلى بيت واحد من الشعر ، يكثر ترديده بين الفرس دون أن يعرف قائله وهو :

ديوان ظهير فارياي در كعبه بدزد اكر يياي

ومعناه : إسرق ديوان « ظهير الدين الفارياي » ولو وجدته في الكعبة ...
وقد أشرنا فيما مضى إلى آراء « مجد الدين همكر » و « إمامي » وشاعر ثالث في المفاضلة بين « ظهير الدين » وبين « الأنوري » ، ورأينا أن الشعراء الثلاثة أجمعوا على تفضيل « الأنوري » .

ولكن قيام هذا النوع من الجدل بين هؤلاء الشعراء يدلنا بصورة قاطعة على أن أشعار « ظهير الدين » كانت في وقت من الأوقات تقدر حق قدرها ويكثر قراؤها على خلاف حالها الآن .

وقد طبعت أشعار « ظهير الدين » على الحجر في مدينة « لكنو »^(٣) وقام على طبعتها « نول كاشور : Nawal Kashor » . ولكن النسخة التي اعتمد عليها في هذا البحث عبارة من مخطوط جيد (رقم 0064.6) من مخطوطات مكتبة « جامعة كامبردج » وهو يشتمل على ١٦٠ ورقة ، كل واحدة منها تشتمل على ٢٢ بيتا من الشعر أي أن كل صحيفة من صفحاتها تشتمل على أحد عشر بيتا من الشعر ، ومعنى ذلك أن هذه الورقات تشتمل على ما يزيد على ثلاثة آلاف بيت من الشعر موزعة بين « القصائد » و « المقطعات » و « الفزليات » و « الرباعيات » .

(١) المترجم : من حسن المظ أن أحدث بحث عن « نظامي » هو الذي كتبه بالعريسة صديقي الدكتور عبد النعيم حسين وأحرز عليه في العام الماضي أول درجة للدكتوراه من جامعة أبراهيم وقد تمكن من نشره هذا العام بعنوان : نظامي الكنجوي ، شاعر الفضيلة .
(٢) أنظر « تاريخ كرده » وكذلك « تذكرة الشعراء » لدولت شاه .

(٣) المترجم : تاريخ هذه الطبعة هو ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٩ م .

وقد خصص «عوفى» مقالة ليست بالقصيرة لحياة «ظهر الدين» (١) وفيها مغالاة كبيرة في بيان سمو مرتبته وعلو منزلته حتى إنه قال : « إن لشعره من الرقة واللفظ ما ليس لشعر غيره من الشعراء » (٢) وأضاف «عوفى» إلى ذلك أن «ظهر الدين» ولد في بلدة «فارياب» في الشمال الشرقي من إيران ، ولكنه فاز بشهرة عريضة في العراق حيث كان يفوز برعاية خاصة يتلقاها من حاكم أذربيجان الأتابك «نصرة الدين أبي بكر بن محمد بن ايلدگز» الذي كان يلقب باسم «جهان بهوان» أي «بطل العالم» .

وقد أفرد له «دولت شاه» مقالة طويلة (ص ١٠٩ — ١١٤ من تذكرة الشعراء) قال فيها : أن ظهر الدين كان تلميذا للشاعر رشيدى السمرقندى ، وإنه ترك خراسان وهاجر إلى العراق وأذربيجان في أثناء حكم الأتابك «أرسلان بن ايلدگز» (٥٨١ — ٥٨٧ هـ = ١١٨٥ — ١١٩١ م) ، وإنه كان قبل ذلك في خدمة «طغان» حاكم نيسابور ، وإن بعض الأكابر والأفاضل يعتبرون أشعاره أرق وأدق من أشعار الأنورى .

ويبدولنا مما جاء في «تاريخ طبرستان» أن «ظهر الدين» كان قبل ذلك ملتحقا بخدمة إصبهيد مازندران المسمى «حسام الدولة اردشير بن الحسن» الذى قتل في أول إبريل سنة ١٢١٠ م = ٦٠٧ هـ ؛ وإليه وإلى جوده يشير «ظهر الدين» في كثير من اللوعة والندم حيث يقول :

شاید که بعد خدمت ده سال در عراق

نام هنوز خسرو مازندران دهسد

ومعناه : وهل يجوز بعد ما تقضت على عشر سنوات خدمتها في العراق أن يظل

ملك مازندران يعطينى قوتى . . . ؟ (٣)

(١) أنظر ج ص ٢٩٨ — ٣٠٧ من «باب الأباب» .

(٢) الترجمة : العبارة الفارسية الأصلية هي : «وشمر اولطافى دارد که لطف او هيچ

شمر ديگر ندارد» .

(٣) يقول ابن اسفنديار في كتابه «تاريخ طبرستان» إن بعض المخدم قتل هذا البيت

إلى إصبهيد مازندران فأمر بأن يعطى الشاعر مائة دينار وجواداً وخلمه ومنطقة مرصعة بالجواهر .

وقد زار « ظهير الدين » مدينة أصفهان ، ولكن قاضى قضاتها المسمى ؛ « صدر الدين عبد اللطيف الحجندی » لم يحسن استقباله فبقى بها فترة قصيرة ، وكان من بين أعدائه « مجير الدين البيلقانى » شاعر المهجاء والتهمك فى اصفهان ، وهو نفس الشاعر الذى صادفناه من قبل بين خصوم « الخاقانى » ، وقد أشار إليه « ظهير الدين » فى البيت التالى ، وفيه يتهم به وبملاسه الفاخرة التى كان ينالها من « قول أرسلان »

گر بديساهاى فاخر آدمى گردد كسى

پس در اطللس چيست كرك ودر عبائى سوسمار (١)

ومعناه : إذا استطاع الإنسان أن يصير آدميا بالملايس الفاخرة

فما ذا يكون الذئب فى فروه الوافر ، والضب فى جلده الفاخر . . !!

وقد اعتزل « ظهير الدين » قبيل انتهاء حياته عيشة الملوك والقصور وقنع كما فعل الكثيرون غيره من شعراء المديح بعيشة الاعتكاف والتعبد فى تبريز حتى أدرسته الوفاة فى نهاية سنة ١٢٠١ م (٢) = ٥٩٨ هـ وقد دفن هنالك ، كما رأينا من قبل ، فى مقبرة « سرخاب » بجانب الشعربين المعروفين « خاقانى » و « شاهفور الأشهرى » .

ومع ذلك فإن قصائد « ظهير الدين » خالية من كل أثر للتدين ، عاطلة من كل ما يشعرنا بأنه أحسن التبعد والتزهد ، وهى — على العكس من ذلك — دنيوية فى أغراضها ومعانيها ، بحيث إذا فرضنا جدلا أنه شعر بالندم فى آخر حياته من التزامه حياة القصور فقرر بعد ذلك الاعتزال والاعتكاف ، وجب علينا لزاما أن نفترض أيضا أنه اعتزل فيما اعتزل قول الشعر وإنشاء القصيد .

ولقد حملت بنفسى مشقة كبيرة فى قراءة ديوانه المخطوط ، ولكن النتيجة التى حصلت عليها من هذه القراءة كانت محزنة مزعجة ، فلقد وجدت أن الإشارات التى تشير إلى حوادث تاريخية قليلة جدا ، كما وجدت أن سائر أشعاره تجرى على نمط واحد ، فهى دائما من نوع القصيد المصقول المهذب الذى امتاز به شعراء المديح من الفرس فجعل أشعارهم خالية من كل ما يستسيغه الذوق ، وجعلها خالية من الأقوال العنيفة

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ١١٤ .

(٢) سنة ٥٩٨ هـ كما ذكر ذلك « تاريخ كزيبه » و « تذكرة الشعراء » لولوشاه . ويقول « تاريخ كزيبه » أنه مات فى شهر ربيع الأول من هذه السنة .

أو التهكمات اللاذعة أو الإحساسات النفسية العميقة ، وهذه الأشياء جميعها هي التي أضفت في الحقيقة كثيرا من الروعة والجمال على قصائد « الأنورى » و « الخاقانى » .
وقصائد « ظهير الدين » ومقطعاته وغزلياته تبلغ في عددها ١٨٥ منظومة ، أما « رباعياته » فتبلغ ٩٧ رباعية . ويشتمل ديوانه بالإضافة إلى ذلك على مثنوية واحدة في مدح السلطان « قزل أرسلان »

الملوك والأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين :

والمثوك والأمراء الذين خصهم « ظهير الدين » بمدائحه هم كما يلي (١) :

- ١ — « عضد الدين طغانشاه بن مؤيد » : (٢) الملقب بملك الشرق (خسرو شرق) وقد خصه بسبع أو ثمان قصائد .
- ٢ — « حسام الدين أردشير بن حسن » ملك مازندان ، وخصه بثلاث قصائد (٣) .
- ٣ — « أختسان » شروانشاه ، وقد وجه إليه قصيدة واحدة ، وهو ملك شروان الذى اختصه « الخاقانى » بمدائحه .
- ٤ — « قزل أرسلان بن ايلدگز » أتابك أذربيجان ، وقد وجه إليه إحدى عشرة قصيدة وأشار إلى موته في مقطوعتين أخريين . (٤)
- ٥ — « نصره الدين أبو بكر بيشكين بن محمد بن ايلدگز » حفيد « قزل أرسلان » ووارث ملكه وقد وجه إليه ٣٥ قصيدة .
- ٧ — « طغرل بن أرسلان » آخر ملوك السلاجقة في فارس ، وقد وجه إليه قصيدة واحدة (٥) .

(١) الأسماء المذكورة في هذا البيان ذكرناها وفقا لما جاء في هذه القصائد لأن المتأولين قليلة ولا تذكر فيها هذه الأسماء :

- (٢) مات كما جاء في « ابن الأثير » سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦ — ١١٨٧) .
- (٣) توفى كما جاء في « ابن الأثير » سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ — ١٢٠٧ م) .
- (٤) قتل في « قونية » في سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) .
- (٥) قتله « الحورزمشاه » في مدينة الري في سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) .

- ٧ - سيد الرؤساء « بهاء الدين أبوبكر » : وقد خصه بأربع قصائد
 ٨ - « تاج الدين إبراهيم » : وقد خصه بقصيدتين
 ٩ - « مجد الدين محمد بن علي أشعث (١) » : وقد خصه بأربع قصائد
 ١٠ - « سعد الدين » : وقد خصه بقصيدتين
 ١١ - « رضى الدين » : وقد خصه بقصيدتين
 ١٢ - « جمال الدين حسن » : وقد خصه بثلاث قصائد
 ١٣ - الوزير « شمس الدين » : وقد خصه بخمس قصائد
 ١٤ - « جلال الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٥ - « شرفشاه » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٦ - الوزير « عماد الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٧ - الوزير « محمد بن فخر الملك » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٨ - « صفى الدين الأردبيلي » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٩ - « عز الدين يحيى التبريزي » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ٢٠ - الوزير « نظام الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ٢١ - « صدر الدين الحنجدى » : وهو من كبار رجال الشافعية
 في إصفهان ، وكان مقتله على يد « فلك الدين سنقر » في سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٦ م) .
 وقد وجه إليه « ظهير الدين » ثمانى قصائد . وكان « صدر خجند » هذا
 يعرف باسم « عبد اللطيف » وقد روى لنا « دولتشاه » مقالاً بين فيه علاقة
 « ظهير الدين » به ، قال (٢) :

« يقولون إن ظهير الدين خرج سائحاً من نيسابور إلى إصفهان ، وكان صدر
 الدين عبداللطيف الحنجدى فى ذلك الوقت قاضياً للقضاة فى إصفهان ، فذهب إليه
 ظهير الدين ليسلم عليه ، فرأى عنده كثيراً من الفضلاء والعلماء ، فسلم عليه وجلس
 فى مكان من الأمكنة ، ولم يظفر فى هذه الجلسة بما كان يطمع فيه من العناية والعطف

(١) فى ديوان « الفارابى » طبع « لكنو » كتب هذا الاسم بالباء أى « أشعب » .

(٢) انظر ص ١١٢ من « تذكرة الشعراء » .

فغضب على صاحب الدار ، وما لبث أن قال قطعة من الشعر ، أنشأها على البديهة ، وأسرع بتسليمها إليه ، [وترجمة هذه القطعة كما يلي] :

— أيها السيد العظيم ... رققا ... فإن عظمة الدنيا ليست من الخطورة بحيث

تسمح لأحد بأن يرفع رأسه تكبرا وعجبا ... !!

— وبالفضل وحده يكون الشرف ، ولقد جمعته برمته ، فلماذا تنبه اختيالا

بهذا التعم المزور ... !!

— ولماذا لا ترعى باحترامك أهل الفضل ... ، وأنت معروف في هذا الزمان

بأنك ممتاز بالفضل ... ؟ !

— فانظر إلى ، ولا تهزأ بي ، فإن قلبي بما امتلأ من فضل لا يلهو بطرر الحور ... !!

— وإذا لم يعجبك حديثي ... فاستمع لكلمة واحدة مني واجعلها دستورا

لأحوالك .. !!

— واطرح هذا النقاب الذي أخذته على وجهك في هذه الدنيا ، وطوح به بعيداً

عنك في يوم عرض المظالم ... !!

— فسوف لا ترفع عليك ظلامه إلا ما تعلق منها بإجابتك الحشنة على سلام الناس

عليك ... ؟ ! (١)

وقد أولاه «صدر الدين» كثيراً من رعايته وعنايته ، ولكنه لم يشأ أن يقيم بعد ذلك في مدينة إصفهان ، وغادرها إلى أذربيجان ، فالتحق هنالك بخدمة الأتابك

(١) المترجم: فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات وفقاً لما جاء في «تذكرة الشعراء» ص ١١٣ وهذه الأبيات موجودة أيضاً في ص ١٧٧ من ديوان الفارابي طبع «الكتبة» سنة ١٨٨٠ م

بزرگوارا دنیا ندارد آن عظمت	که هیچ کس رازبید بدان سرا فرازی
شرف بفضل و هنر باشد و ترا همه هست	بدین نعيم مزور چرا همی نازی
ز چیست کاهل هنر را نمیکنی تمیز	تو نیز هم بهتر در زمانه ممتازی
بمن نگو تو بیازی مکن از آنکه بفضل	دلیم بگیسوی حوران نمیکند بازی
اگرچه نیست خوشت يك سخن ز من بشنو	چنانکه آرا دستور حال خود سازی
تو این سپر که ز دنیا کشیده در رو	بروز عرض مظالم چنان بیندازی
که از جواب سلامی که خلق را برتست	بهیچ مظالمه دیگری نپردازی

« مظفر الدين محمد بن إبلدكر » ، فبقي في خدمته مدة السنوات العشر التالية .. «
ولكن هذه القصة لا تتفق مع الحقيقة المعروفة عن «ظهير الدين» من أنه وجه
إلى « صدر الدين الحجندی » جملة قصائد ذكر في إحداها صراحة أنه مكث ملازماً
لأعباءه الشريفة مدة سنتين كاملتين ، وأنه يرجوه في إلحاح أن يستمر على شموله
بنعمه ، وألا يضطره في يوم من الأيام — وهو كثر العلم والفضائل — إلى أن يمد
يده إلى قطعة من الأسافل والأراذل ... !!

وعلى هذا يبدو لنا أن الشاعر مكث في أصفهان سنتين أو ثلاث ثم ساءه أنه لم
يظفر من « صدر الدين » بالجوائز والعطايا التي كان يطمع فيها فتركه إلى آذربيجان
يريد أن يجرب حظّه عند سيد جديد ربما يكون أكثر كرماً وأجزل عطاءاً .

حياة ظهير الدين :

ومن العسير أن نفصل الحديث عن حياة «ظهير الدين» لأن كثيراً من الحقائق
المتعلقة بحياته ليست في أيدينا ، ولكن النقطة الأساسية في سيرته واضحة تمام الوضوح
بحيث نستطيع أن نستشف منها صورة كاملة لحياة هذا الشاعر .

فقد بدأ يقول الشعر في بلاتيه «فارياب» وذكرها في بعض أشعاره على أنها موطنه
ومسكبه ؛ ثم خرج منها وذهب إلى «نيسابور» ومدح حاكمها «طغانشاه بن المؤيد»
بجملة من قصائده . وقد مات هذا الأمير في سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦—١١٨٧ م) ،
وعلى ذلك يتحتم علينا أن نقول إن الشاعر قال مدائح التي يخص بها هذا
الأمير قبل هذا التاريخ . وقد ذكر الشاعر في أحد أبياته أنه بلغ الثلاثين من عمره ،
فإذا فرضنا أنه محق في قوله ، وأنه لم يكن يقل عن الثلاثين ، أو إنه لم يتجاوزها إلا
بسنوات قليلة فمن الممكن أن نستنتج من هذه القرينة أن «ظهير الدين» ولد حوالي
٥٦٢ هـ (١١٥٦ م) .

وقد جاء إلى « آذربيجان » أثناء حياة «قزل أرسلان» ، وعلى ذلك يبدو أن
زياراته لـ «حسام الدين أردشير بن حسن» ولـ «ملك مازندران» ولمدينة أصفهان ،

إنما وقعت جميعها فيما بين سنة ٥٨٢ هـ وسنة ٥٨٦ هـ (١١٨٧ - ١١٩١ م) ،
والسنة الأخيرة من هذين التاريخين هي السنة التي جلس فيها الأتابك
« نصره الدين أبوبكر » في مكان عمه « قزل أرسلان » .

وإذا صح أن وفاة « ظهير الدين » حدثت في سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) -
وليس لدى من الأخبار ما ينفى هذا التاريخ - فإنه يبدو أنه أمضى السنوات التي
سبقت وفاته في خدمة مولا « نصره الدين أبي بكر » ، وأنه لم يعتكف في « تبريز »
إلا خلال السنة الأخيرة من حياته ، أو على الأكثر خلال السنتين الأخيرتين
السابقتين على مماته .

ونجد الشاعر يشير إلى بعض ظروف حياته في جملة من قصائده ؛ فقد ذكر في
إحداها ، وربما قالها عند انتهاء إقامته في « نيسابور » هذين البيتين :

مرا بدمت شش سال حرص علم وأدب بخا كدان نيشابور كرد زندانی
بهر هنر که کسی نام برد در عالم چنان شدم که ندارم بهمد خود ثانی
ومعناها :

- إن حرصى على العلم والأدب حبسنى مدة ست سنوات فى مدينة نيسابور
الكرهية .

- ولكننى استطعت أن أصبح ولا ثانى لى فى كل فن من فنون الفضل
المعروفة فى هذا العالم... !!

وفى هذه القصيدة نفسها إشارة تحملنى على الظن بأن « ظهير الدين » تهكم بالشاعر
« أنورى » عندما أصدر حكمه عن اقتران الكواكب فى سنة ٥٨٢ هـ (سبتمبر
سنة ١١٨٦ م) فقد قال هذا البيت :

رسالتى که ز إنشای خود فرستادم بمجاس تو بابطال حکم طوفانى
ومعناه :

- وهى رسالة من إنشائى ، أرسلتها إليك لأبطل بها حکم الطوفان... !!

و يساعدني على هذا الظن قطعة أخرى عثرت عليها في ديوانه ، إذا صح فهمي لها ، فهي تشير صراحة إلى « الأنوري » لأنه قال فيها :

آنكس كه حكم كرد بطوفان باد گفت آسيب آن عمارت گیتی کند خراب
تشریف یافت از تو و اقبال دید و جاه در بند آن نشد كه خطا گفت يا صواب
من بنده چون بنكته، ابطال كردم با من چرا زوجه ديگر ميرود خطاب

و معنی هذه القطعة :

— ذلك الشخص الذي أصدر حكمه بقيام الريح ... قال إن أذاها سيجعل
عمائر الدنيا خربة محطمة .

— ولقد نال منك التشریف والاقبال والجاه ، فلم يعلق أهمية على قوله إذا
أخطأ أو أصاب .

— ولقد أبطلت حكمه بنكته من قولي ، فلماذا تخاطبني بطريقة أخرى جزاء
لما قلت من صدق و صواب ...؟! !

و ربما تعرف « ظهير الدين » بعد ذلك بالأنوري ، أو ربما أطلع على أشعاره ،
فإنه يبدو لي أن « ظهير الدين » قال قصيدته التي مطلعها :

ای فلك سر بدان در آورده كه تو كوئی كه خاك پای من است

يجب بها « الأنوري » و يعارضه في قصيدته التي مطلعها :

كلبه؛ كه اندر آن روز و شب جای آرام و خورد و خواب من است

ولا يستطيع بالإضافة إلى هذه الإشارات أن أجد إشارة صريحة في أشعار « ظهير الدين »
لشاعر آخر من معاصريه ، اللهم إلا إذا كان البيت التالي يشير إلى الشاعر « نظامي »
الذي أكل مثنويته عن « خسرو وشيرين » في سنة ۵۷۱هـ (۱۱۷۵ - ۱۱۷۶ م)
وهذا البيت هو :

وليك بيخم ازین در عراق ثابت نیست

خوشا فسانه شیرین وقصه فرهاد

ومعناه :

— ولكن جذورى ليست ثابتة فى العراق
فما أحلى قصة «شيرين» وحكاية «فرهاد» ١١...
ومن المحتمل جدا أن «ظهير الدين» كان محمد معاصريه الكبيرين «نظامى»
و«الأنورى» ؛ فإن أشعاره مليئة بالبراهين التى تدل على أنانيته ، وحرصه على المنفعة
واستعداده لتجنيب الفرص للظفر بما يريد ، وتخفيره لأرباب مهنته ؛ وهو فى هذا
كله مشابه للأنورى . وقد أشار «ظهير الدين» فى أشعاره إلى شاعر آخر سابق
لمعهده هو «پندار الرازى» الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس
الهجرى) فقال فيه هذين البيتين :

شعر پندار كه گفتى بحقيقت وحى است
آن حقيقت چو به بينى بود از پندارى
در نهان خانه طبعم بتاشا بنگر
تا ز هر زاويه عرضه دهم دلدارى

ومعناهما:

— إن شعر «پندار» الذى قلت عنه إنه فى الحقيقة وحى ، إذا نظرت إليه
لوجدت أن هذه الحقيقة وهم وخيال ... !!
— فأنظر فى دخيلة نفسى ، فى استطاعتى أن أطلعك فى كل ركن من
أركانها على ما يسبك وأسرك ١١...
وهنا أيضا نلاحظ أن «ظهير الدين» على عادته يحقر أشعار غيره من الشعراء
حتى هذا الشاعر المتقدم عليه ، الذى لم يكن بينه وبينه أى منافسة أو حسد .
وكان «ظهير الدين» كثيره من شعراء القصور مولعا بشرب الخمر ، وكان سنى
المذهب ، ولكنه ربما لم يهتم بأمر الدين فى كثير أو قليل ، فهو يقول فى إحدى
رباعياته : «إنه من الخير لك أن تكون ثملا بالخمر فى جبهن من أن تكون مفيفا فى
الجنة ... !!»

(١) أخطأ «دوانشاه» فى نقل هذين البيتين فأورد البيت الثانى منهما بقليل من التحريف
وسوء الفهم . انظر ص ٤٣ من «تذكرة الشعراء» .

وهو يقول في رباعية أخرى : « إنه عبد مطيع للخضر الذي أخرجه من ظلمة العنب والعناقيد .. !! » وهو يشير بذلك إلى رحلة «الإسكندر» في الظلمة تحت إرشاد « الخضر » بأحشا عن ماء الحياة .

وقد اعترف « ظهير الدين » بكونه سني المذهب فيما تحدث به عن الخلفاء وخاصة عمر وعثمان .

فهو يذكر «عمر» على أنه مثال للعدل حيث يقول :

شاهنشاه ابى بكر محمد كه جهان را از حضرت او مژده عدل عمر آمد
ومعناه :

— أن الملك « أبا بكر محمد » قد زف البشرى من لدنه إلى الدنيا بعدل عمر وقد ذكر عمر وعثمان معا في مكان آخر ، فقال مامعناه :

— فهو الأتابك العظيم الذي استطاع عدله أن يقيم دين الله وسنة الرسول

— وهو كأبى بكر في عظمته، وهو شبيه بعثمان في تواضعه ورحمته ، وهو في عدله وعدله مساو للفاروق (عمر) ولحيدر (على) .

ولعل المثل العربى الذى يقول إن « الناس على دين ملوكهم » لا ينطبق تمام الانطباق إلا على شعراء القصور ؛ ولعله من الخطأ الواضح أن نعلق أية أهمية على مثل هذه الأقوال التى لادلالة لها أكثر من أنها تريتنا أن «ظهير الدين» لم يكن شيعيا متعصبا على أقل تقدير .

وكان شاعرنا — كما قلنا — شحاذا ملحاحا ، ولكنه كان على بينة من أنه باستجدائه بأشعاره قد أساء تمام الإساءة فى استغلال مواهبه . والأبيات التالية مثل واضح لطائفة كبيرة من أشعاره ، فهو يقول فى قصيدة طويلة يخاطب بها « صدر خجند » ما
معناه (١) :

(١) هذه الأبيات موجودة فى ص ٤٤ — ٤٥ من ديوان « ظهير الدين الفاربانى » طبع لسنة ١٨٨٠ م ، وهذا نصها مع مراعاة أنها لم ترد بالقصيدة على هذا الترتيب :

عالمى از عطائى بر سر موج كشتى من چنين گران لشگر
من امروز وحائى كه مپرس گر بگويم نداريم باور =

— سار العالم بأجمعه في بحر من عطايك ، ولكن سميتي وحدها ثقلت
مراسيها ... !!

— فلا تسلني عن حالي اليوم ، فلو حكيتها لك لما صدقتني ... !!

— فالفتنة بأنواعها كامنة حولي والفاقة بألوانها متكشفة أمام وجهي ... !!

— فهلا تريد أن أصبح بقليل من عنايتك ، مادحا لك في هذا العالم ... !!

— ففي البحث عن أوجه المعاش لن يكون هناك مجال لحب أبي بكر أو
صداقة عمر (١)

— وليس في العراق جوهرى خبير بالجواهر ، ومن أجل ذلك حق لهم ألا
يعرفوا قيمة جواهرى ... !!

— فيا قلبي ... إنك أنظف من أكياس الفضة ، ويا وجهي ... إنك أشد
اصفرارا من صرر الذهب .

— وكل ما نالني من جاه أني أصبحت رئيسا للشعراء أجمعين ... !!

وفي قصيدة أخرى خاطب بها سيد الزؤساء «بهاء الدين أبي بكر» يقول مامعناه :

— ولما أطلق لساني في مدحك ، وإن كان كرمك يستوجب العذرة من
قضاءدى ... !!

فتنه در گرد من گشاده کین	=	فاقه در روی من کشیده حشر
می نخواهی که من ز اندک سعی		با شمت در جهان ثنا گستر
در وجوه معاش می شنود		بهر بو بکر ودوستی عمر
جوهری نیست در عراق ورواست		گر ندانند قیمت گوهر
ای دل پاک تر ز کیسه سیم		وی رخ زرد تر ز صره زر
نیست دولت وراى آنکه شدم		در میان سخنورات سرور

(١) المترجم : يقول الأستاذ « براون » في تعليقاته على هذا البيت إنه يدل على أن الشاعر كان متهما أمام « صدر الدين المجندى » وهو من كبار المشيعين ، فأراد أن يمتنع عن سنيته بمثل هذا القول ، وربما كان هذا هو السبب الذي انتهى به إلى الابتعاد عن أصفهان .

- ولقد نفر خاطرى من الشعر لأنه ينقص من درجة الفضلاء (۱)
 — وكل غرضى هو أن أمدحك ، وإلا فأين مكانى من الشعر والشاعرية ؟
 — ومقامى فى قربك هو أدنى مقام فى خلوة سراى القدرة ۱۱۰۰۰
 — فكيف أنخر بالشعر ، ولو ثبت اسمى فى جرائد الشعراء ۱۱۰۰۰
 — والشعر فى ذاته ليس أمرا مشينا ، ولكن شكواى منه ترجع إلى حسنة
 شركائى فيه ۱۱۰۰۰

وهو يقول فى قصيدة أخرى ما معناه (۲) .

- والشاعرية هى أقل مواهبى ، فانظر إلى أنواع البلاء التى تحملتها منها ۱۱۰۰۰
 — فلم يثبت لى منها شىء فى العراق سواء فى «همدان» أو «بغداد» ... ۱۱
 — وكل ما تلقيته من تنعم بسبب فضلى فى هذا العالم كان قاصرا على جفاء أبى
 وصفعات أستاذى ... ۱۱
 — وكل من مدحته ورفعت ذكره ، عمل كل ما فى استطاعته ليمحو ذكرى
 عن خاطره ۱۱۰۰۰
 — والنزل هو أحسن أنواع الشعر ، ولكنه للأسف ليس البضاعة التى يمكننى
 أن أعتمد عليها ۱۱۰۰۰

(۱) المترجم هذه الأبيات موجودة فى ص ۱۱۶ من ديوان «ظهر الدين الفارياى» ، وهذا نصها الفارسى :

من بمدحت زبان نداده هنوز	كرمت عذر صد قصيده بخواست
تفرقى داشت خاطر من از شعر	ز انكه آن قصص منصب فضلا ست
غرضم مدحت تو بود ار نه	شاعرى از كجاوبنده ز كجاست
زانكه خلوت سراى قدرت را ز قربت	جای من در مقام او آدناست
چون تفاخر كنم بشمر ار چه	نام من در جريده شعراست
شعر در نفس خویش نم بد نیست	نا له من ز خست شرکاست

(۲) المترجم : هذه الأبيات موجودة ص ۳۱ من الديوان ، وهذا نصها الفارسى :

كینه مايه من شاعرست خود بنگر	كه چند گونه كشيديم ز دست او بيداد
وليك هيچم ازین در عراق ثابت نیست	تو خواه در همدان گیر وخواه در بغداد

— ولقد أخذ بناء عمرى فى التحطم... فألى متى أعمر منزل أطماعى بعطايا الناس
وما أوئل منهم ... !!

— وأية فائدة لى من أن حسناء فضية الصدر موجودة فى « كشمير » ...
وأى نفع لى ... من أن حلوة الشفاه موجودة فى « نوشاد » (١) ؟...

— فاقنع بهذا القول ولا تسلى عن حال توبقى ، فليس فى استطاعتى أن أشرح
لك مقدار العناء الذى يقاسية قلبى ... !!

— وأطيب وردة تفتحت لى من قول الشعر هو أنى أصبحت أسمى نفسى عبد
وأسمى معشوقى حرا (٢)

— وأحيانا أصف عبدا زنجيا بأنه من حور الجنان ، وأحيانا أصف السفلة
والأراذل بأنهم أشد الناس نبلا ومجدا ... !!

ولا شك أن مثل هذه الأتوال تعتبر اعترافات صريحة لاذعة ، شاء الشاعر أن
ينهمك بها بكل مداح محترف . ولا شك أيضا أن « ظهير الدين » كان يعتبر نفسه
واحدا من هذا الطراز من الشعراء ، فهو يعترف فى قصيدة أخرى أنه ليس من
أصحاب الثروات الواسعة ، ولا من أصحاب المتاجر الرائجة ، ومن أجل ذلك فهو

همین جفای پدر بود وسیلی استاد
نمیکند پس از آن تا تواند از من یاد
بضاعتی که توان ساختن بران بنیاد
برنگ و بوی کسان خانه هوس آباد
مرا ازان چه که شیرین ابی ست در نوشاد
که شرح درد دل این نمیتوانم داد
که بنده خوانم خود را و سرو را آزاد
گاهی خطاب کنم مست و سفله را راد

تتعمی که من از فضل در جهان دیدم
به پیش هر که ازو یاد میکنم حرف
ز جنس شعر غزل بهتر است وان کم نیست
بنای عمر خرابی گرفت چند کنم
مرا ازان چه که سیمین بریست در کشمیر
برین پسند کن از حال توبه هیچ مپرس
بهین گلی که مرا بشگفت ازو این است
گویی لقب نهم آشفته زنگی را حور

(١) اشتهرت جملة مدن بأن أهلها یتنازون بالجمال والحسن ، ومن أشهر هذه المدن فى
الشعر الفارسى المدن الآتية : « كشمير » ، « نوشاد » ، « ختان » ، « فرخار » ، « جگل » .

(٢) المترجم : يشبه المعشوق فى الشعر الفارسى بشجرة السرو فيقولون « سرو آزاد » أى
شجرة السرو الحرة أو النبيلة وهى أجل أنواع السرو وأكثرها اعتدالا .

لا يملك الخازن اللآى بالغلل ، ولا الصناديق الزاخرة بالنقود والأموال !!...
ومن أجل ذلك أيضا تحم عليه أن يتكسب بما يقول من شعر ، وأن يخضع
نفسه إلى ما يستلزمه قول المدح من اعتبارات ، ربما كان يحس لها بالمضض والحسرة
في قرارة نفسه . وهو في هذا يلزم نفسه بأن تقنع مؤقتا بما تظفر به من عطاء ، وأن
تتطلع إلى وسيلة تلتمس بها المزيد ، فإذا ظفر مثلا بملحله طيبة وبمركب فاره ، فإنه
يجد الفرصة مواتية ليقول :

— إننى لازلت أطمع في برذعة ولجام

لكى أستطيع أن امتطى متن هذا المركب الذلول !!...!

فإذا لم يظفر بالمال لقاء ما يصدر عنه من مدح ، فإنه ربما لجأ إلى «الهجاء» وربما
ظفر من أعداء من يهجوهم بما يهوض عليه مافاته عند قول المدح ، ولعل الآيات الآتية
تقوم دليلا على هذا الرأى ، وفيما يلي ترجمتها : (۱)

— أيها السيد .. لقد انقضى على ما يزيد على عام

وأنا أتجرع شراب مدحك في كؤوس النظم والشعر !!...!

— ولسكنى لم أر منك شيئا أستطيع التحدث عنه

ولم أظفر منك بشئ أستطيع أن أتدثر به !!...!

— فإذا سألوني عما أظفر به من جود في مجلسك...؟

أجد نفسى مضطراً إلى أن أحشو آذانى بالقطن وأدعى الصمم !!...!

(۱) المترجم : الأبيات الفارسية . وجودة بالديوان ص ۱۹۷ ، وهذا نصها :

خدايگانا سالی زیادست که من	بجام نظم می مدح تو همی نوشم
ندیده ام ز تو چیزی چنانکه برگویم	نیافتم ز تو چیزی چنانکه در پوشم
به بحاس تو ز جودت . مسائل کنند	نهاده باید نا چار پنه در گوشم
باش غره اگرچه من از شمائل خوب	حکیم سیرت و نیکو نهاد و خاهوشم
بگناه نظم چو من بر سخن سوار شوم	کشند غاشبه أقران ز فخر بر دوشم
بمدح و هجو همه کس بی شکایت و شکر	چو آفتاب بتابم چو بحر بخروشم
من از رهجو تو بیی دو بر کسی خوانم	نهند تخته دنیا همی در آغوشم
ز سرخ چو از من هجای تو بخزند	روا بود که به نرغ تمام بفروشم

- فلا تغتر بشمائل الطيبة
 إذا بقيت حكماً ، طيب العنصر ، ملتزماً للصمت . . . ١١ .
 — فإنني إذا امتطيت صهوة النظم عندما أزيد قول الشعر
 فإن أقراني يحملون لي — في غر — البراذع على أكتافهم . . . ١١ .
 — وفي اللوح أو في الهجاء ، جميع الناس إلى شكاية أو ثناء
 لأنني في كلا الحالين أضيء كالشمس الساطعة وأصخب كالبحر الزاخر . . . ١١ .
 — ولو أنني أنشدت أحداً بيتاً أو بيتين في هجائك
 لوضع في أحضان خزائن الدنيا . . . ١١ .
 — وما داموا على استعداد لأن يشتروا هجاءك مني
 فمن الحق على أن أبيعهم إياه بثمان باهظ . . . ١١ .
 والظاهر أن مجرد التهديد بالهجاء كان في ذاته كافياً لأن يجعل (حتى الدين لا
 يرتاحون إلى المدح) يحملون عن طيب خاطر الأريطة التي تزم أكياس نفوسهم فيذلونها
 راضين أو كارهين للشاعر ، ومن أجل ذلك أيضاً لا نجد في ديوان الشاعر إلا
 عدداً قليلاً من هذه المجهويات .

وفيما يلي هجاء موجه إلى قفيه اسمه «محي الدين» نلاحظ فيه ، على خلاف ما هو
 متبع في المبحو ، أنه معتدل اللهجة مترن الحاشية ، وفيما يلي ترجمته (١) :

— يا إمام العالم ، ويا مفتي الخلق ، يا محيي الدين . . .
 أنت تفوق بمركبك (٢) وطلعتك ، الخلق أجمعين . . . ١١ .

(١) المترجم : الأبيات الفارسية موجودة بالديوان من ١٨٨ ، وفيما يلي نصها :
 إمام عالم ومفتي خلق محيي الدين توثي باسب وورخ از كل كائناات فره
 بمدحت تو دو نوبت قصيده ما گفتم نه کرده سعی تو از کار من کشاده گره
 زيش منبرت امروز مردكي بر خابست كه توبه ميكنم از جرماها تو گفتم زه
 ز مردمانش زر وسيم خواستى وهمه بر طوع طبع بدانند بي بلجاج وسته
 ز بهر شمر چيزى نداديم بارى براى توبه كه دادى بشاعرم بده
 (٢) الكلمتان الفارسيان هما «أسب» و «ورخ» والأولى بمعنى جواد، والثانية بمعنى «وجه»
 أو «قلعة» وهما أيضاً قلمتان من قطع الشطرنج .

— لقد مدحتك مرتين بقصائدي
ولكنك لم تحل المعقد من أموري ١١٠٠٠
— واليوم وقف رجل أمام منبرك
قال : إننى تائب عن جرائمى فأجبتہ : لقد أحسنت ١١٠٠٠ !!
— ثم طلبت له من الناس بعض النقود والأموال
فاستجابوا لطبايعهم الكريمة وأعطوك المال بغير لجة أو إلحاح
— فإذا لم تعطني شيئاً في مقابل ما أقول من الشعر
فلا أقل من أن تعطيني شيئاً في مقابل التوبة التي أوحيت لي بها عن قول
الشعر ١١٠٠٠ !!

ومن السهل أن نستشهد بكثير من أقوال الشاعر التي كان يلج فيها على ممدوحيه
بطلب المال ، والتي كان يضح فيها بالشكوى من فقره وعوزه ، فيقول مثلاً : « إن
الدائنين يرابطون على أعتاب داري ، كما يرابط الحظ السعيد على أبوابك ... !! »
ولكننا نكتفي بما سبق من أمثلة فهي كافية لتصوير اللهجة التي كان يتخذها الشاعر
ولتصوير نوع الشعر الذي كان يقوله .

وكان ظهير الدين - رغم فخره بعلو منزلته في العلم - أقل مكانة من الأنورى
والحقاقى اللذين تمتلئ قصائدهما بإشارات كثيرة تدل على علم غزير .

وفيما يلي يجدر بنا أن نقف قليلاً لتأمل بيتا من الشعر قاله الشاعر لا يخرج في
معناه عما نجد في الإنجيل :

شتر بچشم سوزن بیرون نخواهد شد حسود خام طمع گو درین هوس بگداز
ومعناه :

— إن الجمل لا ينفذ من عين إلا برة .

قل لحسودك الساذج : « احترق في رغبتك الجامحة ... !! »

ولست أعرف النظام الذي اتبع في تنسيق ديوان « ظهير الدين » فإن ترتيب
القصائد الموجودة به ليس موافقاً للترتيب الزمني ولا للترتيب الأبجدي ؛ ويبدو لي أن

جامعه سعى إلى أن يضع في بداية الديوان أجمل قصائد الشاعر ؛ وربما كان مستغرباً أن نجد أن ثلاثاً من القصائد الخمس الأولى في الديوان قد استشهد بها « عوفى » في كتابه « باب الالباب (١) » ، وأن رابعها قد استشهد بها « دولتشاه » في كتابه « تذكرة الشعراء » (٢) ، وفي رأى أن أجمل قصيدة في الديوان هي القصيدة الأولى التي تشتمل على سبعة وثلاثين بيتاً ، وربما كان من الخير أن أحم مقالى عن « ظهير الدين » بترجمة بعض أبياتها :

- ولكى عملاً بطنك بالطعام ؛ ولكى تستر جسدك بالثياب
انظر إلى ماتلاقيه الكائنات منك ... من ألم ونصب وعذاب ... !!
- وإلى الإعباء الثقيلة التي تعانها منك الهوام والسوام
وإلى الأرزاء المريرة التي تصادفها منك قلوب الوحوش والطيور والأنعام... !!
- وهذا حيوان في غفلة من أمره ... يرعى الأشواك في واد بعيد
ولكنك تعد لحقه هذا الساطور القاطع الشديد ... !!
- وهذه ديدان ضعيفة ... تنسج أعشاشها بدماء قلوبها الضعيفة
ولكنك تجمعها لتتخذ منها لنفسك الأطلس والحريروالتياب اللطيفة... !!
- وأنت تأخذ أ كفان الدودة الميتة قلبسها في هناء
فهل يعذرك أحد من أهل الروءة فيما تفعل من بلاء ... !!
- ولشدة جشعك وغاية حرصك على أن تجعل لسانك حلوا المذاق
جلست ترصد النحل أن يتقياً من فمه ما يحمل من شهد يراق (٣) ... !!

(١) أنظر ج ٢ ص ٢٩٨ — ٣٠٧ .

(٢) أنظر ص ١١٠

(٣) المترجم : الأبيات الفارسية موجودة في ص ٢—٣ من الديوان وهي الآتية :

چه مایه جانوران از تو خسته ورنجور	به بین که ناشکمت سیروتنت پوشیده است
چه داهاست ز تو در دل وحوش وطيور	چه بارهاست ز تو بر تن سوام وهوام
تو نیز میکنی ز بهر جانق او ساطور	بدشت جانوری خار میخورد غافل
تو جمع آری کین اطلس وآن سیفور	کنانغ چند ضعیفی بخون دل بند

فإنهم :

ومن العدل أن أعترف إنني أطلت الحديث عن « ظهير الدين الفارياي » ، ولم يكن ذلك لأنني أساويه بـ « الأنورى » ، أو « الخاقانى » ، أو « نظامى » ، أو لأننى أقرنه بـ « الفردوسى » ، أو « ناصر خسرو » ، ولكن لأننى وجدته نموذجاً طيباً لعدد لا يحصى من شعراء المديح الذين لازموا القصور فى هذه الفترة ، مثل « أثير الدين الأخرسى » ، و « مجير الدين البيلقانى » ، و « فريد الكاتب » ، و « شُفُروَه الأصفهانى » ، وكثير غيرهم ممن لا يزيدون أو يقلون فى مكانتهم عن « ظهير الدين » .

ومن الخير أن نكتفى فى هذا المقام بذكر أسمائهم ، دون أن نحاول أن نفصل الحديث عنهم جميعاً فى كتاب ، مثل كتابنا هذا ، لا تتسع صفحاته للتفصيل والإفاضة .

• بيان أهل مروى كه داردت معنور
نشسته مَرصد كه فى كند زنبور

ز گرم مرده كفن بر كفى ودر پوشى
بدان طمع كه دهن خوش كنى ز عایت حرم

الفصل السابع

مملكة خوارزم

غارة المغول على خوارزم ، واستيلاؤهم على بغداد
وتحطيمهم للخلافة العباسية

تحدثنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب عن نشأة ملوك خوارزم المعروفين باسم الـ « خوارزمشاه » أو « ملوك خيوه » الذين ينتسبون إلى « آوشتكين » ساقى « ملكشاه » السلجوقي .

ولقد وصلنا الآن إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادى (السادس الهجرى) وفيه نجد أن « علاء الدين محمد » حفيد « أنسز » قد تربع على عرش خوارزم ، وأخذ يحكم امبراطورية واسعة الأرجاء كانت فى السنوات الأخيرة تنافس فى اتساع رقعتها وفسحة نواحيها امبراطورية السلاجقة فى أبهى أيامها وأسعد أوقاتها ، فقد امتدت من جبال الأورال إلى الخليج الفارسى ، ومن جبال الإندوس إلى حدود الفرات ، وشملت جميع ولايات إيران ما عدا ولايتى فارس وخوزستان .

ومن المستبعد جدا أن تكون مملكة خوارزم قد قامت على دعائم قوية ثابتة تفوق تلك التى قامت عليها الدول التى سبقتها ، والتى أخذت تزول عند ظهورها ، كدولة الغزنويين والسلاجقة والغوريين ، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تثبت أقدامها مدة تزيد على قرن كامل من الزمان ؛ ولم يمحها من الوجود إلا كارثة عامة لم يكن ينتظر وقوعها أحدهم الناس ؛ وكانت هذه الكارثة من الشدة والقسوة بحيث استطاعت أن تغير وجه البسيطة بأجمعه ، وأن تحرك من القوى الكامنة ما ظل يفعل فعله حتى هذه اللحظة الحاضرة ، ولقد أصابت الجنس البشرى بكثير من الشرور التى لم تحدثها كارثة أخرى فى تاريخ العالم المعروف ؛ وأعنى بهذه الكارثة : غارة المغول .

فهذه الغارة شبيهة بثورة جامعة من ثورات الطبيعة الشاردة ، ولكنها لا تشبه في شيء ما نعرفه من أحداث التاريخ الإنساني ، لأنها امتازت بالفاجأة ، والتخريب الشامل ، والقسوة النائية ، والغلظة الجافية ، والشدة التي لا تقاوم ، والتحطيم الذي لا رحمة فيه ، والدمار الذي لا مقصد من ورائه ... !!

وقد قامت بهذه الأفعال جميعها قبائل متوحشة لم يكن يعرفها أحد ، حتى أشد الناس اتصالاً بهم من جيرانهم ... !!

ويقول « دوسون d'Olisson » : « لولا أن المصادر كلها تتفق على تصوير ما قاموا به من قتل وتخريب وتدمير لما استطاع أحد أن يصدق مقدار البلاء الذي أوقمته في سنين قليلة هذه الجموع البربرية بمساحات واسعة من العالم امتدت من اليابان إلى ألمانيا (١) ... !! » .

ولقد نستطيع أن نعرف مدى الأثر الذي أثمروا به في قلوب معاصريهم من الكتاب إذا أوردنا هذه النبذة التي كتبها عنهم الكاتب المدقق والمؤرخ المحقق « ابن الأثير » عندما أراد أن يتحدث عنهم تحت سنة ٦١٧ هـ (= ١٢٢٠ م) فقد قال :

« ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام :
 « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ، استعظماً لها ، كارهاً لذكورها
 « فأنا أقدم إليها رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي
 « الإسلام والمسلمين ... ؟ ! ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ... ؟ ! فيأليت
 « أمي لم تلدني ، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . إلا أني حثي جماعة
 « من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي »

(١) طلب النول من اليابان الموضع لسطانهم في سنة ١٢٧٠ م وهاجموا ثلاث مرات كانت الأخيرة منها في سنة ١٢٨٣ م وقد حطم أسطول النول في سنة ١٢٨٠ م كما حطمت الأرمادا الأسبانية تماماً . أما غارات النول في أوروبا فقد حدثت ما بين سنة ١٢٣٦ وسنة ١٢٤١ م .

« نعماً ، فنقول : هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى »
« التي عقت الأيام والليالي عن مثلها ؛ عمت الحلائق وخصت المسلمين ، فلو قال »
« قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان »
« صادقاً . فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . ومن أعظم ما يذكرون »
« من الحوادث ما فعله « مختصر » بيني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس . »
« وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملائعين من البلاد التي كل مدينة »
« منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ... ١٩ »
« فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ... ١١ . ولعل الخلق »
« لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا بأجوج ومأجوج . »
« وأما الدجال فإنه يبق على من اتبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يتقوا على »
« أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا »
« الأجنة . فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »
« لهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها ، وشارت في البلاد كالسحاب »
« استدبرته الريح . فإن قوما خرجوا من أطراف الصين ، قصدوا بلاد »
« تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند »
« وبخارى وغيرها ، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ، ثم تمر طائفة »
« منهم إلى خراسان فيفرغون منها دكا وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها »
« إلى الري وهمدان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون »
« بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلا »
« الشريد النادر ... في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ... !! »
« ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى « دربندشروان » فملكوا »
« مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللان »
« واللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعهم قتلاً ونهباً وتخريباً »
« ثم قصدوا بلاد القبچاق وهم من أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم »
« فهرب الباقون إلى العياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء »
« التتر عليها . فعلوا هذا في أسرع زمان ، لم يلبثوا إلا بمقدار سيرهم لا غير ... ١١ »

« ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزته وأعمالها وما يجاورها منى »
 « بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد . هذا ما لم »
 « يطرق الأسماع مثله ، فإن الإسكندر الذى اتفق للمؤرخون على أنه ملك الدنيا »
 « لم يملكها في هذه السرعة إنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحداً ، »
 « إنما رضى من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض »
 « وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً ، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة في نحو »
 « سنة ... !! ولم يبت أحد من البلاد التى لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقمهم »
 « ويتربص وصولهم إليه ... !! »

« ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم ، فإنهم معهم الأغنام والبقر والحيل »
 « وغير ذلك من الدواب ، يأكلون لحومها لاغير ، وأما دوابهم التى يركبونها »
 « فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عمروق النبات لا تعرف الشعير ... !! »
 « إذا زلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج ... !! »

« وأما دياتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، فهم »
 « يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها... !! ولا يعرفون نكاحاً »
 « بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال ، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه ... !! »

« ولقد بلى الإسلام والمسلمون في هذه اللدة بمصائب لم يبتل بها أحد من »
 « الأمم ، منها : هؤلاء التتر — قبحهم الله — أقبلوا من المشرق ففعلوا »
 « الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها ، وستراها مشروحة مفصلة »
 « إن شاء الله تعالى ؛ ومنها خروج الفرينج — لعنهم الله — من المغرب »
 « إلى الشام وقصد مصر وملكهم ثغر دمياط منها ، وأشرفت ديار مصر »
 « والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم ، وقد »
 « ذكرناها سنة أربع عشرة وستائة ؛ ومنها أن الذى سلم من هاتين »
 « الطائفتين فالسيف بينهم مسلول ، والفتنة قائمة على ساق ، وقد ذكرناه أيضاً »
 « فإننا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصراً من »
 « عنده ، فإن الناصر والمعين والذاب عن الإسلام معدوم ، وإذا أراد الله بقوم »

« سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال ثان . . . هؤلاء التتر إنما »
 « استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع . وسبب عدمه أن خوارزمشاه محمداً كان »
 « قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم ، وبقي هو وحده سلطان البلاد »
 « جميعها ، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضى الله »
 « أمراً كان مفعولاً ... !! »

وقد كتب « ابن الأثير » هذا البيان برمته قبلما تحدث النكبة النهائية بثلاثين سنة تقريباً عندما أغار المغول على بغداد وحطموا الخلافة في فبراير سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ . وقد انتهى « ابن الأثير » من تاريخه بذكر سنة ٦٢٨ هـ (= ١٢٣٠ - ١٢٣١ م) ثم مات بعد سنتين من ذلك التاريخ ولم يشهد بعينه القطائع التي تحدث عنها ، ولكنه كان يسمعا من المحاربين الهاربين الذين استولى عليهم الرعب والفرع ثم أخذ في تسجيلها بعد ذلك فاستطاع أن يحفظ لنا جملة من رواياتهم، ذكرها في السنة الأخيرة التي انتهى بها تاريخه حيث يقول :

« ... ولقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي »
 « ألقاه سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم ، حتى قيل إن الرجل الواحد منهم »
 « كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس ، فلا يزال يقتلهم »
 « واحداً بعد واحد ، لا يتجاسر أحد أن يمد يداً إلى ذلك الفارس ... !! وقد بلغني »
 « أن إنساناً منهم أخذ رجلاً ، ولم يكن مع التري ما يقتله به ، فقال له : ضع »
 « رأسك على الأرض ولا تبرح .. !! فوضع رأسه على الأرض ومضى التري فأحضر »
 « سيفاً قتلته به ... !! وحكى لي رجل قال : كنت ومعى سبعة عشر رجلاً في »
 « طريق ، فجاءنا فارس من التتر ، وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً ، فشرع »
 « أصحابي يفعلون ما أمرهم ... !! قفلت لهم : هذا واحد فلم لاقتله ونهرب ؟ »
 « فقالوا : نحاف . فقلت : هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فعل الله »
 « يخلصنا ... !! فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك ... !! فأخذت سكيناً وقتلته »
 « وهربنا فنجونا . وأمثال هذا كثير ... » (١)

(١) ترجم هذه النبذة المؤرخ « دوسون d'Ohsson » في كتابه بالجزء الثالث س ٨٠

وكان « ياقوت الحموي » معاصرا لغارة المغول (فقد ولد سنة ٥٥٧٥ = ١١٧٨ وتوفي سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م) وكان صديقا لابن الأثير الذي ذكرناه سابقا ، وقد استطاع أن ينجو بنفسه من غارتهم ، وأن يخلف لنا صورة جلية لما كانوا يلقونه في النفوس من رعب وفزع . وإشاراتة إلى ذلك واضحة . فيما نقله إلينا متفرقا في كتابه الجغرافي « معجم البلدان » وكذلك في خطاب له أورده « ابن خلكان » في كتابه « وفيات الأعيان » (١) . وقد وجه ياقوت خطابه هذا إلى « القاضي الأكرم جمال الدين أبي الحسن علي الشيباني القفطي » وزير ملك حلب ، وذلك بعد ما تمكن « ياقوت » من التغلب على كثير من المصاعب والمهرب من « مرو » والوصول إلى الموصل .

ويرجع تاريخ هذا الخطاب إلى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ — ١٢٢١ م) وقد وصف فيه ياقوت المكتبات الموجودة في مدينة مرو ، وقال في لغة قوية رصينة :
 أنها كانت سببا لنسيانته الأهل والأحباب والوطن والأصحاب ، وأن محتوياتها وما اشتملت عليه من الكتب « شغله عن الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفي وسكن ، فظفر منها بضالته المشوذة ، وبغية نفسه المفقودة ، فأقبل عليها إقبال التهم الحريص ، وقابلها بمقام لا يزمع عنها محيص . »

ثم ذكر مقدر الرخاء والعمران اللذين فهما كانت تنعم خراسان ، وأنها كانت في ذلك شبيهة بجنة المأوى ورياض الخلد ، فقال :

« فكم فيها من خير راق خيره ، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره ؛
 « آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين
 « محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة ، فما من متين علم وقويم رأي إلا ومن »

وكذلك « السير هنري هوورث Sir Henry Howorth » في كتابه « تاريخ المغول »

History of the Mongols جزء ١ ص ١٣١ .

(١) هذه الرسالة المذكورة في ترجمة ياقوت الروي بالجزء الثاني من وفيات الأعيان طبع المطبعة البينية بمصر سنة ١٣١٠ هـ أنظر ص ٢١١ — ٢١٤ وانظر أيضا ترجمة De Slane كتاب وفيات الأعيان (جزء ٤ ص ١٢ — ٢٢)

« مشرقهم مطلعهم ، وما من معرفة فضل إلا عندهم مغربهم وإليهم مترعه ، وما
« نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاف إلا وجدته فيهم ، ولا إغراق في طيب
« أعراق إلا اجتنيته من معانيهم ، أطفالمهم رجال وشبابهم أبطال ، ومشايخهم
« أبدال ؛ شواهد مناقبهم باهره ، ودلائل مجدهم ظاهره . ومن العجب العجائب أن
« سلطانهم المالك ، هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه الله وآلِكَ وإلْفَأْنْتِ فِي الْمَوَالِكِ .
« وأجفل إجمال الرال ، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً بل رجال...!! (١)
« كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ،
« نجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد ، وتحكم في تلك الأستار
« أولو الزينغ والعتاد (٢) ، فأصبحت تلك القصور كالمحجور من السطور ،
« وأمست تلك الأوطان مأوى للأعداء والغزبان ، يتجاوب في نواحيها البوم
« ويتناوح في أراضيها السموم ، يستوحش فيها الأنيس ، ويرثي لمصاها إبليس
« كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى وأقبال ملك في بسالتهم أسد
« فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف أن عد حلم ومن سعد
« تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد
« فإن الله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر ، وتفت
« في العضد ، وتوهي الجلد ، وتضاعف الكمد ، وتشيب الوليد ، وتنجب لب
« الجليد ، وتسود القلب ، وتذهل اللب...!!

« حينئذ تقهر المملوك على عقبه ناكصاً ، ومن الأوبة إلى حيث تستقر
« فيه النفس بالأمن آيساً ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب عازب ، وحلم غائب ،
« فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل ، بعد مقاساة أخطار ، وابتلاء
« واصطبار ، وتمحيص الأوزار ، وأشرف غير مرة على البوار والتبار ، لأنه
« مر بين سيوف مسالوة ، وعساكر مغلولة ، ونظام عقود محلولة ، ودماء

(١) أي «علاء الدين محمد» ملك خوارزم .

(٢) أي الفول

« مسكوبة ؛ وكان شعاره كلاً علاقتبا ، أو قطع سيبا : لقد لقينا من سفرنا
 « هذا نصبا . . . فالحمد لله الذى أقدرنا على الحمد ، وأولانا نعماً تفوت الحصر
 « والعد ؛ وجلة الأمر إنه لولا فسحة فى الأجل ، لعز أن يقال : سلم البائس
 « أو وصل ، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة اللغبون ، وألحق بألف ألف
 « ألف ألف هالك بأيدى الكفار أو يزيدون . وخلف خلقه جل
 « ذخيرته ومستمد معيشته :
 « تنكرلى دهري ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان تهون
 « وبات يربى الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون . ١١
 « . . . الخ (١) »

وقد ساعد مظهر المغول البغيض ، وما امتازوا به من عادات قبيحة كرهية على
 زيادة الفزع الذى استولى على القلوب بسبب ما عرف عنهم من غلظة لا تقف عند
 حد وقسوة لا مزيد عليها . ولقد كان فتح العرب لأيران سبباً فى كثير مما وقع فيها
 من دمار وخراب وعناء ، ولكن العرب كانوا — على حد تعبير أعدائهم
 الأسيانيين — « فرساناً وأبطالاً يمتازون بكثير من الرقة والدمائة ولو كانوا من
 المغاربة القساء الأشداء ! » وقد خربوا فى الحقيقة كثيراً من إيران ولكنهم
 جلبوا معهم كثيراً من الخير والنفع ؛ وعلى العكس من ذلك كان المغول الذين وصفهم
 مؤرخهم أثنابه « دوسون » بقوله (١) :

« . . . لقد فاقوا فى قسوتهم أشد الشعوب همجية ، قتلوا غيلة جميع من
 وقع فى أيديهم من أهل البلاد التى فتحوها ، ولم يبقوا على رجل أو امرأة أو طفل .

(٣) المترجم : الترجمة الإنجليزية لهذه النبتة مختصرة وقد أثبتنا هنا الأصل العربى .
 (١) أنظر ص ٦ من المجلد الأول من كتابه المعروف « تاريخ المغول من جنكيز خان
 إلى تيمور لنگ » .

وأحرقوا البلدان والقرى ، وأحالوا الديار العامرة إلى مغازات مقفرة ؛ ولم يكن يحفزهم على ذلك كله رغبة في ثأر أو حب للانتقام ، قلما كانوا يعنون بمعرفة أسماء ضحاياهم الكثيرة ، وقلما كانوا يهتمون بالكشف عن هويتهم أو الوقوف على شخصيتهم .

ولربما ظن ظان أن التاريخ تعالى في وصف مآسهم وفظائعهم ، ولكن جميع المراجع التي دونت عنهم في بلاد مختلفة ، تتفق تمام الاتفاق على ما امتازوا به من غلظة وعنف . وكانت عاداتهم أن يسترقوا البقية الباقية من أهل البلاد التي يفتحونها وأن يعذبوهم أشد العذاب ، بحيث كان من ينجو برأسه من سيوفهم لا يستطيع أن ينجو بنفسه من عسفهم وظلمهم . وكانت حكومتهم تعمل على نشر الفساد ففصى كل من عرف بالشرف والتبلى ، وتقرب كل من اشتهر بالضعف والحسة ، وتجزئهم على طاعتهم التذلية وعلى خضوعهم لسادتهم من ذوى القلوب الغليظة بكل ما يتمنون من مال أو قوة أو سلطة ، يستطيعون بها التعسف مع ذوى قرباهم وأبناء جلدتهم . وقد أصبح تاريخ المغول ، بما انفرد به من وحشية وعنجهية ، سجلا لكثير من حوادث الفرع والرعب ، ولكن دراسته على الرغم من ذلك واجبة على كل من يريد تفهم الحوادث الهامة التي وقعت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . خاصة وأن تاريخهم قد اتصل بتاريخ جملة من الممالك والامبراطوريات . . . ١١ »

وربما اقتصر فضائل المغول على مزاياهم الحربية ، فقد كانوا يمتازون بالنظام والخضوع وطاعة الرؤساء ، وكانت الترقية عندهم قاصرة على من يكون جديرا بها لكفاية أو دراية ؛ وكان الفاشل في أداء الواجب أو الخارج على النظام أو العاجز عن القيام بما وكل إليه ، يعاقب بالموت هو وزوجه وأولاده . . . ١١

وإذا غضب امبراطور المغول لأمر ارتكبه أكبر قواده ، فإنه كان يأمر بمقابله عقابا علنيا أمام سائر جنده ، وربما وكل أمر عقابه إلى رسول بسيط من رسله . . . ١١
وكان المغول يسترخصون حياة الناس ، ولكنهم كانوا يعنون بحياة المغولى أشد العناية ، فلا يلجأون إلى الحرب والقرع إلا إذا أعتبهم الحيلة ولم تنفعهم الوقعة والحداع .

وكانوا يعاقبون من يقف في وجههم بالموت ، ولكنهم أيضا كانوا يعاقبون من يخنح أمامهم بالموت . . .؟؟ ولم يكونوا يقفون على أحد من سكان المدن التي يفتحونها إلا على من ينتفعون بهارته في حرقه ، أو من يستخدمونه في غارتهم التالية في محاربة أبناء وطنه وعشيرته . وكانوا يضعون في طليعة جيوشهم جماعات من الأسرى المساكين فإذا بدأت المعركة فإنهم كانوا يقذفون بهم ليقبضوا لهم آلة الحرب والحصار ، ثم ربما أكرههم بحد السيف إلى أن ينفذوا خلال الفجوات التي يحدونها في أسوار المدينة وأن يملأوا الخنادق بأجسادهم لكي يعبروا عليها ، فإذا سلم منهم أحد بعد هذا كله ، فإنهم كانوا يحزون رأسه ليتخلصوا منه ويلفحوا المجال للأسرى الجدد الذين يظفرون بهم في موقعهم الجديدة . . .!!

وكانت قسوة المغول متعمدة يقصدون بها إيقاع الرعب في قلوب أعدائهم حتى يشل الفزع حركتهم فلا يقدرّون على المقاومة أو المدافعة . وكانوا يجحدون أنه آمن لجيوشهم المظفرة ألا يتركوا وراءهم إلا الخرائب الملتهية ، أو الأفران الملائى بالحيث الآدمية . لأنهم كانوا يخشون أن يبقوا على أحد بعد المعركة مخافة أن يثير لهم الفتن والقتال ... !!

ولا تتسع صفحات هذا الكتاب لإيراد التفاصيل المتعلقة بتاريخ المغول ، أو لإيراد ملخص عن إحدائهم في إيران ، وإن أحيل القارىء الذى يرغب في استيعاب هذه التفاصيل إلى أحد مرجعين :

١ - تاريخ المغول الذى كتبه « دوسون d'Ohsson » .

٢ - تاريخ المغول الذى كتبه « السيرهنرى هوورث SirHenry Howorth » ويمتاز المرجع الأول من هذين المرجعين ، بأن مؤلفه قد استعان في تأليفه بالمصادر العربية والفارسية كما حدثنا بذلك في مقدمة الجزء الأول من كتابه (١) .

وأهم المصادر الإسلامية في تاريخ المغول هي الآتية :

١ - تاريخ « ابن الأثير » وهو مكتوب بالعربية .

(١) أظن س ١٠ - ٦٨ من المقدمة .

- ٢- سيرة السلطان جلال الدين المنكبرني وقد كتبها بالعربية صاحب رسائله المسمى بـ «شهاب الدين محمد النسوي» .
- ٣- تاريخ «جهان گشا» وقد كتبه بالفارسية «علاء الدين عظاملك الجويني» وزير «هولاكو خان» .
- ٤- جامع التواريخ وقد كتبه بالفارسية «رشيد الدين فضل الله» .
- ٥- تجرئة الأمصار أو «تاريخ الوصاف» وقد كتبه بالفارسية «أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي» .

والكتاب الأول من هذه الكتب طبع مرتين إحداهما في القاهرة والأخرى طبعة تورنبرج Tornberg ؛ وأما الكتاب الثاني فقد نشره وترجمه إلى الفرنسية «م . م . هوداس M. Houilas» في باريس سنة ١٨٩١ - ١٨٩٥ م^(١) وأما الكتاب الأخير فقد نشره مع ترجمة ألمانية للمستشرق «هامرپورجستال Hammer Purgstall» وقد ظهر الجزء الأول منه في مدينة فيينا في سنة ١٨٥٦ ، وله كذلك طبعة شرقية على الحجر . وأما الكتاب الثالث والرابع فمخطوطان حتى الآن (٢) .

(١) المترجم : أحدث طبعة لسيرة جلال الدين هي التي نشرتها دارالفسكر العربي سنة ١٩٤٣ م
(٢) المترجم : عندما كتب الأستاذ «براون» هذا الفصل لم يكن في متناول يده إلا النسخ المطبوعة من كتابي «تاريخ جهانگشا» و «جامع التواريخ» ولكن هذين الكتابين طبعا بعد ذلك في سلسلة جب التذكارية .

وقد أشار الأستاذ براون إلى أن «شيفر Schefer» نشر جزءاً من تاريخ «جهان گشا» في ص ١٠٦ - ١٦٩ من الجزء الثاني من كتابه المعروف باسم مختارات فارسية Chrestomathie Persane وهذا الجزء هو الذي يتحدث فيه المؤلف عن غارة المغول على خوارزم وينتهي بفارتهم على نيسابور ؛ كما نشر كاترمير Quatremère «جزءاً من «جامع التواريخ» مع ترجمة فرنسية في سنة ١٨٣٦ وهذا الجزء هو الذي يفسر فيه المؤلف أحوال هولاكو خان ؛ وقد نشر «برزين Bérésine» جزءاً آخر من هذا الكتاب ولكن الحصول عليه غير لفة نسخه ، وقال إن بلوشية Blochet يقوم بكلمة العمل التي بدأه كاترمير ليم طبع جامع التواريخ في سلسلة جب التذكارية كما تنوي هذه السلسلة أيضاً طبع «تاريخ «جهانگشا» . [وقد تم طبعه فعلاً في ثلاثة أجزاء]
وقد أصدرت هذه السلسلة أيضاً في سنة ١٩٤٠ م «تاريخ مبارك غازاني» باهتام «كارل يان»

والرأى السائد أنه لم يكن هنالك ما يحول دون وقوع غارة المغول ، ولكنها من غير شك سهلت وتيسر حدوثها بواسطة ما عرف عن ملك خوارزم «علاء الدين محمد» من طمع وخيانة وتردد . فطمعه ظاهر كما يقول « ابن الأثير » في أنه استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم ، ليقى هو وحده على مملكة نخرة هاوية ، فلما انهزم أمام المغول وفر أمنم جيوشهم تاركاً بلاده للقدر يفعل بها ما يشاء ، لم تجده هذه البلاد أميراً إسلامياً واحداً يستطيع أن يلم شعها ويوحد جهودها أمام الجيوش المغيرة من أهل الكفر والزيف . وأما حياته فظاهرة لأنه أقدم على قتل رسل المغول وتجارهم فأعطى بذلك لـ « جنكيز خان » الحجة الدامغة لتبرير الهجوم عليه ولإثبات أوجه الضعف والخذلان التي تسود الحالة في إيران . وأما تردده فظاهر كذلك من أنه عند أول صدمة تلقاها من المغول أسرع إلى إظهار الفرع والخوف بدل ما كان يديه من غطرسة وتحذ ، ولم تكده تنقضى سنتان على قتله لرسل المغول حتى نجده في النهاية يموت شريفاً طريداً في جزيرة من جزر بحر قزوين . ولولا الجهود الجبارة والأعمال الخالدة الجليلة التي أثرت عن ولده « جلال الدين » للازم العار جبين هذه الدولة الكبيرة التي كانت تعرف بمملكة خوارزم.

وهناك سبب آخر يرجع إليه ضعف المقاومة الإسلامية في وجه المغول ، وهو الخلاف الذي نشأ بين ملك خوارزم «محمد» والخليفة العباسي «الناصر» . فقد كان هذا الخليفة يخشى ملك خوارزم وازدياد قوته وطمعه في الاستيلاء على «بغداد» ، فسعى كما كان يفعل الخلفاء التأخرون إلى أضعاف منافسه والإيقاع به وتدبير المكائد له ، وأخذ يشجع المغول على مهاجمته ، وقد أشار إلى ذلك «ابن الأثير» إشارة عارضة كما صرح بذلك «المقريزي» في كتاباته ؛ ومن محب أن أعقب هذا الخليفة قدهلكوا على أيدي هؤلاء المغول الذين أبادوهم جميعاً وحطموا دولتهم واستولوا على بلادهم^(١) . ويبدو أن الكارثة قيد بدأت عندما علم ملك خوارزم عند استيلائه على مدينة غزنه . بأمر مراسلات مبادلة بين الخليفة وحكام «غزنه» من أعقاب «سبكتكين» (٢)

(١) أنظر ما كتبه «دوسون» في جزء ١ ص ٢١١ .
 (٢) أي الفرزوين من أعقاب محمود الفرزوي بن سبكتكين .

يشرح فيها الخليفة على ملك خوارزم؛ وقد أسرع هذا برد الكيل مضاعفاً، فأعلن أن الخليفة العباسي لا يمكن أن يعتبر إماماً للمؤمنين، ونصب أحد الأشراف من سلالة «علي» في مكانه واعترف له بالسلطة الروحية التي كانت للخليفة. وأصبحنا بذلك نجد أن ملك خوارزم بدل أن يجمع قوته لملاقاة الكارثة التي تهدد حدوده الشمالية الشرقية يزع بنفسه في خصومة حامية مع خليفة بغداد. ثم يزداد الأمر سواء بوقوع كارثة أخرى كان سببها اشتداد البرد وقسوة الشتاء في هذه الديار بشكل لم تعرفه من قبل.

ومن المحتمل جداً أن الكارثة كانت آتية لا ريب فيها، وأنه لم يكن لينعها مانع، أو ليؤجل وقوعها مؤجلاً. ولكن سببها المباشر يرجع إلى إحدى هذه البعثات التي نسمع عنها كثيراً في تلك الأيام. فقد رأى «جنكيز خان» أن يرسل جماعة من التجار محملين بمصنوعات بلاده إلى مدينة على حدود خوارزم اسمها «أترار». وقد اختلفت المصادر اختلافاً بينا في عدد هؤلاء التجار، فقال «النسوي» إنهم أربعة، وأنهم كانوا مسلمين ومن رعايا خوارزم؛ بينما قال كتاب آخرون أنهم يبلغون الأربعمائة والخمسين تاجراً، وقد قتلهم حاكم «أترار» جميعاً بتحريض خفي من ملك خوارزم بعدما ألقى في روعه أنهم ليسوا تجاراً في الحقيقة بل هم جواسيس للمغول.

فلا قتل هؤلاء التجار، أسرع «جنكيزخان» بإرسال بعثة إلى ملك خوارزم مكونة من عضوين مغوليين وثالث تركي اسمه «بغرا» وكلفهم بأن يحتجوا لديه على ما أصاب رسله من إهدار لحقوق الضيافة وتضييع لواجبات المجاملة، وإن يطلبوا إليه أن يسلمهم حاكم «أترار» وإلا فليعد العدة لحرب طويلة قاسية.

ولم يجهم ملك خوارزم إلى ما طلبوا، بل على العكس من ذلك قتل الرسول التركي «بغرا» وأمر الرسولين المغوليين الآخرين بالعودة إلى مولاهم بعد أن حلق ذنبيهما.

ونار «جنكيزخان» لإهانة رسله، فعقد جمعية عامة من المغول «قوريلتاي» وقرر مهاجمة «خوارزم».

وبدأت الحرب بانتصار تافه فاز به «محمد خوارزمشاه» ولكنه بقي مع ذلك

خاملاً مبتعداً بنفسه عن مواقع الخطر ، تاركاً أمر المدافعة عن حدود بلاده التي أغار عليها المغول إلى حكامها ، منتظراً — فيما يقولون — لحظة مباركة يشير بها المنجمون لبدء فيها منازلة خصمه ١٤٠٠ (١)

وفي أثناء انتظاره وترقبه ، عصفت العاصفة بشدة فيما وراء النهر في خريف سنة ١٢١٩ م = ٦١٦ هـ وسقطت مدينة «أترار» بعد حصار دام خمسة أشهر أو ستة ، وقبض المغول على حاكمها الذي أمر بقتل تجارهم ، فأعدموه بأن صبوا الفضة المسهورة في عينيه وأذنيه ، ثم ساقوا أمامهم من نجا من غارتهم على هذه المدينة فدفعوا بهم إلى مدينة «بخارى» لينتفعوا بهم كما ذكرنا ضد مواطنيهم وأهل دينهم . وأغاروا على «أوزكند» وعلى مدينتين صغيرتين أو ثلاث ؛ ثم أتوا إلى «جند» فاستولوا عليها بعد حصار قصير وأعملوا الغارة فيها تسعة أيام كاملة ، ولكن من عجب أنهم لم يقتلوا سكانها ١١٠٠ . ثم سقطت مدينة «بناكت» في أيديهم ، وصمدت في وجههم مدينة «خجند» لأن «تيمور ملك» دافع عنها دفاعاً مجيداً . . . ولم تظهر مباشرة سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ حتى سيطر المغول على مدينة «بخارى» وأعملوا الغارة فيها وأحرقوها وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها واستحيوا النساء وهتكوا الحرمات وقد آثر الموت جهاداً جماعياً من سكانها لم يرضوا بحياة العار والنذل فاستشهدوا مقاتلين ، وكان من بين هؤلاء «القاضي بدر الدين» والإمام «ركن الدين» وابنه .

وجاءت نوبة «سمرقند» بعد ذلك فحاصرها المغول أربعة أيام ثم خضعت لهم في نهاية هذه اللفة ، فأغاروا عليها كما دتتهم ونهبوها وقتلوا كثيراً من سكانها واستعبدوا من نجا من حد سيوفهم .

واستمر «محمد خوارزمشاه» في التمهقر والتراجع ، وأخذ ينصح سكان البلاد التي يمر بها أن يعملوا ما يستطيعون لحماية بلدانهم لأنه في موقف يعجز معه عن معاونتهم أو حمايتهم . واعتقد أن المغول سوف لا يجسرون على عبور نهر «جيحون»

(١) ربما قيل فيه ذلك لإظهار الجبنه وتردده

فتوقف قليلا في مدينة « نيسابور » ، ولكن لم تنقض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى علم أنهم دخلوا خراسان ، فأسرع إلى الهرب إلى ناحية الغرب صوب « قزوين » فلما بلغها دار على عقبه ويم وجهه شطر « كيلان » و « ما زندران » وهناك تركه أتباعه وانفضوا من حوله ، ثم مرض بالبرص واشتدت عليه علته فمات شريدا طريدا في جزيرة بعيدة من جزر بحر قزوين ، تاركا ملكه لابنه الشجاع « جلال الدين » وقد وقعت أمه « ترکان خانون » مع زوجاته وأولاده وجواهره في أيدي المغول وحوزتهم .

وسقطت بعد ذلك « خوارزم » وكانت قد قاومت المغول مقاومة شديدة أثارت حفيظتهم ، فلما وقعت في أيديهم أمموا سيوفهم في رقاب أهلها جميعا ولم يتقوا من سكانها إلا على أصحاب الحرف والصناعات فنقلوهم كعادتهم إلى « منغوليا » . وقد ذكر صاحب « جامع التواريخ » أن الجيش المغولي الذي حاصر « خوارزم » كان يبلغ خمسين ألف مقاتل ، وإنه وكل إلى كل واحد من هؤلاء أن يقتل أربعة وعشرين رجلا من الأسرى الذين وقعوا في قبضتهم بعد الاستيلاء على هذه المدينة . . . ! !

واستشهد على أيديهم في هذه المدينة العالم الورع الشيخ « نجم الدين كبرى » (١) وعاملوا سكان مدينة « ترمذ » نفس هذه المعاملة فقتلوا سكانها ، ووقعت في أيديهم امرأة عجوز ابتلعت جوهرة لتخفيها عنهم ، فأمروا جندهم بإخراج القتلى وشق بطونهم بحثاً عن الدرر والجواهر !! . . . ! !

وازدادت قسوة المغول وغلظتهم بازدياد نجاحهم ونفوذهم ، فلم نعد بعد الآن نسمع بحادثة واحدة أظهروا فيها قليلا من الرحمة والشفقة حيال سكان المدن البائسة التي وقعت تحت أيديهم بل أخذوا يبيدونها عن آخرهم في غلظة وفضاعة كما فعلوا بسكان « بلخ » و « نصرت كوه » و « نسا » و « نيسابور » و « مرو » وأما كنى أخرى كثيرة . وقد قدر « ابن الأثير » القتلى من أهل « مرو » بـ ٧٠٠٠٠٠٠ قتيل ، وأما صاحب « تاريخ جهانگشاي » فقد رفع عددهم إلى ١٠٣٠٠٠٠٠٠ وذلك فيما عدا

(١) ارجع إلى « تفحات الأنس » تأليف جامي ، طبع « ناوليز » ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

الذين اختفت أجسادهم في فجوات مجهولة أو تحت الأقباض والخرائب ١١٠٠٠
وفي «نيسابور» قطع المغول رؤوس القتلى، وبنوا أهرامات عالية أحدها للرجال،
والآخر للنساء، والثالث للأطفال، وبذلك ضمنوا أن لا ينجو مخلوق من حد سيوفهم
بادعائه الموت وازمائه بين الأشلاء والجثث المترامية ١١٠٠٠

وخفت غارتهم على مدينة «هراة» قليلا، ولكنهم عندما وصلوا إلى «باميان»
قتل أحد أمراءهم أثناء المعركة فخرّبوها تخرّيباً كاملاً، ولم يأخذوا شيئاً من أسلحتها
بل فضلوا أن يتركوها صحراء خاوية، بقيت خالية من السكان قرناً كاملاً من الزمان !!
ولم يأل «المغول» جهداً في إيقاع الدمار والخراب بالأماكن التي اجتازتها جيوشهم
وكانوا يعمدون إلى إحراق الحبوب والعلال التي تزيد على حاجتهم، وكثيراً ما كانوا
يعودون إلى البلدان التي أغاروا عليها فيفتشونها من جديد ويقتلون البقية الباقية من
أهلها المساكين الذين اختبأوا أثناء الغارة الأولى وأخذوا يخرجون الآن باحثين
عن الطعام أو الشراب !! وقد فعلوا ذلك مع أهل «مرو» فاستطاعوا أن يقتلوا
إثناء عودتهم خمسة آلاف رجل نجوا من غارتهم الأولى التي ذكرنا خبرها فيما
سبق من حديث .

وكانوا يلجأون إلى شتى وسائل التعذيب لحمل الأسرى على الاعتراف بأماكن
النقود والكنوز التي أخفوها ... ١١

أما كنوز الآداب والفنون التي كانت تزخر بها المدن القديمة التي فتحوها فقد
حطمت تمام التحطيم وكان هذا طبيعياً ومنتظراً من قوم يستهينون أشد الاستهانة
بكل شيء وبالحياة الإنسانية على وجه الخصوص .

ويذكر «الجويني» أنه «لم يبق بالبلاد التي فتحها المغول واحد من ألف من
ألف من سكانها»؛ ثم يعلن: أنه إذا لم تقع بخراسان والعراق المعجمي حادثة من
الحوادث تفوق ازدياد السكان بهاتين الولايتين، فإن أهلها لن يبلغوا إلى يوم
القيامة عشر العدد الذي بلغوه قبل غارة المغول ... ١١ (١)

وكانت أعمال النغول الإرهابية تلقي الفزع في نفوس سكان البلاد التي يزعمون الإغارة عليها ، وكانت قلوبهم تنخلع رعباً وفزعاً حينما يوجهون إليهم إنذارهم المعتاد : « ولسنا نعلم ماذا تفعل بكم الأقدار إذا لم تسرعوا إلى تقديم الخضوع والاستسلام لنا ، والله وحده هو الذي يعلم ما هو نازل بكم ... !! » (١)

وكانت عادات النغول وطبائعهم تدعو إلى الاشمزاز ؛ كما إن بعض أمورهم كانت تبعث في نفوس المسلمين كثيراً من النفور والكرهية لمنافاتها لتعاليمهم ، فكانوا على استعداد لأن يأكلوا كل ما حرمه الإسلام وكذلك كل حيوان دنس كالفئران والقطط والكلاب . بل كان طعامهم — كما يقول « جان دي پلان كاربان Jean de Plan Carpin » — « يشتمل على كل ما يستطيع مضغه ، وقد رأيناهم يزدردون كل شيء حتى الأعواد الجافة والبراغيث ... !! » (٢) .

وكانوا يكرهون الاستحمام والاعتزال ، وحرموا غسل الأيدي أو الثياب في المياه الجارية واعتبروا ذلك جريمة جنائية بل من أمهات الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام !! . . .

وكذلك اعتبروا ذبح الحيوان (بقطع حلقه) من أمهات الجرائم ، فحرموا على المسلمين ذبح حيواناتهم وفقاً للطريقة التي أجازها الشرع ، واستعاضوا عن ذلك بطريقتهم الخاصة ، فكانوا يشقون بطن الحيوان ثم يمدون أيديهم إلى جوفه ، فإذا وصلوا إلى قلبه أمسكوه وزعوه من مكانه ... !!

وكان النغول في أمور الدين يتساهلون أشد التساهل ، وقد سوا بين رجال الدين في مختلف العقائد والمذاهب وميزوهم ببعض الميزات وأعفوهم من بعض الضرائب ، وهكذا كان حالهم في معاملتهم للأطباء والجماعات خاصة من أرباب الحرف ، وقد امتاز « جنكيزخان » على الخصوص بتسويته بين الأديان جميعها دون أن يعتق واحداً منها ، وأما « قبلاى خان » ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م = ٦٥٥ — ٦٩٤ هـ فكان أول

(١) نفس المرجع ، جزء ١ ص ٣٩١ .

(٢) نفس المرجع ص ٤١١ .

(٣) حى « قبلاى خان » هذه المادة فيما بعد كما « يحدتنا « دوسون » في جزء ٢ ص ٤٩١ — ٤٩٢ .

من اعتنق البوذية من عشيرته ؛ وأما أول من اعتنق الإسلام فهو: أحمد تاگدار خان
 ١٢٨٢-١٢٨٤ = ٦٨١-٦٨٣ هـ ثم غازان خان ١٢٩٥-١٣٠٤ = ٦٩٥-٧٠٤ هـ
 وقد بقي أعقابه الذين حكموا إيران يدينون بهذا الدين ، وقضى نهائيا على أمل طالما
 تردد في نفوس المسيحيين بأن يكسبوا إلى جانبهم المغول وأن ينجحوا في جلبهم إلى
 حوزة المسيحية ومعنتقها ، حتى يتمكنوا من القضاء على الإسلام القضاء الأخير
 الذي لا يبعث بعده . ولم يبق من أثر للبعثات المسيحية التي وصلت إلى المغول في عاصمتهم
 « قراقورم » إلا السجلات الخالدة لأسفار جماعة من المبشرين والقسيسين الذين
 احتملوا في شجاعة فائقة أهوال السفر العديدة ومخاطره الشديدة لهمم يظفرون
 بفوز مؤزر للكنيسة المسيحية بجلب المغول إلى حوزتهم ، وكان من بين هؤلاء :
 « جان دي بلان كاربان » و « روبريكس Rubruquis » وغيرهما من القسس والرهبان .
 وقد تحققت أوروبا من أن « خان » (١) المغول الذي ظل يرسلهم في لغته المغولية
 برسائل مكتوبة بالخط الأيغوري ، سوف لا يعتنق المسيحية ، وبدنا هذا اليقين واضحا
 في رسالة مكتوبة في « نورثامبتون » في ١٦ أكتوبر سنة ١٣٠٧ م بعث بها « إدوارد
 الثاني » إلى ملك المغول « ألبايتو خدا بنده » (٢) .

وهذه الاتصالات التي كانت تتكرر بين أباطرة المغول وملوك أوروبا كان الغرض
 منها التحالف مع المغول ضد المسلمين ، ومساعدة الأرمن ، والسعى إلى استرجاع
 لأراضي المقدسة ، وقد نجحت هذه الاتصالات إلى حد ما ، فجلبت إلى حوزة
 المسيحية عشيرة مغولية اسمها الـ « قيراي » كذلك أظهر الميل إلى اعتناق الدين المسيحي
 بعض الأمراء كالأميرة « أوروك خاتون » واثنين من الملوك الإيلخانيين في إيران هما
 « أحمد تاگدار » و « ألبايتو خدا بنده » فكلاهما عمدا في صباه باسم « نيكولاس »

(١) « خان » هو لقب ملوك المغول .

(٢) أنظر ما كتبه « دوسون » جزء ٤ ص ٥٩٢ - ٥٩٤ وكذلك ما كتبه رموسا
 Abel Remusat بعنوان « بحث في العلاقات السياسية بين الأمراء المسيحيين ، وخاصة
 بين ملوك فرنسا وأباطرة المغول » .

« Memoire sur les relations politiques des princes Chrétiens et
 particulièrement les Rois des France avec les Empereurs Mongois »

ولكنهما فيما بعد اعتنقا الدين الإسلامي وأصبعا من أكبر المتفهمين في تعاليمه (١) .
ومهما قيل في غارة المغول وأنها كانت كارثة كبرى أصابت صميم الحياة وأنها جنت
على العلوم والمعارف وخاصة الحضارة العربية التي استطاعت أن تحتفظ بكيانها سليماً
في إيران طوال القرون الستة التي تلت الفتح العربي لهذه البلاد ، فإن هذه الغارة كانت
مجلبة لبعض عناصر الخير برغم ما عرف عنها من شدة وغلظة ، وربما كان من بعض
فضائلها أنها كانت سبباً في المزج بين الشعوب المختلفة المتباعدة ، مما نتج عنه فيما بعد
تجديد العقليات التي طال ركودها وخمولها .

وكان تأثيرها في أوروبا واضحاً ، فقد كانت سبباً هاماً بل أهم الأسباب في حركة
 النهضة ، فهي التي دفعت بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى أبواب القسطنطينية ،
 فكانت بذلك السبب المباشر والأخير في تحطيم الامبراطورية البيزنطية وما نتج عن
 ذلك من انتشار اليونان وكنوزهم العلمية في مختلف البلاد الأوروبية . وقد استطاعت
 هذه الغارة أيضاً أن تحطم الحدود والحواجز بين مختلف الأقاليم والممالك ، فكانت
 بذلك لبعض الرحالة من أمثال « ماركو پولو Marco Polo » أن يجوبوا الأقطار
 النائية من آسيا وأن يحدثونا بالعجائب التي لم يكن من المستطاع الوصول إليها لشدة
 المحافظة عليها . وكما كانت سبباً في البداية في خلق التماحن بين الفرس والعرب من
 ناحية ، وبين الصينيين وأهل « التبت » من ناحية أخرى ، فإنها كانت كذلك سبباً في
 إيجاد التوافق والتعاون بينهم ، بمساواتها بين « الفقيه المسلم » و« القس المسيحي »
 و« اللاما البوذي » و« البخشي المغولي » وكل رئيس لدين آخر أو مذهب مخالف ؛
 وكانت هذه المساواة الدينية قد انعدم وجودها منذ خمسة قرون أو ستة خلت قبل
 هذه الغارة .. (٢)

(١) أنظر كتاب «دوسون» جزء ٣ ص ٦٥١ وجزء ٤ ص ٧٩ .
(٢) في سنة ١٢٧٢ م استعان « قبلاى خان » باتنين من المهندسين الإيرانيين في حصار
 « فان شنج » بالصين وكان أحدهما يدعى « علاء الدين » والآخر يدعى « إسماعيل »
 [انظر كتاب دوسون جزء ٢ ص ٢٨٩] ؛ وعندما خرج «هولاكو خان» في حملته على بغداد في
 سنة ١٢٥٢ م == ٦٥٠ هـ جلب معه ألفاً من مهندسي الصين ليقوموا له بالمجانيق والآلات
 الحصار [أنظر نفس المرجع جزء ٣ ص ١٣٥] وقد استعان النجم الفارسي المشهور والفيلسوف ==

ومما لا شك فيه أن الأمور تحسنت كثيراً عندما ترك أعقاب «هولاكو خان» في إيران معتقداتهم الوثنية واعتنقوا الدين الإسلامي، فقد كان هذا سبباً في انفصالهم نهائياً عن ذوى قربانهم من أهل «قراقورم» وفي اندماجهم في النهاية بالشعوب المغلوبة على أمرها التي كانت تخضع لحكمهم.

ومن عجب أن «هولاكو خان» الذي حطم الخلافة في بغداد، والذي يعتبر أكبر خصم للإسلام، كان يشمل برعايته اثنين من كبار الكتاب في زمانه، أحدهما «نصير الدين الطوسي» والآخر «عطا ملك الجويني» مؤلف تاريخ «جهانگشاي» (١) وقد عاش مؤرخان آخران أثناء حكم «غازان خان» ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م = ٦٩٥ هـ - ٧٠٤ هـ وهما «عبدالله بن فضل الله الشيرازي» المعروف باسم «وصاف الحضرة» والوزير «رشيد الدين فضل الله» وكلاهما يعتبر من أكبر الكتاب الذين دونوا التاريخ باللغة الفارسية.

والأدب الفارسي بمعناه الضيق، لا يمكن أن يقال عنه أنه قد أصيب بسبب غارة المغول بكارثة دائمة الأثر... لأننا نجد أن ثلاثة من أكبر الشعراء الذين نشأوا في إيران قد عاصروا هذه الغارة وعاشوا خلالها، وتصدبهم «سعدى الشيرازي» و«فريد الدين العطار» و«جلال الدين الرومي» كما أن جماعة آخرين من أكبر الشعراء قد نشأوا بعدها بقليل.

ومع ذلك كله فإن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين، وإزالتها إلى مرتبة المدن الإقليمية، قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم الإسلامية بلطمة شديدة كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضريرة قاصمة، فاقصر استعمالها بذلك على العلوم الفقهية والفلسفية، فإذا وصلنا إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) لم نعد نصادف إلا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في إيران.

= المعروف «نصير الدين الطوسي» بجماعة من النجمين الصينيين في عمل الزيج الذي قدمه إلى «هولاكو خان» في سنة ١٢٥٩ م = ٦٥٨ هـ.

[أنظر نفس المرجع جزء ٣ ص ٢٦٥]

(١) بمعنى «تاريخ فاتح العالم» ويقصد به جنكيز خان

عهد استعلاء نفوذ المغول في إيران :

فلنمض بعد ذلك إلى بيان العهود المختلفة التي استعلى فيها نفوذ المغول في إيران .
وهذه العهود يمكن أن يقال أنها تمتد منذ الغزوة الأولى التي تم بها جنكيز خان
فتح هذه البلاد في سنة ١٢١٩م = ٦١٦هـ وتنتهى بموت «أبي سعيد خان» في سنة
١٣٣٥م = ٧٣٦هـ. ويتبع هذه الفترة مدة تقرب من نصف قرن من الزمان سادت
فيها القوضى وانتهت بغزوة أخرى للتر بقيادة « تيمور لنك (١) » (١٣٨٠ -
١٤٠٠م = ٧٨٢ - ٨٠٣هـ)

وهذه الحادثة التاريخية الأخيرة تعتبر «فترة انتقال» إلى ما يمكن أن نسميه بـ«تاريخ
إيران الحديث» وهى تخرج عن نطاق هذا الجزء من كتابنا الذى تقصره على عهد
المغول بمعناه الضيق ، ولم يكن ذكرنا لها في هذا الموضوع إلا لنتبه القارىء إلى أن
يجعلها حدا للفترة التي سنتناولها بالبحث .

وأول عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذى أسماه « ستانلى لين پول »
بعهد كبار الملوك (أو الخانات جمع خان بمعنى ملك) وهو العهد الذى حكم فيه
« جنكيز خان » و « أوكدای » و « كيوك » و « منگو » وقد امتد هذا العهد
من سنة ١٢٠٦م إلى سنة ١٢٥٧م (٦٠٣ - ٦٥٥هـ) .

ويمتاز هذا العهد بأن الولايات المختلفة التي فتحها المغول وأصبحت جزءا من
امبراطوريتهم ، كان يقوم على حكمها ولاية يعينهم « الخان الأكبر » الذى كان يقيم
في عاصمة المغول « قراقورم » .

وعندما اجتمعت الجمعية الكبرى للمغول أى الـ«قوريلتاي» في سنة ١٢٥١م =
٦٤٩هـ وذلك في بداية عهد «منگو» قررت هذه الجمعية إيفاد بعثتين حريتين
إلى ناحيتين مختلفتين ، يتولاها اثنان من أخوة هذا الامبراطور ومن أحفاد
« جنكيز خان » ؛ فأما البعثة الأولى فكانت موفدة إلى الصين ، وكان يتولاها

(١) أو تيمور الأعرج .

«قبلاى خان» ؛ وأما الثانية فكانت موفدة إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وكان رأسها «هولاكو خان»

وثانى عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذى يمكن تسميته بعهد «الإيلخانيين الكفرة» أو العهد الذى أصبح فيه منصب «نائب الملك» فى إيران وآسيا الصغرى منسبا متوارثا فى أبناء نائب الخان الأكبر. وهذا العهد بدأ بعبور «هولاكو خان» لنهر جيحون فى يناير سنة ١٢٥٦م = ٥٦٥٤ هـ وينتهى بقتل «بايدو» فى ٥ أكتوبر سنة ١٢٩٥م = ٥٦٩٥ هـ. ويمتاز هذا العهد بأن الإسلام فيه أخذ يستعيد قوته وأخذ يناضل بكل ما يملك من قوة لحفظ كيانه ضد هجمات البوذية والمسيحية، ويمتاز أيضا بأن الصلات التى كانت تربط الإيلخانيين فى إيران بأباطرة المغول فى موطنهم الأصلى أخذت تنفصم وتتلاشى. وجدير بنا أن نلاحظ هذا التطور الدينى الذى أصاب المغول المقيمين فى إيران، فبينما كان مقتل «أحمد تاكدار» فى أغسطس سنة ١٢٨٣م = ٥٦٨٢ هـ يرجع سببه جزئيا إلى حبه للإسلام^(١)، فإن مقتل «بايدو» بعد اثنتى عشرة سنة من ذلك التاريخ يرجع إلى حد كبير إلى بغضه للإسلام وحبه للمسيحية وتفضيلها عليه^(٢) ولم يكد عقبه «غازان» يجلس فى مكانه حتى أعلن اعتناقه للإسلام وأمر بهدم الكنائس المسيحية والمعابد البوذية فى إيران. وبعده ذلك بقليل نجده فى سنة ١٣٠٠م = ٥٧٠٠ هـ يأمر كهنة المغول^(٣) الذين يقيمون فى إيران أن يعتنقوا الدين الإسلامى أو أن يتركوا إيران وإلا أمر بقتلهم والقضاء عليهم. ومن أجل ذلك نجد أن أشرف المغول وقوادهم ممن كانوا يناوئون الإسلام مجتمعون عند اعتلاء «غازان» العرش فى سنة ١٢٩٥م = ٥٦٩٥ هـ ويدبرون مؤامرة كبيرة لخلعه تنتهى بفشلهم ومقتلهم جميعا^(٤)، وبعد ذلك بعشر سنوات نجد أن بعض الأمراء والأمرء يحاولون أن يحرضوا «الجلایتو خدا بنده» على ترك الدين الإسلامى والرجوع إلى عقيدة آباؤه

-
- (١) أنظر كتاب «دوسون» ج ٣ ص ٦٠٨.
 (٢) أنظر كتاب «دوسون» ج ٤ ص ١٤١.
 (٣) يعرف الكاهن المغولى باسم «بخشى».
 (٤) كتاب «دوسون» ج ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢.

وأجداده (١) . وربما كانت هذه الحادثة هي آخر مظهر للوثنية المغولية في إيران . وكانت هذه الوثنية تظهر من قبل في أمور تثير النفوس كاختيار المغول للفتيات الحسنات ثم قتلهن وتقديمهن قربانا لروح الأباطرة عند وفاتهم...!! وكتل جميع الذين يصيهم الحظ النكد بأن يصادفوا جنازة الامبراطور في أثناء نقلها إلى مقرها الأخير خشية أن يتسرب نبا موته قبل إعلانه رسميا...!! (٢)

فإذا رجعنا الآن إلى هذه العهود التي وصفناها من عهود استعلاء المغول نجد أن العهد الأول منها وهو عهد التدمير والتحطيم يمتاز بموجتين من أمواج الفتح :

الأولى بقيادة جنكيزخان ١٢١٩-١٢٢٧م = ٦١٦-٦٢٥هـ .

والثانية بقيادة هولاكو خان ١٢٥٥-١٢٦٥م = ٦٥٣-٦٦٤هـ .

وقد اكتسحت الغزوة الأولى إقليم خراسان وامتدت غربا إلى «الرى» و«قم» و«قاشان» و«همدان» وفي خلالها قام «جلال الدين خوارزمشاه» بأعماله الفاتمة في مقاومة المغول فأبدى من أعاجيب البطولة ما يخلب أبصارنا عندما نقرأ قصته كاملة واضحة فيما سجله من مآثره كاتبه المعروف «شهاب الدين محمد النسوى» الذى ظل يرافقه حتى اغتاله أحد الأكراد في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١م = ٦٢٩هـ .

أما الغزوة الثانية التى قادها «هولاكو خان» فقد اكتسحت أيضا خراسان فى بداية سنة ١٢٥٦م = ٦٥٤هـ وامتدت إلى حصون الإسماعيلية فى «الموت» و«قهستان» فحطمتها ، ثم مضت إلى الخلافة فى بغداد فأودت بها أيضا ، وابتمرت تزحف غربا حتى أوقفها بماليك مصر فى موقعة «عين جالوت» التى وقعت فى ٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م = ٦٥٩هـ وفاز فيها المصريون فوزا كبيرا اعتبر أول فوز أصابه المسلمون

(١) نفس المرجع ج ٤ ص ١٥٧ .

(٢) أمر «أوكدى» بقتل أربعين فتاه عذراء قربانا لروح جنكيزخان وكذلك أمر بقتل عدد كبير من الجياد . [كتاب دوسون ج ٢ ص ١٣] وقرر الجنود الذين راقفوا جثة «منكوخان» إلى مقرها الأخير فى جبال آلتاي أنهم قتلوا أثناء اجنازة ملا يقل عن ٢٠٠٠ شخص . [أنظر : كتاب «دوسون ج ١ ص ٢٨٤»]

ضد «المغول» في مدى السنوات الثلاثين التي تلت موت «جلال الدين خوارزمشاه» ومنذ ذلك التاريخ انحطمت موجة الفتح المغولي، وأخذ المسلمون يرون أن القول بأن أعداءهم لا يقهرون كان مجرد خرافة وخزعبلات، فاستجمعوا قوتهم من جديد وتمكنوا من أن ينتصروا عليهم في كثير من المواقع الفاصلة وخصوصا موقعة «عين تاب» في ١٦ أبريل سنة ١٢٧٧ م = ٦٧٦ هـ عندما تمكن «الظاهر بيبرس» من هزيمة المغول هزيمة نكراء واستطاع أن يقتل منهم في هذه الموقعة ٦٧٧٠ جنديا وربما كان فوز المصريين أكبر وأوضح في موقعة «مرج الصفر» بالقرب من دمشق في ٢٣ أبريل سنة ١٣٠٣ م = ٧٠٣ هـ فقد استطاع الملك الناصر أن يجلب عند عودته إلى القاهرة ١٦٠٠ أسير مغولي مصفدين في الأغلال، وقد حمل كل واحد منهم رأس قتيل مغولي، تتدلى من سلسلة في عنقه، وسار بهم في المدينة، يتقدمهم ألف فارس من رجاله، قد شهروا حراهم، وعلى كل واحدة منها رأس قتيل مغولي جلبوه معهم من الموقعة...!!

وقد وصفنا فيما مضى هول الفظائع التي كان يأتها جند «جنگيز خان» أثناء الغزوة الأولى لإيران، ولئن شاء زيادة الإيضاح أن يرجع إلى وصف البلاء الذي أصاب المدن الآتية «أترار» و«جند» و«بناكت» و«بخارى» و«نيسابور» و«سمرقند» و«خبوشان» و«طوس» و«إسفرابين» و«دامغان» و«سمنان» و«نخشب» و«أرگنج» (أو كركانج أو الجرجانية كما يسميها العرب) و«ترمز» و«بلخ» و«نصرت كوه» و«نسا» و«خرندر» و«مرو» و«هراة» و«کردوان» و«بليمان» و«غزنه» و«الري» و«قم» و«مراغه» و«إربل» و«قاشان» و«بيلقان» و«همدان» وعدداً آخر من المدن والقرى الفارسية.

وهذا الوصف مذکور بإيضاح في «تاريخ جهانگشاي» وفي «جامع التواريخ» وكذلك في الكتب التي كتبها «دوسون» و«السير هنري هو ورت»، ومنها يبدو أن البلاء الذي عاتبه إيران وآسيا الصغرى على يد المغول كان مساويا للبلاء الذي أصابوا به الصين وآسيا الوسطى، وأقل قليلا مما ابتلوا به أوروبا الشرقية.

وقد اتسعت رقعة الامبراطورية المغولية وبلغت ذروة الإتساع أثناء حكم « قبلاى خان » ١٢٦٠ - ١٢٩٤ م = ٦٥٩ - ٦٩٤ هـ . وفى أثناء هذه السنوات تمكن « ماركو پولو Marco Polo » من القيام برحلاته الخالدة فى أرجاء هذه الامبراطورية الشاسعة ، التى لم تبلغها إمبراطورية أخرى ، والتى كانت تتضمن الصين وكوريا والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الكنجج وإيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءا كبيرا من روسيا إلى حدود نهر الدينير (١) .

وقد تهدمت إمبراطورية المغول فى إيران بموت « أبى سعيد » فى سنة ١٣٣٥ م = ٧٣٦ هـ ، وتهدمت امبراطوريتهم فى الصين بعد خمسين سنة من ذلك التاريخ ، وظلت إمبراطوريتهم فى روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر (٢) ؛ وكانت آخر بقاياهم ممثلة فى خانية خيوه (خوارزم) وخانية بخارى . [وقد قعدتا استقلالهما فى سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٢ م ،] وكذلك فى خانية القرم التى زالت قبل ذلك فى سنة ١٧٨٣ م . وقد بقى واحد من أحفادهم اسمه « السلطان كريم گراى كتى گراى » انتهى به المطاف إلى اسكتلندا فتزوج بها وأقام فى مدينة « إدنبره » (٣) .

جلال الدين خوارزمشاه

فى هذه الأيام الحالكة التى وقعت فيها غارة جنكيزخان ، وفى هذه الأوقات التى تلبدت فيها سماء إيران بالأدخنة المتصاعدة من المدن المحترقة ، وتبلل فيها ثراها بالدماء المهرقة من قلوب أبنائها ، نجد أن « جلال الدين خوارزمشاه » بما حباه الله من شخصية لامعة يسطع لحظة قصيرة كالشهاب الثاقب والبرق الخاطف ، ثم تخمد ناره وينطفىء أواره دون أن ينتج أثرا أو يجدى نفعا . ولربما خلت صفحات التاريخ من ذكر أمير مثله

(١) أنظر « دوسون » ج ٢ ص ٤٧٧ .

(٢) أنظر « دوسون » ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٦ .

(٣) أنظر كتاب « الدول الإسلامية » تأليف « ستانلى لين پول »

امتاز بجرأته وإقدامه ، فقد كان يعلم من البداية أنه يحارب موقعة خاسرة لا رجاء فيها ، وكان من أجل ذلك حقيقا ، بأن يترفق به القدر فلا يقضى عليه بأن يموت شريدا طريدا على يد جلف من أجلاف الأكراد في سنة ١٢٣١ م = ٦٢٩ هـ . ولقد رأينا فيما سبق كيف تبدل حال أبيه « علاء الدين محمد خوارزمشاه » عندما تحقق من قسوة المغول فانقلب بين عشية وضحاها من ذئب كاسر إلى حمل وديع فما زال يفر ويهرب حتى قضى نحبه في جزيرة من جزر بحر قزوين في سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ ؛ ورأينا كيف قبض المغول على جدته « ترکان خاتون » وحملوها أسيرة ذليلة إلى « جنكيزخان » في عاصمته « قراقورم » في سنة ١٢٢٣ م = ٦٢٠ هـ وكيف وقفوا بها فترة على حدود خوارزم لتنتحب على ملكها الضائع (١) ، ولتكفر عن صلفها وقسوتها عندما وجدت الأمور تفلت من يدها فأمرت بقتل البقية الباقية من أمراء السلاجقة والغوريين ، وكانوا رهائن لديها لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا (٢) في هذه الأحوال المضطربة نجد أن « جلال الدين » يستجمع قوته فيتزود بدعاء أبيه ويتمنطق بسيفه ثم يمضي أمام العاصفة على عجل فيحتمى بالحدود الهندية (٣) ويقوم هنالك بأعجوبة من أعاجيب بطولته التي ذاع صيتها وانتشر خبرها . وتفسير الأمر أنه عندما بلغ مع جيشه الصغير نهر السند وجد نفسه فجأة وقد أحاطت به جموع كبيرة من المغول فائقة العدد والعتاد ، فقاومها قدر ما يستطيع من مطلع الفجر إلى منتصف النهار ، وأبدى من ضروب الشجاعة والجلد ما لا مزيد عليه ، ولكنه أدرك في النهاية أنه قد خسر الموقعة فهجم على أعدائه هجوم اليأس ، ثم يم وجهه شطر النهر وألقى بدرعه عن جسده ، ثم امتطى صهوة جواده ، وعبر النهر على متنه ، وتبعه قوم من أتباعه ففعلوا مثل ما فعل ولكن أكثرهم غرقوا أو أهلكهم سهام المغول الذين كانوا يجدون في أثرهم (٤) .

(١) أنظر كتاب دوسون ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٥ .

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٦ والصفحات التالية ، وقد روى صاحب تاريخ جهانگشای أن أم جلال الدين وزوجه وبعض نساء حرمه كن معه في ذلك الوقت وأن المغول أسروهن ،

ولقد استطاع بعد ذلك أن يجمع شتات جيشه وأن يدفع عن نفسه غارة شنها عليه أمير هندي اسمه « جودي » ، وشجعه هذا الانتصار فجمع الزاد والعتاد وهاجم أمير السند « قراجة » وأمير دهلي « التامش » وكانا متحالفين على قتاله ولكنه استطاع رغم هذا التحالف أن يبقى في بلادهما حتى ينسحب المغول ويفسحوا له طريق العودة إلى إيران ليسعى مرة ثانية إلى استرجاع مملكة آباؤه وأجداده .

وأعقبت ذلك ثمان سنوات قام فيها « جلال الدين » بسلسلة لانظير لها من المجازفات والمخاطرات التي سجل تفاصيلها كاتبه « النسوي » في كتاب يمكن قراءته باللغة العربية ، وكذلك باللغة الفرنسية في ترجمة كاملة تولى نشرها المسيو هوادس (١) M. Houdas

ولقد اضطر « جلال الدين » إلى أن يحارب جميع الناس تقريبا ؛ فقد كان عليه أن يحارب المغول الذين كانوا يتعقبونه، وكان عليه أن يحارب أيضا أخاه الخائن « غياث الدين » ، وأن يحارب أيضا حاكم كرمان « براق الحاجب » ؛ وكأنما لم يكف القدر له بهذا العدد من الأعداء فاضطره في ظروف مختلفة إلى أن يحارب الخليفة في بغداد وكذلك التركان والحشاشين (الاسماعيلية) وأن ينفذ إلى ولاية جورجيا فأحما غازيا .

وفي سنة ١٢٢٣ م = ٦٢٠ هـ نجده يقتحم كرمان وفارس وأصفهان والري ؛ وفي سنة ١٢٢٥ م = ٦٢٢ هـ يتمكن من هزيمه « قشتمر » قائد الخليفة ويتبع جيشه حتى أبواب بغداد ويستولى على تبريز ويهزم جيوش جورجيا ؛ وفي سنة ١٢٢٦ م (٦٢٣ - ٦٢٤ هـ) يستخلص مدينة « قفليس » ثم يعود في مجلبة إلى الجنوب الشرقي من إيران لينزل سخطه بحاكم كرمان « براق الحاجب » الذي خانته وتحالف مع المغول على الإيقاع به .

وفي سنة ١٢٢٧ م = ٦٢٥ هـ تمكن من معاينة التركان والحشاشين ثم اتبع

ولكن كاتبه النسوي روى رواية أخرى فقال إنهن سألن « جلال الدين » أن يأمر بإغراقهن خشية أن يقمن في أيدي المغول ورأى جلال الدين استحالة العبور بهن فأمر بإغراقهن .
(١) المترجم : أحدث طبعة لكتاب « سيرة السلطان جلال الدين » هي التي نشرتها دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م .

ذلك بنصر كبير على المغول في « دامغان » وقتل اربعمائة أسير مغولي وقعوا في يده ، ثم دار إلى أصفهان فدافع المغول عنها ، ثم علم أن أهل « جورجيا » قد تحالفوا مع المغول على قتاله فأسرع إليهم وقتل أربعة من قوادهم في موقعة واحدة انتهت بهزيمتهم هزيمة منكرة .

وفي سنة ١٢٢٩ م = ٦٢٧ هـ أخذ يدعو أمراء المسلمين للتخالف معه على محاربة المغول وكاد ينجح في إنشاء هذا الحلف ولكن جهشا من المغول قوامه ٣٠.٠٠٠ محارب بقيادة « نويان چرماغون » حمل عليه فجأة واضطره إلى الهرب شمالا حيث استطاع أن يستولى على مدينة كنج (١) .

وانقلب حظه بعد ذلك ، وخمد نشاطه ، وأدمن الشراب ، وهام على وجهه دون غاية ، وبدت عليه الهموم ، فأصبح كبير القلب ، سريع البكاء ، وأخذ يتحج أشد التحاب لموت « قليج » أحد علمائه المقربين إليه ، وما زال يهرب أمام المغول حتى انتهى به مطافه إلى قرية كردية ، فهجم عليه أحد رجالها وتمكن من قتله في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م = ٦٢٩ هـ .

وقد أحاط كثير من الشك بنهاية « جلال الدين » ولم يستطع المؤرخ الكبير « ابن الأثير » أن يقطع بأمر في مصيرها ، وظلت الاشاعات تملأ الوادي الايرانى مدة السنوات الاثنتي والعشرين التي تلت موته ، فظنوا أنه مازال حيا ، وأنه قد خرج ثانية من مخبائه ؛ وادعى ذلك كثير من المدعين وانتهى الأمر بقتلهم على أيدي المغول .

ونهاية « جلال الدين » هذه وما أحاطها من شك في مصيره ، تمثل لنا حال أي بطل قومي تتعلق به الآمال في ساعات اليأس العصيبة ... وشبهه بها عندنا حالة « هارولد الأنجليزى » ، ففى كلتا الحالتين نجد الأوهام الشعبية تنمى بالبطل إلى حياة الزهد والتعسف ثم الموت في سن الشيخوخة ميتة الأولياء والصالحين .

(١) هي المعروفة الآن باسم « اليزافيتبول Elizavetpol » .

اوكدى (أوكدای) :

مات « چنگيزخان » فى الصين فى ١٨ أغسطس سنة ١٢٢٧ م = ٦٢٥ هـ بعد ما حكم ائتين وعشرين سنة ، وكان يبلغ من العمر ستة وستين عاما . وقد انقضت على موته ستان قبل أن يتمكن أمراء المغول ورؤساؤهم فى مختلف البلاد التى فتحوها من الاجتماع فى جمعية عمومية « قوريلتاى » لأختيار خليفته ؛ وقد انتخب ابنه « أوكدای » فى تاريخ تصادف وقوعه مع موت « جلال الدين » وانتهاء حكمه الـ « خوارزمشاه » أو ملوك خوارزم . وقد كان حكم أوكدای قصيرا لأنه مات فى ديسمبر سنة ١٢٤١ م = ٦٣٩ هـ وربما ساعد على التعجيل بموته إدمانه للشرب القوي ، وهى خصلة اعتادها المغول من بين ما اعتادوه من خصال سيئة شريرة .

وامتاز حكم « أوكدای » بجملة أشياء من بينها :

- ١ - تأسيس عاصمة المغول فى « قراقورم » فى سنة ١٢٣٥ م = ٦٣٣ هـ
 - ٢ - إيفاء بعثة حرية إلى إيران بقيادة « نويان چرماغون » .
 - ٣ - غزو روسيا وپولندا ما بين سنتى ١٢٣٦ و ١٢٤١ م = ٦٣٤ - ٦٣٩ هـ وقد ابتلى المغول روسيا وپولندا بنفس الأهوال التى ابتلوا بها إيران فتحمل كثير من مدنها صناعات المغول وخاصة « موسكو » و « روستوف » و « ياروسلاف » و « تفير » و « شير نيگوف » و « كييف » و « كراكاو » و « پست » .
- وفى پولندا وحدها جمع المغول أكياسا ملاءوها بأذان ضحاياهم وقتلهم فبلغ مجموع ما جمعه ٢٧٠.٠٠٠ أذن ، أخذوها معهم دليلا على ما كانوا يفخرون به من بأس وسطوة . . . ! !
- وازعج المغول بأفعالهم وشناعاتهم العالم المسيحى ، فبعث البابا « جريجورى التاسع » خطابا دوريا إلى الأمراء المسيحيين يحثهم فيه على التكاتف لإعلان حرب صليبية على هؤلاء الغزاة من التتر .

ومع ذلك كله ... فقد كان « أوكدای » بالقياس إلى المغول الآخرين ، لين العريكة

كريم الجانب، وقد أجمع المؤرخون الإسلاميون على وصفه بذلك وخاصة مؤلف كتاب « تاريخ جهانگشای » وكذلك « طبقات ناصری » (١) ، فقد أورد هذان المؤلفان أمثلة كثيرة تبرهن على شدة حبه للشفقة والرحمة وعلى بغضه لإراقة الدماء بغير داع أو سبب ، وعلى خصال يخالف فيها ما عرف عن أخيه الأكبر « چغتای » من غلظة وفظاظة (١) .

كيوك :

عندما مات « أوگدای » تولت امرأته « نوراكينا » حكومة البلاد حتى يستطيع ابنها الأكبر « كيوك » العودة إلى « منغوليا » من معاركه التي كان مشغولا بها في روسيا وبولندا عند موت أبيه . وقدماتزت الجمعية العامة التي تم فيها انتخابه بوفرة عدد من حضرها من ممثلي الدول الأجنبية والشعوب الخاضعة لنفوذ المغول ، فقد حضرها ممثل للخليفة في بغداد ، وآخر يمثل شيخ الجبل أو رئيس الحشاشين في الموت ، واثان من الكهنة بعث بهما البابا ، وكان أحدهما هو « جان دي پلان كارپان » وقد أشرنا إلى مدكراته فيما سبق ، وكان يحمل من البابا خطابات يرجع تاريخها إلى أغسطس سنة ١٢٤٥ = ٦٤٣ هـ .

وقد استقبل هذان الكاهنان خيرا استقبال ونجحوا في التأثير على وزيرين من وزراء « كيوك » إسمهما « كدك » و « چنگگاج » فاعتنقا الديانة المسيحية واستطاعا بما لهما من مكانة لدى مولاها التأثير عليه بحيث أخذ يعطف على المسيحية ومعتقياها .

أما ممثل « الخليفة » وممثل « شيخ الجبل » فقد استقبلا شراستقبال ، وطردهما الإمبراطور المغولي من حضرته بعد ما زودهما بكثير من التهديدات التي سرعان ما حققها الأيام .

والظاهر أن المسيحيين جميعا كانوا على استعداد لأن يتغاضوا عن الشناعات التي

(١) أنظر ص ٣٨٠ — ٣٩٦ في طبعة ناساو ليز Nassau Lees .

(٢) أنظر ص ١٤٣ من « تذكرة الشعراء » تأليف دولتشاه .

ارتكبتها المغول ضد أبناء دينهم في روسيا وبولندا وأن يمجدوا المغول كمحطمين لقوة العرب ، لأننا نجد أن بعثات أخرى مسيحية تقصد المغول في هذا الوقت من بينها بعثة «دومنيكية» وصلت إلى حضرة «بايدو» في إيران في سنة ١٢٤٧ م = ٦٤٥هـ وكذلك بعثة أخرى بعثها «سانت لويس» في ١٠ فبراير سنة ١٢٤٩ م = ٦٤٧هـ من «نيكوسيا» عاصمة «جزيرة قبرص» وكان يرأسها «روبريكس Rubruquis» ولكنها لم تصل إلى «قراقورم» إلا في نهاية سنة ١٢٥٣ = ٦٥١هـ وكان كيوك قد مات وتولى مكانه «منكو»

منكو :

مات «كيوك» في إبريل سنة ١٢٤٨ م = ٦٤٦هـ خلفه على عرش المغول ابن عمه «منكو» بن «تولى» بن «جنكيزخان» وقد تم تتويجه في أول يولية سنة ١٢٥١ م = ٦٤٩هـ وقد تأمر عليه أحفاد «أوكداي» لخروج الملك من فرغهم ولكن «منكو» أسرع بالقبض عليهم وقتلهم قبل أن تفلح مؤامرتهم . وعند ما اجتمع الـ «قوريلتاي» في سنة ١٢٥١ م = ٦٤٩هـ لتتويج «منكو» تقرر إيفاد بعثتين حربيتين ، إحداهما إلى الصين والأخرى إلى إيران . فأما الأولى فتدأعطيت رئاستها لـ «قبلاي» ، وأما الثانية فكانت قيادتها في يد «هولاكو» وكان كل من هذين القائدين أخا للامبراطور «منكو»

وبدخول هولاكو في إيران ، تبدأ الفترة الثانية من الفترات الثلاث التي ينقسم إليها عهد استعلاء النفوذ المغولي . وهي فترة الإيلخانيين الكفرة التي امتدت من سنة ١٢٥٦ إلى سنة ١٢٩٥ م = ٦٥٤ - ٦٩٥هـ حينما أصبحت إيران وغرب آسيا قسرا على فرع خاص من الأسرة المغولية المالكة ، بتبع إسمها الخان الأكبر في منغوليا ، ولكنه عمليا مستقل استقلالاً تاما عنه ، حتى قبل أن يعتقد أفراد الديانة الإسلامية وقبل أن يتم اندماجهم بأفراد رعاياهم عندما لم تعد تربطهم رابطة من الروابط بعشائهم الوثنية في منغوليا والصين .

وعلى ذلك فمن الممكن ، لكي نصل إلى أغراضنا التي تحراها ، أن نتغاضى عن

ذكر الأعمال المحيطة التي قام بها « قبلاي خان » وأن عمر سراجا ، فلا نصف العظمة التي اتصفت بها عاصمته « خان باليق » (١) وهي العظمة التي وصفها الشاعران « كولريدج Coleridge » و « لونج فيللو Longfellow » للقارىء الإنجليزي وأن تقصر جهودنا على أعمال « هولوكو » (٢) وحفده في إيران وهم الذين يعرفون باسم : « الإيلخانيين »

هولوكو :

خرج « هولوكو » من « قراقورم » يوليه سنة ١٢٥٢ م = ٦٥٠ هـ مزودا بتعليمات مشددة بأن يستأصل شأفة « الحشاشين » في « ألموت » ، وأن يحطم الخلافة في بغداد ، وكان يصطحب في حملته عددا كبيرا من المهندسين ورجال المدفعية من أهل الصين ليستعين بخبرتهم في أعمال الهجوم والمحاصرة . وكان سيره في البداية وثيدا بطيئا ، وأمضى صيف سنة ١٢٥٤ = ٦٥٢ هـ ، في تركستان ثم وصل إلى سمرقند في سبتمبر سنة ١٢٥٥ م = ٦٥٣ هـ وبقى أربعين يوما . وفي يناير سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ ، وصل إلى « كيش » فلاقاه بها « أرغون » الذي كان يتولى حكم إيران من قبل « منكو » منذ سنة ١٢٥٣ م = ٦٥١ هـ وكان في ضجته كاتبه الأكبر (الوغ بتكجي) بهاء الدين الجويني وابنه عطاملك الجويني . وقد لحق الابن بـ « هولوكو » فأصبح كاتبه الخاص وصحبه في أشد معاركه وحضر معه غارته على حصن « ألموت » معقل الحشاشين ، فتمكن بذلك من الرجوع إلى مصادر أصيلة موثوق بها ، كان عليها اعتماده في تأليف كتابه « تاريخ جها نكشاي » الذي ظالما أشرنا إليه في مواضع مختلفة .

الحشاشون أو الاسماعيلية في ألموت :

تحدثنا فيما سبق عن نشأة الحشاشين أو الاسماعيلية في ألموت ، وقلنا أن أولهم كان « الحسن بن الصباح » الذي كان معاصراً لعمر الخيام ، وهو الذي أنشأ « الدعوة

(١) كانت تسمى بأسماء مختلفة منها « خندو » و « كبلو » وهي « بكين » الحالية .

(٢) الشاعر الإنجليزي « Longfellow » اسمي « هولوكو » في قصائده باسم « Alau »

الجديدة» واستطاع أن يكون فرهب الجانب منذ استيلائه على حصن «الموت» في ٦ رجب سنة ٤٨٣ هـ = ٤ سبتمبر سنة ١٠٩٠ م؛ ثم مات في ٢٣ مايو سنة ١١٢٤ م^(١) = ٥١٨ هـ .

وكان الحسن رجلا غليظ القلب؛ خالفه ونداه في بعض تعاليم مذهبه فأمر بقتلها ، وعين أحد أتباعه خليفة له وهو المعروف باسم «كيازرگ أميد» وإليه ينتسب الستة الذين أعقبوه في رئاسة هذا المذهب . فقد خلفه عند مماته ابنه «محمد» في ٢٠ يناير سنة ١١٣٨ م = ٥٣٣ هـ؛ فلما مات في ٢١ فبراير سنة ١١٦٢ م = ٥٥٨ هـ خلفه ابنه الحسن الذي عرف بين أتباعه باسم «الحسن على ذكره السلام» . وقد أعلن الحسن في جراءة أنه ليس من أحفاد «كيازرگ أميد» بل هو من سلالة الفاطميين ومن أعقاب الإمام «نزار بن المستنصر» الخليفة الفاطمي الذي دعا له الإسماعيليون دعوتهم الجديدة ، وبهذا الادعاء جرى، أعلن الحسن نفسه إماما للمذهب وليس داعيا له . وكان الحسن يريد أن يعلن هذا الادعاء قبل وفاة أبيه، ولكن أباه استطاع أن يكبح جماحه فأسرع بقتل جماعة من أتباعه يبلغون مائة وخمسين رجلا، وشرذم مائة وخمسين آخرين فنفاهم خارج حصنه في الموت ، ولكن الفرصة نهبأت للحسن عند وفاة أبيه فعقد في ١٧ رمضان سنة ٥٥٩ هـ = ٨ أغسطس سنة ١١٦٤ م جمعية عامة للإسماعيليين أسماها «عيد القيامة» ثم خطب فيهم بوصفه «إماما» لهم، وأعلنهم أن القرآن قد ألغيت معانيه الحرفية منذ ذلك التاريخ ، وأن تعاليم الإسلام لا تشير إلى هذه المعاني الحرفية التي تدل عليها الكلمات بل إلى معان أخرى رمزية نحتاج إلى إيضاح وتفسير... !! وقد قابل أتباعه هذا التصريح خير قبول وأسرعوا إلى العمل بمقتضاه فكان ذلك سببا في زيادة النفور الذي أحسه أهل السنة لهم، ويقول «رشيد الدين فضل الله» أنه ابتداء من ذلك الوقت أخذ أهل السنة يطلقون عليهم اسم «اللاحدة» ، ومن عجب أن الحسن كان يطلق على مقره اسم «مؤمن آباد» أو بلدة المؤمنين... !!

(١) اعتمدنا في هذه التواريخ على ما ذكره صاحب «جامع التواريخ» وقد ذكر هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن الإسماعيلية تزيد على ما ورد عنهم في تاريخ «جهانگشاي» ولكن هناك قدرا مشتركا بينهما تكاد تتفق كلماته .

وإلى «الحسن» يرجع الفضل في تنمية تعاليم الاسماعيلية وخاصة من ناحيتها الفلسفية وهو الذي أنشأ الدعوة الجديدة التي أسماها بـ «دعوة القيامة» . وقد انتهى الأمر بقتله في «لمس» في ١٠ يناير ١٦٦٦م = ٥٥٦٢ على يد صهره «الحسين بن نامور» أحد أحفاد الديالمة من آل بوية .

وقد تولى مكانه ابنه «نور الدين محمد» فكان أول ما فعله أن أمر بإعدام قاتل أبيه ، وكذلك باستئصال البقية الباقية من البويهيين . وقد اتبع تعاليم أبيه ، وكان فيما يقولون على نصيب كبير من القدرة الأدبية والمعرفة الفلسفية ، كما كان على جانب كبير من القدرة على الإقناع ، فاستطاع أن يضم إلى جانبه الفيلسوف الكبير «نجر الدين الرازي» بواسطة «الحجيج الدامغة» التي قدمها إليه أي بواسطة الذهب والسيف ، فجعله على الأثر يظهر شيئاً من الاحترام له لذهب الذي كان يتولى رئاسته . وقد كانت هذه بداية طيبة لفخر الدين الرازي لأن المرتب الكبير الذي كان يتلقاه في «ألموت» لقاء أن يكف عن ذكر الاسماعيلية بسوء ، مكنه في النهاية من أن يقدم نفسه إلى الأميرين الغوريين «شهاب الدين» و «غياث الدين» وكذلك إلى ملك خوارزم «محمد خوارزمشاه» . ومات «محمد بن الحسن على ذكره السلام» في أول سبتمبر سنة ١٢١٠م = ٥٦٠٧ فأعقبه ابنه «جلال الدين» وقد خالف سياسة أبيه وجده فأعلن إلغاء جميع المذاهب ، وأعلن نفسه مسلماً سنياً ، وأصبح يعرف باسم «نومسلان» أو «المسلم الجديد» وقد أسرع بتقديم خضوعه للخليفة العباسي «الناصر لدين الله» وأخذ يوثق العلاقات بينه وبين أمراء المسلمين ، وبعث بأمه إلى مكة لتؤدي فريضة الحج في سنة ١٢١٠م = ٥٦٠٧ . ولكي يقيم الدليل على حسن نواياه بعث إلى فقهاء «قزوين» وهي أقرب البلاد جواراً إلى مقره في «ألموت» يدعوهم إلى أن يراجعوا الكتب التي يقتنوها وأن يهدموا منها ما يرونه خارجاً عن تعاليم الإسلام أو متضمناً لشيء من الإلحاد .

وقد وثق به في النهاية جميع الناس ، وخلع عليه الخليفة الخلع الطيبة وقربه أشد التقريب ، فكان ذلك مثاراً لحسد الد «خوارزمشاه» مما ترتب عليه اشتداد الخلف بين خوارزم وبغداد بحيث أدى ذلك إلى كثير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة وقد تحالف مع الأتابك «مظفر الدين أربك» ١٢١٣ - ١٢١٥ (= ٦١٠ - ٦١٢هـ) ضد «ناصر الدين منجلى» ؛ وكان الوحيد من بين «مشايخ الجبل» الذي

استطاع أن يقضى ما يقرب من سنة ونصف السنة خارج معاقل الإسماعيلية في العراق وأران وأذربيجان ، وقد تحالف في بداية الأمر مع « جلال الدين خوارزمشاه » ولكن عندما أخذت طلائع « جنكيزخان » تتقدم في داخل إيران ، وجد من الحكمة أن يتحالف مع هذا الفاتح الوثني ، فكان رسله أول من قدموا خضوعهم له بعدما عبر بجيوشه نهر جيحون . وربما أثارت فعلته هذه حنق أتباعه وسخطهم عليه فبعد قليل من الزمن نجده يموت مسموما على يد إحدى نساته فيما يقولون ، في الثاني أو الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٢٢٠م = ٦١٧هـ وقد خلفه ابنه الوحيد « علاء الدين » ولم يكن عمره يزيد على تسع سنوات فتولى الوصاية عليه وزيره ، وكانت فاتحة أعماله أن أمر بقتل جماعة من النساء اللاتي كن في حريم « جلال الدين نو مسلمان » بحجة أنهن تآمرن على قتله ، كما أمر بحرق بعضهن وهن على قيد الحياة . وقد ذكر « رشيد الدين » في كتابه ، أن « علاء الدين » لم يكد يبلغ الخامسة عشرة من حياته حتى أصيب بعارض شديد من المالبخوليا بحيث أصبح من الخطر على أي إنسان أن يقربه ليفضي إليه بأبناء لا تسره أو ليخبره بأمر لا ترضيه . وفي أيامه تمكن الحاكم الإسماعيلي لـ « قهستان » واسمه « ناصر الدين »^(١) من أن يختطف المنجم المشهور « نصير الدين الطوسي » مؤلف الرسالة الأخلاقية المعروفة باسم « أخلاق ناصري » وأن يبعث به إلى حصن « الموت » حيث أقام كارها حتى تمكن المغول من فتحه والاستيلاء عليه . وقد كان لهذه الحادثة دلالة مزدوجة من حيث الناحية الأدبية والناحية التاريخية ، فهي من الناحية الأدبية قد أتاحت لبعض الرواة أن يخلطوا بين الأسماء المتشابهة فيضعنوا طرفا من هذه القصة في الترجمة الزائفة التي وضعت عن حياة « ناصر خسرو » الذي كان يعيش قبل ذلك بما يزيد على قرن ونصف القرن من الزمان ؛ أما من حيث الناحية التاريخية فأهميتها ناتجة من أننا نعلم أن « نصير الدين الطوسي » هو أول من حرص « ركن الدين خورشاه » إلى أن يسلم نفسه للمغول الغادرين^(٢) ، ثم هو الذي أشار على « هولوكو خان » بأن غضب السماء سوف لا ينصب عليه إذا هو

(١) أهدى « الطوسي » كتابه إلى هذا الحاكم الإسماعيلي ، ولكنه في نسخة أخرى اعترف عن هذا الأهداء وعن بعض المواضع التي أبدى فيها ميلا إلى المذهب الإسماعيلي .
 (٢) أنظر ص ٢٥٩ من ترجمتي الإنجليزية لـ « تاريخ طهستان » تأليف ابن اسفنديار .

أقدم على قتل «المستعصم بالله» آخر خلفاء بني العباس (١) ..!! وما أعجب تهكيات
القدر التي سمحت لهذا الخائن المخادع أن يكتب رسالة في الأخلاق، لا زالت تعتبر من
أجمل ما كتب في موضوعها باللغة الفارسية ...!

وقد تزوج «علاء الدين» وهو صغير، ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى أنجب
أول أولاده « ركن الدين خورشاه » فجعله خليفة له على الإسماعيلية ، ولكن أفعال
الأيام جعلت الحسد يدب بينهما بحيث سعى الوالد إلى خلع ابنه، وعمل جاهدا على ذلك
ولكن الإسماعيلية رفضوا أن يجيبوه إلى ما طلب ، لأنهم يدينون بالمذهب القديم الذي
ينص على أن ولاية العهد متى صدرت من إمام له الحق في منحها فلا يمكن مجال من
الأحوال الرجوع أو التحول عنها . وقد ترتب على هذه الظروف أن وجد «علاء الدين»
مقتولا في «شيركوه» في آخر شوال سنة ٥٦٣ هـ = أول ديسمبر سنة ١٢٥٥ م ،
وقد بادر ابنه «ركن الدين» إلى الأمر بإعدام قاتله «الحسن المازندراني» وإحراق
جثته ، ولكن الأقاويل ثارت بأنه هو الذي حرصه على قتل أبيه ... !! وقد برهن
على صحة هذه الأقاويل «رشيد الدين» فقال أن « ركن الدين » بادر إلى إعدام
قاتل أبيه ولم يتبع معه الطرق القانونية العادية خشية أن يفضى أثناء التحقيق بما
حرص على إخفائه ... !!

وقد ذكر هذا المؤرخ أن من يقتل أباه لا يستطيع أن يفلت من عقاب الله ،
وساق على ذلك الأمثلة الكثيرة كحادثي « شيرويه الساساني » و« المنتصر »
الخليفة العباسي؛ فقد قتل كلاهما أباه فلم يعيشا إلا فترة قصيرة ، ثم أشار إلى هذه
المصادفة الغريبة التي أدت بـ « ركن الدين » إلى أن يسلم نفسه لهاتليه بعد سنة هجرية
كاملة من مقتل أبيه حينما سلم نفسه للمغول في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ = الأحد
١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م .

فإذا عدنا الآن إلى حملة « هولوكو » التي تركناها في مدينة « كيش » في يناير سنة ١٢٥٦ م = ١٦٥٤ هـ فإننا نجد يتحول سريعا إلى معقلين من معاقل الإسماعيلية في ولاية قهستان فيستخلصهما في مارس سنة ١٢٥٦ م وهما « تون » و « خواف » وقد أمر بإعدام كل من يزيد عمره على عشر سنوات من سكان مدينة خواف ولم يستثن إلا عددا قليلا من الفتيات الجميلات ، أبقى عليهن ليتحملن حظا هو في الحقيقة أكثر سوءا وأشد بؤسا من الموت...!!

ثم استعمل « هولوكوخان » الطرز المغولية المعروفة، فنشر الوعود الكاذبة، رجاء أن ينجى من ورائها كل ما يريد ، قبل أن يجرد سيفه من غمده فلا يستطيع أخذ أن يوقفه ولا يستطيع الدماء أن تروى ظمأه ؛ وتنازعت المخاوف وروح « ركن الدين » ولم يكن له من الجرأة ما يدفعه إلى المقاومة حتى النهاية المريرة ... ولم يكن له من الحزم وبعد النظر ما يدفعه إلى الإسراع بتقديم خضوعه للمغول حتى يستطيع بذلك من أن يتعلق بأمل واه في إطالة حياته الشائنة ، بل استمر على ترده وتراخيه فترة من الزمان وأخذ يساوم المغول ، ولكنه أعطاهم كل ما يريدون ولم يحصل منهم إلا على وعود كاذبة ، وما زالوا يضيقون عليه الخناق حتى رضى بأن يسلمهم بعض حصونه ومعاقله على شريطة ألا يعدموا حاميتها وسكانها ، ثم أرسل أخاه « شاهنشاه » ومعه ثلثمائة رجل إلى « هولوكوخان » ليستبقهم لديه كرهائن . ولكن « هولوكو » سرعان ما التمس بعض الأعدار فأمر بقتل « شاهنشاه » في بلدة « جمال آباد »^(١) بالقرب من قزوین ، ثم اتبع ذلك بقتل جميع الإسماعيلية الذين سلموا معاقلهم له، ولم يستثن من ذلك أحدا منهم بل وقتل الأطفال في مهادمهم... واستيأس جماعة من أشداء الإسماعيلية في مقاومة المغول وحصل لهم « ركن الدين خورشاه » على عفو كتابي (برليخ) من هولوكوخان ولاكنهم استمروا على مدافعة المغول واستطاعوا أن يقتلوا عددا كبيرا منهم . غير أن هذه المحاولات جميعها لم تستطع أن تؤجل النهاية التي كانت تنتظر طائفه الإسماعيلية حينما سلم « ركن الدين » نفسه إلى المغول في ١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ وحينما

(١) أشار « الجويني » إلى أن القزوينيين اعتادوا بدمهذه الحادثة أن يستعملوا عبارة « ذهب

إلى جمال آباد » بمعنى ذهب إلى حتفه . !!

ستولى المغول على قلعتي « الموت » و « ميمون دژ » فأعملوا فيهما القارة ثم اشعلوا
فيهما النار بعد ذلك .

وقد استطاع «عطا ملك الجويني» أن يستأذن مولاه «هولا كوخان» في أن يحتجز
لنفسه جملة من التوالمف القيمة التي اشتملت عليها مكتبة « الموت » الشهيرة ، وأن
يحفظ كذلك بعض الأدوات التي استعمالوها في رصد النجوم ، وتمكن من أن يترك
لنا في مقابل ذلك وصفا رائعا للمهارة الفائقة التي بنى على أساسها حصن « الموت » بحيث
أصبح من الأماكن الحصينة التي لا يمكن اختراقها . وقد نقل لنا عن كتاب تاريخي
وجده في هذا الحصن وكان من تأليف «غفرالدولة البويهى» أن هذا المؤلف يذكر أن
الذى بنى هذا الحصن هم أمراء الديلم في سنة ٢٤٦ هـ = ٨٦٠ م .

واستولى المغول بعد ذلك على بقية معاقل الاسماعيلية في إيران (١) فأخذوا
« لسر » في ٤ يناير سنة ١٢٥٧ م (= ٦٥٥ هـ) ولكنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا
« كردكوه » حتى سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م وكان « منهاج السراج » قابعا فيه على
تدوين كتابه « طبقات ناصرى » .

وأخذ المغول « ركن الدين خورشاه » إلى همدان وأحسنوا معاملته وسمحوا له بأن
يتزوج فتاة مغولية أعجب بها ، ومنحوه مائة من الجياد الفارسة كان يتسلى برؤيتها وهى
تتعارك مع بعضها ، وهى متعة مردولة لم تكن لتليق بحالته ومكانته ، وربما كانت
أكثر خسة من الهواية الغريبة التي اشتهر بها أبوه وهى غرامه برعى الأغنام !!...

وفي ١٩ مارس سنة ١٢٥٧ م = ٦٥٥ هـ أرسله المغول (٢) إلى « قراقورم » ليقدم
نفسه إلى الامبراطور المغولى « منكوخان » وفي أثناء الطريق اضطروه إلى أن يأمر
ضباطه في « قهستان » بتسليم قلعتهم إلى المغول ، ففعلوا ذلك بعدما أمرهم المغول على
حياتهم ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوا من السكان الآمنين اثني عشر ألفا بمجرد تحرك

(١) كان للاسماعيلية فرع آخر في سوريا ، لم يقض عليه كما قضى على أخيه في إيران
وما زالت بقية من الفرع السورى باقية حتى الآن .

(٢) ذكر « الجوينى » و « رشيد الدين » أن ذهابه إلى قراقورم كان بناء على طلبه ولكننا
لا نوافقهما على ذلك .

ركاب « ركن الدين » في طريقه إلى « قراقورم » . فلما وصل ركابه إلى بخارى أساء حراسه معاملته ، ولم يكد يصل إلى قراقورم حتى أمر « منكو خان » بقتله قاتلاً : أنه كان من السفه استعمال خيول البريد في نقله إلى قراقورم !!...

وأمر بعد ذلك بقتل جميع أتباعه حينما كانوا . ولا شك أن العدد الذي هلك منهم كان كبيراً جداً ، ولكن لما لاشك فيه أيضاً أن الإبادة لم تشملهم جميعاً ، فلا زالت لهم بقايا في إيران كما أخبرني بذلك « درويش كرماني » من البائية ، رأته في القاهرة في سنة ١٩٠٣ ، ولهم بقايا في الهند باسم « خواجه » أو « چترال » وكذلك لهم بقايا في الزنجبار وسوريا وفي أماكن أخرى غير تلك ، ولكن يجب أن اعترف بأنني محتاج إلى كثير من التعب والعناء لكي أتمكن من أن أربط بين رئيسهم الحالي « أفا خان » الذي يمتاز بالرقه والوداعة ، وبين « مشايخ الجبل » في حصن ألمات كما أسماهم بذلك « ماركو بولو » في رحلته المشهورة .

السهجوسم على بغداد

فاز « هولاجو خان » بعد القضاء على « الحشاشين » بإعجاب أهل السنة في العالم الإسلامي . ولكن خطوته التالية اقترنت بكثير من الرعب الذي لم يتمكن من إخفائه أشد الناس تحفظاً وأكثرهم حرصاً على كتمان الأمور ؛ فبعد انقضاء ستة أشهر على خروج « ركن الدين خورشاه » إلى قراقورم ليلاقي حتفه هناك ، أرسل هولاجو خان من مقره في « همدان » إنذاراً إلى الخليفة « المستعصم بالله » بأن يسلم نفسه إليه وأن يسلمه كذلك مدينة بغداد التي ظلت عاصمة للمسلمين طيلة القرون الخمسة الماضية . وانقضت على ذلك شهران ثم بدأ « هولاجو خان » معركته في نوفمبر سنة ١٢٥٧ م = ٦٥٥ هـ وكان يستصحب معه جملة من أمراء المسلمين من بينهم أتابك شيراز « أبو بكر بن سعد بن زنگي » الذي عرف برعايته للشاعر الكبير « سعدى » وكذلك أتابك الموصل « بدر الدين لولي » الذي يشير إليه « ابن الطقطقي » كثيراً في كتاب الفخرى ؛ وكان يرافقه كذلك كاتبه « عطا ملك الجويني » مؤلف « تاريخ جهانگشاي » وكذلك النجم المعروف « نصير الدين الطوسي » .

وكان الخليفة العباسي قد بادر بإرسال « شرف الدين عبد الله بن الجوزي » إلى « هولاء كو خان » في همدان، وزوده برسالة إليه ، ولكن هذا القائد المغولي اعتبر رسالة الخليفة غير مرضية وغير قاطعة ، فأخذ يوجه الجزء الأساسي من جيشه إلى بغداد ليحيط بها من ناحية الشرق ، وأمر جيشا آخر بقيادة « باجو نويان » أن يتحرك من الشمال عن طريق تكريت بالقرب من الموصل ، وأن يلتف حول المدينة من ناحية الغرب . وكان قوام الجيش الأول كما يقول ابن الطقطقي (١) يزيد على ثلاثين ألف محارب ، بينما يقول مؤلف كتاب « طبقات ناصري » (٢) إن قوام الجيش الثاني كان يبلغ ثمانين ألف جندي (٣) ، وأن جيش الخليفة في بغداد لم يكن يزيد على عشرين ألف مقاتل .

وتلاقت جيوش المغول مع جيوش الخليفة في تكريت ، واستطاع جند الخليفة أن يحطموا الجسر القائم على « دجلة » وكان القائد المغولي « باجو نويان » يريد العبور بواسطته ، ولكن انتصارهم هذا كان قصير الأمد وما لبث المغول أن اندفعوا إلى « دجيل » و « الإسحاق » ونهر الملك ونهر عيسى وأماكن أخرى كثيرة بالقرب من بغداد . واستولى الفرع على سكان هذه البلاد فأخذوا يفرون أمام المغول لائذين بعاصمتهم الكبيرة بغداد . واستغل ملاحو القوارب حالة الفرع هذه ، فأخذوا ينقلون الشخص من شاطئ إلى آخر لقاء أجر كبير أو لقاء سوار ذهبي أو بعض الأمتعة الثمينة الغالية كما حدثنا بذلك صاحب كتاب الفخرى .

ثم تلاقت جيوش المغول وجيوش الخليفة للمرة الثانية بالقرب من دجيل في يوم ١١ يناير سنة ١٢٤٨ م = ٦٥٦ هـ وتمكن جيش الخليفة بقيادة « مجاهد الدين ايبك » الملقب بالدويدار الصغير ، و« الملك عز الدين بن فتح الدين » من إحراز نصر صغير رغم قلة الجنود الذين كانوا تحت قيادتهما ، ولكن المغول انتظروا إلى الليل واستعانوا بالمهندسين الصينيين الذين كانوا في رفقهم ، ثم غمروا معسكر المسلمين بالماء

(١) أظن من ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع القاهرة سنة ١٢١٧

(٢) أنطرس ٤٢٦ من هذا الكتاب طبع ناساو ليز Nassau Lees .

(٣) ربما بالغ المؤلف في هذا التقدير .

فتمكنوا بذلك من إزال الهزيمة بجيوش الخليفة ومن الإيقاع بالمشاة والأسرى الذين وقعوا في أيديهم بعد ذلك .

وعندما تحدث صاحب كتاب الفخرى عن فتح العرب لآيران في القرن السابع الميلادى ذكر أن جنود الايرانيين كانوا مزودين بخير العدة والعتاد فأخذوا يتحكمون بالبدو من العرب الذين لم يكونوا يتدنثرون إلا بالحرق البالية المهلهلة ثم قارن هذه الحادثة بحادثة رواها له « فلك الدين محمد بن أيدير » عند قدوم المغول إلى بغداد فقال : « كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربى من مدينة السلام في واقعتها العظمتى سنة ست وخمسين وستائة ، قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل ، فكان الفارس منا يخرج إلى المبارزة وتحتة فرس عربى وعليه سلاح تام ، كأنه وفرسه الجبل العظيم ، ثم يخرج إليه من المغول فارس تحتة فرس كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل ، وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ماتم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ، ثم كان من الأمر ما كان . » (١)

وقد هلك عدد كبير ممن نجوا من المعركة في الأوحال التى نتجت عن غمر الأراضي بالماء ، ولم ينج منهم إلا من استطاع أن يعبر النهر سباحة وإن يدخل البرية ويمضى على وجهه إلى الشام ، وقد نجا الدويدار مع جماعة صغيرة من أتباعه واستطاعوا أن يدخلوا بغداد . ثم أخذ هو و « عز الدين » محرضان الخليفة على مغادرة بغداد والذهاب إلى البصرة ولكن الوزير « ابن العلقمى » لم يوافقهما على هذه الحطة ؛ وتردد الخليفة ولم يستطع أن يقطع برأى وإذا بجيوش المغول تحيط ببغداد من كل ناحية وتضرب عليها الحصار ابتداء من ٢٢ يناير (= الخميس) محرم سنة ٦٥٦هـ . وبدأ المغول هجومهم العام في الثلاثين من هذا الشهر ، وبعد أربعة أيام أرسل الخليفة رسوله « ابن الجوزى » نانية إلى هولاكوخان ليقدّم له في هذه المرة كثيرا من الهدايا القيمة مشفوعة برضاه بالتسليم ووقف القتال ؛ ولم تمض على ذلك بضعة أيام حتى

(١) أنظر ص ٧٦ من كتاب الفخرى طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

خدعه الغول بالوعود الكاذبة فلم نفسه إليهم مع ولديه الأكبرين « أبي العباس أحمد » و « أبي الفضائل عبد الرحمن » ، ولكن « هولاكوخان » سرعان ما أمر بإعدامهم جميعا دون شفقة أو رحمة [في ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ] .

أما الطريقة التي اتبعها الغول في قتل الخليفة فيحوطها كثير من الشك والغموض ، وقد ذكر الشاعر الإنجليزي « لونجفلو Longfellow » في قصيدة « كبالو Cambalu » إنهم حبسوا الخليفة في خزائنه وبيت ماله وتركوه هنالك يموت جوعا . . . ! ولكن هذه الرواية بعيدة عن الاحتمال ، وربما كان أقرب منها إلى التصديق الرواية التي ذكرها المؤرخون الإسلاميون حينما قالوا أن الغول لقوا الخليفة في سجادة ثم انهالوا عليه ضربا بعصيهم ودبابيسهم حتى مات . ومما يؤيد أنهم اتبعوا هذه الطريقة أو ما يشابهها في قتل الخليفة أنهم كانوا يحرمون إهراق الدم الملكي ، وكانوا إذا رادوا إعدام أحد أمرائهم يتبعون طريقة وحشية اقتصوا بها في إعدام الأمراء فلا يقتلونهم بالسلاح بل يكتفون بكسر ظهورهم ... !!

وبدأت الفارسة على بغداد في يوم ١٣ فبراير سنة ١٢٥٨ م = منتصف المحرم سنة ٦٥٦ هـ واستمرت أسبوعا كاملا ، أعدم فيه الغول عددا يبلغ الثمانمائة ألف من سكانها ، واستولوا لخاله على الكنوز للنادية والأدبية والعلمية التي اجتمعت في بغداد خلال القرون الطويلة الماضية التي ظلت فيها بغداد عاصمة زاهرة لخلفاء العباسيين .

أما الخسارة التي أصابت الحركة العلمية الإسلامية فلا يمكن وصفها مهما عملنا في ذلك ضروب الفكر والخيال؛ ولم ينحصر أثر هذه الكارثة في خسارة العدد الكبير من الكتب القيمة التي أيدت تمام الإبادة ، ولكنها امتدت فأهلكت من رجال العلم عددا كبيرا ولم تبق منهم إلا على فئة قليلة مشردة الأذهان ، بحيث نجد أن الدراسة الصحيحة والبحث العلمي اللذين امتازت بهما من قبل دراسة الآداب العربية لم تقم لهما قائمة بعد هذه الكارثة . ولم يحدثنا التاريخ أن مدينة زاهرة كالحضارة الإسلامية قد اختفت في مثل هذه السرعة التي اختفت فيها هذه المدينة وأصبحت طعمة تلتهمها النيران المستمرة وتغرقها الدماء المهرقة .

ثم تبسع ذلك كما يقول صاحب كتاب الفخرى : « أن تقحم العسكر السلطاني

هجوماً ودخولاً ، فجرى من القتل الدريع والتهب العظيم والتخيل البليغ ما يعظم
سماعه جملة ، فما الظن بتفاصيله . . . ؟ !

وكان ما كان مما لبست أذكره فظن ظنا ولا تسأل عن الخبر
الحج» (١)

هذا ما قاله صاحب كتاب « الفخرى » بعد أربعة وأربعين سنة من هذه الكارثة
(لأنه كتب كتابه في سنة ١٣٠٢ م = ٧٠٢ هـ) ولم يكن طليق العنان يكتب ما يشاء
ويسجل ما يريد ولكنه كان يكتب ما يكتب وهو يعلم أنه يعيش تحت حكم مغولي
أيام غازان حفيد هولاكو خان .

ابن العلقمي :

أما الدور الذي لعبه وزير الخليفة « مؤيد الدين محمد بن العلقمي » في تسليم
بغداد فيحوطه كثير من الشك والعموض ، فصاحب « طبقات ناصري » يتهمه
بالخيانة وأنه قتل من عدد الحامية متعمداً ، وأنه هو الذي زين للخليفة التسليم ووقف
القتال ، وأنه كان يريد من وراء ذلك إرضاء أطماعه التزايدية وكذلك الانتقام لبعض
الاضطهادات التي أنزلها ابن الخليفة الأكبر بأهل الشيعة الذين كان يدين بمنهم .
أما « ابن الطقطقي » فيدفع عنه هذه التهم مستندا إلى ما ذكره له « أحمد بن الضحاك »
— وهو ابن أخت الوزير ابن العلقمي — من أن نصير الدين الطوسي هو الذي قدم
الوزير إلى هولاكو خان فسمع كلامه ووقع موقع الاستحسان عنده ثم قدمه إلى
شحنة بغداد « علي بها در » فسلمه المدينة ويلقب « ابن الطقطقي » على ذلك « بأن
من أقوى الأدلة على عدم مخا مرته سلامته في هذه الدولة ، فإن السلطان هولاكو
لما فتح بغداد وقتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير وأحسن إليه وحكمه ، فلو كان قد
خامر على الخليفة لما وقع الوثوق إليه . . . » (٢)

ولكن يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن « ابن العلقمي » وكذلك « نصير الدين
الطوسي » كانا من أهل الشيعة ، وأن الثاني منهما رغم كتابته في الموضوعات

(١) المترجم : أظلم ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع . صبر سنة ١٩٢٣ م .

(٢) نفس المرجع والصحيفة .

الأخلاقية والدينية قد أنكر جميل مضيفه من الاسماعيلية ، كما ساعد على الإيقاع بالخليفة في سبيل أن يرضى فاتحا وثنيا سفاكا للدماء مثل هولوكو ..!! ولما كان «ابن الطقطقي» شيعيا مثل هذين تماما ، فإنني شخصيا أرى أن ما ذكره في كتاب الفخرى عن هذه الواقعة ، يجب تأويله تأويلا مضادا للرأى الذى رآه .

ولكى نوفق بين آرائنا وبين ما نعرفه عن القول وخاصة هولوكوخان ، يجب أن نفترض أن «ابن العلقمى» قد خدعته الوعود الطيبة التى بذلها له القول ، ثم أعماه التعصب الذهبى ، فزين له تفضيل الوثني الكافر على من يخالف مذهبه من أهل دينه . وربما انضم إلى ذلك أنه كان على وفاق مع «نصير الدين الطوسى» الذى أصبح وزيرا لهولوكوخان والذى كان مثله أيضا من أهل الشيعة ، فقبل من أجل هذه الفروض جميعها أن يخون الخليفة وأن يخون بغداد وأن يسلمهما معا إلى القول ليعفوا بهما ما يشاءون . وقد قربه القول كعادتهم ، حتى إذا اعتصر وأعصرتة ونالوا منه ما يريدون تخلصوا منه فى قليل من الزمن . وربما يؤيد هذا الرأى إننا نجد أن حياته لا تمتد إلا إلى ثلاثة أشهر بعد موت الخليفة أى إلى مايو سنة ١٢٥٨ م = جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هـ

ومع كل هذا .. يجب أن نقرر أن الأمر مستغلق ، وأنه سيظل مستغلقا غامضا ما شاء الله له أن يكون ، فإذا لم تشأ أن تدعو للوزير بالرحمة كما فعل ابن الطقطقى ، فلا أقل من أن تمتنع عن لعنته كما فعل صاحب «طبقات ناصرى» . ومن الملاحظ أن هذا الأخير يتعالى فى سنته أكثر مما يتعالى «ابن الطقطقى» فى تشيعة .

الاستعصم :

ويبدو لنا من الفصل الأخير من كتاب «الفخرى» وهو الفصل الذى خصصه للخليفة المستعصم ، أن الخليفة كان لين الجانب سهل العريكة مستضعف الرأى ، وأنه لم يكن الشخص المناسب لمداغة هذا الخطر الداهم الذى شققت به أيامه والذى انتهى بالقضاء عليه شخصيا فى قليل من الزمن .

وكان «الاستعصم» خيرا ، متدينا ، عفيف اللسان ، عالما ، مليح الخط ، يكثر القراءة فى الكتب ، خفيف الوطأة على أتباعه ؛ ولكنه كان رغم هذه الحصال الطيبة رعيديا مترددا ، ضعيف البطش ، قليل الحبرة بأمر الملكة . وقد رفض أن يتبع سنة آباءه الذين كانوا يحبسون أولادهم وأقاربهم مخافة أن يتآمروا على خلعهم ويستأثروا بالسلطة

لأنفسهم . وقد حكوا عنه أن خويدا صغيرا كان يقوم على خدمته ، نام قريبا من الأريكة التي كان يجلس عليها الخليفة في خزانة كتبه ، وكان الخليفة في ذلك الوقت جالسا يقرأ ، فاستغرق الغلام في النوم وتقلب حتى تلفف في الملحفة المبسوطة على الأريكة ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند ، فأشار الخليفة إلى خازن النكتب أن يترفق بالغلام وألا يوقظه حتى يخرج من الحجرة خشية أن تنفطر مرارته من الخوف إذا علم بما فعل ... !!

وكان الوزير «ابن العلقمي» يشبه مولاه من حيث شغفه بالكتب وتقريبه لرجال العلم والأدب ، وقد احتوت مكتبته على عشرة آلاف مجلد من نقائس الكتب ، وقد صنف له الناس كثيرا من الكتب ، وأهداه كثير من الشعراء دواوينهم . وكان كما يقول ابن الطقطقي — وهو الذي اعتمدنا عليه في استقاء هذه الأخبار — عفيفا عن أموال الديوان وأموال الرعية ، منزها مترفعا .

وقد كنت أحب أن أفعل كما فعل صاحب كتاب « طبقات ناصري » فأختم هذا الجزء من كتابي بهذا الملخص التاريخي الذي أوردته فيما سبق ، وطالما تمنيت ألا تكون نهايته مفجعة مثل هذه النهاية الحزينة التي وصلنا إليها عندما نزلت هذه الظامة الكبرى بالإسلام وبالحضارة «العربية الفارسية» التي ازدهرت أيام الخلافة العباسية ، ولكن بقي أممي أن أتم هذا الجزء بالحديث (في فصلين تالين) عن الحركة الأدبية التي نشأت في هذه الفترة التي أجملنا الحديث عنها سياسيا ، وهي فترة تستغرق الحسين أو الستين سنة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي . (السابع الهجري) ولا شك أننا بهذا نوفي موضوعنا الأصيل الذي اخترنا الكتابة فيه وهو «تاريخ الأدب في إيران » وإنني أرجو أن أكمله في مجلد آخر أو أكثر ، حتى أصل به إلى الحديث عن الأدب في إيران في أوقاتنا الحاضرة .

جدول بأسماء
كتاب العصر المغولي الأول
[وفقاً لورود ذكرهم في الفصل التالي]

- ١ - أصحاب التواريخ العامة
- ابن الأثير
ابن العبري
منهاج السراج
جرجيس المسكين
- ٢ - أصحاب التواريخ الخاصة
- الجرىباذقاني
الفتح البنداري
عطاء ملك الجوبي
أحمد النسوي
- ٣ - كتاب التراجم
- ابن خلكان
النفطلي
ابن أبي أصيبعة
محمد عوفي
- ٤ - أصحاب التواريخ المحلية
- ابن اسفنديار
أبو عبد الله الديني
جماعة آخرون
- ٥ - الجغرافيون والرحالون
- ياقوت الروي
زكريا القزويني
ابن جبير
- ٦ - الفلاسفة
- فخر الدين الرازي
ناصر الدين الطوسي
- ٧ - أصحاب التوايف العربية
- ابن ميمون
البوني
ابن البيطار
التيفاشي
عز الدين الزنجاني
جال القرشي
ابن الحاجب
المطرزي
ضياء الدين ابن الأثير
مجد الدين ابن الأثير
اليضاوي
ياقوت المستعصي
- ٨ - مؤلفون آخرون
- أبو نصر الفراهي
شمس قيس الرازي
- ٩ - كتاب الصوفية
- روزبهان
نجم الدين كبرى
مجد الدين القفادي
سعد الدين الحموي
شهاب الدين السهروري
محيي الدين بن العربي
عمر بن الفارض

الفصل الثامن

كتاب العصر المغولي الأول

٦٠٠ - ٥٦٦٠ = ١٢٠٣ - ١٢٦٢ م

مقدمة :

سأتحدث في هذا الفصل عن أهم الكتاب الذين ظهرُوا في العصر الذي تحدثت عنه في الفصل السابق ، وسأتارك الحديث عن « شعراء الفرس » إلى فصل لاحق لأن ثلاثة منهم على الأقل تكفي أخبارهم لملء هذا الفصل الذي سيكون خاتمة فصول هذا الكتاب . وهؤلاء الكتاب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام متباينة :

- ١ - كتاب ولدوا في « إيران » وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة الفارسية .
- ٢ - كتاب ولدوا في « إيران » وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة العربية .
- ٣ - كتاب ليسوا من أصل إيراني وكتبوا بالعربية ، ولكن لا يمكن التناضح عن ذكرهم لما لهم من صلة خاصة بإيران ، وبالموضوعات الفارسية ، أولما لهم من أثر هام في العالم الإسلامي عامة . ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نتحدث عنهم بعض الشيء في هذا الكتاب الذي خصصناه أصلا لدراسة النشاط الأدبي في إيران دون غيرها من الأقطار .

ولكن بعض الدوافع العملية تجعل من المناسب إجمال هذا التقسيم ، وتفرض علينا أن نتناولهم جميعا بالبحث طبقة طبقة ، وفقا للموضوعات التي تناولوها بالكتابة ، دون تفرقة بين من كتب منهم بلغة من اللغات أو بأخرى ، ذلك لأن اللغة العربية كانت إلى ذلك الوقت منتشرة في إيران . يصاغ فيها كثير من الأدب والعلم والثقافة ؛ وقد ظلت محافظة على مالها من مكانة عالية في هذه الديار حتى انتهى الأمر بسقوط الخلافة وتخريب بغداد عاصمة الإسلام وحاضرة المسلمين .

فلنبدأ إذن بذكر المؤرخين وأصحاب التراجم والجغرافيين وقد سبق لنا الإشارة

إلى أهمهم في الفصول السابقة .

١- أصحاب التواريخ العامة

ابن الأثير :

وأول هؤلاء وأجدرهم بالذكر بين جميع المؤرخين في كل زمان ومكان ، هو « عز الدين ابن الأثير الجزرى » المنسوب إلى موطنه جزيرة « ابن عمر » بالقرب من الموصل ، ومؤلف التاريخ الكبير المعروف باسم « الكامل » . وهذا الكتاب يشتمل على تاريخ العالم كما عرفه المسلمون في هذا العصر منذ بداية الزمان حتى سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م . وقد زاره « ابن خلكان » في مدينة حلب في سنة ٦٢٧ هـ = نوفمبر سنة ١٢٢٩ م . وتحدث عنه حديثا طيبا ، أكد فيه أنه كامل حقا في الفضل والتواضع وكرم الأخلاق . ولا حاجة بي في هذا المقام إلى ذكر المقالة التي كتبها عنه « ابن خلكان » لأن القارئ الأوروبى يستطيع قراءتها في الترجمة التي نشرها « دى سلان de Slane » لكتاب وفيات الأعيان (١) وسأكتفى هنا بأن أذكر أن « ابن الأثير » ولد في سنة ٥٥٦ هـ = مايو سنة ١١٦٠ م وتوفى في سنة ٦٣١ هـ = مايو سنة ١٢٣٣ م .

وقد طبع « تورنبرج Tornberg » كتابه « الكامل » في مدينة ليدن في سنة ١٨٥١ م إلى سنة ١٨٧٦ م ونشره في ١٤ مجلدا ، كما طبع هذا الكتاب أيضا في « بولاق » في سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٣٠٣ هـ = ١٨٧٣ - ١٨٨٦ م ونشر في ١٢ مجلدا ؛ ولكن من سوء الحظ أن الطبعة المصرية وهى الطبعة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها الآن ، لا تشتمل على فهرست مبوب بأسماء الأعلام ، ومن أجل ذلك فقد نقصت فائدتها نقصا كبيرا ، ولا شك أن هذا عيب خطير قد أصاب مرجعا كبيرا لا يستطيع أن يستغنى عنه طالب من طلبة التاريخ الإسلامى (٢) . وقد كتب « ابن الأثير » بالإضافة إلى كتابه التاريخى الكبير كتابا في أخبار

(١) انظر الجزء الثانى من الترجمة ص ٢٨٨ - ١

(٢) المترجم : طبع هذا الكتاب بعد ذلك أكثر من مرة في القاهرة ، ففي سنة ١٣٠٢ هـ طبعت المطبعة الأزهرية وفي سنة ١٣٠٣ هـ نشره محمد افندى صطفي وفي سنة ١٣٥٣ هـ نشرته إدارة الطباعة المنيرة

أمم صحابة النبي وأسماء « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وقد طبع في القاهرة في ٥ أجزاء في سنة ١٢٨٠هـ = ١٨٦٣ م ، وكذلك لخص كتاب الأنساب للسمعاني وهو غير مطبوع (١) ؛ كما كتب « تاريخ المملوك الأتابكية بالموصل » ، وهو مطبوع بتمامه في الجزء الثاني من « مجموعة المؤرخين العرب الذين أرخوا الحروب الصليبية » (٢)

ابن العبري :

وآخر من كبار المؤرخين الذين عاشوا في هذه الفترة ، وكتبوا بالعربية كما فعل « ابن الأثير » هو النصراني يعقوب « يوحنا أبو الفرج » المعروف بابن العبري ، أي ابن اليهودي ، لأن أباه « أهرون » ترك ديانتهم الأصلية وكانت اليهودية واعتنق المسيحية ؛ ويعرف « ابن العبري » أيضاً باسم « جريجوريوس » أو « غريغوريوس » وهو الإسم الذي أطلقه على نفسه في سنة ٦٤٤هـ = ١٢٤٦ م عندما تولى أسقفية « جوباس » من أعمال « ملطية » .

وقد ولد « ابن العبري » في مدينة « ملطية » في سنة ٦٢٤هـ = ١٢٢٦ م ، فلما حدث الفرع من غارة المغول فر به أبوه وكان طيباً إلى مدينة « أنطاكية » في سنة ٦٤١هـ = ١٢٤٣ م ثم خرج بعد ذلك فزار مدينة « طرابلس » . وفي سنة ٦٥١هـ = ١٢٥٣ م تولى أسقفية حلب ، حتى إذا كانت سنة ٦٦٣هـ = ١٢٦٤ م أقامه اليعاقبة « مفريانا » عليهم (٣) فكان يقيم أحياناً في « الموصل » وأحياناً أخرى

(١) المترجم : يعرف هذا الكتاب باسم « الباب في معرفة الأنساب » .

(٢) أنظر : Recueil des historiens Arabes des croisades.

وقد ترجمه إلى الفرنسية البارون دي سلان de Slane

(٣) المترجم : فيما يلي معنى كلمة « مفريان » قفلا عن المقدمة الموضوعية على كتاب « تاريخ مختصر الدول » طبع الأب « أنطون صالحاني اليسوعي » بيروت سنة ١٨٩٠ م ، قال : « مفريان من السرياني ومعناها عندهم الثمر . وكان منصب المفريان عند اليعاقبة من أكبر المناصب بعد البطريركية وتحت رئاسته عدد من الأساقفة له عليهم مل السلطان مثل ما للبطريرك على أساقفته ، وهو عندنا بمقام كبير رؤساء الأساقفة » .

في إقليم « أذربيجان » أي في تبريز والمراغة في الشمال الغربي من إيران . وقد مات في مدينة « المراغة » في الثلاثين من يولييه سنة ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ .

وقد كتب « ابن العبري » تاريخه المعروف باسم « مختصر تاريخ الدول » في الأصل باللغة « السريانية » ولكن جماعة من كبار المسلمين طلبوا إليه أن ينقله إلى العربية ففعل ذلك في السنوات الأخيرة من عمره . وقد طبع هذا التاريخ لأول مرة سنة ١٠٧٤ هـ = ١٦٦٣ م في مدينة أ كسفورد بالعربية واللاتينية بمراجعة العلامة « بوكوك » ثم نشرت له ترجمة إلى الألمانية في سنة ١١٩٨ هـ = ١٧٨٣ م ثم طبعه طبعة أنيقة « الأب أنطون صالحاني اليسوعي » في مدينة بيروت سنة ١٨٩٠ م . وتشتمل هذه الطبعة الأخيرة على ٦٣٠ صحيفة تتضمن أصل الكتاب وكذلك ترجمة لحياة مؤلفه ، وفهرسة للأعلام والأماكن ، وجدولا لمقابلة السنين الهجرية بالسنين المسيحية .

وقد تحدث « ابن العبري » في كتابه عن عشر دول ، هي الآتية :

الدولة الأولى : دولة الأولياء من آدم أول « البرنساء » أي الناس .

الدولة الثانية : دولة قضاة بني إسرائيل .

الدولة الثالثة : دولة ملوك بني إسرائيل .

الدولة الرابعة : دولة ملوك الكلدانيين .

الدولة الخامسة : دولة ملوك المجوس . أي ملوك إيران منذ الملك الأسطوري « كيوسرث » إلى « دارا » ومقتله على أيدي الاسكندر الأكبر

الدولة السادسة : دولة ملوك اليونانيين الوثنيين .

الدولة السابعة : دولة ملوك الفرنج ، ويقصد بهم ملوك الرومانيين .

الدولة الثامنة : دولة ملوك اليونانيين التنصرين ، أي البيزنطيين .

الدولة التاسعة : دولة ملوك العرب المسلمين .

الدولة العاشرة : دولة ملوك المغول : وقد أوصل ابن العبري تاريخهم إلى سنة ١٢٨٤ هـ = ١٢٨٤ م وهي السنة التي تولى فيها « أرغون » الحكم .

وقد كتب الأستاذ «نولدكه» مقالا ممتعاً عن «ابن العبري» والعصر الذي عاش فيه نشره في كتابه « صور من التاريخ الشرقي » ولهذا الكتاب ترجمة إلى الإنجليزية نحيل إليها القارئ الذي يريد أن يزود بمعلومات أوفى عن هذا الكاتب وكتابه (١)

منهاج السراج :

ومن بين كتّاب التاريخ العام الذين كتبوا بالفارسية في هذه الفترة ، بل أنهم ذكروا « منهاج السراج » المنتسب إلى « جوزجان » بالقرب من « بلخ » وهو مؤلف كتاب « طبقات ناصري » الذي أكرتت من الإشارة إليه في الفصل السابق من هذا الكتاب .

ولد « منهاج السراج » حوالي سنة ٥٩٠هـ = ١١٩٣م والتحق كأيه وجده بخدمة ملوك الغور ، فلما كانت سنة ٦٢٤هـ = ١٢٢٦م أقبِل إلى الهند والتحق بخدمة السلطان « ناصر الدين قباچه » وظل بها سنة حتى إذا تغلب « شمس الدين ألتيمش » على هذا السلطان التحق بخدمته ، وأهدى كتابه إلى ابنه المسمى « ناصر الدين محمود شاه » وقد فرغ من تأليف كتابه في سنة ٦٥٩هـ = سبتمبر ١٢٦٠م .

وقد أعطى « ريو » في « فهرست المخطوطات الفارسية » كثيراً من الأخبار المتعلقة بحياته (٢) . كما أن السير « ه . م . اليوت » تحدث عنه في كتابه « تاريخ الهدى » (٣) .

(١) أظُر ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية بعنوان :

Sketches from Eastern History, pp 236-256

ومترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية هو المستر جون بلاك John S. Black

(٢) أظُر ص ٧٢ من فهرست المخطوطات الفارسية .

(٣) أظُر ص ٢٦٠ من كتاب H. M. Elliot : History of India.

وكتاب « طبقات ناصري » موزع على عشرين فصلا تبدأ بالأولياء والأنبياء وتنتهي بخاتمة المغول . وقد تحدث المؤلف عن هذه الفاترة حديثا مستفيضا أمكنة فيه أن يزودونا بأخبار فريدة لا توجد في غيره من المراجع .

وقد طبع الكتابين « نساو ليز Nassau Lees » جزءا من هذا الكتاب ، ترجمه الماچور « رافرتي Raverty » في سلسلة مكتبة الهند^(١) ومن أسف أن هذا الجزء المطبوع لا يتناول إلا ذكر الدول المتصلة بالهند ويهمل كل ماله صلة بالطاهريين والصفاريين والسامانيين والديلميين والسلاجقة والحوارزمشاه وغير ذلك من الدول التي لها أهمية خاصة لدى كل مشغوف بدراسة التاريخ الفارسي .

وترد في نهاية الكتاب قصيدة غريبة جدا منظومة باللغة العربية ومنسوبة إلى شخص اسمه « يحيى أعقب » من أتباع « علي بن أبي طالب » صهر النبي وابن عمه ، وفيها نبوءة عجيبة عن المصائب التي أحدثتها غارة المغول . وقد قرنت هذه القصيدة العربية بترجمة منشورة إلى الفارسية منشورة في ص ٤٣٩ — ٤٤٣ من الجزء المطبوع من هذا الكتاب .

جرميس المكين :

وآخر من كتب التاريخ العام المؤلفة في هذا العصر ، ويجدر بنا ذكره في هذا المقام ، لأنه من أوائل الكتب العربية التاريخية التي طبعت في أوروبا ، هو « كتاب المجموع المبارك » تأليف « جرجيس » أو « عبد الله بن أبي الياسر بن أبي المكارم المكين بن العميد » .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية المستشرق الهولندي « ارپنيوس Erpenius » ونشر الترجمة مقرونة بالنص العربي في مدينة « ليدن » سنة ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م — ثم ترجمه إلى الإنجليزية في السنة التالية المستشرق

« برجاس Purchas »^(١) حتى إذا كانت سنة ١٠٦٨ هـ = ١٦٥٧ م ترجمه «فاتير Vattier » إلى الفرنسية ، وبذلك أصبح هذا الكتاب ومعه كتاب تاريخ أبي الفدا أمير حماة^(٢) هما عماد المصادر العربية التي ظلت فترة طويلة في متناول البحاث الأوروبيين المشتغلين بالتاريخ الإسلامي . ولو لم تكن له هذه الميزة لما ذكرناه في هذا المكان لأن مؤلفه مسيحي مصري لا علاقة له بإيران على الإطلاق . وقد ولد في سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م وتوفي في سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م .

٢٠ - أصحاب التواريخ الخاصة

ونحن نمضي الآن إلى دراسة طبقة أخرى من المؤرخين وكتاب التراجم ، وهم الذين عنوا بدراسة أسرة من الأسر الحاكمة ، أو ملك من الملوك ، أو فترة من الفترات أو ولاية من الولايات ، أو بلدة من البلدان ، أو جماعة خاصة من جماعات الناس ، ويدخل ضمن هؤلاء أصحاب كتب التراجم المبوبة بتبويب المعاجم .

الجرىباذقاني :

عندما كنا نتحدث في فصل سابق عن « آل سبكتكين » أو الدولة الغزنوية ، أشرنا مرارا إلى تاريخ « العتيبي » المسمى « تاريخ اليميني » نسبة إلى السلطان الغزنوي محمود يمين الدولة . وقد كتب العتيبي هذا الكتاب باللغة العربية حتى إذا كانت هذه الفترة التي ندرسها . قام على ترجمته إلى اللغة الفارسية « أبو الشرف ناصح الجرىباذقاني » أو « الكلبايگانى » نسبة إلى الكلمة الفارسية « كلبايگان » وهو إسم مكان بين أصفهان وهمدان^(٣) وقد تحدث « ريو » في « فهرست المخطوطات الفارسية »

(١) عنوان هذا الكتاب باللاتينية كما نشره « أرفينوس » هو :

Historia Saracenica arabice olim exarata a Georgio El Macino et latine reddita opera Th. Erpedii.

(٢) ولده « أبو الفدا » سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ومات سنة ٧٢١ هـ = ١٣٢١ م

(٣) المترجم : جاء في « جرباذقان » يتلفظ بها بفتح الجيم المقابلة لحرف الكاف الفارسية . ويقول ياقوت أنه يشار بها إلى بلدين إحداهما بلدة قرية من همدان والأخرى بلدة بين استراباذ وجرجان من نواحي طبرستان .

حديثاً طويلاً عن هذه الترجمة وذكر في ص ١٥٧ - ١٥٨ أنها تمت بين سنتي ٦٠٢ و ٦٠٧ هـ = ١٢٠٥ - ١٢١٠ م كما يذكر أن « المتحف البريطاني » يشتمل على مخطوطة قديمة جميلة منها ، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م . وقد نشرت هذه الترجمة في طبعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٧٢ هـ = ١٨٥٥ م . وقد نقلت هذه الترجمة الفارسية إلى اللغتين التركية والإنجليزية ، فقام « درويش حسن » بترجمتها إلى التركية ، وقام الأب « جيمس رينولدز James Reynolds » بترجمتها إلى الإنجليزية . كما عني الأستاذ « نولدكه » بمقارنة الترجمة الفارسية بأصلها العربي ونشر خلاصة آرائه المتعلقة بهذا الموضوع في العدد الثالث والعشرين من « محاضر جلسات الأكاديمية القيصرية » (١) .

وهو يقرر في هذا البحث أن الترجمة الفارسية لم تنقيد بالأصل إلا فيما يتعلق بالمراسلات والمستندات والقوائد التي وردت في الأصل العربي ، وأما فيما عدا ذلك فكانت ترجمة مطلقة من كل قيد ، لم يراع فيها المترجم الدقة في نقل العبارات بقدر مراعى تزويقها بالصناعات البلاغية لتكون محاكية للأصل العربي . ومن أجل ذلك فقد أباح المترجم لنفسه أن يغير بعض العبارات أو أن يحدف منها في بعض المواضع أو يضيف إليها في مواضع أخرى .

الفصح البندارى :

أما « آل سلجوق » وهم حكام الدولة التي خلفت الدولة الغزنوية فهناك رسالة هامة عنهم ، يرجع تاريخ كتابتها إلى هذا العصر الذي ندرسه . وقد كتبها صاحبها باللغة العربية ، ونشر الفصلين الثالث والأخير منها المستشرق « هوتسما Houtsma » .

وتاريخ السلاجقة الذي أشرنا إليه مرارا عديدة في الفصول التي درسنا فيها فترة السلجوقيين ، عبارة عن مؤلف ألفه أصلاً باللغة الفارسية الوزير

(١) Sitzungsberichte der Kaiserlichen Akademie, Vienna 1857, Vol XXIII pp 15 - 102.

«أنو شروان بن خالد» المتوفى في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م وقها لما جاء في كتاب «عيون الأخبار» وقد ترجمه بعد ذلك إلى العربية، بإضافة كثير من الزيادات «عماد الدين الكاتب الأصفهاني» وكان ذلك في سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م ثم اختصر هذه الترجمة ونشرها بعد ذلك «الفتح بن علي بن محمد البنداري» في سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م .

وقد بحث «هوتسا» العلاقة بين هذه الكتب في مقدمته الواضحة التي قدم بها طبعته لنسخة «البنداري» وقرر أن هذه النسخة توجد في صورتين مختلفتين، الأولى منهما مطولة وتشتمل عليها مخطوطة كسفورد، والأخرى قصيرة وتشتمل عليها مجموعة باريس .

بالإضافة إلى ذلك يجب أن نذكر أننا مدينون للبنداري أيضاً بتلخيص ثرى كتب بالعربية لكتاب «الشاهنامه» من تأليف الفردوسي، وتشتمل «مكتبة جامعة كامبردج» على نسخة خطية جميلة لهذا المختصر (١). وقد كتب الأستاذ «نولدكه» في ص ٧٧ من كتابه «الحماسة الإيرانية» (٢) ينبه الأذهان إلى احتمال أن يكون هذا المختصر هاماً من ناحية المساعدة في نشر نصوص الـ «شاهنامه» بصورة أصح وأصوب .

عطا ملك الجويني :

من بين كتب التاريخ الخاصة التي ألقت عن دولة بعينها في هذه الفترة، يجب أن نقرده مكاناً ممتازاً لكتاب أشرنا إليه كثيراً في الفصل السابق، وأعني به الكتاب المكتوب بالفارسية بعنوان «تاريخ جهان گشا» أو «تاريخ فاتح العالم» (٣)، من تأليف «عطا ملك الجويني» .

(١) الترجمة : هذا المختصر هو الذي نشره الدكتور عبدالوهاب عزام بعنوان «الشاهنامه» في سنة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م . وكان موضوعاً لرسالة الدكتوراه التي قدمها للجامعة المصرية (٢) أنظر كتاب : Noldeke ; Iranisches Nationalepos.

(٣) القصود بمبارة «فاتح العالم» هو «چنگيزخان» .

وقد بينت فيما مضى أهمية هذا الكتاب بما فيه الكفاية ، كما شرحت أيضا حال مؤلفه شرحا كافياً ، ولكنني يجب أن أصرح القارىء بأن عدم طبع هذا الكتاب ونشره حتى الآن ، رغم كثرة نسخه الخطية الجميلة وخاصة الموجودة في المكتبة الأهلية في باريس ، يعتبر فضيحة أدبية كبرى ، جعلت معالجتها من أهم آمالي وأطامعي (١) .

والكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات : الأول منها يتحدث عن أصل المغول وفتوحات چنګيزخان ؛ والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» ، والثالث عن الحشاشين أو إسماعيلية حصن «ألوت» و«قمستان» ومحاربة «هولاكو خان» لهم (٢) . وقد استفاد «دوسون» فائدة كبرى من هذا الكتاب عند تأليف كتابه «تاريخ المغول» (٣) ؛ ولكنه كان - في رأبي - شديد القسوة على مؤلفه ، ولم يراع أن سوء الحظ هو الذي اضطره إلى خدمة المغول الأجلاف ، وأنه اضطر بالتبعية إلى التحدث عنهم في أدب وجمالة .

أهم النسوى :

الكاتب الذي يستحق بعد ذلك أن نخصه بالذكر هو «شهاب الدين محمد بن أحمد النسوى» كاتب السلطان الشجاع «جلال الدين خوارزمشاه» ومؤرخ سيرته . وقد أشرنا في الفصل السابق كثيراً إلى مذكراته التي كتبها عن هذا السلطان

(١) الترجمة : هكذا كتب الأستاذ «راون» عندما أخذ يكتب هذا الكتاب وقد نشر بعد ذلك كتاب تاريخ «جهانگشا» في ثلاثة أجزاء ضمن سلسلة جب التذكارية وعني بتصحيحه علامة إيران المرحوم «محمد بن عبد الوهاب الفروبي» وقد استطاع الأستاذ راون أن يكتب مقدمة بالانجليزية ألحقها بآخر المجلد الأول ، أرخصها : أغسطس سنة ١٩١٢ كما أن الجزء الثالث منه طبعه على حدة أستاذي الجليل المرحوم السير دنيسون روس Sir Denison Ross في صورة فوتوغرافية عن أصله المخطوط .

(٢) أنظر مقالتي التي نشرتها في يناير سنة ١٩٠٤ في «مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية» في موضوع محتويات هذا الكتاب التاريخي والمواد التي تساعد على نشره .

(٣) أنظر : كتاب تاريخ المغول لدوسون : D'Hosson ; Histoire des Mongols

ذى الحظ العاثر . وهذه المذكرات يمكن الاطلاع عليها في أصلها العربي وفي ترجمتها الفرنسية التي قام بنشرها السيد « هوداس Houdas » في باريس من سنة ١٨٩١ - ١٨٩٥ م .

وقد كتب « النسوي » هذه المذكرات المعروفة باسم « سيرة جلال الدين » في سنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤١ م أي بعد عشر سنوات تقريبا من موت « جلال الدين » . وقد كان النسوي وثيق الارتباط بسلطانه طوال حياته المليئة بالأحداث والمعامرات ، ومن أجل ذلك فإن كتاباته مليئة بالمتعة والأهمية ؛ وقد بين ذلك بما فيه الكفاية « السيد هوداس » في مقدمته التي قدم بها ترجمته الفرنسية لـ «سيرة جلال الدين» ونحن نكتفي بأن ننقل منها هذه العبارات الرصينه :

« وخلال المدة الطويلة التي حكمها السلطان جلال الدين ، لم يتركه النسوي إلا «
 « في أوقات قليلة نادرة ، كان يؤدي له فيها بعض المهمات الخاصة التي يكلفه «
 « بها . وقد كان إلى جواره ليلة هربه ، حينما هم به أحد الأكراد المتوحشين «
 « وكاد يقتله بطعنة من خنجره .

« وشاهد النسوي معظم الأحداث التي رواها في كتابه ، بل وساهم فيها فعليا «
 « بعض المساهمة ، حتى ليمكننا أن نقول أن كتابه عن سيرة جلال الدين إنما «
 « هو من باب المذكرات الشخصية الصحيحة ؛ لأن النسوي استطاع ، بفضل «
 « تقريب السلطان له ، وبفضل علاقته الوثيقة مع أعظم شخصيات المملكة ، «
 « أن يرى الأشياء على حقيقتها ، وأن يكشف عن عللها وأسبابها . ولما كان «
 « معروفا أنه لم يؤلف كتابه إلا بعد موت سيده بعشر سنوات ، فمن الواضح «
 « الأكيد أنه استطاع أن يتحدث عنه وعن الموضوعات التي ذكرها بصراحة «
 « تامة وجرأة كاملة؛ وإذا لاحظنا أحيانا أنه يتحفظ بعض التحفظ عندما يعرض لنقد «
 « بعض الأمور ، فما ذلك إلا لأنه كان يخشى أن يتهم بالوجود ونكران الجليل «
 « إزاء صاحب الفضل عليه ، ولأنه أيضا كان يحرص في هذه الفترة على سمعة «
 « بعض أصدقائه وأصحابه . ولكنه رغم هذا التحفظ لم يستطع أن يخفي «
 « مشاعره الحقيقية وأراءه الشخصية . ولا شك أن النحو الذي نحاه من حيث «
 « التوسط والاعتدال ليدل دلالة واضحة على صدقه وإخلاصه .

« ولم يقنع النسوى بأن يصف لنا ما رآه ، أو أن يروى لنا ماسمع ، بل »
 « أجهد نفسه في فهم الحوادث التي ذكرها واستقصاء أسبابها وتبويب تأريخها ، »
 « وهي تأريخ عجيبة ، تتبين أهميتها إذا رجعنا إلى دراسة هذه الفترات الموهلة »
 « في القدم . »
 « ويدولى أنه — مع إعجابنا بكتاب الكامل لابن الأثير — قد تحقق مما »
 « في هذا الكتاب من جهود يدعو إلى الملل والسأم ، فحاول في كتابه أن »
 « يبرهن للناس أن في الإمكان كتابة التاريخ بأسلوب آخر ، يكون أكثر »
 « تشويقاً وأشد أسراً ، بحيث يشبع الفضول ويرضى العقول . »
 « وكان النسوى بارعاً في استعمال اللغة العربية وإجادة الإنشاء فيها ، ولكن »
 « مما لاشك فيه أن قارئه ما زال يحس بشيء من الأثر الفارسي ، قد تخلف في »
 « أسلوبه وتعبيره . »

٣ — كتاب التراجم

ابن خلدون :

إذا انتقلنا الآن إلى ذكر « كتاب التراجم » فإن « ابن خلدون » يحتل المكانة الأولى بينهم؛ ولا يقتصر شأنه في ذلك على كتاب التراجم من معاصريه بل بالنسبة إلى كتاب السليدين عامة . فكتابه المشهور « وفيات الأعيان » الذي بدأ في تصنيفه في القاهرة في سنة ٥٤٤هـ = ١٢٥٦ وانهى منه في سنة ٦٧٣هـ = ١٢٧٤ م يعتبر من أوائل كتب المراجع التي يحرص على اقتنائها كل مستشرق مبتدئ .

وقد نشره في طبعة على الحجر المستشرق « وستنفلد » من سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٤٣ م وطبع بعد ذلك مرتين على الأقل في مصر (١) كما أن القارئ الإنجليزي يستطيع

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب عدة مرات في مصر وآخر طبعة له صدرت في سنة ١٩٤٩ م . وقد طبع أيضاً في « إيران » .

الاطلاع على ترجمته الإنجليزية التي قام بها البارون «دى سلان» ونشرها بلندن في أربعة مجلدات من سنة ١٨٤٣ إلى سنة ١٨٧١ م .

وكان «ابن خلكان» من سلالة البرامكة وقد ولد في إربل في سنة ٥٦٠٨ = ١٢١١ وأقام بها حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق ثم إلى القاهرة ثم إلى الاسكندرية حيث تولى كثيرا من المناصب التعليمية والقضائية . وقد أدركته منيته أخيرا في سنة ٥٦٨١ = أكتوبر سنة ١٢٨٢م وقد اشتغل الكتاب بعد ذلك بكتابة الإضافات والزيادات التي ألحقوها بمعجمه الكبير «وفيات الأعيان» فكتب «الموفق فضل الله الصقاعى» ملحقا بلغ به سنة ٥٧٢٦ = ١٣٢٥م وكتب «ابن شاكر» ملحقا آخر [مات سنة ٥٧٦٤ = ١٣٦٢م] وقد نقل هذا الكتاب إلى الفارسية ، نقله يوسف ابن محمد بن عثمان في سنة ٥٨٩٦ = ١٤٩٠ م ، ثم «كبير بن أويس بن محمد اللطيفى» في أيام السلطان سليم العثمانى الذى حكم بين سنتى ٩١٨ - ٩٢٦ هـ = ١٥١٢ - ١٥١٩ م

فإذا اتقلنا الآن إلى «كتب التراجم» التى تذكر طائفة خاصة من الناس أو جماعة من أصحاب الحرف ، فإننا نجد لزاما علينا أن نذكر منها مؤلفين بالعربية وثالثا بالفارسية وهى جميعا من مؤلفات هذا العصر ونقصد بهذه الكتب الثلاثة ما يأتى :

(١) تاريخ الحكماء : للقفطى بالعربية

(ب) طبقات الأطباء : لابن أبى أصيبعة بالعربية

(ج) لباب الألباب : لمحمد عوفى بالفارسية وهو فى جزئين

طبع الأول منهما فى سنة ١٩٠٣ والثانى مازال فى المطبعة (٢)

فلنمض الآن فى دراسته هؤلاء الكتب الثلاثة متبعين نفس النهج الذى اتبعناه

فما سبق .

(٢) المترجم : بدأ «براون» بطبع الجزء الثانى من هذا الكتاب فى سنة ١٩٠٣م ثم نبع الجزء الأول سنة ١٩٠٦ م

القفطى

ولد « جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطى » في مدينة « قفط » من صعيد مصر في سنة ٥٥٦٨ = ١١٧٢ م وقد جاء آباؤه أصلاً من مدينة السكوفة، أما أمه فيرجع نسبها إلى قبيلة قضاة العربية الكبيرة . وقد اهتم بتجريب علومه حتى الخامسة عشرة من عمره في مدينتى القاهرة و قفط ثم اختار « صلاح الدين الأيوبي » والده « يوسف » ليتولى القضاء في مدينة القدس فاتصل بأسرته في القدس وأقام فيها حتى إذا كانت سنة ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م ذهب يوسف إلى « حران » وكانت منذ العصر العباسى الأول مشهورة بأنها مركز هام من مراكز الدراسات الفلسفية اليونانية في آسيا بحيث سميت باسم « هالنوبوليس » فاشتغل بها وزيراً للملك الأشرف ، ثم أدى فريضة الحج وذهب إلى اليمن حيث مات في النهاية في سنة ٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م .

أما ابنه ، وهو المؤلف الذى نعى به في هذا اللقاع، فقد انتقل في تلك الأثناء إلى « حلب » حيث تولى وزارة المالية بها ولقب باسم « القاضى الأكرم » ويبدو لى أن أمره لم يقتصر على كونه موظفاً كفءاً أميناً وباحثاً عالماً يجد في طلب المعرفة . بل كان بالإضافة إلى ذلك من أكبر المعينين لرجال العلم ، وقد كان الجغرافى « ياقوت » واحداً من هؤلاء الذين شملهم عطفه ورعايته عندما فر أمام غارة المغول من خراسان إلى ناحية المغرب كما سبق لنا أن ذكرنا ذلك في موضعه . وكان القفطى حريصاً كل الحرص على أن يوفر لنفسه أوقات الفراغ ليتابع فيها دراساته ولكنه اضطر في سنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م أن يقبل الاشتغال لثالث مرة بالمناصب الحكومية فتولى الوزارة للملك العزيز وتوفى بعد اثنتى عشرة سنة وهو ما زال وزيراً في سنة ٦٤٦ هـ = ديسمبر ١٢٤٨ م . ويجد القارىء تفاصيل أوفى مما ذكرت عن حياة « القفطى » ، مذكورة فيما كتبه الدكتور « ليرت Dr. Lippert » في مقدمته التى قدم بها طبعته التى نشرها لكتاب « تاريخ الحكماء » وقد استقى معظم أخباره من معجم الأدباء لياقوت (وهذا المعجم يعده الآن للطبع ضمن سلسلة تجب التذكارية الأستاذ مارجوليوث

الأستاذ بجامعة اكسفورد (١) وقد أجمل رأيه في «القفطى» فوصفه بأنه الصورة العربية لـ « ولهم فون همبولد » (٢) .

وقد كتب « القفطى » كثيرا ، واستطاع ياقوت ، وقد توفي قبله بما يقرب من عشرين سنة ، أن يذكر لنا عناوين عشرين مؤلفا من مؤلفاته، ضاعت جميعها تقريبا كما يقول « مولر Müller » في غارة المقول على مدينة حلب في سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م . وفي رأى الدكتور ليرت أن كتابه « تاريخ الحكماء » في صورته الحاضرة ما هو إلا مختصر من الكتاب الذى وضعه أصلا بهذا الاسم . والكتاب في صورته الحاضرة يشتمل على ٤١٤ سيرة من سير الفلاسفة والأطباء والرياضين والمنجمين الذين ظهروا في مختلف العصور التاريخية منذ أقدم الأزمنة حتى زمان المؤلف، وهو غنى بالمعلومات الهامة التى تساعد على دراسة تاريخ الحكمة والفلسفة . وقد استفاد به كثير من معاصريه ومن تبعهم ، نخص منهم بالذكر « ابن أبى أصيبعة » و « ابن العبرى » و « أبى الفدا » . والكتاب مرتب على الحروف الهجائية ولم يرتب وفقا للترتيب الزمنى .

ابن أبى أصيبعة :

ولد « ابن أبى أصيبعة » مؤلف « طبقات الحكماء » فى مدينة دمشق فى سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م ودرس الطب فيها وفى القاهرة ثم مات فى موطنه فى سنة ٦٦٩ هـ = يناير ١٢٧٠ م وقد اشتغل كوالده بصناعة الطب واختص على وجه الدقة بطب العيون ، وقد ذكر « ابن أبى أصيبعة » بين أساتذته العالم النبأى والطبيب المشهور « ابن البيطار » . وقد اشتغل فترة من حياته بإدارة إحدى المستشفيات التى أنشأها « صلاح الدين الأيوبي » فى مدينة القاهرة .

أما كتابه « طبقات الحكماء » فقد نشره « مولر » فى مدينه « كونيغزبرج »

(١) المترجم: أم الأستاذ المرحوم مرجوليوت طبع هذا الكتاب فى سالة جب التذكارية كما طبع هذا المعجم فى مصر .

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية : Wilhelm von Humboldt.

في سنة ١٨٨٤ م كما نشر بالقاهرة في سنة ١٨٨٢ م ، وتوجد له نسخة خطية قديمة يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م وهي ضمن مجموعة مخطوطات « شيفر » المحفوظة بالمسكبة الأهلية بمدينة باريس ، وقد اعتمد « وستفيلد » اعتمادا كلياً على كتاب ابن أبي أصيبعة في تأليف كتابه « تاريخ الطب والنبات عند العرب » (١)

محمد عوفى :

الكاتب الجدير بالذكور بعد ذلك هو « محمد عوفى » مؤلف كتاب « لباب الألباب » الذى أشرنا إليه كثيراً فى هذه الفصول ، وهو كذلك مؤلف مجموعة من الحكايات بعنوان « جوامع الحكايات ولوامع الروايات » .

وهو يقرر فى القسم الأول من كتابه الأخير أنه استمد نسبه فعرف باسم « العوفى » نسبة إلى « عبدالرحمن بن عوف » أحد صحابة النبي لأنه كان من سلالة . وقد أمضى « العوفى » معظم طفولته فى خراسان وما وراء النهر وخاصة فى مدينة « بخارى » ، ثم رحل عن هذه المدينة إلى الهند فالتحق بخدمة السلطان « ناصر الدين قباچه » وأهدى إلى وزيره « عين الملك حسين الأشعري » معجمه الذى صنفه عن شعراء الفرس باسم « لباب الألباب » . فلما فقد هذا السلطان ملكه وحياته فى سنة ٦٢٦ هـ = إبريل ١٢٢٨ م انتقل « العوفى » كما فعل المؤرخ « منهاج السراج » إلى خدمة السلطان الذى قهره [شمس الدين ايلتمش] وأهدى إليه كتابه « جوامع الحكايات » . هذا هو جباغ ما نعرفه عن العوفى ، بالإضافة إلى بعض التفصيلات الأخرى المتعلقة بتواريخ زيارته لمختلف البلاد وأفاضل الشعراء وأكابر الناس .

أما كتابه « جوامع الحكايات » فلم يطبع حتى الآن (٢) ونسخه الخطية غير قليلة

(١) أظن كتاب : Wüstenfeld : Geschichte der Arabischen Aerzte und Naturforscher. Göttingen, 1840.

(٢) المترجم : أوفى ما كتب عن هذا الكتاب حتى الآن هو ما كتبه « محمد ناظم الدين » الأستاذ بالجامعة العثمانية فى حيدر أباد . وقد نشر كتابه عن هذا الموضوع فى مدينة لندن سنة ١٩٢٩ بعنوان : Introduction to the Jawami u'l - Hikayat

ولانادرة ومن بينها نسخة قديمة نخصها بالذكر كانت من ممتلكات «السيروليم جوز» وهي الآن محفوظة بمكتبة إدارة الهند تحت رقم (٧٩ W) .

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة واسعة من الحكايات ، تختلف في قيمتها وجاهاها ، وهو مقسم إلى أربعة أقسام ، كل قسم منها يشتمل على خمسة وعشرين بابا ، وكل باب منها يشتمل على مجموعة من الحكايات تصور موضوعه وتفسره . وأسلوب الكتاب سهل بسيط ، وهو في هذا يختلف تماما عن الكتاب الآخر الذي ألفه العوفي قبل ذلك ، وهو أهم كتابيه ، ونعني به «لباب الألباب» . فهذا الكتاب يعتبر أقدم كتب التراجم التي كتبت عن شعراء الفرس . وقد ذكر ذلك «بلاند» في مقاله التي وصف بها إحدى النسختين المخطوطتين الموجودتين في أوروبا (١) وقد ائتمن بهذا الكتاب الدكتور «إتيه» انتفاعا بالغا في تأليف مقالاته العديدة الفائقة التي كتبها عن شعراء الفرس المبكرين . ولم يكن هذا الكتاب في متناول الباحثين حتى أصدرت طبعته له ، فظهر المجلد الثاني منه في سنة ١٩٠٣ وسيظهر المجلد الأول منه في خلال سنة ١٩٠٦ م . وكتاب «لباب الألباب» يعتبر من أهم الكتب في تاريخ الأدب الفارسي بالنظر إلى قدمه وبالنظر إلى ما أورده من تراجم بعض الشعراء الذين كادت أخبارهم تدرس كلية ولم يرد قبل ذلك ذكر عنهم ، ولكنه رغم ذلك كله محيب الآمال من عدة وجوه ، فالأخبار التي رواها عن الشعراء خالية من التواريخ الدقيقة أو التفاصيل الممتعة ، وقد استعاض المؤلف عن

(١) نشرت مقالة بلاند Bland في الجزء التاسع من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية في سنة ١٨١٨ أما المخطوط الذي تحدث عنه فقد أعاره له صديقه «جون باردون اليوب John Bardon Elliot» فلما مات اشتراه مع سائر كتبه الأورد كروفورد Lord Crawford في سنة ١٩٠١ ثم باعه ابنه الأورد كروفورد الحالى مع سائر مخطوطاته الشرقية إلى «المر ريلاندز Mrs Reylands» من أهالي منشستر فوضعه في مكتبة جون ريلاندز بهذه المدينة أما المخطوطة الأخرى الموجودة في أوروبا من نسخ هذا الكتاب فهي ضمن مجموعة سبرنجر Sprenger المحفوظة في مكتبة براين ، وكانت في الأصل من ممتلكات ملك أوذ . وقد استخدمت هاتين المخطوطتين في إعداد طبعتي لهذا الكتاب فأصدرت الجزء الثاني منه أولا في سنة ١٩٠٣ ويكاد الجزء الأول منه يتم الآن وأنا أكتب في إبريل سنة ١٩٠٦ . ولا بد أن هذا الكتاب توجد له مخطوطة نائبة على الأقل في إيران لأن «رضا قليخان» استعمله كثيرا في تصنيف كتابه «معجم النصحاء» المطبوع على الحجر في طهران سنة ١٨٧٨ م

ذلك بشحنها بالعبارات البلاغية والمحسنات اللفظية ، كما أن مختاراته التي استشهد بها من أقوال الشعراء تعتبر من المختارات الرديئة الحالية من الذوق والجمال ، يضاف إلى ذلك أنه أهمل ذكر جماعة من الشعراء المشهورين مثل «ناصر خسرو» و«عمر الخيام» بينما أفاض في نهاية الجزء الأول في ذكر جماعة من متوسطى الحال أخذ ينعتهم بمختلف الأوصاف ويطنل في أخبارهم بغير ما داع أو سبب ، إلا أنهم كانوا من معاصريه الذين التحقوا ، مثله بخدمة السلطان «ناصر الدين قباچه» . وفيما عدا ذلك فإن هذا الكتاب يعتبر من كتب الدرجة الأولى لأنه يشتمل على ما يقرب من ثلثمائة ترجمة من تراجم شعراء الفرس الذين ظهروا قبل أن يشتهر اسم «السعدى» ، ومضى أحسن الانتفاع به فستزيد معلوماتنا كثيرا فيما يختص بهذه الفترة المبكرة من فترات الأدب الفارسى . ومع ذلك كله فمن العسير أن يتفادى المرء شعوره بالضيق والحيرة عندما يفكر قليلا في أن المؤلف كان في استطاعته بما مهد له من وسائل ، أن يجعل مؤلفه أبلغ أثرًا وأشمل نفعًا^(١) .

٤ - أصحاب التواريخ المحلية

ابن اسفنديار

ننتقل الآن إلى الحديث عن « التواريخ المحلية » فنقول إن أهم ما ألف منها في هذه الفترة باللغة الفارسية هو « تاريخ طبرستان » تأليف « محمد بن الحسن بن اسفنديار » . ولسنا نعرف إلا القليل عن حياة المؤلف ؛ وكل ما نعرفه عنه هو عبارة عن الأخبار المتفرقة التي يرويها عرضاً عن نفسه في صفحات كتابه . ويستفاد من هذه الأخبار أنه عاد من بغداد إلى مدينته الري في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م ، وأنه وجد هناك في مكتبة الملك «رستم بن شهریار» النسخة العربية من «تاريخ طبرستان»

(١) المترجم : تم طبع الجزءين وما الآن من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في دراسة شعراء الفرس

وهي التي قام بتأليفها «اليزدادى» في أيام «قابوس بن وشمكير» سنة ٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م فأخذ هذه النسخة العربية ، واعتمد عليها في وضع كتابه الفارسي .

ثم اضطر «ابن اسفنديار» بعد فترة وجيزة إلى العودة إلى مدينة «آمل» ثم انتقل منها إلى مدينة «خوارزم» وحدثنا عن حالها في تلك الفترة فوصفها بأنها مدينة عامرة برجال العلم والأدب . وقد بقي في «خوارزم» فترة لا تقل عن خمس سنوات اكتشف في خلالها كثيراً من الأخبار المتصلة بموضوع مؤلفه، فجمعها وأدخلها فيه لأنه كان حتى هذا الوقت مشتغلاً بإكمالها في سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦ م .

بعد ذلك تنقطع أخباره فلا نعرف عنه شيئاً ، ولانستطيع أن ندلى برأى فيما إذا كان قد هلك على يد المغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م . أو إذا كان قد نجا بحياته فعاد قبل ذلك إلى موطنه «مازندران» .

ولسنا في حاجة إلى تفصيل القول عن كتابه لأن فائدته يمكن التحقق منها بمراجعة الترجمة المختصرة التي نشرتها له في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية» وكل ما يمكن أن يقال عنه هو أن أجزاءه الأولى تشمل على كثير من الأمور المتصلة بالأساطير، ولكنه متى وصل إلى العصر الإسلامي فإنه يفيض في ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية والأخبارية ، وخاصة التفاصيل المتعلقة بسير الرجال المحليين من أصحاب الشهرة والصيت ، سواء أقاموا في طبرستان أم خارجها ، وعلى الخصوص سير الشعراء الذين أنشأوا أشعارهم في اللهجة الطبرية ، وهي لهجة يبدو أنها كانت مستعملة في طبرستان استعمالاً واسعاً بحيث أصبحت لهجة أدبية متعارفاً عليها . وقد انتهى «ابن اسفنديار» من تاريخه في الحد الطبيعي الذي قدر له ، أي بوفاته «رستم بن أردشير» في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م ، ولكن يداً متأخرة استطاعت أن توصل سجل الأخبار الروية فيه إلى سنة ٥٧٥٠ = ١٣٤٩ م .

والتواريخ المحلية الشبيهة بتاريخ «ابن اسفنديار» كثيرة ووفيرة ، وهي تؤلف في مجموعها قسماً متميزاً من أقسام الأدب الفارسي . ولدينا منها على سبيل المثال تواريخ متعلقة بـ «أصفهان» و «شيراز» و «يزد» و «قم» و «هراة» و «سجستان» و «شستر» وطائفة أخرى من المدن الإيرانية ، كما أن لدينا منها عدداً آخر ألف عن

«طبرستان» نفسها. وقد نشر «دورن Dorn» طائفة كبيرة من هذه المجموعة الأخيرة، ولكن أغلبها ما زال خطيا، ولم ينشر منها في بلاد الشرق إلا مجموعة قليلة طبعت على الحجر .

بالإضافة إلى ذلك يوجد نوع آخر من هذه التواريخ المحلية يمكن وصفه على وجه الدقة بأنه عبارة عن «معجم محلى» مرتب في الغالب على حسب الحروف الهجائية، ويشتمل على سير الرجال النابهين الذين ظهروا في بلدة بعينها أو في ولاية بعينها. وقد ألف «ابن الخطيب البغدادي» المولود في سنة ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م والمتوفى في سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م كتابا من هذا النوع باللغة العربية ذكر فيه رجال العلم والأدب في بغداد، وجعله في أربعة عشر مجلدا (١)، فلما كانت الفترة التي نتحدث عنها في هذا الفصل أضاف إليه «أبو عبد الله محمد الديبقي» المتوفى سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م ملحقا كتبه أيضا باللغة العربية. وهذا الملحق فيما نعلم غير موجود بتمامه، ويوجد منه جزء في باريس، كما يوجد جزء آخر قد يكون من بين أجزائه فيما أعتقد في مكتبة كامبردج. وهذا الجزء الأخير منسوبة كتابته، كما يبدو على الغلاف إلى «ابن الخطيب» نفسه، وقد ذكرت فيما سبق أنه توفي في سنة ٤٦٤ هـ = ١٠٧١ م فإذا كان هذا الجزء يشتمل على أخبار مروية عن سنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م فمن الواضح الجلي أنه ليس من تأليف «ابن الخطيب» نفسه، بل هو ملحق كتب في زمن متأخر، وإذا لاحظنا أيضا أن هذا الجزء كبير الحجم إلى درجة ملحوظة، ولكنه لا يشتمل إلا على جزء من حرف «العين» فمن السهل أن تصور أن هذا الملحق كان بالغ الطول مفرطا في الضخامة.

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب برمنه في القاهرة في مطبعة السعادة في سنة ١٣٤٩ هـ الموافقة سنة ١٩٣١ م .

٥ - الجغرافيون والرحالون

[الكتب الجغرافية وكتب الأسفار]

نتقل الآن إلى دراسة الكتب الجغرافية وكتب الأسفار التي كتبت في هذه الفترة . وسأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاثة منها كتبت جميعا باللغة العربية .

ياقوت :

وأهم هذه الكتب مرجع أشرت إليه كثيرا في الفصل السابق، وهو المعجم الجغرافي الواسع الذي ألفه ياقوت بعنوان « معجم البلدان » وقد طبعه « وستفلد » في ستة أجزاء من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٧١ م^(١) .

وقد ولد « ياقوت بن عبد الله » في سنة ٥٧٥هـ = ١١٧٩ م من أبوين يونانيين ومن أجل ذلك سمى بالرومي . كما إنه في طفولته كان عبدا بالشراء لتاجر من تجار مدينة « حماة » ومن أجل ذلك نسب إليها ف قيل « الحموي » وقد تمكن ياقوت من أن ينال قسطا وافرا من التعليم ، وأن يجوب كثيرا من الديار بحيث شملت أسفاره الأقطار الممتدة جنوبا بشرق حتى جزيرة « كيش » في الخليج الفارسي ، والأقطار الممتدة شمالا بشرق حتى « خراسان » و « مرو » حيث دأب على الاشتغال في مكنتها العامرة التي امتازت بها هذه المدينة الزاهرة ، حتى إذا كانت غارة المغول أضطر إلى الهرب إلى « الموصل » واستطاع في ربيع عام ٦٢١هـ = ١٢٢٤ م أن يكمل مؤلفته الواسع « معجم البلدان » . وهذا الكتاب مرجع من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في كل ما يتعلق بجغرافية الأنحاء الغربية من آسيا ، وفي كثير مما يتعلق بتاريخها ، وهذه الأمور ، وخاصة ما يتعلق منها بإيران ، لم يكن من السهل ، لغير المستشرقين ، مراجعتها إلا فيما كتبه باريبه دي منار في « معجمه الجغرافي التاريخي

(١) الترجمة : هذه هي الطبعة الأوروبية وقد طبع الكتاب في ثمانية أجزاء في القاهرة بطبعة السعادة في اختتام سنة ١٣٢٣ هـ وافتتاح سنة ١٩٠٦ م .

الأدبي لبلاد إيران والبلاد المصاحبة»^(١) . وقد ألف ياقوت كتابين آخرين في الجغرافيا هما :

(١) مرصد الأطلاع : وقد طبعه « جوينبل Juynboll » في مدينة ليدن من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٦٤ م .

(ب) المشترك : وهو كتاب يذكر فيه أسماء البلاد المشتركة في أسمائها ، وقد تم طبعه بمجهود « وستفلد » في مدينة « جوتنجن » في سنة ١٨٤٦ م .

بالإضافة إلى هذه الكتب صنف « ياقوت » معجا مشتملا على سير الأدباء وأسماء « معجم الأدباء » ستطبع أجزاءه بواسطة الأستاذ « د . س . مارجوليوث » ضمن « سلسلة جب التذكارية »^(٢) . وله كتاب آخر في الأنساب .

وقد كتب « فون كريمر » مقالة طيبة عن ياقوت فيها تقدير جميل له في الجزء الثاني من كتابه المتع^(٣) « تاريخ الأدب الشرقي » ص ٤٣٣ - ٤٣٦ .

القزويني :

الجغرافي الآخر الذي لا يبلغ مرتبة ياقوت من الناحية العلمية ، هو « زكريا بن محمد بن محمود القزويني » وقد ألف كتابين نشرهما « وستفلد » في سنتي ١٨٤٨ و ١٨٤٩ م . وأول هذين الكتابين عنوانه « عجائب المخلوقات » وهو يشتمل على بيان التقويم الشمسي والنجوم والإجرام السماوية والحيوانات والنباتات والمعادن وكذلك كل ما يتعلق بالوحوش والحيوانات الخرافية المختلفة . وأما كتابه الثاني فهو

(١) أنظر : Barbier de Meynard : Dictionnaire Geographique, historique et Litteraire de la Perse et des contrées adjacentes Paris 1871.

(٢) المترجم : تم طبع « معجم الأدباء » ضمن « سلسلة جب التذكارية » وقد طبعه بالقاهرة وتولى طبعه الدكتور أحمد فريد رفاعي في عشرين جزءا في سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م

(٣) أنظر : Von Kremer ; Culturgeschichte des Orients

« آثار البلاد » وهو عبارة عن وصف علمي بقدر الاستطاعة للمدن والبلاد المعروفة للعالم الإسلامي في هذا الزمان ، وقد رتبته المؤلف وفقاً لحروف الهجاء وتبعاً لأقاليم الدنيا السبعة ، فابتدأ بالإقليم الأول وهو للمصائب لخط الاستواء ثم اختتمه بالإقليم السابع وهو الذي يتضمن جميع البلاد الواقعة إلى أقصى الشمال .

وكتاب « عجائب الخواقات » هو أكثر هذين الكتابين ذكراً وأوسعهما انتشاراً في بلاد المشرق ، وتوجد منه نسخ خطية كثيرة مزدانة في الغالب بتصاویر كثيرة منقولة عن أصله العربي أو عن ترجمته الفارسية .

أما كتاب « آثار البلاد » فهو أهم الكتابين وأكثرهما متعة ، ويرجع ذلك إلى أنه يشتمل على كثير من الأخبار الجغرافية النافعة ، وإلى أنه كذلك يشتمل على كثير من الأخبار المتصلة بتاريخ الرجال الذين ورد ذكرهم بمناسبة الحديث عن بلادهم ، ومن بين هؤلاء عدد كبير من شعراء الفرس من أمثال « الأنورى » و « عسجدى » و « أوحد الدين السكرمانى » و « فخرى الجرجانى » و « فرخى » و « الفردوسى » و « جلال طيب » و « جلال خاورى » و « خاقانى » و « أبو طاهر الخاتونى » و « مجير البيلقانى » و « ناصر خسرو » و « نظامى الكنجوى » و « عمر الحيام » و « أبو سعيد بن أبى الخير » و « سنأى » و « شمس طبسى » و « عنصرى » و « رشيد الدين الوطواط » .

والأخبار الجغرافية التي ترد في هذا الكتاب لا تبلغ من حيث الدقة مبلغ ما رواه « ياقوت » وغيره من الجغرافيين المبكرين ، ولكنها مع ذلك مشحونة بالأخبار الممتعة السلية . ومن الغريب أن الكتاب لم يرد به ذكر إطلاقاً لانبجلا و لكنه يشتمل على مقالة عن إيرلنده وردت ضمن كلامه عن الإقليم السادس مع وصف مجمل لصيد الحيتان ، وكذلك يشتمل على مقالة مطولة عن مدينة روما . وعندما تعرض المؤلف لذكر الإقليم السابع تحدث عن الطقوس التي يتبعها الفرنج في النار والماء والمعارك ، وعن السحر والسحرة وإحراق المشعوذين ، وعن « الخليج المارنجى Varangian Fiord » في أقصى الشمال . وفي رأى أننى لم أصادف بين الكتب العربية كتاباً ممتعاً جيداً بالقراءة مثل هذا الكتاب . وإذا راعينا الدقة التامة

وجب علينا أن نقول إن هذا الكتاب يخرج عن دائرة الفترة التي تناولها بالبحث في هذا المؤلف . لأن نسخته الأولى تم تأليفها في سنة ٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م بينما لم تتم نسخته الثانية [وهي نسخة مزيدة ومنقحة] إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة أي في سنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ م . وقد ولد القزويني في مدينة « قزوين » من بلاد إيران في سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م وأقام فترة من حياته في مدينة « دمشق » ، وتولى القضاء في أيام الخليفة « المستعصم » آخر الخلفاء العباسيين فنصبوه قاضيا على « واسط » و « الحلة » ثم توفي في سنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م .

ومن الجدير أن نذكر أيضا إنه أهدى كتابه « عجائب المخلوقات » إلى « عطا ملك الجويني » مؤلف كتاب « تاريخ جهانگشا » .

ابن جبیر :

والآن نجد بنا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الرحالة « ابن جبیر » وهو الرحالة الذي نشر أسفاره الأستاذ المرحوم « و . رايت Wright » في مدينة لندن سنة ١٨٨٢ م . كان « ابن جبیر » من أهالي « غرناطة » وقد فاز بشهرة عريضة فعرف بأنه كاتب مجيد وشاعر مجيد أيضا . وقد سافر إلى المشرق ثلاث مرات ، أدى في كل مرة منها فريضة الحج إلى مكة . وقد بدأ أولى أسفاره في ٥٧٩ هـ = ٤ فبراير سنة ١١٨٣ م وعاد إلى موطنه في ٥٨١ هـ = نهاية أبريل سنة ١١٨٥ م . ثم وقعت بعد ذلك مدينة « بيت المقدس » في يد « صلاح الدين » فدفعته هذه الأنباء إلى القيام برحلته الثانية فشرع فيها في ٥٨٥ هـ = أبريل ١١٨٩ م وانتهى منها في ٥٨٦ هـ = أواسط سبتمبر سنة ١١٩٠ م . ثم ماتت زوجته وكان يحبها حبا شديدا فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلته الثالثة فخرج من « سبتة : Cueta » إلى « مكة » وبقى في « مكة » فترة من الزمن ثم غادرها إلى « بيت المقدس » و « القاهرة » و « الاسكندرية » حيث توفي في هذه المدينة الأخيرة في ٥٦٤ هـ = ٢٩ نوفمبر سنة ١٢١٧ م ولم يترك لنا « ابن جبیر » إلا حديثه عن الرحلة الأولى من هذه الرحلات الثلاث .

٦ - الفلاسفة

وإذا انتقلنا الآن إلى الحديث عن الفلاسفة فإن أهم فيلسوفين ظهر في هذه الفترة وسبق لنا الإشارة إليهما في الفصل السابق من هذا الكتاب هما :
« فخر الدين الرازي » و « نصير الدين الطوسي »

فخر الدين الرازي :

ولد « الرازي » في ٥٤٤ هـ = ٧ فبراير سنة ١١٤٩ م ؛ ثم أخذ في تحصيل علومه في موطنه أي مدينة « الري » وكذلك في بلدة « المراغة » ثم رحل إلى « خوارزم » وما وراء النهر وانتهى به المطاف إلى مدينة « هراة » حيث أدركته الوفاة في ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م . وقد كان إنتاجه الأدبي كبيراً شمل كثيراً من الموضوعات فكتب عن تفسير القرآن والحديث ، وكتب عن الفقه والفلسفة والنجوم والتاريخ والبلاغة كما صنف موسوعة في العلوم . وقد عدّ بروكلمان ثلاثة وثلاثين مؤلفاً من مؤلفاته^(١) لا زالت باقية برمتها أو أغلبها حتى الآن . وربما كان من آخر تأليفاته رسالة « في ذم الدنيا » كتبها في مدينة هراة سنة ٥٦٤ هـ = ١٢٠٧ م وقد ألف أحد مؤلفاته باللغة الفارسية وهو الكتاب الذي أهداه إلى ملك خوارزم « علاء الدين خوارزمشاه » وأسماه من أجل ذلك باسم « الاختيارات العلامية » كما أنه ألف أيضاً هذا الملك نفسه موسوعة العلوم التي كتبها في سنة ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ م .

نصير الدين الطوسي :

سبق لنا الإشارة إلى هذا الفيلسوف في الفصل السابق ، ونحن هنا نكتفي بأن نذكر أنه ولد في مدينة « طوس » كما تدل على ذلك نسبته في سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م^(٢)

(١) أنظر: Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt., vol I, pp 506—508

(٢) هكذا يقول « ابن شاكر » في كتابه « فوات الوفيات » أما بروكلمان فيقول إنه ولد في سنة ٥٦٧ هـ = ١٢١٠ م ولكني لا أعرف المرجع الذي اعتمد عليه في ذلك .

وقد اشتغل - كما رأينا - رغما عنه مع «الحشاشين» حتى إذا تم للقابع الغولي «هولاكو» إخضاع قلعتي «الموت» و «ميمون دژ» انتقل «نصير الدين» إلى خدمته وأصبح موضعا لتكريمه وتشريفه . وقد استفاد كثيرا من مصاحبته للجيش الغولي الذي حطم «بغداد» فاستغل فرصة العث بالمكتبات وأغنى مكتبته الخاصة بحيث أصبحت في النهاية تضم بين جدرانها أكثر من أربعمائة ألف مجلد كما يقول «ابن شاكر»^(١) . وكان شديد التأثير في مولاه الغولي التوحش «هولاكو» بحيث أصبح هذا القابع الهمجي لا يقدم على أمر من الأمور دون أن يستشير به بشأن حكم النجوم وملاءمة الوقت لتنفيذ ما يقدم عليه أو الأحجام عنه . وقد استطاع في وقت من الأوقات أن يستغل الخرافات التي كان يؤمن بها «هولاكو» ويتفقد بذلك حياة «صاحب الديوان»^(٢) «علاء الدين الجويني» وجماعة آخرين من الناس حكم عليهم بالإعدام . وقد ساعده في بناء المرصد المشهور بمدينة «المراعة» ، وهو المرصد الذي بدأ بناؤه في سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ . جماعة من مشاهير العلماء ، ذكر أسماءهم جميعا في كتابه المعروف ، باسم «زيج ايلخاني» وقد مات «نصير الدين» في مدينة بغداد سنة ٦٧٣ هـ = يونيه ١٢٧٤ م . ويمتاز «نصير الدين» بأنه كان كاتباً خصب الإنتاج في الموضوعات الدينية والفلسفية والرياضية والطبيعية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم وقد عد «بروكلان» مالا يقل عن ستة وخمسين مؤلفاً من مؤلفاته^(٣) وأغلب هذه المؤلفات مكتوب بالطبيعة باللغة العربية ، وهي اللغة التي كانت حتى هذا العصر تعتبر «لاتينية العالم الإسلامي الشرقي» ولغة العلوم والفنون ، ولكنه أيضاً كتب جملة من مؤلفاته باللغة الفارسية؛ وكذلك أنشأ كثيراً من الأشعار في هذه اللغة ، كما أشار إلى ذلك «ابن شاكر» مرتين عندما تعرض لترجمة حياته في كتابه «فوات الوفيات»^(٤)

(١) أنظر « فوات الوفيات » ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) المترجم : هذا التعبير كان من ألقاب الوزراء في هذا الوقت .

(٣) أنظر: 512-508 pp. vol II. Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt.

(٤) أنظر الجزء الثامن من ١٥١ .

ومؤلفاته المنشورة التي كتبها بالفارسية تتضمن الكتب الآتية :

- ١ - « أخلاق ناصري » : وهو كتاب مشهور في علم الأخلاق .
- ٢ - « بيست باب در معرفت اسطرلاب » : أي عشرون بابا في معرفة الاطرلاب
- ٣ - « رسالة سي فصل » : أي رسالة الفصول الثلاثين وتتضمن الحديث عن النجوم والتقويم السنوي .

٤ - « زيج ايلخاني » : وهو الزيج الذي ألفه لـ « هولاجوخان »
 ٥ - « تنسوق نامه ايلخاني » : وهو عبارة عن رسالة في المعادن والأحجار الكريمة وكذلك ألف بالفارسية مجموعة من الرسائل المتصلة بالفلسفة والنجوم والرياضة ورسالة عن أخلاق المتصوفة أسماها « أوصاف الإشراف » ورسالة أخرى عن « علم الرمل » .

أما مؤلفاته العربية فأهمها فيما أظن هو كتابه الذي كتبه عن الفلسفة الدينية بعنوان « تجريد العقائد » .

ويمكن الاطلاع على سائر مؤلفاته في « تاريخ الأدب العربي » تأليف بروكلمان « وكذلك في « فوات الوفيات » لابن شاكر وفي « مجالس المؤمنين » وكتب أخرى .

وقد تمكن صاحب الكتاب الأخير من أن يورد في كتابه نقدا لا ذعا للطوسي نقله عن كتاب « تاريخ الحكماء » من تأليف الشهرزوري ، وفيه يعلن المؤلف أن شهرة « الطوسي » لا تعزى إلى مقدار ما امتاز به من فضل وإنما تعزى إلى حدة طبعة وكرهيته للمعارضة . وقد تحقق الناس من ذلك كما تحققوا من مدى السلطة التي يتمتع بها في حكومة « هولاجو » فلزموا جانب الحكمة وامتنعوا عن نقده أو التعرض له والتقليل من شأنه .

ولم يبق من أشعاره الفارسية إلا أمثلة قليلة. وقد اقتصر « رضا قلي خان » على أن يورد لنا طائفة من أشعاره ، نقلها في كتابه الكبير « مجمع الفصحاء » ولكنها لا تزيد

على ست رباعيات ومقطوعة في بيتين اثنين . ويحسن بنا في هذه المناسبة أن نذكر أيضا أن صاحب «مجمع الفصحاء» قد نقل لنا في صفحة ٣٧٤ من الجزء الأول من كتابه خمسة رباعيات من نظم الفيلسوف الذي تقدم ذكره أي «فخر الدين الرازي» ولا يفوتنا أيضا أن نذكر اسم منجم آخر، جدير بالذكر «هو الجفميني الخوارزمي» نسبة إلى موطنه خوارزم . والمعتقد أن هذا المنجم قد توفي في سنة ٥٦١٨هـ = ١٢٢١م ولكن هناك كثيرا من الشك في تحديد الفترة التي عاش فيها كما إن سائر مؤلفاته قد ضاعت باستثناء مؤلف واحد هو «اللمخص» .

٧ - أصحاب التوالمف العربية

ومن بين الكتاب الذين كتبوا باللغة العربية في هذه الفترة ، نكتفي بذكر الأسماء الآتية لجماعة منهم :

ابن ميمون

وهو الفيلسوف والطبيب اليهودي «أبو عمران موسى بن ميمون» من أهالي قرطبة ، وقد اشتغل في أواخر حياته طبيا لـ «صلاح الدين الأيوبي» ومات في سنة ٥٦٠١هـ = ١٢٠٤م . وقد ذكرناه لأهميته ولو أنه لا تربطه بإيران صلة من الصلات

البوني

كذلك يأتي من المغرب الشيخ «محيي الدين البوني» المتوفى ٥٦٢٢هـ = ١٢٢٥م وهو من أشهر من كتبوا واتجوا في «العلوم الباطنة»

ابن البيطار

وهو أيضا من الغرب ، من مدينة «ملقة» وقد كان عالما بالنبات . ومات في مدينة دمشق في سنة ٥٦٤٦هـ = ١٢٤٨م

البفاسي

وقد كتب عن المعادن والأحجار الكريمة وكذلك عن موضوعات أخرى متصلة بالفلسفة الطبيعية .

عز الدين الرنجماني :

وهو من علماء اللغة الذين ظهروا في هذه الفترة . وقد مات في مدينة بغداد في سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م وقد ألف كتابا في النحو العربي انتشرت نسخه بشكل عجيب .

جمال القرسي :

وقد ترجم إلى الفارسية القاموس العربي المشهور الذي ألفه « الجوهري » باسم « الصحاح » .

ابن الحاجب

وقد توفي في سنة ٥٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م وهو مؤلف الكتابين المعروفين في النحو العربي باسم « الكافية » و « الشافية » .

المطرزي :

وهو الكاتب الذي ولد في سنة ٤٣٥ هـ = ١١٤٣ م ، وهي السنة التي مات فيها « الزمخشري » ومن أجل ذلك فقد عرف باسم « خليفة الزمخشري » .

ضياء الدين بن الأثير :

وهو شقيق المؤرخ العظيم الذي اعتمدنا عليه كثيرا في كتابة هذا الكتاب وقد توفي في مدينة بغداد في سنة ٥٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م وله كتب كثيرة في اللغة العربية ، ربما كان أهمها « كتاب الملل السائر » .

محمد الدين بن الأثير :

وثالث هؤلاء الأخوة هو « محمد الدين بن الأثير » المولود في سنة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م والمتوفى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م وقد كان محدثا وقيما استطاع أن يعطي بحض الشهرة والصيت .

اليضاوى :

اليضاوى أمم هؤلاء جميعا ، واسمه « أبو عبد الله بن عمر اليضاوى » من موالي إقليم فارس . وقد اشتغل فترة من حياته بالقضاء في مدينة « شيراز » وألف تفسيرا للقرآن مازال يعتبر أحسن التفسير وأكثرها انتشاراً حتى هذا الزمان . وله أيضا مختصر جمل في التاريخ كتبه باللغة الفارسية باسم « نظام التواريخ » .

ياقوت المستعصى :

كذلك يعتبر من رجال هذه الفترة واحد من كبار الخطاطين الذين ظهروا في ديار الشرق وهو « ياقوت » الملقب بـ « المستعصى » لأنه اشتغل بخدمة الخليفة صاحب الحظ العاثر الذى سبق لنا بيان نهايته في خاتمة الفصل السابق .

وقد ذكر « ميرزا حبيب » في كتابه « خطوطخطاطان » أى « الخطوطوالخطاطون » ترجمة حياته (١) . وأشار إلى أنه توجد في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ثلاث نسخ من القرآن كتبها ياقوت بخط يده : الأولى مؤرخة سنة ٥٥٨٤ = ١١٨٨ م وهى محفوظه في ضريح السلطان سليم ؛ والثانية مؤرخة سنة ٦٥٤ = ١٢٥٦ م وهى محفوظه في جامع آيا صوفيا ، والثالثة مؤرخة سنة ٦٦٢ = ١٢٦٣ م وهى محفوظه في ضريح الحميدية .

ويقال أن « ياقوت » ظفر بمائتي ألف مثقال من الذهب ، أجرأ لنسخة من « الشفاء » كتبها الملك دهلى « محمد تغلق » (٢) .

وقدمت في سنة ٦٦٧ هـ = ١٢٦٨ م وقفا لعبارة بحساب الجمل مذكورة في كتاب « ميرزا حبيب » ، ولكن « بروكلمان » يذكر أنه مات في سنة ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م (٣) . ويعتبر « ياقوت » وسلفاه اللذان سبقاه « ابن مقلة » و« ابن البواب » أكبر الخطاطين الثلاثة الذين لهم فضل بالغ عظيم على الخط العربى .

(١) طبع هذا الكتاب في مدينة القسطنطينية سنة ١٣٠٦هـ .

(٢) هذه الرواية بشو بها اضطراب من ناحية صحة التاريخ المنسوبة إليه .

(٣) أنظر الجزء الأول ص ٢٥٣ من كتابه « تاريخ الأدب العربى » .

٨ - مؤلفون آخرون

أبو نصر الفراهي :

وهناك مؤلف آخر واسع الشهرة بين تلاميذ المدارس الإيرانية هو « أبو نصر الفراهي » مؤلف منظومة بالعربية والفارسية ما زالت منتشرة بكثرة في مدارس إيران ، وله أيضا منظومة بالعربية متعلقة بالفقه على مذهب أبي حنيفة . وقد مات في سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م .

شمس قبیس الرازی :

ومن أهم الكتب التي تم تأليفها في هذا العصر، كتاب نادر في «الشعر الفارسي» اسمه «المعجم في معايير أشعار العجم» قام بتأليفه في مدينة شيراز شخص اسمه «شمس قيس» وأهداه إلى حاكمها «الأتابك أبي بكر بن سعد بن زنگي» (١) وهو الحاكم الذي اشتهر صيته بفضل رعايته للشاعر العظيم الشيخ «سعدى». وهذا الكتاب القيم له - فيما أعلم - نسخة واحدة في أوروبا محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢٨١٤ من المخطوطات الشرقية ، ولكن الدكتور «بول هورن» يقول كذلك إنه اكتشف نسختين أخريين من مخطوطات هذا الكتاب، وأنها محفوظتان في مدينة القسطنطينية ويجرى الآن طبع هذا الكتاب في مدينة بيروت ليدخل في عداد المطبوعات التي تقوم على نشرها «سلسلة جب التذكارية» (٢) ويمتاز الكتاب بأنه يتضمن مجموعة كبيرة من أقوال كثير من شعراء الفرس المبكرين ، وكذلك أقوال جماعة من شعراء الفرس الذين ضاعت أخبارهم كلية ، وكذلك عددا كبيرا من «الفهوايات» أي الأشعار المنظومة في بعض اللهجات الفارسية .

(١) تولى المسك في مدينة شيراز سنة ٦٢٣-٦٥٩ هـ = ١٢٢٦-١٢٦٠ م .
 (٢) الترجم : أم الأستاذ براون والأستاذ محمد عبدالوهاب القزويني تصحيح هذا الكتاب وطبعه في سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

ولا يعرف عن مؤلف هذا الكتاب إلا القليل من الأخبار التي جمعها « ريو » من ثنايا هذا الكتاب نفسه (١) ويستفاد منها أنه كان من أهل « خراسان » أو « ما وراء النهر » وأنه كان في عداد جيش خوارزم الذي استأصله المغول أمام حصن « فرزين » في صيف سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م (٢)

سعد الدين الوراوي :

وهناك كتاب آخر من الكتب التي ظهرت في هذا العصر من الخير إلا نهمله في هذا المقام وهو كتاب « مرزبان نامه » وقد كتبه أصلاً باللهجة الطبرية « مرزبان ابن رستم بن شروين » الذي ألف أيضاً منظومة في هذه اللهجة أسماها « نيكي نامه » أو « كتاب الخير » وأهداها لشمس العالی « قابوس بن وشمكير » (٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م) . وقد قام « سعد الدين الوراوي » فيما بين سنتي ٦٠٧ هـ = ١٢١٠-١٢١٥ م بنقل كتاب « مرزبان نامه » من اللهجة الطبرية (٣) إلى الفارسية الأدبية المتعارفة (٤)

(١) أنظر Rieu : Persian Supplement. pp 123-125
(٢) الترجمة : جدير بالذكر أيضاً أن مؤلف هذا الكتاب وضعه أصلاً على نسختين : إحداهما عربية والأخرى فارسية، ولكن النسخة العربية ضاعت ولم تصل إلى أيدينا وبقيت النسخة الفارسية وهي التي طبعت .

(٣) أنظر ما يأتي Ethé: Neupersische Literatur. vol. II Grundriss : der Iranischen Philologie, p 328.

Schefer : Chrestomathie Persane. vol II. pp 171-199 text. and pp 194.211 of the notes .

Browne : Abridged Translation of ibn Isfandiyyar's History of Tabaristan. p. 86

(٤) المترجم : اللهجة الطبرية هي لهجة طبرستان الولاية المصاحبة لبحر قزوين ، والوراوي نسبة إلى بلدة « وراوين » أو « وراوى » كما يقول ياقوت في معجمه وهي بلدة طيبة كثيرة الحيرات والمياه في جبال آذربيجان بين أردبيل وتبريز .
ومجدر الإشارة إلى أن كتاب « مرزبان نامه » قد تم طبعه بتصحيح محمد بن عبدالوهاب القزويني في مدينة ليدن سنة ١٢٢٧ هـ = ١٩٠٩ م ودخل في مجموعة الكتب التي نشرها

٩ - كتاب الصوفية

نتناول بالبحث بعد ذلك طائفة أخرى من الكتاب لهم أهميتهم الخاصة ، وهم كتاب الصوفية العظام الذين ظهروا في هذه الفترة من الزمان ، ويدخل في عدادهم بعض الأسماء اللامعة ممن اشتغلوا بهذا النوع من التفكير والأدب ، ونخص بالذكر منهم اثنين من أصل عربي ، امتازا بكثير من التفوق وبعد الصيت بحيث أصبح لزاما علينا أن نراجع أنفسنا في صحة النظرية التي سادت في وقت من الأوقات بأن التصوف في جملته عبارة عن رد فعل آرى للتعالم الجافة التي أتت بها ديانة الساميين . وهذان العريان هما :

(أ) عمر بن الفارض : الشاعر الصوفي المصرى .

(ب) الشيخ محي الدين بن العربي : المتصوف النابه وهو من أهل الأندلس .

وبالإضافة إلى هذين نرى واجبا علينا أن نتحدث عن سمين آخرين ، أحدهما اسمه « نجم الدين كبرى » والآخر « نجم الدين دايه » ، وكذلك عن الشيخ « روزبهان » والشيخ « شهاب الدين عمر السهروردى » . كما يجب علينا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الشيخ « صدر الدين القونبوى (١) » لأنه أشهر تلاميذ الشيخ « محي الدين » ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن واحد أو اثنين آخرين من الصوفية المعاصرين لهؤلاء ، تاركين مؤقتا الحديث عن اثنين من كبار شعراء الصوفية اللذين ظهرا في هذا الوقت ، وهما :

(أ) الشيخ « فريد الدين العطار »

(ب) مولانا « جلال الدين الرومى »

قد أوردنا الفصل المقبل للحديث عنهما بشيء من التفصيل والتطوير .

« سلسلة جب التذكارية » كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن مصحح الكتاب يرى أن هذا الكتاب نقل من اللهجة الطبرية إلى اللهجة الفارسية فيما بين سنتي ١٠٧ و ١٢٢ هـ = ١٢١٠ و ١٢٢٥ م .
(١) نسبة إلى مدينة « قونية » في آسيا الصغرى .

روزبهان

أسبق المتصوفة الذين ذكرناهم في الكلمة السابقة ، من الناحية الزمنية ، هو الشيخ « أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلی » الملقب بـ « شطاح فارس » فقد مات في بلدته شيراز في شهر المحرم سنة ٦٠٦ هـ = يولييه ١٢٠٩ م وقد ورد ذكر ضريحه في المخطوطة العربية المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ٣٣٩٥ وهي المخطوطة التي تسمى عادة باسم « هزار مزار » أي « الألف مزار » باللغة العربية ، ولكن يجب تصحيح اسمها إلى « شد الإزار » ، وهذه المخطوطة قام على تأليفها « معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي » في سنة ٧٩٢ هـ = ١٣٨٩ م وتناول فيها الحديث عن ظهر في بلدته من أولياء وأصفياء (١). فذكر أن الشيخ «روزبهان» كان كثير الأسفار في شبابه شأن الدراويش المتصوفين ، وأنه تمكن من زيارة العراق وكرمان والحجاز والشام ، كما تمكن من تأليف مجموعة كبيرة من الكتب اشتهر منها كما يقول مؤلف الكتاب الفارسي « شيراز نامه » (٢) ما يقرب من ثلاثين كتابا ، يدخل في عدادها تفسير صوفي للقرآن بعنوان « لطائف البيان » وكذلك كتاب « مشارب الأرواح » وكتاب « منطق الأسرار » وكتب أخرى غير هذه . وقد نظم أيضا أشعارا بالفارسية ، نورد ترجمة مثلين منها فيما يلي :

المثل الأول : هذا الذي لم تستطع أن تراه أعين الزمان ... !!
 ولم تستطع أن تسمعه على الأرض أذن من الآذان ... !!
 قد أبدى اليوم سناه . . . فأبدع خلق الإنسان ... !!
 فقم ... وتعال وتمتع برؤيته في هذا الكيان ... !!

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣٢٨ هـ . ش وقد صححه المرحوم محمد قزويني والأستاذ عباس إقبال وعنوانه الكامل « شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار »
 (٢) كتاب « شيراز نامه » هو كتاب ألفه بالفارسية أحد أحفاد الشيخ « زركوب »
 وفتح منه في سنة ٧٤٤ هـ = ١٣٤٣ م .

[المترجم : وقد طبع هذا الكتاب بتصحيح « بهمن كرمي » في طهران سنة ١٣٥٠ هـ .
 وورد به ذكر « روزبهان » في ص ١١٦ - ١١٧ .]

والمثل الثاني هو قوله ما ترجمته :

في هذا الزمان أنا القائد في طريق الصراط المستقيم لكل سالك وطالب .
 وأقد سلكت طريق الله من أذنى المشرق إلى أقصى المغرب
 ولكن . . هل يستطيع حقا أن يدركنى الصلحاء والعرفاء . . . !
 وقد استقرت روحى فيما وراء الحدود والأنحاء . . . ! (١)

واستمر الشيخ « روزبهان » يصلى بانتظام مدة خمسين سنة في جامع شيراز المعروف باسم « الجامع العتيق » وقد توفى في الرابعة والثمانين من عمره ، وعلى ذلك يمكننا تأريخ ولادته بأنه مقارب لسنة ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م ، وكان الأتابك « أبوبكر بن سعد » من أصدقائه والمعجبين به ، وقد درس مع الشيخ « أبى النجيب السهروردى » في مدينة الاسكندرية (٢) ، وهناك أخبار أخرى قليلة متعلقة بالشيخ « روزبهان » رواها « جامى » في كتابه « نقحات الأنس » (٣) عندما تعرض لترجمة سيرته وهى تشتمل على طائفة من الحكايات العجبية التى تصادفها عادة فى المؤلفات التى تذكر كرامات الأولياء ومعجزاتهم .

نجم الدين كبرى :

نتناول بالبحث بعد ذلك صوفيا آخر هو « أبوالجناب أحمد بن عمر الحيقى » نسبة إلى مدينة « خيوه » أو « خوارزم » . ويعرف عادة باسم « الشيخ نجم الدين كبرى » وتقول أصدق الروايات المتمددة أن لقبه « كبرى » ما هو إلا الاختصار لعبارة « الطامة الكبرى » وهو اللقب الذى لقبه به أصدقاؤه لما لاحظوه عليه من قدرة فى المناقشة ومهارة فى الجدل . (٤)

(١) المترجم : أصل هذه الأشعار بالفارسية موجود فى كتاب « شد الإزار » ص ٢٤٤ و ص ٢٤٦ .

(٢) مات هذا الشيخ فى سنة ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م .

(٣) أنظر كتاب « نقحات الأنس » طبع « ناوليز : Nassau Lees » ص ٢٨٨ — ٢٩٠ .

(٤) من حسن الحظ أن هذا اللقب أيضا ميزه عن سمية « نجم الدين دايه » .

ويلقب أيضا بعبارة « ولي تراش » أى « ناحت الأولياء » لأن الناس كانوا يعتقدون أنه إذا نظر وهو في حالة الوجد والانجذاب إلى شخص من الأشخاص ، فإن هذا الشخص يصبح على الفور وليا من أولياء الله وأصفائه . ويذكر « جامى » طائفة من الحكايات يبين فيها أن كرامته الحارقة هذه ، لم يقتصر فعلها على الآدميين بل تعدتهم إلى الكلاب والعتاير .

أما تكنيته بـ « أبى الجناب » فيقال أن النبي أطلقها عليه في رؤيا رآها وفسرت له بأن معناها أن يتجنب الدنيا تجنباً دائماً .

وليس هناك من شك في أن « نجم الدين كبرى » كان في عداد الضحايا الكثيرين الذين قتلوا أثناء غارة المغول على « خوارزم » في سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م . وليس هناك ما هو أدل على علو شأنه من أن كتاب « جامع التواريخ » لم يذكر إسما واحداً من أسماء الضحايا الذين قتلوا في هذا اليوم المنكود وقد بلغ تعدادهم ٦٠٠٠٠٠ قتيل إلا اسم هذا الشيخ ؛ ويقول مؤلف هذا الكتاب^(١) : أن جنكيزخان سمع عن شيخ المشايخ وقطب الأولياء الشيخ نجم الدين كبرى عليه الرحمة ، فلما عرف بخرجه أرسل إليه رسالة يخبره فيها بعزمه على الإغارة على « خوارزم » وقتل أهلها ، ويوصيه وقد آن أوان العاصفة وزول الكارثة ، أن يخرج منها ويلحق به لأنه يقدر له مكاتته التي تجعله أكبر رجال العصر والأوان . ولكن الشيخ أجابه قائلاً : « إننى أعتبر خروجى وحدى دون سائر الأهلين عملاً خالياً من كل معاني الفضيلة والكرامة . » وقد ترتب على ذلك أن جثته وجدت بين جثث القتلى والمذبوحين في هذه الواقعة . ويؤيد بنا قتله أيضاً قصيدة أنشأها في رثائه « المؤيد بن يوسف الصالحى » وقد نقلها الياقنى في كتابه « مرآة الزمان »^(٢) وهو يقول فيها بيتين ، معنى الأول منهما :

— فهل رأى أحد من الناس بحراً من العلم غارقاً في بحر من الدماء . . . !!

(١) نسخته المخطوطة موجودة في « إدارة الهند » تحت رقم ٣٥٢٤ المقابلة لرقم ٧٨٢٨ من فهرست إثنية Ethé للمخطوطات الفارسية الموجودة في هذه الإدارة .
(٢) مخطوطة رقم ١٥١١١ بالمتحف البريطانى ، الورقة ٣٤١ .

ومعنى البيت الثانى :

— ويا يوم فجيعة خوارزم ... لقد سارت بذكرك الأخبار
فلا تئنا بالرهبة والخوف ... وجعلتنا نقصد الإيمان والأمن والقرار...!!
وهذان البيتان يكفيان لبيان مكان قتله وظروفه وكيفيته .

وقد نسجت على هذه الحقيقة التاريخية المجردة ، جملة من الحكايات لانكاد
نؤمن بصحتها ، وقد أورد « جامى » الرواية التالية فى كتابه نفحات الأنس : (١)
« فلما بلغ المغولى الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ نجم الدين كبرى تلاميذه »
« وأتباعه حوله ، وكانوا يزيدون على الستين . وكان السلطان محمد خوارزمشاه »
« قد هرب من خوارزم ولكن المغولى الكافر ظل يعتقد أنه مازال بها ، وصمم »
« على الإغارة عليها بجيوشه . فاستدعى الشيخ جماعة من أتباعه من بينهم الشيخ »
« سعد الدين الحموى و«رضى الدين على لالا» وقال لهم : قوموا وغادروا هذه »
« الديار بسرعة إلى مواطنكم ودياركم فستتقد فى الشرق نار يندلع لهبها حتى »
« يلفح الغرب ، وإنها لكارثة لم يحدث مثلها حتى الآن لهؤلاء القوم الآمنين . »
« فلما سكت قال له واحد من أتباعه : ولم لا تصل من أجلهم فر بما ينكشف »
« البلاء عن ديار الإسلام...؟! ولكن الشيخ أجابه على الفور بأن هذا البلاء »
« قدر مقدور لا تتفجع فيه صلاة أو ضراعة...!! ثم ذهب إليه أتباعه وقالوا له : إن »
« الدواب على أهبة الاستعداد للرحيل... فهل لك أن تشاركنا فى سفرنا إلى خراسان »
« فالفرصة مازالت باقية...!! ولكن الشيخ أجابهم سلباً ، وقال لهم أنه سيقى ليموت »
« شهيداً ، لأنه غير مسموح له بالسفر ، ثم تركهم يسافرون إلى خراسان...!! »
« فلما دخل الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ حوله من تخلف معه من »
« أتباعه وقال لهم : انهضوا باسم الله حتى نحارب فى سبيل الله...!! ثم دخل منزله »
« وارتمى خرقة وشد على وسطه حزاماً ، وملاً جعبته بالحجارة ثم خرج إليهم »
« على هذا النحو وقد أمسك فى يده حربة طويلة ، فلما التقى بالمغول أخذ يقدفهم »

(١) أنظر ص ٤٨٦ — ٤٨٧ من هذا الكتاب.

- « بالحجارة حتى فرغت جعبته ، ورشقه واحد منهم بسيل من السهام ، اخترق »
 « أحدها صدره ، فديده وجذبه من صدره وطرحه جانبا ثم لفظا نفاسه الأخيرة »
 « على هذا النحو ...!! ويقال إنه قبض أثناء استشهاده على ضفيرة واحد من المغول »
 « فلم يستطيعوا تخليصها من قبضته بعد موته واضطروا إلى قطعها ...!! »
 « ويقول بعض الناس إن مولانا جلال الدين الرومي يشير إلى هذه القصة »
 « وإلى صلته بهذا الشيخ في هذين البيتين من غزلياته : »
- « ما از آن محتشمانيم كه ساغر كيرند »
 « نه از آن مفلسكان كه بزلاغر كيرند »
 « يكي دست مي خاص امام نوشند »
 « يكي دست ديگر پرچم كافر كيرند »

ومعناها :

- إنا من أغنياء الناس الذين يتناولون كؤوس الخمر الجميلة
 — ولنا من الفلسين الذين لا يرعون إلا الماعز النحيلة ... !!
- ونحن قوم نشرب خمر الإمام الصافية بإحدى اليدين ،
 — ونمسك بضمرة الكافر بثانية الكفين . . . !!
- « وقد استشهد قدس الله سره في سنة ٦١٨ هـ (= ١٢٢١ م) وكان له أتباع »
 « كثيرون من بينهم جماعة كانوا من نوادر الدهر ونوابغ الزمان مثل الشيخ »
 « مجد الدين البغدادي ، والشيخ سعد الدين الجموي وبابا كمال الجندي (١) »
 « والشيخ رضی الدين علي لالا والشيخ صفي الدين البخارزي والشيخ نجم »
 « الدين الرازي والشيخ جمال الدين الجيلاني (٢) . ويؤكد جماعة من الناس »

(١) الترجمة : الجندي نسبة إلى مدينة « جند » وهي مدينة عظيمة في بلاد تركستان
 بينها وبين خوارزم عشرة أيام لقاء بلاد الترك من وراء النهر .
 (٢) الترجمة : الكيلاني نسبة إلى « كيلان » أو « جيلان » وهي البلاد المصاوبة
 لبحر قزوين .

« أن مولانا « بهاء الدين ولد » والد مولانا « جلال الدين الرومي » كان أيضا «
« من تلاميذه .

وقد بقي من مؤلفات الشيخ « نجم الدين كبرى » كتابان على الأقل ما زالا موجودين بالمتحف البريطاني : أحدها عبارة عن رسالة قصيرة مكتوبة بالعربية في صحيفتين أو ثلاث ، وموضوعها قول الصوفية المعروف « إن الطرق إلى الله بعدد أنفس الحلائق » ؛ وأما الكتاب الآخر فمكتوب بالفارسية وقد أسماه « صفة آداب » وبين فيه الآداب التي يجب أن يتحلى بها المرید الجديد . وأشار « ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني » في مقدمته التي قدم بها طبعة « نيكسون » لكتاب « تذكرة الأولياء » إلى أن الشاعر الصوفي العظيم « فريد الدين العطار » تحدث عن الشيخ « نجم الدين كبرى » في كتابه « مظهر العجائب » بكثير من التجله والاحترام (١) وقد كان هو نفسه كما يقول « جامي » في نقحاته ، تلميذاً لتلميذه « مجد الدين البغدادي » الذي سيكون مدار حديثنا التالي .

مجد الدين البغدادي :

هو الشيخ « أبو سعيد مجد الدين شرف بن المؤيد بن أبي الفتح البغدادي » ويقول عنه « جامي » إنه قدم إلى « خوارزم » ليكون طبيباً للخوارزمشاه ولكن بعض المراجع الأخرى تدحض هذا القول وتجعله موضعاً للانكار . ومهما كان من أمر فمن الواضح أنه ألحق نفسه بخدمة الشيخ « نجم الدين كبرى » وأصبح واحداً من مريديه ، ولكنه لم يلبث أن اعتبر نفسه في منزلة أعلى من شيخه بحيث أثار عنه أنه قال في يوم من الأيام : « لقد كنا بيضا على ساحل البحر ، فضمننا الشيخ نجم الدين تحت جناحيه ، وما زال يحميننا حتى أفرخنا ، فلما صرنا بطيطات ففرنا إلى البحر وبقي الشيخ على الشاطئ . . . » وقد استشاط الشيخ « نجم الدين » عند

(١) أنظر كتاب « تذكرة الأولياء » ج ١ ص ١٧ .

سماعه هذه العبارة، ولعن قائلها مبتهلا إلى الله أن يفرقه في الماء... ١١٠٠. وبلغت هذه اللعنة إسماع الشيخ «مجد الدين» فاستولى عليه الرعب وأخذ يعتذر في خضوع وندم إلى شيخه أن يرفع عنه هذه اللعنة؛ ولكن جهوده واعتذاراته ذهبت عبثا، ولم يلبث إلا فترة قصيرة حتى أمر الخوارزمشاه، تحت تأثير الشراب والسكرابية بأن يطرحوه في اليم ويفرقوه. ومن العجيب أن الشيخ «نجم الدين» غضب لذلك غضبا شديدا ودعا الله أن يثأر للغريق من ملك خوارزم لإقدامه على قتله بهذه الصورة الشنعاء التي لم تكن في الحقيقة إلا استجابة لدعائه عليه. وقد اضطرب ملك خوارزم لهذه الدعاء وحاول بمختلف الوسائل أن يجعل الشيخ يرفع عنه لعنته، ولكن الشيخ أجابه بقوله: «إن هذا القدر مكتوب في كتاب معلوم، وسيثأر الله بزوال مملكتك برمتها، فتموت أنت ويموت كثيرون من رجالك وسأكون أنا أيضا في عدادهم... ١١٠٠»

وتاريخ موت الشيخ «مجد الدين» مختلف فيه، ويذكر «جامي» إن وفاته حدثت في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م أو في سنة ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م

سعد الدين الحموي

تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ «نجم الدين كبرى» ممن نالوا شيئا من بعد الشهرة والصيت هو «سعد الدين الحموي» ويقول عنه «جامي» في نفعاته ص ٤٩٢ إنه ألف كثيرا من المؤلفات ولكنه لم يذكر منها إلا كتابين اثنين هما:

١ - كتاب محبوب: أو «كتاب المحبوب».

ب - سجنجل الأرواح.

ويصف «جامي» هذين الكتابين فيقول إنهما «مليتان بالألغاز والعميات والأرقام والدوائر التي لا تستطيع عين العقل والأدراك أن تكشف خفاياها».

ويبدو أن «سعد الدين» كان عرضة لنوبات طويلة من نوبات الوجد أو الصرع وأن إحدى هذه النوبات ظلت تلازمه ثلاثين يوما كاملة. وقد أورد «جامي» في نفعاته أمثلة من أشعاره العربية والفارسية. وهو يقرر أن وفاته حدثت في نهاية سنة ٦٥٠ هـ =

فبراير سنة ١٢٥٣ م وكان له من العمر إذ ذاك ثلاث وستون سنة . وقد تعرف « سعد الدين » أثناء حياته بالشيخ « صدر الدين القويني » ولكننا رجىء الحديث عنه إلى أن نتعرض له أثناء حديثنا عن الشيخ « محي الدين بن العربي » .

نجم الدين داود :

نتناول الآن بالحديث ثاني النجمين وهو « نجم الدين داود » ويقول « جامي » عنه إنه كان تلميذاً للشيخين « نجم الدين كبرى » و « مجد الدين البغدادي » .

ولنجم الدين داود كتاب كبير الأهمية اسمه « مرصاد العباد » ما زالت مخطوطة جميلة من مخطوطات القديمة ، مكتوبة في سنة ٥٧٧٩ = ١٣٧٧ م ، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٣٢٤٢ ، وهو يتحدث فيها عن نفسه فيقول إن اسمه الكامل هو: « أبو بكر عبد الله بن محمد شاهاور » ثم يتحدث عن « مجد الدين البغدادي » في صراحة تامة فينتهه بأنه « سلطان الزمان ومرشده الروحي » .

أما مؤلفاته الأخرى فأهمها كتاب « بحر الحقائق » وقد كتبه في سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م في مدينة « سيواس » من بلاد آسيا الصغرى عندما اضطر إلى الاحتماء بها فراراً من غارة المغول . وقد تلاقى في هذه البلاد بالشيخ « صدر الدين القويني » وبالصوفي الشهير « جلال الدين الرومي » . وأدركته الوفاة في سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م .

شهاب الدين السهروردي :

صوفي آخر من مشاهير الصوفية الذين ظهرُوا في هذا العصر هو الشيخ « شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السهروردي » المولود في رجب سنة ٥٣٩ هـ = يناير ١١٤٩ م ، والمتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م ، وقد كان من بين شيوخه القدماء الذين استرشد بهم في خطواته الأولى في طريق التصوف ، عمه « أبو النجيب السهروردي » المتوفى سنة ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م ، وكذلك الشيخ

المعروف « عبد القادر الجيلاني » التوفي قبل ذلك بعامين أي في سنة ٥٦١ هـ = ١١٦٥ م .

وأهم مؤلفاته كتابان هما :
 (١) عوارف المعارف .
 (ب) رشف الناصح .

والكتاب الأول تكثر نسخه الخطية ، وقد طبع على الأقل مرة واحدة على هامش كتاب « إحياء العلوم » للغزالي المطبوع في القاهرة في سنة ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م وقد ترجم « ابن خلكان » سيرة « شهاب الدين السهروردي » وروى بعض أشعاره العربية ، وتحدث عن أحوال الوجد التي كان يبلغها ، وأنفاسه المباركة التي كانت تجعل الناس يتواجدون في مجلسه عند سماع أقواله ، ثم يقول : « ولم يتفق لي رؤيته لصغر السن » .

وكان الشيخ « سعدى الشيرازي » واحدا من تلاميذه ، وقد روى عنه حكاية قصيرة في كتابه الـ « بوستان » فصوره بأنه كان يبتل إلى الله أن يملأ به جهنم إذ كان في ذلك منجاة لغيره !!...

وكان « شهاب الدين » شيخ الشيوخ في مدينة بغداد ، وكان يمتاز بصحة الرأي والحكم ، فقد روى أن واحدا من الصوفية كتب إليه يقول : « ياسيدي... إن تركت العمل أخذت إلى البطالة ، وإن عملت داخلني العجب ؛ فأيهما أولى ؟ فكتب جوابه : اعمل ! واستغفر الله تعالى من العجب !!... »

ومن الواجب علينا ألا نخلط هذا الشيخ بالشيخ المتقدم عنه « شهاب الدين محيي بن جيش السهروردي » مؤلف كتاب « حكمة الإشراف » فإن هذا الشيخ كان من أهل الكرامات وأصحاب الخوارق ، وقد اتهم بالزندقة على أيام « الملك الظاهر بن صلاح الدين » فأعدموه في مدينة حلب في سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م ، أو في السنة التالية لذلك ، ولم يكن قد تجاوز السنة السادسة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد لقبوه لهذا السبب بلقب « المقتول » تمييزا له عن غيره من الشيوخ . ويدولى أن « السهروردي المقتول » كان خيرا من سميه ، من حيث

عبقريته وسلامة طبعه ومقدرته على الإبداع . وما زال كتابه « حكمة الإشراق » مخطوطاً ، وقد تصفحته بنظرة غابرة فوجدته جديراً بالاهتمام والدرس (١)

محي الدين بن العربي (٢) :

تناول الآن بالبحث شخصاً تعارف العالم على إعتباره من أكبر رجال الصوفية الذين ظهوروا في ديار الإسلام ، بل ربما كان أكبرهم على وجه الإطلاق .. وتصد به الشيخ « محيي الدين بن العربي » المولود في مدينة « مرسية » من بلاد الأندلس في خلال سنة ٥٦١ هـ = ٢٨ يولييه سنة ١١٦٥ م . وقد بدأ دراساته الفقهية في مدينة « إشبيلية » في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ثم خرج في سنة ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م قاصداً بلاد المشرق فعاش فترة في مصر ثم في الحجاز ثم في بغداد ثم في الموصل ثم في آسيا الصغرى ، وانتهى به المطاف إلى دمشق حيث توفي بها في خلال سنة ٦٣٨ هـ = ١٦ نوفمبر ١٢٤٠ م .

وقد وصفه « بروكلان » فقال : إنه كان كاتباً غزير الإنتاج كثير الإخراج ، وعد من مؤلفاته مائة وخمسين كتاباً ما زالت باقية في أيدينا حتى اليوم ، ولا شك أن من أشهر هذه الكتب الكتابان الآتيان :

(١) فصوص الحكم .

(ب) الفتوحات المكية .

وقد كتب أولهما في مدينة دمشق في سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م وكثرت بعد ذلك طباعته على الحجر وبالحروف كما كثرت ترجماته وشروحه في مختلف بلاد الإسلام (٣) ، أما كتابه الثاني فموسوعة كبيرة جداً طبعت في مصر أيضاً .

(١) المترجم : طببع هذا الكتاب في طهران على الحجر سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م .

(٢) المترجم : بفضل بعض المحققين تسميته بـ « ابن عربي » بغير استعمال إداها التعريف .

(٣) المترجم : آخر طبعة صدرت من « فصوص الحكم » هي التي أخرجها وعلق عليها الدكتور « أبو العلا عفيفي » أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية . وقد صدرت عن دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

وأوفى ترجمة أعرافها لحياة « ابن العربي » هي تلك التي يتضمنها كتاب « المقرئ » المعروف باسم « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » (١) وقد ترجم « جامي » له أيضا ترجمة وافية في كتابه « نفحات الأنس » (٢) .

وكان « ابن العربي » كأغلب رجال الصوفية شاعراً ، وقد وردت أمثلة كثيرة من أشعاره في كتاب « نفع الطيب » كما أن له ديوان مطبوع على الحجر في ٢٤٤ صحيفة ، قام على طبعه « ميرزا محمد شيرازي » من أهل بجماي ، وقد وصف « جامي » أشعاره فقال : « إن قصائده غريبة وغمينة » . ولكن كثيرا من رجال الدين يتهمونهم بالكفر والزندقة ، وقد حاولوا قتله في مصر جملة مرات ، ولم ينج من الموت إلا لأن التعصبين من أتباعه والمعجبين به كانوا كثيرين ومتعديدين . ومن الغريب أن تأثيره حتى الآن ما زال محسوساً في إيران الشيعية ، بل ربما فاق في ذلك كل صوفي آخر .

وقد ادعى « ابن العربي » أنه خاطب النبي في أحلامه ، وأنه أخذ خرقة من « الخضر » وأنه يعرف علم الكيمياء والعلم المتعلق باسم الله الأعظم . وكان على صلة بالشاعر الصوفي « عمر بن الفارض » فسأله أن يأذن له بكتابة شرح على تائيته ، ولكن ابن الفارض أجابه بأن « كتابك الفتوحات السكية ما هو ، في الحقيقة ، إلا شرح لهذه التائية ... !! » .

وكان « ابن العربي » يؤمن بالأحلام وأن الإنسان له قدرة على تحقيقها بمحض إرادته فهو يقول ما معناه : « وخليق بعبد الله أن يستعمل إرادته ليحقق بها التركيز في أحلامه وبذلك يستطيع أن يتغلب على خياله ، وأن يتحكم فيه أثناء النوم كما يتحكم فيه أثناء اليقظة ، فإذا تم لإنسان هذا التركيز وأصبح بالنسبة له أمراً طبيعياً فإنه يستطيع بواسطته أن يعنى ثماره في « البرزخ » وينتفع بها انتفاعاً كبيراً . وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يجاهد لكي يدرك هذه الحال ، لأنها نافعة له بإذن الله نفعاً كبيراً ... » .

(١) طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م . أظن ج ١ ص ٣٩٧ - ٤٠٩ .

(٢) طبع « نساو ليز » ص ٦٣٣ - ٦٤٥ .

وأسلوب « ابن العربي » غامض ، وربما تعتمد ذلك تعمدًا ، جريا على ما تعارف عليه الأولياء وأهل الكرامات والمتصوفة من المسلمين ؛ فإنهم كانوا يحاولون دائماً أن يعبروا عن آرائهم التي لم يتعارف عليها عامة الناس بكلمات وتعبيرات تكون قريبة الفهم من تعبيراتهم ومصطلحاتهم حتى يتفادوا بذلك القتل كما أصاب « الحسين بن منصور الحلاج » و الشيخ « شهاب الدين المقتول » .

وقد سئل الشيخ « محي الدين » مرة عما يعنيه بقوله :

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

فأضاف على الفور شطرتين إلى هذا البيت ، تجعلان معناه مقبولا لدى الكافة ، لا يجدون فيه مطعنا ، فقال :

يا من يراني مجرما ولا أراه آخذًا

كم ذا أراه منعا ولا يراني لائذا

ولست أستطيع في هذا المقام أن أصف « ابن العربي » بعبارة أبلغ من العبارة التي استطاع « جوبينو » بما امتاز به من إدراك عميق للعقلية الشرقية ، أن يكتبها عن فيلسوف آخر متأخر هو الـ « ملا صدرا » فإن كلماته عن هذا الفيلسوف تنطبق تماما على الشيخ « محي الدين » وأضرباه ، قال (١) :

« إن عنايته بتعمية أحاديثه أوجبت عليه أن يعمي كسبه أيضاً ، ومن أجل ذلك فإن قارئها يخرج منها بفكرة غير كاملة عن تعاليمه . خاصة من يقرأها »
« دون أن يستعين بخبير يعرف أسرارها ويملك ناصيتها ؛ فأما إذا تهيا له ذلك فإنه »
« ينفذ إلى قراراتها دون مشقة أو تعب . وقد توارث تلاميذه جيلا بعد جيل »
« أفكاره الحقيقية ، وأصبح لديهم مفتاح اصطلاحاته ، ولكنهم لم يستخدموه »
« للانفصاح بل استخدموه للاهتداء والاسترشاد . وأكدت التفسيرات التي »
« تناقلوها فيما بينهم قيمة كثير من مؤلفات هذا الأستاذ ، وبينت كيف تركرت »
« فيها وقت تأليفها متعة مجتمع ينتشى بالجدل ، تستهويه المعارضة الدينية ، »

(١) أنظر : Gobineau : Les Religions et les Philosophes dans l'Asie Centrale. Paris 1866 p. 88

« ويتعشق الآراء الجريئة التي يتداولها سرا، ويتحمس كثيرا للموهبات الرائعة »
« والأباطيل البارعة . »

كتاب فصوص الحكم :

قلما يصادف المرء كتاب « فصوص الحكم » دون أن يكون مقروناً بالشروح والتعليقات ولكن من المشكوك فيه أن يستطيع أحد — برغم وجود هذه الشروح وكثرتها — أن يفهم أفكاره ومعانيه... اللهم إلا إذا استعان على ذلك بواحد من قدر لهم أن يعيشوا في هذه الأودية الفكرية التي عاش فيها مؤلف هذا الكتاب واستطاع أن يستمد من ثناياها كل ما امتاز به من نشاط ذهني وفكري

ولست أعرف صوفياً آخر من متصوفة المسلمين يفوق « الشيخ محي الدين » من حيث تأثيره وغزارة إنتاجه وغموض معانيه... اللهم إلا إذا استثنينا « جلال الدين الرومي » . ولم يتهياً لأحد في أوروبا حتى اليوم أن يدرس جميع مؤلفاته ويبين مذهبه دراسة وافية كافية ؛ ولكن الفرصة ما زالت مهيأة وسانحة لأصحاب الطموح ممن يشتغلون بالعربية ويعنون بهذا النوع من خصائص الفكر الشرقي .

ولا يتسع موضوع هذا الكتاب، الذي خصصناه أساساً للأدب الفارسي، للافاضة في الحديث عن رجل لا تربطه بإيران إلا صلة واحدة محصورة في الأثر الذي أحدثته كتاباته فيها حتى اليوم . ولكننا نكتفي بأن نقول بأن « فخر الدين العراقي » كان من أشهر شعراء الفرس وكتابهم المتصوفين الذين وقعوا تحت تأثيره مباشرة ، فقد اعتاد أن يلزم مجالس « صدر الدين القونوي » عندما كان يشرح مؤلف أستاذه المتيد « فصوص الحكم » فاستوحى منه موضوع كتابة القيم « اللغات » الذي أصبح بدوره في نهاية القرن التاسع الهجري (نهاية الخامس عشر الميلادي) موضوعاً لتفسير مفصل وضعه عليه « الملا نور الدين عبدالرحمن الجاجي » بعنوان « أشعة اللغات » .

وقد قابله شاعر فارسي آخر ممن اشتهروا بين شعراء الفرس هو « أوحده الدين الكرمانى » وظل يراقبه مدة حتى أصبح من الضروري أن تقرر أنه تأثر به

بعض الشيء. وقد أصبحت أميل إلى القول بأننا إذا تعمقنا في دراسة عقلية الجيل التالي من صوفية الفرس، وهم الذين سنتناولهم بالبحث في مطلع المجلد التالي من مجلدات هذا الكتاب، اتضح لنا بجلاء أن أى شخص من الأشخاص (باستثناء جلال الدين الرومى) لم يستطع أن يؤثر في تفكير من تبعوه بقدر ما أثر « شيخ الأندلس الأكبر » في تفكير خلفائه .

وفما يلي مثل من أشعاره منقول عن كتاب « نفع الطيب » للقمرى (١) .

حقيقى همت بها	وما رآها بصيرى
ولو رآها لغدا	قتيل ذاك الحور
فندما أبصرتها	صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها	أهيم حتى السحر
ياحذرى من حذرى	لو كان يبنى حذرى
والله ما هيمنى	جمال ذاك الحفر
في حسنها من ظبية	ترعى بذات الحجر
إذا رنت أو عظفت	تسي عقول البشر
كأنما أنفاسها	أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى	في النور أو كالقمر
إن أسفرت أبرزها	نور صباح مسفر
أو سدلت غيبتها	سواد ذاك الشعر
يا قرا تحت دمي	خذى فؤادى وذرى
عيني لكي أبصرك	إذ كان حظى نظرى

(١) أظن « نفع الطيب » طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ ج ١ من ٤٠٠

ابن الفارض :

نعرض بعد ذلك للحديث عن « ابن الفارض » ، واسمه الكامل هو « شرف الدين أبوحنص عمر » وليس له كابن العربي علاقة مباشرة بإيران ولسكننا نتناوله بالحديث لأنه كان من أشهر شعراء الصوفية المسلمين وأنهمم ذكرا وأكثرهم نبوغا . ومن الواجب علينا أن نؤكد كل ذلك عنه لأن الرأي السائد في أوروبا يميل إلى الاعتقاد بأن مذهب الصوفية هو نتاج فارسي أو آري خالص ، وهو رأي معيب لا أقره بل أقول إنه لا يستقيم مع الواقع وحقيقة الأمر .

ويذكر كثير من المراجع أن « ابن الفارض » ولد بالقاهرة في سنة ٥٥٦ هـ = ١١٦٦ م أو في سنة ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م ولكن « ابن خلكان » يذكر أنه ولد في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦ هـ = ٢٢ مارس ١١٨١ م .

وتحدر أسرته من مدينة « حماة » من بلاد الشام ، ومن أجل ذلك فقد نسبوه إليها فقالوا عنه « الحموي » كما نسبوه إلى مصر فقالوا « المصري » . ولم تكن حياته مليئة بالأحداث ، وكل ما رواه أصحاب التراجم عنه عبارة عن بعض الأحداث التي لها طابع الكرامات ، وقد اعتمدوا في روايتها على ابنه « كمال الدين محمد » . وقد أمضى « ابن الفارض » شطراً كبيراً من شبابه في الخلوة في جبل المقطم بالقرب من القاهرة . وقد ترك والده قبيل مماته خدمة الحكومة وآثر الانقطاع إلى الله في الجامع الأزهر ، فلما أدركته الوفاة أطل « ابن الفارض » أوقات عزله ولزوم الخلوة في جبل المقطم . ثم حرصه بقال مجوز ، توسم فيه أنه ولي من أولياء الله أن يخرج للحج ، فلبى « ابن الفارض » دعوته وخرج من القاهرة إلى مكة حيث أقام فترة من الزمن ، لازمته خلالها دابة غامضة تدعوه عبثاً إلى امتطاء متنها في رحلاته وأسفاره . وقد ظل على هذه الحال كما يقول جامي في نفحاته (ص ٦٢٧) مدة خمس عشرة سنة ثم هتف به هاتف أن يعود إلى القاهرة ليكون إلى جوار البقال وهو محتضر على فراش الموت . وقد حكوا عن هذا البقال كثيراً من الكرامات كما حكوا بمناسبة جنازته كثيراً من الحكايات الغريبة المتعلقة بطيور الجنة الخضراء التي تسكنها أرواح الشهداء . وقد بقي « ابن الفارض » بعد ذلك الوقت في مدينة القاهرة حتى أدركته الوفاة في

اليوم الثاني من جمادى الأول سنة ٦٣٢ هـ = ٢٣ يناير سنة ١٢٣٥ م

ولم يكن « ابن الفارض » غزير الانتاج كابن العربي . ولم تزد آثاره على مجموعة من الأشعار وصفها « ابن خلكان » بأنها عبارة عن « ديوان شعر لطيف » وبأن « أسلوبه فيه رائق ظريف ينجمنحى طريقة الفقراء » . وقد أنشأ بالإضافة إلى أشعاره الأدبية جملة من الأشعار العامية التي تعرف باسم « المواليا » وضرب « ابن خلكان » مثالا من أمثلة المواليا التي قالها في غلام صنعتها الجزيرة (١) ، وهذا المثل فاز في دلالة ، لغرابة موضوعه ، ولأنه شبيه في مضمونه برباعية أخرى مروية في كتاب « تاريخ كزبده » للشاعرة الفارسية « مهستی » [بفتح الميم وسكون الهاء وفتح السين] أو « مهستی » [بفتح الميم وسكون السين] أو « مهستی » [بكسر الميم وفتح الهاء وسكون السين] .

وابن الفارض شبيه بالشيخ ، « محي الدين » من حيث أنه رأى « النبي » في أحلامه وتلقى منه تعاليمه التي ضمنها أشعاره وقد قالوا إنه لم ينشئ شعراً لم يوح إليه به ، ويقول « جامي » إنه ربما ظل في حالة وجد مدة أسبوع أو عشرة أيام لا يعي فيها شيئاً مما حوله ثم يعود إلى وعيه فيملئ ثلاثين بيتاً أو أربعين بيتاً أو خمسين بيتاً أو ما يفتح الله عليه به أثناء غيبوته . وأشهر قصائده وأطولها هي تائتته الكبرى التي تتضمن خمسين وسبعائة بيت من الشعر . ويقول « الياقبي » أنه برز في وصف الخمر والعشق في أشعاره وأن ديوانه يتضمن كل النكات الدقيقة المتصلة بالزهد والطريق والحب والحنين والوصال وما شابه ذلك من التعبيرات الفنية والعلوم الحقيقية المتعارف عليها في كتب مشايخ الصوفية . وإذا صدقنا ما رواه عنه ولده الشيخ « كمال الدين محمد » فإن ابن الفارض كان من حيث مظهره متناسق التركيب . يمتاز بطلعة جميلة

(١) المترجم : المواليا المنسوبة إلى ابن الفارض هي الآتية .

قتلو لجزار عشقتوك تشرخني قتلني ، قال : داشغلي ، تو بخني؟!
ومال إلى ، وباس رجلی ، برخني يريد ذبحي فينخني ليسخني .!!
أما الرباعية المنسوبة إلى « مهستی » فهي الآتية .

هر كارد كه از كشته خود برگيرد واندر لب و دندان چو شكر كيرد
گر بار دگر بر كاوی كشته نهد از ذوق لبني زندگي از سر كيرد

جذابة قد أشربت بحمرة ، يزداد جلالها وبهاؤها متى دخل في حالة الوجد بعد سماعه للأذكار والتضرعات ، فإذا بلغ هذه الحال فإن العرق يتصبب من جسده حتى يسيل تحت أقدامه . ويقرر « كمال الدين » بعد ذلك أنه لم ير من يشبه « ابن الفارض » جلالا لا بين العرب ولا بين العجم ، وإنه أشبه الناس به .

وأحسن طبعة أعرفها من ديوان « ابن الفارض » هي تلك التي نشرها الشيخ « رشيد بن شالب الدجداح اللباني » في مدينة باريس سنة ١٨٥٥ وقد صدرها بمقدمة للأب بارجيس Abbé Bargès أستاذ العربية في جامعة السوربون . وقد اشتملت هذه الطبعة على أشعار « ابن الفارض » وكذلك على شرحين مطولين لهذه الأشعار : أولهما لغوى صرف وقد كتبه الشيخ « حسن البيروني » ، والآخر يعني بتفسير المعاني الباطنة وقد كتبه الشيخ « عبد الغني النابلسي » .

وفيما يلي قصيدة من قصائد « ابن الفارض » تبدولى مثلأطيبا لأشعاره عامة وما يمتاز به من جمال فائق ورقة باللغة (١) :

ما بين ضال النحني وظلاله	ضل المقيم واهتدى بضلاله
وبذلك الشعب اليماني منية	للصب قد بعدت على آماله
يا صاحبي هذا العقيق قفف به	متوالها إن كنت لست بواله
وانظره عني إن طرفي عاقني	إرسال دمعى فيه عن إرساله
واسأل غزال كناسه هل عنده	علم بقلبي في هواه وحاله
وأظنه لم يدرك ذل صبايبي	إذ ظل ملتبها بعز جماله
تفديه مهجتي التي تلفت ولا	من عليه لأنها من ماله
أترى درى أنى أحن لهجره	إذ كنت مشتاقا له كوصاله
وأبيت سهرانا أمثل طيفه	للطرف كي ألقى خيال خياله
لا ذقت يوما راحة من عاذل	إن كنت ملت لقيه ولقاه

(١) المترجم : أورد « براون » ترجمة هذه القصيدة بالإنجليزية وأما نحن فقد أوردناها بينها .

فوحق طيب رضى الحبيب ووصله مامل قلبى حبه للاله
واها إلى ماء العذيب وكيفلى بحشاي لو يطفى يبرد زلاله
ولقد يجلى عن اشتياقى ماؤه شرفا فواظمأى للامع آله

ولما كان موقع الآداب العربية ثانويًا بالنسبة إلى هذا الكتاب فمن العسير علينا أن تفصل القول فيه عن هذا الشاعر النابتة الذى تذكرنا قراءة كثير من أشعاره بهذه الصورة الفكرية والمعنوية التى ردها شعراء الصوفية من الفرس . بل إننا نقرر أنه يفوق الكثير منهم قدرة وتنوعا وغنى بالتعبيرات .

وقد كتب كثير ممن تناولوا « الصوفية » بالدرس فوصفوها بأنها فى أساسها حركة آرية خالصة ، ومن أجل ذلك وجدت لزاما على أن أؤكد الحقيقة الماثلة لى الآن، وهى أن اثنين من أكبر المتصوفين كانا من أصل غير آرى ، وأقصد بهما « ابن العربى » و « ابن الفارض » وربما أضفنا إليهما ثالثاً هو « ذو النون المصرى » فى رأى صديق المستر « ر . ا . نيكلسون » أن هذا الأخير هو أول من صبغ « الزهد » بنظرية « وحدة الوجود » ونظرية « الحب الإلهى » وهما الفكرتان اللتان أصبحتا من أخص خصائص المتصوفة كما نعرف (١) .

(٢) المترجم : أحدث ما كتب عن ابن الفارض كتاب قيم أصدره الصديق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى بعنوان « ابن الفارض والحب الإلهى » (طبع القاهرة فى ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) .

الفصل التاسع

شعراء العصر المغولي الأول

- ١ — فريد الدين العطار .
- ٢ — جلال الدين الرومي
- ٣ — سعدى
- ٤ — جماعة آخرون من صغار الشعراء

إذا كان « ابن الفارض » الذى تحدثنا عنه فى نهاية الفصل السابق ، يعتبر بغير شك أكبر شعراء الصوفية لدى العرب ، فإن « جلال الدين الرومي » يفوز بهذه المرتبة العالية لدى الفرس . فهو صاحب الكتاب الصوفى الكبير المسمى بـ «المتنوى» وهو كذلك صاحب مجموعة من الغزليات تعرف باسم « ديوان شمس تبريز » . وقد لاحظنا فيما سبق ، أن « جلال الدين » يعتبر الشاعرين « سنائى » و « فريد الدين العطار » قديوته وأستاذه فى إنشاد الشعر الصوفى ، فإذا أتينا الآن وقلنا إن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم أهم دعاة المذهب الصوفى بين شعراء الفرس ، فإما نكون على حق فيما نقول . لأنه فى مثل هذه الموضوعات يجب أن يكون الحكم النهائى لأهل اللغة أنفسهم ، لأنه يصعب على الناقد الأجنبى أن ينصف فى حكمه كما ينصف الناقد الذى تربطه بالشاعر صلة القرابة واللغة . وأقد أحس أنا شخصيا عند قراءتى لأشعار « عراقى » بكثير من المتعة التى لا أحسها عند قراءة أشعار « سنائى » ولكن ذلك لا يشفع لى فى أن أرتفع برأى الشخصى لأجعله فى عداد النظريات العامة المقررة .

١ — فريد الدين العطار

« فريد الدين العطار » حاله كحال كثير من شعراء المشرق ؛ لو أنه كتب أقل مما كتب ، لاشتهر بين الخلق أكثر مما اشتهر ، ولقرأ له الناس أكثر مما قرأوا .

فمن المعروف أن عدد مؤلفاته مساو لعدد سور القرآن أي ١١٤ مؤلف ، كما يقرر ذلك « القاضي نور الله الششتري » في كتابه « مجالس المؤمنين » ولكن يبدو لي أن هذا العدد مبالغ فيه جداً لأنه لم يبق من مؤلفاته إلا قرابة ثلاثين مؤلفاً ، بعضها ليس في أيدينا ، وإنما وردت إشارات عنه في بعض كتاباته . وأهم هذه المؤلفات الكتب الآتية :

(أ) پند نامه : أي كتاب النصيحة ، وهو كتاب صغير مجمل مليء بالمواعظ الأخلاقية ، وقد طبع أكثر من مرة في بلاد الشرق .

(ب) منطق الطير : وهو منظومة رمزية ، نشرها مع ترجمة فرنسية « جارسان دي تاسي Garcin de Tasy » في باريس ^(١) سنة ١٨٥٧ وسنة ١٨٦٣ .

(ج) تذكرة الأوليا : أو تذكرة الأولياء . وقد نشر الجزء الأول منه « المستر ر . ا . نيكولسون R. A. Nicholson » في مجموعة « الكتب التاريخية الفارسية » التي أتولى بنفسى نشرها ، أما الجزء الثاني فما زال تحت الطبع ^(٢) . وقد صدره بمقدمة قيمة بالفارسية صديقي الفاضل « ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني » معتمداً في كتابتها على المعلومات الموثوق بها التي جمعها من آثار الشاعر نفسه . ولما كانت هذه المقدمة هي أدق ما كتب عن العطار ، ولما كانت للأسف لم تترجم إلى الإنجليزية ، فسأجعلها عمادى فيما أكتب عن هذا الشاعر فيما يلي من حديث .

حياة العطار :

إسمه الكامل « أبو طالب محمد » أو « أبو حامد محمد » وهو ابن « أبي بكر إبراهيم » ابن « مصطفى بن شعبان » ؛ ويعرف عادة باسم « فريد الدين العطار » وكلمة « عطار » معناها بائع العطر ، ولكن « ميرزا محمد » يثبت بأمثلة وجدها في كتابه

(١) المترجم : نشر هذا الكتاب أكثر من مرة في إيران وله طبعة لا بأس بها في اصفهان

سنة ١٣٥١ هـ .

(٢) المترجم : تم بعد ذلك طبع الجزء الثاني .

« خسرو نامه » و « أسرار نامه » أن هذه الكلمة لها معنى أوسع من ذلك، ويقول أنها أطلقت عليه لأنه كان يتولى الإشراف على دكان لبيع الأدوية حيث كان يزوره المرضى، فيعرضون عليه أنفسهم، فيصف لهم الدواء ويقوم بنفسه على تركيبه وتحضيره . ولقد تحدث عن نفسه في كتابيه « مصيبت نامه » و « إلهي نامه » فذكر صراحة بأنه ألقبها في صيدليته « داروخانه » التي كان يتردد عليها في ذلك الوقت خمسمائة من المرضى، كان يقوم على فحصهم وجس نبضهم . ويقول « رضا قلي خان » في كتابه « رياض العارفين » (١) أنه تعلم الطب على يدي « الشيخ مجد الدين البغدادي » وهو الشيخ الذي ذكرناه في نهاية الفصل السابق وأحد تلاميذ « الشيخ نجم الدين كبرى » .

أما التفاصيل المتعلقة بحياة « العطار » فلا يصح منها إلا أخبار قليلة مذكورة في كتب التراجم . وقد كتب عنه « عوفى » وهو أقدم كتاب التراجم في كتابه « لباب الألباب » مقالة قصيرة جداً (٢) ووضعه بين الشعراء الذين اشتهروا بعد زمان السلطان « سنجر » أي بعد سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م ، ويؤيد هذا القول أننا نجد « العطار » نفسه يتحدث في قصائده عن « سنجر » باعتباره ميتاً ؛ كما يؤيده أيضاً أننا نجد « اللباب » وهو مؤلف قطعا في سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م يتحدث عن « العطار » باعتباره باقياً على قيد الحياة .

وقد ولد « العطار » كما يبدو من قطعة واردة في « لسان الغيب » ، في مدينة « نيسابور » ؛ وأمضى بها ثلاثة عشر عاما من طفولته، ألزم فيها ضريح الإمام « الرضا » ثم أكثر بعد ذلك من الترحال فزار « الري » و « الكوفة » و « مصر » و « دمشق » و « مكة » و « الهند » و « تركستان » ثم عاد فاستقر في مدينته الأصلية . واشتغل تسعاً وثلاثين سنة من حياته في جمع أشعار الصوفية وأقوالهم ، وأبى طوال حياته على حد قوله « أن يلوث موهبته الشعرية بإنشاد الدائح » . وقد روى لنا أيضاً في « أشر نامه : كتاب الجمل » بأنه رأى النبي في أحد أحلامه وأن النبي باركه كما حدث ذلك تماماً لـ « ابن العربي » و « ابن الفارض » .

(١) لم يذكر لنا المصدر الذي اعتمد عليه في استقراء هذا الخبر .

(٢) أنظر « لباب الألباب » ج ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ .

ومن كتبه المتأخرة كتاب اسمه « مظهر العجائب » (١) وهو عبارة عن منظومة في مدح « علي ابن أبي طالب » وكان يلقب بهذا اللقب ؛ ويقرر « ميرزا محمد » أن هذه المنظومة تمتاز بشيئين ؛ أحدهما : امتلاؤها بالميول الشيعة الواضحة ، والآخر بضعف أسلوبها. عن مستوى أساليب كتاباته الأخرى . ويبدو أن نشر « العطار » لهذه المنظومة كان سببا لإذاعة روح السخط والغضب والتعصب لدى أحد الفقهاء السنيين من أهل « سمرقند » فإنه أمر بإحراق نسختها واتهم صاحبها بالإلحاد وأنه حقيق بالموت والإعدام . ثم أمعن في الكيد له فاتهمه بالكفر لدى « براق التركمانى » (٢) وحرص العامة على هدم منزله والإغارة على أمتعته . واضطر « العطار » بمذلك إلى أن يرحل ويلجأ إلى « مكة » حيث ألف مخطابه الأخير « لسان الغيب » . وهو عبارة عن منظومة سقيمة اشتهرت كسابقها بركاكة العبارة مما يدل على أن الشاعر كتبها وقواه خائرة وعمره متقدم وإنه قارب الفناء . ومما يجدر بنا ملاحظته في هذا الصدد أن الشاعر شبه نفسه في هذه القصيدة بـ « ناصر خسرو » الذى اضطر كما فعل « إلى أن يهجر العالم ويخفى نفسه كاليقوتة البدخشية (٣) لكيلا يقع بصره على مضطهديه ووجوههم البشعة النكراء . . . ! ! »

موت العطار :

أما تاريخ وفاة وفاة الشيخ « العطار » فقد اختلفت فيه آراء أصحاب التراجم اختلافا كبيرا . فالقاضى « نور الله الشسترى » يجعله فى سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م ، ويجعله النسخة القديمة من « فهرست المخطوطات العربية المحفوظة فى التحف البريطانى » (٤) فى سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ؛ فإذا اتينا إلى « دولتشاه » وجدناه

-
- (١) المترجم : يكتبها الأستاذ براون بفتح الميم ولكنه بعد ذلك يقول أن هذه العبارة لقب عرف به « علي ابن أبي طالب » مما يقتضى قراءتها بضم الميم .
 (٢) من سلاطة « گورخان » وأحد أمراء خوارزم « خوارزمشاه » وقد فتح « كرمان » فى سنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م .
 (٣) المترجم : أحسن أنواع اليواقيت هو ما ينسب إلى « بنخشان » .
 (٤) أنظر ص ٨٤ من هذا الفهرست .

محمد وفاته^(١) بسنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م ولكن هذين التاريخين الآخرين يتناقضان تماماً مع الخبر الذي رواه «دولت شاه» في الصحيفة السابقة متعلقاً بوفاة العطار على أيدي المغول أثناء غارتهم على مدينة «نيسابور» سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م . ومع ذلك فإن «دولت شاه» يذكر تاريخاً آخر يجعل فيه وفاة «العطار» في سنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م وهو يتفق في ذلك مع ما ذكره «تقي الدين كاشي» . أما «حاجي خليفة» و «أمين أحمد رازي» فيجعلان وفاته في سنة ٦١٩ هـ وسنة ٦٢٧ هـ . ويبدو لي أن هذا التاريخ الأخير هو أكثر التواريخ قبولا ، ويؤيدني في ذلك ثمانية من أصحاب المصادر^(٢) ولو أن «حاجي خليفة» يذكر تاريخاً آخر لوفاة العطار هو سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م .

ويتضح من ذلك أن الفجوة الواقعة بين أسبق التواريخ المذكورة عن وفاة العطار وآخرها ، هي فجوة لا يقل مداها عن ثلاث وأربعين سنة قمرية ، وهذا الفرق الواضح يجعلنا بغير شك لائق في أقوال أصحاب التراجم المتأخرين ، ويجعل لزاما علينا أن نلتزم أسانيد أخرى من أقوال الشاعر نفسه في كتاباته ، فقد نستطيع بواسطة ذلك أن نقرب بين جانبي المهوة ونقصر مسافة الفجوة . ويؤكد بعض أصحاب التراجم أن «العطار» عاش إلى الرابعة عشرة بعد المائة من عمره ، ولكن هذا القول لا يرتفع إلى مرتبة التصديق ، ومن المعروف أنه ذكر في إحدى قصائده بيتا يدل على أنه بلغ السبعين من عمره وجاوزها ، ولكننا رغم ذلك لانملك من الوسائل ما نستطيع بواسطته أن نحقق بهمدى الفترة التي عاشها بعد السبعين . ويشير «العطار» في إحدى مشوياته إلى ثورة «الأتراك الغز» في سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م . وكذلك نجد في إحدى نسخ كتاب «منطق الطير» المحفوظة في المتحف البريطاني^(٣) وكذلك في نسخة أخرى محفوظة في «إدارة الهند» قطعة شعرية تجعل تاريخ انتهاء الشاعر من نظمها هو «يوم الثلاثاء ، اليوم العشرين من شهر

(١) أنظر ص ١٩٤ من كتاب «تذكرة الشعراء» .
 (٢) أغلب هؤلاء متأخرون ، وقد قال عنهم «ميرزا محمد» أنهم يتابعون في ذلك كتاب «جاي» المروف باسم «تفحات الأنس» .
 (٣) نسخة رقم 1.227 OF.

الله سنة ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م « يضاف إلى ذلك أن «الطار» كان معاصرا للشيخ
«مجد الدين البغدادي أو الخوارزمي» وأنه كان تلميذا له كما ذكر ذلك «جامي»
في «نفحات الأنس» .

وربما استقى «جامي» هذا الخبر مما ذكره الطار نفسه في مقدمته لكتاب
«تذكرة الأولياء» (١). ومن المعروف أن الشيخ «مجد الدين» مات في سنة
٦٠٦ هـ أو سنة ٦١٦ هـ = ١٢٠٩ أو ١٢١٩ م ، أما البرهان القاطع فموجود حقيقة
في مقطوعة واردة في كتاب «مظهر العجائب» حيث يتحدث الشاعر عن الشيخ
«نجم الدين كبرى» باعتباره ميتا ، وقد تحدثنا عن هذا الشيخ في الفصل السابق
وقلنا أنه قتل على أيدي المغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م
وبناء على ذلك يمكن أن تنتهي من هذه الأبحاث بتقرير أن «الطار» كان حيا في هذه
السنة وأن مولده كان سابقا على سنة ٥٤٥ هـ أو ٥٥٠ هـ = ١١٥٠ - ١١٥٥ م؛
وأنه لا دليل إطلاقا على ما ذكره «جامي» (٢) من أن المغول قتلوه في سنة ٦٢٧ هـ
= ١٢٢٩ م ، ولا على ما ذكره «دولت شاه» في مقال مفصل عن طريقة قتله وكيف
حاول أن يمدعنا بحكايته الباطلة ، فدقق في ذكر تاريخ مقتله ، بل وذكروه على وجه التحديد
فجعلته في اليوم العاشر من جمادى الثانية سنة ٦٢٧ هـ = ٢٦ إبريل سنة ١٢٣٠ م
حتى نصدق بذلك جميع ما يقول عنه . وهناك أخبار أخرى من هذا القبيل ترددها
كتب التراجم المتأخرة ، من بينها الخبر المروي عن توبته ، وكذلك الخبر المروي عن
إضافته بركته على الطفل «جلال الدين» الذي أصبح فيما بعد مؤلف «الثنوي
المعنوي» ، وكذلك الخبر المروي عن المعجزة التي أظهرها بعد موته ليرهن بها على
قداسته ويلزم بذلك أحد منكريه...!! وفي رأي أن مثل هذه الحكايات ما هي في
الحقيقة إلا اختراعات من اتجاللات «دولت شاه» واتباعه ، وأنها غير جديرة بأن
يلتفت إليها ، ويمكن لمن يشاء الاطلاع عليها أن يرجع إلى ما كتبه «سيرجور أوزلي»

(١) أنظر ج ١ ص ٦ طبع نيكولسون .
(٢) أنظر «نفحات الأنس» ص ٦٩٩ .

في كتابه عن « أخبار شعراء الفرس » (١) وأغلب آثار « العطار » لم تطبع حتى الآن إلا طباعة على الحجر في مدينة « لكنو » في سنة ١٨٧٢م وليكني للأسف لا أملك نسخة من هذه الطبعة (٢) ويجب أن أقرر في هذا المكان أنه ما زال ينقصنا كثير من الدراسات المستفيضة المتعلقة بمؤلفات « العطار » قبل أن نجرؤ على التحدث عنها ولو حديثاً إجمالياً . فإذا أضفنا إلى ذلك أنني أكتب هذا الفصل وأنا بعيد عن المكتبات العامة التي تشتمل على مخطوطات لأهم آثاره ، فإنني أكون معذوراً إذا اضطررت إلى أن أقنع نفسي بالاكْتفاء بابتداء ملاحظات قليلة عن أهم مشنوياته الصوقية وأوسعها شهرة ، وأقصد بها مشنوية « منطق الطير » (٣) وقد أصبحت في متناول الجميع بفضل الطبعة الجميلة التي نشرها « جارسان دي تاسي » . وقد استطاع هذا الأستاذ الفاضل أن يصدر مقدمته التي كتبها على ترجمة هذه المنظومة بقصيدة تتألف من أربعة وعشرين بيتاً نقلها عن النصب الذي أقيم على مقبرته في مدينة « نيسابور » . ولكن يجب ملاحظة أن هذا النصب أقيم في زمن متأخر نسبياً أي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد أمر بينائه السلطان « أبو الغازي الحسين » الذي كان حاكماً لخراسان من سنة ٨٧٣ هـ إلى سنة ٩١٢ هـ = ١٤٦٨ - ١٥٠٦ م مما يجعل فائدة الأشعار النقوشة عليه قليلة القيمة ، وما يوفر علينا الجهد الذي تكلفه في إظهار ما بها من سقم واضطراب .

منطق الطير :

« منطق الطير » عبارة عن منظومة رمزية تبلغ ٦٠٠ بيت . وموضوعها هو بحث الطيور عن الطائر الوهمي المعروف بالعنقاء أو كما يسميه الفرس « سيمرغ »

(١) ارجع إلى: Sir Gore Ouseley: Biographical Notices of Persian Poets: London. 1846, pp. 236-243

(٢) المترجم : طبعت أغلب هذه الآثار فيما بعد في إيران والهند ومصر والبلاد الأوربية الأخرى

(٣) ليس لدى من جديد أضيفه إلى ما سبق لي ذكره عن كتابه « تذكرة الأولياء » و « بند نامه » .

و «الطيور» هنا ترمز إلى السالكين من أهل الصوفية، وأما «العنقاء» فترمز إلى «الله الحق»، وتبدأ المنظومة كما هو العادة بجملة من المدائح في حمد الله ومدح الرسول والخلفاء الراشدين الأربعة بما يدل على أن «القطار» كان إلى وقت كتابة هذه المنظومة سنيا مؤمنا بسنيته. والجزء المتعلق بالحكاية نفسها يبدأ بالبيت ٥٩٣ من المنظومة نفسها وهو يشتمل على خمسة وأربعين مقالا تنتهي بخاتمة. وتبدأ القصة بتوجيه الخطاب والترحيب بثلاثة عشر طائرا يتعقد بهم المجلس، فيقررون أنه لا بد لهم من أن يخضعوا لأنفسهم لواحد منهم يجعلونه مرشدا لهم أثناء مجئهم عن العنقاء حتى يوقفوا إلى العرش عليها. ثم يختارون «المدهد». والمدهد (كما هو معروف) مشهور جدا بين المسلمين لأنه كان رسول «سليمان» إلى «بليقيس» ملكة سبأ. ويأخذ «المدهد» في مخاطبتهم بحديث طويل ينتهي بهذه الآيات التي تمثل فيها تجلي العنقاء وظهورها^(١):

ابتدأى كار سيمرغ أى عجب جلوه گر بگنشت درچين نيمشب
 درميان چين فتاد ازوى پرى لاجرم پر شوز شد هر كشورى
 هر كسى نقشى از آن پر برگرفت هر كه ديد آن نقش كارى در گرفت
 هست آت پر در ننگارستان چين اطلبوا العلم ولو بالصين بين
 گر ننگشتى نقش پر او عيان اين همه غوغا نبودى در جهان
 چون نه سر پيداى وصفش را نه بن نيست لايق بيش ازين گفتن سخن^(٢)

ومعنى هذه الآيات بالعربية :

— ابتداء أمر العنقاء يا للعجب العجاب

إنها اجتازت بديار الصين في نصف الليل مجلوة الإهاب ... ١١

(١) الترجمة : الآيات الفارسية غير مذكورة في الأصل .

(٢) الترجمة : في نسخة اصفهان المطبوعة في سنة ١٣٥١ هـ بيت آخر يسبق هذا البيت

الأخير ونصه :

اینه آثار صنع از فر اوست نقشها جمله ز نقش پر اوست

ومعناه :

— آثار الإبداع جميعها وليدة عظمته ، وجميع الكائنات صورة من ريشته .

- فسقطت ريشة من ريشها في وسط بلاد الصين
فامتلات بالصخب والجلبة ديار العالمين ...!!
— فتوهم كل واحد صورة هذه الريشة الفريدة .
فأما من رآها من الناس ... فقد تعلق بها في لحظة وحيدة ... !!
— وهذه الريشة ... كائنة في معبد تصاوير الصين
فاطلبوا العلم ولو بالصين ، كما قال سيد المرسلين ...!!
— ولو لم تجعل نقوش هذه الريشة واضحة للعيان ،
لما وجد في هذا العالم صخب تدوى به الأركان ...!!
— ووصف هذه الريشة لا بداية له ولا انتهاء
فن الخير أن نجمل الحديث عنها ولا نكثر الأقوال والآراء ...!!

ولم تكد أنواع الطيور تصمم على الوصول إلى «العنقاء» حتى عادت فوجدت الطريق إليها طويلة متعبة ، فأخذ كل طائر منها يلتمس لنفسه عذرا من الأعذار ، فاعتذر « البلبل » بأنه مشغول بحب الوردة النضيرة ، واعتذرت « البيغاء » بأن جمالها جعلها للأقفاص أسيرة ، واعتذر «الطاووس» بادعاء الحجل والتواضع لاقران اسمه بقصة إخراج آدم من الجنة ، واعتذرت « البطة » بعدم استطاعتها البعد عن الماء؛ واعتذرت « الحجلة » بأنها لا تستطيع البعد عن الجبال والأودية ؛ واعتذرت « البجعة » بعدم استطاعتها مغادرة البحيرات الصافية ؛ واعتذرت « البومة » بعدم استطاعتها مغادرة الأماكن الخربة التي اعتادت أن ترتادها ، وأبدى طائر الـ «هما» إعجابه بقدرته على منح الملوك ألقابهم (١)، واعتذر «الصقر» بأنه لا يستطيع أن يترك مكانه الممتاز على أكف الملوك ، واعتذرت « الصعوة » بأنها ضعيفة هزيلة يقعدها الوهن والسقم ...!!

وجميع هذه الأعذار ترمز إلى الأعذار التي يبدئها الآدميون عندما يقعدون عن التماس عالم الروح ويعجزون عن المضي فيه ، وقد أخذ « المهدد الحكيم » يجيب عليها واحدا واحدا ويمثل بطائفة من الحكايات للتدليل على آرائه وأفكاره .

(١) المترجم : طائر هما طائر وهمي، تسمى الأساطير بأن ظله إذا وقع على . أصبح ملكا.

ثم يأخذ « الهدهد » بعد ذلك في وصف الطريق الخطرة التي يجب على الطيور اجتيازها حتى يصلوا إلى الـ « سيمرغ » ، ويمرض أثناء ذلك إلى حكاية طويلة تتعلق بالشيخ « صنعان » الذي أغرم بفتاة مسيحية غراما شديدا ، وعرفت الفتاه حبه لها فأمنعت في غيها وتيسرها ، واضطرتة إلى إطعام خنازيرها ، مما جعل أصدقاءه وتلاميذه يتسكرون له وينكرونة. وتقرر الطيور عند ذلك أن تخرج في رحلة بقيادة « الهدهد » للبحث عن الـ « سيمرغ » ولكنها سرعان ما تلتمس الأعذار أو تقيم العقبات حتى يأخذ « الهدهد » من جديد في الإجابة على أذارها مؤيدا إجابته بطائفة من الحكايات والنكات . وهنا نجد تفاصيل هذه الأعذار التي ذكرها اثنان وعشرون ظائرا مقترنة بإجابة « الهدهد » على كل واحد منها . ثم تأخذ بقية الطيور في سيرها للبحث عن الـ « سيمرغ » حتى إذا سلكت « أودية السلوك السبعة » ومرت على التوالي بـ « وادي الطلب » و « وادي العشق » و « وادي المعرفة » و « وادي الاستغناء » و « وادي التوحيد » و « وادي الحيرة » و « وادي الفقر والفناء » واستطاعت بمجاهداتها الطويلة أن تتطهر من أدران النفس والجسد، وجدت في النهاية طلبها أي « السيمرغ » وحققت بوجوده وجودها . والآيات التي تمثل لنا هذه النهاية آيات عجيبة ، تمثل لنا تمثيلا حسنا لفكرة الصوفية المتعلقة بـ « الفناء في الله » وفيما يلي ترجمة حرفية لواحد وعشرين بيتا منها (١) :

(١) المترجم : فيما يلي نس هذه الآيات نقلا عن نسخة «اصفهان» سنة ١٣٥١ .

جان آنمرغان ز تشوير وجيا	شد فنای محض وتن شد توتیا
چون شدند از کل کل پاک آنهمه	یافتند از نور حضرت جان همه
باز از سر بنده نوجان شدند	می ندانستند این تا آن شدند
کرده ونا کرده دیرینه شان	پاک گشت و محو شد از سینہ شان
آفتاب قربت از ایشان بتافت	جله را از پرتو آن جان بتافت
هم ز عکس روی سیمرغ جهان	چهره سی مرغ دیدند آرزمان
چون نگه کردند آن سی مرغ زود	پیشک این سی مرغ آن سیمرغ بود
در تحریر جلہ سرگردان شدند	این ندا نسند تا خود آن شدند
خوبشرا دیدند سیمرغ تمام	بود خود سیمرغ سی مرغ تمام
چون سوی سیمرغ کردندى نگاه	بود خود سی مرغ در آن جایگاه
ور بسوی خویش کردندى نظر	بود این سی مرغ ایشان آن دگر =

- وأصبحت روح تلك الطيور بما أصابها من عناء وحياء
فناءً محضاً... كما أصبحت أجسادها هباءً... !!
- فلما تطهرت من «كل الكل» جميعها على السواء
ظفرت بالروح والحياة ثانية من نور الله ذي البهاء... !!
- وعادت ثانية فأصبحت خدماً تجددت فيهم الأرواح
ولم يعلموا بذلك حتى أصبحوا على هذه الحالة من الفلاح... !!
- وأنمحي ما صنعوه... وما لم يصنعوه... في أيامهم الأخيرة
وأنمحي عن صدورهم كل ما اقترفوه من جريرة... !!
- وأضاءت شمس القرب من عندهم في جلاء وبهاء
فاستنارت أرواحهم جميعاً بما لها من ضياء... !!
- وانعكست صورة هذا «السيمرغ» في هذا الأوان...
فبدت صورة «الثلاثين طائراً»... ورأوها في هذا الزمان... !!
- فلما نظر في عجلة هؤلاء الطيور الثلاثين [سى مرغ]...
كان أمامهم جميعاً طلعة «السيمرغ» الأمين... !!
- فدارت رؤوسهم جميعاً وظلوا في حيرة واضطراب...
ولم يدروا بذلك حتى أصبحوا فيما هم فيه من أمر عجاب... !!

هر دو يك سيمرغ بودی بیش و کم
در همه عالم کسی نشنود این
بی تفکر در تفکر مانند
بیزبان کردند از آنحضرت سؤال
حل مائی وتوتی در خواستند
کاینه است آنحضرت چون آفتاب
جان و تن هم جان و تن بیند در او
سی در این آینه پیدا آمدید
پرده از خویش بکشایند باز
خویشرا دیدید و خودرا دیده آید

ور نظر در هر دو کردندى بهم
بود این يك آن وآن يك بود این
آئمه غرق تحیر مانند
چون ندانستند هیچ از هیچ حال
کشف این سر قوی در خواستند
بیزبان آمد از آنحضرت جواب
هرکه آید خویشتن بیند در او
چون شما سى مرغ اینجا آمدید
گر چل و پنجاه وشصت آیند باز
گرچه بسیاری بسر گردیده آید

- وظنوا أنفسهم الـ « سيمرغ » بلا اختلاف . .
- وظن الـ « سيمرغ » نفسه الثلاثين طائراً [سى مرغ] في ائتلاف ..!!
- فلما نظروا إلى الـ « سيمرغ » وأمعنوا النظر
- كان في مكانه ثلاثون طائراً [سى مرغ] يقع عليهم البصر...!!
- فلما نظروا إلى أنفسهم ... وأمعنوا فيها التدقيق ...
- كانوا الثلاثين طائراً [سى مرغ] وكانوا « السيمرغ » على التحقيق...!!
- فلما نظر الطرفان كل منهما إلى الآخر ...
- كان كلاهما هو « السيمرغ » بغير زيادة أو قصر ... !!
- فكان هذا هو ذلك بعينه ... وكان ذلك هو هذا بعينه ...
- فهل سمع بهذا أحد في العالم .. أو أصغى إليه بأذنه ..؟!
- فبقوا حياً في تعجب واضطراب وتحير ...
- وظلوا جميعاً ... من غير تفكير ... يديمون التفكير ...!!
- فلما لم يعرفوا شيئاً قط عن هذه الحال . .
- أخذوا بغير لسان يسألون هذه « الحضرة » عن هذا الأمر المحال...!!
- وطلبوا كشف هذا السر الحقي المكين ...
- وحل الطلاسم عما نكون نحن ...؟ وما تكونون ...!!
- فأجابت هذه « الحضرة » بغير مقال أو لسان ...
- إنها كالشمس مرآة ذات ضياء ولمعان ... !!
- وكل من يقبل عليها يرى نفسه ظاهراً في صفحتها ...
- ويرى الروح روحاً . . والجسد جسداً في لوحها ...!!
- فلما أتيت إليها ثلاثين طائراً على التمام ...
- ظهرتم فيها ثلاثين طائراً في انتظام ...!!
- ولو أتى إليها أربعون ... أو خمسون ... أو ستون ...
- لكشفوا كذلك الحجاب الذي يحجبهم أجمعين ...
- ولو أضفتكم إلى أنفسكم أكثر من ذلك بكثير...!!
- لرأيتم أنفسكم .. ولما رأيتم غير أنفسكم ... وهذا أمر يسير ...!!

٢ - جلال الدين الرومي

اسمه « جلال الدين محمد » ولكنه اشتهر فيما بعد بلقبه الذي عرف به وهو « مولانا جلال الدين الرومي » نسبة إلى بلاد الروم أو آسيا الصغرى حيث قضى الشطر الأكبر من حياته . وهو يعتبر - بغير شك - أشهر شعراء الصوفية الذين أخرجتهم إيران ؛ كما أن كتابه الصوفي المعروف باسم « المثوى » جدير بأن يوضع في صف الملاحم الكبرى التي جاد بها الزمان .

هياة مهمل الدين

ولد « جلال الدين » في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤ هـ = ١٢٠٧ م . ولم يكد يمضي وقت طويل على ولادته حتى اضطر والده « محمد بن الحسين الخطيبي البكري » المعروف عادة باسم « بهاء الدين ولد » إلى الرحيل عن موطنه والمهجرة غربا نتيجة للاضطهاد الذي لقيه من « علاء الدين محمد خوارزمشاه » - كما تذكر القصة المعروفة - وسار الوالد حتى اجتاز مدينة « نيسابور » في سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١٢ م وزار هنالك الشيخ « فريد الدين العطار » ويقال أن هذا الشيخ أخذ الطفل « جلال الدين » بين ذراعيه وبشره بمستقبل عظيم ثم باركه وأعطاه نسخة من منظومته « إلهي نامه » . ثم انصرف المهاجرون عن « نيسابور » فرحلوا إلى « بغداد » ثم إلى « مكة » وخرجوا من هنالك إلى مدينة « ملطية » حيث أقاموا أربع سنوات ، ثم غادروها إلى مدينة « لارنده » التي تعرف الآن باسم « قرمان » فأقاموا بها سبع سنوات ثم غادروها إلى مدينة « قونية » التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي « علاء الدين كيقاد » وهنا يستقر بهم المقام ويموت « بهاء الدين » والد « جلال الدين » في سنة ٦٢٨ هـ = فبراير سنة ١٢٣١ .

وكان « جلال الدين » وهو في مدينة « لارنده » قد قارب الواحدة والعشرين من عمره ؛ فتزوج هنالك فتاة اسمها « جوهر خانوم » ابنة « لالا شرف الدين السمرقندي » . وقد أنجبت له ولدين ؛ أحدهما « علاء الدين » والآخر « بهاء الدين سلطان ولد » . فأما أولهما فقد قتل في مدينة « قونية » أثناء الفتنة التي حدثت بها وقتل خلالها « شمس الدين تبريزي » الذي يعتبر المرشد الروحي لـ « جلال

الدين الرومي» ؛ وأما الأخرى «بهاء الدين سلطان ولد» فقد ولد في سنة ٥٦٢٣هـ = ١٢٢٦ م وفاز بشهرة عريضة لأنه يعتبر صاحب أول منظومة مازالت في أيدينا من أمثلة الأشعار «التركية الغربية» المبكرة ، وتقصد بها مثنويته المعروفة باسم «رباب نامه» التي تشتمل على ١٥٦ بيتا ، وقد استطاع المرحوم «إ. ز. و. جب» أن يترجم نظما إلى الإنجليزية شطرا كبيرا من هذه المثنوية وأن يترجم كذلك طائفة من «الغزليات» التي أنشأها صاحبها ، وأضاف إلى هذه الترجمات كثيرا من التفاصيل المتعلقة بهذه الأشعار ، وكثيرا من الأخبار المتعلقة بناظمها وبوالده (١).

ويبدو أن «جلال الدين» فقد زوجته الأولى فتزوج بعد وفاتها زوجة أخرى أنجبت له طفلين آخرين أحدهما ذكر والآخر أنثى . فلما كانت سنة ٥٦٧٢هـ = ١٢٧٣ م توفي «جلال الدين» ودفن في نفس الضريح الذي ضم رفاة والده ، وهو الضريح الذي شيده في سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣١ م سلطان «قونية» «علاء الدين كيقباد السلجوقي» (٢).

ويخيل إلى أن «جلال الدين» ظل يدرس العلوم المتعارف عليها مع والده حتى أدركته الوفاة في سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣١ م ثم رحل بعد ذلك إلى «حلب» و«دمشق» طلباً لاستيفاء الدرس والتحصيل ، فتلقى هناك بواحد من تلاميذ أبيه هو «الشيخ برهان الدين الترمذى» ودرس عليه «أسرار الطريقة» فلما توفي هذا الشيخ انتقل إلى الشيخ «شمس الدين التبريزي» المعروف باسم «شمس تبريز» فتلقى عليه تعاليم الصوفية. ويصف «نيكلسون» هذا الشيخ بأنه «شخصية غامضة تندثر بلباد أسود خشن ، تضوى لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة وفي سرعة فائقة» (٣) ويقال عن هذا الشيخ العجيب بأنه من أبناء «جلال

(١) أنظر : E. J. W. Gibb : History of Ottoman Poetry, vol. I, : pp. 141—163 .

[الترجم : طبع «ديوان سلطان ولد» في استانبول سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٤١ م ضمن «الأنار المولوية في أدوار الساجوقية» .]

(٢) للاطلاع على وصف هذا الضريح إرجع إلى الفصل العاشر من كتاب :

J. Huart : Konia, la ville des Derviches Tourneurs. (Paris, 1897) pp. 194—211,

(٣) إرجع إلى ص ١٨ من مقدمة كتاب «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز»

R.A. Nichol son: Selected Odes from the Diwan—i—Shamsi—Tabriz

الدين « اللقب بلقب « نو.مسلمان » (١) الذى كان زعيماً « للحشاشين » ، ثم انقلب عليهم بسبب غيرته على الإسلام ، كما تحدثنا عن ذلك فيما سبق من صفحات (٢) وقد اشتهر «شمس تبريز» بكثرة تنقلاته وسرعة تجولاته بحيث لقبوه بلقب « برنده » أى « الطائر » ويصفه «ردهاوس Redhouse» (٣) بأنه «شخصية عاتية مسيطرة» ولكن «سبرنجر Sprenger» (٤) يقول على عكس ذلك « إنه فظ غليظ القلب مكروه الطباع » أما « نيكلسون Nicholson » فقد أجاد في إجمال صفاته في عباراته التى قال فيها : « إنه كان إلى حد ما أمياً ، ولكنه امتاز بحماس روحى شديد ، مصدره الفكرة التى استولت عليه فجعلته يتخيل إنه مبعوث العناية الإلهية ، وقد استطاع بواسطة ذلك أن يسيطر على كل من قدم عليه أو دخل في مجلسه . وهو من هذه الناحية ومن نواح أخرى متصل بحبه المتقد ، وقره اللدقع ، وموته العنيف ، شبيه كل المشابهة بالفيلسوف «سقراط» ، فكلاهما استطاع أن يفرض نفسه على أذكى الناس بقدرته على تصوير أفكارهم البسيطة في تعبير فى رائع ، وكلاهما استطاع أن يكشف لنا عن خطل العلوم الظاهرة ، وعن شدة حاجتنا إلى التقف والتنور وعن قيمة الحب في حياتنا ، وأن الانفعالات الشاردة والتحديات الجاهلة للقوانين الإنسانية إنما تؤدي إلى فقد « الأتزان العقلى » و« السمو الأخلاقى » اللذين هما مقياس التمييز بين الحكيم وللاريد (٥) . »

ويقول « شمس الدين أحمد الأفلاكي » في كتابه « مناقب العارفين » (٦) إن «جلال الدين» تعرف إلى هذه الشخصية الغامضة في مدينة قونية في شهر رجب ٦٤٢هـ ديسمبر سنة ١٢٤٤ م وكان قبل ذلك قد رآه في دمشق ولكنه لم يتحدث معه ، ثم

(١) المترجم : بمعنى « السلم الجديد » .

(٢) ارجع إلى ص ٥٧٨ من هذا الكتاب .

(٣) أنظر ص ١٠ من المقدمة التى كتبها وترجمته الانجليزية للكتاب الأول من «التنوى»

(٤) أنظر : Sprenger ; Catalogue of the Oudh Mss. p. 490

(٥) أنظر ص ٢٠ من مقدمته لكتاب Selected Odes etc

(٦) ترجم منه جزء كبير نشر بعنوان « Acts of the Adepts » في مقدمة الترجمة

المنظومة التى نشرها « ردهاوس » للكتاب الأول من « التنوى » .

ازدادت صلته به واستمرت الألفة بينهما مدة تقرب من خمسة عشر شهراً، انتهت فجأة في ذى القعدة سنة ٦٤٤ هـ = مارس سنة ١٢٤٦ م بمقتل «شمس تبريز» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ويقول «أفلاكي» بالإضافة إلى ذلك أن «جلال الدين» قرر تخليداً للذكرى صديقه القتيل أن يرتدى اتباعه «الزى المولوي» المكون من القلنسوة الطويلة المصنوعة من اللباد البني ومن العباءة السوداء الفضفاضة؛ وهو الزى الذي ما زال دراويش المولوية يرتدونه حتى الآن (١) كما قرر عليهم أيضاً هذه الرقصات الدائرة التي جعلتهم يعرفون لدى الأوروبيين باسم «الدرراويش الراقصين» ومع ذلك فقد ذكر «أفلاكي» في صفحات نالية من كتابه (ص ٢٧ - ٢٨) أموراً أخرى عزى إليها سبب فرض الغناء والرقص على هؤلاء الدراويش.

ولا يعرف على وجه التحقيق التاريخ الذي بدأ فيه «جلال الدين» نظم مؤلفه الصوفي الكبير «الثنوي المعنوي» وهو عبارة عن «مثنوية» تشتمل على ستة كتب (٢) تتضمن في مجموعها - كما يقول «أفلاكي» - ٢٦٦٦٠ بيتاً عن الشعر، والمعروف أن «جلال الدين» بدأ ينظم الكتاب الثاني من المثنوية في سنة ٥٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م بعد سنتين من فراغه من نظم الكتاب الأول، لأنه شغل في هذه الفترة بوفاة زوجة تلميذه المقرب وكتابة الخصوصى «حسن حسام الدين»، وعلى ذلك يمكن أن نقرر مطمئنين أنه فرغ من نظم الكتاب الأول في سنة ٥٦٦١ هـ = ١٢٦١ م ولكن لا حيلة لنا إلى تحديد الفترة التي استغرقها نظمه، وإن كان من المحتمل أنه بدأه بعد فترة طويلة من مقتل «شمس تبريز» وأنه لم ينته من سائر الكتاب إلا في سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م حينما أدركته الوفاة (٣) ومن المحتمل أيضاً أن تأليف هذا الكتاب استغرق فترة تزيد على عشر سنوات. ويبدأ كل جزء من الأجزاء الخمسة الأخيرة من الكتاب بنصيحة يوجهها المؤلف إلى «حسن حسام الدين بن

(١) المترجم: اختفى هذا الزى الآن بسبب إلغاء تكايا المولوية في تركيا ثم في مصر.
 (٢) قد يقابل الباحث كتاباً سابغاً، ولكنه بغير شك منتهج. وقد طبع هذا الكتاب السابع على الحجر في بلاد الشرق.
 (٣) مات «جلال الدين» على وجه التجديد في مغرب يوم الأحد ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٧٢ هـ = ١٦ ديسمبر سنة ١٢٧٣ م. أنظر أيضاً كتاب «ردهاوس» ص ٩٦.

أخى ترك» كما أن المؤلف لم ينس أن يذكر لنا في مقدمته المكتوبة باللغة العربية للجزء الأول بأنه ألفه استدعاء لهذا الحسن واستيحاء منه . ولما كنا نعرف أن هذا «الحسن» اشتغل كاتباً خاصاً لـ «جلال الدين» بعد موت «صلاح الدين فريدون زركوب» (١) في سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م فمن المحتمل أنه بدأ «الثنوى» بعد ذلك التاريخ مباشرة .

ونحن في غنى عن أن تفصل الحديث أكثر من ذلك فيما يتعلق بحياة «جلال الدين» وسيرته لأن أصدق الأخبار الروية عنه وأكثرها تفصيلاً برويها لنا «أفلاكي» في كتابه «مناقب العارفين» وهو الكتاب الذي ترجم بعض فصوله الأستاذ «ردهاوس» . ومن الحق أن نعرف في هذا الصدد بأن أكثر الكرامات الروية في هذا الكتاب عن «جلال الدين» وأسلافه وأتباعه لا يمكن أن يتصورها العقل ، كما أن هناك مواضع غير قليلة بها أخطاء تاريخية وموضوعية ، ولكن ذلك جميعه لا يقلل من قيمة الكتاب إذا راعينا أن صاحبه بدأ تأليفه بعد خمس وأربعين سنة فقط من وفاة «مولانا جلال الدين» أي في سنة ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م ؛ وأنه انتهى منه في سنة ٨٧٤ هـ = ١٣٥٣ م ؛ وأن صاحبه كان تلميذاً لـ «جلال الدين» يعيش معه في مكان واحد ، ويستقى أخباره من أوثق المصادر وأكثرها صحة واعتماداً ، بناء على أمر أحد أحفاد «جلال الدين» المسمى بـ «چلي أميرعارف» ابن «بهاء الدين سلطان واد»

ديوان شمس تبريز :

أما أشعار «جلال الدين» الغنائية أو الغزلية فيتضمنها ديوانه المعروف باسم «ديوان شمس تبريز» . ويقول «نيكسون» أن «دولت شاه» يقرر أن «جلال الدين» أنشأها في فترة غياب «شمس تبريز» في مدينة «دمشق» ؛ بينما يقرر «رضا قلي خان» أن «جلال الدين» كتبها رثاء آله بعد مقتله . ورأى «نيكسون» الخاص (وهو أقرب الآراء من الصواب) هو «أن جزءاً من هذا الديوان قد تم إنشاؤه أثناء حياة

(١) «زركوب» كلمة فارسية معناها «دقان الذهب» .

«شمس تبريز» ولكن أكرهه لم يتم إلا بعد موته بفترة من الزمن . وهو يضيف إلى ذلك : أن جلال الدين قد ألف أيضاً رسالة منشورة عنوانها « فيه ما فيه » تشتمل على ثلاثة آلاف بيت وقد أهداها لشخص اسمه « معين الدين » حاكم الروم المعروف بلقبه « پروانه » (١) .

قيمة المتنوى

وأشعار «الثنوى» و «الديوان» تعتبر من أرقى الأشعار ، وقد تعارف أهل إيران على تسمية «الثنوى» بالقرآن الهلوى ويقصدون بذلك القرآن الفارسي . كما أن صاحبه كتب في مقدمته العربية التي ألحقها بالكتاب الأول منه : « إن الثنوى هو أصل أصول أصول أصول الدين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر ، وشرع الله الأزهر ، وبرهان الله الأظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق إشراقاً أنور من الإصباح ، وهو جنان الجنان ، ذو العيون والأغصان ، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسيلا ، وعند أصحاب القمامات والكرامات خير مقاماً وأحسن مقبلاً ، الأبرار فيه يأكلون ويشربون ، والأحرار منه يفرحون ويطربون ، وهو كئيل مصر شراب للصابرين ، وحسرة على آل فرعون والكافرين ، كما قال يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ... » .

والثنوى منظوم برمته على وزن الرمل المسدس المحذوف ، فتكرر تفصيلته «فاعلاتن» ست مرات في كل بيت من الأبيات ، ولكنها في نهاية كل شطر تكون محذوفة النون أي «فاعلات» . وكل بيت من الأبيات تتقفي شطرته الأولى مع شطرته الثانية كما تدل على ذلك تسميته بالثنوى . وهو يتضمن عدداً من الحكايات المتداولة تتعلق بمختلف الموضوعات ، والأغراض ؛ بعضها مليح مترن ، وبعضها قبيح مستهجن ، وهي جميعها موزعة في مختلف الأبواب الصوفية أو الكشفية التي لا يفهم المقصود منها بسهولة ووضوح ؛ أما الأجزاء القصصية من «الثنوى» فعلى العكس من ذلك مكتوبة في لغة بسيطة واضحة لا يشوبها إلا بعض الخصائص اللغوية واللفظية .

ويمتاز «الثنوى» بالإضافة إلى ذلك بأنه يبدأ مباشرة في الموضوع دون أن يصدر بالتصدير التقليدي المتعلق بمدح الله والرسول والأنبياء . فيبدأه «جلال الدين»

(١) المرجع : هذه الرسالة مطبوعة على الحجر .

بالمقطوعة المشهورة الجميلة التي ترجمها الأستاذ المرحوم «إ. ه. بالمر» ونشرها بعنوان «أغنية الناي»^(١) وهو كتاب صغير لم يقدر له أن ينتشر بقدر ما يستحق، ويتضمن ترجمات ومنشآت منظومة مختلفة. ولا يقتصر على ترجمة المنظومة الافتتاحية من المتنوى المعروفة بـ «أغنية الناي» بل يتعداها إلى غيرها من الحكايات المذكورة في الكتاب الأول من المتنوى. وقد ترجمها «بالمر» بتصرف شديد، ولكنه استطاع مع ذلك أن يحتفظ بروحها ومعانيها الأصيلة بحيث يمكنني أن أعتبرها من أروع الترجمات التي صادفتها في نقل الأشعار الفارسية إلى اللغة الإنجليزية.

مترجمو جهل الربيع إلى الإنجليزية :

وقد انفرد «جلال الدين الرومي» من بين سائر شعراء الفرس بعناية مترجمة من الإنجليزية. فبالإضافة إلى «أغنية الناي» التي ذكرناها فيما سبق، توجد ترجمة منظومة للكتاب الأول من المتنوى قام بها «السير جيمس ردهاوس Sir James Redhouse» ونشرها «تروبرنر Trubner في المجموعة الشرقية»^(٢) التي تتضمن أيضاً بين أعدادها مجلداً آخر هو عبارة عن مختصر للمنظومة كلها. يشتمل على مقتطفات منها ترجمتها ثراً للمستر «إ. ه. هوينفيلد E. H. Whinfield» وقد استطاع هذا المترجم ترجمته لهذه المقتطفات وترجمته التي قام بها لكتاب «كلشن راز» للشيخ «عمود الشبستري» أن يؤدي لنا أجل الخدمات لدراسة التصوف في إيران وتفسير نصوصه ومتونه.

ولم يفد المترجمين الإنجليزية النظر إلى ديوان «جلال الدين» . وفي رأبي أن الكتاب الذي نشره «المستر نيكلسون» في كامبردج سنة ١٨٩٨ بعنوان «قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز» مع نشر الأصل والترجمة وإضافة المقدمات والتعليقات والفهارس، يعتبر من أبداع الدراسات وأكثرها أصالة في هذا الموضوع

(١) أنظر: E. H. Palmer : Song of the Reed.

(٢) أنظر: Messrs Trubner ; Oriental Series

(٣) عنوان هذا الكتاب بالإنجليزية هو :

R. A. Nicholson : Selected Poems from the Divan i shams-i-Tabriz Cambridge 1898 .

تقد تمكن بواسطة خبرته وتخصه من أن يفحص الصلات التي اعتقد وإياه إنها قائمة بين تعاليم « الصوفية المسلمين » وأصحاب « الأفلاطونية الحديثة » في الاسكندرية، وأن يبرهن على قيام هذه الصلات فعلا. وقد أدى هذه الدراسة بقدره محجبة كما تشهد بذلك مقدمته على « القصائد المختارة » ولكنه مازال يتابعها ويكمل أبحاثها في مؤلفات أخرى. وقد استطاع بنشره لكتاب « تذكرة الأولياء » من تأليف الشيخ « فريد الدين العطار » الحصول على كثير من المعلومات الجديدة المقيمة (١)، وهو يخبرني بأنه أصبح الآن يميل إلى أن ينسب نشأه الناحية الفلسفية من مذهب التصوف إلى « ذواتون المصري » وحده، ولا شك أن هذا الرأي إذا ثبتت صحته سيكون عظيم الخطورة والأهمية لأنه سيرهن على وجود الحلقة المفقودة التي تربط « الصوفية » بمدرسة الاسكندرية الفلسفية (٢).

ووجود هذه الترجمات الكثيرة التي ذكرتها في متناول الأيدي، يحتم على ألا أكثر من ضرب الأمثلة من مؤلفات « جلال الدين الرومي » ؛ وعلى ذلك سأكتفي بأن أقدم للقارئ مثلا واحداً اخترته من « المنثوى » وغزليتين أخذتهما من « الديوان » أما اللؤلؤ الأول فمأخوذ من قصة الوزير « اليهودي » المذكورة في الكتاب الأول من المنثوى. وللقارئ أن يقارن بين ترجمتي التي أسوقها في السطور التالية وبين الترجمة التي قام بها « بالمر » في كتاب « أغنية الناي » ص ٢٤ - ٢٥ والترجمة التي قام بها « ردهاوس » في ص ٢٩ - ٣١ من كتابه (٣).

(١) المترجم : عندما كتب « براون » هذا الجزء لم يكن نيكلسون قد نشر إلا الجزء الأول من « تذكرة الأولياء » وأما الجزء الثاني منها فكان معدا للطبع ، وقد تم بعد ذلك طبع هذا الجزء ضمن مجموعة « النصوص الفارسية التاريخية » التي قام بنشرها « براون » بعنوان : (Persian Historical Texts Series)

(٢) المترجم : استمر الأستاذ « نيكلسون » في هذه الأبحاث حتى أدركته الوفاة في سنة ١٩٤٨ وقد استطاع قبل وفاته أن ينشر كثيراً منها وأن يتم نشره وترجمته للمنثوى برمته فوق ذلك في سنة مجلدات طبعت منذ سنة ١٩٢٥ في « سلسلة جب التذكارية » .

(٣) المترجم : هذا بالطبع لفائدة القارئ الإنجليزي ، أما القارئ العربي فإني أنفص لفائدته النص الفارسي مع ترجمته العربية . وفيما يلي أصل الأبيات الفارسية :

هر شبی از دام تن ارواح را . می رهانی می کنی الواح را =

- أنت... في كل ليلة من الليالي ... تدع هذه الأرواح
وتخلصها من محبس الأجساد... وتزج عنها هذه الألواح...!!
- فتحرر هذه الأرواح في كل ليلة من أقفاس الأجساد
وتحرر من الأحكام والأقوال وأفعال العباد...!!
- وفي الليل... لا يدري «المحبسون» شيئاً عن «السجن» الذي هم فيه
وفي الليل... لا يدري السلاطين شيئاً من أمر الحكم والعز والتهيب...!!
- وفي الليل... يتمتع التفكير في الربح والخسران
وفي الليل... يتمتع التفكير في أمر فلان أو فلان...!!
- وحال «العارف» هي هذه الحال تماماً... دون غفلة أو منام
و«هم رقود» كما قال تعالى، فلا تجفل من هذا الكلام
[انظر سورة «الكهف» آية ١٧ حيث يقول تعالى: وتحمسهم أيقاظاً وهم رقود]

فارغان از حکم وگفتار وقصص
شب ز دولت بی خبر سلطانان
نی خیال این فلان و آل فلان
گفت ایزد: هم رقود زین مرص
چون قلم در پنجهٔ تقلیب رب
فعل پندارد بچینش از قلم
خلق را هم خواب حسی در ربود
روحشان آسوده وابدانشان
جمله را داد ودر داور کشی
جمله را در صورت آرد زان دیار
هر تنی را باز آبتن کند
سر النوم أخو الموت این
بر نهد بر پاش پابند دراز
وز چرا گاه آردش در زیر بار
حفظ کردی یاجو کشتی نوح را
وارهیدی این ضمیر وچشم وگوش
پهلوی تو پیش تو هست این زمان
مهر بر چشمت و بر گوشت چه سود

می رهند ارواح هرشب زین قفس
شب ز زندان بی خبر زندانیان
نی غم واندیشهٔ سود وزیان
حال عارف این بود بی خواب هم
خفته از احوال دنیا روز و شب
آنک او پنجهٔ نبیند در رقم
شمه زین حال عارف و نمود
رفته در صحرای بی چون جانسان
وز صفیری باز دام اندر کشی
فالق الإصباح اسرافیل وار
روحهای منبسطرا تن کنند
اسب جانهارا کند عاری ز زین
لیک بهر آنک روز آیند باز
تا که روزش وا کند زان مرغزار
کاش چون أصحاب کف این روح را
تا زین طوفان بیداری و هوش
ای بسا أصحاب کف اندر جهان
غار با او یار با او در سرود

- والعارف راقد في غفلة عن أحوال الدنيا أثناء الليل والنهار وهو كالقلم في «قبضة» ربه يقبله كما يختار ... !!
- فالذي لا يستطيع أن يرى «القبضة» عند الكتابة والتحرير يظن أن حركة القلم نفسه هي التي تحدث الرقم والتسطير...!!
- وقد أبدى «العارف» شيئاً مما يتصل بهذه الحال واسكن النوم الحسى سلب ألباب سائر الخلق والرجال
- فذهبت أرواحهم إلى صحراء العدم والفناء واستقرت هي وأبدانهم في راحة وهدوء على السواء...!!
- ثم إذا أنت بصفير واحد تطوى الشباك والشراب وتدعوهم جميعاً إلى الحساب ... وإلى لقاءك!!
- وكإسرافيل يدعوهم فالتق الإصباح [أى الله. انظر سورة الأنعام آية ٩٦]
- من هذه الديار ، فيلبسهم صورهم التي كانت لهم ويجعل لهذه الأرواح النبسطة الشفافة أجسادا ويجعل كل جسد منها محملاً بروحه
- وفي الليل يعرى جواد الروح من سرجه وهذا هو سر قولهم : « إن النوم هو أخو الموت »
- ولما كانت الأرواح تعود في أثناء النهار فإنه قد كبلها بقيود ثقيلة طويلة
- حتى يسترجمها أثناء النهار من هذه المروج البانعة
- وحتى يسترجمها من مراعيها ، ويحميها الأحمال النافعة
- فيألتها حفظ هذه الروح كما حفظ أصحاب الكهف
- وبألتها حفظ هذه الروح كما حفظ سفينة نوح ...!!
- حتى يتمكن الضمير وتمكن الأعين والآذان
- أن تتخلص من طوفان اليقظة والعقل والأثران ... !!
- وما أكثر مافي الدنيا من رجال يشبهون أصحاب الكهف وهم أمامك ... وإلى جوارك ... وموجودون في كل زمان ...!!

— وهم في النار ومعهم الأحبة الأخيار ... وهم يتخون بأعذب الإنحان
ولكن ما الفائدة وقد ختم الله على بصرك وصمعت الأَبصار وانسدت الآذان

ديوانه شمس تبريز :

وأهل الشرق لا يقرأون ديوان « جلال الدين الرومي » أو يدرسونه كثيراً كما يفعلون بالثنوى . ولكن بعض المستشرقين الأوروبيين يجعلون الديوان أعلا مرتبة من «الثنوى» من ناحية صياغته الشعرية ومعانيه المتكررة. وقد كان هذا الرأي - وفقاً لما جاء في إحدى الحكايات التي ذكرها الأفلاكي في كتابه (١) - رأى جماعة من أكبر الأدباء الذين عاصروا « جلال الدين » نفسه ، ويدخل في عدادهم الشاعر الكبير «سعدى»؛ فقد ورد الخبر بأن أمير شيراز أرسل إليه أن يتقى له أطيب غزلية في الشعر الفارسي وأن يراعى في اختيارها أن تكون ممتازة بأسمى الأفكار وأعلا المعاني ، فاختر «سعدى» غزلية من ديوان «جلال الدين» وقدمها إليه قائلاً : إن جمال الكلمات التي صيغت فيها هذه الغزلية جعلتها بحيث لم يستطع أحد في الماضي أن يقول مثلها ولن يستطيع أحد في المستقبل أن يبلغ مبلغها ، وبالتالي أستطيع أن أذهب إلى بلاد الروم لأمسح وجهي بتراب أقدام من قالها...!! (٢) .

وقد اعتنى الستر « نيكلسون » عناية بالغة بهذه الغزليات وأبدى كثيراً من الذوق والخبرة في دراسته لها في الكتاب الذي أشرت إليه آنفاً ، ومن تحصيل الحاصل أن أضيف شيئاً إلى مقاله لأنني لم أدرس الديوان دراسة بحث واستقصاء . ولكنني لا أريد في هذه المناسبة أن أخرم نفسي أو القارئ من إيراد ترجمة نيكلسون المنظومة لغزليتين من أجمل الغزليات ذكرهما في الجزء الثاني من ملاحظتي كتابه (٣) .

(١) أنظر ترجمة « ردهاوس » رقم ١٤ ص ١٨ — ٣٠

(٢) يقول « الأفلاكي » أن أمنية « سعدى » قد تحققت فيما بعد؛ ولكنني لا أستطيع أن أجد مصدراً واحداً معتمداً يؤيد النقاء هذين الشاعرين الكبيرين .

(٣) المترجم : هاتان الغزليتان غير كاملتين وهما واردتان بتامهما في كتاب نيكلسون تحت رقم ٣١ و٣١٦

وفیما یلی ترجمة الغزلیة الأولى (١) :

- أیها المسلمون ... ما التذیر ... وأنا نفسی لا أعرف نفسی ... !!
- فلا أنا مسیحی ، ولا أنا یهودی ، ولا أنا مجوسی ، ولا أنا مسلم ... !!
- ولا أنا شرقی ، ولا أنا غربی ، ولا أنا بری ، ولا أنا بحری
- ولا أنا من عناصر الأرض والطبیعة ، ولا أنا من الأفلاك والسموات ... !!
- ولا أنا من التراب ، ولا أنا من الماء ، ولا أنا من الهواء ، ولا أنا من النار
- ولا أنا من العرش ، ولا أنا من القرش ، ولا أنا من الكون ، ولا أنا من المكان ... !!
- ولا أنا من الهند ، ولا أنا من الصین ، ولا أنا من البلغار ، ولا أنا من السکسون ... !!
- ولا أنا من ملک العراقین ، ولا أنا من بلاد خراسان ... !!
- ولا أنا من أهل الدنیا ، ولا أنا من أهل العقی ، ولا أنا من أهل الجنة ، ولا أنا من أهل النار ... !!
- ولا أنا من نسل آدم ، ولا أنا من نسل حواء ، ولا أنا من أهل الفردوس ، ولا أنا من أهل جنة الرضوان ... !!
- وإنما مکانی حیث لا مکان ، وبرهانی حیث لا برهان
- فلا هو الجسد ... ولا هو الروح ... لأننی أنا فی الحقیقة من روح الروح (الحیب) ... !!

(١) المترجم: فیما یلی أصل هذه الآیات بالفارسیة:

چه تدبیر ای مسلمانان که من خود را نمی دانم	نه ترسانه یهودم من نه کبرم نه مسلمانم
نه شرقیم نه غربیم نه یریم نه بحریم	نه از کان طیبیم نه از افلاک گردانم
نه از خاکم نه از آبم نه از بادم نه از آتش	نه از عرشم نه از فرشم نه از کونم نه از کانم
نه از هندم نه از چینم نه از بلغار و سقسنیم	نه از ملک عراقیم نه از خاک خراسانم
نه از دنیی نه از عقبی نه از جنت نه از دوزخ	نه از آدم نه از حوا نه از فردوس و رضوانم
مکانم لا مکان باشد نشانم بی نشان باشد	نه تن باشد نه جان باشد که من از جان جانانم

وفیا بلی ترجمه الغزلیه الثانية: (۱)

- آیها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم
 وهامی طبول الرحيل تدق في السماء، وتصل إلى مسامع روجی ...!!
- فتنیه ... فقد نهض الجمال ، وهياً القافلة وشد الرحال
 وطلب منا كل ما هو حلال ، فلما ذا تظل في غفلة .. آیها المسافر ..!؟
- وهذه الأصوات التي تحيط بك من خلف ومن قدام إنما هي أصوات الرحيل
 وفي كل لحظة من اللحظات ... تسرى نفس ويسرى نفس إلى لامكان ..!!
- ومن هذه الشموع المقلوبة (أي النجوم) ومن هذه الحجب الزرقاء
 (أي السماء)
 خرجت المخلوقات العجیبة ، حتى تبجل ما في الغیب عيانا ..!!
- وقد أصابك نوم ثقیل في هذه العجلة الدائرة (الأفلاك)
 فیا لوعته على هذا العمر الخفیف .. ویا حذرا من هذا النوم الثقیل ... !!
- ویا قلبی .. عليك بالحبیب ، ویا آیها الحبيب ... سر إلى لقاء الحبيب
 ویا آیها الرقیب .. تيقظ .. فلا يجوز لصاحب النوبة أن يغفل ..!!

(۱) المترجم : فیما بلی أصلها بالفارسیة :

ای عاشقان ای عاشقان هنگام کوچت از جهان
 در گوش جام میرسد طبل رحیل از آسمان
 نك ساریان بر خاسته قطارها آراسته
 ازما حلالی خواسته چه خفته آید ای کاروان
 این بانگها از پیش و پس بانگ رحیلست و جرس
 هر لحظه نفس و نفس سر میکند در لا مکان
 زین شمعهای سر نگون زین پردهای نیلگون
 خافی عجب آمد برون تاغیبا گردد عیان
 زین چرخ دولابی ترا آمد گران خوابی ترا
 فریاد ازین عمر سبک زهار ازین خواب گران
 ای دل سوی دلدار شو ای یار سوی یار شو
 ای یاسبان بیدار شو خفته شاید یاسبان

وإني لأعترف بأنى لا أذكر من الترجمات الانجليزية المنظومة لأشعار شرقية إلا أمثلة قليلة تبلغ في جمالها وعودتها مبلغ هذه الترجمات التي نظمها «نيكلسون» ، ومن أسف أن أمورا كثيرة تمتنع عن مواصلة مجهوده في هذا السبيل ، منها صعوبات الطبع وتصحيح الأصول ، وحضور المجتمعات ، وإعادة المعلومات البديهية على مسامع جمهورهم يتوق إلى الاستزادة من المعلومات التي تتضمنها عادة بطون الموسوعات ودوائر المعارف ؛ فمثل هذه الأمور جميعها تعوقه - كما تعوق كثيرا من أمثاله - عن الثابرة في سلوك الطرق التي مهدت لهم والسبل التي طمعوا دائما في سلوكها والوصول إلى غايتها

٣ - سعدى

نصل الآن إلى «سعدى الشيرازى» وهو ثالث الشعراء الثلاثة الكبار الذين نشأوا في هذه الفترة ، وقد ذكرنا أنه يعتبر - وفقا لمقطوعة سبق لنا إيرادها - واحدا من «أبناء الشعر» الثلاثة ، الذين يتم الوهم بالشاعرين الآخرين «الفردوسى» و«الأبورى» . ومن الحق أن تقرر أيضا أن الشهرة الواسعة والسميت الكبير اللذين فاز بهما «سعدى» لم يفز بهما أديب فارسى آخر حتى اليوم ، سواء كان ذلك في موطنه بالذات أم في أى مكان آخر يعنى باللغة الفارسية . وما زال كتاباه «كلستان» و«بوستان» يعتبران فائحة الدراسات الأدبية التي تقدم لطالب الفارسية . كما أن غزلياته لا يملوها من حيث مكانتها الأدبية إلا غزليات مواطنه المعروف «حافظ الشيرازى» و«سعدى» شاعر من طراز آخر^(١) ، يختلف تماما عن أخويه اللذين ترجمنا لهما في هذا الفصل؛ وهو يمثل بوجه عام الشخصية الفارسية المترنة التي تعنى بالدين والدنيا في وقت واحد ، بينما يمثل زميلاه الآخران الشخصية التي خلص تدينها وتصوفها تمام الخلوص . وكان التصوف في هذا الوقت قد راج رواجا كبيرا في إيران ، وأصبحت تعابير الصوفية ومصطلحاتهم - كما هو الحال حتى الآن - جزءا من الحديث العادى بين كافة الناس . فبقيت آثار منها ظاهرة وكثيرة في كتابات «السعدى» ، ومع ذلك

(١) الترجم : كتب عن «سعدى» بالبرية كتابان :

١ - رسالة بعنوان «السعدى الشيرازى» مطبوعة على الآلة الكاتبة ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٢٨٠ وهى من تأليف الأستاذ «ظهر الدين أحمد» من خريجي دار العلوم وجامعة حيدر آباد وتاريخها ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م .

ب - كتاب بعنوان «سعدى الشيرازى» نشره الدكتور «محمد موسى هندواى» المدرس بكلية دار العلوم في سنة ١٩٥١ م .

فإنه لا ترد مطلقا في أن تقرر أن طابعه الخاص كان ينحونحوالحكمة الدنيوية دون التصوفية أو الدينية، ويعتبر كتابه «كلستان» على الخصوص، من أهم الكتب «الميكانيقية» التي كتبت بالفارسية، ولزبما يوجد به كثير من الآراء والمواطف الدينية ولكنها في الواقع آراء عملية تبعد عن الناحية المثالية التي يتصف بها غيره من كتاب الصوفية الخالصين

مباة السعدى :

ويبدو من مراجعة أقدم النسخ الخطية (١) الموجودة في أيدينا من مؤلفات «السعدى» أن اسمه الكامل هو «مشرق الدين بن مصلح الدين عبد الله» ولم يكن اسمه «مصلح الدين» كما هو معروف عادة، والشهور عنه أنه ولد في مدينة شيراز حوالي سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م، وأنه مات وقد جاوز المائة من عمره في سنة ٦٩١ هـ = ١٢٩١ م، وأنه قد أباه في سن مبكرة كما تدل على ذلك الآيات الآتية (٢) من الـ «بوستان» :

(١) النسخة المطبوعة القيمة ٨٧٦ بإدارة الهند بلندن وهي مكتوبة في سنة ٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م أي بعد موت سعدى بسبع وثلاثين سنة فقط .
(٢) الترجوم : فيما يلي نص الآيات بالفارسية .

پدر مرده را سایه بر سر فکن	غبارش یفشان و خارش بکن
ندانی چه بودش فرومانده سخت	بود تازہ بی بیخ هرگز درخت
چو بیخی یتیمی سر افکنده پیش	مده بوسه بر روی فرزند خویش
یتیم ار بگرید که نازش خرد	وگر خشم گیرد که بازش برد
الا تا نگرید که عرش عظیم	بلرزد همی چون بگرید یتیم
برحت بکن آبش از دیده پاک	بشفقت یفشانش از چهره خاک
اگر سایه خود برفت از سرش	تو در سایه خویش برورش
من آنکه سر تاجور داشتم	که سر در کنار پدر داشتم
اگر بر وجودم نشستی مگس	پریشان شدی خاطر چند کس
کنون دشمنان گر برندم اسیر	نباشد کسی از دوستانم نصیر
مرا باشد از درد طفلان خبر	که در طفلی از سر برقم پدر

- انشر ظل جناحك على اليتيم الذى قضى الموت على أبيه
وانفض الغبار عنه ، واقطع الشوك الذى يؤذيه ... !!
- وهل تراك تعلم إلى أى حد هو عاجز مقهور ... !!
- وهل تبقى الشجرة نضيرة إذا اجثت منها الجذور ... !!
- وإذا رأيت يتما قدخض رأسه فى ذلة وانكسار
فخذار أن تقبل أمامه واحدا من أولادك الصغار ... !!
- وهل لليتيم أحد يرعاه إذا بكى أو اتحبب ... !!
- وهل لليتيم أحد يسترضيه إذا جنق أو غضب ... !!
- فلا تدع اليتيم يبك ، فإن العرش العلى العظيم
تهتز جنباته ، إذا استمع إلى بكاء اليتيم ... !!
- وامسح دموعه من مآقيه فى حنو وشفقة
وانفض الغبار عن وجهه فى عطف ورقة . . . !!
- وإذا انحسر عنه الظل وانكشف جسده للهجير
نغذه ورببه فى ظلك الوارف العزيز ... !!
- فلقد كانت رأسى يعلوها تاج ذهبي
عندما كنت أعيش هاتئا فى كنف أبى ... !!
- وكانت إذا حطت ذبابة واحدة على جسدى
اضطربت أذهان جملة من الناس خوفا من غضبي ... !!
- أما الآن فإذا استطاع أن يأسرنى الأعداء
فإن يكون لى نصير واحد من بين الأصحاب والأصدقاء ... !!
- ومن أجل ذلك فإنى خير بآلام الأبطال
لأن أبى تركنى فى طفولتى يتماضعف الحال ... !!
- وللدكتور « إتيه » مقالة بعنوان « الأدب الفارسى » منشورة فى المجلد الثانى
من كتاب « الفصل فى الدراسات اللغوية الإيرانية » .
- وهى تتضمن أو فى بحث كتب عن « السعدى » فيما أعرف . وقد ذكر « إتيه »
فى هذا البحث أن السعدى عند موت أبيه انتقل إلى رعاية حاكم فارس المعروف باسم

الأتابك « سعد بن زنگي » الذي تولى العرش سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م . وقد اختار الشاعر تخلصه الذي عرف به وهو « السعدي » من إسم هذا الحاكم وتكريما له . وإلى هذا الحاكم يرجع الفضل في إرساله إلى للدرسة النظامية في بغداد لمناجاة دروسه واستيفاء تحصيله . وهذه الحادثة تبدأ أولى الفترات الثلاث التي قسم إليها الدكتور « إتيه » حياة « السعدي » وأعنى بها :

(١) فترة التحصيل : وقد استمرت إلى سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م وقد أمضى الشاعر أكثرها في بغداد . ومع ذلك يبدو من إحدى الحكايات الواردة في الباب الخامس من الـ « كلستان » أن الشاعر استطاع خلال هذه الفترة أن يقوم برحلته الطويلة إلى مدينة « كاشغر » فهو يقول إنه « دخل هذه المدينة في نفس السنة التي اختار فيها السلطان محمد خوارزمشاه لأموار سياسية أن يعقد الصلح مع الخطائين » ومن العروف لنا أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م . والظاهر أيضا كما يبدو من هذه الحكاية أن شهرته حتى في هذه الفترة المبكرة كانت قد شاعت وذاعت بحيث سبقته إلى هذا الثغر القاصي من الثغور الإسلامية الواقع في الناحية الشمالية الشرقية من بلاد الإسلام . وهذه المسألة لا تدل فقط على نجاحه وفوزه وذوبوع إسمه وهو ما زال في السادسة والعشرين من عمره، ولكنها تدل أيضا على شيء آخر حاولت مرارا أن أؤكد في كتاباتي وهو مقدار السرعة التي كانت تنتشر بواسطتها الأنباء والأخبار في ديار المسلمين في هذا الوقت البعيد .

وقد وقع « السعدي » أثناء إقامته في بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفي المشهور « شهاب الدين السهروردي » المتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م وقد تحدث « السعدي » عن صلاح هذا الشيخ وتقواه وعن حبه الخالص لأفراد البشر في إحدى الحكايات الروية في الـ « بوستان » . وتدل حكاية أخرى مروية في الباب الثاني من الـ « كلستان » على أن « شمس الدين أبا الفرج بن الجوزي » كان أيضا من بين الرجال الذين استطاعوا بفضلهم وعلمهم أن يفيدوا السعدي أثناء هذه الفترة من الشباب .

(ب) فترة الترحال : أما الفترة الثانية من حياة « السعدي » فهي فترة الأسفار

الواسعة التي قام بها . وقد بدأت كما يقول الدكتور « إتيه » في سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م حينما اضطرت الظروف للضطربة في إقليم فارس إلى الهجرة عن «شيراز» وكان قد عاد إليها من بغداد . فاستمر قرابة ثلاثين عاما أي إلى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م يتجول في الأنحاء المختلفة من ديار الإسلام ، ما بين الهند شرقا إلى الشام والحجاز غربا . وقد أشار في مقدمة الـ « كستان » إلى أسباب مغادرته مدينة شيراز في الأبيات الآتية (١) :

- الا تدرى لماذا أمضيت في أقاليم العربية أزمانا طويلة . . . ! !
 — لقد فررت من مضايقة الأتراك عندما رأيت العالم قد اختلطت أحواله
 كشمع الزنوج . . . ! !
 — وكانوا جميعا من أبناء آدم ، ولكنهم كانوا من حيث التعطش إلى سفك
 الدماء ذنابا حادة المخالب . . . ! !
 — فلما عدت . . . وجدت الديار هادئة وقد تخلصت النمر من طباعها الثيرسة . . !
 — ووجدت في الداخل أناسا طيبين كالملائكة ، وفي الخارج جنودا أبطالا
 كالأسود المقترسة . . . ! !
 — وقد كانت الدنيا في عهدها الأول الذي شاهدته مليئة بالفتن والاضطرابات
 والمضايقات . . . ! !
 — ولكنها أصبحت آمنة ساكنة في أيام السلطان العادل الأتابك « أبي بكر
 سعد بن زنكي » . . . ! !

(١) للترجم : فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية :

چرا روز گاری بکردم درنکی	ندانی که من در اقالیم غربت
جهان درم افتاده چون موی زنکی	برون رفتم از تنگ ترکان که دیدم
چو کرگان بخون خوارگی تیز چنکی	همه آدمی زاده بودند لیکن
پلنگان رها کرده خوی پلنگی	چون باز آمدم کشور آسوده دیدم
بروق لشکری چون هزیران چنکی	درون مردمی چون ملک نیکم حضر
جهان پر ز آشوب و تشوش و تنگی	چنان بود در عهد اول که دیدم
اتابک ابو بکر سعد بن زنکی	چنین شد در ایام سلطان عادل

(ج) الفترة الثالثة : فترة الاستقرار والتأليف : وقد كانت عودة السعدي إلى « شيراز » وهي العودة التي أشار إليها في آخر الأبيات السابقة، في سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م وتعتبر هذه السنة بداية الفترة الثالثة والأخيرة من حياته، وهي الفترة التي استوعبت بوجه خاص نشاطه الأدبي برمته . فبعد سنة واحدة من عودته أي في سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م استطاع أن ينشر منظومته المتنوية « بوستان » فلما انقضت سنة أخرى بعد ذلك نشر الـ « گلستان » في صورة مجموعة من الحكايات ، استقاها من ملاحظاته المختزنة وتجاربه المكتنزة ، وأفاض عليها مثلاً أخلاقية وحكماً عملية؛ وقد سطرها جميعاً في أسلوب منشور يخلط به كثير من الأبيات المنظومة. والـ « بوستان » والـ « گلستان » كتابان مشهوران تماماً . وقد ترجما إلى سائر اللغات بحيث لا أجد ضرورة تضطرنني إلى الإفاضة في الحديث عنهما في هذا المقام (١) .

أسفار السعدي :

أشرنا فيما سبق إلى أن أسفار «السعدي» كانت واسعة وأنه استطاع خلالها زيارة « بلخ » و « غرنة » و « البنجاب » و « سومنات » و « كجرات » و « البن » و « الحجاز » وأجزاء أخرى من « بلاد العرب » و « الحبشة » و « سوريا » و « الحصوص مدينتي « دمشق » و « بعلبك » و « شمال أفريقيا » و « آسيا الصغرى » وقد قام بهذه الرحلات في زى الدراويش، وسلك جميع الطرق والسبل، واختلط بكافة الناس على سائر أنواعهم . ومن خلال كتاباته وخاصة الـ « گلستان » نرى «السعدي» أحياناً وقد سار متعراً في أثر قافلة الحجاج محترقا صحراوات بلاد العرب القائظة ؛ وأحياناً نراه يتندر مع صبيان « كاشغر » بفكاهات نحوية لها طابعها الفني الدقيق ؛ وأحياناً أخرى يقع أسيراً في أيدي الفرنج ويحكم عليه بالأشغال الشاقة مع جماعة من اليهود في مدينة « طرابلس » ، وأحياناً أخرى نجده مشغولاً بالكشف عن سر صنم هندي عجيب في معبد «سومنات» ، فإذا اكتشفه حارس هذا الصنم وهو مستغرق في الفحص والتدقيق لا يجد السعدي بدأ من قتل هذا الحارس حتى

(١) تحدث « إتيه » عنهما باستفاضة في مقاله المذكور آنفاً أنظر ص ٢٩٥-٢٩٦

يستطيع النجاة بنفسه . وهو يروي هذه القصة الأخيرة بكل صراحة واطمئنان على هذا النحو (١) :

- فاغلفت باب الدير بإحكام . . . في ليلة من الليالي !!
 — وجريت كالعقرب عن يميني وشمالى !!
 — ونظرت تحت المائدة وفوقها . . . بتفرس وإمعان !!
 — فرأيت ستارة موشاة بالذهب في هذا المسكان !!
 — وقد جلس وراءها كاهن من عبدة النيران (٢) !!
 — يشد إلى يديه جبلا يسكه في أتران !!
 — فأنكشف الأمر أمامى فوراً . . . وأنجلي الحال للعيان !!
 وتيسر الأمر ، كما تيسر للحديد أن يصبح شمعاً رخوا في يد داود بن سليمان . . . !!

(١) المترجم : روى السعدي هذه القصة في نهاية الباب الثاني من كتابه « بوستان » وفيما يلي نص الآيات الفارسية :

دويدم چب وراست چون عقربی	در دیر محکم به بستم شبی
یکی پرده دیدم مکمل بزر	نگه کردم از زیر تخت وزیر
مجاور سر ریسمانی بدست	پس پرده مطرانی آذر پرست
چو داود کاهن برو موم شد	بفورم دران حال معلوم شد
بر آرد صنم دست فریاد خوان	که ناچار چون در کند ریسمان
که شنت بود بخیه بر روی کار	برهن شد از روی من شرمسار
نگوئش بجاهی در انداختم	بنازید ومن در پیش ناختم
مانند کند سعی در خون من	که دانستم از زنده آن برهن
مبادا که سرش کنم آشکار	پسندد که از من بر آرد دمار
زدستش بر آور چو در یافتی	چو از کار مفسد خبر یافتی
نخواهد ترا زندگانی دگر	که گر زنده اش مانی آن بی هنر
اگر دست یابد ببرد سرت	وگر سر بخدمت نهد بر دوت
چو رفتی و دیدی امانش مده	فریبده را پای بر پا منه
که از مرده دیگر نیاید حدیث	تمامش بکشتم بستگ آن خبیث

(٢) من الدهش أن الساميين حتى المتعلمين منهم لا يعلمون إلا القليل عن الآديان الأخرى غير الاسلام وهكذا نجد « السعدي » رغم قراءاته الواسعة وأسفاره الكثيرة يعجز عن أن يحدتنا عن معبد الصنم الهندي دون أن يختلط عليه الأمر فيشير إلى أمور متعلقة بالديانة الزردشتية أو الديانة المسيحية .

- فعلت أنه عندما يشد هذا الكاهن هذه الحبال !!
- يرفع الصنم يديه في ضراعة وابتهاال !!
- وخجل « البرهمي » مني وأحس لرؤيقي بالعار !!
- وتأكد من شناعة الحال إذا انفضحت الأسرار !!
- فجرى هاربا وجريت في عقبه دون تريث أو إبطاء
حتى استطعت أن أقلبه في برء مليئة بالماء !!
- فلقد أيقنت أنه إذا بقي على قيد الحياة
فلن يتردد في أن يهرق دمي في غير أناة !!
- وأنه سيسر كثيرا إذا استطاع أن يورثني موارد الدمار
خشية أن أهتك الأستار وأفضح الأسرار !!
- فإذا قبض لك أن تطلع على حال مفسد من المفسدين
فلا تتردد في القضاء عليه إذا كنت من القادرين !!
- فانك إن أبقته سالما على قيد الحياة
فلن يتردد هذا الحبيث عن إهلاكك بأي أداة !!
- ولو فرض ووضع جبينه على بابك خضوعا في خدمتك
لما تردد إذا تهيأت له الفرصة أن يقطع رأسك وورقتك
— فلا تتابع كل غمخال خداع أثيم
- وإذا تابعته فلا تعطه الأمان فهو لئيم !!
- ومن أجل ذلك قضيت عليه تماما حتى مات هذا الحبيث
واليت كما يقولون : لا يستطيع ترديد الحديث !!

سعدى وتعليم الوافلون :

عندما يوصف «السعدى» كما هو العادة بأنه شاعر «أخلاقى» يجب ألا يغيب عن بالنا أن هذا الوصف صحيح إلى حد ما ، ولكن مثله ومبادئه الأخلاقية تختلف بعض الشيء عن قواعد الأخلاق المقررة في البلاد الغربية من أوروبا ؛ فمضمون أولى حكايات الـ « گلستان » يتلخص في « أن الكذب المقترن بالمصلحة خير من الصدق المثير للفتنة » وكذلك الحكاية الرابعة تمثل لنا « أن خير أنواع التهذيب لا يستطيع أن

يصلح الطباع العوجة والميول المتوارثة الآفة»، فإذا وصلنا إلى الحكاية الثامنة وجدناه ينصح الأمراء بأن يهلكوا بغير رحمة جميع الذين يخشونهم (أى يخشون الأمراء) لأن «القطعة إذا عجزت فإنها تلتقط بمخالها عيون الثمر»، وأما الحكاية التاسعة فتؤكد الحقيقة المريرة التي تجعل وريثة المرء هم أعدى أعدائه، والحكاية الرابعة عشرة يسوقها دفاعا عن جندي هرب من ميدان القتال لأن أجره لم يدفع إليه، وأما الحكاية الخامسة عشرة ففارسية لمجا ودبا وخلاصتها: «إن وزيراً عزل من الوزارة فلحق بحلقة من حلقات الدراويش ثم عاد الملك فرضى عنه وأراد أن يرجعه إلى منصبه ولكن الوزير لم يقبل هذا التشریف؛ فقال الملك: ولكنى أريد رجلاً عاقلاً قادراً يستطيع تدبير أمور الملك، فأجابه الوزير العزول: إن علامة القدرة والعقل لا تثبت لإنسان إلا إذا رفض مثل هذا العمل الذى تعرضه لى .. ١١

والحكاية التالية بعد ذلك توضح هذا الرأى أكثر من ذلك فتقرر «إن الحكاء يقولون: إن الإنسان يجب أن يكون على حذر من تلون الملوك وتقلب طباعهم فهم أحياناً يؤذون من يقابلهم بالسلام والاحترام، وأحياناً أخرى يثيرون من يوجه إليهم بنى الكلام ... ١١» .

ولكى أوجز الحديث فى هذا الموضوع اكتبى بأن أسوق إلى القارىء الحكاية التالية المذكورة فى الباب الأول من الـ «كستان» فهى عاطلة من كل مبادئ الأخلاق والعنويات^(١):

«حكوا عن وزير شرير أنه ضرب رجلاً صالحاً على رأسه بحجر، ولم يستطع هذا الدرويش المسكين أن ينتقم منه فاكتمى بأخذ الحجر والاحتفاظ به حتى إذا غضب الملك على هذا الوزير الشرير، وأمر بحبسه فى الجب، أسرع الدرويش وقذفه بنفس هذا الحجر. فقال المحبوس: من أنت يامن قذفتى بالحجر ولماذا قذفتى به..؟ فأجاب الدرويش: أنا فلان، وهذا هو الحجر الذى قذفتى به فى الفارغ الفلانى.. ١٠ فقال المحبوس: وأين كنت طوال هذه المدة الماضية..؟ قال: كنت مخفياً خشية

(١) أنظر الحكاية الثانية والعشرين .

جاهك ونفوذك ... حتى إذا رأيتك الآن في قاع الجب انتهزت الفرصة ، وانتقمت
لنفسى ، متابعاً قول من قال :

- إذا وافى الحظ سفياً من السفهاء ...
- فإن العقلاء يسلمون له . . . حتى ينكشف البلاء ... ١١
- فإذا لم تكن أظافرك حادة قاطعة ...
- فخذار أن تدخل مع الأشرار في واقعة ... ١١
- فإن من يصارع أصحاب السواعد الفولاذية . . .
- لا يؤذى إلا سواعده البضة الفضية ... ١١
- فانتظر حتى يشل الزمان يديه
- واشف رغبة أحيابك ... فاقطع عنه وأقض عليه . . . ١١

وفي الحق إن جمال كتابات «السعدى» وفوزه بالشهرة العريضة التي نالها، لا يرجعان إلى ما امتاز به من مثالية كاملة بل إلى ما ائصف به من مرونة شاملة . ففي كتاباته أمور ترضى سائر الأذواق : الرفيع والوضيع ، والمهذب والحليج ، والموقر والرقيع . وكتاباته بهذا الوضع عبارة عن أنموذج مصغر من نماذج الشرق ، تتمثل فيه خير المناظر وأطيبها ، وكذلك شر الصور وأقبحها ، ومن أجل ذلك لم يكن من مجرد المصادفة التي لا سبب لها أن تستمر كتبه طوال القرون الستة والنصف الماضية هي أوائل الكتب التي تعطى لدارس الفارسية حينما اتفقت له هذه الدراسة .

مؤلفات السعدى :

قصرت حديثي حتى الآن على أهم مؤلفات «السعدى» وأكثرهما شهرة وأعنى بذلك كتابيه « گلستان » و « بوستان » ولكن للسعدى بالإضافة إلى ذلك « كليات » أى آثار مجموعة تشتمل على ما يأتي :

- (ا) قصائد عربية (ب) قصائد فارسية .
- (ج) ملامع أى أشعار بعضها فارسى وبعضها عربى .
- (د) مرآتى (هـ) ترجيعات

- (و) غزليات : مقسمة إلى أربعة أقسام تشمل « الغزليات القديمة » و « الطيات » و « البدائع » و « الخواتيم » .
- (ز) رباعيات ومقطوعات وأبيات مفردة .
- (ح) هزليات أو قصائد عابثة .
- (ط) رسائل مشورة تشتمل فيها تشتمل على ثلاث مقالات خلية بشكل لا يتصور تسمى بالحديثات .
- (ي) رسالات موجهة إلى « صاحب الديوان » ويقصد به أول رؤساء الوزراء الذين وزروا لـ « هولاكوخان » التتولى . ثم خليفته « شمي الدين محمد الجويني »
- (ك) مضحكات : وهي حكايات بعضها مضحك ولكنه غير ممتع .
- (ل) بند نامه : أي كتاب النصائح ، وقد وضعه على نخط كتابات « العطار » وغيره من الكتاب .

سعدى اللغوى :

وواضح وجلى أن هناك استحالة تحول دوننا وتفصيل الحديث - أو حتى إعطاء الأمثلة - عن كل ناحية من هذه النواحي التي يشمل فيها نشاط السعدى وإنتاجه . بل إن آثاره التي ذكرناها في البيان السابق لم تشمل مؤلفاته على سبيل الحصر ، لأن « سعدى » قد اشتهر بالإضافة إلى ذلك بأنه أول من أنشد الشعر باللغة « الهندوستانية » أو « الأردية » التي تعلم أصولها فيما يظهر أثناء أسفاره في بلاد الهند . وقد رأيت أمثلة من هذه الأشعار في مخطوط تمتلكه « الجمعية الملكية الآسيوية » ، ولكنى لا أستطيع أن أبدي رأياً فيما يتعلق بصحة نسبة هذه الأشعار إليه وعدم تزيفها .

وقد أنشأ « سعدى » أيضاً بعض « الفهلويات » أي القصائد المنظومة في إحدى اللهجات الفارسية ، وقد نشرت أمثلة منها في مجلة « الجمعية الملكية الآسيوية » في شهر أكتوبر سنة ١٨٩٥م في مقالة جعلتها بعنوان : « ملاحظات على الأشعار المنظومة

في لهجات فارسية» (١) ؛ ومن بين هذه الأشعار قصيدة فاتني ذكرها في هذا المقال ولا أستطيع الحصول عليها الآن ، ولكنها تشتمل على أشعار قد نظمت في جملة من اللغات واللهجات المختلفة . ولا معدى لنا من أن يظل الشك يساورنا فيما يتعلق بمعرفة الشاعر لكل هذه اللغات واللهجات ، حتى نستطيع الحصول على نسخة من مؤلفاته تكون أكثر اعتماداً وصحة ، وحتى تتمكن من معرفة اللهجات الفارسية التي كانت سائدة في القرون الوسطى معرفة تامة كاملة . ومن الجائز جداً أن تكون هذه الأشعار محاولات مصطنعة ومنتحلة قام بها غيره دون أن يعرف السعدى عنها شيئاً على الإطلاق ؛ وحاله في ذلك حال من يكتبون الكتب عن « إيرلنده » وينسبونها إلى أناس لا يعرفون عنها شيئاً بالمره ، ولكي يظهروها بمظهر الكتب الصحيحة العتمدة ، يضطرون إلى التماس بعض الوسائل لستر عملهم ، كأن يكتبوا الكلمات الإنجليزية بإملاء سقيم مضطرب أو أن يثروا بين الصفحات ألقاظاً إيرلندية مهوشة أو غير مفهومة (٢).

قصائد سعدي :

السائد في « إيران » و « الهند » أن القصائد العربية التي أنشأها « سعدي » جميلة جداً ، ولكن أدباء العربية مع ذلك يعتبرونها متوسطة أو دون المتوسطة . أما قصائده الفارسية - فعلى عكس ذلك - تعتبر الغاية في الفن والجمال ، وخاصة قصيدته التي مطلعها (٣) :

— حذار أن تسلم نفسك لصديق من الأصدقاء ... أو للدار والديار
فالناس كثيرون ... والأراضى متمعة ... وكذلك البحار ... !!

(١) عنوان المقالة بالإنجليزية : *Notes on the Poetry of the Persian Dialects*. pp 792-802

(٢) المترجم : يسوق المؤلف أمثلة لهذه الألفاظ هي :

“musha”, “acushla machree”, “mavourneen”

(٣) المترجم : فيما يلي مطلع هذه القصيدة بالفارسية :

بهیج یار مده خاطر و بهیج دیار که بر و بحر فراخت و آدمی بسیار

و هناك أيضاً قصيدة أخرى مشهورة من قصائده وهي التي رثى بها تخريب بغداد على أيدي الفول وقتل الخليفة «الستصم» في سنة ۶۵۶ هـ = ۱۲۵۸ م وقد ذكرنا طرفاً منها في الصفحات السابقة (۱).

غزليات سعدى :

وقد ذكرت أيضاً أن الـ «سعدى» لا يقل من حيث غزلياته عن أى شاعر فارسي آخر ولو كان هذا الشاعر «حافظاً الشيرازي». وعدد غزلياته كبير جداً وهي موزعة بين الكتب الأربعة التي عناونها: «الطيات» و «البدائع» و «الحواتيم» و «القصائد القديمة» وكل هذه تقع في ۱۵۳ صحيفة من صفحات نسخة «الكليات» المطبوعة على الحجر في مدينة بمبای في سنة ۱۳۰۱ هـ = ۱۸۸۳ - ۱۸۸۴ م . وسأكتفي في هذا المقام بترجمة اثنتين من هذه الغزليات تصلحان مثلاً لسائر غزلياته .

أما الغزلية الأولى فترجمتها كما يلي (۲) :

— ما أحب هذه التأوهات التي تحرق القلوب بنارها الضرام . . .
فإنني أستطيع بواسطتها . . . مهما اشتدت . . . أن أقضى الليالي والأيام ۱۱۰۰

(۱) المترجم : أنظر ص (۴۱) من هذا الكتاب .

(۲) المترجم : فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية [أنظر : كليات سعدى طبع بمبای

سنة ۱۳۰۱ هـ ص ۲۴۶] .

تا بهر نوعی که باشد بگذرانم روزرا
کان صباحت نیست این صبح جهان افروزرا
تا قیامت شکر گویم طالع پیروزرا
جان سپر کردند مردان ناوک دلدوزرا
بر زمستان صبر باید طالب نوروزرا
کین کرامت نیست جز مجنون خرمن سوزرا
کان نباشد زاهدان مال وجاه اندوزرا
ریسمان در پای حاجت نیست دست اموزرا
در میان این وآن فرصت شمار امروزرا

دوست میدارم من این نالیدن دلسوزرا
شب همه شب انتظار صبح روئی می رود
وه که گر من باز بینم چهر مهر افزای او
گر من از سنگ ملامت رو بگردانم ز من
کامجویانرا ز نا کامی کشیدن چاره نیست
عاقلان خوشه چین از سر لیلی غافلند
عاشقان دین و دنیا باز را خاصیتی است
دیگر برآ در کمند آور که ما خود بنده ایم
سعدیادی رفت و فردا همچنان موجود نیست

- ولقد يتقضى الليل . . وأنا أتلهف طواله إلى رؤية وجه حبيبي الصبح . .
فإن صباحته تضيئ على صباحي كثيراً من النور والوضوح ۱۱
- ولو أني رأيت ثانية وجهه الذي يزيد ما بي من جب وحين
لظلمت أشكر عن حظي وطالعي إلى يوم الدين ۱۱
- وهل أستطيع أن ألوى وجهي خجلاً من لوم اللامعين . . .
وشجعان الرجال يتقون بأرواحهم قدح القادحين ۱۱
- وليس على طالب الظفر إلا أن يتحمل التعب والعناء . . .
كما أن طالب الريح ، عليه أن يصبر على زمهرير الشتاء ۱۱
- وهام العقلاء من أصحاب الحرص في غفلة عن هوى «ليلي» الدفين . . .
ولم يظفر بهذه الكرامة إلا «المجنون» الذي أتلف المهجة وحصاد السنين ۱
- وإذا كانت هناك ميزة يتميز بها عاشقو الدنيا والدين . . .
فإن هذه الميزة تنتفي عن من يحرص على جمع المال والجاه من الزاهدين . . . ۱۱
- فإذا أوقعت في شراكك أحداً . . فأوقع غيري . . فإنني لك عبد مطيع لأوامرك
ولا حاجة بك إلى وضع القيود والحبال في أقدام من هو طوع إشارتك ۱
- وبأسعدي . . لقد مضى أمس ، وما زال الغد محجوباً في ستار التيب . .
فاعتنم الفرصة بين هذا وذاك ، وتمتع بيومك الحاضر حتى يشتفي القلب . . . ۱۱
- والغزلية الثانية معروفة جداً لدى أهل « شيراز » لأنها تتضمن مدحا رقيقاً
تستحقه مدينتهم الجميلة ، وترجمتها كما يلي (۱):

(۱) المترجم : فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية : [كليات سعدى ص ۲۸۹]

رها نميکنند ایام در کنار منش	که داد خود بستام بیوسه از دهنش
جان کنند بگيرم که صيد خاطر خلق	بدان همی کند ودر کشم بخويشتنش
وليك دست نیارم زدن بدان سر زلف	که مبلقی دل خلقت زير هر شکنتش
غلام قامت آن لبتم که بر قد او	بریده انده لطافت چو جامه بر بدنش
ز رنگ وپوی نوای سرو قد سیم اندام	برفت رونق نسرين ویاغ وسترش
یکی بچم نظر پای در گلستان نه	که یاغمال کنی ارغوان ویاغش

- إن الأيام لا تسمح للحبيب أن يكون في أحضانى ...
 حتى أشفى النفس بتقبيل شعره ... وأحرق الأمانى ... ١١
- فلا سرق هذه الشركاء التى يصيد بها ألباب الأنام ...
 حتى أستطيع أن أعيده ، وأضمه إلى ... فى يوم من الأيام ... ١١
- ولكن من أسف .. أنتى لن أستطيع أن أمسك بيدي أطراف طرفه
 لأن كل ثنية منها قد اشتملت على القلوب التى وقعت فى محبته ... ١١
- وإننى لعبد لقامته المديدة التى يقاس عليها اللطف والجمال ...
 كما يقاس الرداء على جسده المتميز بالحسن والدلال ... ١١
- فيا شجرة السرو .. يا ذات الكيان الفضى .. إنك بما امتزت به من غير
 وصفاء ...
- قد أوديت بما امتاز به النسرين والنسرين من رونق ورواء ... ١١
- فتقدمى خطوة .. للتفرج على ما فى هذه الروضة من رياحين ...
 ولا حرج عليك .. إذا وطئت أقدامك زهور الأرغوان والياسمين ... ١١
- وما أبهج مشاهدة النيروز ... خاصة فى مدينة شيراز
 فإنها تنسى الغريب موطنه ... بفعل جمالها الممتاز ... ١١
- ولقد أصبح الورد بجماله (الذى يبلغ جمال يوسف) عزيزاً على خميلة مصر
 الزاهرة؛ وجلبت نسائم الصبا إلى هذه المدينة روائح المعطرة ... ١١
- فلا تعجب ... أيها الحبيب .. إذا استطعت فى وقت الربيع البليل
 إن تثير العيرة حتى يبكى السحاب ويضحك الزهر الجميل ... ١١
- ولا تعجب ... إذا استطعت بمثل صفاتك أن تجتاز بيت من الأموات
 فينفض الميت من ثراه ... وتتجاوب فى أكفانه الأصوات ... ١١

که بر کند دل مرد مسافر از وطنش
 صبا بشهر بر آورد بوی پیرهنش
 بگرید ابر و بخندد شکوفه در چمنش
 عجب نباشد اگر نره آید از کفنش
 که بر جمال تو فتنه است و خلق بر سخنش

خوشا تفرج نوروز خاصه در شیراز
 عزیز مصر چمن شد جمال یوسف گل
 عجب مدار که از غیرت تو وقت بهار
 بدین روش که توئی گر برده بر گذری
 نماید فتنه در ایام شاه جز سعدی

— وفي أيامك ... أيها المليك ... لم تعد تشور في هذه البلدة فن أنثورت
غير افتنان «سعدى» بممالك ، واقتنان الحلق بما يقول من غزليات ... ١١
ويندر في هذه الغزليات أن توجد بها إشارات متعلقة بحياة الشاعر ، ولو أن
سعدى قد تحدث في واحدة منها فقال : إنه في مأزق بسبب عشقه لأنه يكاد يفقد في
خمس أيام كل ما جمع من حكمة وحزم في خمسين سنة متتالية ... ١١ وكذلك بالغزليات
إشارات كثيرة لسيدة ومولاه « صاحب الديوان » وقد ورد ذكره في غزلية كتبها
فيما يظهر قبيل خروجه من شيراز قاصداً مدينة بغداد ، فهو يقول فيها :
دلم إز صحبت شيراز بكلى بگرفت وقت آنست كه برسى خبر از بغدادم
هيچ شك نيست كه فريادم آنجا برسد عجب ار «صاحب ديوان» نرسد فريادم
سعديا حب وطن گرچه حديثيست صحيح تنوان مرد بسختى كه من اينجا زادم
ومعنى هذه الأبيات :

— لقد انقبض قلبي تماماً من حياه شيراز وما أحسه فيها من بلاه
وآن لك أن تسأل عن أخبارى من بغداد ، إذا التمت الأنباء ... ١١
— ولا شبهة عندى في أننى إذا استثت هنالك فسيسمع صوت استغاثتى
ولكن يا عجباً - إذا امتنع « صاحب الديوان » من إغاثتى ... ١١
— ويا سعدى ... ١١ إن حب الوطن حديث صحيح السند^(١)
ولكنى لا أستطيع أن أموت هنا بكرى ... لاكىء إلا لأننى ولدت في هذا البلد

أشعار سعدى الواردة في السكستاره وديوانه حافظ :

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة وهى أن طائفة من أشعار السعدى المروية
في ديوانه تذكر أيضاً في كتاب الـ «كبلستان». ولا غرابة في ذلك لأن كلا الكتائين
من تأليفه ؛ ولكن وجه الغرابة واقع في أن بعض هذه الأشعار تذكر أحياناً في
ديوان شاعر آخر يعادله شهرة ومكانة ولكنه متأخر عنه من الناحية الزمنية وهو
مواطنه « حافظ الشيرازى » . وقد وجدت في قراءة عبارة ثمانية أمثلة من أمثلة

(١) المترجم . الحديث الذى يشير إليه هو « حب الوطن من الايمان » .

الأشعار المروية في الـ « ككستان » كما وجدت ثلاثة أخرى من أمثلة الأبيات المروية في ديوان « حافظ » ومن الجائز جداً أن تكرر الأمثلة إذا دققنا البحث وصبرنا على الفحص . ولنبدأ بذكر الأمثلة التي تمثل الطائفة الأولى ، ففي صفحة ٣٧ من « الطييات » المطبوعة على الحجر في بمباى سنة ١٣٠١ هـ نجد البيت الآتى :

نه آنجان مشغولم بتو آى بهشقى رو كه ياد خو يشتم در ضمير مى آيد

ومعناه :

- وأننى مشغول بك أيتها الجميلة الحسنة

بحيث لا يواتينى التفكير فى نفسى فى هذه الأثناء ... !!

وقد ورد هذا البيت فى الباب الخامس من كتاب الـ « ككستان »؛ وكذلك

ورد فى « البدائع » البيت التالى :

آنرا كه جاى نيست همه شهر جاى اوست درويش هر بجا كه شب آمد سراى اوست

ومعناه :

— كل من لا منزل له ، فالمدينة برمتها منزله وداره

والدرويش حينما يواتيه الليل ... فالمكان قصره وسرايه ... !!

وقد ورد هذا البيت فى الباب الثالث من كتاب الـ « ككستان » مع بعض التعديل

فى شطرته الأولى بحيث أصبح على هذا النحو :

شب هر توانگرى بسراى همى رود درويش هر بجا كه شب آمد سراى اوست

ومعناه :

— أثناء الليل ... يذهب كل غنى إلى قصر من القصور

أما الدرويش فحينما أتاه الليل .. قصره حينما اتفق له العبور ... !!

وكذلك نجد فى « البدائع » ص ٩٩ هذه الشطرة التالية :

* بنده چه دعوى ككند ؟ حك خداوند راست *

ومعناها :

وأى دعوى يدعيها العبد ... ؟ والحكم لمولاه ... ؟ !

وهذه الشطرة ترد فى الباب الأول من « الككستان » وقد أضيفت إليها شطرة

أخرى تكملها فى حكاية « عمرو بن الليث الصفار » وعنده .

أما الأبيات الأخرى التى ترد فى الديوان وكذلك فى الككستان فهى الآتية :

بيتان فى الغزلية المذكورة فى ص ١٠٠ التى مطلعها :

معلت همی شوخی ودلبری آموخت جفا و ناز و عتاب و ستمگری آموخت
ومعناه :

— لقد علمك هملك الجرأة والقحة وسلب القلب والقواد
وعلمك الجفاء والدلال والعتاب والظلم والاستبداد... ١١٠٠
والبيت المروي في ص ١١٥ من « البدائع » ونصه :
عجب از كشته نباشد بدر خيمه دوست
عجب از زنده ، كه چون جان بدر آورد سليم
ومعناه :

— فلا عجب من قتيل... قتل على باب خيمة أجباه
ولكن العجب من الحى ، كيف استطاع النجاة بروحه ولم يقتل على بابه... ١١٠٠
والبيت المروي في ص ١٤٤ من « الخواتيم » ونصه :
ديدار مى نمائى و پرهيز ميكنى بازار خویش و آتش ما تيز ميكنى
ومعناه :

— وأنت تظهر طلعتك ، ثم تمنع وتصد عنا
وكأنك تروج تجارتك ، وتشعل النار المتقدة في صدورنا
وفي النهاية توجد في ص ١٤٥ من « الخواتيم » رواية أخرى بها بعض التعديل
للآيات التي وردت في مقدمة الـ « گلستان » وقد ذكرناها فيما سبق في الفصل
الأول من هذا الكتاب عندما تحدثنا عن « شعر الفرس و بلاغتهم » وذكرنا الصناعة التي
تعرف بـ « التضمين » بمعنى أن يضمن الشاعر في أشعاره شطرة أو بيتا أو أكثر من
أشعار غيره من الشعراء . وكان الشاعر لكيلا يتهم بالسرقة يراعى في تضميناته أحد
أمرين : أولهما ألا يضمن من الأشعار إلا ما كان متداولاً ومعروفاً لدى جميع التعلين
حتى لا يتهمه واحد منهم بأنه شاء أن ينسبها لنفسه ؛ والآخر ألا يضمن شعراً لشاعر غير
معروف إلا إذا ذكر اسمه صراحة في أشعاره . فإذا وجدنا أن « حافظا الشيرازي »
عندما ضمن الآيات الآتية في أشعاره لم يذكر صراحة اسم سلفه « السعدي » فإن
ذلك وحده يكفي دليلاً - إذا أعوزنا الدليل - على البرهنة على ما امتازت به غزليات
السعدي من رواج عريض وشهرة واسعة .

يقول «حافظ» في إحدى غزلياته :
بدم كفتي وخرسندم ، عفاك الله نكو كفتي

جواب تلخ ميزيد لب لعل شكر خارا

ومعناه (١) :

رعاك الله أن تعضى بإيلامى وتجريحي ، فمر القول لايجرى على شفة رشفاها
والشطرة الأولى من هذا البيت ترد بنصها في ص ٦٨ من «طيات» السعدى
على هذا النحو:

بدم كفتي وخرسندم ، عفاك الله نكو كفتي

سگم خواندى وخوشنودم ، جزاك الله كرم كرى

ومعنى الشطرة التي قرنت بالشطرة المشتركة هو التالي :

وقد اسميتى كلباً ، وسعدت بذلك ، فليجزك الله لقد أكرمتمنى ١١٠٠٠

وكذلك يقول السعدى في ص ١٠٧ من «البدائع» :

جز اين قدر نتوان كفت در جمال تو عيب

که مهربانى از آن طبع وخنومى آيد

ومعناه :

— ولا يستطيع أحد أن يقول إن في جمالك عيباً ... إلا هذه الرذيلة

وهي : أن الحب لايتأني من أصحاب الوجوه الجميلة والطباع الويلة ... ١١

وقد أخذ «حافظ» الشطرة الأولى من هذا البيت وقرنها بشطرة أخرى من

شعره ، نصها كما يلي :

که خال مهر و وفا نيست روى زيارا

ومعناها :

فإن الحب والوفاء لا يكون لأصحاب الوجوه الجميلة ... ١١

وكذلك نجد «سعدى» يقول في «الطيات» ص ٨٠ البيت الآتي :

ذوق چنان ندارد بی دوست زندگانی دودم بسر بر آمد زين آتش تهنانی

(١) المترجم: انظر ترجمتى لديوان حافظ الشيرازى المنشورة في جزمين بعنوان «أغانى شيراز»

ومعناه :

— أن الحياة لا طعم لها بغير صحبة الحلان

وقد صعد البخان إلى رأسى ما في دخيلتى من نيران .. !!

وقد أخذ «حافظ» الشطرة الأولى من هذا البيت وقلبها على هذا النحو :

« بي دوست زندگانى ذوقى چنان ندارد »

ولست أعرف حق الآن أن أحدا من الكتاب قد سبق له الإشارة إلى هذا الدين الذى استدانه «حافظ» من سلفه «السعدى» ، ومن أجل ذلك جرؤت على معالجة الموضوع بشئ من التفضيل الذى ربما اعتبره بعض القراء من لغو القول الذى لاتدعو إليه حاجة أو ضرورة .

٤ — صفار الشعراء

أما صفار الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة فكثيرون ، وقد نستطيع أن نجتمع من «باب الألباب» تأليف عوفى مجموعة منهم تبلغ الأربعين شاعرا كانوا برمتهم أو أكثرهم معاصرين للشعراء الثلاثة الكبار الذين خصصنا لهم هذا الفصل من الكتاب . ويضطرني ضيق المقام إلى أن أقصر حديثي على اثنين فقط من الممتازين بين هؤلاء الأربعين ، وأقصد بهما الشاعرين الإصفهانيين «شرف الدين محمد شفروه» و «كمال الدين اسماعيل» الذى يلقب بـ «خلاق المعاني» . وقد يضاف إليهما شاعر ثالث هو «الأمير خسرو الدهلوى» لأن شهرته تجعله جديرا بالذكر والحديث ، ولكننا اضطررنا إلى التجاوز عنه لأننا راعينا أن نخرج كل ما يتعلق بالهند من دائرة هذا الكتاب . ومن أجل ذلك فإننى اكتفى بأن اذكر أن هذا الشاعر ولد في «پتياى» في سنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م وتوفى في «دلهى» في سنة ٧٢٦ هـ = ١٣٢٥ م وأنه كان في أشعاره تلو «نظامى الكنجوى» .

(١) شرف الدين شفروه :

«شرف الدين شفروه» وكذلك «جمال الدين عبدالرزاق» (والد الشاعر «كمال الدين اسماعيل») كان كلاهما مداحاً لقاضى قضاة مدينة اصفهان الملقب بـ «صدر خجند»

وهما يعتبران من جيل متقدم نسبياً لجيل الشعراء الذين ذكرناهم آتفاً، لأن الأخير منهما مات في سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م والأول مات في سنة ٥٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م وقد وقع كلاهما - من أجل ظروف بينهاها في فصل سابق - (١) في عراقك مع تلميذ «خاقاني» المسمى بـ «عجير الدين البيلقاني». فقد أذعن هذا الأخير في هجائهما مما كان سبباً فيما بعد لإهدار دمه؛ وقد هجا كل منهما الآخر أثناء الفترات التي قاما فيها بتوجيه المدائح لمولاهما المشترك قاضي قضاء اصفهان. ولم أصادف بين أشعار «جمال الدين» شيئاً يلفت النظر ولكن صادفت بين أشعار «شرف الدين» قصيدة جميلة جداً يصف فيها مجد «اصفهان» العابر وما أصابها من تخريب وتحطيم، وقد نشرت نصها في مقالتي التي أذعته في «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية» في سنة ١٩٠١ م بعنوان «مقال عن مخطوط نادر متعلق بتاريخ اصفهان». (٢)

(ب) كمال الدين اسماعيل :

كان «كمال الدين اسماعيل» الملقب بـ «خلاق المعاني» مداحاً مثل أبيه «جمال الدين عبد الرزاق». وقد اقتص بمدائحه جماعة من الناس من بينهم «ركن الدين صاعد بن مسعود» وجملة من ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» مثل «تكش» و«قطب الدين محمد» و«جلال الدين» وكذلك مدح ملك ما زاندران «حسام الدين أردشير» وحكام فارس المعروفين بالأتابكة وخاصة «سعد بن زنگي» وابنه وخليفة «أبا بكر بن سعد» وقد ذكرنا من قبل أن هذين الحاكمين كانا من مدوحي «سعدى» وأصحاب الفضل عليه.

وقد كان «كمال الدين» واحداً من كبار الضحايا الكثيرين الذين قتلهم المغول؛ ويذكر «دولت شاه» عنه أنه كان كريماً وغنياً، وقد أنكر فضله بعض من خصمه بكرمه من أهل اصفهان فتم المدينة وأهلها في أبيات معناها (٣) :

(١) أنظر صحيفة ٥٠٣ من هذا الكتاب

(٢) أنظر : «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠١ م

ومطلع الفصيدة التي يشير إليها هو :

ديدى تو اصفهان را آن شهر خلد پرور آن سدره مقدس آن عدن حور پرور

(٣) المترجم . أنظر ص ١٥٢ من تذكرة الشعراء . وهذا هو نص الأبيات :

- يا إله الكواكب السبع السيارة
 أرسل كافرا شديداً الفتك والغارة
 — حتى يجعل «دردشت» قاحلة كالصحارى
 وحتى يجرى نهر من الدماء في «جوباره» (١).
 — وحتى يضاعف عدد سكان هذه المدينة
 بأن يقطع كل واحد منهم إلى مائة قطعة ... ١١

وقد استجاب الأقدار بسرعة لدعوته فدخل جيش المغول مدينة أصفهان حوالي سنة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م بقيادة «أوكداي» وأوقع بها شر وقعة على النحو الذي عرفت به غارات المغول وما يصاحبها من قتل وتعذيب واضطهاد . ويقرر «دولت شاه» (وقد ذكرنا من قبل أنه لا يعتمد عليه تمام الاعتماد لكثرة جنوحه إلى الخيال) أن «كال الدين إسماعيل» لبس في هذه الأثناء خرقة الصوفية ، وتشبه بهم ، واختار زاوية خارج المدينة فلزمها فترة من الزمان ، لم يتعرض له فيها المغول بشيء من الأذى ولكن أهل أصفهان استغلوه لمصلحتهم فأودعوا لديه كثيراً من أموالهم وأمتعتهم ، فأخذها وأخفاها في بر في هذه الزاوية . وذات يوم دخل صبي من المغول إلى زاويته وفي يده قوس ، فقف طائراً بقذيفة ، فسقط شصه من أصبعه ووقع في هذه البر؛ فلما طلب إخراجها منها اكتشف الكنوز الخبأة فيها . وثار طمع المغول وجشعهم فلم يكتفوا بما وجدوه بل أخذوا يعذبون «كال الدين» رجاء أن يضطر إلى الكشف عما عساه قد خبأه من أموال وكنوز أخرى . ويقال إن «كال الدين» وهو في حالة النزاع استطاع أن يكتب بدمه الرابعة التالية :

— لقد دمی قلبی . . . وهذا هو شرط الذلة والنضانی

— وهو أيضا مظهر الذلة والخضوع أمام الله الباقي

ای خداوند هفت سیاره	کافری را فرست خونخواره
تا در دشت چودشت کند	جوی خون راند اوز جوباره
عدد مردمان بيفزايد	هر یکی را کند بعد پاره

(١) مغان في اصفهان . انظر ص ٢٠٥ من كتاب :

Le strange : Lands of the Eastern Caliphate.

— ومع ذلك فلست أستطيع أن أقول شيئاً من الأقوال
وكأنما أجز الخدمة هو ما أنا فيه من حال...!! (١)

خاتمة الكتاب

عند ما ندرس تاريخ أمة من الأمم، أو نتعرض على الخصوص لحضارتها وحياتها العقلية لا يمكننا أن نصل إلى نقطة من النقاط نستطيع أن نفهم عندها ونقول في دقة وإيمان بأن هذه النقطة تنهى بها فترة من فترات تاريخها. ومع ذلك فهذا التحديد ضروري لأغراض عملية كثيرة. وقد سبق لي أن قررت أن تاريخ إيران بل تاريخ الإسلام كافة لا يمكن أن توجد به معالم واضحة تفرق بين أزمنتها السابقة أو اللاحقة لهذه النكبة التي ابتلت ديار المسلمين بغارة الغول؛ وكل ما هنالك أنه منذ وقعت هذه النكبة النكباء لم يستطع الإسلام أن يفيق مما أصابه من ركود عام في سائر نواحيه، وخاصة النواحي الفكرية والعقلية منها. وقد اختفى المغول منذ أمد بعيد ولم يعودوا قوة عالمية بحسب حسابها، أو عاملاً سياسياً يربح جانبه، ولكنهم مع ذلك كله استطاعوا أن يغيروا معالم الأرض بما أحدثوه فيها من تخريب لا يمكن إصلاحه وبلاء لا يمكن علاجه.

وهذا المجلد الذي يؤذن بالانتهاء لا يشتمل إلا على دراسة فترة لا تزيد على قرنين ونصف القرن من الزمان، ولو ساعدتني صحتي وتمهدت لي أوقات الفراغ لكان من اليسير على أن أعالج في مجلد مثل هذا المجلد ما بقي من تاريخ القرون الستة والنصف التي تصل بين النقطة التي وقفنا عندها وبين وقتنا الحاضر (٢).

(١) المترجم: فيما يلي نس الرابعة:

دل خون شد و شرط جانگدازی اینست در حضرت او که بنه بازی اینست
با این همه هم هیچ نمی یارم گفت شاید که مگر بنده نوازی اینست
(٢) المترجم: أكمل المؤلف ذلك في مجلدين آخرين كل منهما في حجم المجلد الحالي

ولجعت دراستي لهذه الفترة الطويلة أدق وأوفى من دراسة هذه الفترة القصيرة التي تناولتها في هذا المجلد بكثير من التوسع والتفصيل ، ومع ذلك فإنها للأسف الشديد تبدو للقارىء العادى غير مغنّية ولا شافية ، وإنى متحقق من ذلك كله ، ولكننى لو أننى انتظرت حتى أستطيع أن أقدمها له دراسة وافية كافية لما تمكنت مطلقاً من الانتهاء من هذا الكتاب . وفي رأى أن الأدب شبيه بالحب . وعليهما جميعاً ينطبق المثل التركي الذى يقول :

« يار سز قالير كيمسنه عيب سز يار ايسته ين »

ومعناه : يبق بلا جيب من يزيد حببياً مبرءاً من العيوب ... ١١

أو كما قال الشاعر العربى :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

[وكان الفراغ من ترجمة هذا الكتاب

فى يوم الإثنين ٤ إبريل سنة ١٩٤٩ .]

[وكان الفراغ من طبعه فى يوم السبت أول مايو

سنة ١٩٥٤]

كشاف

- ١ — أسماء المؤلفات
- ٢ — أسماء الأعلام
- ٣ — أسماء الأمكنة

[هذا الكشاف مرتب ترتيباً أبجدياً باعتبار الكلمات مجردة من أداة التعريف «الـ»
ومن كلمة «ابن» وكلمة «أبو» ؛ وإذ وضعت شرطة بين رقمين فمعناها «إلى»]

— ١ —

أسماء المؤلفات

[هذه المؤلفات والمنشآت الأدبية مكتوبة بلغات مختلفة تعرف بالرجوع إلى مواضعها]

أبحاث في البلاغة والعروض والقافية :

٣٠ تأليف «جلادوين»

الأبنية عن حقائق الأدوية: تأليف «الموفق الهروي» ٣٤١٠١٧٨٠١٣٢

آتشكده : تأليف « لطفعلی بیگک » ٤٦٩٠٤٦٨٠٣٠١٠٢٦٦

الآثار الباقية : تأليف «البيروني» ١٢١٠١١٩٠١١٧٠١١١٠١٠٦

آثار البلاد : تأليف «القزويني» ٦١٣٠٤٧٠٠٣١٢٠٢٦٦

٣٦٣ الأحكام السلطانية : تأليف «الماوردي»

٦٣٢٠٤٣٨٠٣٦٩ إحياء علوم الدين : تأليف «الغزالي»

٦٤٨٠٣٩٦٠١٥٤ أخبار شعراء الفرس : تأليف «أوزلي»

٦١٥ الاختيارات العمالية : تأليف «الرازي»

٣٢٥ أخلاق جلالی : تأليف «جلال الدين دواني»

٦١٧٠٥٧٩٠٢٦٨ أخلاق ناصري : تأليف «نصير الدين الطوسي»

٣٦٣ أدب الدنيا والدين : تأليف «الماوردي»

١٣٤ الاستيفاء : تأليف «شرف الملك»

- أسد الغابة : تأليف « ابن الأثير » ٥٩٣
 أسرار التوحيد : تأليف « محمد بن المنور » ٣٢٧، ٣٢٦
 أسرار نامه : تأليف « العطار » ٦٤٤
 اسكندر نامه : تأليف « نظامي » ٥٢٤، ٥٠٩، ٥٠٧
 اسكندر نامه بهجری: تأليف « نظامي » ٥٢٤
 اسكندر نامه بهری: تأليف « نظامي » ٥٢٤
 أشرن نامه : تأليف « العطار » ٦٤٤
 أشجان باباطاهر : تأليف « هرون ألن » ٣٢٣
 أشعة اللمعات : تأليف « جامي » ٦٣٦
 أطواق الذهب : تأليف « الزمخشري » ٤٥٩
 أغاني شيراز : تأليف « إبراهيم أمين الشواربي » ٦٨٥، ٤٦٥، ٩٢، ٣٨
 أغنية الناي : تأليف « بالمر » ٦٦١، ٦٦٠، ٤٨٦، ٤٨٤، ١٢٧
 أفتنا : تأليف « زردشت » ١٧٠، ١٢٠، ١١
 إقبال نامه : تأليف « نظامي » ٥٢٤
 الإكسير الأعظم: تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 ألف ليلة وليلة : القصة الشعبية ٥٢١
 ألفية شلفية : تأليف « أزرقى » ٤٠٦
 ألهي نامه : تأليف « الأنصاري » ٣٣٧
 إلهي نامه : تأليف « العطار » ٦٥٤، ٦٤٤
 الأمكنة والجبال والمياه : تأليف « الزمخشري » ٤٥٩
 الأنساب : تأليف « السمعاني » ٥٩٣
 أنوار التحقيق : تأليف « الأنصاري » ٣٣٧، ٣٣٦
 أنوار سهيلي : تأليف « حسين كاشفي » ٤٤٧-٤٤٥، ١٠٤، ٢٧
 أنيس العشاق : تأليف « شرف الدين رامى » ٩٨، ٣٠
 أنيس المریدین وشمس المجالس: تأليف « الأنصاري » ٣٣٧
 أوصاف الأشراف : تأليف « نصير الدين الطوسي » ٦١٧
 الإيقان : تأليف « بهاء الله » ١٠٤

(ب)

- بحر الحقائق : تأليف «نجم الدين دايه» ٦٣١
 البدائع : تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٨٥-٦٨٣، ٦٧٩، ٦٧٧
 بدائع الأسمار فى صنایع الأشعار :
 ٥٠٨ تأليف «قوامى الكنجوى»
 ٦٩ البلاغة لدى الفرس : تأليف «جلادوين»
 ٤٨٣، ٢٩٨ بهارستان : تأليف «جامى»
 ٥٢٠ بهرام نامه : تأليف «نظامى»
 بوستان : تأليف «سعدى» ٦٧٠، ٦٦٨، ٦٦٧، ٦٣٢، ٩٤، ٩١
 ٦٧٦، ٦٧٣، ٦٧٢
 بيان الأديان : تأليف «أبى المعالى» ٣٦٢
 بيست باب در معرفت اسطرلاب :
 ٦١٧ تأليف «نصيرالدين الطوسى»

(پ)

- پنج گنج : تأليف «نظامى» ٥٠٧، ٣٧
 پند نامه : تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٧٧
 پند نامه : تأليف «الطار» ٦٤٨، ٦٤٣

(ت)

- تاريخ أبى الفدا : تأليف «أبى الفدا» ٥٩٧
 تاريخ الآداب العربية : تأليف «بروكلمان» ٤٥٧، ٤٢٠، ٣٦٨، ٣٦٣، ١٢٢
 ٥٢٠، ٥١٧، ٥١٦
 تاريخ الأدب الشرقى : تأليف «فون كريمير» ٦١٢، ٤٥٦
 «أنظر «تاريخ الآداب العربية»
 تاريخ الأدب العربى : تأليف «بروكلمان»
 تاريخ الأدب فى إيران : تأليف «براون» ٥٨٩، ٢٣٩، ٢١٥، ٤٠٠، ١٧
 تاريخ أردشير بن پاپك : تأليف «نولدكه» ٣٨٧
 تاريخ الأشعار العثمانية : تأليف «جب» ٦٥٥، ٥١٦، ٣٩، ٢٩

- ١٣١ تاريخ أصفهان : تأليف «اللافروخي»
٥٩٨،٣١٤ تاريخ آل سلجوق : تأليف «البنداري»
٣١٥،٢٣٨ التاريخ الألفي : تأليف «التوي»
١٣١ تاريخ بخاري : تأليف «الرشخني»
٦١٠ تاريخ بغداد : تأليف «ابن الخطيب»
٣٣ تاريخ الثقافة : تأليف «فون كريمر»
٨٤ التاريخ الجديد : تأليف من كتب البابية
٣٦٥ تاريخ الحضارة في الشرق : تأليف «فون كريمر»
٦٠٥-٦٠٣،٣٠٩ تاريخ الحكماء : تأليف «القفطي»
٥٩٨،٤٤٩ تاريخ السلاجقة : تأليف «أنوشيروان بن خالد»
تاريخ السلاجقة أو آل سلجوق : تأليف «عماد الدين الأصفهاني»
٢٠٩ تاريخ سلاجقة كرمان : تأليف «محمد بن إبراهيم» ٤٠٧،٢٢٣
تاريخ الطب والنبات عند العرب : تأليف «وستفلد» ٦٠٦
تاريخ طبرستان : تأليف «ابن اسفنديار» ١٣٣،١١٩،٦٢، ٣٤٩، ١٥٥،
٦٠٨، ٥٧٩، ٥٢٦، ٤٥٤
تاريخ طبرستان : تأليف «اليزدادي» ٦٠٩،٦٠٨،١٢٣،١٣١
تاريخ الطبري : تأليف «ابن جرير الطبري» ٥٢٠،٣٥١،٢٨١،١٩٩
تاريخ العتيبي : تأليف «العتيبي» (أنظر تاريخ البيني)
تاريخ الفلسفة في الإسلام : تأليف «دي بوير» ٣٦٨
تاريخ قم ١٣١
تاريخ الكامل : تأليف «ابن الأثير» ٥٥٤، ٣٩١، ٢١٨، ٢٠٩، ١٩٩،
٥٩٢
تاريخ كزنده : تأليف «حمد الله المستوفي» ٢٤٩، ٢٣٣، ١٧٨، ١٧٦، ١٥٦،
٣٢٨، ٣٢٥، ٣١٩، ٣١٥، ٢٥٠،
٤٤٣، ٤٣٧، ٤٣٦، ٤٣٣، ٤٣٢،
٤٩٣، ٤٨٤، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٦٢،
٥٢٧، ٥٢٥، ٥٠٤، ٤٩٤

- ٥٥٥،٣١٣ تاريخ مبارك غازاني : تأليف « زشيد الدين »
 ٥٩٤،٥٩٣ تاريخ مختصر الدول : تأليف « ابن العبري »
 ٥٦٦، ٥٦٣، ٥٥٤، ٥٥٢، ٥٤٩ تاريخ المغول : تأليف « دوسون »
 ٦٠٠، ٥٧٠، ٥٦٧
 ٥٥٤، ٥٥٢، ٥٥٠ تاريخ المغول : تأليف « هوورث »
 ٥٩٣ تاريخ المملكة الأتابكية بالموصل : تأليف « ابن الأثير »
 ٥٩٥ تاريخ الهند : تأليف « إليوت »
 ٥٥٥، ٢٧ تاريخ و صاف : تأليف « الوصاف »
 ٢٩٢، ٢٤٨، ١٦١، ١٣٠، ١١٤ تاريخ اليمنى : تأليف « العنبي »
 ٥٩٧
 ٦٣٩، ٦٣٤ نائية ابن الفارض : قصيدة لـ « عمر بن الفارض »
 ٦١٧ تجريد العقائد : تأليف « نصير الدين الطوسي »
 (انظر تاريخ و صاف) تجزية الأمصار وتجزية الأعصار
 ٥٠٦، ٥٠٢، ٤٩٥ تحفة العراقيين : مثنوية للشاعر « خاقاني »
 ١٢١، ١١٧ تحقيق مال الهند : تأليف « البيروني »
 ٦٦١، ٦٤٧، ٦٤٣، ٦٢٩، ٤٠٤ تذكرة الأولياء : تأليف « العطار »
 ١٣٦، ٩٥، ٨٣، ٣٠، ٢٩، ٢٦، ٢٤ تذكرة الشعراء : تأليف « دولتشاه »
 ١٩٦، ١٨٩، ١٨٧، ١٥٢، ١٤٠
 ٣١٥، ٣٠٨، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٣
 ٣٤٩، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٣٩
 ٣٩٦، ٣٨٥، ٣٧٨، ٣٦٥، ٣٥٠
 ٤٢١، ٤١٨، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٦
 ٤٣٦، ٤٣٤، ٤٣٢، ٤٣٠، ٤٢٥
 ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٦٨، ٤٦٥، ٤٦٤
 ٥٠٨، ٥٠٤، ٤٩٩، ٤٩٧، ٤٩٦
 ٥٢٩، ٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٥، ٥٠٩
 ٦٤٦، ٥٧٤، ٥٤٢، ٥٣٤، ٥٣٠
 ٦٨٧، ٦٤٨

- ٣٩٦، ١٥٤ تراجم شعراء الفرس : تأليف « أوزلى »
 ١٤٤٠، ١٣٣، ٣٠ ترجمان البلاغة : تأليف « فرخى »
 ٤٤٩ ترجمان القرآن : تأليف « الزوزنى »
 ١٣٢ ترجمة تاريخ الطبرى : ترجمة « البلعمى »
 ٤٤٨ ترجمة حياة القاضي موكرجى
 ترجمة كلية ودمنة إلى الفارسية : ترجمة « نصر الله
 ابن عبد الحميد »
 ٤٣٨، ٣٧٣ ترستان ويزلت
 ٣٤٢ تفسير فارسى للقرآن
 ١٣٢ تفسير القرآن : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 ١٢١، ١١٧ التفهيم فى صناعة التنجيم : تأليف « البيرونى »
 ٤٦٩ تقويم التواريخ : تأليف « حاجى خليفة »
 ٥٩٩ تلخيص الشاهنامه : بقلم « البندارى »
 ١١٦ التمثيل والمهاضرة : تأليف « الثعالبي »
 ٤١٢ تزيير الوزير الزبير الحزير : قصيدة للشاعر « الحاتونى »
 ٦١٧ تنسوق نامه ايلخانى : تأليف « نصير الدين الطوسى »
 ٣٧٠ تهافت التهافت : تأليف « ابن رشد »
 ٣٧٠ تهافت الفلاسفة : تأليف « الغزالى »
 ٣٣٧ تهذيب طبقات الصوفية : تأليف « الأنصارى »

(ج)

- جامع التواريخ : تأليف « رشيد الدين » ٢٤٩٠، ٢٤٦٠، ٢٤٣٠، ٢٣٩٠، ٢
 ٥٥٩، ٥٥٥، ٣١٣، ٢٥٨، ٢٥٠
 ٦٢٦، ٥٧٧، ٥٦٨
 اللجنة المفقودة : تأليف الشاعر « ملتون » ٣٩٨
 جهان كشا : تأليف « الجوينى » ٣٨٢، ٢٥٨، ٢٤٣، ٢٣٩، ٢١٠، ٢
 ٤٢٠، ٤١٩، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٤
 ٥٧٤، ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٦٤، ٥٥٥
 ٦١٤، ٦٠٠، ٥٨٣، ٥٧٧، ٥٧٦

جوامع الحكايات ولوامع الروايات : تأليف «عوفى» ٣٩٤ ، ٦٠

(ج)

چهارمقاله : تأليف «نظامى عروضى سمرقندى» ٢٣٠٢ ، ٤٠ ، ٢٦٠ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٥٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٣ ،
 ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
 ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٧٨ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٤٠٦ ،
 ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ،
 ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤

(ح)

حاجى بابا : تأليف «مورير»
 ٦٨ و ترجمة «أحمد كرماني»
 حالات وسخنان شيخ أبى سعيد: لأحد أحفاده ٣٣٦
 حبيب السير : تأليف «خوندابير» ٤٨١ ، ٢٧٥
 حقائق السحر فى دقائق الشعر : تأليف «الوطواط» ٣١ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ٩٤ ،
 ٣٤٠ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٣٨

حديقة الحقيقة : تأليف «سنائى»
 ٣١٨ حصاد الهشيم : تأليف «المازنى»
 ٣٠ حقائق الحدائق : تأليف «شرف الدين رامى»
 ٦٣٢ ، ٦٣٣ حكمة الإشراف : تأليف «السرور دى المقتول»
 ٥٩٩ الحماسة الإيرانية : تأليف «نولدكه»
 ١٢٤ حى بن يقظان : تأليف «ابن سينا»
 ١٢٤ حى بن يقظان : تأليف «ابن الطفيل»

(خ)

الحديثات : للشاعر «سعدى الشيرازى» ٦٧٧

- خجسته نامه : تأليف « البهرامى » ١٩٤٠١٣٤٠١٣٢
 خرابات : تأليف « ضيا باشا » ١٤٦٠١٢٧٠١١٤٠٦٣٠٤٠
 خرد نامه : تأليف « نظامى » ٥٢٤
 خر نامه : للشاعر « سوزنى » ٤٨٤
 خسروان نامه : تأليف « أمير جلال » ١٥
 خسرو نامه : تأليف « العطار » ٦٤٤
 خسرو وشيرين : تأليف « نظامى » ٥٢٠٠١٥١٤٠١٣٠٥٠٨٠٥٠٧
 ٥٣٣
 ٦٢٠ خط وخطاطان : تأليف « ميرزا حبيب »
 خلاصة الأشعار : تأليف « تقى الدين الكاشى » ٤٦٩٠٢٦٦
 خمسة نظامى : تأليف « نظامى » ٥٢٥٠٥١١-٥٠٩
 الحواثيم : للشاعر « سعدى الشيرازى » ٦٨٤٠٦٧٩٠٦٧٧
 خوان الآخوان : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١٠٢٦٩
 خيرات حسان : تأليف « اعتماد السلطنة » ٤٣٧

(د)

- دانشنامه علائى : تأليف « ابن سينا » ٣٦٢٠١٣٢٠١٢٧
 دبستان ٢٧٥
 دراسات إسلامية : تأليف « جولد زيهر » ٣٦٥
 الدستور الأعظم : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 دموع خراسان : تأليف « كركياتريك » ٤٨٩٠٤٨٦٠٤٧٢
 دمية القصر : تأليف « الباخرزى » ٤٥١٠١٣١٠١١٥
 الدول الإسلامية : تأليف « لين يول » ٥٦٩٠٢٠٧
 ديوان أنورى : للشاعر « أنورى » ٤٨٤
 ديوان حافظ شيرازى : للشاعر « حافظ الشيرازى » ٦٨٥٠٦٨٣٠٦٨٢
 ديوان الحماسة : جمع « أبى تمام » ٣١٥٠١٠٢
 ديوان دقيقى : للشاعر « الدقيقى » ٣٣٨
 ديوان سلطان ولد : للشاعر « سلطان ولد » ٦٥٥

ديوان شمس تبريز : للشاعر «جلال الدين الرومي» ١٦٤٢، ٦٥٨-٦٦١، ٦٦٤
ديوان ظهير الدين : للشاعر «الفارابي» ٥٢٧ - ٥٣٠، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٢

ديوان ابن العربي : للصوفي «عبي الدين بن العربي» ٦٣٤
ديوان عمر بن الفارض : للشاعر «عمر بن الفارض» ٦٣٩، ٦٤٠
ديوان عنصري : للشاعر «عنصري» ١٤٠
ديوان قوامي الكنجوي : للشاعر «قوامي» ٥٠٨
ديوان ناصر خسرو : للشاعر «ناصر خسرو» ٢٧٧-٢٧٤، ٢٦٩، ٢٠١
ديوان نظامي الكنجوي : للشاعر «نظامي» ٥١٠، ٥٠٩

(ذ)

ذخيره خوارزمشاهي : تأليف «زين الدين الجرجاني» ٣٧٣، ٤٣٨
ذم الكلام : تأليف «الأنصاري» ٣٣٨

(ر)

راحة الصدور : تأليف «الراوندي» ١٣٥، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣
٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠-٢٢٣
٢٢٨-٢٣٠، ٢٣٦، ٢٦٤، ٣٢٤
٣٢٥، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩١
٣٩٣، ٤١١، ٤١٢، ٤٨٨، ٤٨٩

رباب نامه : تأليف «سلطان ولد» ٦٥٥
رباعيات بابا طاهر الهمداني ٣٢٢، ٣٢٣
رباعيات الحيام : للشاعر «عمر الحيام» ١٦٩، ٢٣٧، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٨

رباعيات أبي سعيد بن أبي الخير ٣٢٦، ٣٢٨

رحلة ابن جبیر : تأليف ابن جبیر ٦١٤
رساله أسرار : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧
رساله جوديه : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
رساله حورائيه : تأليف «أبي عبدالله بن محمود» ٣٢٦، ٣٢٧
رساله در حقيقت و كفييت موجودات
تأليف «ابن سينا» ١٢٧

- رسالة سى فصل : تأليف « نصير الدين الطوسي » ٦١٧
- رسالة الغفران : « « أبي العلاء المعري » ٣٦٧
- رسالة في الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة في جسم
مركب منهما : تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في براهين الجبر والمقابلة :
تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل :
تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في جواب القاضى أبى نصر النسوى:
تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في ذم الدنيا : تأليف « الرازى » ٦١٥
- رسالة في الرد على الباطنية : تأليف « النزالى » ٣٦٩
- رسالة في السحر : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
- رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس:
تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في الطبيعات : تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في قول الصوفية : تأليف « نجم الدين كبرى » ٦٢٩
- رسالة في الكون والتكليف : تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في لوازم الأمكنة : تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- رسالة في الوجود : تأليف « عمر الحيام » ٣١٧
- الرسالة القشيرية : تأليف « القشبرى » ٢١٨
- رسالة نبضية : تأليف « ابن سينا » ١٢٧
- رسائل المعري : تأليف « أبى العلاء المعري » ٣٦٧
- رشف النصائح : تأليف « شهاب الدين » ٦٣٢
- السهروردى
- رك شناسى : تأليف « ابن سينا » ١٢٧
- روشنائى نامه : تأليف « ناصر خسرو » ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٤، ٣٠١، ٣٠٣
- روشنائى نامه ثر : تأليف « ناصر خسرو » (أنظر : شش فصل)
- روضة الصفا : تأليف « ميرخوند » ٤٤٣، ٢٣٨، ٢٧

رياض العارفين : تأليف «رضا قليخان» ٦٤٤،٣٢٤،١٣٥

(ز)

زادالعارفين : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

زادالمسافرين : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١،٢٨٢،٢٦٩

زيح ايلخاني : تأليف «نصيرالدين الطوسي» ٦١٧،٦١٦

زيح ملكشاه : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧

زين الأخبار : تأليف «الگردزي» ٣٦٢

(س)

سجنجل الأرواح : تأليف «سعد الدين الحموي» ٦٣٠

سحر البلاغة : تأليف «الثعالبي» ١١٦

سرگذشت سيدنا : تأليف «الحسن بن الصباح» ٢٥٨،٢٤٧،٢٣٩

سفادتنامه : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠٣،٣٠١،٢٦٩

السعدى الشيرازي: تأليف «ظهير الدين أحمد» ٦٦٧

سعدى الشيرازي : تأليف الدكتور «هنداوى» ٦٦٧

سفر نامه : تأليف «ناصر خسرو» ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٤٦

٢٧٤ - ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٣٨، ٣٠٢، ٣٠٠

٣٦٤

سقط الزند : للشاعر «أبي العلاء المعرى» ٣٦٧

سكندر نامه : تأليف «نظامى» ٥٢٤،٥٠٩،٥٠٧

سلامان وأبسال : تأليف «جامى» ١٢٤

سلسلة جب التذكارية (مجموعة من الكتب) ٢٠٩، ١٨٩، ١٣٥، ١١٦، ٢٣، ٢

٣٢٤، ٣١٣، ٢٦٤، ٢٤٣، ٢٣١

٤٦٣، ٤٥٤، ٤١٩، ٤١٢، ٣٦٣

٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٦٠٠ ، ٥٥٥

٦٢٣، ٦٢١، ٦٢١، ٦١٢، ٦٠٩

٢٩٩، ٢٦٧، ١٠٧، ٦٦١

سنة بين الفرس : تأليف « براون »

سياسة نامه : تأليف «نظام الملك» ٢٥٩٠٢٤٨٠٢٣١٠٢٢٩٠١٦٤٠١٩

٣٤٨٠٣٤٦٠٢٦٩٠٢٦١٠٢٦٠

٥٢١٠٣٨١٠٣٥٤

سير العباد إلى المعاد : للشاعر «سنائي» ٣٩٦

سير الملوك : تأليف «نظام الملك» (أنظر : سياسة نامه)

سيرة السلطان جلال الدين : تأليف «النسوي» ٦٠١٠٥٧١٠٥٥٥

سيرة ابن هشام : تأليف «ابن هشام» ٠٣٧٥

(ش)

الشافية : تأليف «ابن الحاجب» ٦١٩

شاهنامه : تأليف «الفردوسي» ١١٠٠١٠٣٠٩٦٠٩٣٠٣٧٠٢٨٠١٥

١٦٠٠١٥٨٠١٥٦-١٥٣٠١٤٠

-١٧٤٠١٧١٠١٦٦٠١٦٣٠١٦١

٠٣٤٠٠٢٧٩٠١٩٩٠١٧٩٠١٧٦

٥٩٩٠٣٨٣٠٣٤٥٠٣٤١

شاهنامه : تأليف «أبي المؤيد البلخي» ١٤٦
شد الإزار في حط الأوزار :

تأليف «جنيد الشيرازي» ٦٢٥٠٦٢٤

شرح أشعار خاقاني : تأليف «أبي الحسن الفراهاني» ٤٩٤

شرح أشعار خاقاني : تأليف «الشادي آبادي» ٤٩٤

شرح الحماسة : تأليف «التبريزي» ٤٤٩

شرح الملقات : تأليف «التبريزي» ٤٤٩

شرف نامه : تأليف «نظامي» ٥٢٤

شش فصل : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١٠٢٦٩

الشفاء : تأليف «ابن سينا» ١٢٢٠١١٣

شيراز نامه : تأليف

«أبي العباس أحمد زر كوب» ٦٢٤

الشیطان : تأليف «روبرت منتجومري» ٣٩٨

(ص)

- ٦١٩ الصحاح : تأليف « الجوهري »
 ٤١٧ صد كلة : تأليف « الوطواط »
 ٦٢٩ صفة الآداب : تأليف « نجم الدين كبرى »
 ٥٩٥ صور من التاريخ الشرقي : تأليف « نولدكه »
 (ط)
 ٣٣٧ طبقات الصوفية : تأليف « السلمي »
 طبقات ناصري : تأليف « منهاج السراج » ٥٨٩ — ٥٨٧، ٥٨٤، ٥٨٢، ٥٧٤
 ٥٩٦، ٥٩٥
 طرب نامه : قصيدة من نظم « الباخزوى » ٤٥٢
 طريق التحقيق : مثنوية تأليف « سنائى » ٣٩٦
 الطيات : للشاعر « سعدى الشيرازى » ٦٨٥، ٦٨٣، ٦٧٩، ٦٧٧

(ظ)

- ١٢٧ ظفر نامه : تأليف « ابن سينا »

(ع)

- عجائب المخلوقات : تأليف « زكريا القزوينى » ٦١٤ — ٦١٢
 العروض الفارسية : تأليف « بلوخمان » ٣٥
 عشق نامه : مثنوية تأليف « سنائى » ٣٩٧
 عقل نامه : مثنويه تأليف « سنائى » ٣٩٧
 علم اليونان : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 عوارف المعارف : تأليف « شهاب الدين
 السهروردى » ٦٣٢
 عياز دانش : تأليف « أبى الفضل » ٤٤٥
 عيون الأخبار : مخطوطة بمكتبة جامعة كامبردج ٥٩٩، ٤٥٧، ٢٣٨

(غ)

- غاية العرويين : تأليف « بهرامى السرخسى » ١٩٤، ٣١
 غزر أخبار ملوك الفرس : تأليف « الثعالبي » ١١٦
 غريب نامه : مثنويه تأليف « سنائى » ٣٩٧، ٣٩٦

- غزليات حافظ الشيرازي: للشاعر «حافظ الشيرازي» ٤٠١
 الغزليات القديمة : للشاعر «سعدى» ٦٧٩، ٦٧٧
 غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز : تأليف
 « نيكلسون » « أنظر قصائد مختارة »

(ف)

- ابن الفارض والحب الإلهي: تأليف الدكتور
 « محمد مصطفى حلمي » ٦٤١
 الفتوحات المسكية : تأليف «ابن العربي» ٦٣٤، ٦٣٣
 الفخرى : تأليف «ابن الطقطقي» ٥٨٨ — ٥٨٣، ٣٦٨، ٢١٥، ١٠٠
 فردوس التواريخ : تأليف «الأبرقوهي» ٣١٥
 فرهنكك أسدي : طبع «بول هورن» ١٧٨
 فرهنكك ناصري : تأليف «رضا قليخان» ٢٩٢
 الفصل في الملل والنحل : تأليف «ابن حزم» ٤٦٥
 فصوص الحكيم : تأليف «ابن العربي» ٦٣٦، ٦٣٣
 الفصول والغايات : تأليف «أبي العلاء المعري» ٣٦٧، ٣٦٤
 فقه اللغة : تأليف «نشعالي» ١١٦
 الفلسفة المثالية : تأليف «مارتن تير» ٢٩٨
 فن الشعر الانجليزي: تأليف «جورج يبنهام» ٦٨٠، ٦٣
 الفهرست : تأليف «ابن النديم» ١٣١
 فوات الوفيات : تأليف «ابن شاکر» ٦١٧ — ٦١٧
 فيه ما فيه : تأليف «جلال الدين الرومي» ٦٥٩

(ق)

- قابوس نامه : تأليف «عنصر العالی کیکاوس» ٣٥٠ — ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٥، ١٠٠، ٣
 ٣٥٤، ٣٥٣
 القانون : «ابن سينا» ١٢٢
 القانون الأعظم : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
 قانون السعودی : تأليف «البيروني» ١١٧

- قراضه طبيعيات : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 قرآن شمس المعالي وكمال البلاغة: تأليف «اليزدادى» ١١٩
 قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز :
- تأليف « نيكلسون » ٦٦١٠٦٦٠٠٦٥٥
- قصيدة كبالو . للشاعر «لونج فيلاو» ٥٨٦
 قصيدة الملك : للشاعر «على الشطرنجى» ٤٣٤
 قلندر نامه : تأليف «الأنصارى» ٣٣٨
 (ك)
- كارنامه : مثنوية تأليف «سنانى» ٣٩٦
 الكافية : تأليف «ابن الحاجب» ٦١٩
 كامل الصناعات : تأليف «المجوسى الطيب» ١٣١
 كتاب أسرار : تأليف «الأنصارى» ٣٣٧
 الكتاب الذهبى للمهرمان الألفى لند كرى ابن سينا
 أصدرته جامعة الدول العربية ١٢٢
 كتاب محبوب : تأليف «سعد الدين الحموى» ٦٣٠
 الكشف : تأليف «الزمخشري» ٤٥٩٠٤٥٠
 كشف الأستار عن بدايع الأشعار :
 تأليف «قوامى الكنجوى» ٥٠٨
 كشف الظنون : تأليف «حاجى خليفه» ٤١١
 كشف المحجوب : تأليف «المهجوبرى» ٣٦٣
 كليات خاقانى : للشاعر «خاقانى» ٥٠١٠٤٨٨
- كليات سعدى : للشاعر «سعدى» ٦٨٠٠٦٧٩٠٦٧٦
 كليله ودمنه : تأليف «بيدبا» ٤٤٥ - ٤٤٢٠٢٨٠٢٧
- كنز الحقائق : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
 كنز السالكين : تأليف «الأنصارى» ٣٣٨
 كنز القافية : تأليف «بهرامى السرخسى» ١٩٤٠٣١
 كنوز المغرمين : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 كيمياء سعاد : تأليف «الغزالى» ٤٣٨٠٣٦٩

(ك)

كرشاسب نامه : تأليف « أسدى الأصغر » ٣٤١،٣٤٠،١٧٨
 ككستان : تأليف « سعدى » ٦٧٢-٦٧٠،٦٦٨،٦٦٧،٨٢،٣٦
 ٦٨٤ - ٦٨٢،٦٧٦ - ٦٧٤

كلشن راز : تأليف « محمود الشبستري » ٦٦٠
 كنجنامه : تأليف « الأنصاري » ٣٣٨

(ل)

لامية العجم : قصيدة للشاعر « الطفراني » ٤٤٩،٣٧٤
 لباب الألباب : تأليف « محمد عوفى » ١٠٥٦،١٥٥،١٣٦،١٣٤،١٠٩،٢
 ١٩٩، ١٨٩، ١٨٨، ١٧٨، ١٧٦
 ٣٤٣، ٣٣٩، ٣٠٨، ٢٠٣، ٢٠٠
 - ٤١٣، ٤٠٦، ٣٩٦، ٣٨٧، ٣٤٥
 ، ٤٣٤ ، ٤٢٥، ٤٢٢، ٤٢١، ٤١٥
 ، ٤٧٠ ، ٤٦٣، ٤٥٣ - ٤٥١، ٤٣٥
 ، ٥٠٧ ، ٥٠٤ ، ٤٨٣، ٤٧٦، ٤٧٣
 ، ٦٠٦ ، ٦٠٣ ، ٥٤٢، ٥٢٦، ٥٠٩
 ٦٨٦، ٦٤٤، ٦٠٧

اللباب في معرفة الأنساب : تأليف « ابن الأثير » ٥٩٣

اللزوميات : للشاعر « أبى العلاء العري » ٣٦٧

لسان الغيب : تأليف العطار » ٦٤٥،٦٤٤

لطائف البيان : تأليف « روزبهان » ٦٢٤

اللطائف والظرائف : تأليف « الثعالبي » ١١٦

لطائف المعارف : تأليف « الثعالبي » ١١٦

لغت فرس : تأليف « أسدى الأصغر » ٤١٢،٣٤١،٢٨

اللمعات : تأليف « غفر الدين العراقي » ٦٣٦

ليلى ومجنون : تأليف « نظامى » ٥٢٠ ، ٥١٧، ٥١٦، ٥٠٩ - ٥٠٧

(٢)

١١٦	: تأليف «الثعالي»	البهج
٦١٩	: تأليف «ضياء الدين بن الأثير»	الثلث السائر
٦٤٢ ، ٥١١ ، ٣٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣٧	: تأليف «جلال الدين الرومي»	الثنوي الغنوي
٦٦٤ ، ٦٦١ - ٦٥٦ ، ٦٤٧		
٦٤٣ ، ٦١٧ ، ٤٨٠ ، ١٩٧	: تأليف «الششتري»	مجالس المؤمنين
٣٧٤	: تأليف «الميداني»	مجمع الأمثال
٦١٧ ، ٦٠٧ ، ٤٥٢ ، ٤١٣ ، ٤١٢	: تأليف «رضا قليخان»	مجمع الفصحاء
٦١٨		
٤٨٣ ، ٤٧٠ ، ٤٦٩	: تأليف «فصيحي خوافي»	المحمل
٥٩٦	: تأليف «جرجيس المسكين»	المجموع المبارك
٥٩٣	: مجموعة المؤرخين العرب للحروب الصليبية	مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة
٤٥٧ ، ٢٠٩	نشرها «هوتسبا»	
٣٣٨	: تأليف «الأنصاري»	مجتبى نامه
٦٢٢ ، ٥٥٥ ، ٤١٠ ، ٨	: تأليف «شيفر»	مختارات فارسية
٥١١ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧	: تأليف «نظامي»	مخزن الأسرار
٦١٢	: تأليف «ياقوت»	مراصد الاطلاع
٤٦٩ ، ٤٦٨	: تأليف «شيرخان لودي»	مرآة الخيال
٦٢٦	: تأليف «اليافعي»	مرآة الزمان
٤٦٩	: تأليف «محمد بن خاور خان»	مرآة العالم
٦٢٢	: تأليف «سعد الدين الوراوي»	مرزبان نامه
	: تأليف	مرزبان نامه
٦٢٢ ، ٣٤٦ ، ١٣٣ ، ١٠٨	: «مرزبان بن رستم بن شروين»	
٦٣١ ، ٣٠٨	: تأليف «نجم الدين الرازي»	مرصاد العباد
٣٠١	: تأليف «ناصر خسرو»	المستوفى
٤٥٨		مسند ابن حنبل
٦٢٤	: تأليف «روزبهان»	مشارب الأرواح
٦١٢	: تأليف «ياقوت»	المشترك
٦٤٤	: تأليف «الطار»	مصيبت نامه

- مطوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب
تأليف «الوطواط»
٤١٧ كتاب قدم للبارون المظفرية
- «فون روزن»
٣٠٧٠٩٢٦
- مظهر العجائب : تأليف «الطار»
٦٤٧٠٦٤٥٠٦٢٩
- معالم التنزيل : تأليف «القراء البغوي»
٤٥٠
- معجم الأدباء : تأليف «ياقوت»
٦١٢٠٦٠٤
- معجم البلدان : تأليف «ياقوت»
٦١٠٠٥٩٧٠٥٥٠٠٣٩٩٠٣٩٤
- معجم البلدان الفارسية: تأليف «باربيهدى منار»
٦١٢٠٦١١٠١٦٣
- المعجم في معايير أشعار المعجم : تأليف
«شمس قيس الرازي»
٦٢١٠٤١٢٠٢٣١٠٣١٠٢٩٠٢
- امعراجنامه : تأليف «ابن سينا»
١٢٧
- المغرب : تأليف «الجواليقي»
٤٥٠
- المعلقات
- مفاتيح العلوم : تأليف «السكاكي»
١٣١
- المفصل : تأليف «الزحشري»
٤٥٩
- المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية نثره «كون»
٢٠٠٠ ، ١٨٠٠ ، ١٦٧٠ ، ١٥٥٠ ، ١٣٥٠
٦٦٩٠٦٢٢٠٣٤١٠٢٧٩٠٢٣٧
- و«جيجر»
مقالات : تأليف «الأنصاري»
٣٣٨
- مقامات بديع الزمان : تأليف
«بديع الزمان الهمداني»
٤٥٦ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٠٩ ، ٣٣
- مقامات الحريري : تأليف «الحريري»
٤٤٩ ، ٣٧٤ ، ١٢٩ ، ١٠٩
٤٥٨ - ٤٥٦
- مقامات حميد الدين : تأليف
«حميد الدين أبي بكر البلخي»
٤٩٣ ، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٣٧٤
- الملل والنحل : تأليف «الشهرستاني»
٤٥٩ ، ٤٥٠ ، ٣٧٤ ، ١٢٢
- مناجات نامه : تأليف «الأنصاري»
٣٣٧ ، ٣٣٦

٣٣٨٠٣٣٦	: تأليف «الأنصاري»	منازل السائرين
٤١٢٠٤١١٠٢٢٨	: تأليف «أبي طاهر الخاتوني»	مناقب الشعراء
٦٥٨٠٦٥٦	: تأليف «الأفلاكي»	مناقب العارفين
١٨٠	: تأليف «أسدي»	مناظرات أسدي
٦٢٤	: تأليف «روزبهان»	منطق الأسرار
٦٤٨٠٦٤٦٠٦٤٣٠٣٢٢	: تأليف «الطار»	منطق الطير
٣٧٠٠٣٦٩	: تأليف «الغزالي»	المقصد من الضلال
٩٢	: تأليف «عبيد زكاني»	موش وكره

(ن)

٤١٧	: تأليف «الوطواط»	ثر اللآلي من كلام أمير المؤمنين علي
١١٦	: تأليف «الثعالي»	ثر النظم
٣٤٩٠٣٤٨	: تأليف «فوربس»	النحو الفارسي
٣٦٢	: تأليف «شهمردان ابن أبي الخير»	زهد نامه علائي
٣١٥٠٣١٠	: تأليف «الشهرزوري»	زهد الأرواح
٣٣٨٠٣٢٧	: تأليف «الأنصاري»	نصائح (نصيحت)
٦٢٠	: تأليف «البيضاوي»	نظام التواريخ
		نظامي الكنجوي شاعر الفضيلة :
٥٢٥	: تأليف «عبدالنعيم حسنين»	تأليف دكتور
٦٣٠ ، ٦٢٧ ، ٦٢٥ ، ٥٥٩ ، ٣٢٨	: تأليف «جامي»	نقحات الأنس
٦٤٧ ، ٦٤٦ ، ٦٣٨ ، ٦٣٤		
		نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب :
٦٣٧ ، ٦٣٤	: تأليف «المقري»	
١١٦	: تأليف «الثعالي»	النهاية في السكناية
٣١٧	: تأليف «عمر الحيام»	نوروز نامه
٦٢٢ ، ١٣٣ ، ١٠٨	: تأليف «مرزبان بن رستم»	نيكي نامه

(هـ)

٤٦٩ ، ٤٦٨ ، ٤٤٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦	: تأليف «أمين أحمد رازی»	هفت إقليم
٤٩٣ ، ٤٨٣		
٣٧	: تأليف «جامی»	هفت آورنگ
٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٥١١ ، ٥٠٩ ، ٥٠٧	: تأليف «نظامی»	هفت پیکر
٥٢٣		
٣٤ ، ٣٣	: تأليف «معز الدين شاه»	هفت قلزم
٤٤٥	: تأليف «علي چلبی»	همایون نامه

(و)

٣٤٥ ، ٣٤٤	: تأليف «فصیحی الجرجانی»	وامق وعذرا
٢٣٨ ، ٢٣٧	: منسوبة إلى «نظام الملك»	الوصايا
٦٠٢ ، ٥٩٢ ، ٥٥٠ ، ٣١٧ ، ١٢٢	: تأليف «ابن خلكان»	وفيات الأعيان
٦٠٣		
٤٢٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢	: تأليف «نغر الدين الجرجانی»	ويس ورامين

(ی)

١١٨ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١٠٧ ، ٧٨ ، ٣٧	: تأليف «التهالبي»	یتيمة الدهر
٤٥١ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١١٩		
(أنظر : تاريخ اليميني)	: تأليف «العتبي»	اليميني
١٧٥ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤	: تأليف «الفردوسی»	یوسف وزليخا

أسماء الأعلام

أمير الدين المروزي ٤٣٥
 أحمد (النبي صلعم) ٣٦٦
 أحمد تاكدار ٥٦٢ ، ٥٦٦
 أحمد حامد الصراف ٣١٨
 أحمد بن الحسن اليميني ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ،
 ١٦٦ ، ١٦٢ ، ١٥٩
 أحمد بن خنبل ٢٢٧ ، ٤٨٥
 أحمد خان (ملك سمرقند) ٣٧٢ ، ٢٩٠
 أحمد الحجستاني ٢٣
 أحمد راي ٣١٨
 أحمد زكي أبو شادي ٣١٨
 أحمد الصافي النجفي ٣١٨
 أحمد بن الضحاك ٥٨٧
 أحمد بن عبد الملك بن عطاش (انظر: ابن عطاش)
 أحمد بن عمر بن علي (انظر: نظامي عروضي)
 أحمد الغزالي ٣١٩
 أحمد فريد رفاعي (دكتور) ٦١٢
 أحمد القريظوني ٣٥١
 أحمد بن محمد بن أبي بكر الخالنجاني ١٦٠ ، ١٦٧
 أحمد بن ملكشاه ٢٢٧
 أحمد بن نصر الله التتوي ٣١٥
 أحمد بن وهسودان ٣٨٩
 أختسان بن منوچهر ٤٩٩ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ،
 ٥٢٨ ، ٥٠٩
 الأخطل ٤٩٢
 أخطلي (أمير ترمذ) ٤٢٢
 أخو فرج الزنجاني ٥٠٨
 آدم ٢٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٥٥٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٠ ، ٦٦٥
 إدوارد براون (انظر : براون)
 إدوارد الثاني ٥٦٢
 إدوارد هرون ألن (انظر : هرون ألن)
 أديب صابر ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤١٩ ،
 ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٧٦ ، ٤٩٢

(١)

إبراهيم (عليه السلام) ٢٤٣ ، ٢٧٨
 إبراهيم بن آدم ٢٨٠
 إبراهيم أمين الشواربي ، دكتور (انظر: الترجم)
 إبراهيم بن إينال بن سلجوق ٢١٦
 إبراهيم الحياي ٣١٧
 إبراهيم عبد القادر المازني ٣١٨
 إبراهيم الفزنوي ٢٢٥ ، ٣٨١ — ٣٨٢ ، ٤٠٧
 إبراهيم مذكور (دكتور) ١٢٢
 إبراهيم معيني ١٢٣
 أبرهه ٩٣
 الأبيوردي ٢٧٤ ، ١٠٣
 أترك ٢٧ ، ٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 أتمسز ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤١٧ — ٤١٩ ،
 ٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٥٤٥
 إتيه ٤٢٢ ، ١٢٤ — ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٤١٥٤ ،
 ٤١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢ —
 ٣٠٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤١٠ ،
 ٤٦٧ ، ٤٦٧ ، ٦٠٧ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ ، ٦٢٦ ، ٦٧٠ — ٦٧٣ ،
 ابن الأثير: ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
 ٢١٧ — ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٧ — ٢٤٩ ، ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٥٢٨ ،
 ٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،
 ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٢
 أمير الدين (شاعر) ٣١٩
 أمير الدين الأخسيكتي ٤٣٥ ، ٥٠٥ ، ٥٤٣

أرفينوس ٥٩٦ ، ٥٩٧
 أردشير ١٧٠
 أرسطو (أرسطاليس) ١١١ ، ١٢١ ، ٢٥٨
 أرسلا ن شاه ٢٨٠
 أرسلان أرغون ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٦
 أرسلان جاذب ٢١٤
 أرسلان خاتون خديجة ٢١٠ ، ٢١٦
 أرسلان بن مسعود بن إبراهيم ٢٨٢
 أرسفرل ٢٠٨
 أرغش فرهادوند ٢٤٦
 أرغون ٥٧٦ ، ٥٩٤
 إزرقى ٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٧٣ ، ٤٠٩ ، ٤٠٧
 أبو إسحق الفيرازى ٩٧
 أبو إسحق الصابي (انظر : الصابي)
 أسحق اليهودى ٤٣٠
 أسدى ٢٨ ، ١٣٤ ، ١٧٨-١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٤٠
 أسدى الأصغر ١٧٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠-٢٤٢ ، ٤١٢
 أسرائيل بن سلجوق ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤
 أسد مهنة ٤٦٥
 إسفنديار (بطل أسطورى) ١٤٧ ، ١٥٠
 ابن إسفنديار ٦٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٣٣ ،
 ١٥٥-١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣-١٦٥ ،
 ١٩٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
 ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢
 لإسكندر ١٢ ، ١٣٠ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٤٤٣٢ ، ٤٤٣٤ ، ٤٥٣٥ ، ٤٥٤٨ ،
 ٥٩٤
 إسماعيل (مهندس) ٥٦٣
 إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٤١-٢٤٣ ، ٢٥٨
 أبو إسماعيل عبدالله الأنصارى (انظر : الأنصارى)
 إسماعيل الفقيه ١٢٢
 إسماعيل بن نوح السامانى ١٣٦
 إسماعيل الوراق ١٦٠ ، ١٦٧ ، ٤٠٦
 إسماعيلية (أيضاً باطنية ، ملاحدة ، حشاشون)
 ٢٠٠-٢١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٦٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩
 ٢٤١-٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤
 ٣٠١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠
 ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٥٤-٤٨٦

٤٤٩٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦-٥٨٢ ، ٥٨٨ ،
 ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦١٦ ، ٦٥٦
 ابن أبي أصيبعة ٥٩٠ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦
 الأطروش (السيد الأطروش) ١٠٨
 اعتماد السلطنة ٤٣٧
 الأعشى ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩٢
 آغا خان (آغا خان) ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٥٨٣
 أفراسياب ١٣٠ ، ١٦٣
 أفريدون ١٣٠
 أفضل الدين إبراهيم بن علي الشبروانى
 (انظر : خاقانى)
 أفضل الدين الساجنى ٥٠٥
 أفضل الدين الكاشى (أفضل الكاشى)
 ١٢٦ ، ٣١٩
 أفلاطون ٢٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
 أفلاكي (انظر : شمس الدين أحمد الأفلاكي)
 آغا خان (انظر : آغا خان)
 آق سنقر ٢٣٢
 أكرشاه ٤٤٥ ، ٤٣١٥
 الأكينية (الدولة) أو الأكينيون ١١ ، ١٢ ،
 ٣٥٧ ، ٥١٣
 ألب أرسلان ٤٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
 ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠
 ألتكين ١١٠
 ألتايش (أمير دلمى) ٥٧١
 ألتكين (خان سمرقند) ٢٥٥
 ألبايتو خدابنده ٥٦٢ ، ٥٦٦
 ألوارد ٢١٥
 إليزابث كورنيس بريتون ٢٢٢
 إليوت (م . هـ) ٥٩٥
 إمامى ٤٩٤ ، ٥٢٥
 الأمر بأمر الله (الخليفة الفاطمى) ٢٨٩
 أموية (الدولة الأموية أو الأمويون) ١٨ ، ٢٥٣
 أميرانشاه بن قاروت ٤٠٧ ، ٤٢٦
 أمين أحمد رازى ٦٦٦
 أمين الدين أبو الفتح الظفر النيسابورى ٢٤٣
 أمينى (شاعر) ١٩٤
 أنرو بلسكا ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
 الأنصارى ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧
 انطون صالحانى اليسوعى ٥٩٣ ، ٥٩٤

(ب)

بابا جعفر ٣٢٤
 بابا طاهر الهمداني ٣٠٤ ، ٣٢٢ — ٣٢٥ ، ٣٢٨ ،
 بابا كمال الجندی ٦٧٨
 بابر ٢٨ ، ٤٤٧
 البایة ١٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٥٨٢
 باتسون (السيدة) ٣٠٧
 باجو نویان ٨٤
 باخر ٥٠٦ — ٥٠٩ ، ٥٢٤
 البخارزی ١١٥ ، ١٣١ ، ٤٥١ — ٤٥٤
 بارید الجریدی ١٠٨ ، ١٣٣
 باریبه دی منار ١٠٧ ، ١٦٣ ، ٣٥٤ ، ٦١١ ،
 ٦١٢
 بارجیس ٦٤٠
 باوند ١٦٠ ، ١٦١
 بایتوز ١١٤
 بایدو ٥٦٦ ، ٥٧٥
 بایزید البیطای ٢٧٠ ، ٢٨٠
 بایستقر ١٦٦
 البجتری ٢٧٩ ، ٤٩٢
 بختنصر ٥٤٧
 البختیاری الأهوازی ١٧٥
 بدر ٢٤٩
 بدر الدین ٥٥٨
 بدر الدین لولی ٥٨٣
 ابن بدرون ٤٥٠
 بدیع الزمان الهمدانی ٣٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ،
 ١٢٨ — ١٣٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٩٢
 بدیهی السجواندی ٣١٩
 براق الحاجب (أوالترکمانی) ٥٧١ ، ٦٤٥
 البرامكة ٢٣٠ ، ٦٠٣
 براون ٣ — ٨ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٩ ،
 ١٢٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤ ،

أنوری ٤٧ ، ٩٩ ، ١٣٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٩ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦١ — ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ —
 ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ — ٤٩٤ ، ٥٠٣ ،
 ٥٠٨ ، ٥٢٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٣٢ — ٥٣٤ ،
 ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٦١٣ ، ٦٦٧
 أنوشتكین ٢٢٥ ، ٣٨٣ ، ٥٤٥
 أنوشروان بن خالد (انظر أنوشیروان بن خالد)
 أنوشیروان (كسرى) ٤٥ ، ١١٩ ، ٢٦٢ ،
 ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٢ ، ٤٤٤ ، ٥١١ ، ٥١٢
 أنوشیروان بن خالد ٢٠٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٧٤ ،
 ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٩٩
 أهرون ٥٩٣
 الأهوازی (شاعر) ٢٧٩
 أوحده الدین الأنوری (انظر: الأنوری)
 أوحده الدین الكرمانی (أو: أوحدهی) ٣١٩ ،
 ٦١٣ ، ٦٣٦
 أوروک خاتون ٥٦٣
 أوزلی (سیرجور) أوصلی ١٥٤ ، ٣٢١ ،
 ٣٩٦ ، ٦٤
 اوگتای (أوگدای) ٣١٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ،
 ٥٧٣ — ٥٧٥ ، ٦٨٨
 وبار (کایمان أویار) ٣٠ ، ٩٨ ، ٣٢٢ ، ٦٥٥
 أويس القرنی ٤٠٢ ، ٤٠٤
 أیاز (غلام محمود الغزنوی) ٥٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ،
 أیاز (ولد الب أرسلان) ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
 ایرانشاه بن تورانشاه ٣٨٠ ، ٣٩٠
 ایلیخانویون ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦
 ایلدگر (حاکم آذربایجان) ٥٠٨
 ایلك خان ٤٢٣
 لرلیغ بن آتسر ٣٨٤
 ایواهف ٣٠١
 ابو ایوب الأنصاری ٣٣٦

البلمسى ١٣٢
 يلقيس ٦٤٩
 بلاكا (أظفر : أنزو بلاكا)
 بلوخمان ٣٥ ، ٣٠
 بلوشيه ٣١٣ ، ٥٥٥
 بنت التجارية ٤٣٧
 البندارى ٢٠ ، ٤٠ ، ٣٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٤١١ ،
 ٤٥٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
 بنيامين التيوديلي ٢٥١
 بهاء النواة البوسى ١٦٧
 بهاء الدين أبوبكر ٥٢٩ ، ٥٣٦
 بهاء الدين الجوبى ٥٧٦
 بهاء الدين ولد ٦٣٩ ، ٦٥٤
 بهاء الدين سلطان ولد (انظر : سلطان ولد)
 بهاء الله ٨٤ ، ١٠٤
 بهرام جوبين ١٠٦ ، ١٣٠
 بهرامشاه (القرنوى) ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٣ ،
 ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤٣
 بهرام كور ١٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٥٢٣
 بهرامى السرخسى ٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٩٤
 بهمن كرمى ٦٣٤
 ابن اليواب ٦٢٠
 البونى ٥٩٠ ، ٦١٨
 البويهية (بنوويه) ٢١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٥٧٨
 بيدبا ٤٤٤
 البيرونى ١٠٦ ، ١١١ — ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٩ — ١٢١
 البيصانى ١٠٢
 البضاوى ٥٩٠ ، ٦٢٠
 ابن البيطار ٥٩٠ ، ٦٠٥ ، ٦١٨

٤٢٣ ، ٤٠٩ — ٤٠٦ ، ٣٩٨ ، ٣١٥ ، ٣٠٤ ،
 ٤٤٢ ، ٤٦٣ ، ٥٣٦ ، ٥٥٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ،
 ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٦٤٠ ، ٦٤٥ ، ٦٦١
 براون (الآنسة ل. م.) ٤
 برزين ٥٥٥
 بركيارق ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٢ ، ٣٧٤ — ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،
 برهان الدين الترمذى ٦٥٥
 برهانى ٤٩ — ٥١ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، ٣٨٥
 بروكمان ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٢٠ ، ٤٥٧ ، ٥١٦ ، ٦١٥ ،
 ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣
 بزرجمهر ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢
 البسى ١١٤
 بسحق الشيرازى (انظر: أبو إسحاق)
 بشار بن برد ٤٧
 بشر الإسفراينى ٤٢٣
 بقا ٣٧٥
 بقرا ٥٥٧
 بقراط ١٢١ ، ٣٥٣
 أبوبكر (الصدىق) ١٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
 ٢٩٦ ، ٥٣٦ ، ٥٣٥
 أبوبكر الأزرقى (انظر: أزرقى)
 أبوبكر بن إسحاق ١٦٥
 أبوبكر بن سعد بن زنگى ٥٨٣ ، ٦٢١ ،
 ٦٣٥ ، ٦٧١ ، ٦٨٧
 أبو بكر بن السلمانى ٤٢٣
 أبو بكر عبد الله بن محمد (انظر: نجم الدين داية)
 أبوبكر الكهستانى ٣٥٠
 أبوبكر محمد بن على السرخسى ١٠٩
 البكرى ٣٧٤
 بكنل (انظر: هرمان بكنل)
 البلاذرى ١٦٤
 بلاند ٢٥٨ ، ٣٦٦ ، ٦٠٧

تقاق ٢١٠

تقی الدین السکاشانی ٢٦٦ ، ٤٦٩ ، ٦٤٦

تککش (ابن آپ أرسلان) ٢١٠

تککش خوارزمشاه ٦٨٧

أبو تمام ١٠٢

أبو نعیم معد (انظر : المنتصر بالله)

تیسون ٢٧ ، ٣٣٦

توبة ابن الحیر ٣٣٥

ورانفاه ٣٨٠

تورا کینا (زوجة اوکدای) ٥٧٤

تورنبرج ٥٥٥ ، ٥٩٢

توفیق مفرج ٣١٨

تولی بن چنگیزخان ٥٧٥

توم هود ٦٣

التیفاشی ٥٩٠ ، ٦١٨

تیمور ألبایتو ٣١٣

تیمورلنک ٢١ ، ٥٥٢ ، ٥٦٥

تیمور ملک ٥٥٨

التیموریة (الدولة) ٤٤٧

تیدودر هاربروکر (انظر : هاربروکر)

(ث)

الثعالی ٧٨ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨

١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢

ثقة الملك شهریار ٣٤٣

(ج)

جارسان دی تاسی ٦٤٣ ، ٦٤٨

الجاحظ ٥٠٥

جار الله (انظر : الرخشمیری)

جاللات ٤٤٥

جالن (جالین أوجالینوس) ١١١ ، ١٢٩ ، ٣٥٣

جای ٣٧ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٧٦ ، ٢٩٩ ، ٣٣٧

٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٥٩ ، ٦٢٥ — ٦٢٧

٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩

٦٤٣ ، ٦٤٧

(ب)

بالمیر ١٢٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١

٦٦٠ ، ٦٦١

بتری ٢٣

بشنام ٢٣ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٩

پریش ٣٠ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠

پرچاس ٥٩٧

پرستون ١٢٨ ، ١٢٩

پسر خمفانة ٣٣٩

پشن (بطل أسطوری) ١٥٣

پندار الرازی ١٣٥ ، ١٩٥ — ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٣٥٠

٥٠٦ ، ٥٣٤

پوکوک ١٢٤ ، ٥٩٤

پول هورن ٢٨ ، ١٧٨ ، ٣٤١ ، ٤١٢ ، ٦٢١

پینو (انظر : موسی أرسلان پینو)

(ت)

تاج الدین ابراهیم ٥٢٩

تاج الدین أحمد ٤٨٤

تاج الدین أحمد بن الخطیب الکنجوی ٤٣٦

تاج الملك ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٣٧٥

التاهرقي ٢٤٨

التبریزی ٤٣٧٤ ، ٤٤٩

التتار أو (التتر ، أنظر : الذول)

تتش ٢١٠ ، ٣٧٦

توزیر ١٥٥ ، ٤٨٥ ، ٦٦٠

ترکان خاتون الجوارزمية ٥٥٩ ، ٥٧٠

ترکان خاتون (زوجة ملكشاه) ٢٢١ ، ٢٢٧

٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٧٥ ، ٣٧٦

ترنر مکن ١٥٥ ، ١٧١ ، ٣٤١

تشترتون ٣

تشری ٤٥٦

جمال الدين الجيلاني ٦٢٨
 جمال الدين أبو الحسن علي (انظر : القفطي)
 جمال الدين عبد الرزاق ٥٠٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧
 جمال الدين القزويني ٣١٩
 جمال القرشي ٥٩٠ ، ٦١٩
 جمال الملك بن نظام الملك ٢٢٧ ، ٢٣٠
 جشيد ٢٧٨
 جميل صدقي الزهاوي ٣١٨
 أبو الجنباح أحمد بن عمر الحيوقي (انظر :
 نعيم الدين كبرى)
 جناح الدولة ٣٨٩
 جنتي النخشي ١٣٥
 جنگيزخان ٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٨٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ،
 ٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠
 ٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٢٦
 جنيد الشيرازي ٦٢٤
 جهان پهلوان (انظر : نصرة الدين أبو بكر)
 جهان سوز (انظر : علاء الدين حسين القوري)
 الجواليقي ٣٧٤ ، ٤٥٠
 جوينو ٦٣٥
 جودي ٥٧١
 جور أوزلي (انظر : أوزلي)
 جورج پتنام (انظر : پتنام)
 جورج قناتلي ١٢٢
 ابن الجوزي ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦٧٠
 جولد زهر ٣٦٥ — ٣٦٨
 جولوغ ١٤٤
 جون باردون لليت ٦٠٧
 جون باين ٣٢٠
 جون بلاك ٥٩٥
 جون كابوا ٤٤٥ ، ٤٤٨
 جوهر ٣٧٩
 جوهر خاتون (زوجة جلال الدين الرومي) ٦٥٤

جانتن (انظر : كاتان)
 جان دي پلان كاربان ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٤
 جب (ل. ژ . و) ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٩٨ ،
 ٥١٦ ، ٦٥٥
 جيلان ٢٥١
 ابن جبير ٥٩٠ ، ٦١٤
 جراف ٩١ ، ٩٤
 الجرياذقاني ٥٩٠ ، ٥٩٧
 جرجيس المكين ٥٩٠ ، ٥٩٦
 جرجيوري التاسع ٥٧٣
 جرجوريوس (انظر : ابن العبري)
 جرير ٤٩٢
 الجزويت ٢٤٢
 جعفر الصادق ٢٤٠
 جعفر ٢٢٧
 جعفر بن القندي ٣٧٥
 الجفمييني الخوارزمي ٦١٨
 ابن جكينا ٤٥٨
 جلادوين ٣٠ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٨
 جلال (الأمير جلال) ١٥
 جلال خاوري ٦١٣
 جلال الدين ٥٢٩
 جلال الدين الرومي ١٢٧ ، ٢٥١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،
 ٣٢٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٥١١ ، ٥٦٤ ، ٦٢٣ ،
 ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤٢ ،
 ٦٤٧ ، ٦٥٤ — ٦٦١ ، ٦٦٤
 جلال الدين المنكبرني (خوارزمشاه) ٣٨٤ ، ٥٥٥ ،
 ٥٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٧ — ٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٦٠٠ ،
 ٦٨٧ ، ٦٠١
 جلال الدين نومسلان ٢٥٣ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،
 ٦٥٦
 جلال طبيب ٦١٣
 جلال هائي ١١٧
 جمال الدين حسن ٥٢٩

ابن حزم ٤٦٠
 حسام الدولة أردشير ٤٦٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ،
 ٥٣١ ، ٦٨٧
 حسام الدين أردشير (انظر : قبيله)
 حسان بن ثابت ٢٧٩ ، ٤٩٢
 حسن البيروني ٦٤٠
 أبو الحسن البيهقي ٣١٥
 حسن حسام الدين بن أخي ترك ٦٥٧ ، ٦٥٨ ،
 الحسن بن الصباح ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،
 — ٢٢٩ ، ٢٤٦ — ٢٥٢ ، ٢٥٦ —
 ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢١٤ ، ٢٨٨ ،
 ٢٩١ ، ٤٩٩ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧
 أبو الحسن الفراهاني ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٩٤
 الحسن بن فيروزان ٣٤٧ ، ٣٥٣
 الحسن بن علي ٢٤٠ ، ٣٥٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
 أبو الحسن علي بن جولوغ (انظر : فرخي)
 الحسن بن علي الطوسي (انظر : فردوسي)
 أبو الحسن علي المارودي (انظر : المارودي)
 الحسن المازندراني ٥٨٠
 الحسن بن محمد بن كيازرگ اميد ٥٧٧
 حسنويه (آل حسنويه) ١٠٥
 أبو الحسين ١٠٨
 حسين جهانسوز (انظر : علاء الدين حسن)
 حسين بن علي ٨٤ ، ١٠٤ ، ٢٤٠ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٥٤
 حسين بن علي ميكائيل ١١١
 حسين النوري (انظر : علاء الدين حسين)
 حسين بن قتيبة ١٥٧ ، ١٥٨
 حسين مظلوم رياض ٣١٨
 الحسين بن منصور العلاج ٦٣٥
 الحسين بن تامور ٥٧٨
 - بن واعظ كاشفي ٢٣٧ ، ٤٤٥ ،
 الحشاشون (انظر الاسماعيليه)
 حقائق ٤٩٥ ، ٤٩٦
 الحكيم حسن الظفان ٤١٩
 الحكيم الموصلي ٢٣٣
 العلاج (انظر : الحسين بن منصور)

جوهر خاتون (زوجة محمد بن ملكشاه) ٤١٢
 الجوهري ٦١٩
 جوهرى الهروي ٤٢٥
 جويارد ٢٤٣ ، ٢٥٧
 جوينبل ٦١٢
 الجويني (انظر : عطا ملك)
 جيجر ١٨٠
 جيسى كادل (الانسة) ٢٣٠
 جيمس ردهاوس (انظر : ردهاوس)
 جيمس رينولدز ٤٩٨

(ج)

جغتای ٥٧٤
 جغرى بيگ داود ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٠ ، ٢٧
 جلبى أمير عارف ٦٥٨
 چنگاچ ٥٧٤
 چنگيزخان (انظر : چنگيزخان)
 چودزكو ١٢٦

(ح)

ابن الحاحب ٥٩٠ ، ٦١٩
 حاجي خليفة ٣٠ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٤١١ ، ٤٦٩ ،
 ٥٠٧ ، ٦٢٦
 الحافظ (الخليفة) ٣٨٩
 حافظ الشيرازي ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٩٢ ، ٢٥١ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٥١٠ ،
 ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٨٣ — ٦٨٦
 الحاكم بأمر الله ٢٤٥
 حام ٢٧٨
 أبو حامد محمد (انظر : الفزالي)
 الحريري ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ٣٧٤ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٩٢

ابن الخمار (أنظر : أبو الخير الحسن)
 خواجه أبو الفتح ٤٧٤
 الخوارزمشاه (الدوله الخوارزمية) ٤٢٥ ،
 ٤٥٠١ ، ٤٢٠ ، ٤١٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٣
 ٤٥٥٦ ، ٥٤٩ ، ٥٤٥ ، ٥٢٨ ، ٥٠٢
 ٤٦٣٠ ، ٦٠٠ ، ٥٩٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٣
 ٦٨٧ ، ٦٤٥
 خورشيد بن أبي القاسم الماطيري (أنظر :
 خورشيد)
 أبو الخير الحسن بن الخمار ١١٢ ، ١١١
 الخيام ٤٨ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٦٩
 — ٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠ ، ٢٠٦
 ٢٢٨ ، ٢٧٠ ، ٣٠٤ — ٣٢١
 ٢٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٤٢٦
 ٤٤٧ ، ٤٧٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٣

(د)

دارا ٢٨٥ ، ٥٩٤
 دارا بن منوچهر (الزيارى) ٢١٢
 دار مستر ١١
 دانيال ٢٧٨
 داود بن سليمان ٦٧٣
 داود بن ملكشاه ٢٢٦
 داوري شيرازى ٥٧
 أبو داؤود (داعى الدعاة) ٢٤٩
 الدينقى ٥٩٠ ، ٦١٠
 درنورج ٤٤٠ ، ٤٤٨
 الدرور ٢٤٥
 درويش حسن ٥٩٨
 درويش كرماني ٥٨٣
 دعبل ٤٦
 الدقيق ٢٨ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ٢٧٠
 ٣٣٨
 أبو دلف ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٤٧٤
 دنيسون روس ١٧٥ ، ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ٣١٧
 ٣٢٠ ، ٦٠٠
 دورل ١١٦ ، ٢٥٨ ، ٦١٠

حمد الله المستوفى ١٥٦ ، ٤٧٠ ، ٥٠٤ ، ٥١٥
 حمشا (الشيخ) ٣٢٤
 حميد الدين أبو بكر البلخي ٣٧٤ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
 حميد الدين الجوهري ٤٣٣
 ابن حنبل (أنظر : أحمد بن حنبل)
 حفظة بادغيسى ١٠
 أبو حنيفة النعمان ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠ ،
 ٦٢١
 حواء ٢٧٨ ، ٦٦٥
 حبي قبية ١٥٧ ، ١٥٨

(خ)

خاتون سفرية ٢١٠ ، ٢٢١
 الخاتوني (أنظر : أبو طاهر الخاتوني)
 خاتاني ٩٦ ، ٩٩ ، ٣١٩٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ،
 ٤٣٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ —
 ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٣
 ٦٨٧ ، ٦١٣ ، ٦٥٤٣
 خالد بن الربيع ٤٨٣
 خانيقوف ٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ — ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٢ ، ٥٠٤ — ٥٠٦
 خورشيد بن أبي القاسم الماطيري ١٠٨ ، ١٣٣ ،
 الحرمية ٢٦٢ ، ٢٦٣
 خسرو پرويز ١٠٦ ، ٥١٣
 خسرو دهلوي ٦٨٦
 خسرو شاه بن بهرامشاه ٣٨٣
 الخسروي ١٠٩
 الحضرمي (عليه السلام) ٦٣٤
 خضر خان ٤٢٣ ، ٤٢٤
 ابن الخطيب البغدادي ٦١٠
 ابن خلدون ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤
 خلف ١٤٥
 ابن خلصكان ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،
 ١٢٧ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٥٥٠ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨
 ٦٣٩

راثرتي ٥٩٦
 رامين ٣٤٢ - ٣٤٤
 الراوندي ٣٧٩ ، ٣٧١ ، ٢١١ ، ١٨٩
 ٤٨٨ ، ٤١٢
 رايت ٦١٤ ، ٤٤٤
 ربيع بن المطهر القصري ٣٥٢
 ردهاوس ٦٥٦ - ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٤
 رستم (الطلال الإيراني) ١٧١ ، ١٧٣ ، ٣٥٧
 ٣٨٧
 رستم بن أردشير (أو شهريار) ٦٠٠ ، ٦٠٨
 ابن رشد القرطبي ٣٧٠
 الرشيد (انظر : هارون الرشيد)
 أبو رشيد ٥٠٥
 رشيد بن الحافان ٥٠٤
 رشيد بن شالب الدحداح اللبناني ٦٤٠
 رشيد الدين سنال ٢٥٧
 رشيد الدين فضل الله ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٣٩ ، ٢٣٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢
 رشيد الدين الوطواط ٣١ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ١٤٤ ، ٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٥
 — ٣٨٨ ، ٤١٧ — ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٦١٣
 رشيدى السمرقندى ٤٣٩ ، ٤٣٩ ، ٤٣٩ ، ٤٣٥ ، ٤٩٢ ، ٥٢٦
 الرضا (انظر : على الرضا)
 رضاء الدين ٣١٩
 رضا قلى خان ١٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٦ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٥٢ ، ٦٠٧ ، ٦١٧ ، ٦٤٤ ، ٦٥٨
 رضى الدين ٥٢٩
 رضى الدين على لالا ٦٢٧ ، ٦٢٨
 ركن الدين (إمام بخارى) ٥٥٨
 ركن الدين خورشاه ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٥٧٩ - ٥٨٣
 ركن الدين صاعد بن مسعود ٦٨٧
 الروانهاى ٤٢٧ - ٤٢٩
 روبرت منتجومرى ٣٩٨
 روبريكس ٥٦٢ ، ٥٧٤
 أبو روح لطف الله ٣٢٧

دوسون ٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩ ، ٥٨٠ ، ٦٠٠
 دولتشاه ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ - ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٧٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤ ، ٥٤٢ ، ٥٥٤ ، ٥٧٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٦٨٨ ، ٦٥٨
 الديويدار الصغير (انظر مجاهد الدين ابيك)
 الديالة ١٠٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٩٦
 دى يوير ٣٦٥
 دى جويه ٢٤٣
 دى ساسى ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٤٥٧
 دى سلان (سليان) ١١٤ ، ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٣
 ديواروز (انظر : على پروزه)
 ديواروز مسترد ١٣٣
 ديو جينس رومانوس ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ١١٦
 دى يونج ١١٦
 (ذ)
 ذو القرنين (انظر : الإسكندر)
 ذو النون المصرى ٢٨٠ ، ٦٤١ ، ٦٦١
 (ر)
 رابطة بنت كلب القيدارية ١٣٤ ، ١٩٤
 الرازى (انظر : فخر الدين)
 الراشد (الحليفة) ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ١٣٤
 رافعى

زين الدين ابو ابراهيم الجرجاني ٤٢٨

(ز)

زوكوفسكي ١٢٦ ، ٣٧ — ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ،
— ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ — ٤٦٧ ، ٤٧٦ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ،
— ٤٩٤

(س)

سابور بن أردشير ٢٧٩
ساره ٢٧٨
ساسان (آل ساسان أو ساسانيون) ١١ ،
١٢ ، ١٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٦١ ، ١٧٩ ،
٢٥٣
سام ٢٧٨

السامانية (آل سامان أو السامانيون) ١٩
٣٤ ، ٢٨ ، ١٠٥ — ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١١٨ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ،
١٩٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٤٥ ، ٤١٣ ،
٤٧٤ ، ٥٩٦

سان برتوليو ٢٥١
سانت لويس ٥٧٥
سبكتكين ١١٠ ، ١١٤ ، ٥٥٦ ، ٥٩٧ ،
سبختجر ٥٤٠ ، ٦٥٧ ، ٦٥٦
ستانسلاس جويارد (انظر : جويارد)
ستانلي لين پول ٢٠٧ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ،
ستيفنسون ٣٩٧

السجري (انظر : أبو الفرج السجزي)
سحجان بن وائل ٢٧٩
سختاو ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ،
سديد الملك أبو العالی ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
سراج الدين القمري ٣١٩
أبوسعده ٣٠٥
سعد الدين ٥٢٩
سعد الدين الحموي ٣١٩ ، ٥٩٠ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ،
٦٣٠ ، ٦٣١

سعد الدين كوهز آئين ٢٢٢ ، ٢٢٤

روحي الولوالجي ٣٢٩ ، ٤٣٥ ،
رودكي ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٣ ،
١٤٦ ، ١٥٤ ، ٢٧٩ ، ٣٤٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٦ ،
٤٤٥ ، ٤٧٣ ، ٥٠٥

روزبهان ٥٩٠ ، ٦٢٣ — ٦٢٥
روس (انظر : دينسون روس)
روكرت ٣٠ ، ٣٣ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨ ،
١٥٥

رومانوس (انظر : ديوجينيس)
الروماني ١ (انظر : عبدالواحد الروماني)
ريبيكا ٥١١ ، ٥٢٣
ريتر ٥١١ ، ٥٢٣
أبو ريحان البيروني (انظر : البيروني)
ريحانة الخوارزمية ١١٧
ريلانمز (السيدة) ٦٠٧
ربو ١١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣١٧ ، ٣٤٦ ،
٣٩٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤١ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ،
٦٢٢

(ز)

زيدده (زوجة ملكشاه) ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،
أبوزراعة المعري الجرجاني ٤٧٣
زردشت ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥٣ ، ٥٠٦ ،
زكريا القزويني (انظر : القزويني)
زايخا ٣٩ ، ٣٣٧
زليخا خاتون (أخت ملكشاه) ٢٢٧
الزمخشري ٣٧٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،
٦١٩

زوتبرج ١١٦
الزوزني ٣٧٤ ، ٤٤٩
ابن الزيات ١٠٢
الزيارية (آل زيار) ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
١١٥ ، ٣٥٤ ، ٤١٠

زيد ٥١٧
الزيديون ١٠٨
زليحان ١٧٨ ، ٣٤١
زينب (من حريم خضرخان) ٤٢٤
زينبي العلوي المأمودي ١٣٤ ، ١٩٤

السلي ٢٢٧
 ابو سليك الجرجاني ٢٥٢
 سليم (السلطان العثماني) ١٨ ، ٦٠٢ ، ٦٢٠
 سليمان ٢١٧
 سليمان الأول (السلطان العثماني) ٤٤٥
 سليمان الحكيم ١٣٠ ، ٢٩٣ ، ٥٠١ ، ٦٤٩
 السمعاني ٥٩٣
 سنائي ٣٠٤ ، ٣٢٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ -
 ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٦١٢ ،
 ٦٤٢
 سنائي الروزي ٤٣٥
 سنياد الجوسي ٢٦٢
 سنجر ٢٠ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ، ٢٢٦ ، ٢٠٦ ،
 ٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ - ٣٨٠ ، ٣٨٢ -
 ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٤١٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ،
 ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ،
 ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ،
 ٥٠٠ - ٥٠٢ ، ٦٤٤
 سهراب ١٧١ - ١٧٣
 السهروردي المقتول ٦٣٢ ، ٦٣٥
 ابن سهل ٠٢
 سهل الفجندى ٢٥٢
 ابوسهل السيجي ١١١ ، ١١٢
 سهل بن هارون ١٠٢
 سوزي بن المنيرة ١٦٦
 سوزني ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤
 سيد حسن الفزنوي ٤٣٥ ، ٤٣٧
 السيد ذو الفقار ٤٩٦
 سيد ابوطالب حميد الدين ٤٨٤ ، ٤٩٣
 السيدة والدة مجد الدولة ٢٥٠ ، ٢٥٢

سعد الدين الراونقي ٦٢٢
 سعد بن زنگي ٦٧٠ ، ٦٨٧
 سعد سلمان ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١
 سعد الملك ٢٩٠ ، ٢٩٣
 سعد الهروي ٢٨٩
 سعدى الشيرازي ٤٠ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ١٣٤ ، ٢٠٢ ، ٥١٥ ، ٥٦٤ ،
 ٥٨٣ ، ٦٠٨ ، ٦٢١ ، ٦٣٢ ، ٦٤٢ ،
 ٦٦٤ ، ٦٦٧ - ٦٧٠ ، ٦٧٢ - ٦٧٤ ،
 ٦٧٦ - ٦٨٠ ، ٦٨٢ ، ٦٨٤ - ٦٨٧
 أبو سعيد (أخو ناصر خسرو) ٢٦٧
 أبو سعيد خان ٥٦٥ ، ٥٦٩
 أبو سعيد بن أبي الخير ١٣٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٥ - ٢٢٨ ، ٢٢٣ - ٢٢٦ ،
 ٣٥٢ ، ٤٦٥ ، ٦١٢
 ابوسعيد مجد الدين شرف (اظر : مجد الدين
 الفغدادى)
 سقراط ٢٧٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦
 سكين ٢٤٥
 السلاجقة (آل سلجوق او السلجوقيون)
 ١٩ ، ٢٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٧ -
 ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ -
 ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ،
 ٤٠٧ ، ٤١١ - ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥٢٨ ،
 ٥٤٥ ، ٥٧٠ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨
 سلجوق ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٢١
 سلطان الدولة بن بهاء الدولة البوسني ١٦٧
 سلطا نشاه بن قاورت ٢٢٦
 سلطان شاه محمود ٤١٨
 سلطان ولد ٦٥٤ ، ٦٥٥
 سلمان الياقوبي ٣١٩
 سلمان الفارسي ٢٧٩ ، ٢٨٠

شمس الدين ٥٢٩
شمس الدين أحمد الأفلاكي ٦٥٦-٦٥٨ ، ٦٦٤
شمس الدين ألتش ٥٩٥ ، ٦٠٦
شمس الدين التبريزي (شمس تبريز)
٦٥٤ - ٦٥٩ ، ٦٦٤
شمس الدين ابوالفرج (انظر: ابن الجوزي)
شمس الدين محمد الجويني ٦٧٧
شمس سيمكش ٣٣٩
شمس طبسي ٦١٣
شمس قيس الرازي ٣ ، ٣١ ، ٢٣١ ، ٤٢٢ ،
٥٩٠ ، ٦٢١
شمس الكفافة (انظر: احمد بن الحسن الميمندي)
شمس المعالي (انظر: قابوس بن وشمكير)
شمعون ٢٧٨
شناسي افندي (الشاعر التركي) ١٠٢
شهاب الدين (الأمير التوري) ٥٧٨
شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري
(أو) شهاب الدين السهروردي ٥٩٠ ،
٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٧٠
شهاب الدين محمد بن أحمد (انظر: النسوي)
شهاب الدين يحيى بن حبش (انظر: السهروردي
المقتول)
شهر بانويه بنت يزجرد ٣٥١ ، ٣٥٣
الشهرزوري ٣١ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٦١٧
الشهرستاني ١٢٢ ، ٣٧٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
شهريار (الإصهيد) ١٦٠ - ١٦٢
شهريار بن شرزين ٩٣
شهردان بن أبي الخير ٣٦٢
شيخني (الشاعر التركي) ٥١٥
شيرخان لودي ٤٦٨ ، ٤٦٩
شيرزاد (الإصهيد) ٩٣
شيرزاد بن مسعود بن إبراهيم التنزوي ٣٨٢
شيرويه الساساني ٥٨٠
شيرين ٥١٣ - ٥١٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ،

سيف الدين البخارزي ٢١٩
سيف الدين حسين ٣٨٢
سيف الدين عمر ٤٨٠
سيفي النيسابوري ٤٣٥
ابن سينا ١١١ - ١١٤ ، ١٢١ - ١٢٧ ، ١٣٧ ،
٢٧٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٧٩
السيوطي ٢٢٥ ، ٢٧٠
(ش)

شارل شيفر (انظر ، شيفر)
الشافعي ٢٨٠
ابن شاذان ٣١٧ ، ٦٠٣ ، ٦١٥ - ٦١٧
شاه إسماعيل الصفوي ٢٠
شاهفور أشهري ٣٠٨ ، ٤٩٦ ، ٥٠٥ ، ٥٢٧
شاهنشاه ٥٨١
شاهي ٣١٩
شبل الدولة ٢٣٣
شجاعي ٤٩٢
شرف الدين أبو حفص (انظر: عمر بن الفارض)
شرف الدين رامي ٣٠ ، ٩٨
شرف الدين عبد الله (انظر: ابن الجوزي)
شرف الدين محمد (انظر: شفروه)
شرفشاه ٥٢٩
شرف المعالي ٣٥٣ ، ٣٥٤
شرف الملك ١٣٤ ، ٣٩٣
شرف الملك أبو سعد ٢٣١ ، ٢٦٠
أبوالشرف ناصح (انظر: الجراذقاني)
الشريف الرضي ١٠٢ ، ١٣٠
شفروه الإصفهاني ٥٤٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧
شكسبير ١٠
ابوشكور البلخي ٣٥٢
شلتنا وسرد ١٧٦
شمال ١٠٢

الضحك ٢٧٩

ضياء الدين بن الأثير ٥٩٠ ، ٦١٩ ،
ضياء باشا ٤٠ ، ٦٣ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٧ ،

(ط)

طالب الآمل ٣١٩

ابو طالب رستم (انظر : مجد الدولة)

الطالقاني ١٩٤

طاهر بن الحسين ١٩

ابوطاهر الخاتوني ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٦١٣ ،

ابوطاهر الخمراتوني ١٧٧ ، ١٧٨ ،

أبوطاهر الهمداني ١٨٦

الطاهرية (الدولة) ١٩ ، ٥٩٦ ،

الطبرسي (الفقيه الشافعي) ٤٥٠ ،

الطبري ١٩٩ ، ٢٨١ ، ٣٥١ ، ٥٢٠ ،

طفاناشاه السليجوتي ٥٣ ، ٤٠٦ ، ٤٦٢ ، ٥٢٦ ،

٥٢٨ ، ٥٣١ ،

الطبراني ٢٧٤ ، ٤٤٩ ،

طغرل بن أرسلان ٥٠٩ ، ٥٢٨ ،

طغرل بك ١٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،

٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ،

٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٤٥٢ ، ٤٦٥ ،

طغرل تكين ٤٩٣

ابن الطويل ١٢٤

ابن الطقطقي ٦٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ،

الطوسي ٤٥٠ ،

(ظ)

الظاهر بيبرس ٥٦٨

الظاهر بن صلاح الدين ٦٢٢

ظهير الدين الفارابي ٩١ ، ١٩٧ ، ٤٦١ ،

٤٩٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٥ — ٥٢٩ ، ٥٣١ ،

٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٥ ، ٥٤٢ ،

٥٤٣

شيفر ١٩ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،

٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ — ٣٠٢ ،

٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ، ٥٢١ ،

٥٥٥ ، ٦٠٦ : ٦٢٢

(ص)

الصايي ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٩ ،

الصاحب إسماعيل بن عباد ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٦ ،

— ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٩٦ ،

٣٥٣ — ٣٥١

صائب الإصفهاني ١ ، ٧٨ ،

صدر خجند (انظر : صدر الدين عبد اللطيف)

صدر الدين عبد اللطيف الخجندی ٣٨٩ ،

٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ،

٥٣٦ ، ٦٨٧ ،

صدر الدين الفونوي ٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٦ ،

صدر الدين محمد بن الظفر ٣٠٦

صدقة بن مزيد ٣٧٧

انصارية (الدولة أوالصفاريون) ١٩ ، ٢٣ ،

٢٤ ، ١٤٥ ، ٥٩٦ ،

الصفوية (الدولة) ٢٠ ،

صفي الدين الأردبيلي ٥٢٩ ،

صفي الدين البخزري ٦٢٨

صفي الدين ابوبكر محمد (انظر : الرواناشاهي)

صفي الدين عمر ٤٨٤ ،

صلاح الدين الأيوبي ٣٤١ ، ٢٥٦ ، ٦٠٤ ،

٦٠٥ ، ٦١٤ ، ٦١٨ ،

صلاح الدين فريدون زركوب ٦٥٨

الصليبيون ٢٠٨

صنعان (الشيخ) ٦٥١

(ض)

ضراب ٢٤٨

(ع)

عبد الله بن ميمون القداح ٢٤٢ ، ٢٦٢
 عبد الله بن أبي الياسر (انظر : جرجيس)
 عبد الملك المبكرى ٣٥٢
 عبد الملك بن عطاش ٣٩١
 عبد الملك بن مروان ١٠٠
 عبد النعيم حسنين (دكتور) ٥٣٥
 عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى ٣٨٩ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٤ -- ٤٥٦
 عبد الواسع الجبلى ٤٣٠ ، ٤٣٢
 ابن عبدون ٤٥٠
 عبدالوهاب عزام (دكتور) ٥٩٩
 ابن العبرى ٥٩٠ ، ٥٩٣ - ٥٩٥ ، ٦٠٥
 عبيد زكاني ٩٢ ، ٩٧ -
 عبيد الله المهدي ٢٤٣
 أبو الغتاهية ٢٧٠
 العتبي ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،
 ١٦١ ، ٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٥٩٧
 عثمان (رأس الدولة الثمانية) ٢٠٨
 عثمان بن عفان ١٦١ ، ٢١٠ ، ٢٧٩ ، ٥٣٥
 عثمان (عم مسكشاه) ٢٢٥
 عثمان بن أبي علي الجلابي (انظر : الهجويري)
 عثمانية (الدولة) ٢٨ ، ٢٠٨ ، ٥٦٣
 عدنان (الشاعر) ٣٢٩
 العراق (انظر : أبو نصر العراق)
 العراقي (انظر : فخر الدين)
 ابن العربي ٥٩٠ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ - ٦٣٦ ،
 ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٤
 عز الدين بن الأثير (انظر : ابن الأثير)
 عز الدين الزنجاني ١٠٩ ، ٦٠٩
 عز الدين بن فتح الدين ٥٨٤ ، ٥٨٥
 عز الدين الكراتشي ٣٩٩
 عز الدين مسعود ٥٠٩
 عز الدين يحيى التبريزي ٥٢٩

عاكف (شاعر) ٣١٩
 عائشة ٢٨٠
 أبو العباس أحمد ٥٨٦
 عباس إقبال ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٦٢٤
 عباس الرازي ٣٩٠
 أبو العباس الرويانى ٣٤٩ ، ٣٥٢
 أبو العباس الناعى ١١٩
 عباس المروزى ٢٢
 العباسية (الدولة أو العباسيون) ٢٠ ، ٢١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٣٥٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
 ٥٨٠ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٦١٤
 عبدالجبار الخوجاني ٣٥٢
 عبد الحسين خان ١٤
 عبد الحق فاضل ٢١٨
 عبد الخالق ٢٤١
 عبد الرحمن السيرامي ٣٨٩
 عبد الرحمن بن عوف ٦٠٦
 عبد الرزاق (أمير خوس) ١٦٢
 عبد السلام (كاتب قابوس) ١١٩
 عبد الفتى النابلسي ٦٤٠
 عبد القادر الجيلاني ٦٣٢
 عبدك الشرواني ٥٥
 عبد الطيف بن الجعندى (انظر : صدر الدين)
 عبد الله الأنصاري (انظر : الأنصاري)
 أبو عبد الله الديلمي (انظر : الديلمي)
 عبد الله بن طاهر ٣٤٥
 أبو عبد الله عمر (انظر : البضاوى)
 أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي (انظر : الوصاف)
 أبو عبد الله بن محمود ٣٢٧
 عبد الله بن المقفع (انظر : ابن المقفع)

أبو الملاء السروي ١٠٨
 أبو الملاء سعيد النيسابوري ٣٨٩
 أبو الملاء الكنجوي ٩٦ ، ٤٢٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
 أبو الولاية المرعي ١٠٣ ، ٢٧٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨
 ٤٤٩
 أبو الملا عفيفي (الدكتور) ٦٢٣
 أبو الملا الفضل ٣٩٣
 ابن الملقبي ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩
 علوي المدني ٣٩٢ ، ٣٩٣
 علي بن أحمد الأسدي (انظر : أسدي الأصغر)
 أبو علي أحمد بن شادان (وزير طغرل بك) ٤٦٥
 علي أصغر الهمداني (دكتور) ٤٤١
 أبو علي بن أفضل ٣٨٩
 علي بهادر ٥٨٧
 علي يانيني ٤٢٣
 علي بيروزه ١٠٨ ، ١٢٣
 علي جلبي ٤٤٥
 أبو علي الحسن بن إسحق (انظر : نظام الملك)
 علي بن الحسن البخارزي (انظر : البخارزي)
 علي ديلم ١٥٧ ، ١٥٨
 علي بن أبي رجاء الفزنوي ٤٣٥
 علي الرضا ٢٧٤ ، ٦٤٤
 علي زين العابدين ٢٤٠
 علي سبهرى ٤٢٣
 أبو علي سيمجور ١٨٧ ، ٢٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣
 علي بن شادان ٣١٩
 علي الفطرنجبي ٤٢٤
 علي بن أبي طالب ٢٠ ، ١٥٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢
 ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٥٣
 ٤١٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٥٩٦ ، ٦٤٥
 علي بن العباس المجوسي (انظر : المجوسي الطبيب)
 علي عبد الرسول ٥٠٦
 أبو علي عميد خراسان ٢٢٧

عزة ٢٣٥
 عسجدى ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ٣١٩ ، ٣٥٣
 ٣٥٩ ، ٦١٣
 عصمت (شاعر) ٥١٠
 عضد الدولة ألبويهي ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٣٥٢
 عضد الدين طغانشاه بن مؤيد (انظر : طغانشاه)
 المطار ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٧٣
 ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٥٦٤ ، ٦٢٣ ، ٦٤٢
 ٦٦٩ ، ٦٥٤ ، ٦٦١ ، ٦٧٧
 عطاردى ١٣٤ ، ١٩٤
 ابن عطاش ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٩٠
 ٣٩٤
 عطا ملك الجويني ٢ ، ٢٢٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤
 ٣٨٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠
 ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠
 ٥٩٩ ، ٦١٤ ، ٦١٦
 علاء الدولة خاس بك ٣٦٢
 علاء الدولة السمناني ٣١٩
 علاء الدولة علي بن فرامرز ٤٩ — ٥٢
 علاء الدولة بن كاكويه ١٢٣
 علاء الدولة محمد ١١٢
 علاء الدولة ملك الري ٣١٧
 علاء الدين ٥٦٣
 علاء الدين بن جلال الدين الرومي ٦٥٤
 علاء الدين بن جلال الدين نومسلان ٥٧٩ ، ٥٨٠
 علاء الدين حسين جهان سوز ١٢٤ ، ٣٨٢
 ٣٨٣ ، ٤٢٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
 علاء الدين بن قباچ ٤٨٧
 علاء الدين كقيباد ٦٥٤ ، ٦٥٥
 علاء الدين محمد بن الحسن ٢٥٣
 علاء الدين محمد خوارزمشاه ٥٤٥ ، ٥٥١
 ٥٥٦ — ٥٥٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٦١٥
 ٦٢٧ ، ٦٥٤ ، ٦٧٠

(غ)

غازان خان ٣١٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨٧ ،
 أبو الغازي حسين ٦٤٨
 غريغوريوس (أنظر : ابن المبري)
 الغز ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧١ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨٠ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٠١ ، ٥٠٢ ، ٦٤٦ ،
 الغزالي ٢٢٠ ، ٣١١ ، ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣٧٤ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ ، ٦٣٢ ،
 الغزنوية (الدولة) ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ١٠٥ ،
 ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٣١٢ ، ٢١٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٣٧٢ ،
 ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٤١٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٦ ،
 ٥٩٧ ، ٥٩٨

الغزى ١٠٣

غضائري الرازي ٨٣ ، ١٢٤ ، ١٩٣
 أبو الفنايم تاج الملك (انظر : تاج الملك)
 الغوريون (ملوك جبال القور) ٣٧٢ ، ٣٨١ ،
 ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٥٤٥ ، ٥٧٠ ،
 ٥٧٨ ، ٥٩٥

غياث الدين (الأمير النورى) ٣٦ ، ٣٧٨ ،
 غياث الدين (أخو جلال الدين خوارزمشاه) ٥٧١
 غياث الدين سليمان شاه ٣٨٤
 غياث الدين محمد بن سام (الأمير النورى)
 ٣٢٦ ، ٥٧٨

(ف)

فاتير ٥٩٧

فاطمة ٢٤١ ، ٣٨٠ ، ٢٨٦ ،
 الفاطمية (الدولة أو الفاطميون) ٢٠ ، ٢٠٧ ،
 ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٦ - ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ،
 ٢٨٠ ، ٥٧٧

علي بن فرامرز (انظر : علاء الدولة علي)
 علي بن مأمون التريفيوني ٢٩٢
 علي بن مسكويه ١٣٢
 أبو علي المنصور ١٢٠
 علي بن موسى الرضا (انظر : علي الرضا)
 علي النسائي ٢٧٠
 عماد الدين ٥٢٩
 عماد الدين الأصفهاني ١٠٢ ، ٢٠٩ ،
 عماد الدين الغزنوي ٤٣٥
 عماد الدين فيروزشاه ٤٩٣
 عماد زوزني ٤٣٧
 عمادى ٤٢٢
 أبو عمران موسى بن ميمون (انظر :
 ابن ميمون)

عمر بن الخطاب ١٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
 ٣٥١ ، ٤١٧ ، ٤٨٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ،
 عمر الحيام (انظر : الحيام)
 عمر العجمي ٤٧٨
 عمر بن الفارص ٥٩٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ -
 ٦٤٢ ، ٦٤٤

أبو عمرو (شاعر طبرستان) ١٠٨
 عمرو بن الليث الصفار ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٦٧٣ ،
 عمق البخارى ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،
 العميد أسعد ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 عميد الملك (أنظر : الكندرى)
 عنصر المالى (أنظر : كيكائوس)

عنصرى ٥٢ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٨٩ ،
 ١٩١ - ١٩٣ ، ٢٧٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٦١٣

عوفى (انظر : محمد عوفى)

عياضى ٤٥٣

عيسى بن مريم (انظر : المسيح)

عيسى بن يحيى ١٢٣

عين الملك حسين الأشعري ٦٠٦

١٧٩ ، ١٩٥ ، ٢٧٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٤٠ ،
٣٥٠ ، ٣٨٣ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٤٦٢ ، ٤٧٤ ،
٤٩٢ ، ٥١٣ ، ٥٤٣ ، ٥٩٩ ، ٦١٣ ، ٦٦٧

الفرج ٥٤٨

فرهاد ٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

فريد الدين المطار (أنظر : المطار)

فريد الكاتب ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٤٣

فريدون ٢٧٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢

فريفون ٢٨٠ ، ٢٩٢

فصبجي الجرجاني ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥

فصبجي خوافي ٤٦٩

أبو الفضائل عبد الرحمن ٥٨٦

أبو الفضل (شاعر) ١٩٤

أبو الفضل (صاحب عيار دانش) ٤٤٥

أبو الفضل أحمد بن الحسين (أنظر : بدیع

الزمان)

أبو الفضل البلمعي ٢٨١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

أبو الفضل السكري المروزي ٧٨

أبو الفضل القمي (أنظر : مجد الملك)

أبو الفضل الكرمانی ٣٨٤

أبو الفضل الميكالي ١١٦

فضلون ٣٥٢

فضولي ٥١٦

فلك الدين سنقر ٥٢٩

فلك الدين محمد بن إيدمر ٥٨٥

فلك المعالي منوچهر ١١٩ ، ١٩٣

فلسكي الشرواني ٤١٠ ، ٤٩٦

فلوجل ٣٠ ، ٤١١

فوريس ٣٤٨ ، ٣٤٩

فولكنر ١٢٤ ، ٤٤٤

فون روزن ١٢٦

فون كرامر (كرمير) ٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

٣٦٨ ، ٤٥٦ ، ٦١٢

فون هامر ٥٠٦

فالتين زوكوفسكي (أنظر : زوكوفسكي)

فانيان ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣

فتح ٣٥٥

أبو الفتح البستي (أنظر : البستي)

الفتح البنداري (أنظر : البنداري)

بو الفتح طاهر بن نغر الملك ٤٩٣

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم (أنظر :

الشهرستاني)

فترشتاين ٤٥٩

فتنة ٥٢١ — ٥٢٣

فتوحی ٤٢٢ ، ٤٨٤

نغر الدولة البيهقي ١١٦ ، ١٩٨ ، ٣٥٢ ، ٥٨٢

نغر الدين أسعد الجرجاني ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٦١٣

نجرالدين الرازي ٣١٩ ، ٥٧٨ ، ٥٩٠ ، ٦١٥ ،

٦١٨

نجرالدين العراقي ٦٣٦ ، ٦٤٢

نجرالملك بن نظام الملك ٣٨٩ ، ٣٩١

أبو الفدا ٥٩٧ ، ٦٠٥

الفراء البغوي ٣٧٤ ، ٤٤٩

فرايبينو ٢٥٥

أبو فراس ١٩٢

فرتيه ٤٧٠

أبو الفرج البستي ٣٥٢

أبو الفرج الرومي ٤٣٥ ، ٤٧٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣

أبو الفرج السجزي ١٨٧ ، ١٨٨

فرخي ٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤ — ١٤٦ ،

١٥٠ — ١٥٣ ، ٣٥٣ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ،

٤٩٢ ، ٦١٣

القردوسي ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ،

٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٢ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ —

١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٢ — ١٥٦ ، ١٥٨ ،

١٥٩ — ١٧٠ ، ١٧٤ — ١٧٦ ، ١٧٨ ،

قراطة ١٦٦ ، ٢٠
 قره خطای ٤٧٤
 قرة العين ٥٦
 قزل أرسلان ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢
 قزل أرسلان بن ایلدک ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٦ -
 ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢

القزوينی ٢٦٦ ، ٣١٢ ، ٤٧٠ ، ٥٥٩
 ٦١٢ ، ٦١٤

قسطنطين ٢٧٨
 قشمر ٥٧١
 القشیری ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤
 قضاعة ٦٠٤
 قطب الدين خوارزمشاه ٤٣٨ ، ٦٨٧
 قطب الدين عماد ٢٨٢
 قطران التبریزی ٢٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ -
 ٥٠٥

القطفی ٣٠٩ - ٣١١ ، ٣١٢ ، ٥٥٠
 ٥٩٠ ، ٦٠٣ - ٦٠٥

قليج ٥٧٢
 قماج ٤٨٧
 قمری الجرجانی ١٠٩ ، ٣٥٣
 قوامی الرازی ٤٣٥
 قوامی گنجوی (او مطرزی) ٦٣ ، ٨٤ ،
 ٥٠٨

قبرایت ٥٦٢
 قیس العامری ٥١٦ - ٥١٨ ، ٦٨٠

(ك)

کاترمیر ١٠٢ ، ٣١٣ ، ٥٥٥
 کارا دی قو ١٢٢
 کاردون ٤٤٥
 کارل یان ٣١٣ ، ٥٥٥
 کازانیف ٢٥١

فیتر جباله ١٢٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٠ - ٣٢٢

فیثاغورث ٣٥٣
 فیشر أنون ٨
 فیکدور روزن ٣٠٧

(ق)

قابوس بن وشکیر ١٠٦ ، ١٢٩ ، ١١٢ ،
 ١١٦ - ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ،
 ١٦١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢

القادر بالله ١٠٥ ، ١٢٠ ، ٢٦٨ ، ٣٥٢
 قارن ٢٧٩

قارلوند ١١٩

قارون ٢٧٨ ، ٤٦

أبو القاسم الجرجانی ١٦٤

أبو القاسم بن الحسين ٤٥٨

أبو القاسم عبد الکرم بن هوازن (انظر :
 القشیری)

أبو القاسم علی بن الحسن (انظر : الباخزری)

أبو القاسم محمد بن عمر (انظر : الزمخشری)

القاضي الأکرم (انظر : القطفی)

قاورد ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ - ٢٢٦

القائم بأمر الله ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٣

قباذ ١٠٦ ، ١١٩

قبنیاق ٥٤٧

قبلاي خان ٢١٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٩ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦

قتلش بن موسى أرسلان ٢١٠ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦

قدامة بن جعفر ١٠٣

قراجه ٥٧١

(ک)

کاتان ۲۲۳، ۲۴۹، ۲۱۵
 الگردیزی ۳۱۲
 گرشاسب ۲۴۱
 گشتاسب ۱۵۳، ۳۵۱
 گشتکین ۲۲۵
 گورخان ۶۵
 گوهر آئین ۲۲۲، ۲۲۴
 گیلا: شاه ۲۴۶
 کیو ۱۵۳
 کیومرث ۵۹۴

(ل)

لالا شرف الدین السمرقندی ۶۵۴
 لامعی البخاری ۴۳۵
 اللان ۵۴۷
 لیبی ۱۹۴، ۳۵۳
 لسترانج ۶۸۸
 لطفعلی بیگ ۲۶۶، ۳۰۱، ۴۶۸، ۴۶۹، ۵۱۰
 الککز ۵۴۷
 لمی ۳۴۵
 لوط ۱۸۰، ۱۸۴
 لونج فیلیو ۵۷۱، ۵۸۶
 لويس کارول ۶۱
 لیبرت ۳۰۹، ۶۰۴، ۶۵۵
 لیلی ۵۱۶ — ۵۱۸، ۶۸۰
 لیلی الأخیلیه ۳۳۵

(م)

مانیو آرنولد ۱۷۱
 ماجوج ۵۴۷

کازمرسکی (کازیمیرسکی) ۱۸۸، ۲۲

کافی بن عثمان ۴۹۵

کبیر بن اویس بن محمد اللطیفی ۶۰۳

کثیر ۳۳۵

کدک ۵۷۴

کریاتریک ۴۷۱، ۴۸۶، ۴۸۹، ۴۹۱

کر: ورد ۶۰۷

کر: گری کتی گرای ۵۶۹

الکسانی المروزی ۱۳۵، ۱۹۶، ۲۰۰

— ۳۰۳، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۷۹

کلارک ۵۲۴

کلثوم بن عمر العتابی ۱۰۳

کلیمان اویار (أنظر: اویار)

کمال بک ۱۰۳

کمال الدین (أنظر: پندار الرازی)

کمال الدین بن أرسلان خان ۴۱۹

کمال الدین بن إسماعیل الأصفهانی ۹۶، ۲۱۴، ۳۱۴

۳۱۹، ۴۹۲، ۶۸۶ — ۶۸۸

کمال الدین أبو الرضا ۲۳۰، ۲۳۱

کمال الدین محمد ۶۳۸ — ۶۴۰

الکندری ۲۱۶ — ۲۱۹، ۲۲۷

کولریدج ۵۷۶

کون ۱۸۰

کونراد ۲۵۶

کوهیاری الطهری ۴۳۵

کول ۱۲۴

کوبری ۳۴۶

کیابزرگ امید ۳۸۸، ۵۷۷

کیث فولکنر ۱۲۴، ۴۴۴

کیرتون ۴۵۹

کیکائوس (عنصر المال) ۱۰۳، ۳۴۵

۳۶۰، ۳۴۶

کیکائوس بن قباد ۳۴۶

کیوک ۵۶۵، ۵۷۴، ۵۷۵

٣٢٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ — ٣٢٧ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤٣ — ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ،
 ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٦ — ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢٣ — ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ،
 ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
 ٥٠٣ ، ٥٠٤ — ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ،
 ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٦ — ٥٤٠ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ،
 ٦٠٨ — ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٢٢ ،
 ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣ ، ٦٣٩ —
 ٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ — ٦٥١ ، ٦٥٥ ،
 ٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٤ — ٦٦٨ ،
 ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ — ٦٨٠ ، ٦٨٢ ،
 ٦٨٥ ، ٦٨٧ ، ٦٨٩

لمنتهى ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٧٠ ، ٢٦٧

التوكل ٣٥٠ ، ٣٥٣

جاهد الدين إيبك ٥٨٤ ، ٥٩٥

مجتبى مینوی ٣٤٤

مجد الدولة أبوطالب رستم ١٦٧ ، ١٨٧ ، ١٩٦ —

٣٥٠ ، ١٩٩

مجد الدين بن الأثير ٩٥٠ ، ٦١٩

مجد الدين البغدادي ٥٩٠ ، ٦٢٩ — ٦٣١ ،

٦٤٤ ، ٦٤٧

مجد الدين أبو الحسن العمراني ٤٩٣

مجد الدين أبو الفتح ١١٥

مجد الدين محمد بن علي أشعث ٥٢٩

مجد الدين همكر ٣١٩ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥

أبو المجد مجدود بن آدم (أنظر : سنائي

مارتن تير ٣٩٨

مارتن لوثر ٩١

مارجاليوث ٢٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ،
 ٦١٢

ماركو بولو ٢٥٣ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩ ، ٥٨٣

مارينو سانوتو ٢٥٥

المافروخي ١٣١ ، ١٣٢

مالك ٢٨٠

الماطيري (أنظر : خرشيد بن أبي القاسم)

الأمون ١٠ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٣

مأمون (أمير خوارزم) ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٣

مان ٤١٦

ماه ملك (أخت ملكشاه) ٣٧٥

ماه ملك (بنت سنجر) ٣٧٨

الموردى ٣٦٣

المرجم (دكتور إبراهيم أمين الكواربي) ١ ،

٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٢ ،

٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ —

٤٣ ، ٦٠ — ٦٣ ، ٦٥ — ٦٧ ، ٦٩ ،

٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ — ٧٧ ، ٨٠ — ٨٢ ،

٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ — ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،

١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥ ،

١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ،

١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٤٣ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٥ —

٢٩٩ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤

محمد بن عبد الوهاب القزويني ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦
٦٢٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢١ ، ٦٠٠ ، ٤٦٢
٦٤٦ ، ٦٤٥ ، ٦٤٣ ، ٦٢٩

محمد عبده (الإمام) ٤٦٠

محمد بن علي الرقاص ٣٩٦

محمد بن علي السوزني (انظر : سوزني)

محمد عوفي

١٣٦ ، ١٣٤ ، ١٠٩ ، ٢٢ ، ٢
١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٤٣ ، ١٣٩
١٩٤ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٧٦ ، ١٥٦
٣٣٨ ، ٣٠٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٦
٣٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٣٩
٤٢١ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤٠٦ ، ٣٩٦
٤٥٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٢
٥٠٧ ، ٥٠٤ ، ٤٨٣ ، ٤٧٠ ، ٤٦٣
٥٩٠ ، ٥٤٢ ، ٥٢٦ ، ٥١٠ ، ٥٠٩
٦٨٦ ، ٦٤٤ ، ٦٠٧ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣

محمد بن فخر الملك ٥٢٩

محمد قزويني (انظر محمد بن عبد الوهاب)

محمد كاظم الطباطبائي ٤٤٤

محمد بن كيا بزرك أمير ٣٨٨ ، ٥٧٧

محمد بن محمود القزنوي ٢١٣

محمد مصطفي ٥٩٢

محمد مصطفي حلي (دكتور) ٦٤١

محمد بن المظفر ٣٠٦

محمد القزويني ٢٦١

محمد بن ملكشاه ٣٠٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧

٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤١١ ، ٤١٢

محمد بن منصور الكندري (انظر : الكندري)

محمد بن النور ٣٢٦

محمد ناظم الدين ٦٠٦

محمد بن نظامي الكنجوي ٥٠٨

محمد الهاشمي ٣١٨

محمد بن يحيى ٤٨٨ ، ٥٠١

محمود الشبستري ٦٦٠

محمد الملك أبو الفضل القمي ٢٣١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٤١٢

مجنون ليلي (انظر قيس)

المجوسي الطيب ١٣١

مجير السيلقاني ٥٠٣ ، ٥٢٧ ، ٥٤٣ ، ٦١٣ ، ٦٨٧

أبو الحسن الأزرقى (انظر : أزرقى)

محمد (صلم) ٤١ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٢٠

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣

٤٥٥ ، ٤٨٠

محمد بن إبراهيم ٤٠٧

محمد بن أرسلاتشاه ٣٨٠

محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٤٣

محمد إقبال ١٨٩ ، ٢٠٩ ، ٢٦٤ ، ٣٢٤

محمد الأکاف ٤٨٨

محمد بن إيلدگز ٥٠٨ ، ٥٣١

محمد بختاور خان ٤٦٩

محمد تغلق ٦٢٠

محمد بن الحسن بن إسفنديار (انظر ابن إسفنديار)

محمد بن الحسن على ذكره السلام ٥٧٨

محمد بن الحسين الخطيبي (انظر : بهاء الدين ولد)

محمد بن خاوندشاه (ميرخواند) ٢٧

أبو محمد بن المشاب ٤٥٨

محمد خوارزمشاه (انظر : علاء الدين محمد)

محمد بن داود العلوي الشادي آبادي ٤٩٤

محمد دبير سياقي ١٨٨

أبو محمد روزبهان (انظر : روزبهان)

محمد بن زكريا الرازي ٣٥٠

محمد السباعي ٣١٨

محمد بن سليمان ٤٨٩

محمد بن شرف الدولة ٢٢٧

محمد بن عبد الجليل العمري (انظر : رشيد الدين

الوطواط)

محمد بن عبد الرحيم النسوي ٣١٧

عمود القرنوي

١٩ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٨٣ ، ٩٣ ،
 ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ،
 ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،
 ١٦٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣ ،
 ٤٤٠ ، ٥٥٦ ، ٥٩٧ ،
 محمود بن محمد بن ملكشاه
 ٢٣٨ ، ٢٧٨ ، ٢٥٨ ،
 محمود بن ملكشاه ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٣٧٤ -
 ٣٧٦
 عبي الدين البوني (انظر : البوني)
 عبي الدين بن العربي (انظر : ابن العربي)
 عبي الدين الفقيه ٥٤٠
 المختار : ٢٨٠
 مدرس رضوى ٣٩٧
 مرجليوث (انظر : مارجليوث)
 مرزبان بن رستم بن شروين ٣٤٦ ، ٦٢٢ ،
 مرلينوس كوكايوس ٦٢
 مزدك ٢٦٢
 المترشد ٢٠ ، ٢٣٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
 ٣٨٩ ، ٤٥٨ ،
 المستظهر ٣٨٠
 المستصم ٢٠١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٨ ، ٦١٤ ، ٦٧٩ ،
 المستنصر بالله (الخليفة الفاطمي)
 ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 المستنصر بالله (الخليفة الفاطمي)
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٢ ، ٣١٥ ، ٣٨٩ ،
 المستوفي (انظر : محمد الله المستوفي)
 مسعود بن ابراهيم القرنوي ٣٨٢

مسعود الثاني ٢٧٧

مسعود بن سعد سلمان ١٥٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠٧ ،
 ٤٠٩ - ٤١١ ، ٤٧٤ ،
 مسعود السلجوقي ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٤٩ ،
 مسعود بن محمود القرنوي ٤٥ ، ١١٧ ، ٤١٦ ،
 ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ،
 ٣٤٠ ، ٣٥١ - ٣٥٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ،
 أبو مسلم (زوج ابنة نظام الملك) ٢٤٩
 أبو مسلم (حاكم الري) ٣٧٥
 أبو مسلم الخراساني ١٨
 المسيح ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ٣٦٦ ، ٤٥٥ ،
 المسيحي (انظر : أبوسهل المسيحي)
 مسيلة الكذاب ١٤٢
 معروف الدين بن مصلح الدين (انظر : سمدي)
 المطرزي ٥٩٠ ، ٦١٩ ،
 أبو المظفر الإسفرازي ٢٢٦ ، ٣٠٤ ،
 مظفر الدين أزيك ٥٧٨
 مظفر الدين شاه ٢٢٦
 مظفر الدين محمد بن ايلدغر (انظر : محمد بن
 ايلدغر)
 أبو المظفر الصاغاني ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
 أبو المظفر نصر (انظر : نصر بن سبكتكين)
 أبو المعالي الجويني ٢١٨
 أبو المعالي الرازي ٤٣٥
 أبو المعالي محمد بن عبيد الله ٣٦٢
 أبو المعالي النحاس ٢٣١
 أبو المعالي نصر الله (انظر : نصر الله بن عبد الحميد)
 معاوية ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،
 ابن المعتز ١٠٢
 المعتزلة ١٩٩
 المعتصم ٣٥١
 المعتمد ١٩ ، ٢٦٥ ،
 معروف الكرخي ٢٢٧

الملك طولى ٤٨٤
 ملك عماد الزوزنى ١١٥
 منتجب الدين بديع الكاتب ٢٨٧
 المتصر ٥٨٠
 منجيك ٢٧٠ ، ٣٢٨
 ابن منده ٢٧٤
 نس (١٠١) ٤
 المنصوري ١٩٤
 أبو منصور بن عبد الرزاق ١٦٧
 منصور بن علي الرازي ١٠٩
 أبو منصور العمري ١٦٧
 أبو منصور الموفق (انظر : موفق الدين أبو منصور)
 منصورى ١٣٤
 المنطقى (انظر : منصور بن علي الرازي)
 منكو ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣
 منهاج السراج ٥٨٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩٥ ، ٦٠٦
 منوچهر شرو نشاه ٤٩٦
 منوچهر بن قابوس ١٩ ، ١٩٣
 منوچهرى ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٩ ، ١٩٣ ، ١٨١ ، ١٩٣
 المتينى ١١٥
 المهدي ٢٤١
 مهسنى ١٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩
 الملهب ٣٥٢
 مهرا نديلى ١٢٩
 مود ٢٣٦
 مودود ٣٨٩
 مودود بن مسعود الفزنونى ١١٧ ، ٢١٣ ، ٢١٥
 مورجان ٩٠ ، ٦٤
 مردكان ١٥
 مورير ٦٨
 موسى ١٨٤ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨
 موسى أرسلان بن سلجوق (بينو) ٢١٠ ،
 ١٧١ ، ٣٤١

معزى ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ،
 ٤٠٦ ، ٣١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٨١ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ،
 معين الدين پروا ٦٥٩
 معين الدين أبو القاسم (انظر : جنيد الكيرازى)
 معين الملك ٣٩٠
 المغربى ٣١٩
 المنول
 ٤ ، ١١ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٤٠ ،
 ١٠٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٣ ، ٣ ،
 ٣٧٠ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٦٣ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ،
 ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ،
 ٦٠٦ ، ٦٠٦ ، ٦١١ ، ٢٢ ، ٦٢٨ ،
 ٦٣١ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٧٩ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ،
 ابن مقبل ٤٧
 المقتدى ٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٥ ،
 ٣٨٠
 المقتضى ٣٨
 المقرئ ٦٣٤ ، ٦٣٧
 المقرئى ٥٥٦
 ابن المقفع ١٠٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ،
 ابن مقلة ٣٥١ ، ٣٥٠ ،
 مكريم بن الاله ٢٣٣
 ملا صدرا ٦٣٥
 ملتون ٣٩٨
 ملا اسماعيل ٣٧٥
 الملك الرحيم ٢١٣ ، ٢١٦ ،
 ملكشاه ١٩ ، ٢٩ ، ١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
 ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
 ٢٦٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٣١١ ،
 ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣١٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ،
 ٤١٣ ، ٤٥٥
 ملكشاه بن بركيارق ٣٧٧
 الملك شمس الدين ٣١٩

٤٦٢ ، ٤٧٥ ، ٥٤٣ ، ٥٧٩ ، ٦٠٨ ، ٦٤٥ ، ٦١٣

ناصر الدين (حاكم قهستان) ٥٧٩

ناصر الدين شاه ٢٢٦ ، ٢٣٢

ناصر الدين عبد الرحيم ٢٦٨

ناصر الدين قباچه ٥٩٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨

ناصر الدين محمود شاه ٥٩٥

ناصر الدين متكلي ٥٧٨

ابن النبيه ١٠٢

نجار ساغرجي ٤٢٣

أبو النجم أحمد بن قوص (انظر : منوچهری)

نجم الدين أبو حفص (انظر : النسفی)

نجم الدين داية (أو الرازي) ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣١٣ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣١

٦٣١

نجم الدين كبرى ٥٥٩ ، ٥٩٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٤٧ ، ٦٢٩ — ٦٣١ ، ٦٤٧

أبو النجم السراج ٢٤٨

أبو النجيب السهروردي ٦٢٥ ، ٦٣١

نجيبي فرغانی ٤٢٣

زرگسي ٢٨ ، ١٠٤

زرارين المستنصر ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٣١٥ ، ٥٧٧

نساويز ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٥٥٩ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ، ٥٩٦ ، ٦٢٥ ، ٦٣٤

النسفی ٤٥٠

النسوی ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٩٠ ، ٦٠٢ — ٦٠٠

نصر بن أحمد الساماني ٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣

أبو نصر أحمد بن منصور (انظر : أسدي)

أبو نصر الإجماعيل ٣٦٩

نصر الثاني (الساماني) ٢٤١

أبو نصر خليل بن أحمد ١٨٣ ، ١٨٦

نصر بن سبکتگين ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٤١

الوفيق فضل الله الصقاعي ٦٠٢

الوفيق النيسابوري ٢١٨ ، ٢٧٠

مول ١٥٤ ، ١٥٥

مولار ٦٠٥

المؤمن ٢١٨ ، ٢٤٩

المؤيد ٢٧٨ ، ٤٨٧

أبو المؤيد البلخي ١٧٥ ، ٢٤٦

مؤيد الدين محمد (انظر : ابن الطقمي)

مؤيد الملك بن نظام الملك ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠

المؤيد بن يوسف الصالحی ٦٢٦

می ٨٢ ، ٨٣

الميداني ٢٧٤ ، ٤٥٠

ميرخواند ٢٧

ميرزا حبيب ٦٢٠

ميرزا محمد شيرازي ٦٣٤

ميكائيل بن سلجوق ٢١٠

الميمندي (انظر : أحمد بن الحسن)

ابن ميمون ٥٩٠ ، ٦١٨

ميمون بن نجيب الواسطي ٢٢٦

(ن)

النابغة الذبياني ٢٧٩

النابلي ١٢٢

ناتان هسكل دول ٣١٨

نادر شاه ١٤

ناساويز (انظر : نساو)

ناصر الدين الأرجاني ٤٥٨

الناصر (الخليفة المباسي) ٥٧٨ ، ٥٥٦

الناصر (ملك مصر) ٥٦٨

ناصر خسرو ١٩٩ — ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢٣٥

٢٤٦ — ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ — ٢٧١

٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤

٢٩٧ — ٢٩٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤

أبو نصر العتبي (أنظر : العتبي)
 أبو نصر بن العراق ١١١ ، ١١٢ ،
 نصر الله بن عبد الحميد ٢٧٢ ، ٤٢٨ ، ٤٤٣ ،
 ٤٤٦ ، ٤٤٥
 أبو نصر الفراهي ٥٩٠ ، ٦٢٠
 نصر بن منصور التميمي ٢٥١
 نصره الدين أبو بكر يشكين ٥٠٩ ، ٥٢١ ،
 ٥٢٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥
 نصير الدين الطوسي ٢٦٨ ، ٣٠٠ ، ٣١٩ ،
 ٥٦٤ ، ٥٧٩ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ،
 ٥٩٠ ، ٦١٥ ، ٦١٧
 نظام الدين أحمد ٤٨٤ ، ٤٨٥
 نظام الدين أبو المعالي (أنظر : نصر الله بن
 عبد الحميد)
 نظام الدين محمود القاري ٩٧
 نظام الدين الوزير ٥٢٩
 نظام الملك ١٩ ، ٤٩ ، ٢١١ ، ٢١٨ — ٢٢٠ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٩ — ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٩ ، ٤٩٣ ، ٥٢١
 نظامي الأثير ٢٧٨
 نظامي عروضي سمرقندي ٠٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
 ١٢٩ ، ١٥٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٤٢٥ — ٤٢٩ ، ٤٣٨
 نظامي الكنجوي ٢٧ ، ٦٣ ، ٢٠٤ ، ٢٤٣ ،
 ٢٧٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ،
 ٤٩٦ ، ٥٠٦ — ٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٣ ، ٥٣٤ ،
 ٥٤٣ ، ٦١٣ ، ٦٨٦
 نظامي منيري ٤٢٧ ، ٤٢٨
 نظامي الهروي ١٧٦
 أبو نظر عبد العزيز (أنظر : المسجدي)
 نعمة الله الكرمانلي ٢١٩

أبو نواس ١٠٢ ، ٤٧٩
 نوح ٢٤٣ ، ١٧٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨
 نوح بن منصور الساماني ١٢٣
 نور الدين عبد الرحمن (أنظر : جامي)
 نور الله الشوشري (أو الششتري) ٤٨٠ ،
 ٦٤٣ ، ٦٤٥
 نوشكين ٢٥٢
 تولدك ١٣ ، ١٥٤ — ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ،
 ٤٧٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
 نول كشور ٥٢٥
 نو مسلمان (أنظر : جلال الدين)
 نويان چراغون ٥٧٢ ، ٥٧٣
 نيكولاس ٣١٩ — ٣٢١ ، ٤٧١
 نيكولسون ٣٦٧ ، ٦٢٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٧ ،
 ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٤ ،
 ٦٦٧

(هـ)

هاتف الإصفهاني ٥٤
 هار بروكر ١٢٣ ، ٤٥٩
 هاروت ٤١٤ ، ٤١٥
 هارولد الإنجليزي ٥٧٢
 هارون بن التوتناس ٢١٤
 هارون الرشيد ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٠٢ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٢
 هاسر بور جستان ٥٥٥
 هبة الله بن محمد المأموني ٢١٦
 الهجویری ٢٦٣
 هرمان بيكل ٩٠ ، ٩١
 هرمزان الفارسي ٢١٥
 هرون ألن ٢١٨ ، ٢٢٠ — ٢٢٢
 هشام (القاضي) ٦٢
 هنري (ملك بيت المقدس) ٢٥٥

وليم كركپاتريك (أنظر : كركپاتريك)

ويس ٣٤٤ — ٣٤٢

ويسى ١٠٤ ، ٢٨

(ى)

ياجوج ٥٤٧

الياقنى ٦٢٦ ، ٦٣٩

ياقوت ٤٣٥ ، ٥٥٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ ،

٦٠٥ ، ٦١١ — ٦١٣

ياقوت المستعصمى ٥٩٠ ، ٦٢٠ ،

ياقوت بن جفري بيك ٥٩٠ ، ٦٢٠ ،

يحيى أعقب ٥٩٦

يرقش ١٨٧

اليزدادى ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٦٠٩ ،

يزدجرد الأئيم ٥٢١

يزدجرد بن شهريار ١٦١ ، ٢٤٣ ،

يعقوب بن ليث الصفار ١٩ ، ٢٦٥ ،

ابن عيين ٣٤

يعين الدولة (أنظر : محمود الزنوى)

يعينى ١٣٤

يوحنا أبو الفرج (أنظر : ابن العبرى)

يوسف (عليه السلام) ٥٣٩ ، ٦٢٧ ، ٦٨١ ،

يوسف بن زكي مؤيد ٥٠٨

يوسف بن محمد بن عثمان ٦٠٣

يوسف القفطى ٦٠٤

يوسف نرزمى ٢٢٣

يوقلبندس ٢٧٨

بوليوس ليرت (أنظر : ليرت)

يونس ٢٧٨

يونس بن سلجوق ٢١٠

هنرى هوورث (أنظر : هوورث)

هوتسا ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨ ، ٤٠٧ ،

٤١١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ،

هوداس ٥٥٥ ، ٥٧١ ، ٦٠١ ،

هولاكو خان ٢١ ، ٢٣٩ ، ٢١٣ ، ٥٥٥ ،

٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ ،

٥٧٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ — ٥٨٥ ، ٥٨٧ ،

٥٨٨ ، ٦٠٠ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٧ ،

هوورث ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨ ،

هويتفلد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٦١٠ ،

(و)

واجتر ١٦٨

واللس بدج ٥٢٤

ويك ٢٠٩ ، ٢١٧ ،

ودع البستانى ٢١٨ ،

وديع دستگردى ٥١١

وست ١١

وستفلد ١٢٧ ، ٢١٢ ، ٢٧٥ ، ٤٧٠ ، ٦٠٢ ،

٦٠٦ ، ٦١١ ، ٦١٢ ،

وشمكير ٢٥٤

وصاف ٢٧ ، ٤٤٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ،

الوطواط (أنظر : رشيد الدين)

أبو الفاء الكردي ٤٠٢ ، ٤٠٤ ،

ولهم باخر (أنظر : باخر)

ولهم فون هبولد ٦٠٥

وليم جونز ٦٠٧

وليم درموند ٦٢

أسماء الأماكن

أستاوند (انظر : أستوناوند)
 أستوناوند (قلعة) ٢٩٤ ، ٢٥٠
 الإسحاقى (نهر) ٥٨٤
 إسفرايين ٥٦٨
 أسكلندا ٥٦٩
 الإسكندرية ٦٠٣ ، ٦١٤ ، ٦٢٥
 ٦٣٣ ، ٦٦١
 آسيا ١٠٧ ، ٢٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨
 ٥٧٥ ، ٦٠٤ ، ٦١١
 آسيا الصغرى ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
 ٢٧٢ ، ٢٦٤
 إشبيلية ٦٣٣
 إسطنخر ١١
 أصفهان ٥١ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
 ٢٧٣ — ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣١١ ، ٣١٤
 ٣١٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٣٨٩
 ٣٩١ — ٣٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣
 ٥٠٤ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١
 ٥٣٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٩٧ ، ٦٠٩
 ٦٤٣ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨
 ٦٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٢
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٣٨٩
 ٦٧٢
 أفغانستان (بلاد الأفغان) ١٩ ، ١١٤ ، ١١٧
 ٢٠٨ ، ٢٢٥

(١)

آبا (آبه) ٢٦٤ ، ٣٧٥
 أبهر ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٣٦٤
 أيورد ١١٢ ، ١٢٣ ، ٤٦٤
 أزار ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨
 الإحصاء ٢٧٣
 أخسكت ٤٣٥
 أخلاط (خلاط) ٢٧٠ ، ٢٧٢
 إديره ٥٦٩
 أدريجان ٨٧ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤
 ٤٦٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٦
 ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٤٧
 ٥٧٩ ، ٥٩٤ ، ٦٢٢
 أرات ٥٧٩
 أرائية ٥٤٧
 أربل ٥٦٨ ، ٦٠٣
 أردبيل ٢٦٢
 أردمان ٢٥٠
 أرزن ٢٧٠
 أرجان ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٣٩٤
 أركنج (انظر : المجرانية)
 أرمينيا ١٩ ، ٣٥٤
 إسبانيا ١٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧
 إستانبول (إستانبول) ١٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥
 ١٧٥ ، ٤١١ ، ٥١١ ، ٥٢٣ ، ٦٥٥
 أستراباد ١٦٥ ، ١٨٨ ، ٥٩٧

۴۸۶ ، ۴۹۸ ، ۵۰۶ ، ۵۰۹ ، ۵۱۰ ،
 ۵۱۶ ، ۵۲۱ ، ۵۲۶ ، ۵۳۵ ، ۵۵۲ ،
 ۵۵۴ ، ۵۵۶ ، ۵۶۲ — ۵۶۹ ، ۵۷۱ ،
 ۵۷۳ ، ۵۷۵ ، ۵۷۶ ، ۵۷۹ ، ۵۸۲ ،
 ۵۸۳ ، ۵۸۹ ، ۵۹۱ ، ۵۹۴ ، ۵۹۷ ،
 ۶۰۲ ، ۶۰۷ ، ۶۱۱ ، ۶۱۲ ، ۶۱۴ ،
 ۶۱۸ ، ۶۲۱ ، ۶۲۴ ، ۶۲۶ ، ۶۳۸ ،
 ۶۴۳ ، ۶۴۸ ، ۶۵۴ ، ۶۵۹ ، ۶۶۰ ،
 ۶۶۷ ، ۶۷۸ ، ۶۸۹

ایرلنده ۶۷۸،۶۱۳

(ب)

بابل ۴۳ ، ۴۵ ، ۴۵ ،
 باریس ۹۸ ، ۱۰۲ ، ۱۲۵ ، ۱۸۸ ، ۲۴۳ ، ۲۵۹ ،
 ۲۶۲ ، ۲۶۹ ، ۲۷۲ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ،
 ۳۱۳ ، ۳۲۰ ، ۳۲۴ ، ۳۴۶ ، ۴۵۶ ،
 ۵۹۹ ، ۶۰۰ ، ۶۰۱ ، ۶۰۶ ، ۶۱۰ ،
 ۶۲۰ ، ۶۴۳ ، ۷۵۰

باز ۱۵۶

باغستانا (انظر : بهتون)

باکو ۴۹۹

بامیان ۵۶۰ ، ۵۶۸

بانکیور ۳۲

باورد ۲۱۴

بخاری ۳۱ ، ۳۵ ، ۳۶ ، ۱۰۰ ، ۱۱۱ ،
 ۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ۱۸۱ ، ۱۸۲ ، ۱۸۳ ، ۱۸۴ ،
 ۲۱۰ ، ۲۱۳ ، ۲۱۴ ، ۲۳۷ ، ۲۴۷ ،
 ۵۵۸ ، ۵۶۸ ، ۵۶۹ ، ۶۰۶

بدخشان ۱۴۸ ، ۲۰۴ ، ۳۰۴ ، ۳۵۴ ، ۶۴۵

بردع ۳۵۴

برین ۱۸۰ ، ۲۵۹ ، ۲۶۹ ، ۲۷۴ ، ۳۰۱ ،

۳۳۸ ، ۳۳۹ ، ۳۷۰

آکسفورد ۶۲ ، ۱۲۴ ، ۱۳۶ ، ۳۶۷ ، ۴۹۹ ، ۶۰۹

۶۰۵

آلبرز ۱۰۰

آلتای ۵۶۷

آلتایا ۵۴۶

آلموت ۲۱ ، ۲۳۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۶ ، ۲۵۸ ، ۳۷۲ ،

۳۷۶ ، ۳۸۸ ، ۳۸۹ ، ۳۹۴ ، ۴۹۸ ،

۵۵۷ ، ۵۶۷ ، ۵۷۶ ، ۵۷۹ ، ۵۸۲ ،

۵۸۳ ، ۶۱۶ ، ۶۰۰

آمد ۳۹۰ ، ۴۲۷

آمریکا ۳۱۸ ، ۳۰۴

آمل ۴۴۹ ، ۴۵۵ ، ۶۰۹

آنجلترا ۱۷۵ ، ۲۰۲ ، ۶۱۳ ، ۶۳۳

آندلس ۶۱ ، ۴۵۰ ، ۶۲۳ ، ۶۳۳ ، ۶۳۷

الاندوس ۵۴۵

آنطاکیه ۲۲۸ ، ۵۹۳

أهواز ۱۷۵

الأورال ۵۴۵

أوروبا ۲۰۸ ، ۲۳۹ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱ ، ۲۵۷ ،

۳۰۴ ، ۳۰۷ ، ۳۱۸ ، ۳۶۵ ، ۴۸۱ ،

۵۴۶ ، ۵۶۳ ، ۵۶۸ ، ۵۳۶ ،

۶۰۷ ، ۶۲۱ ، ۶۳۶ ، ۶۳۸ ، ۶۷۴ ،

أوزکند ۵۵۸

ایا صوفیا ۶۳۰

ایرات ۱ ، ۳ ، ۱۷ ، ۲۱ ، ۲۹ ، ۱۰۳ ،

۱۰۷ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ، ۱۲۰ ، ۱۲۸ ،

۱۵۳ ، ۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۵ ، ۱۷۹ ،

۱۸۸ ، ۱۹۸ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۱۰ —

۲۱۳ ، ۲۳۰ ، ۲۴۲ ، ۲۴۵ — ۲۵۱ ،

۲۵۷ — ۲۵۹ ، ۲۹۹ ، ۳۰۴ ، ۳۱۵ ،

۳۶۴ ، ۳۶۶ ، ۳۷۱ — ۳۷۳ ، ۳۸۲ ،

۳۸۳ ، ۳۸۸ ، ۳۹۴ ، ۳۹۵ ، ۳۹۷ ،

۴۰۱ ، ۴۰۴ ، ۴۱۷ ، ۴۲۳ ، ۴۲۵ ،

۴۴۳ ، ۴۴۴ ، ۴۴۷ ، ۴۶۱ ، ۴۷۳ ،

یون ۳۶۳
 بیت لحم ۲۷۱
 بیت المقدس ۲۵۵ ، ۲۷۱ ، ۵۴۷ ، ۶۱۴
 بیروت ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۱۸ ، ۲۷۰ ، ۵۶۳ ، ۵۶۴ ، ۵۹۴ ، ۶۲۱

یزنطه ۰۲۱

یستون (اظھر: ہستون)

یلقان ۵۶۸

یہون ۲۷۹

(ب)

پاریس (اظھر: پاریس)

پتروغراد (اظھر: سان پیترسبورج) ۴۶۷

پتیالی (بلد فی الھند) ۶۱۶

پرسیپولیس ۱۱

پست (مدینة فی روسیا) ۵۷۳

پکین ۵۷۶

پنجاب ۶۷۲

پولندا ۵۷۳—۵۷۵

(ت)

تاخرشت ۲۱۷

قاھرت ۲۴۸

قبت ۵۶۳ ، ۵۶۹

تبریز ۲۰۱ ، ۲۱۷ ، ۲۱۵ ، ۲۶۷ ، ۲۶۹ ، ۲۷۰ ، ۲۷۱

۲۷۷ ، ۲۸۸ ، ۲۹۱ ، ۲۹۵ ، ۲۹۸ ، ۳۳۵ ، ۳۳۶

۳۳۹ ، ۳۴۳ ، ۳۴۹ ، ۳۴۱ ، ۳۶۳ ، ۳۷۵ ، ۳۷۶

۵۰۱ ، ۵۰۴ ، ۵۰۵ ، ۵۲۷ ، ۵۲۲ ، ۵۲۱ ، ۵۷۱

۵۹۴ ، ۶۲۲

تحت جمشید (اظھر: ایضاً پرسپولیس) ۱۱

ترکستان ۱۹ ، ۲۱۰ ، ۳۲۳ ، ۳۳۴ ، ۳۵۷ ، ۳۵۸

۳۵۹ ، ۳۶۸ ، ۳۷۵ ، ۳۷۶

ترکیا ۱۰۳ ، ۱۰۴ ، ۱۲۴ ، ۱۷۵ ، ۲۰۸ ، ۳۶۴ ، ۳۷۱ ، ۳۷۲

۵۰۶ ، ۵۱۷ ، ۶۵۷

بروجرد ۳۷۷

بیت ۲۱۳ ، ۲۱۵

البصرة ۲۴۶ ، ۲۷۳ ، ۴۵۷

بترسبورج (اظھر: سان پیترسبورج)

بطلیس ۲۷۰

بعلبک ۶۷۲

بغداد ۱۰—۱۲ ، ۱۶ ، ۱۹—۲۱ ، ۴۰ ، ۴۱

۱۰۵ ، ۱۰۷—۱۰۹ ، ۱۲۰ ، ۱۳۰ ، ۱۳۰

۲۰۷ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷ ، ۲۳۰ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷

۲۲۷ ، ۲۲۹ ، ۲۳۱ ، ۲۳۸ ، ۲۴۹ ، ۲۵۷

۲۵۷ ، ۲۷۸ ، ۳۶۹ ، ۳۷۵ ، ۳۷۶ ، ۳۷۸

۳۷۸ ، ۳۷۹ ، ۴۵۴ ، ۴۵۹ ، ۵۰۲ ، ۵۰۳

۵۳۷ ، ۵۴۹ ، ۵۵۶ ، ۵۵۷ ، ۵۶۳ ، ۵۶۴

۵۶۴ ، ۵۶۷ ، ۵۷۱ ، ۵۷۴ ، ۵۷۶ ، ۵۸۳

۵۸۳—۵۸۸ ، ۵۹۱ ، ۶۰۸ ، ۶۱۰ ، ۶۱۶

۶۱۶ ، ۶۱۹ ، ۶۲۲ ، ۶۲۳ ، ۶۵۴ ، ۶۸۲

۶۵۶ ، ۶۲۰ ، ۶۷۱ ، ۶۷۹ ، ۶۸۲

بلاد الأفغان (اظھر: أفغانستان)

بلاد العرب ۳ ، ۱۹ ، ۲۱۱ ، ۶۷۲

بلاساغون ۵۴۷

بلخ ۱۷۵ ، ۱۸۸ ، ۲۱۳ ، ۲۱۹ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷

۲۲۷ ، ۲۴۷ ، ۳۰۶ ، ۳۷۴ ، ۳۷۸ ، ۳۰۵

۳۰۵ ، ۳۸۲ ، ۳۸۴ ، ۳۹۵ ، ۴۲۷ ، ۴۳۵

۴۳۵ ، ۴۴۱ ، ۴۴۳ ، ۴۶۲ ، ۴۷۹ ، ۴۸۴

۴۸۴ ، ۴۸۶ ، ۴۸۷ ، ۴۸۹ ، ۴۹۳ ، ۵۰۳

۵۰۳ ، ۵۰۹ ، ۵۶۸ ، ۵۹۵ ، ۶۵۴ ، ۶۷۲

بلوچستان ۱۹

بجای ۲۷۵ ، ۳۹۷ ، ۴۶۹ ، ۴۸۱ ، ۶۳۴ ، ۶۷۲

۶۱۳ ، ۶۷۹

بناتک ۵۵۸ ، ۵۶۸

ہستون ۱۱ ، ۳۵۷ ، ۵۱۳

بوسطون ۳۱۸

بولاق ۲۶۳ ، ۵۹۲

جوزجان (جوزجانان) ٢٩٥ ، ٢٩٢

جيحون ٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٧٩

جيلان (انظر: كيلان)

(ج)

جاهه ١٦٥

(ح)

الحبشة ٦٧٢

الحجاز ٢٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٦٢٤ ، ٦٣٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧١

حران ٢٢٧ ، ٦٠٤

حلب ١١٥ ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٣ — ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٥٥

الحلة ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٧٧ ، ٦١٤

حماة ٢٧٠ ، ٥٩٧ ، ٦٢٨

حمدونيان ٥٠٨ ، ٥٠٩

الحمدية ٦٢٠

حمص ٢٨٩

حيدرآباد ٦٠٦

حيفا ٢٧١

(خ)

الخابور ٢٢٧

خالنجان ١٦٧ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤

خان باليق ٥٧٦

خاوران ٢٧٨ ، ٢٣٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠

خبروشان ٥٦٨

ختان (انظر: ختن)

ختلان ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٤٨٦

ترمد ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٤ ، ٤٢٢ ، ٥٥٩ ، ٥٦٨

تغليس ٥٧١

تغير ٥٧٣

تكرت ٥٨٤

تهامه ٢٧٣

توبنجن ٢٤١

تون ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٥٨١

تونس ٣ ، ١٠١ ، ٢٤٦

(ج)

جابلسا ٢٧٨

جابلقا ٢٧٨

الجامع الأزهر ٦٢٨

الجامع العتيق ٦٢٥

جامع الطرز ٤٨٧

الجبل ٥٤٧

جرباذقان ٥٩٧

جرجان ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٤١٠ ، ٥٩٧

البرجانية ٥٦٨

الجزائر ٣ ، ٢٤٦

جزجانان ٢٧٠

الجزيرة ٢٠٨ ، ٢٠٧

جزيرة ابن عمر ٥٩٢

جگل ٥٣٨

جمال آباد ٥٨١

جند ٢٢١ ، ٤١٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨ ، ٦٢٨

جوبارة ٦٨٨

جوباس ٥٩٣

جونتا ٢٧٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢

جوتنجن ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٢٨٧ ، ٦٠٦ ، ٦١٢

جورجيا ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٢

دجلة ٢٩٠ ، ٤٥٨ ، ٥٨٤

دجيل ٥٨٤ ، ٥٨٥

دردشت ٦٨٨

در بندشروان ٥٤٧

دژکوه ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

دشت گور ٢٩٢

دلمی ٣ ، ٥٧١ ، ٦٢٠ ، ٦٨٦

دمشق ٢٠ ، ٢٧ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ٢٢٦

٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥

٦١٤ ، ٦١٨ ، ٦٢٢ ، ٦٤٤ ، ٦٥٥

٦٥٦ ، ٦٧٢

دمياط ٥٤٨

دنبير ٥٦٩

دهلی (أنظر : دلمی)

دولت خانه ٢٨٠ ، ٤٨٩

ديار بکر ٢١٦

(ر)

الرحبة ٢٢٧ ، ٢٤٩

رزان ٦١٤ ، ١٦٦

رودبار ١٦٤

الرقه ٢٢٧

رکناباد ٢٩

روستوف ٥٧٢

روسيا ٢١١ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ — ٥٧٥

الروم (أنظر : آسيا الصغرى)

زوما ٦١٢

رونة ٤٢٥

الری

١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٢

١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٦

٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ — ٢٤٩

٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٠

٢٧٥ ، ٢٩١ ، ٤٢٥ ، ٤٥٧ ، ٥٠٠

٥٠١ ، ٥٢٨ ، ٥٥٧ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨

٥٧١ ، ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٦٤٤

ختن ٢٢ ، ٥٢٨

خجند ٥٥٨

خراسان ١٩ ، ١٠٦ — ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢

١١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٥٦

١٦٤ — ١٦٧ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٠

٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥

٢٧٦ — ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥

٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ — ٢٩٢

٥٠٠ — ٥٠٢ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠ ، ٥٥٩

٥٦٠ ، ٥٦٧ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١١

٦٢٢ ، ٦٢٧ ، ٦٤٨

خرنندر ٥٦٨

خوارزم ١٨ ، ١١١ ، ١١٥ — ١١٨ ، ١٢١

١٢٢ ، ٢١٨ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٧٢

٢٨٢ — ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ — ٢٩٢ ، ٤٥٨

٥٢١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ — ٥٥٧

٥٥٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٨

٦٠٠ ، ٦٠٩ ، ٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٢

٦٥٥ ، ٦٢٦ — ٦٢٠ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧

خواف ٥٨١

خور ٢٥٠ ، ٢٩٤

خورتق ٥٢١

خوزستان ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤ ، ٥٤

خوسف ٢٥٠ ، ٢٩٤

خيوه (أنظر : خوارزم)

(د)

دامغان ١٨٨ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ٥٦٨

٥٧٢

(ز)

سمتگان ۲۴۰
سنجان ۲۷۹ ، ۲۴۹ ، ۲۲۷ ، ۲۱۶
السند ۱۸ ، ۱۳۰ ، ۲۷۸ ، ۳۱۵ ، ۵۷۰ ، ۵۷۱
سورط ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۴۵ ، ۲۵۸ ، ۳۶۴ ،
۴۵۴ ، ۵۸۲ ، ۵۸۳ ، ۶۷۲
سومنا ۴۴۰ ، ۶۷۲
سیدتان (أظفر : سجتان)
سیواس ۶۳۱

(ش)

شابران ۵۰۴
الشاش ۳۲۷ ، ۴۳۵
الشام ۲۰۸ ، ۲۱۲ ، ۲۲۸ ، ۲۴۵ ، ۲۴۶ ،
۲۴۹ ، ۲۵۳ ، ۲۷۱ ، ۳۱۹ ، ۳۷۲ ،
۳۸۸ ، ۳۹۴ ، ۵۴۸ ، ۵۸۵ ، ۶۲۴ ،
۶۳۸ ، ۶۷۱
شاه دژ ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۳۹۱
شوزغان ۲۷۰
شروان ۴۹۵ ، ۴۹۷ ، ۴۹۹ ، ۵۰۰ ، ۵۰۴ ، ۵۰۹
ششتر ۲۷۸ ، ۶۰۹
شقان ۱۶۵
شهرستان ۴۵۹
شیراز ۳ ، ۱۱ ، ۳۹ ، ۹۰ ، ۳۳۷ ، ۳۳۸ ،
۵۸۳ ، ۶۰۹ ، ۶۲۰ ، ۶۲۱ ، ۶۲۴ ،
۶۲۵ ، ۶۶۴ ، ۶۶۸ ، ۶۷۱ ، ۶۷۲ ،
۶۸۰ - ۶۸۲
شیرکوه ۳۹۴ ، ۵۸۰
شیرنیکوف ۵۷۳

(ص)

صافیان ۲۲۱
صقلیه ۲۴۶

(س)

زاب ۱۸
زابلی (زابستان) ۲۷۸ ، ۳۹۲
زرند ۸۴
زنجیان ۲۱۶
الزنجبار ۵۸۳
زوزون ۲۵۰ ، ۳۹۴
سان پتیر سیورج (سان بطرسوغ) ۱۱۶
۱۲۶ ، ۲۵۹ ، ۳۰۷ ، ۳۲۷ ، ۴۶۷
ساوه ۲۷۸ ، ۳۷۵
سینه ۶۶۴
سیلان ۵۰۰
سیاهان (أظفر : أصفهان)
ستراسبورج ۳۶۱
سجستان ۱۱۱ ، ۱۲۹ ، ۱۴۴ ، ۱۶۵ ، ۱۵۰ ،
۱۵۱ ، ۱۶۴ ، ۲۱۵ ، ۲۷۸ ، ۳۴۱ ،
۳۷۲ ، ۵۴۸ ، ۶۰۹
سرخاب ۵۰۵ ، ۵۲۷
سرخس ۲۷۲ ، ۳۷۹ ، ۳۸۴
سرمین رأی ۲۴۱
سروج ۳۲۷
سند ۲۱۰
سفیدرود ۵۰۹
سرفند ۱۰۸ ، ۱۱۱ ، ۳۱۰ ، ۳۲۵ ، ۳۲۷ ،
۳۷۲ ، ۳۹۰ ، ۴۲۶ ، ۴۲۸ ، ۴۳۳ ،
۴۳۵ ، ۴۴۱ ، ۴۷۲ ، ۴۸۹ ، ۴۹۰ ،
۴۹۱ ، ۵۴۷ ، ۵۵۸ ، ۵۶۸ ، ۵۷۶ ،
۶۴۵
سمنان ۴۷۰ ، ۵۶۸

٤٢٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٣ ،

٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٧ ، ٥٦٠ ،

٥٦٦ ، ٥٧٩ ، ٦٢٤ ،

عرفات ٢٩٨

عكا ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١

عين تاب ٥٦٨

عين جالوت ٥٦٧

(غ)

غارنور ٢٩٦

غرجستان ٦٦ ، ٤٣٠ ،

غرناطة ٦١٤

غزفة ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ،

١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ،

١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

١٦٧ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ — ٢٨٢ ،

٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ،

٤٩٣ ، ٥٤٨ ، ٥٥٦ ، ٥٦٨ ، ٦٧٢ ،

غور ٦٦ ، ١١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،

٥٩٥

(ف)

الفاتيكان ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

فارس ١١ ، ١٠٥ — ١٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٥٤٥ ، ٥٧١ ، ٦٢٥ ،

٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٨٧ ،

فارياب ٤٦٢ ، ٥٢٦ ، ٦٣١ ،

فاس ٣

فان شنج ٥٦٣

القرات ٥٤٥

صور ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ،

صيدا ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ،

الصين ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٥٢١ ، ٥٤٧ ، ٥٦٣ ،

٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ،

٥٧٦ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ،

(ط)

طبران ١٥٦ ، ١٦٣ — ١٦٥ ،

طبرستان ٢١ ، ٦٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٧ — ١١٩ ،

١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٩٣ ، ٢١٢ ،

٢١٣ — ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ،

٥٢٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٨ — ٦١٠ ، ٦٢٢ ،

طيس ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٤ ،

طخارستان ٤٣٥

طرابلس ٢٧٠ ، ٢٩٤ ، ٥٩٣ ، ٦٧٢ ،

طراز ٢٧٨

طهران ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٨٨ ، ٢٠١ ،

٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٩٧ ، ٢١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ،

٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٧٢ ، ٥١١ ، ٥١٤ ،

٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٩٨ ، ٦٠٧ ،

٦٢٤

طوس ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٣ — ١٦٨ ، ١٧٩ ، ٢١٤ ،

٢١٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٩ ،

٤٢٦ ، ٤٢٤ ، ٥٦٨ ، ٦١٥ ،

(ع)

عدن ١٨ ، ٢٢٨ ،

عراق ١٩ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ،

٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٦١٤ ، ٦٢٢ ،
 ٦٢٨
 قسدار ١٣٤
 القسطنطينية ٣ ، ٤٠ ، ٩٧ ، ٢٢٧ ، ٦٢٠ ،
 ٦٢٩
 القطينف ٢٧٣
 ققط ٦٠٤
 قلعة أردهان ٢٥٠
 قلعة أستوناوند ٢٥٠ ، ٣٩٤
 قلعة بانياس ٢٥٧ ، ٣٩٤
 قلعة خلادخان ٢٥٠ ، ٣٩٤
 قلعة دژكوه ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣
 قلعة شيران ٥٠٤
 قلعة شيركوه ٣٩٤ ، ٥٨٠
 قلعة الطنبور ٢٥٠ ، ٣٩٤
 قلعة قنموس ٣٩٤
 قلعة كالتجار ٢١٣
 قلعة كردكوه ٢٥٠ ، ٣٩٤ ، ٥٨٢
 قلعة مصيات ٣٩٤
 قلعة الناظر ٢٥٠ ، ٣٩٤
 قم ٢٤٧ ، ٣٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٦٠٩
 قنوج ١١١
 قهستان ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٣٦٨ ، ٥٦٧ ، ٥٧٩ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٠٠
 القوقاز ٢٢٢
 قوس ٢٧٠
 قونية ٥٢٨ ، ٦٢٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦
 القيروان ٢٧٢

(ك)

كاراكاو ٥٧٣
 كاشان ٢٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
 كاشغر ٢٢٧ ، ٥٤٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢

قراهان ٣٦٤
 فرخار ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٥٣٨
 فوزين ٦٢٢
 فرغانة ٤٣٥
 فرنسا ١٧٥
 لسطين ٩١
 فيروزكوه ٣٨١ ، ٣٩٩
 قينا ١٥ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢٤١ ،
 ٥٥٥ ، ٥٩٨

(ق)

قاشان (أنظر : أيضاً كاشان) ٣٦٤ ،
 ٥٦٧ ، ٥٦٨
 القاهرة ٣ ، ٣٨ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،
 ١٣٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ،
 ٣١٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،
 ٥٥٥ ، ٥٦٨ ، ٥٨٣ — ٥٨٥ ، ٥٩٢ ،
 ٥٩٣ ، ٦٠٢ — ٦٠٦ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ،
 ٦٤١ ، ٦٣٨ ، ٦٣٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤

قائن ٢٥٠ ، ٣٩٤
 قياديان ١٤٥ ، ٢٧٠ ، ٣٧٤
 قيجاق ٢٧٨
 قبرص ١٩ ، ٥٧٥
 القدس ٦٠٤
 قراقرم ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ،
 ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣
 قرم ٥٦٩
 قرمان ٦٥٤
 قزوين ٤٩ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ،
 ٢١٩ ، ٢٧٠ ، ٣٢٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩

گردکوه ٥٨٢ ، ٣٩٤ ، ٢٥٠
 گرشاسب ٤٩٩
 گرکانج (أنظر: الجرجانية)
 گلبایگان ٥٩٧
 الکنج ٥٦٩
 گنجه (البراقبول) ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٣٥٢
 ٥٧٢ ، ٥٠٧ ، ٤٩٥
 کیلان ٤٥٥٩ ، ٣٤٦ ، ٢٦٨ ، ١٠٥
 ٦٢٨

(ل)

اللاذقية ٢٢٨
 لارنده ٦٥٤
 لاهور ٤٩٣ ، ٤٣٥
 لکنو ٤٧١ ، ٤٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٠
 ٤٨٨ - ٤٨٤ ، ٤٧٩ ، ٤٧٧ - ٤٧٥
 ٥٣٠ ، ٥٢٩ ، ٥٢٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢
 ٦٤٨
 لسر ٥٨٢ ، ٥٧٨
 لندن ٨ ٤١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٢٨ ،
 ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣٠٧ ، ١٧٦
 ٦٤٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣ ، ٤٦٣ ، ٤٥٦
 ٦٦٨
 لوت ٢٧٨
 لوهور (أنظر: لاهور)
 لیزج ٥٠٦ ، ٤٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤١٧
 لین ٢٦ ٢٠٩ ، ١١٦ ، ١٠٣ ،
 ٣١٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٢ ، ٢٧٤ ، ٢٤٣
 ٥٩٦ ، ٥٩٢ ، ٤٨٩ ، ٤٥٧ ، ٣٤٦
 ٦٢٢ ، ٦١٤ ، ٦١٢

(م)

مازندران ٢٧٨ ، ٢٧٥ ، ٢٥٠ ، ١٠٥

کانبجار ٢١٣
 کامبردج ١ ٢٣٨ ، ١٧٩ ، ١٣٢ ،
 ٥٩٩ ، ٥٢٥ ، ٤٥٧ ، ٤٤٤ ، ٢٥٩
 ٦٦٠ ، ٦١٠
 کانپور ٤٤٦ ، ٤٣٩
 کر بلاه ٢٨٠
 الکرج ٣٧٥ ، ٢٢٦
 کرستان ١٠٥
 کردوان ٥٦٨

کرمان - ٢٢٤ ، ٢٢١ ، ٢١٦ ، ٢٠٩

٣٩٠ ، ٣٨٠ ، ٣٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٢٦
 ٦٤٥ ، ٦٢٤ ، ٥٧١ ، ٥٤٨

گرمانشاه ٥١٣ ، ٣٨١ ، ٣٥٧

کرت ١٩

کشمیر ٥٣٨ ، ٤١٦ ، ٤١٥ ، ١١١

کلاش ٤٣٣

کلاکنا ٤٧٢ ، ٣٩٧ ، ٣٤٢ ، ٣٠٧

٤٨٦

کبردج (أنظر: کامبردج)

کنندر ٢١٩

کونپهاجن ٣٢٧

کوریا ٥٦٩

کوشک میدان ٣٧٦

الکوفه ٦٤٤ ، ٢٤٧

کونجزبرج ٦٠٥

کیش ٦١١ ، ٥٨١ ، ٥٧٦

کیف ٥٧٣

(ک)

کجرات ٦٧٢ ، ١١١

الغرب ٦٢
 القطام ٦٣٨
 مكة ٩٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٥٤ ، ٤٥٤ ،
 ٤٥٩ ، ٥٠٢ ، ٥٧٨ ، ٦١٤ ،

٦٥٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٤ ، ٦٣٨

ملازكرد ٢٢٢

اللابو ١٤

ملطية ٥٩٣ ، ٦٥٤

ملقة ٦١٨

منشستر ٦٠٧

منغوليا ٥٥٩ ، ٦٧٤ ، ٥٧٥

المهدية ٢٦٥

مهنه ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٤٦٤

موسكو ٥٧٣

الموصل ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٩ ، ٥٠٩ ،

٥٨٣ ، ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،

٦١١ ، ٦٣٣

موليان ٢٥

مؤمن آباد ٥٧٧

ميانارقين ٢٤٩ ، ٢٧٠

ميمون دژ ٥٨٢ ، ٦١٦

ميهنه (أظفر: مهنه)

(ن)

نای ٤٠٧

نائين ٢٧٣

نخشب ٤٣٥ ، ٤٥٠ ، ٥٦٨

نسا ١٢٣ ، ١٦٤ ، ٢١٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٨

نسف ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٥٠

نصرت كوه ٥٥٩ ، ٥٦٨

نهلوند ٢٣١ ، ٢٣٤

نهر بشير ٥٨٥

نهر عيسى ٥٨٤

٤٠٣٩ ، ٥٢٨ ، ٥٢٦ ، ٤٦٢ ، ٣٩٤

٦٨٧ ، ٦٠٩ ، ٥٥٩

مالطه ٢٤٦

ماوراء النهر ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٤٥ ،

٢٢٧ ، ٣٢٧ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ،

٥٤٧ ، ٤٣٥ ، ٥٤٨ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ ،

٦٢٢

التحت البريطاني ١٤٤ ، ٢٣٩ ، ٣٦٣ ،

٤٣٩ ، ٤٣٣ ، ٥٩٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٤ ،

٦٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ،

الدائن ٢١٥

المدينة ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٤٥٤ ، ٥٠٢ ،

المرافعة ٣٨٠ ، ٥٦٨ ، ٥٩٤ ، ٦٩٥ ،

٦١٦

مراكيش ٣ ، ١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،

مرج الصفر ٥٦٨

مربيه ٦٣٣

مرو ٢٣ ، ١٤٣ ، ١٦٥ ، ١٩٥ ، ٢١١ ،

٢١٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،

٢٣٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ،

٢٧٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٤١٩ ،

٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٦٥ ،

٤٧٤ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٥٠ ،

٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٦١١ ،

مشهد ١٥٦ ، ١٨٨

مصر ١٨ ، ١٩ ، ١٣٢ ، ٢٠٨ ،

٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٦٤ ،

٣٨٩ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٦٧ ، ٥٨٧ ،

٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ،

٦٤٤ ، ٦٤٨ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٨١ ،

للصل ٣٩ ، ٩٠

معة التمان ٢٧٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

، ١٦٢ ، ١٤٤ ، ١٣٠ ، ١٢٢ ، ١١٧
 ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٧٥
 ، ٢٧٨ ، ٢٦٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥١ ، ٢١٥
 ، ٣٤٩ ، ٣٤٢ ، ٣١٥ ، ٣٠٢ ، ٢٩٢
 ، ٥٢١ ، ٤٤٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٥٤
 ، ٥٩٥ ، ٥٨٣ ، ٥٦٩ ، ٥٤٨ ، ٥٢٤
 ، ٦٤٤ ، ٦٢٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٦ ، ٥٩٦
 ، ٦٧٧ ، ٦٧١ ، ٦٦٨ ، ٦٤٨ ، ٦٤٦
 ٦٨٦ ، ٦٧٨ ، ٦٧٧

المند الصينية ٥٦٩

(و)

واسط ٢٤٦ ، ٦١٤

وان ٢٧٠

وراوين ٦٢٢

ورساد ٤٢٨ ، ٤٢٩

وشمكوه ٢٥٠ ، ٣٩٤

ولوالج ٤٣٥

وونكج ٨

(ي)

اليابان ٤ ، ٥٤٦

ياروسلاف ٥٧٣

يزد ١٤ ، ٢٤٩ ، ٦٠٩

تنگان ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢

الين ٢١٢ ، ٢٧٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٦٠٤

٠ ٦٧٢

نهر الملك ٥٨٤

نور ٢١٠

نور تامينون ٥٦٢

نوشاد ٥٣٨

نيسابور ٥٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٩

، ٢١٥ ، ١٦٥ ، ١٦٢ ، ١٥٢ ، ١٣٨

، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٣٣ ، ٢١٩

، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣٠٦ — ٣٠٤ ، ٢٧٣

، ٣٧٩ ، ٣٦٩ ، ٣٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٤

، ٤٢٨ ، ٤٢٦ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٥

، ٤٨٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٤ ، ٤٧٤ ، ٤٦٢

، ٥٣٢ ، ٥٣١ ، ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، ٥٠٩

، ٦٤٤ ، ٥٦٨ ، ٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٥٥

٦٥٤ ، ٦٤٨ ، ٦٤٦

نيكوسيا ٥٧٥

(هـ)

هاله ٣٤١

هرات ١٤٣ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٦٦

، ٤٢٦ ، ٣٩٩ ، ٣٣٦ ، ٢٢١ ، ٢١٥

، ٥٦٠ ، ٤٨٩ ، ٤٨٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٠

٦١٥ ، ٦٠٩ ، ٥٦٨

هزار اسب ٤١٩ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦

همدان ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩

، ٣٧٥ ، ٣٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢١٦ ، ١٣٥

، ٥٦٧ ، ٥٤٧ ، ٥٣٧ ، ٥٠٢ ، ٣٨٩

٥٩٧ ، ٥٨٤ — ٥٨٢ ، ٥٦٨

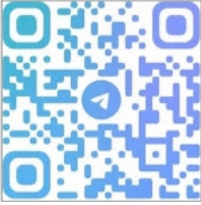
هند ٢٨ ، ١٩ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدیل
lisanerab.com

www.lisanarb.com



تصويبات

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
للبيان	للبيان	آخر سطر	٤
المسدس	الثمن	١٣	٧
بدأوا	بدأوا	٢١	٩
أن	أى	١٩	٣٢
ترجل	يرجل	١٢	٥٠
جز او	جزا او	٥	٥٥
اسمه الفخرى	ألفه الفخرى	١١	١٠٠
تعالى	تعال	٤	١٣٠
جولوج	جولوج	٨	١٤٤
وكرجند	وكرجند	٤	١٥٩
همى	باهمى	٥	
ندانست نام	آنست ندم	٧	
النحو	الحو	٢	١٦٧
بقدم	بقدر	٢٠	١٧٦
ناصر خسرو	ناصر خسر	١١	٢٠٠
سرا	أسراً	٨	٢٢٧
الدينية	الدينة	١١	٢٢٨
يمثل هذه الحكايات	يمثل الحكايات	١٢	٢٢٣
ومن أجل ذلك	ومن أجل	آخر سطر	٢٤١
الذى	التي	١١	٢٤٢
الحسن بن الصباح	الحسن في الصباح	آخر سطر	٢٤٨
على بن أبي طالب	على بن طالب	٩	٢٥٨
نصير الدين الطوسي	ناصر الدين الطوسي	١٨	٢٦٨
الناصبين	الناسبين	١١	٢٨٠
إن كلام الله هو	أن كلام هو الله	٢	٢٨٥
نصير الدين الطوسي	ناصر الدين الطوسي	١٤، ٥	٣٠٠
نصير الدين الطوسي	ناصر الدين الطوسي	١٨، ١١	٣١٩
بعدد أنفس الخلائق	كعدد أنفاس بني آدم	آخر سطر	٣٣٤
أبو المؤيد	ابن المؤيد	٢٥	٣٤٦
سيفه	سفيه	١٥	٣٥٧
أولها	أولها	١٧	٣٦٣
والعلمان	والعلمان	١١	٣٦٤

صواب	خطأ	سطر	صفحة
برهاني	برهان	١٥	٢٨٥
مجمع الفصحاء	معجم الفصحاء	١٦	٤١٣
عميق	عمق	١٣	٤٢٣
أفريدون	أفريدن	٧	٤٣٢
مجمع الفصحاء	معجم الفصحاء	٨	٤٥٢
ومعنى	ومنى	١١	٤٧٢
الذين	الذين	٢٣	٤٧٩
يوم القيامة	يوم مقيامة	٥	٤٨١
يحفظها	يحفظهما	٩	٤٨٢
ابن أخي	خفيد	١٥	٥٢٨
أهلها	أهلها	٢٢	٥٦٠
أو كدائي	أو كدى (رقعة)	١	٥٧٣
نصر الدين	ناصر الدين	آخر سطر	٥٩٠
طبقات الأطباء	طبقات الحكماء	٢١ ، ١٥	٦٠٥
مجمع الفصحاء	معجم الفصحاء	آخر سطر	٦٠٧
٤٦٣ هـ	٤٦٤ هـ	١٤	٦١٠
ديوانا مطبوعا	ديوان مطبوع	٥	٦٣٤
جمهور	جمهور	٤	٦٦٧
وخليفته	وخليفة	١٧	٦٨٧

[تم والحمد لله]

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-١
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط١)	١-٢
شوقى جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	١-٣
أحمد الحضرى	انجا كاريتنيكوفنا	كيف تتم كتابة السيناريو	١-٤
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة	١-٥
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	اتجاهات البحث اللساني	١-٦
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	١-٧
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	١-٨
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	التغيرات البيئية	١-٩
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	چيرار چينيت	خطاب الحكاية	١-١٠
هناء عبد الفتاح	فيسوافا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١-١١
أحمد محمود	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١-١٢
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١-١٣
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١-١٤
أشرف رفيق عفيفى	إدوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١-١٥
يشارفد لحد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١-١٦
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١-١٧
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	١-١٨
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١-١٩
يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	١-٢٠
ماجدة العناني	صعد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقمصن أخرى	١-٢١
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	١-٢٢
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	١-٢٣
بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل	١-٢٤
إبراهيم الدسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى	١-٢٥
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	١-٢٦
بإشراف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	١-٢٧
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامح	١-٢٨
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	١-٢٩
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	١-٣٠
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	١-٣١
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانقراض	١-٣٢
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	١-٣٣
حصه إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	١-٣٤
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	الأسطورة والحداثة	١-٣٥
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	١-٣٦

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	وأحة سيوة وموسيقاها	٣٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحدائق	٣٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٣٩-
محمد عيد إبراهيم	أن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكتايفو پاث	الذهب المزدوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألنوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينيا وجون فاين	التراث المغفور	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا بوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد بردانة وعشائى الميلاود ويوسف الأنطكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	٥١-
لطفى فطيم وعادل دمرداش	ب . نوقاليس وس . روجسيفيتز ووجور بيل	العلاج النفسى التديمى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيهث	المحبرة (مسرحة)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحلیم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخيتيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . اليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . توميكنز	نقد استجابة القارى	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكلان وأغراء التحليل النفسي	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعيد الفانمي وناصر حلاوى	بوريس أوسينسكى	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم القمرى	الكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوى	بندكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد على	ميجيل دى أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالي	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	منصور الحلاج (مسرحة)	٨٥-
أحمد قتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العناني	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقى شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالتقريب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتونى جيدنز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	وسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باربرا لاسوتسكا - بشونياك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	اساليب وبخامسة المسرح الإسباني المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماوى	صمويل بيكيت	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بوويرو باييخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إنوار الخراط	نخبة	ثلاث زئبقات ووردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعى	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روينسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم قتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساعدة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحو	بيرنار فاليط	النص الروائى: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتانى الإدريسى	عبد الكبير الخطيبى	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤدب	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الغفار مكارى	برتولت بريشت	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيل	چيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعندر	ماريا خيسوس روبييرامتى	الأدب الأندلسى	١٠٦-
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	ميرة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	چون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء فى العالم التامى	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

أحمد حسان	سادى بلانت	رأية التمرد	١١٣-
نسيم مجلى	ويل شوينكا	مسرحيات حصاد كونجى وسكان المستقع	١١٤-
سمية رمضان	فرجينيا وولف	غرفة تخص المرء وحده	١١٥-
نهاد أحمد سالم	سينثيا نلبسون	امراة مختلفة (درية شفيق)	١١٦-
منى إبراهيم وهالة كمال	ليلى أحمد	المرأة والجنوسة فى الإسلام	١١٧-
لميس النقاش	بث بارون	النهضة النسائية فى مصر	١١٨-
بإشراف: روف عباس	أميرة الأزهرى سنبل	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	١١٩-
مجموعة من المترجمين	ليلى أبو لغد	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	١٢٠-
محمد الجندى وإيزابيل كمال	فاطمة موسى	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	١٢١-
منيرة كروان	جوزيف فوجت	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	١٢٢-
أنور محمد إبراهيم	أنيتل ألكسندرو فنابولينا	الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية	١٢٣-
أحمد قواد بليغ	جون جراى	الفجر الكاندي: أوامم الرأسمالية العالمة	١٢٤-
سمحة الخولى	سيدرك ثورپ ديفى	التحليل الموسيقى	١٢٥-
عبد الوهاب علوب	ثولفانج إيسر	فعل القراءة	١٢٦-
بشير السباعى	صفاء فتحي	إرهاب (مسرحية)	١٢٧-
أميرة حسن نويرة	سوزان باسنيت	الأدب المقارن	١٢٨-
محمد أبو العطا وآخرون	ماريا دولورس أسيس جاروته	الرواية الإسبانية المعاصرة	١٢٩-
شوقى جلال	أندريه جوندر فرانك	الشرق يصعد ثانية	١٣٠-
لويس بقطر	مجموعة من المؤلفين	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	١٣١-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون	ثقافة العولمة	١٣٢-
طلعت الشايب	طارق على	الخوف من المرايا (رواية)	١٣٣-
أحمد محمود	بارى ج. كيمب	تشریح حضارة	١٣٤-
ماهر شفيق فريد	ت. س. إليوت	المختار من نقد ت. س. إليوت	١٣٥-
سحر توفيق	كينيث كونو	فلاحو الباشا	١٣٦-
كاميليا صبحى	جوزيف مارى مواريه	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	١٣٧-
وجيه سمعان عبد المسيح	أندريه جلوكسمان	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	١٣٨-
مصطفى ماهر	ريتشارد فاجنر	پارسيفال (مسرحية)	١٣٩-
أمل الجبورى	هربرت ميسن	حيث تلتقى الأنهار	١٤٠-
نعيم عطية	مجموعة من المؤلفين	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	١٤١-
حسن بيومى	أ. م. فورستر	الإسكندرية: تاريخ ودليل	١٤٢-
عدلى السمعى	ديرك لايدر	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	١٤٣-
سلامة محمد سليمان	كارلو جولونى	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	١٤٤-
أحمد حسان	كارلوس فوينتس	موت أرتيميو كروث (رواية)	١٤٥-
على عبدالرؤف البمبى	ميجيل دى ليبس	الورقة الحمراء (رواية)	١٤٦-
عبدالغفار مكارى	تانكريد دورست	مسرحيتان	١٤٧-
على إبراهيم منوفى	إيريكى أندرسون إمبرت	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	١٤٨-
أسامة إسبر	عاطف فضول	النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس	١٤٩-
منيرة كروان	روبرت ج. ليتمان	التجربة الإغريقية	١٥٠-

- ١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣- غرام الفراغة
١٥٤- مدرسة فرانكفورت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧- خسرو وشيرين
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)
١٥٩- الأيديولوجية
١٦٠- آلة الطبيعة
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني
١٦٢- تاريخ الكنيسة
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج ١)
١٦٤- شامبوليون (حياة من نود)
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)
١٦٦- العلاقات بين التبتين والتبتين في إسرائيل
١٦٧- في عالم طاغور
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩- إبداعات أدبية
١٧٠- الطريق (رواية)
١٧١- وضع حد (رواية)
١٧٢- حجر الشمس (شعر)
١٧٣- معنى الجمال
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧- أنطون تشيخوف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)
١٨٠- قصة جاويد (رواية)
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات
١٨٢- العنف والنبوة (شعر)
١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما
١٨٤- القاهرة: حاملة لا تنام
١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل
١٨٧- الأرض (رواية)
١٨٨- موت الأدب
- فرنان برودل
مجموعة من المؤلفين
فيولن فانويك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكتجوى
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوجنا الآسيوى
جوردون مارشال
جان لاكوتير
أ. ن. أفاناسيفا
رابندرناث طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المؤلفين
ميجيل دليبيس
فرانك بيجو
نخبة
ولتر ت. سنتيس
إيليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت ب. ليتش
و.ب. بيتس
رينيه جيلسون
هانز إبنورفر
توماس تومسن
ميخائيل إنوود
بُزْدج علوى
ألفين كرنان
- بشير السباعى
محمد محمد الخطابى
فاطمة عبدالله محمود
خليل كلفت
أحمد مرسى
مى التلمسانى
عبدالعزیز بقوش
بشير السباعى
إبراهيم فتحي
حسين بيومى
زيدان عبدالطيم زيدان
صلاح عبدالعزيز محجوب
بإشراف: محمد الجوهرى
نبيل سعد
سهير المصادقة
محمد محمود أبوغندبر
شكرى محمد عياد
شكرى محمد عياد
شكرى محمد عياد
بسام ياسين رشيد
هدى حسين
محمد محمد الخطابى
إمام عبد الفتاح إمام
أحمد محمود
وجيه سمعان عبد المسيح
جلال البنا
حصّة إبراهيم المنيف
محمد حمدي إبراهيم
إمام عبد الفتاح إمام
سليم عبد الأمير حمدان
محمد يحيى
ياسين طه حافظ
فتحي العشرى
دسوقي سعيد
عبد الوهاب علوب
إمام عبد الفتاح إمام
محمد علاء الدين منصور
بدر الديب

- ١٨٩- السيرة والمسير: مقالات في بلاغة النقد المعاصر پول دى مان سعيد الفانمى
- ١٩٠- محاورات كوتفوشيبوس كوتفوشيبوس محسن سيد فرجانى
- ١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين الراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الانجلو-امريكى الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالنتين راسيوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندان جمال أحمد الرقاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبيروك فخرى لبيب
- ٢٠١- الجانب البنى للفلسفة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية أظاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زالمان شازار أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى- سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهولوية تصنع علماء جديداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقي (رواية) رامون خوتاسندير محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الفزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فردينان نوسوسير جوناثان كلر محمود حمدى عبد الغنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ريمون فلاود سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيدنز محمد محبى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين الراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان ظليعتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاثان على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشجورو طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهولوية فى الكون بارى باركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفاوى جريجورى جوزدانيس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمه حر ياول فبرابند السيد محمد نقادى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابريل جارثيا ماركيث السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هربت لورانس ظاهر محمد على البربرى

- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر خوسيه ماريا ديث بوركي
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن جانيت رولف
٢٢٩- مازق البطل الوحيد نورمان كيجان
٢٣٠- عن الذباب والفقران والبشر فرانسواز جاكوب
٢٣١- الترايفل أو الجيل الجديد (مسرحية) خايمي سالوم بيدال
٢٣٢- ما بعد المعلومات توم ستونير
٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي آرثر هيرمان
٢٣٤- الإسلام في السودان ج. سبنسر تريمنجهام
٢٣٥- ديوان شمس تبریزی (ج١) مولانا جلال الدين الرومي
٢٣٦- الولاية ميشيل شوكيفيتش
٢٣٧- مصر أرض الوادي رويين فيدين
٢٣٨- العولة والتحرير تقرير لمنظمة الأنكتاد
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي جيل راماز - رايوخ
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار كاي حافظ
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) ج. م. كوتزي
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض وليام إميسون
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) ليفي بروقتسال
٢٤٤- الغليان (رواية) لاورا إسكيبيل
٢٤٥- نساء مقاتلات إليزابيتا أديس وأخرون
٢٤٦- مختارات قصصية جابريل جارشيا ماركيث
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر والتر أرمبرست
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) أنطونيو جالا
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) دراجو شتاميوك
٢٥٠- علم اجتماع العلوم دومنيك فينك
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جورنون مارشال
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية مارجو بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية ل. أ. سيمينوفا
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة نيف روبنسون وجودي جروفز
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون نيف روبنسون وجودي جروفز
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت نيف روبنسون وكريس جارات
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلي رايت
٢٥٨- الفجر سير أنجوس فريزر
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور نخية
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جورنون مارشال
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود زكي نجيب محمود
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) إدواردو مندوثا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن چون جرين
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس وشلي
- السيد عبدالظاهر عبدالله
مارى تيرين عبدالمسيح وخالد حسن
أمير إبراهيم العمري
مصطفى إبراهيم فهمي
جمال عبدالرحمن
مصطفى إبراهيم فهمي
طلعت الشايب
فؤاد محمد عكود
إبراهيم الدسوقي شتا
أحمد الطيب
عنايات حسين طلعت
ياسر محمد جادالله وعيسى مديولى أحمد
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
صلاح محبوب إدريس
ابتسام عبدالله
صبرى محمد حسن
بإشراف: صلاح فضل
نادية جمال الدين محمد
توفيق على منصور
على إبراهيم منوفى
محمد طارق الشراقوى
عبداللطيف عبدالحميم
رفعت سلام
ماجدة محسن أباطة
بإشراف: محمد الجوهري
على بدران
حسن بيومى
إمام عبد الفتاح إمام
إمام عبد الفتاح إمام
إمام عبد الفتاح إمام
محمود سيد أحمد
عبادة كحيلة
فاروجان كازانجيان
بإشراف: محمد الجوهري
إمام عبد الفتاح إمام
محمد أبو العطا
على يوسف على
لويس عوض

- ٢٦٥- روايات مترجمة أوسكار وايلد وصمويل جونسون لويس عوض
- ٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) جلال آل أحمد عادل عبد المنعم على
- ٢٦٧- فن الرواية ميلان كونديرا بدر الدين عروديكي
- ٢٦٨- ديوان شمس تيريزي (ج٢) مولانا جلال الدين الرومي إبراهيم الدسوقي شتا
- ٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١) وليم جيفور بالجريف صبرى محمد حسن
- ٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢) وليم جيفور بالجريف صبرى محمد حسن
- ٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ توماس سى. باترسون شوقى جلال
- ٢٧٢- الأدب الأثرية فى مصر سى. سى. والترز إبراهيم سلامة إبراهيم
- ٢٧٣- الأصول الاجتماعية والقانونية لحرمة مراتب فى مصر جوان كول عنان الشهاوى
- ٢٧٤- السيدة باربارا (رواية) رومولو جاييجوس محمود على مكى
- ٢٧٥- د. س. البرت شاعر، وناقد، وكاتب مسرحياً مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ٢٧٦- فنون السينما مجموعة من المؤلفين عبدالقادر التلمسانى
- ٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة براين فورد أحمد فوزى
- ٢٧٨- البدايات إسحاق عظيموف ظريف عبدالله
- ٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية ف.س. سوندرز طلعت الشايب
- ٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى بريم شند وأخرون سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٢٨١- الفربوس الأعلى (رواية) عبد الحليم شرر جلال الحفناوى
- ٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وولبرت سمير حنا صادق
- ٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى خوان رولفو على عبد الرزاق البمبى
- ٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) يوريبنديس أحمد عثمان
- ٢٨٥- رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى حسن نظامى الدهلوى سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٢٨٦- سياحات نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمى أنتونى كنج محمد يحيى وأخرون
- ٢٨٨- الفن الروائى ديفيد لودج ماهر البطوطى
- ٢٨٩- ديوان متوجهرى الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص محمد نور الدين عبد المنعم
- ٢٩٠- علم اللغة والترجمة جورج مونتان أحمد زكريا إبراهيم
- ٢٩١- تاريخ المسرح الإبانى فى القرن العشرين (ج١) فرانتسكو رويس رامون السيد عبد الظاهر
- ٢٩٢- تاريخ المسرح الإبانى فى القرن العشرين (ج٢) فرانتسكو رويس رامون السيد عبد الظاهر
- ٢٩٣- مقدمة للأدب العربى روجر ألن مجدى توفيق وأخرون
- ٢٩٤- فن الشعر بوالو رجاء ياقوت
- ٢٩٥- سلطان الأسطورة جوزيف كامبل وبيل موريز بدر الديب
- ٢٩٦- مكبث (مسرحية) وليم شكسبير محمد مصطفى بدوى
- ٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية نيونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى ماجدة محمد أنور
- ٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى نخبة مصطفى حجازى السيد
- ٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية جين ماركس هاشم أحمد محمد
- ٣٠٠- اسطورة يوريبنديس فى الأدب الإبانى والغربى والفرنسى (ج١) لويس عوض جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
- ٣٠١- اسطورة يوريبنديس فى الأدب الإبانى والغربى والفرنسى (ج٢) لويس عوض جمال الجزيرى ومحمد الجندى
- ٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين جون هيتون وجودى جروفز إمام عبد الفتاح إمام

- ٢٠٢- أقدم لك: بوذا جين هوب ويورن فان لون
- ٢٠٤- أقدم لك: ماركس ريويس
- ٢٠٥- الجلد (رواية) كروزيو مالابارته
- ٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ جان قرانسوا ليوتار
- ٢٠٧- أقدم لك: الشعور ديفيد بابينو وهوارد سلبينا
- ٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة ستيف جونز ويورين فان لو
- ٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت
- ٢١٠- أقدم لك: يونج ماجي هايد ومايكل ماكجنس
- ٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى ر.ج كولنجوود
- ٢١٢- روح الشعب الأسود وليم بيبويس
- ٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر) خابير بيان
- ٢١٤- مارسيل نوشامب: الفن كعدم جانيس مينيك
- ٢١٥- جرامشى فى العالم العربى ميشيل بروندينو والظاهر لبيب
- ٢١٦- محاكمة سقراط أى. ف. ستون
- ٢١٧- بلاغذ س. شير لايموقا- س. زنيكين
- ٢١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة مجموعة من المؤلفين
- ٢١٩- صور دريدا جايترى اسبيفاك وكريستوفر نوريس
- ٢٢٠- لغة السراج لحضرة التاج مؤلف مجهول
- ٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ١) ليفى بروفنسال
- ٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى ديليو يوجين كلينباور
- ٢٢٣- فن الساتورا تراث يونانى قديم
- ٢٢٤- اللعب بالنتار (رواية) أشرف أسدى
- ٢٢٥- عالم الآثار (رواية) فيليب بوسان
- ٢٢٦- المعرفة والمصلحة يورجين هابرماس
- ٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج١) نخبة
- ٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر) نور الدين عبد الرحمن الجامى
- ٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر) تد هيووز
- ٢٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
- ٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى ستيفن جراى
- ٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى نخبة
- ٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥ نبيل مطر
- ٢٣٤- لقطات من المستقبل آرثر كلارك
- ٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية ناتالى ساروت
- ٢٣٦- متون الأهرام نصوص مصرية قديمة
- ٢٣٧- فلسفة الولاء جوزايا رويس
- ٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى نخبة
- ٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢) إيوارد براون
- ٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط بيرش بيروجلو
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- صلاح عبد الصبور
- نبيل سعد
- محمود مكى
- ممدوح عبد المنعم
- جمال الجزيرى
- محيى الدين مزيد
- فاطمة إسماعيل
- أسعد جليم
- محمد عبدالله الجعيدى
- هويدا السباعى
- كاميليا صبحى
- نسيم مجلى
- أشرف الصباغ
- أشرف الصباغ
- حسام نايل
- محمد علاء الدين منصور
- بإشراف: صلاح فضل
- خالد مفلح حمزة
- هانم محمد فوزى
- محمود علاوى
- كرستين يوسف
- حسن صقر
- توفيق على منصور
- عبد العزيز بقوش
- محمد عيد إبراهيم
- سامى صلاح
- سامية دياب
- على إبراهيم منوفى
- بكر عباس
- مصطفى إبراهيم فهمى
- فتحى العشرى
- حسن صابر
- أحمد الأنصارى
- جلال الحفناوى
- محمد علاء الدين منصور
- فخرى لبيب

حسن حلمي	راينر ماريا رلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وابسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بوته ندائى	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدى	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الحلو	جان كوكتو	الصبية الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلي	المتصوفة الاولين في الادب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	أرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصارى	جوزايا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الإسلامى في الأتلس: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
على إبراهيم منوفى	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الإسلامى في الأتلس: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علاوى	حجت مرتجى	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرقاعى	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموشى فريك وييتو غاندى	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامة	٢٥٨-
حبيب الشارونى	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلى الشربينى	أندريه جاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	ألان جرينجر	التصحر: التهديد والمجابة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شبورل	تلميذ بابنتيرج (رواية)	٢٦٢-
صبرى محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حدائق شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	سأم باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئاب	٢٦٦-
البراق عبدالهادى رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجرىء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليولا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كوبريلي	المتصوفة الاولين في الادب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
على إبراهيم منوفى	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إبوار الخراط	جان أنوى وآخرون	الغضب وأحلام الستين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إبوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنييل باث	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادي	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشتري العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تقاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. رويرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليلية (رواية)
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	نوة لويس ماسينيون	٢٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سيواش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وأن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهرى	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة الطر والملايس تصنع الناس (روايتان)
طلية خميس	ديفيد إيرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بقلم كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بفترة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
باشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفنا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بنوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

- ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جده) رينيه ويليك
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر الثمانية جين هاثواي
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية جون مارلو
٤٢٠- مكرو ميچاس (قصة فلسفية) فولتير
٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول روى متحدة
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١) ثلاثة من الرحالة
٤٢٣- إسرارات الرجل الطيف نخبة
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامي
٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى
٤٢٦- الخفافيش وقمصن أخرى نخبة
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) باى إنكلان
٤٢٨- الخزنة الخفية محمد هوتك بن داود خان
٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سبنشر وأندزجى كروز
٤٣٠- أقدم لك: كانط كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى
٤٣١- أقدم لك: فوكو كريس هوروكس وزوران جفتيك
٤٣٢- أقدم لك: ماكيافلى باتريك كيرى وأوسكار زاريت
٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل قلنت
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية دونكان هيث وچودى بورهام
٤٣٥- توجهات ما بعد الحدائة نيكولاس زدبرج
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١) فردريك كويلستون
٤٣٧- رحلة هندي في بلاد الشرق العربي شبلى النعمانى
٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس
٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عيني
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرستن بروسناد
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أروناتى روى
٤٤٢- حثشبسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستيج
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاويرت سيجورنه
٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز ناتل خانلرى
٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلان إيفانز وأوسكار زاريت
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبيكا رايت
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن ويون فان لون
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال
- مجاهد عبدالمنعم مجاهد
عبد الرحمن الشنق
نسيم مجلى
الطيب بن رجب
أشرف كيلانى
عبدالله عبدالرازق إبراهيم
وجيد النقاش
محمد علاء الدين منصور
محمود علاوى
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ثرىا شلبى
محمد أمان صافى
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
حمدي الجابرى
عصام حجازى
ناجى رشوان
إمام عبدالفتاح إمام
جلال الحفناوى
عايدة سيف الدولة
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
محمد طارق الشرقاوى
فخرى لبيب
ماهر جويجاتى
محمد طارق الشرقاوى
صالح علمانى
محمد محمد يونس
أحمد محمود
منوح عبدالمنعم
منوح عبدالمنعم
جمال الجزيرى
جمال الجزيرى
إمام عبد الفتاح إمام
محبى الدين مزيد
حليم طوسون وفؤاد الدهان
سوزان خليل

محمد سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مجموعه)
هویدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تتسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء في الفكر السياسي الغربي
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نمو مفهوم للاقتصاديات الواردة الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودي جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكن
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهري إلى السوريين
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقلعة
جمال الزفاعةى	لويس جنزبيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	قيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧- التفكير السياسي والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	جوزابيا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الننة	جارى م. بيرزنسكى وأخرون	٤٧٠- الأراضي والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جزء ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٢- نون كيوخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٣- نون كيوخوتى (القسم الثاني)
سهام عبدالسلام	يام موريس	٤٧٤- الأدب والتسوية
عادل هلال غناني	فرجينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الصبايا بعيدة، بيرم التونسي
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى دونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو موروا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- برده النبي
فاطمة عبد الله	روبير جاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة جامبل	٤٨٣- التسوية وما بعد التسوية
رشيد بنحدو	هانسن روبييرت ياوس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالحليم عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسرار البغاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأثريقي
محمد رفعت عواد	جى فارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

- ٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات هارولد بالمر
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج في النهار نصوص مصرية قديمة
٤٩٥- اللويس إدوارد تيفان
٤٩٦- الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١) إكوانو بانولى
٤٩٧- العلمانية والتنوع والنوع في الشرق الأوسط نادية العلى
٤٩٨- النساء والتنوع في الشرق الأوسط الحديث جوهيث تاكر ومارجريت مريودز
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع مجموعة من المؤلفين
٥٠٠- في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية تيتز رويكى
٥٠١- تاريخ النساء في الغرب (ج١) آرثر جولد هامر
٥٠٢- أصوات بديلة مجموعة من المؤلفين
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث نخبة من الشعراء
٥٠٤- كتابات أساسية (ج١) مارتن هاينجر
٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢) مارتن هاينجر
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية) آن تيلر
٥٠٧- سيدة الماضي الجميل (مسرحية) بيتر شيفر
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى عبدالباقى جلبتارلى
٥٠٩- الفقر والإحسان في مصر سلطين المالك آدم صيرة
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية) كارلو جوادونى
٥١١- كوكب مرقع (رواية) آن تيلر
٥١٢- كتابة النقد السينمائي تيموثى كوريجان
٥١٣- العلم الجسور تيد أنتون
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية جوتثان كولر
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة فدوى مالمى نوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان في علاج الإدمان أرنولد واشنطن ودونا باوندى
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى نخبة
٥١٨- استكشاف الأرض والكون إسحق عظيموف
٥١٩- محاضرات في المثالية الحديثة جوزايا رويس
٥٢٠- الوباء الفرنسى بمر من العلم إلى المشروع أحمد يوسف
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة آرثر جولد سميث
٥٢٢- إسبانيا في تاريخها أميركو كاسترو
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن باسيلييو يابون مالدونادو
٥٢٤- الملك لير (مسرحية) وليم شكسبير
٥٢٥- موسم صيد في بيروت وقصص أخرى دنيس جونسون
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية ستيفن كرويل ووليم رانكين
٥٢٧- أقدم لك: كافكا ديفيد زين ميروفيتس وبريتر كرمب
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية طارق على وفيل إيفانز
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى محمد إقبال
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية رينيه جينو
- محمد صالح الضالع
شريف الصبغى
حسن عبد ربه المصرى
مجموعة من المترجمين
مصطفى رياض
أحمد على بدوى
فيصل بن خضراء
طلعت الشايب
سحر فراج
هالة كمال
محمد نور الدين عبدالمنعم
إسماعيل المصدق
إسماعيل المصدق
عبدالحاميد فهمى الجمال
شوقى فهمى
عبدالله أحمد إبراهيم
قاسم عبده قاسم
عبدالرازق عيد
عبدالحاميد فهمى الجمال
جمال عبد الناصر
مصطفى إبراهيم فهمى
مصطفى بيومى عبد السلام
فدوى مالمى نوجلاس
صبرى محمد حسن
سمير عبد الحميد إبراهيم
هاشم أحمد محمد
أحمد الأنصارى
أمل الصبان
عبدالوهاب بكر
على إبراهيم منوفى
على إبراهيم منوفى
محمد مصطفى بدوى
نادية رفعت
محى الدين مزيد
جمال الجزيرى
جمال الجزيرى
حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
عمر الفاروق عمر

- ٥٣١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟
٥٣٢- المغامر والمستشرق هنري لورنس
٥٣٣- تعلم اللغة الثانية سوزان جاس
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون سيفرين لبا
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر) نظامي الكنجوي
٥٣٦- الثقافات وقدم التقدم صمويل هنتجتون ولورانس هاريزون
٥٣٧- للحب والحرية (شعر) نخبة
٥٣٨- النفس والأخر في قصص يوسف الشاروني كيت دانييل
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة كاريل تشرشل
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية السير رونالد ستورس
٥٤١- هي تخيل وملابس أخرى خوان خوسيه مياس
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث نخبة
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية باتريك بروجان وكريس جرات
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين روبرت هنشل وآخرون
٥٤٥- يا له من سباق محوم فرانسيس كريك
٥٤٦- ريموس ت. ب. وايزمان
٥٤٧- أقدم لك: بارت فيليب تودي وأن كورس
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع ريتشارد أوزبورن ويون فان لون
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات بول كويلي وليتاجانز
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير نيك جردم ويبدو
٥٥١- الموسيقى والعولة ساميغون ماندي
٥٥٢- قصص مثالية ميغيل دي ثريانتس
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر دانيال لوفرس
٥٥٤- مصر في عهد محمد على عفاف لطفى السيد مارسوه
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية لقرن الحادي والعشرين أناتولي أوتكين
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار كريس هوروكس وزوران جيفتك
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد ستوارت هود وجراهام كرولي
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية زيودين سارداروويرين فان لون
٥٥٩- الماس الزائف (رواية) تشا تشاجي
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر) محمد إقبال
٥٦١- جناح جبريل (شعر) محمد إقبال
٥٦٢- بلايين ويلايين كارل ساجان
٥٦٣- وورد الخريف (مسرحية) خاثيرنتو بينابينتو
٥٦٤- عش الغريب (مسرحية) خاثيرنتو بينابينتو
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر نيبورا ج. جيرنر
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى موريس بيشوب
٥٦٧- الوطن المغتصب مايكل رايس
٥٦٨- الأصول في الرواية عبد السلام حيدر
- صفاء فتحى
بشير السباعي
محمد طارق الشراوى
حمادة إبراهيم
عبدالعزیز يقوش
شوقى جلال
عبدالغفار مكواى
محمد الحديدي
محسن مصيلحي
روف عباس
مروة بزق
نعيم عطية
وفاء عبدالقادر
حمدى الجابري
عزت عامر
توفيق على منصور
جمال الجزيري
حمدى الجابري
جمال الجزيري
حمدى الجابري
سمحة الخولى
على عبد الروف البعبي
رجاء ياقوت
عبدالسميع عمر زين الدين
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
حمدى الجابري
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
عبدالحى أحمد سالم
جلال السعيد الحفناوى
جلال السعيد الحفناوى
عزت عامر
صبرى محمدى التهامي
صبرى محمدى التهامي
أحمد عبدالحميد أحمد
على السيد على
إبراهيم سلامة إبراهيم
عبد السلام حيدر

- ٥٦٩- موقع الثقافة . هومي بابا
- ٥٧٠- نول الخليج الفارسي سير روبرت هاي
- ٥٧١- تاريخ النقد الإسماني المعاصر إيميليا دي ثوليتا
- ٥٧٢- الطب في زمن الفراغة برونو ألبوا
- ٥٧٣- أقدم لك: فريدي ريتشارد ابيجتانس وأسكار زارتي
- ٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين حسن بيرنيا
- ٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعملة نجير وودز
- ٥٧٦- فكر ثريانتس أمريكو كاسترو
- ٥٧٧- مفامرات بينوكيو كارلو كولودي
- ٥٧٨- الجماليات عند كيتس ومنت أيومي ميزوكوشي
- ٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي جون ماهر وجودي جرونز
- ٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج ١) جون فيزد ويول سيجرز
- ٥٨١- الحمقى يموتون (رواية) ماريو بوند
- ٥٨٢- مرايا على الذات (رواية) هوشنك كلشيري
- ٥٨٣- الجيران (رواية) أحمد محمود
- ٥٨٤- سفر (رواية) محمود دولت آبادي
- ٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية) هوشنك كلشيري
- ٥٨٦- السينما العربية والأفريقية ليزبيث مالكموس وروي أرمنز
- ٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني مجموعة من المؤلفين
- ٥٨٨- أمنحوتب الثالث أنيس كابرول
- ٥٨٩- تسبكت الجبية (رواية) فيلكس دييوا
- ٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية نخبة
- ٥٩١- الشاعر والمفكر هوراتيوس
- ٥٩٢- الثورة المصرية (ج ١) محمد صبري السوربوني
- ٥٩٣- قصائد ساحرة بول فاليري
- ٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال) سوزانا تامارو
- ٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢) إكوادو بانولي
- ٥٩٦- الصحة العقلية في العالم روبرت ديجارليه وآخرون
- ٥٩٧- مسلمو غرناطة خوليو كاروياروخا
- ٥٩٨- مصر وكتعان وإسرائيل دونالد ريدفورد
- ٥٩٩- فلسفة الشرق هرداد مهيرين
- ٦٠٠- الإسلام في التاريخ برنارد لويس
- ٦٠١- النسوية والمواطنة ريان فوت
- ٦٠٢- ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة جيمس وليامز
- ٦٠٣- النقد الثقافي آرثر أيزنبرجر
- ٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١) باتريك ل. أبوت
- ٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب إرنست زيبروسكي (الصغير)
- ٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر ريتشارد هاريس
- ثائر ديب
- يوسف الشاروني
- السيد عبد الظاهر
- كمال السيد
- جمال الجزيري
- علاء الدين السباعي
- أحمد محمود
- ناهد العشري محمد
- محمد قدرى عمارة
- محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
- محيى الدين مزيد
- باشرف: محمد فتحي عبد الهادي
- سليم عبد الأمير حمدان
- سليم عبد الأمير حمدان
- سليم عبد الأمير حمدان
- سليم عبد الأمير حمدان
- سليم عبد الأمير حمدان
- سهام عبد السلام
- عبد العزيز حمدي
- ماهر جوجياتي
- عبدالله عبدالرازق إبراهيم
- محمود مهدي عبدالله
- على عبدالتراب على وصلاح رمضان السيد
- مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
- بكر الحلو
- أمانى فوزي
- مجموعة من المترجمين
- إيهاب عبدالرحيم محمد
- جمال عبدالرحمن
- بيومي على قنديل
- محمود علاوي
- مدحت طه
- أيمن بكر وسمر الشيشكلي
- إيمان عبدالعزيز
- وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
- توفيق على منصور
- مصطفى إبراهيم فهمي
- محمود إبراهيم السعدني

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقى جلال	أجنر فوج	٦٠٩- الانتخاب الثقافى
على إبراهيم مغوفى	رفائيل لويس جوشمان	٦١٠- العمارة المدججة
فخرى صالح	تيرى إيجلتون	٦١١- النقد والأيدولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النفسية
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	٦١٥- مرض الأحداث للبروتستانت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩
أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفولكلور والبحر
جلال البنا	تشارلز فيليبس	٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس
بشير السباعى	توماس ماستنك	٦٢٠- السلام الصليبي
فؤاد عكود	وليم ى. آدمز	٦٢١- الذنوب المعبر الحضارى
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينج	٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	٦٢٣- نوارس جحا الإيرانية
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٦٢٤- أزمة العالم الحديث
محمد برادة	جان جينيه	٦٢٥- الجرح السرى
توفيق على منصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالوهاب علوب	نخبة	٦٢٧- حكايات إيرانية
مجدى محمود المليجى	تشارلس داروين	٦٢٨- أصل الأنواع
عزة الخميسى	نيقولاى جويات	٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	٦٣٠- سيرتى الذاتية
إشراف: حسن طلب	نخبة	٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر
رانيا محمد	دولورس برامون	٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا
حمادة إبراهيم	نخبة	٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)
مصطفى البهنساوى	روى ماكويدي وإسماعيل سراج الدين	٦٣٤- مكتبة الإسكندرية
سمير كريم	جودة عيد الخالق	٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	٦٣٦- حج يواندة
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتر	٦٣٧- مصر الخديوية
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن ودين	٦٣٨- الديمقراطية والشعر
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	٦٣٩- فننق الأرق (شعر)
حسن حيشى	الأميرة أناكومينا	٦٤٠- ألكسياد
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	٦٤١- برتراند رسل (مختارات)
ممدوح عبد المنعم	جوناثان ميلر وبورين فان لون	٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد الدرايبادى	٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)
فتح الله الشيخ	هوارد دختيرنر	٦٤٤- العلوم عند المسلمين

- ٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومسارها الداخلية تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف
- ٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية سبهر ذبيح
- ٦٤٧- رسائل من مصر جون نينيه
- ٦٤٨- بورخيس بياتريث سارلو
- ٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى جى دى موباسان
- ٦٥٠- النوة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط روجر أرين
- ٦٥١- ديليسيس الذى لا نعرفه وثائق قديمة
- ٦٥٢- آلهة مصر القديمة كلود ترونكر
- ٦٥٣- مدرسة الطاقة (مسرحية) إيريش كستنز
- ٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١) نصوص قديمة
- ٦٥٥- أساطير وآلهة إيزابيل فرانكو
- ٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان) ألفونسو ساسترى
- ٦٥٧- محاكم التفتيش والموريكيون مرثيديس غارثيا أرينال
- ٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث خوان رامون خيمينيث
- ٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية نخبة
- ٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم ريتشارد فايفيلد
- ٦٦١- روائع أندلسية إسلامية نخبة
- ٦٦٢- رحلة إلى الجنود داسو سالديبار
- ٦٦٣- امرأة عادية ليوسيل كليفتون
- ٦٦٤- الرجل على الشاشة ستيفن كرهان وأنا راي هارك
- ٦٦٥- عوالم أخرى بول دافيز
- ٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير وولفجانج اتش كليمن
- ٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى ألفن جولدرز
- ٦٦٨- ثقافات العولة فريدريك جيمسون وماساو ميوشى
- ٦٦٩- ثلاث مسرحيات وول شوينكا
- ٦٧٠- أشعار جوستاف أنولفو جوستاف أنولفو بيكر
- ٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟ جيمس بولوين
- ٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال نخبة
- ٦٧٣- ضرب الكليم (شعر) محمد إقبال
- ٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى آية الله العظمى الخمينى
- ٦٧٥- أثينا السوداء (ج٢، مج١) مارتن برنال
- ٦٧٦- أثينا السوداء (ج٢، مج٢) مارتن برنال
- ٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج١) إيوارد جرانفيل براون
- ٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢ ، مج٢) إيوارد جرانفيل براون
- ٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (ج٣) وليام شكسبير
- ٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية) وول شوينكا
- ٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟ ستانلى فش
- ٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية) بن أوكرى
- عبد الوهاب علوب
- عبد الوهاب علوب
- فتحى المشرى
- خليل كلفت
- سحر يوسف
- عبد الوهاب علوب
- أمل الصبان
- حسن نصر الدين
- سمير جريس
- عبد الرحمن الخميسى
- حليم طوسون ومحمود ماهر طه
- ممدوح البستوى
- خالد عباس
- صبرى التهامى
- عبداللطيف عبدالحليم
- هاشم أحمد محمد
- صبرى التهامى
- صبرى التهامى
- أحمد شافعى
- عصام زكريا
- هاشم أحمد محمد
- جمال عبد الناصر ومحنة الجيار وجمال جاد الرب
- على ليلة
- ليلى الجبالى
- نسيم مجلى
- ماهر البطوطى
- على عبدالأمير صالح
- إبتهال سالم
- جلال الحفناوى
- محمد علاء الدين منصور
- بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- أحمد كمال الدين حلمى
- أحمد كمال الدين حلمى
- توفيق على منصور
- سمير عبد ربه
- أحمد الشيمى
- صبرى محمد حسن

صبرى محمد حسن	ت. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاممال القصصية الكاملة (انا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الاممال القصصية الكاملة (الصمراء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العنانى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تادوش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدى الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدى الجابزى	جيف كولنر وبيل مايبيلن	أقدم لك: دريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروفس	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سينسر وأندريجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو فرجاش	٧٠٠- الكاتب وواقعه	
منى البرنس	وليم رود فيقيان	٧٠١- الذاكرة والحداثة	
محمود علاوى	أحمد وكيليان	٧٠٢- الأمثال الفارسية	
أمين الشواربى	إدوارد جرانفيل براون	٧٠٣- تاريخ الألب فى إيران (ج٢)	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٨٨٠٢ / ٢٠٠٥

تم تصوير وطبع هذا الكتاب من نسخة مطبوعة